

المرصد

AL - MARSAD

مجلة دورية إلكترونية جامعية، لأبرز الأحداث والتطورات

Fourth Season



الربع الأخير
2018

قضايا دولية

رؤى - تحليلات - دراسات

رئيس التحرير:

محمد شيخ عثمان

+964-7701564347

هيئة التحرير:

محمد مجيد عسكري

ديارى هوشيار خال

ليلى رحمن الجاف

هه لو ياسين البرزنجي

الاشراف اللغوي:

عبدالله علي سعيد

الاشراف الفني:

هريم عثمان امين

العنوان:

السليمانية-اقليم كردستان-العراق

e-mail: ensatmagazen@gmail.com

Facebook : ENSAT.PUK

هذا المرصد...

تمر المنطقة والعالم بمرحلة دقيقة وبالغة الحساسية والتي افرزت محاور عديدة تتصارع فيما بينها على مصير المنطقة ومستقبل النظام العالمي الجديد ونفوذها وثقلها في هذا النظام، ويصح القول بان هنالك عاصفة كبرى تعبرها وهي خطيرة ومعقدة جدا فيما يبدو ان الإمكانيات التي تتوفر لدى بعض دول المنطقة قوية وكثيرة وفي المقابل ضعيفة او غير مدروسة عند غيرها وهذه العوامل المتعارضة ستدفع التوتر إلى مرحلة اكثر حساسة بالتأكيد.

اتجاهات الاحداث واهداف الاحلاف ومآلات الصراعات الخفية والمكتشوفة ومعرفة الحدث اليومي والرؤية الدقيقة والثاقبة للحاضر والآتي تتطلب الالمام التام بسير التطورات والمواقف في السابق والماضي البعيد للوصول الى مستوى من القدرة على تحليل آفاق وابعاد مجمل القضايا العالمية التي تشوبها الابهام وعنصر المفاجأة في اغلب الاحيان عند الكثيرين ولكن عند المطلع على خلفية هذه الاحداث وبداياتها لن تكون مبهما او حتى مفاجئا الا في حالات نادرة.

انطلاقا من هذه الحقائق، نضع بين ايدي القارئ الكريم من النخبة السياسية والاعلامية وصناع القرار والمؤرخين حصادا شاملا لفصول العام ٢٠١٨ .

وحسب اطلعنا على ابرز المنشورات التحليلية على مستوى المنطقة وجدنا ان (المرصد) هي الاولى من نوعها التي تتضمن ابرز التحليلات السياسية والستراتيجية فيما يخص القضايا الكردستانية والعراقية والشرق اوسطية والابرز عالميا وقد تم تصنيف المواضيع بمايسهل على القراء اختيار ما يخص توجهاتهم الفكرية واهتماماتهم البحثية والتحليلية وقد ارتابنا في مرصد العام ٢٠١٨ ان تقتصر الاعداد بفصولها الاربعة كالاتي :

١. من العراق واقليم كردستان... اخبار وتقارير

٢. قضايا كردستانية... رؤى وتحليل ودراسات

٣. اضاء عراقية... رؤى وتحليل ودراسات

٤. قضايا عالمية... رؤى وتحليل ودراسات

٥. المشهد السوري... اخبار ورؤى ودراسات

٦. المشهد التركي... اخبار ورؤى ودراسات

مجموع اعداد المجلة الديجتالية الذي يبلغ (٢٤) عددا اضافة الى نشرها في رابط المجلة على موقع مكتب اعلام الاتحاد الوطني(www.pukmedia.com/ensat) سيتم تقديمها الى النخبة الاعلامية والسياسية والمؤرخين على قرص خاص بعنوان(٢٠١٨ في المرصد) .

الربع الاخير اكتوبر 2018

توقعات مركز "ستراتفور" الفصلية للربع الأخير من العام ٢٠١٨

مركز (ستراتفور) للبحوث الاستخباراتية: ٢٠١٨/١٠/١

لمحة عامة: بينما يضع البيت الأبيض اللمسات الأخيرة على اتفاقية للاحتفاظ باتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية (نافتا)، سوف تزيد إدارة ترامب من المخاطر في الأماكن الأخرى. وسيكون على الصين مواجهة موجة أكبر من التعريفات الجمركية في هذا الربع من العام مع ركود المفاوضات التجارية. وسوف تمتد الجهود الأوروبية لتحديد تعريفات الولايات المتحدة الجمركية على السيارات إلى ما بعد الربع الرابع، لكنها ستفشل في نهاية المطاف.

التكلفة المتصاعدة لأحادية الجانب الأمريكية

تحتاج الولايات المتحدة إلى حشد كل الحلفاء الذين يمكن أن تجمعهم في حقبة من تنافس القوى العظمى. ومع ذلك، سوف تؤدي سياسة صارمة تنتهجها أمريكا في موضوع التعريفات الجمركية والعقوبات إلى دفع قوى استراتيجية متوسطة - مثل تركيا والباكستان - إلى البحث عن بدائل غير غربية، وسوف تجبر قوى عظمى - مثل أوروبا - على إعادة بناء سيادتها الاقتصادية والأمنية، بينما ستكون الروابط عبر الأطلسي تحت ضغط شديد.

عقود إمدادات النفط العالمية

حتى بينما يخفت طلب الصيف المرتفع على النفط، فإن انخفاضاً حاداً في صادرات النفط الإيراني سوف يوتر الإمداد العالمي ويبقي على الأسعار العالمية. وسوف تترك ضغوط البيت الأبيض على السعودية لاستخدام قدرتها الاحتياطية لموازنة السوق متسعاً صغيراً إلى حد خطير للرياض للاستجابة لاختلالات الإمداد التي تلوح في الأفق من بلدان مثل فنزويلا وليبيا.

فترة عصبية للأسواق الناشئة

سوف تستمر أسعار النفط المرتفعة والمزید من القيود المالية في الولايات المتحدة في الضغط على الأسواق الناشئة. وبالنسبة للأرجنتين، سوف يخلف الالتزام بمتطلبات صندوق النقد الدولي كلفة سياسية ثقيلة" وسوف تتقدم الاتجاهات الشعبية في الهند وجنوب أفريقيا قبل الانتخابات على حساب الحكمة المالية" ويتعلق الاقتصاد البرازيلي على ميزان سباق سياسي مجزأ للغاية" وسوف تشهد تركيا" الدولة الأكثر هشاشة بمسافة في هذه المجموعة، أزمته الاقتصادية وهي تتعمق نتيجة للمقاومة السياسية للإصلاح، بينما تُفاقمها العلاقات التي تزداد سوءاً مع الولايات المتحدة.

الاتحاد الأوروبي يتعامل مع إيطاليا وبريكسيت

سوف تُريك إيطاليا الأسواق بخطتها للتوسع المالي، لكن ضغط السوق سيبقي روما ضمن حدود العجز في الاتحاد الأوروبي. وفي حين أن الموعد النهائي لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي "بريكسيت" يقترب من دون وجود أي حل في الأفق، سوف نرى ما إذا كان القادة السياسيون للاتحاد الأوروبي سيتولون المسؤولية من المفاوضات الفنين لمحاولة تجنب خروج بلا صفقة.

أيوم العاصفة تتجمع فوق شبه الجزيرة الكورية

سوف تعود التهديدات المألوفة إلى الظهور بينما تتعثر المحادثات بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية، لكن من غير المرجح أن تتحول حرب الكلمات إلى مواجهة عسكرية شاملة في هذا الربع من العام. وسوف تواصل كوريا الجنوبية وروسيا والصين الانخراط مع بيونغ يانغ لإعاقة تكتيكات ممارسة الضغط الأقصى التي تستخدمها واشنطن.

تخفيف المطبات في مبادرة "الحزام والطريق" الصينية

سوف تحاول بكين تحويل المقاومة المتنامية لمشاريعها في مبادرة الحزام والطريق إلى فرصة لتخفيف الاحتكاكات مع جيرانها عن طريق التقليل من ظهور صورتها وجلب مستثمرين من طرف ثالث. وفي الأثناء، سوف

تعطي الهند الأولوية للاتفاقيات الثنائية مع الدول الرئيسية، وسترفض أي تحالفات كتلة لمواجهة الصين، بينما تحاول نيودلهي تحقيق التوازن لنفسها ضد جارتها الأكثر قوة.

حقبة "أملو" تبدأ في المكسيك

سوف يرسي رئيس المكسيك الجديد، أندريس مانويل لوبيز أبرادور، الأرضية لسلالة سياسية ناشئة. ولديه خطط كبرى لبناء علاقات مع شركات الطاقة واتحادات المعلمين، ولزيادة الإنفاق وإعادة مركزة دور شركة النفط المملوكة للدولة "بيتروليس ميكسيكانوز"، أو "بيميكس"، كما ينوي تسخير الاستفتاءات وأغلبيته في الكونغرس لتعزيز سلطته. وسوف تأخذ كل هذه الجهود مجتمعة المكسيك إلى مسار أكثر شعبية وقومية.

إثيوبيا تقود تغييراً كبيراً في شرق أفريقيا

سوف يمضي رئيس الوزراء الإثيوبي الجريء قدماً في تحركاته لتعزيز السلطة داخلياً وتطبيع العلاقات مع الجيران خارجياً، مع التركيز على إضفاء الاستقرار على مناطق البلد الأكثر اضطراباً وتوسيع الصلات الاقتصادية مع البحر.

الاتجاهات العالمية

في عالم اليوم، تصبح الدول أكثر ترابطاً باطراد عن طريق الجو والبر والبحر والفضاء السيرانى. وبينما جلبت العولمة البلدان والقارات أقرب إلى بعضها بعضاً، فقد أصبحت حدود الخرائط وحوافز الجغرافيا بالية عفا عليها الزمن ببعض الطرق. الآن، أصبح من الأسهل أن تكون للأحداث في إحدى المناطق تداعيات في المناطق الأخرى - بل إن التداعيات قد تظهر في بعض الأحيان في جميع أنحاء العالم. وفيما يلي، يستكشف مركز التنبؤات الاستراتيجية (ستراتفور) تلك الأحداث التي لها أكبر الأثر على اتخاذ القرارات الدولية خلال فترة التوقعات أدناه:

أبرز الاتجاهات:

- سوف تراكم الولايات المتحدة المزيد من التعريفات الجمركية على الصين، مستهدفة ما يعادل ٢٠٠ مليار دولار من الواردات، وربما تزيد الضغط أكثر بعد انتخابات التجديد النصفية في تشرين الثاني (نوفمبر) مع توقف المفاوضات التجارية.
- بينما ستخفف المفاوضات الناجحة على اتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية تهديد الإدارة الأمريكية بفرض تعريفات على السيارات وقطعها في شمال أمريكا، ربما يفشل الاتحاد الأوروبي في تجنب التعرض لهذه التدابير.
- سوف يؤدي انخفاض حاد في صادرات النفط الإيرانية، إلى جانب اضطرابات الإنتاج التي تلوح في الأفق في بلدان مثل ليبيا ونيجيريا وفنزويلا والعراق، إلى تراجع إمدادات النفط العالمية، وهو ما سيدفع البيت الأبيض إلى محاولة إجبار السعودية على الحفر بعمق خطر في قدراتها الاحتياطية.
- سوف تؤدي النزعة الأحادية الأمريكية في سياسة التعريفات الجمركية والعقوبات، إلى دفع قوى إقليمية، مثل تركيا، نحو السعي إلى إقامة روابط مع دول غير غربية، وستدفع القوى العالمية، مثل أوروبا، إلى استعادة سيادتها الاقتصادية.

الصين تستعد لمواجهة المزيد من التعريفات الجمركية الأمريكية

بينما يقترب الرئيس الأمريكي دونالد ترامب من نقطة المنتصف في رئاسته، فإنه سيأخذ سياسته التجارية المثيرة للجدل إلى منطقة أكثر تطرفاً في الربع الأخير من هذا العام. وتستعد الصين مسبقاً للمزيد من الضغط الاقتصادي الأمريكي بينما تتوقف المحادثات التجارية بين العملاقين. ومع ذلك، سوف تبقي بكين باب الحوار مفتوحاً، وتتمسك بعرضها شراء المزيد من البضائع الأمريكية لتحرير قطاعات مختارة، لكنها لن تخضع لمطالب الولايات المتحدة بإجراء إصلاح هيكل عميق. ويعني ذلك أن هناك المزيد من التعريفات الجمركية القادمة على الطريق.

بعد استكمال المرحلة الأولى من هجوم تعريفاته الجمركية، والتي تستهدف حملة بكين "صُنِعَ في الصين ٢٠٢٥"، سوف يتابع البيت الأبيض تهديده بفرض تعريفات بنسبة ٢٥٪ على ما تبلغ قيمته ٢٠٠ مليار دولار من البضائع الصينية. ومع أن الإدارة الأمريكية يمكن أن تقوم بتعديل لائحة التعريفات لمحاولة تخفيف الأثر على المستهلكين الأمريكيين، فإنها أظهرت تسامحاً تجاه تكبُّد الكُلف الصناعية والاستهلاكية في سعيها إلى تطبيع سياسة تعريفاتها. وقد استجابت بكين حتى الآن للتعريفات بالطريقة نفسها، ولكن سترتب عليها في المرحلة التالية من الحرب التجارية أن تلجأ إلى تدابير تنظيمية غير مباشرة أيضاً، بما فيها تمرير لوائح تفرض حظراً على شركات وبيع أمريكية. وبسبب إحباطه من حقيقة أن دولاراً أقوى ويواناً أضعف ستجهد التعريفات - وأن الاستراتيجية كلها لم ترغم الصين حتى الآن على إبرام اتفاقية حسب شروط واشنطن - يمكن أن يرفع البيت الأبيض من وتيره تهديده ليغطي كل البضائع الصينية. (ومع ذلك، ونتيجة إدراكه للتأثير على المستهلك، ربما ينتظر البيت الأبيض إلى ما بعد الانتخابات النصفية وينفذ التهديد قرب نهاية العام، عندما يكون من المرجح أنه سيواجه طريقاً مسدوداً آخر في المفاوضات مع بكين).

إخضاع انتقائي لتهديد البيت الأبيض بالتعريفات على السيارات

ستكون مخاطرة الولايات المتحدة بنشوب حرب تجارية أعلى ما يكون مع الصين لسببين. أولاً، تنسجم الهجمات التجارية - وكذلك مراجعات الاستثمار ومناقشات السيطرة على الصادرات التي سيناقتها الكونغرس في هذا الربع - تنسجم مع استراتيجية البيت الأبيض الأوسع لإضعاف قوة عظمى منافسة صاعدة. ثانياً، تتمتع واشنطن بقدر كبير من الحرية في استخدام التحقيقات في الانتهاكات التجارية بموجب المادة ٣٠١ من قانون التجارة للعام ١٩٧٤ - وهو أداة قانونية قوية بشكل خاص - لضرب بكين بعدة جولات من فرض التعريفات. أما خارج الصين، فإن تفاني البيت الأبيض الصارم في خفض عجزه التجاري العالمي من خلال فرض التعريفات على شركائه التجاريين، والتهديد بجولات غير محددة المدة من الردود الانتقامية، سوف يصطدم بقيود جديدة. سوف يستأثر تهديد البيت الأبيض بتطبيق رسوم جمركية تصل إلى ٢٥٪ على السيارات الجاهزة وقطع غيار السيارات لأسباب تتعلق بالأمن القومي في إطار تحقيق آخر بموجب المادة ٢٣٢ من قانون توسيع التجارة للعام ١٩٦٢، سوف يستأثر بالأضواء في هذا الربع من العام، مما يثير قلق كل من المكسيك وكندا وألمانيا واليابان وكوريا الجنوبية - ولأسباب وجيهة.

فيما يتعلق بتعريفات الولايات المتحدة على واردات الصلب والألمنيوم، والتي بررتها إدارة ترامب أيضاً على أساس الأمن القومي، سيكون للتعريفات الجمركية المستشركة على السيارات أثر أكبر بكثير، والذي سيؤثر على أكثر من ٢٠٠ مليار دولار من الواردات. ويقدر مركز أبحاث السيارات أن هذه الإجراءات ستضع ٧٥٠,٠٠٠ وظيفة على الأقل تحت الخطر وستكلف الولايات المتحدة ما يصل إلى ٤٢,٢ مليار دولار من الناتج المحلي الإجمالي المفقود - هذا من دون احتساب عواقب الانتقام المحتمل.

بالنظر إلى الضربة الاقتصادية التي ستتلقاها الولايات المتحدة جراء توسيع التعريفات على الصين، ربما سيضطر البيت الأبيض إلى التراجع عن تهديداته (ولو أنه لن يلغيتها بالكامل) برفع رسوم السيارات في هذا الربع من العام. وربما توصي وزارة التجارة الأمريكية في نهاية المطاف بخفض الرسوم الجمركية على السيارات أو استثناء قطع السيارات منها عندما تُصدر مراجعتها لما إذا كانت واردات السيارات تشكل تهديداً للأمن القومي حقاً. كما أن احتمال فرض تعريفات جمارك السيارات يمكن أن يحفز الكونغرس أيضاً على ضبط سلطات الرئيس على قضايا القسم ٢٣٢ من القانون، ومنح وزير الدفاع مزيداً من السلطة على مسائل الأمن القومي المتصلة بالتجارة.

سوف يحصل البيت الأبيض على نتائج مختلطة من فرض تعريفات على السيارات في مفاوضاته الجارية على التجارة الحرة. وتتمتع كندا والمكسيك بأفضل فرصة لتخفيف التهديد من خلال مراجعة اتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية، والتي ستشدد قواعد المنشأ للقارة ككل. وبعد كل شيء، سوف توجه الولايات المتحدة إلى نفسها ضربة سياسية واقتصادية هائلة إذا قامت بتدمير سلاسل التوريد المتكاملة بعمق، والتي تمتد عبر أمريكا الشمالية. وعلى النقيض من ذلك، فإن الاقتراحات بين الدول غير الأعضاء في اتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية (نافتا) لإزالة التعريفات جملة وتفصيلاً من خلال صفقة تجارية محدودة مع الولايات المتحدة سوف تتناقض مع مساعي البيت الأبيض لتقليل العجز التجاري. وسوف يدفع البيت الأبيض، بعد ذلك، نحو إبرام اتفاقيات أكثر شمولاً لموازنة واردات السيارات الأجنبية من خلال تفضيل الصادرات الأمريكية الأخرى، أي الزراعة. وعندئذ يمكن أن تصل المفاوضات إلى الحائط.

خارج أمريكا الشمالية، سوف تكون محادثات التجارة الأمريكية ملفاً مختلطاً. سوف تحاول كوريا الاعتماد على مفاوضاتها الحالية حول اتفاقية التجارة الحرة بين كوريا وأمريكا للهرب من تهديد تعريفات السيارات. وسوف تحاول اليابان البناء على محادثات سيئول مع واشنطن وستحاول جلب انتباه الإدارة إلى استثماراتها في قطاع السيارات في الولايات المتحدة. ومع ذلك، يمكن أن تستسلم في نهاية المطاف لمطالب البيت الأبيض بعقد مفاوضات أكثر شمولاً للتجارة الحرة. وفي الأثناء، تبدو التوقعات الخاصة بالمحادثات التجارية للاتحاد الأوروبي مع الولايات المتحدة هي الأكثر قتامة. سوف تحوّل مطالب الولايات المتحدة باشتغال الزراعة في المحادثات للمساعدة في موازنة العجز التجاري دون حدوث توافق في الكتلة القارية، مما يطيل أمد المفاوضات إلى العام المقبل ويعوق قدرة ألمانيا على حماية قطاع صناعة السيارات لديها من التعريفات الجمركية الأمريكية.

لمحاولة تهدئة المواجهة التجارية الحتمية مع الولايات المتحدة، سوف يعمل الاتحاد الأوروبي على الترويج لمقترحه لإصلاح منظمة التجارة العالمية في هذا الربع من العام. وترتكز الكتلة القارية على معالجة المخاوف المتبادلة حول الانتهاكات التجارية الصينية وشكاوى الولايات المتحدة من "هيئة الاستئناف" في المنظمة، بما أن الولايات المتحدة تحركت مسبقاً نحو تقليل عدد القضايا في المحكمة إلى ثلاثة، وهو الحد الأدنى المقبول. ومع أن الاقتراح ربما يقلل من حدة مفاوضات الاتحاد الأوروبي مع البيت الأبيض، فإنه لن يكون كافياً لنزع فتيل تهديد التعريفات الجمركية على السيارات.

إيران وانقطاعات الإمداد المحتملة ستؤدي إلى نشوء سوق نفط ضيقة

سوف تكون أسواق النفط الخام ضيقة في الربع الرابع، بشكل أساسي بسبب الانخفاض الحاد في صادرات النفط الإيرانية نتيجة لعودة العقوبات الأمريكية. وكانت صادرات إيران من الخام قد تراجعت مسبقاً بأكثر من مليون برميل يومياً من ذروتها التي بلغت ٢٠٧ ملايين برميل يومياً في أيار (مايو). وبمجرد أن تدخل العقوبات الأمريكية حيز التنفيذ في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر)، فإن هذه الصادرات قد تهبط إلى أقل من مليون برميل يومياً. وبينما تستعد الولايات المتحدة لإجراء انتخاباتها النصفية المقررة في الشهر نفسه، فإن القلق بشأن ارتفاع سعر النفط سوف يتصاعد في واشنطن.

سوف يضغط ترامب بشدة على السعودية لإبقاء العرض في أسواق النفط جيداً وأسعاره تحت السيطرة لدى المملكة العربية السعودية نحو مليوني برميل يومياً من القدرة الاحتياطية - أي ما يكفي لتعويض الانخفاض في الإنتاج الإيراني. ومع ذلك، ربما يقلل القيام بذلك قدرة الرياض على الاستجابة لاضطرابات العرض في الأماكن الأخرى، على سبيل المثال في ليبيا والعراق ونيجيريا أو فنزويلا، حيث سيكون الإنتاج في خطر خلال هذا الربع أيضاً. (سوف تستمر أزمة فنزويلا الاقتصادية في الحد من الإنتاج على أي حال، وإذا وقع انقلاب هناك، فإنه يمكن أن يتسبب بالمزيد من الانقطاعات المفاجئة). وبالإضافة إلى ذلك، فإن الافتقار إلى قدرة خط الأنابيب قد يؤدي إلى الحد من نمو الإنتاج الأمريكي في الربع الرابع. وبذلك، وحتى لو دعمت المملكة العربية السعودية جهود البيت الأبيض لإضعاف إيران من خلال العقوبات على صادرات البلد من النفط، فإن هذه المبادرة ستضع قدرة السعودية الإنتاجية المحلية الخاصة، وكذلك سوق النفط العالمي ككل، تحت خطر كبير.

مخاطر تلوح في أفق الاقتصاد العالمي

سوف تتجمع الغيوم فوق أفق الاقتصاد العالمي في هذا الربع الرابع، لكن العاصفة لن تضرب بعد مع ذلك. وفي حين أن البيت الأبيض يتبنى نهجاً أكثر عدوانية في سياسته الاقتصادية، فإن الرياح الاقتصادية التي تزداد شدة لفرض تعرفات أكثر تطرفاً على الصين والسيارات سوف تتطلب، إذا دخلت حيز التنفيذ، المزيد من الوقت لبنائها. وسوف تنجو "نافتا" في هذا الربع كمعاهدة ثلاثية الأطراف، على الرغم من تهديدات البيت الأبيض، حتى لو تطلب الأمر منحها اسماً جديداً. ومع أن مخاطر التجارة سوف تظهر بالأكيد في مداوات مجلس الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي، فإن المجلس يظل مفتقراً إلى امتلاك صورة كاملة عن التأثير الذي ربما تخلفه التحركات التجارية الجارية. وعادة ما تكون النمذجة الاقتصادية لآثار التعريفات غير كاملة في أفضل الأحوال، بالنظر إلى أن معظمها لا تضع الردود الانتقامية المحتملة في حساباتها. ومن المرجح أن تصبح المخاوف من الركود أكثر وضوحاً في العام المقبل. أما الآن، فإن بنك الاحتياطي الفيدرالي سوف يبقى على مساره بخصوص دورة التشديد، ويُتوقع أن يقوم برفع سعر الفائدة مرة أخرى على الأقل قبل نهاية العام.

في الأثناء، سوف يزن البنك المركزي الأوروبي الخطر المتصاعد من الخروج البريطاني، "بريكسيت"، وإيطاليا وتركيا في مقابل النمو الاقتصادي المتواضع للقارة وعودة التضخم إلى منطقة اليورو بينما يستعد لإنهاء برنامجه للتسهيل الكمي في وقت متأخر من هذا العام. وبينما تستعد الصين لمواجهة المزيد من الضربات الاقتصادية المباشرة من الولايات المتحدة، سوف تدير الصين عملتها، اليوان، بحرص لتجنب تراجع حاد للعملة، بينما تضخ الحوافز المالية والنقدية حسب الحاجة.

بالنسبة للبلدان التي تعاني مسبقاً من عملات ضعيفة، ومن توسع العجز في الحسابات الجارية والتدفقات المالية الخارجية، فإن تشديد السياسة النقدية في الولايات المتحدة، وارتفاع أسعار الطاقة، والمخاطر التجارية المتزايدة سوف تضعها في ريع عام مرهق بشكل خاص.

سوف يلتزم الرئيس الأرجنتيني، ماوريسيو ماكري، بالإصلاحات والتحرير التي يطالب بها صندوق النقد الدولي، مما ينهي فعلياً مسيرته السياسية في هذه العملية. وسوف تؤدي اندفاع شعبية في الهند قبل الانتخابات العامة المقبلة في البلد في العام ٢٠١٩ إلى الحد من صرامتها حيبتها المالية، حتى في مواجهة ارتفاع سريع محتمل في فاتورة مستوردات النفط. لكن تركيا، باحتياطياتها المتضائلة، وتضخم عجز الحساب الجاري ونضج دين شركات، هي التي تأخذ الكعكة عندما يتعلق الأمر بمخاطر الأسواق الناشئة. وسوف يلقي تصعيد النزاع مع الولايات المتحدة، إلى جانب تردد الرئيس التركي، رجب طيب إردوغان، في التخلي عن السياسة النقدية والتوسع المالي المتساهل، بثقلهما على الليرة التركية.

توقعات ذات صلة:

- توفر هذه العناوين التي بحثها مركز "ستراتفور" رؤى إضافية لهذا الربع الأخير من العام:
- سوف يؤدي اتجاه نحو القومية الاقتصادية ومعركة متصاعدة حول المعايير الدولية إلى بلقنة قطاع التكنولوجيا بينما تتسابق القوى العظمى في العالم نحو تطوير واستخدام الذكاء الاصطناعي.
- سوف يؤدي التحول بعيداً عن الوقود الأحفوري في مجال النقل العالمي إلى دفع الشركات والدول نحو محاولة تركيز جهودها على مصدر الطاقة الرئيسي التالي، بطارية الليثيوم-أيون.
- سوف تسلط مفاوضات الحد من التسليح بين الولايات المتحدة وروسيا في الربع الأخير من العام الضوء على المخاوف العالمية بشأن الانتشار النووي وانتشار الأسلحة الأخرى.
- سوف تواصل الولايات المتحدة تحويل بصمتها العسكرية تدريجياً للتأقلم مع منافسة القوى العظمى الناشئة مع كل من الصين وروسيا.
- سوف تظل الزراعة هدفاً في النزاعات التجارية الجارية، ولكن، سيكون للمزارعين في أجزاء كثيرة من العالم المتقدم تأثير أقل على القرارات السياسية بسبب التغيرات في التركيبة السكانية والتكنولوجيا والاقتصاد.

تواريخ مهمة تجدر مراقبتها في هذا الربع من العام:

- أيلول (سبتمبر): من المتوقع أن يقوم الاتحاد الأوروبي بتوزيع مقترح حول إصلاح منظمة التجارة العالمية.
- تشرين الأول (أكتوبر): استحقاق صدور تقرير وزارة الخزانة الأمريكية عن تلاعب الصين في مجال العملة.
- تشرين الأول (أكتوبر): استضافة كندا قمة متعددة الأطراف حول إصلاح منظمة التجارة العالمية.
- ٦ تشرين الثاني (نوفمبر): سوف تُجرى انتخابات التجديد النصفية في الولايات المتحدة، والتي تشكل ورقة اختبار للحزب الجمهوري في ظل إدارة ترامب.
- ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) إلى ١ كانون الأول (ديسمبر): قمة زعماء مجموعة العشرين.
- ١ كانون الأول (ديسمبر): سوف يؤدي أندريس مانويل لوبيز أوبرادور اليمين الدستورية كرئيس للمكسيك.
- ١٤ كانون الأول (ديسمبر): تنتهي الدورة البرلمانية الكندية.

الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

تشكل منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا مفترق طرق العالم. وهي تشمل شبه الجزيرة العربية، وجبال إيران، وسهول تركيا، وصحارى بلاد الشام، والأراضي الواقعة شمال الصحراء الأفريقية، وجميع السواحل بينها. وقصة المنطقة، كما هو الحال في كثير من الأحيان في الأماكن العالقة بين مصالح اللاعبين الأجانب، هي قصة تجارة وجدل وصراع. القوى التقليدية في المنطقة هي تركيا وإيران -بينما المملكة العربية السعودية ومصر هما القوتان العربيّتان الأبرز حالياً- ويجعل تنافس هذه القوى من أجل كسب النفوذ على الدول الضعيفة في المنطقة من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ساحة للعنف وعدم الاستقرار الدائمين.

الاتجاهات الرئيسية للربع القادم

إيران ستتضرر- لكنها ستنجو

سوف تواصل الولايات المتحدة تطبيق استراتيجيتها المتشددة لمعاينة إيران، وهو مسار يهدف في جزء منه إلى زيادة عدم الاستقرار المحلي في البلد. وسوف تنتشر الاحتجاجات المدفوعة اقتصادياً، لكن إيران ستتمكن في الوقت الحالي من التعامل معها. وسوف يقوم المحافظون في الحكومة الإيرانية بتصعيد هجماتهم السياسية ضد حلفاء الرئيس حسن روحاني المعتدلين، لكن الحماية من المرشد الأعلى، آية الله علي خامنئي، سوف تضمن بقاء روحاني السياسي. ويرجح أن تمتثل الشركات الأجنبية، باستثناء تلك في الصين وروسيا، إلى العقوبات الأمريكية وأن تقلص معاملاتها مع إيران بدلاً من الاحتفاظ بعقودها معها.

سوف تكون خطط الاتحاد الأوروبي لمنح الأموال للشركات في الكتلة التي قد تواجه خطر التعرض للعقوبات الأمريكية بسبب الاتجار مع إيران، بمثابة إشارة سياسية للدعم، والتي لن تساعد إيران كثيراً من الناحية الاقتصادية. كما أنها ستوفر أيضاً الإمكانية لحدوث احتكاك بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي إذا حاولت واشنطن فصل البنوك الإيرانية عن شبكة "سويفت"، وهي الشبكة الرئيسية للمعاملات والتحويلات النقدية الدولية. للرد وبناء وسائل الضغط للمفاوضات المستقبلية، سوف تقوم إيران بتعتيم خط السلوك المقبول داخل حدود خطة العمل الشاملة المشتركة، أو الاتفاق النووي الإيراني، وستنخرط في عملية تطوير نووي محدودة. كما ستمسك إيران أيضاً بنشاطها المتشدد بالوكالة في الخارج" وسوف تنخرط في هجمات سيبرانية، وستتحرش بسفن الولايات المتحدة وحلفائها والبنية التحتية النفطية في الخليج الفارسي، وستهدد بإغلاق مضيق هرمز لبناء نوع من وسائل الضغط ضد الولايات المتحدة، حتى بينما تسعى إلى تجنب اندلاع صراع أكبر.

لمحة عامة لا راحة لإيران المحاصرة

سوف يواصل الاقتصاد الإيراني الترنح من ثقل العقوبات، بينما تمضي الولايات المتحدة، والسعودية، والإمارات العربية المتحدة وإسرائيل قدماً في تطبيق استراتيجية ترمي إلى إضعاف إيران إقليمياً. وسيظل بإمكان إيران أن تتعامل مع الاضطرابات الداخلية الناجمة عن الضغط الاقتصادي، وسوف تتوخى الحذر لتجنب تصعيد عسكري مع الولايات المتحدة في الخليج الفارسي. ومع ذلك، سوف يتكثف صراع السلطة في داخل القيادة الإيرانية فحسب.

سوف يتكشف الضعف الروسي في سورية

سوف تتكشف حدود نفوذ الكرملين في سورية بينما تحاول موسكو الدفع بمقترح لإنهاء الحرب الأهلية، واحتواء إيران وتخفيف مخاطرة روسيا الخاصة في منطقة الصراع. وفي حين أن موسكو تسعى لجر واشنطن إلى مفاوضات أوسع نطاقاً، فإن العقوبات الأمريكية المتزايدة على روسيا في هذا الربع سوف تعكر المناخ التفاوضي، ولو أن إحراز بعض التقدم على جبهة الحد من التسليح سيكون ممكناً.

الدفع ضد الأحادية الأمريكية

في الحقيقة، سوف تكون تركيا حالة دراسة مقنعة في هذا الربع من العام في الاتجاه الأوسع للدفع ضد أحادية الولايات المتحدة في مجال السياسة التجارية والعقوبات. وبينما تجد نفسها عالقة في تنافس القوى العظمى بين الولايات المتحدة والمحور الأوراسي للصين وروسيا، سوف تبقى تركيا إحدى قدميها في حلف الناتو، بينما تقوم أيضاً ببناء وتعزيز علاقاتها الاستراتيجية مع الشرق. لكن أنقرة ستجتاح أكثر نحو القوى غير الغربية في وقت حاجتها، بما أن الولايات المتحدة تجعل من ضغوطها الاقتصادية على البلد أسوأ فحسب. وبالمثل، ربما تتحول باكستان إلى الصين بدلا من صندوق النقد الدولي للحصول على قرض بقيمة ١٠ مليارات دولار من أجل التخفيف من ضائقتها المالية.

في الوقت نفسه، سوف تقود فرنسا وألمانيا الطريق من أجل استعادة السيادة الأوروبية من الولايات المتحدة. وسوف تكون لدى القوى الأوروبية خيارات محدودة في المدى القصير لحماية بنوكها وشركاتها من العقوبات الأمريكية الثانوية على إيران. ومع ذلك، وعلى المدى البعيد، يمكن أن تؤدي المناقشات حول تأسيس نظام مستقل للدفعات والتسويات - كرد فعل على تهديد الولايات المتحدة بفرض عقوبات على "سويفت"، شبكة الاتصالات على مستوى العالم التي تدعم التحويلات المالية الدولية - إلى تغيير النظام المالي العالمي. وإذا ضمت أوروبا القوى مع الصين وروسيا لبناء نظام للدفعات والتسويات المالية قائم على أساس سلاسل الكتلة، على سبيل المثال، فإنه ذلك يمكن أن يمحو النفوذ المالي للولايات المتحدة.

الحرب الأهلية السورية تدخل مرحلة جديدة

سوف تتحدى الحرب الأهلية السورية الروس بطرق جديدة، خاصة في آخر معاقل الثوار الرئيسية في محافظة إدلب، وسوف تحاول روسيا الموازنة بين إيران وتركيا في إدلب، وسوف تتمسك تركيا بمواقعها. وسوف تواصل إسرائيل ضرب إيران في داخل سورية، حتى بينما تحاول روسيا ضمان أن لا تتصاعد هذه الصراعات إلى حرب إقليمية رئيسية. وأخيراً، لن تنسحب الولايات المتحدة من سورية، لكن حلفاءها في قوات سورية الديمقراطية سيستعدون للمستقبل عن طريق بناء روابط خفية مع دمشق.

إردوغان لن يتراجع

بسبب الضغوط التي تجلبها علاقة بلده المتدهورة مع الولايات المتحدة، سوف يفضل الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، المخاطرة بتضخيم أزمة تركيا الاقتصادية على تطبيق سياسات مالية ونقدية أكثر تقييداً. وحتى مع أن الحكومة التركية ستعلن عن خطط لتقليص الإنفاق الوطني وإيقاف التضخم، فإن قبضة أردوغان المحكمة داخل الحكومة ستحد من قدرة المؤسسات الاقتصادية في البلد على إحداث التغييرات المرغوبة. ولتجنب التعرض للضغط من الاتحاد الأوروبي الذي يطالب بإجراء تغييرات جوهريّة في السياسات لمعالجة أوضاع حقوق الإنسان، سوف يتطلع أردوغان إلى المساعدة، بشكل أساسي من الحلفاء الأجانب الودودين، مثل قطر وروسيا والصين أكثر من الاتجاه إلى صندوق النقد الدولي. لكن مثل هذا الدعم، خاصة إذا هبطت قيمة الليرة التركية مرة أخرى، ستكون محدودة على الأرجح. وفي هذا الربع من العام، سوف يستخدم أردوغان الأزمة الاقتصادية والاحتكاكات المتصاعدة مع الولايات المتحدة لتعبئة الدعم القومي. وإذا اختار أن يدعو إلى إجراء انتخابات بلدية مبكرة، فإن أي إصلاحات أعمق ستأتي بعد ذلك.

المملكة العربية السعودية ستبطن إصلاحاتها

سوف تبطن المملكة العربية السعودية وتيرة كل من الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية في الربع المقبل، مدفوعة بزيادة في العوائد النفطية التي ستستخدمها لصياغة ميزانية توسعية أخرى في كانون الأول (ديسمبر). ويبقى صندوق "استثمار الرياض العام" هو المصدر الرئيس للأموال لخطط التحديث في المملكة. ولكن، بدلاً من استخدام الاكتتاب العام الأولي الذي ما يزال معلقاً لأسهم "أرامكو" لتوليد رأس المال، تسعى الحكومة السعودية إلى استخدام وسائل أقل إثارة للجدل السياسي. ويمكن أن يشمل ذلك السماح لأرامكو بإصدار سندات دين لشراء حصة صندوق التمويل العام البالغة ٧٠ في المائة في مؤسسة "سابيك" للبتروكيماويات، وهو ما سيعادل نحو ٧٠ مليار دولار تقريباً.

أمريكا تسعى إلى تشكيل "ناتو" عربي

على الرغم من الجهود التي تبذلها الولايات المتحدة لبناء تحالف استراتيجي مع حلفائها العرب، فإن الواقع هو أن شركاءها الشرق أوسطيين منقسمون بين أنفسهم، وهم غير قادرين ولا مهتمين بتحمل عبء واشنطن الإقليمي. وسوف يتقدم التحالف الإسرائيلي - السعودي - الإماراتي مع الولايات المتحدة في أماكن معينة - مثلاً: في سورية مع إسرائيل، وفي اليمن مع السعوديين والإماراتيين، وفي العراق مع السعوديين - حيث تستطيع أمريكا تطبيق استراتيجيتها لإضعاف إيران من خلال حلفائها. ولكن، لن تلتزم أي من هذه القوى بنوع التحالف الرسمي الذي يشمل المنطقة كلها الذي تريده الولايات المتحدة. وفي الأثناء، سوف يجد اللاعبون المحايدون، مثل الكويت وعمان، أنفسهم تحت الضغط لمواءمة سياساتهم مع سياسات المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة.

توقعات ذات صلة

- توفر هذه العناوين التي بحثها مركز "ستراتفور" رؤى إضافية لهذا الربع الأخير من العام:
- حياذ عُمان لا يحظى بالشعبية بشكل متزايد لدى كل من المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، اللتين لديهما فرصة لاستخدام أمريكا للحصول على ما تريدان من مسقط.
 - لا يبلي الاقتصاد في مملكة البحرين حسناً، ويجد حلفاؤها من دول مجلس التعاون الخليجي -المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والكويت- أنفسهم وهم يسددون فواتيرها.
 - تدعم فرنسا وإيطاليا أنواعاً مختلفة من المستقبل لليبيا، وهو ما سيلحق الضرر بطرابلس.
 - تجد تركيا نفسها مجبرة على الموازنة بين التجارة مع إيران وحماية شركاتها من العقوبات الأمريكية.
 - في العراق، تتنافس الفصائل الشيعية على السلطة، في حين أن الأحزاب الكردية والسنية تساعد في تقرير من هو الطرف الذي سيقود الحكومة المقبلة.

تواريخ مهمة تجدر مراقبتها

- أيلول (سبتمبر) / تشرين الأول (أكتوبر)، (التاريخ غير معروف بالضبط): البحرين تجري انتخابات برلمانية.
 - ٣٠ أيلول (سبتمبر): حكومة إقليم كردستان العراق تجري انتخابات برلمانية.
 - تشرين الأول (أكتوبر)، (التاريخ غير معروف بالضبط): إسرائيل تجري انتخابات بلدية.
 - ٤ تشرين الثاني (نوفمبر): تعيد أمريكا فرض عقوبات على قطاع الطاقة الإيراني ومعاملات البنك المركزي الإيراني.
 - ١٠ كانون الأول (ديسمبر)، (التاريخ مؤقت): يحتمل أن تجري ليبيا انتخابات.
 - ١٣ كانون الأول (ديسمبر): اجتماع لجنة السياسة النقدية للبنك المركزي التركي.
- * * *

أوراسيا

تعتبر "أوراسيا" المنطقة الأكثر توسعية في العالم. وهي تصل ما بين الشرق والغرب، وتشكل جسراً برياً يجاور كلاً من أوروبا، وآسيا-المحيط الهادي، والشرق الأوسط وجنوب آسيا. وتتكون حدود هذه المساحة الشاسعة من الأرض السهل الأوروبي الشمالي، وجبال الكاربات، وجبال القوقاز الجنوبية، وجبال تيان شان وسيبيريا. وفي قلب أوراسيا تقع روسيا، وهي بلد حاول على مدار التاريخ -بدرجات متفاوتة من النجاح- توسيع نفوذه وبسطه على أقصى تخوم أوراسيا -في استراتيجية هدفت إلى عزل روسيا عن القوى الخارجية. لكن هذه الاستراتيجية تخلق الصراعات بالضرورة في كل أنحاء الأراضي الواقعة على تخوم الحدود الروسية، وتضع أوراسيا في حالة شبه دائم من عدم الاستقرار.

الاتجاهات الرئيسية للمنطقة

المواجهة الروسية-الأمريكية تتصاعد:

مع اقتراب الولايات المتحدة الأمريكية من إجراء انتخابات التجديد النصفية، وبينما تتصاعد الضغوط السياسية بسبب النشاط الروسي -التدخل المزعوم في الانتخابات الأمريكية، والاتهامات بالتسميم، والصراع في أوكرانيا- يبدو من شبه المؤكد أن تعمد واشنطن إلى توسيع العقوبات ضد موسكو. ومع ذلك، سوف يكون المدى الذي يمكنها فيه تطبيق ذلك نتاجاً للمداولات والتوافق بين الكونغرس الأمريكي والبيت الأبيض. ومن غير المرجح أن تسعى الولايات المتحدة إلى تبني الخيار المتطرف المتمثل في فرض عقوبات على دین روسيا السيادي أو قطع صلة بنوكها بتسويات الدولار، لكن الحكومة الأمريكية سوف تلجأ أكثر إلى استهداف المسؤولين الروس، والأوليغاركيين والمؤسسات التي تديرها الدولة. وكجزء من استجابتها المرجحة للعقوبات الأمريكية المتزايدة، يمكن أن تحد

روسيا من صادراتها الخاصة إلى الولايات المتحدة، وتواصل بناء قدراتها العسكرية وتقويض المصالح الأمريكية في أوكرانيا. وفي الأثناء، سوف تؤدي جهود موسكو لتقوية استقرارها المالي وتنويع روابطها الاقتصادية - كجزء من استراتيجيتها بعيدة المدى لإجهاض العقوبات - إلى تمكين القادة الروس من تجنب أي اضطرابات اقتصادية كبيرة في هذا الربع من العام. وسوف تتخذ روسيا إجراءات لتقليل التعرض للدولار عن طريق التخلص من سندات الخزينة الأمريكية وشراء الذهب، بينما ستساعد الاحتياطات الوفيرة وأسعار الطاقة القوية الكرملين على التخفيف من أثر التحديات المالية التي يواجهها في المدى القصير.

بغض النظر عن العقوبات المتوقعة، سوف تواصل الولايات المتحدة التفاوض مع روسيا، في إطار مسعى لمعالجة نقاط الخلاف الثنائية العالقة. وتعرض المفاوضات على الحد من التسلح أفضل الفرص لإحراز التقدم، ولو أن التوصل إلى اتفاق شامل حول تجديد المعاهدة الاستراتيجية الجديدة للحد من الأسلحة النووية، أو معاهدة القوى النووية متوسطة المدى، سيكون غير مرجح في هذا الربع. وفي الأثناء، سوف تحاول روسيا تقويض الوحدة عبر الأطلسي من خلال استغلال الانقسامات بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي حول سياسة العقوبات ومشاريع الطاقة، مثل "نورد ستريم ٢".

روسيا تتطلع شرقاً للصفقات الاقتصادية

وسط الصعوبات التي تصادفها مع الغرب، سوف تواصل موسكو تعزيز العلاقات مع الشرق وتحسين موقفها السياسي والاستراتيجي الأوسع. وسوف تكافح روسيا من أجل تقوية علاقاتها الاقتصادية مع الصين واليابان والدول الآسيوية الأخرى، خاصة خلال "المنتدى الاقتصادي الشرقي" الذي من المقرر التناهم في فلاديفوستوك في الفترة من ١١ إلى ١٣ أيلول (سبتمبر). وسوف يحضر كل من الرئيس الصيني، شي جين بينغ، ورئيس الوزراء الياباني، شينزو آبي، هذه القمة، والتي ستتركز على التنمية الاقتصادية لمنطقة الشرق الأقصى في روسيا.

روسيا تستخدم سورية كأداة في الشرق الأوسط

في الشرق الأوسط، سوف تستخدم روسيا موقفها في سورية لتعظيم دورها كمحاور إقليمي. وسوف تعمل موسكو على الحد من وجود إيران بالقرب من مرتفعات الجولان - وهو ترتيب يمكن أن تقبله طهران على المدى القصير. ومع ذلك، فإن روسيا غير قادرة ولا راغبة في قبول المطالب الأمريكية بطرد إيران من سورية. وسوف تحاول روسيا التوصل إلى اتفاق مع الولايات المتحدة حول إعادة الإعمار واللاجئين في سورية، والذي سيضفي الشرعية على النظام السوري ويؤمن موقف موسكو في البلد، لكن مثل هذا الموقف سيواجه على الأرجح مقاومة في الولايات المتحدة، خاصة بين المتشككين في الكونغرس.

موسكو تجتاز الانتخابات الإقليمية وسط الإصلاحات غير الشعبية

سوف تغير انتخابات أيلول (سبتمبر) هيمنة حزب "روسيا الموحدة" الحاكم في بعض سباقات المحافظات، ومن المرجح أن تؤدي النتائج إلى قيام احتجاجات ضد حكومة فلاديمير بوتين. ويمكن أن تؤدي الجهود الجارية لإصلاح نظام التقاعد في روسيا بشكل خاص إلى قيام الاحتجاجات، بل وحتى أن تتسبب باحتكاكات في داخل الحكومة خلال هذا الربع. ولأنه يدرك طبيعة رد الفعل المتوقعة، يرجح أن يخفف الكرملين قانون إصلاح التقاعد من أجل تهدئة الرأي العام وتجنب حدوث انقسامات كبيرة داخل الحكومة.

*مركز التنبؤات الاستراتيجية، Strategic Forecasting, Inc. والمعروف أكثر باسم "ستراتفور" STRATFOR، هو مركز دراسات استراتيجي وأمني أمريكي، يعد إحدى أهم المؤسسات الخاصة التي تعنى بقطاع الاستخبارات، وهو يعلن على الملأ طبيعة عمله التجسسي، ويجسد أحد أبرز وجوه خصخصة القطاعات الأمريكية الحكومية. تطلق عليه الصحافة الأمريكية اسم "وكالة المخابرات المركزية في الظل" أو الوجه المخصص للسي أي إيه، The Private CIA.. معظم خبراء مؤسسة "ستراتفور" ضباط وموظفون سابقون في الاستخبارات الأمريكية. الترجمة: صحيفة الغد الأردنية

الذكرى الأولى للاستفتاء على انفصال كاتالونيا: قطع طرق... وخطوط قطارات

وكالة فرانس برس: ٢٠١٨/١٠/٢

قطع انفصاليون في كاتالونيا خطأً لقطار سريع وطرق سريعة وشوارع في برشلونة، إحياءً للذكرى الأولى لاستفتاء على تقرير المصير في الإقليم حظّته الحكومة المركزية في مدريد وأدى إلى عنف.

وأقدم مئات من المقنّعين، في مجموعة «لجان الدفاع عن الجمهورية»، على قطع خطوط سكك الحديد في محطة جيرونا شمال شرقي برشلونة، ما عطلّ سير القطار السريع الذي يربط فيغيراس ببرشلونة، قبل أن يستأنف العمل. وأكدت إدارة شبكات الطرق قطع طريق سريع يربط بين برشلونة وفالنسيا، وآخر يربط بين برشلونة ومدريد.

وقطع ناشطون أيضاً شوارع داخل برشلونة وليريدا، فيما أنزلت «لجان الدفاع عن الجمهورية» العلم الإسباني من على مقر الحكومة الكاتالونية في جيرونا، وكتبت على «تويتتر»: «مرّت سنة على إعلان الجمهورية، لنتحرك».

ويشكل التحرك مؤشراً لانقسامات بين الانفصاليين الذين ينتقد متطرفون منهم، مثل «لجان الدفاع عن الجمهورية»، الحكومة الكاتالونية المؤيِّدة للاستقلال، لامتناعها عن مواجهة الحكومة المركزية.

وطالب «حزب الوحدة الشعبية» الانفصالي اليساري المتطرف باستقالة وزير الداخلية في حكومة كاتالونيا ميكيل بوتش، بعدما اتهم الحزب باللجوء إلى العنف.

وفي ظلّ هذا الانقسام، رحّب رئيس الإقليم كيم تورا بتحرك ناشطي «لجان الدفاع عن الجمهورية»، قائلاً: «بدأ كل شيء في ١ تشرين الأول (أكتوبر) الماضي، عندما قررنا جميعاً وبديموقراطية تقرير مصيرنا، وهذا أبرز إنجاز يمكن شعب حرّ أن يحققه».

وكانت الحكومة السابقة في كاتالونيا بقيادة كارليس بيغديمونت، نظمت استفتاءً على الاستقلال في ١ تشرين الأول ٢٠١٧، على رغم قرار قضائي بحظره، وتخلفه عنف.

وأعلنت الحكومة في الإقليم أن حوالي ٩٠ في المئة من المشاركين صوتوا بـ «نعم» لمصلحة قرار الاستقلال، علماً أن الاستفتاء نُظم في غياب مراقبين ولوائح شطب اعتيادية. وأقرّت الحكومة بأن حوالي ٤٢ في المئة من ناخبي الإقليم أدلوا بأصواتهم.

وردّت الحكومة المركزية في مدريد معتبرة أن الاستفتاء «غير شرعي ولا مفاعيل قانونية له»، مضيفة: «١ تشرين الأول كان يوماً حزيناً، وليس هناك ما يدعو إلى الاحتفال». وحضّت تورا على «وقف لغة الخطابات»، في موازاة استئناف الحكومة الاشتراكية برئاسة بدرو سانشين، التي تولّت الحكم في حزيران (يونيو) الماضي بفضل أصوات الانفصاليين الكاتالونيين، الحوار مع السلطات الكاتالونية.

وبعد الاستفتاء صوت برلمان الإقليم على إعلان الاستقلال، ما دفع الحكومة المركزية إلى إقالة حكومة كاتالونيا وفرض سلطتها والدعوة إلى انتخابات جديدة، احتفظ فيها الانفصاليون بغالبيتهم.

وفرّ أعضاء في الحكومة الكاتالونية إلى خارج إسبانيا، بينهم بيغديمونت الموجود في المنفى في بلجيكا، فيما اعتُقل آخرون. ووُجّهت تهمة التمرد إلى ١٣ من القياديين الانفصاليين، وقد تصل عقوبتهم إلى السجن ٢٥ سنة في حال إدانتهم.

صراع القوى في صناعة القرارات

*عاطف الغمري

صحيفة (الخليج) الإماراتية : ٢٠١٨/١٠/٣

لا أنسى إلى اليوم، أول محاضرة لنا في الثمانينات ونحن ندرس برنامج صناعة قرار السياسة الخارجية الأمريكية، الذي يحاضر لنا فيه مسؤولون أمريكيون سابقون، وكان المحاضر في اليوم الأول مستشاراً سابقاً للرئيس الأمريكي، وعنوان المحاضرة: «كيف أن أمريكا مختلفة».

ومن خلال شرح عملي راح يوضح لنا تميز النظام السياسي الأمريكي، دون غيره من الأنظمة، بوجود سبغ قوى داخلية تعتبر شريكة أو صاحبة نفوذ، على قرار السياسة الخارجية، وهذه القوى هي بحكم الدستور: الرئيس، الكونجرس، يليهما نفوذ جماعات المصالح، وقوى الضغط، ومراكز الفكر السياسي، والإعلام والرأي العام.

وكل منها يمارس ضغوطه، لكن قدرته على التأثير تتوقف على ما إذا كان الرئيس يتمتع بقوة ومكانة، تحد من تأثير الضغوط على قراره، أو على العكس، إذا ما كان الرئيس في البيت الأبيض، يعاني مشاكل عامة أو شخصيته تضعف من قدرته على مواجهة أي قوة صاحبة مصلحة في دفع قراره ناحيتها، وكل ذلك يجري في إطار نظام سياسي، سبق أن وصفه مساعد سابق لوزير الخارجية الأمريكي بقوله: «نحن دولة الضغوط»، ولا يختلف هنا الوصف عن التعبير الذي استخدمه هنري كيسنجر بقوله، إن القرار في واشنطن يصدر بطريقة أشبه بما كان يجري في حلبات الصراع في عهد الإمبراطورية الرومانية.

وإذا اتخذنا نموذجين فقط للتدليل على إمكان تحييد الضغوط على قرار الرئيس الأمريكي، سنلاحظ ما كان يتمتع به إيزنهاور من قوة ونفوذ شعبية مكنته من تحييد نفوذ القوى الضاغطة، وعلى العكس من ذلك كان ما حدث للرئيس بيل كلينتون من تهافت قدرته على اتخاذ قرارات في السياسة الخارجية في ولايته الثانية، نتيجة ما تعرض له من هجوم وتهديدات بالمحاسبة والمحاكمة نتيجة فضيحة مونيكا لوينسكي، والتي ثبت فيما بعد أن القوى اليهودية كانت وراء تدبيرها، لكسر إرادته، ومنعه من فرض حل أمريكي لعملية السلام.

وأحياناً تنعكس قدرة الرئيس في الداخل على اتخاذ قراراته بشأن السياسة الخارجية، على علاقات الدول الأخرى معه، خاصة إذا أدت المغالاة في الضغوط، إلى دفع الرئيس لإصدار قرار قد لا يكون مقتنعاً تماماً به، فيأتي القرار محاطاً بالغموض، وهو ما يتسبب في تراجع الثقة في صداقية الولايات المتحدة.

بينما الوضوح الكلي لأي قرار يعد شرطاً أساسياً لتسهيل التعامل مع الدول الأخرى، وإلا انتابتهم الشكوك في إمكان الاعتماد على الولايات المتحدة، وإذا ساد هذا الغموض الذي يمكن أن يكون مصحوباً بالتضارب في المواقف، فإن الولايات المتحدة ستجد نفسها في موقف يصعب عليها فيه إقناع حلفائها بالتمسك بالتزاماتها تجاههم، وهذا هو ما تحدثت عنه البروفسور كارين ميلو، أستاذة الشؤون السياسية والدولية بجامعة برنستون، في دراستها التي نشرت بمجلة الشؤون الخارجية.

وقالت فيها إن تناقص الثقة في أمريكا لدى حلفائها قد يدفعهم لأن يصبحوا أكثر اعتماداً على أنفسهم بعيداً عنها، كما قد يشجع خصوم الولايات المتحدة، لأن يكونوا أكثر تشدداً في مواقفهم تجاهها.

وكانت صداقية الولايات المتحدة قد أخذت تتضاءل في عهد أوباما منذ عام ٢٠١٣، ثم بدأت تهتز في نظر بعض الحلفاء، نتيجة تناقضات مواقف الرئيس ترامب، والمثل على ذلك، ما أعلنه عقب توليه الرئاسة عن تخليه عن «سياسة الصين الواحدة»، واتصاله برئيس فورموزا التي تعتبرها الصين جزءاً من دولتها الواحدة، وهو الأساس الذي قامت عليه العلاقة الأمريكية الصينية طوال الأربعين عاماً الماضية، وبعدها اضطر ترامب في عام ٢٠١٧ لإعلان تمسكه بالمبدأ الأساسي للسياسة الأمريكية تجاه الصين، من بعد لقائه بالرئيس الصيني.

لقد أثبتت التجارب الخاصة بسياسة الولايات المتحدة الأمريكية في علاقاتها بالدول الأخرى، أن الغموض والتناقضات لم تكن أبداً في صالحها لأن الحيرة في تفسير هذه السياسة وعدم فهمها، يضعفان من النظرة إلى أمريكا كقيادة عالمية يعتمد عليها.

الناطو العربي مغامرة أمريكية لتمكين المستبدين بالشرق الأوسط

ناشيونال إنترست؛ ٢٠١٨/١٠/٢

دوغ بانديو: إذا أردنا أن نفسر تعنت إدارة "دونالد ترامب" مع إيران، قد ننظر إلى ذلك من منظور إدراك أن الجمهورية الإسلامية هي دولة ذات اقتصاد منهار وفوضى سياسية، وتفتقر كذلك إلى جيش تقليدي فعال، لذا فمن الواضح أنها لا يمكنها أن تشكل تهديدا خطيرا لأمريكا.

وعلاوة على ذلك، فقد طغى الحديث عن نفوذ إيران بشكل دراماتيكي على موضوعات مثل ترسانة (إسرائيل) النووية السريو، والإنفاق السخي على الجيش السعودي، والحروب الوحشية لقادة الإمارات العربية المتحدة. وكانت الاستجابة الواضحة للتهديدات الإيرانية - التي تتضاءل مقارنة بعدائية الرياض الطائشة - هي التعاون الإقليمي بين جيران طهران من أجل مواجهتها معا.

ويريد الرئيس "ترامب"، الذي لا يحب منظمة حلف شمال الأطلسي (الناطو) التي أصبح الأوروبيون يعتمدون فيها بشكل محرج على أمريكا، يريد إنشاء حلف "ناطو" عربي جديد، أطلق عليه مؤقتا اسم "التحالف الاستراتيجي في الشرق الأوسط".

وسيكون العضو الأبرز في المنظمة هي المملكة العربية السعودية، وهي بلد أخرى انتقدها "ترامب"، حين كان مرشحا، لاستفادتها غير المشروطة من الولايات المتحدة.

واستغل وزير الخارجية "مايك بومبيو" آخر اجتماع للجمعية العامة للأمم المتحدة لاستضافة الأعضاء المحتملين بالمنظمة، في حين قام نائب مساعد وزيرة الخارجية لشؤون الخليج العربي، "تيم لندرنيج"، بعبور منطقة الخليج للترويج لهذه الفكرة، وإذا سارت الأمور على ما يرام، فسيتم عرضها في قمة تستضيفها الولايات المتحدة في يناير/كانون الثاني.

وعلى الأقل، خدم الناطو الأصلي غرضا مفيدا. وحطمت الحرب العالمية الثانية دول أوروبا الغربية، وبعدها حول الاتحاد السوفييتي دول وسط وشرق أوروبا إلى ولايات تابعة له. وكانت الهيمنة السوفيتية على أوراسيا، رغم أنها لم تكن كافية لتهديد استقلال أمريكا، قد مثلت للولايات المتحدة بيئة أمنية خطيرة لأعوام، إن لم يكن لعقود.

وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي، كان الأعضاء الأوروبيون في حلف "الناطو" قادرين على مواجهة روسيا أو أي خصم آخر مفترض، لكنهم استمروا في الاعتماد على العم سام، ورفضوا مناقشات أكثر إحراجا من واشنطن بأن يقدموا المزيد، فلقد كانوا يعرفون أن المسؤولين الأمريكيين سيدافعون عن القارة العجوز، بغض النظر عن أي شيء.

وحتى البلدان التي تزعم أنها مهددة بشكل مباشر من قبل روسيا، مثل بولندا ودول البلطيق، فإنها لا تنفق اليوم سوى نحو ٢٪ من الناتج المحلي الإجمالي على قواتها العسكرية حيث تتوقع أن تهب الولايات المتحدة في اللحظة الأخيرة لتنقذهم إذا حدث الأسوأ. وظهر أن حلف الناطو هو تحالف مبني في المقام الأول على التلقي بدلا من البذل.

وأثار الرئيس "ترامب" هذه النقطة مرارا وتكرارا، لكن مسؤوليه بذلوا قصارى جهدهم لتقويض جهوده. الكثير من العوائق وللأسف، فمن شأن حلف الناطو العربي المنتظر، أيا كان مسماه، أن يشهد العديد من العوائق أضعاف ما أظهره الناطو الأصلي.

أولا، وبحسب شروطها الخاصة، ستلتزم المنظمة المقترحة بحماية أعضائها. وأعلن متحدث باسم مجلس الأمن القومي أن الحلف "سيخدم كحصن ضد العدوان الإيراني والإرهاب والتطرف، وسيجلب الاستقرار إلى الشرق الأوسط".

ومع ذلك، فقد سهلت جميع دول الخليج تقريبا تمويل الإرهاب على مر السنين. وقدمت المملكة العربية السعودية معظم الإرهابيين الذين شاركوا في هجمات ١١ سبتمبر/أيلول، وأنفقت نحو ١٠٠ مليار دولار في العقود الأخيرة لدعم الفكر الوهابي غير المتسامح، الذي يعمل بمثابة وقود للإرهاب.

وشاركت الرياض وأبوظبي في زعزعة الاستقرار بنشاط في اليمن وليبيا وسوريا ولبنان، وخلافا لموقف واشنطن، تحافظ الكويت وعمان وقطر جميعها على علاقاتٍ مدنية مع طهران. وإذا أخذنا كل هذا في الاعتبار، فيبدو أن الإدارة ستورط الجميع في حرب ضد الجميع.

ثانياً، هناك القليل من الاتفاق على أي شيء بين الدول التي تتوقع منها واشنطن الانضمام إلى الحلف. وتريد المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة السيطرة على جيرانهما، وتصممان على فرض أجندتهما من خلال الحرب، إذا لزم الأمر. وشنوا غزواً مدمراً على اليمن، وضغطوا على جيرانهم لعزل الدوحة، بل وخططوا لغزو قطر، لكنهم منعهم من ذلك التدخل العسكري التركي والمعارضة الأمريكية.

وتعمل الكويت وعمان تقليدياً كوسطاء بين جيرانهم الأكبر، وتواجه الأردن تحديات اقتصادية وسياسية محلية خطيرة، وفي البحرين، تركز الملكية السنية على قمع الأغلبية الشيعية. وتخضع مصر للرياض وأبوظبي بسبب المليارات التي أنفقتها الدولتان في دعم ديكتاتورية "عبدالفتاح السيسي".

وأغضب الدور المستقل لدولة قطر السعودية والإمارات المتسلطة، خاصة وأنها سمحت بتغطية إعلامية لجرائمها، وكانت ملاذاً لخصومها السياسيين، حتى أن "ليندكينج" اعترف بأن النزاع داخل الخليج يشكل عبءاً طويلاً الأجل أمام فكرة التحالف الاستراتيجي.

كما لا يتفق أعضاء التحالف المفترضون على التهديد المفترض من قبل إيران، والذي تنوي إدارة "ترامب" أن تجعله أساس تركيز التحالف.

ويؤكد "ليندكينج" بأن طهران هي "التهديد الأول" الذي يجب مواجهته. ومع ذلك، على الرغم من رغبة الرياض وأبوظبي في العمل ضد إيران، فإن أولويتها هي الهيمنة الإقليمية، وليس الدفاع الوطني.

وتنضم البحرين إلى التحالف على خلفية غضبها لأن طهران دعمت الأغلبية الشيعية ضد عائلة "آل خليفة" الحاكمة، وليس لأن إيران تهدد بالهجوم عليها.

وكما ذكرنا سابقاً، فإن الكويت وعمان وقطر يتعاملون مع طهران بشيء من التوازن. وتشارك قطر في أكبر حقل للغاز الطبيعي في العالم مع إيران، ولا تخاف مصر إيران، لكنها تفعل ما ينبغي للحصول على الأموال الخليجية، فيما يبدو الأردن أكثر قلقاً بكثير حول مشاكله الداخلية أكثر من تهديد طهران.

دعوة للحرب

ولسوء الحظ، فإن تحالفاً من هذه الدول لن يقوم إلا إذا قامت الولايات المتحدة بترهيب الأعضاء الآخرين لقبول السيطرة السعودية، الأمر الذي يهدد بسحبهم إلى صراعات متعددة تقوم بها الرياض لخدمة مصالحها الخاصة.

لكن أكثر الأطراف عرضة للتلاعب هي واشنطن، التي يتوقع منها أن تدعم السعوديين بغض النظر عن أفعالهم، مثلما فعلت في التدمير الإجرامي لليمن.

وفي الواقع، يعني الاعتماد على العائلة المالكة السعودية دعوة مفتوحة للحرب على مستوى المنطقة. فمع عدم الكفاءة، وانتشار الفساد، ستستغل السعودية والإمارات التحالف لتحقيق أهدافهما، وليس أهداف أمريكا أو غيرها من الأعضاء الآخرين. وبوجود البحرين ومصر بالفعل في طابور المدنيين، سيحاول السعوديون والإماراتيون استخدام التحالف المدعوم من قبل الولايات المتحدة للضغط على جيرانهم الأكثر اعتدالاً في الخليج.

ثالثاً، لم يعد الخليج العربي حيويًا لأمريكا مثلما كان الحال خلال الحرب الباردة، حيث تضاعفت مصادر إمدادات الطاقة حول العالم، وبرزت أمريكا كأكثر منتج للطاقة في العالم.

وغالباً ما تسهم التدخلات الأمريكية في مفاجمة مشاكل المنطقة. وفي الواقع، فإن واشنطن هي أكثر قوة مزعزعة للاستقرار في الشرق الأوسط حيث فجرت الأوضاع في العراق وليبيا، وحاولت الإطاحة بالحكومة السورية، ودفع لتغيير النظام في إيران، ودعم التدخل العسكري المتهور للنظام السعودي في اليمن وأماكن أخرى.

ويهتم بعض الأمريكيين بـ(إسرائيل) أكثر من اهتمامهم بإمدادات الطاقة الأمريكية أو الاستقرار الإقليمي. ومع ذلك، فإن حكومة الليكود الراديكالية تتلاعب أيضا بالولايات المتحدة، حيث تعد (إسرائيل) قوة عظمى إقليمية مسلحة نوويا، قادرة على الدفاع عن نفسها من جميع الطامعين. ويتمثل التهديد الرئيسي الوجودي الذي تواجهه (إسرائيل)، مثل جيرانها، في الشؤون الداخلية حيث تسعى إلى تحجيم السكان العرب المتنامين في الوقت الذي تكتشف فيه أنه من المستحيل أن تكون دولة ديمقراطية ويهودية على حد سواء.

رابعا، فإن إيران ليست في وضع يسمح لها بالسيطرة على الشرق الأوسط. وتواجه إيران تحديات داخلية قاسية وتفترق النخبة الحاكمة في البلاد إلى الشرعية، خاصة بين الشباب الذين ينظرون إلى الغرب في حين تعاني من اقتصاد معزول وضعيف وجيش لم يتعاف بعد من آثار الثورة التي أطاحت بالشاه.

وفي حين بلغت النفقات العسكرية ل طهران نحو ١٦ مليار دولار العام الماضي، فقد أنفقت السعودية ٧٧ مليار دولار، والإمارات ٢٥ مليار دولار. لذا فالجمهورية الإسلامية ليست في وضع يسمح لها بشن هجوم صاروخي على جيرانها المباشرين، ناهيك عن دول بعيدة مثل مصر المسلحة جيدا.

السعودية الأكثر تهديدا

وتعد السعودية هي أكثر دول المنطقة إثارة للتهديد، حيث غزت جيرانها في اليمن، واستخدمت القوات العسكرية الوحشية ضد الأغلبية الشيعية في البحرين، ودعمت دكتاتورية "السياسي" القاتلة في مصر، وكذا الجهاديين المتطرفين في سوريا، وخطفت رئيس وزراء لبنان في سابقة خطيرة. وشاركت أبوظبي، التي تتمتع بجيش أكثر فعالية، في العديد من هذه التدخلات المدمرة، لذا فإن طهران تعد حملا وديعا إذا ما دخلت في مقارنة معها.

وتعد إمبراطورية إيران المفترضة في العراق ولبنان وسوريا واليمن محض خيال. وساعدت إدارة "بوش" من تمكين النظام الإسلامي من خلال الإطاحة بـ "صدام حسين"، لكن رغم ذلك، فإن بغداد ليست دمية. وتتمتع طهران بنفوذ في لبنان عبر حزب الله، ولكن هدفها لا يتجاوز على الأرجح امتلاك ورقة ردع ضد (إسرائيل). ولم تهيمن طهران على اليمن، لكنها تساعد المتمردين الحوثيين في الغالب على صد السعوديين والإماراتيين. وكانت هذه المبادرات الخاصة بالسياسة الخارجية الإيرانية دفاعية إلى حد كبير.

واعترف ولي العهد السعودي بأن "إيران ليست منافسة للسعودية. وأن جيشها ليس من بين الجيوش الـ ٥ الأوائل في العالم الإسلامي، وأن الاقتصاد السعودي أكبر من الاقتصاد الإيراني، لذا فإن إيران بعيدة كل البعد عن أن تكون مساوية للمملكة العربية السعودية". فلماذا تحتاج الرياض إذن إلى دعم الولايات المتحدة للدفاع عن نفسها؟ ولا يمكن لحلف "الناطو العربي" أن يزود حكومات المنطقة بأي قدر من الشرعية السياسية. ولا يمكن لمجموعة من الأنظمة الفاسدة السلطوية، التي يقودها الحكم الاستبدادي في المملكة العربية السعودية، بالإضافة إلى ديكتاتورية وحشية متفاخرة في مصر، أن تستهوي الشباب العربي الساخط.

وكان الشرق الأوسط مقبرة لتوقعات الولايات المتحدة، وحققت عقود من التدخل العسكري الأمريكي نتائج عكسية كارثية.

ودعمت واشنطن حرب الرياض وأبوظبي الوحشية في اليمن، ودعمت الديمقراطية الانتقائية التي همشت حقوق ملايين العرب في (إسرائيل)، الأمر الذي يشجع "الإرهاب العنيف" ضد الأمريكيين في الداخل والخارج.

إنه سجل كارثي لواشنطن. ومع ذلك، سيعزز التحالف الاستراتيجي الجديد استراتيجية واشنطن الفاشلة، ويجب على الولايات المتحدة أن تتراجع وتتخلى عن الشرق الأوسط. وبينما يتحول الشرق الأوسط إلى حمل ثقيل على أمريكا، فإن التحالف الجديد لا يبشر بأي نتائج إيجابية.

الناتو العربي سيغير المنطقة لكنه بعيد المنال

*جورج فريدمان

جيوپوليتيكاال فيوتشرز: ٢٠١٨/١٠/٢

أعلنت الولايات المتحدة، عن خطط لعقد قمة في يناير/كانون الثاني المقبل، لتدشين ما يطلق عليه "ناتو عربي"، أو رسمياً "تحالف الشرق الأوسط الاستراتيجي".

وعلى هامش اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة الأسبوع الماضي، عقد وزير الخارجية الأمريكي "مايك بومبيو"، محادثات أولية مع الدول الرئيسية ذات الصلة، وهي الأعضاء الستة بمجلس التعاون الخليجي، بالإضافة إلى مصر والأردن، للتباحث حول القمة.

فكرة "الناتو العربي"، سبق أن تم طرحها من قبل، ولكن تلك هي المرة الأولى، التي يخطط فيها الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب"، لترأس اجتماع يستهدف مناقشة تشكيل التحالف.

ولم تحظ القصة بتغطية إعلامية كبيرة الأسبوع الماضي، مع سيطرة قصص أخرى على اهتمامات الصحافة، ولكن في أوقات أخرى، كانت تلك القصة ستهيمن على الأخبار.

في الماضي، كانت فكرة "الناتو العربي"، مدفوعة بالرغبة في توحيد الدول العربية ضد الجهاديين. وأجلت الحقائق السياسية تشكيله، لكن هذه المرة فإن الفكرة مدفوعة بتوسع النفوذ الإيراني، الذي يشكل تهديدا وجوديا للدول العربية.

وبالفعل لدي إيران موقف مسيطر في العراق، وتأثير قوي في سوريا ولبنان، وتدعم الشيعة الذين يقاتلون في اليمن. ورغم أن اقتصادها يتعرض لضغوط شديدة، لاسيما مع إضافة العقوبات الأمريكية، فإن إيران ستصبح تهديدا مباشرا للأنظمة العربية، إذا استطاعت تعزيز (توطيد) موقفها.

ويأتي اهتمام إيران بالعالم العربي، في محاولة منها لضمان أمنها الخاص، وكأمر مهم، للسيطرة على الخليج والنفط العربي. إيران تعتبر تهديد بعيد، ولكن يجب التعامل مع التهديدات البعيدة في وقت مبكر، وليس في وقت لاحق، ومن هنا جاء اللقاء بين من سيكونون قادة "الناتو العربي" في المستقبل.

لكن عند تجميع قائمة المدعويين، فإن القمة اصطدمت بالعقبة الأولى، وهي أن كلا من السعودية والإمارات يعاديان بشدة قطر. فقطر قريبة من إيران سياسيا وجغرافيا، وهي مهبط للرياح الخليجية" بسبب توئدها لإيران، وذلك بالنسبة للسعودية والإمارات كانت "خيانة". وبالإضافة لذلك، كانت هناك قضايا أقل وضوحا، فجرت أزمة دبلوماسية خلال العام الماضي، عندما تشكلت مجموعة تقودها السعودية بفرض حصار ضد قطر، ويبدو أن موقف الولايات المتحدة يجادل أن إدراج قطر، التي تستضيف القواعد الأمريكية، من شأنه أن يحمي الدوحة ويبعدها عن إيران.

وهذه واحدة من فضائل "الناتو العربي"، أنه سوف يجمع الدول العربية مع بعضها البعض وجعلها تثبتت في مكانها بإحكام، تماما يحدث في حلف الناتو في أوروبا، وستبدو كمنصة دفاعية، تقدم الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي للحد من النفوذ الإيراني. وفي وقت لاحق، يمكن أن تأخذ على عاتقها دورا هجوميا، وتعكس اتجاه المكاسب الإيرانية في المنطقة. لكن هناك العديد من الأسئلة التي لا تزال بدون إجابة..

فهل سيتضمن التحالف، بنذا خاصا بالدفاع الجماعي، على غرار الفقرة الخامسة لمعاهدة حلف شمال الأطلسي، التي تنص على أن "على أن الهجوم على إحدى دول الحلف سوف يُعامل على أساس أنه هجوم على بقية الأعضاء جميعاً، وأن الحلفاء ملزمون بالرد عليه، وأن استخدام القوة العسكرية يُعد أحد الخيارات في هذه الحالة".

وهل ستقوم الولايات المتحدة بهذا الالتزام؟، وهل سيكون للتحالف هيكل قيادة مع قوات من كل بلد ملتزمة بخطط للحرب، كما يفعل حلف الناتو، كما يطرح بعض الأسئلة الاستراتيجية.

لو نجح التحالف فعليا، فإن العرب سيتحولون من كونهم شعبا منقسما ومعاديا إلى كيان موحد وقوي، وستكون هناك فرصة حقيقية جدا لإمكانية تهديد كلا من تركيا و(إسرائيل)، وبما أن كلا البلدين يملكان جيشان كبيران، فقد ينتهي الأمر، في أسوأ الحالات، بقوة عربية تحيط بقوة غير عربية (إسرائيل) وتركيا وإيران، وهذا من شأنه أن يتسبب في اندلاع معركة.

من المرجح أنني أطلع إلى مستقبل بعيد لمنظمة لم تخرج للوجود بعد، وما زالت تكافح بشأن ما يجب فعله مع قطر، ومن الصعب تخيل تحالف عربي قادر على التماسك كعلاق عسكري. لكن في علم الجغرافية السياسية، فإن الخيال هو أداة أكثر قوة من المنطق السليم، وبما أن التاريخ دائما يوقع المنطق السليم في حيرة، فإن احتمال بقاء هذا التحالف وتنامي قوته، ضئيل ولكنه ليس مستحيلا.

وإذا حدث ذلك، يمكن وقتها أن يغير المنطقة، ويهدد القوي الأخرى ويولد الصراع.

معالم للنهوض في زمن الإنكسار والسقوط

*د. فادي الحسيني

المركز الديمقراطي العربي: ٢٠١٨/١٠/٦

في اليوم الأول من دراساتي العليا في أحد المدن الأوروبية من تسعينيات القرن الماضي، ذهبت متوشحاً الكوفية الفلسطينية، وكانت مفاجأتي كبيرة حين شاهدت ردة فعل الطلاب وكأنهم رأوا مخلوق فضائي من كوكب آخر. إقترب الجميع وسألوا إن كنت فلسطينياً، ولم تنتهي أسألهم وإبراز إعجابهم بالفلسطينيين حتى مساء ذات اليوم حين دعوا أصدقائهم للتحدث مع الفلسطيني. بعد مرور ما يزيد عن خمسة عشر سنة، إنتابني ذات الشعور بالدهشة حين تقدم أحد عازفي الموسيقى في أحد شوارع مدينة أوروبية أخرى سائلاً إن كنت فلسطينياً بعد أن شاهد الكوفية الفلسطينية، وما أن عرف أنني فلسطينياً وإذا به يُظهر قدراً كبيراً من التقدير والاحترام لنضال الشعب الفلسطيني. تساءلت حينها: أهي الكوفية؟ ما هي تلك القوة التي تحافظ على نفسها، رغم ضخامة المتغيرات السياسية وعظم التطورات الميدانية لتبقي هذا القدر من التقدير في قلوب الناس حيال القضية والنضال الفلسطيني.

هو مصطلح قدمه جوزيف نيه عام ١٩٩٠ للسياسة الدولية بعنوان القوة الناعمة. وتقضي الفكرة التي تقوم عليها القوة الناعمة بأن تقوم الدول أو الفاعلين الدوليين بتحقيق أهدافهم ومصالحهم عبر إقناع الأطراف الأخرى وليس من خلال الضغط أو القوة العسكرية. ويحدث الإقناع من خلال إبهار الآخرين بتجارب ناجحة أو تحقيق إنجازات تقنع الأطراف الأخرى بأن هذه الجهة هي أجدر بمجاراتها واللاحاق بركبها.

العلامة الفارقة في نجاح هذه الاستراتيجية هي الدور المتصاعد للرأي العام، والذي يرتبط كثيراً بثورة المعلومات ومن بعده الشبكة العنكبوتية ووسائل التواصل الإجتماعي. قد يبدو هذا الحديث نظرياً بعض الشيء، ولكن عند مراجعة الأمثلة العديدة لاستخدام القوة الناعمة، يبدو حينها مدى جدوى وفاعلية هذه القوة. فعلى سبيل المثال، استخدمت الولايات المتحدة كثيراً نجاحاتها في السينما العالمية، وبروزها كأحد أهم الدول المصدرة للتكنولوجيا والنجاح العلمي والإقتصادي لتحدث هذا التأثير، أما فرنسا فسخرت تاريخها الحديث والثورة الفرنسية لإظهار أنها منبر للمساواة والحرية في العالم، وكذلك أظهرت أنها منبر للفن والرومانسية ببريق خاص لمدينة باريس سلطت الضوء عليه في كل مناسبة. اليابان لم تتأخر كثيراً، وأعلنت ما أطلقت عليه Cool Japan للترويج لسياستها الناعمة، بعد أن حققت نجاحاً ملحوظاً في علم التكنولوجيا والمركبات أبهرت دول العالم.

إقليمياً فالمثال الأبرز كانت تركيا قبيل أحداث ما أطلق عليه الربيع العربي، فقدمت نفسها تحت عنوان النموذج التركي، مستغلة النجاحات الاقتصادية والسياحة والدراما والمسلسلات. هذا النجاح أبهر الكثير من العرب حيث تصاعدت الأصوات المنادية بمحاكاة النموذج التركي. إيران نهجت ذات الطريق، واستخدمت سياستها الناعمة - رغم شكلها الخشن - في الترويج لفكرة محور المقاومة من أجل إستقطاب وإقناع الدول والفاعلين ليحذو حذوها.

عربياً، فقد وظفت دول كمصر وتونس والمغرب بعض الجوانب التاريخية أو السياحية لخدمة قوتها الناعمة، واستخدمت عمان حياديتها لتبرز نفسها كجزيرة هادئة ولتقدم أوراق اعتمادها كوسيط دولي في أي صراع يتعلق بالإقليم، أما قطر، فكانت قناة الجزيرة أولى أدوات قوتها الناعمة، وبدأت بالإضافة لدول مثل الإمارات في إختراق حصون عادة ما كانت حكراً على الدول الغربية مثل الرياضة وشراء الأندية والترويج لشركات الطيران ومؤسساتها النفطية.

ورغم عظم تأثير القوة الناعمة، إلا أنها لا يمكن أن تشكل سياسة قائمة بذاتها، ويبقى تأثيرها منقوص ما لم تتكامل مع جوانب أخرى كالإستقرار الإقتصادي والأمني، وإتساق السياسات الداخلية مع التحركات الخارجية. وهناك البعض ممن يخلط بين الدبلوماسية العامة والقوة الناعمة، فالأخيرة أشمل حيث تدور الدبلوماسية العامة في فلك القوة الناعمة.

فلسطينياً، فيبدو أن القاعدة أو الأساس لقوة ناعمة موجود، بدءاً بتاريخ فلسطين منذ قديم الأزل، ووصولاً للحدث الفلسطينية متمثلة بعظمة هذا الشعب التي تجسدت بعلماء وشعراء، ورواد في مجالات مختلفة. فقد سجل الفلسطينيون تميزاً بأسماء كإدوارد سعيد ومحمود درويش حيث تعدت شهرتهما الحدود التقليدية. التميز لم يتوقف عند هذين العلمين، فالتاريخ والحاضر الفلسطيني قدم الكثير من المتميزين كان آخرهم المدرسة حنان الحروب التي فازت بجائزة أفضل مدرس في العالم، والطالبة عفاف الشريف التي فازت بجائزة تحدي القراءة الأخير في دبي، والممثل الفلسطيني كامل الباشا، الذي حصل على جائزة أفضل ممثل في مهرجان البندقية الـ ٧٤، والملاكم الفلسطيني رعد رشيد عيد الذي فاز في بطولة العالم في الملاكمة لوزن ٩١ كلغ في مدينة فرانكفورت الألمانية. الأمثلة التي قدمتها فلسطين كثيرة في مجالات الفن والرياضة والقضاء

والطيران والعلوم والتكنولوجيا، كذلك إضافة للحضور المتميز للشخصيات الفلسطينية في إدارة المؤسسات والمنظمات الإقليمية والدولية.

أما إرث الثورة الفلسطينية، فبقي تأثيره راسخاً في عقول وقلوب الناس، ليس فقط في منطقتنا، بل في كافة أرجاء الأرض. ورغم مرور عقود على هذه الثورة وفترة الكفاح المسلح أو الإنتفاضة الأولى، والتي إرتبطت كثيراً في أذهان الغرب بشكل الكوفية، أو حنضلة أو المقلاع أو الحجر أو حتى صورة طفل يقف أمام دبابة، إلا أننا تأثيرها ما زال جارفاً ويشكل قاعدة إنطلاق لأي عمل ترويجي يهدف لاستغلال هذه القوة الكامنة لخدمة الأهداف الاستراتيجية والوطنية.

ولكن كما هو حال القضية الفلسطينية، فقاعدة القوة الناعمة الفلسطينية تعرضت لهزات عدة، كان أبرزها على الإطلاق الإنقسام الفلسطيني، الذي شوه بشكل واضح معالم وشكل النضال الفلسطيني وعدالة قضيته. إلا أن تفاؤنا الحذر حيال المصالحة الفلسطينية يدعونا للقول بأن الإنقسام إلى زوال، لأن العنصر الفلسطيني الأصيل سيلفظ هذا المرض من جسد الأمة، مهما طالت فترة التخبط والإضطراب. وإلى حين زوال الإنقسام عملياً على الأرض، يجب أن نسقطه إعلامياً ونفسياً، ويجب أن نحد من حالة التراشق الإعلامي وتقليل الحديث عنه حتى ولو شكلاً مام العالم، وذلك من أجل تجميل الصورة الوطنية الفلسطينية وتقليل تأثير أية شوائب قد تؤثر سلباً على القوة الناعمة.

الحديث عن دور وفرص القوة الناعمة في فلسطين يأتي مع تشتت العرب أكثر من أي وقت مضى، وفي ظل إنحسار خيار المقاومة من جهة وتعثر الخيار السلمي من جهة ثانية، حيث بدأ من المهم البحث في سبيل جديد يسمح بالإستمرار في الملحمة النضالية نحو التحرر.

قد يكون الصمود والتواجد على الأرض أهم مكون لأي خيار وطني، وهنا تبدو أهمية تعزيز فكرة المواطنة والهوية، والإعتزاز بالإرث والتاريخ، فيجب أن تكون أولوية لأنها تصب في مصلحة الوطن أولاً، وأي خيار وطني تتخذه القيادة في سبيل التحرر.

إن فكرة تعزيز المواطنة والهوية الوطنية عنصر أصيلتعمد عليه معظم الدول التي تتخذ من القوة الناعمة طريقاً لتحقيق أهدافها الوطنية.

بعض مكونات القوة الناعمة (كالدبلوماسية العامة) لها أثر بين متوسط إلى قصير الأمد، إلا أن التأثير الحقيقي للقوة الناعمة هو بعيد الأجل، وهو أمر قد لا يُعجب البعض ممن يستعجلون النتائج، ولكن قصصاً لأوطان وحكايات الحرية لها أثر يختلف عما ينشدها الفؤاد، فكم عقد جثمت بريطانيا في الهند، وكم سنة إستنزف الإستعمار الفرنسي بلد المليون شهيد؟ ولكي تؤتي القوة الناعمة أكلها يجب أولاً ألا ترتبط إرتباطاً عضوياً بحكومة أو بسياسة بعينها في الوقت الذي يجب أن تصب بعض السياسات الحكومية فيخدمة القوة الناعمة. فمثلاً، حين إستثمرت الولايات المتحدة الأمريكية أو بريطانيا في مراكز ثقافية خارج حدودها، كانت بالفعل تخدم للترويج لسياساتها من خلال العمق الثقافي، وحين تمول حكومة زيارة كاتب أو ممثل أو علم من أعلام هذا البلد في زيارة خارجية تقوم بالفعل بتقديم نموذج مبهر من المفترض أن يؤدي لذات الغرض. الأمثلة كثر في كيفية التكامل بين العمل الرسمي والعمل الشعبي للذين يصبان في نهاية المطاف لحشد التأييد والدعم للقضية الفلسطينية، والتاريخ والثقافة والحضارة على هذه الأرض.

وخير مثال على نجاعة القوة الناعمة هو ما حققته حركة المقاطعة لإسرائيل BDS، فنأت الحركة أولاً عن الإرتباط بأي سلطة أو حكومة، وثانياً إبتعدت عن الغلو التقليدي في هجومها على قوة الإحتلال وهو الأمر الذي أكسبها شعبية يوماً بعد يوم في الشارع الغربي. الضرر الإقتصادي والجفاء الدولي في مقابل توسيع دائرة القبول وتقبل الرواية الفلسطينية سيدفع إسرائيل حتماً للوقوف عند الثمن الباهظ الذي ستدفعه مقابل إستمرار إحتلالها لأرض بالقوة.

نعم، إننا نستعجل الوصول إلى شمس الحرية، يتداعى أكثرنا ألماً بفعل آثام الإحتلال اليومية، أما العجلة والألم فهم من الطبيعة البشرية، ولكن أليس تاريخ الأمم خليط تتماهى فيه حقب بعضها مشرق وأخرى حالكة دامية... أوليس كل إحتلال إلا إلى زوال... أليست هذه هي حتمية القدر وحكاية كل أمة نشدت الإستقلال. يبقى البقاء والرباط والعمل المخلص الدؤوب سر معالم الصعود، حتى وإن تخلل المسير حزن وبعض من سقوط، فما قيمة النهوض دون السقوط.

* المركز الديمقراطي العربي مؤسسة مستقلة تعمل في اطار البحث العلمي والتحليلي في القضايا الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ويهدف بشكل اساسي الى دراسة القضايا العربية وانماط التفاعل بين الدول العربية حكومات وشعوبا ومنظمات غير حكومية.

إشكالية الإجتاث في السياسات العربية

*د. شفيق ناظم الغبرا

القدس العربي : ٦/١٠/٢٠١٨

تستنزفنا النزاعات العربية العربية بأكثر من أي شيء آخر. تلك الصراعات مسؤولة عن الكثير من الشقاء والبؤس الذي يعم العالم العربي. ربما المراد لنا كعرب، أن نتلهى بالصراع فيما بيننا و مع جيراننا. فتلك هي الطريقة الوحيدة لإدامة إتمادنا على سياسات الرئيس ترامب الاخيرة والتي تهدف لإختراق العالم العربي وإستنزافه طولا وعرضا، من خلال تحالفه الاستراتيجي مع إسرائيل. إن الهيمنة والسيطرة الدولية بكل تعبيراتها إستهدفت، على مر العقود، الإقليم العربي بسبب ثرواته وتنوع شعوبه وموقعه الجغرافي والنفطي ووجوده منذ عشرينيات القرن العشرين في مجال الحركة الصهيونية وإستيطانها الاستعماري.

يمكن القول بأن الدول التي تخضع للهيمنة الدولية الشرسة، كدولنا العربية، والتي تشعر، بنفس الوقت، بالضعف العلمي والتجديدي والسياسي في إقليم محاط بالدول القوية تنكفي في نزاعاتها نحو الداخل. فعوضا عن أن تنفجر هذه الدول والمجتمعات نحو الخارج تبدأ بالإنفجار نحو الداخل. وهذه هي احد أهداف الهيمنة الدولية تجاه الخليج وتجاه الشرق الاوسط. الشعور بالضعف الذاتي كما والتفكك وعمق التحكم الخارجي تحول لعنصر رئيسي في عدائية العرب تجاه بعضهم البعض. الفشل مع الخارج تحول لفشل في الداخل، والفشل في الداخل تحول لفشل في الخارج ولآلية للتدمير الذاتي.

وان بدأنا بحصار قطر الذي إستنزف الخليج منذ حزيران/يونيو ٢٠١٧ سنجد انه تعبير عن الضعف والالتفات نحو الداخل، فعدم المقدرة على مواجهة سياسات الولايات المتحدة السلبية منذ مجيء ترامب، وعدم القدرة على مواجهة امكان رفع قضايا بحق أكثر من دولة عربية بسبب احداث الحادي عشر من سبتمبر، إنتهى بانفجار داخلي ضمن اسرة مجلس التعاون: حصار قطر ومقاطعتها عوضا عن مواجهة قضايا رئيسية في الساحة الأمريكية. لهذا فأن يقال مثلا ان «محطة الجزيرة» سبب لعدم إستقرار دول عربية وخليجية او أن السماح لبعض ممثلي تيار الإخوان المسلمين للعيش في قطر، بعد ان عاشوا لعقود في الكثير من دول الخليج، هو سبب من اسباب عدم الاستقرار في المنطقة يساوي القول بأن إنتاج التفاح في المكسيك سبب من أسباب إهتزاز الاقتصاد الأمريكي.

وإن افترضنا ان وجود محطة كالجزيرة ووجود ممثلين للإخوان المسلمين في دولة جارة مدعاة لعدم الاستقرار، يصبح من الواضح ان رسائل النقد والاحتجاج العادية في دول العالم تتحول لرسائل تغير جذري في الواقع العربي. المشكلة ليست في محطة او في تيار، بل المشكلة الحقيقية هي في الواقع المأزوم. ان الدول التي لا تتحمل النقد، كما يخبرنا التاريخ، تنتهي بانتشار النقد على كل لسان، بل يتحول النقد لوسيلة التغير وذلك عندما يصل للقطاع الأكبر من الناس والسكان. أصبح من المستحيل حجب الحقيقة.

ولو عرجنا على حرب اليمن، سنجد نفس الظاهرة، وفق احد التحليلات فإن سبب حرب اليمن هو وجود الحوثيين وصواريخهم التي شكلت خطرا على المملكة العربية السعودية، وبالطبع سيطرة الحوثيين على اليمن سببت الحرب. لكن الصواريخ متوفرة في كل مكان وسيطرة الحوثيين كان بالامكان التعامل معها بوسائل اقل عنفا ودون شن الحرب. فصواريخ إيران موجودة الآن في العراق وفي جنوب لبنان وفي سوريا. وهل يعني هذا اللجوء للحرب الشاملة كخيار اول؟ لقد وقعت الحرب في اليمن منذ سنوات ثلاث، لكن لأن لا يوجد اثبات ان صواريخ الحوثيين كانت ستتجه للمملكة إن لم تقع الحرب. الحرب جعلت كل الاوضاع اشد سوءا، وعرضت السعودية للكثير من المخاطر وحولت اليمن لمشكلة دائمة للخليج وللمملكة.. إن قيام الحرب بسبب خوف مبالغ به أو بسبب توقع بانتصار سريع كثيرا ما جعل القادة يستسهلون الحرب باعتبارها الطريق الاقصر لتحقيق الاهداف، لكن ذلك، كما تؤكد لنا معظم الحروب، نتاج ضعف في تقدير الموقف.

ولو عدنا قليلا للوراء، لننظر في هجوم صدام (النظام العراقي عام ١٩٩٠) لإحتلال الكويت، فهل نتيج ذلك الغزو عن قوة أم عن ضعف؟ وفق أحد التحليلات غزو ١٩٩٠ للكويت نتاج فشل الرئيس السابق العراقي في التعامل مع الخارج عبر الحرب الإيرانية التي إستمرت لمدة ثماني سنوات. ذلك الفشل الواضح على الصعيد العسكري والمالي انتهى بقيام جيشه باحتلال دولة الكويت. الفشل في الخارج مدعاة للانقراض على الداخل والمحيط. تماما كما ان فشل الرئيس ترامب في سنواته الاولى، وفشل الولايات المتحدة في سلسلة حروب سابقة مدعاة للانقراض على الخليج وعلى كل دولة تستطيع الولايات المتحدة ابتزازها.

ولو نظرنا من هذه الزاوية إلى التدخل السوري الموسع في الحرب الأهلية اللبنانية والذي أنتج سيطرة سورية مضخمة على كل لبنان سنجد انه أيضا نتاج ضعف في تقدير الموقف وضعف داخلي في التعامل مع الشعب السوري. فقد امتلكت سوريا الكثير في لبنان قبل غزوها له، وكان لها ممثلون وحلفاء، ولم تكن سوريا مضطرة لإحتلال لبنان ولا لإغتيال قادته وممثليه. بل أدى احتلالها للبنان ونزعة السيطرة التي لا تعرف الحدود في صفوف قيادتها لمخاسر كبرى ساهمت بالانفجار الداخلي في ٢٠١١.

و يتضح، بنفس الوقت، مدى الضعف في سياسات الدول العربية عند قيامها باجتثاث التيارات السياسية التي تختلف معها في الداخل. فإجتثاث الاخوان المسلمين وكل تيار نقدي في مصر منذ عام ٢٠١٣ ثم في دول عربية عدة تعبير عن ضعف الادارة وركاكة القدرة على التعامل مع الرأي الآخر. من لا يذكر اجتثاث البعثيين لكل الاطراف بمن فيهم القوميون والناصريون والشيوعيون والاسلاميون الشيعة والسنة والكردي في زمن الرئيس السابق صدام حسين قبل ٢٠٠٣ في العراق، ومن لا يذكر سياسات إجتثاث البعث من قبل النظام الجديد في بغداد منذ ٢٠٠٣. ولو عدنا لبديات النظام العربي في خمسينات وستينات القرن العشرين، كم من دولة كسورية وغيرها دمرت بناها ووحدتها الذاتية واستقرارها من جراء إجتثاث الرأي الآخر واجتثاث القوميون والناصرين لبعضهم البعض، او قيام الناصريين في مصر باجتثاث الاسلاميين والشيوعيين لتنتهي ذات الدول العربية بهزيمة مدوية في حرب ١٩٦٧.

لم يتعلم العرب الدرس بأن صراع العربي مع العربي، ضمن الدول العربية ام على حدودها وضمن أراضيها، مدعاة للضمور والضعف والتفكك. متى كان حصار العربي للعربي او مقاطعة العربي للعربي، او هجوم الطائرات والقنابل الأمريكية الصنع و قتل المعارضين واغتيالهم وخطفهم هو المدخل للتقدم؟. اليس هذا انعكاسا لقتل الحضارة وتجفيف منابع الابداع والاستقلال وفي النهاية تمهيد لثورات جديدة وعنف جديد وانتفاضات بل وهزائم امام الخارج؟

وعندما نقرأ رواية محمد حسن علوان (موت صغير) المبدعة عن قصة محي الدين بن العربي العالم الصوفي الكبير ومحنته في القرن الثالث عشر ميلادية نكتشف الكثير عن أحوال العرب في تلك الازمان. يتحالف الحاكم السلطان مع الافرنجة فيسلمهم القدس ثم يتحرك لازاحة ابناء عمومته في دمشق، ويتحالف أحد الخلفاء مع الصليبيين ضد حاكم مسلم آخر ينازعه على الخلافة والمكانة. وبسبب هذه التحالفات يزداد الخليفة ضعفا وخنوعا للخارج بل يزداد الوضع تفككا للحد الذي يهرب كل جنوده من الجيش. ينتهي الحاكم وحيدا ومكسورا، والخطر تنتهي البلاد تحت حكم الخارج وسيطرة اعداؤها. تحالفات الامس كتحالفات اليوم: لا منطق لها ولا قيمة، وعداوات لا بداية لها ولا مبرر، حروب لا يعرف أحد لماذا وقعت، ونهايات مأساوية لمن إجتث وتجبر.

في السياسة معارك رئيسية وأخرى ثانوية، مصالح مشروعة وأخرى ليست مشروعة. كم تقضى الدول العربية وقتا وجهدا في معارك ثانوية معتقدة انها معارك المصير، وكم يتصرف العرب تجاه بعضهم البعض بطرق تفتقد للمشروعية وحس المنطق. كم من معركة مصير تم التعامل معها باستخفاف كقضية فلسطين، وكم من قضية حقوق وتعبير وعدالة تم التعامل معها من خلال التصفية والإجتثاث. لا مستقبل للعالم العربي طالما لم يصوب طاقاته نحو الأساس الذي يصنع الأمم والحضارات.

* استاذ العلوم السياسية في جامعة الكويت

حروب الاتكالية المتبادلة

*ستيفن روتش

بروجيكت سنديكيت: ٢٠١٨/١٠/٦

في العلاقات الشخصية، لا تنتهي حالة الاتكالية المتبادلة إلى خير أبداً. وبالحكم من خلال الحرب التجارية المتصاعدة بين الولايات المتحدة والصين، يتبين لنا أن الأمر نفسه ينطبق على العلاقات الاقتصادية. رغم أنني نشرت كتاباً في عام ٢٠١٤ حول العلاقات الاقتصادية القائمة على الاتكالية المتبادلة بين الولايات المتحدة والصين، فأنا أول من يقر بأنه من قبيل المبالغة أن نعمم نظريات علم النفس البشري لتقييم سلوك الاقتصادات الوطنية. لكن أوجه التشابه مذهلة، والتشخيص أكثر إقناعاً، حيث يغوص أكبر اقتصاديين في العالم في مستنقع بالغ الخطورة.

في أبسط مصطلحاتها، تحدث الاتكالية المتبادلة عند أحد طرفي النقيض في ديناميكيات العلاقات، عندما يستخلص شريكان من بعضهما بعضاً أكثر مما يستخلص كل منهما من قوته الداخلية. وهذه ليست حالة مستقرة. إذ تتعمق حالة الاتكالية المتبادلة عندما تميل ردة فعل الشريك إلى النمو في الأهمية وتتضاءل الثقة في الذات بشكل مضطرب نتيجة لهذا.

وتصبح العلاقة تفاعلية ومشحونة للغاية، مع تصاعد التوترات. وعلى نحو ثابت لا يتغير، يتجاوز أحد الشريكين حداً ما، ويسعى إلى مصدر رزق جديد. وهذا من شأنه أن يجعل الشريك الآخر يشعر بالمهانة، ويغرق في حالة من الإنكار واللوم، وفي نهاية المطاف تنشأ لديه رغبة ملحة في الانتقام برد عنيف.

كانت الحجة لصالح الاتكالية المتبادلة بين الولايات المتحدة والصين مقنعة لسنوات عديدة. فعلى شفا الانهيار في أواخر سبعينيات القرن العشرين، في أعقاب التشنجات التراكمية لقفزة ماو العظيمة إلى الأمام وثورته الثقافية، سرعان ما توجهت الصين إلى الولايات المتحدة طلباً للدعم الخارجي لستراتيجية "الإصلاح والانفتاح" التي أقرها دنغ شياو بينغ.

من ناحية أخرى، كانت الولايات المتحدة، في قبضة الركود التضخمي في أواخر السبعينيات، حريصة على البحث عن حلول جديدة للنمو، وكانت الواردات الصينية المنخفضة التكلفة بمثابة الترياق للمستهلكين الأمريكيين من محدودي الدخل.

كما بدأت الولايات المتحدة تقترض بحرية من الخزان الضخم من المدخرات الصينية الفائضة، وهو حل مناسب للدولة صاحبة أكبر عجز في الادخار في العالم. ثم ازدهرت هذه الاتكالية المتبادلة، التي ولدت من علاقة بريئة، لتتحول إلى زواج سعيد مريح في الظاهر.

من المؤسف أنها لم تكن علاقة حب. فقد ساعد الانحياز العميق والاستياء - ما أطلق عليه وصف قرن المذلة والهوان في الصين في أعقاب حروب الأفيون في القرن التاسع عشر وعجز أمريكا عن الخروج من جلودها لتقييم التهديد الإيديولوجي الذي تفرضه دولة اشتراكية مثل الصين - في إدامة حالة انعدام الثقة التي اختمرت لفترة طويلة والتي مهدت الساحة للصراع الحالي. وكما قد تتنبأ الباثولوجيا البشرية لحالة الاتكالية المتبادلة، فقد حدث انحراف عن الطريق في نهاية المطاف.

كانت الصين أول طرف يتبنى التغيير - فالتزمت بإعادة التوازن الاقتصادي عن طريق تحويل نموذج النمو من الطلب الخارجي إلى الطلب الداخلي. ومن الصادرات والاستثمار إلى الاستهلاك الخاص. وكان تقدم الصين مختلطاً، ولكن لم يعد هناك أي شك في الفصل الختامي، الذي جرى التأكيد عليه بالتحول من فائض الادخار إلى امتصاص المدخرات. فبعد أن بلغ معدل الادخار المحلي الإجمالي ذروته بنحو ٥٢,٣٪ في عام ٢٠٠٨، هبط بنحو سبع نقاط مئوية تقريباً وقد يواصل الانحدار في السنوات المقبلة مع تعزيز الصين لشبكة الأمان الاجتماعي التي ظلت غير محكمة لفترة طويلة، وتشجيع الأسر الصينية على الحد من الادخار التحوطي المدفوع بالخوف.

من ناحية أخرى، يعمل انفجار التجارة الإلكترونية في اقتصاد متحول رقمياً على نحو متزايد (أي بدون نقد) على توفير منصة قوية للمستهلكين الصينيين المنتمين إلى طبقة متوسطة ناشئة. ويشكل التحول من الإبداع المستورد إلى الإبداع الأصلي أهمية مركزية لاستراتيجية الصين الطويلة الأجل، لتجنب "فخ الدخل المتوسط" واكتساب مكانة القوة العظمى بحلول عام ٢٠٥٠، بما يتفق مع طموحات الرئيس شي جين بينج المئوية في "العصر الجديد".

وبما يتماشى مع الباثولوجيا البشرية لحالة الاتكالية المتبادلة، أصبحت تحولات الصين مصدراً لعدد متزايد من عدم الارتياح للولايات المتحدة، التي من غير الممكن أن تشعر بالسعادة إزاء محور الادخار في الصين. ومع تفاقم نقص المدخرات في أمريكا سواء الآن في أعقاب التخفيضات الضريبية الرديئة التوقيت في العام المنصرم، فسوف تصبح الولايات المتحدة أكثر اعتماداً على دول الفائض الادخاري مثل الصين لملء الفراغ. بيد أن تحرك الصين نحو امتصاص المدخرات يعمل على تضيق هذا الخيار.

علاوة على ذلك، ورغم أن ديناميكية النمو الوليدة التي يقودها المستهلك في الصين كانت مبهرة وفقاً لأغلب المعايير، فإن محدودية القدرة على الوصول إلى السوق قيدت الشركات الأمريكية ومنعتها من الاستحواذ على ما ترى أنها حصة سوقية عادلة في منجم ثراء محتمل. وبالطبع، هناك جدال هائل يدور حول التحول في الإبداع، والذي ربما يكون كامناً في قلب حرب التعريفات الحالية.

أياً كان المصدر فإن مرحلة الصراع في الاتكالية المتبادلة أصبحت اليوم حاضرة. فالصين تتغير، أو على الأقل تحاول أن تتغير، في حين لا تحاول أمريكا. وتظل الولايات المتحدة عاقلة في عقلية متخلفة قوامها عجز الادخار فضلاً عن عجز تجاري هائل متعدد الأطراف والحاجة إلى السحب بحرية من فائض المدخرات العالمي لدعم النمو الاقتصادي. ومن منظور الاتكالية المتبادلة، تشعر الولايات المتحدة الآن بأنها موضع ازدراء من قبل شريكها التي كانت ممثلة ذات يوم، وكما كان متوقعا، بدأت الآن توزع الهجمات في الاستجابة لهذه الحال.

وهذا يقودنا إلى السؤال الملح: هل ينتهي الصراع التجاري بين الولايات المتحدة والصين إلى حل سلمي أو طلاق مؤلم؟ الواقع أن الدروس من السلوك البشري ربما تحمل الإجابة. فبدلاً من الرد على اللوم، والازدراء، وانعدام الثقة، يتعين على كل من الدولتين أن تركز على إعادة بناء قوتها الاقتصادية من الداخل. وسوف يتطلب هذا تقديم التنازلات من الجانبين، ليس فقط على جبهة التجارة، بل وأيضاً على جبهة الاستراتيجيات الاقتصادية الأساسية التي تتبناها كل من الدولتين.

الواقع أن معضلة الإبداع هي القضية الأكثر إثارة للجدال حتى الآن. وتضعها مرحلة الصراع في الاتكالية المتبادلة في إطار معركة مجموع مكاسبها صفر: إذ تصور إدارة ترامب الادعاءات الأمريكية بسرقة الملكية الفكرية من قبل الصين على أنها لا تقل عن تهديد وجودي لمستقبل أمريكا الاقتصادي. ومع ذلك فإن هذه المخاوف مضخمة إذا نظرنا إليها بوصفها عرضاً كلاسيكياً للاتكالية المتبادلة.

الواقع أن الإبداع هو شريان الحياة للازدهار المستدام في أي بلد. ولكن لا ينبغي لنا أن نصوره على أنه معركة محصولتها صفر. فالصين تحتاج إلى التحول من الإبداع المستورد إلى الإبداع الأصلي لتجنب فخ الدخل المتوسط، وهو حجر عثرة أساسي يعرقل أغلب الاقتصادات النامية. ويتعين على الولايات المتحدة أن تعمل على إعادة التركيز على الإبداع من أجل التغلب على تباطؤ مقلق آخر للإنتاجية والذي قد يؤدي إلى ركود مؤلم.

ربما يكون هذا هو القول الفصل في الصراعات التجارية التي تتسم بالاتكالية المتبادلة. فكل من الولايات المتحدة والصين تحتاج إلى اقتصاد يقوده الإبداع والابتكار لتحقيق أغراضهما، وإذا استخدمنا مصطلحات الاتكالية المتبادلة، فبوسعنا أن نقول لتحقيق نموها الشخصي. الواقع أن تحويل صراع محصولتها صفر من الاتكالية المتبادلة إلى علاقة ذات محصلة إيجابية من الاعتماد المتبادل المفيد للطرفين هو السبيل الوحيد لإنهاء هذه الحرب الاقتصادية قبل أن تتحول إلى شيء أسوأ كثيراً.

*عضو هيئة التدريس بجامعة ييل ورئيس سابق لمورغان ستانلي في آسيا

إبان معركة رئاسة العراق

عن ازدواجية خطاب الحزب الديمقراطي في بغداد وكردستان

*شيرزاد اليزيدي

خلال تغطية قنوات التلفزة التابعة للحزب الديمقراطي الكردستاني المؤتمر الصحافي لمرشح الحزب لرئاسة جمهورية العراق، نقلت على الهواء مباشرة في الوقت عينه خطابات لقادة الصف الأول في الحزب خلال تجمعات انتخابية في كردستان. ولعل ما يلفت النظر في شكل فاقع حجم الاختلاف والازدواجية بين لسان حال الحزب في بغداد ولسان حاله في كردستان.

فمن كان مرشح الحزب لرئاسة الجمهورية فؤاد حسين يجهد في بغداد لتسويق نفسه والالتفاف على أسئلة محرجة له ولحزبه حول الاستفتاء وحول توصيف الحزب للدولة العراقية بالمحتلة الغاشمة، بينما في المقلب الآخر ثمة تكرر لتلك الشعارات ذاتها التي كان يطلقها الحزب إبان حملات التحضير للاستفتاء العام الماضي، حيث التجيش القومي العاطفي من دون حسابات سياسية عقلانية.

والحال أن الشاشة وياً للمفارقة تعرض وفي اللحظة ذاتها موقفين متناقضين لحزب يظهر بوجهين ولسانين يناقض كل منهما الآخر، ويكشف انعدام المبدأ والخفة واستغناء الناس والقوى السياسية إن في كردستان أو في العراق. فالحزب الذي استتمت للظفر بمنصب رئيس الجمهورية في سياق دعاواه الانتخابية الكردستانية، يواصل اجتراح خطاب الاستفتاء الفاشل والمولود ميتاً، في محاولة للدفاع عن نفسه نتيجة الكوارث التي جرّها على الكرد ليس في العراق فحسب، بل في عموم المنطقة، بفعل ذاك الاستفتاء المسلوق سلقاً وفق مزاج شخصي عصابي وبقرار أحادي حزبي غير محسوب وغير مكترث للتداعيات والنتائج، وكأن كردستان تقع في المريخ وليست محكومة بجملة عوامل ذاتية وموضوعية وبظروف داخلية وإقليمية ودولية غير مواتية البتة لإجراء الاستفتاء. وهذا ما خلف نكبات وعواقب وخيمة على القضية الكردية في المنطقة ككل.

أما في بغداد وبين الأوساط العراقية فيعتمد الحزب خطاباً مغايراً ومتنصلاً من الاستفتاء، كما ورد مثلاً لا حصراً على لسان فؤاد حسين حين تهرب من الإجابة عن سؤال يطاول توصيف حزبه لمدينة خانقين التي يتحدر منها بأنها محتلة، ما يكشف أننا حيال خطاب مزدوج ومغرق في الانتهازية بلا حدود، غايته القصوى مراكمة المكاسب والمنافع الحزبية ولو على حساب وحدة الصف الكردي وعلى حساب التوافق الاستراتيجي مع الاتحاد الوطني الكردستاني الناظم لوحدة إقليم كردستان، وصولاً إلى محاولة بناء مشيخة قبلية في كردستان عبر الاستحواذ على مختلف المناصب والمفاصل الرئيسية إن فيها أو تلك الخاصة بالكرد في بغداد. لكن حسابي الحقل والبيدر غالباً ما يتعارضان، وهو أيضاً ما كانت عليه الحال هنا.

* كاتب كردي سوري

ليست كل ديمقراطية ليبرالية ... ولا جميع الديمقراطيين ليبراليون

*وحيد عبدالمجيد

صحيفة (الاتحاد) الإماراتية : ٢٠١٨/١٠/٧

الخلط بين الليبرالية والديموقراطية من الأخطاء الشائعة في العالم، فما بالنسبة للعالم العربي الذي يقل وجودهما في بلدانه، بل يندر. كثيرة أسباب هذا الخلط الذي يعود، قبل كل شيء، إلى أن بعض الأفكار والقيم الليبرالية ضرورية لترسيخ الديمقراطية، مثل الحرية السياسية، والتعددية، وقبول الآخر، والتسامح، والاختيار الحر. وهذا هو ما اصطلح على تسميته ثقافة الديمقراطية. ولكننا نجد في الليبرالية أفكاراً وقيماً مهمة للرأسمالية أيضاً (مثل الحرية الاقتصادية)، وكذلك العلمانية (مثل حرية الاعتقاد، والحريات الثقافية عموماً). ولا يعني ذلك أن الليبرالية هي الديمقراطية، أو أنها هي العلمانية، أو أنها والعلمانية سواء.

الليبرالية أفكار وفلسفات وقيم ومبادئ، بينما الديمقراطية إجراءات وترتيبات ومؤسسات وتفاعلات. الليبرالية أقدم تاريخياً من الديمقراطية. بدأت إرهابات الليبرالية في القرن الخامس عشر خلال عصر النهضة الأوروبية، ثم توسع نطاقها في عصر التنوير في القرن الثامن عشر. عمر الديمقراطية أقصر، إذ يصعب أن نجد لها أساساً قوياً قبل بداية القرن التاسع عشر، حين بدأ تطورها في ارتباط وثيق بحصول البرلمانات القليلة التي كانت موجودة في بعض البلدان على صلاحيات رقابية وتشريعية.

تختلف الليبرالية والديموقراطية، إذن، في مسارهما التاريخي، كما في طبيعتهما. الليبرالية أسبق من الديمقراطية. والليبرالية تتعلق بالأفكار والقيم، بينما تتجلى الديمقراطية في إجراءات ومؤسسات.

الليبرالية، بشيء من الاختزال، منهج أخذ البشر إلى مساحات أرحب بكثير من تلك التي بقوا فيها على مر تاريخهم. وما زال كثير منهم محبوسين فيها يبحثون عن خلاص في عقائد مطلقة دينية أو قومية، أو في انتماءات أولية، أو في أشخاص يعتبرونهم أبطالاً. إنها ذلك المنهج الذي ينطلق من إيمان بقدرة الإنسان على تحسين شروط حياته عندما يمتلك حريته، ويتحرر عقله من الكوابح التي تعطل التفكير والإبداع والابتكار.

والديموقراطية، في المقابل، وبشيء من الاختزال أيضاً، نظام سياسي أخذ البشر الذين يعرفونه إلى مساحات أوسع مما ظلوا فيها عبر التاريخ، وأتاح لهم اختيار ممثليهم بدءاً من المكان الذي يعيشون فيه (المحليات أو البلديات)، ووصولاً إلى رئاسة الدولة، من خلال عملية تنافسية تتبارى فيها أحزاب ومنظمات وأفراد وفق محددات إجرائية يضعها الدستور والقانون في كل بلد، وضمن قواعد تحدد العلاقة بين مؤسسات النظام السياسي.

فهل يعني ذلك أنك يمكن أن تكون ديموقراطياً، من دون أن تصبح ليبرالياً؟ والجواب نعم، هذا ممكن. حدث كثيراً، ويحدث.

في العالم ديموقراطيون كثيرون ليسوا ليبراليين، بل اشتراكيون، ويساريون ذوو اتجاهات مختلفة، وبراغماتيون، ومحافظةون Conservatives. وما أكثرها الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية التي نشأت منذ أن انقسم اليساريون في ألمانيا في أواخر القرن التاسع عشر إلى حزبين أحدهما شيوعي خالص الديمقراطية،

والثاني اشتراكي وجد في النظام الديموقراطي طريقاً أفضل لتحقيق العدالة الاجتماعية عبر الانتخابات. وأصبحت الديموقراطية ضمن الثوابت الفكرية للاشتراكيين في ألمانيا، وفي عدد كبير من البلدان التي نشأت فيها أحزاب يسارية ولكنها ليست ماركسية. وظل الاشتراكيون الديموقراطيون هم العدد الأكبر في أوساط اليساريين الذين التزموا بالديموقراطية، بل سعوا إليها، وبذلوا جهودهم للمحافظة عليها، مثلهم في ذلك مثل الليبراليين ولكن اعتماداً على أفكار ومرجعيات أخرى، أي ليست ليبرالية. ولكن حركات الشباب والطلاب في عام ١٩٦٨ أنتجت تيارات يسارية كانت جديدة في حينها، وآمن معظمها بالديموقراطية، واتجاهات أخرى ديموقراطية ذات توجهات اجتماعية أطلقت عليها مسميات عدة أكثرها دقة: الديموقراطية الجذرية Radical Democracy، والديموقراطية القاعدية Grassroots Democracy.

وزدادت أعداد اليساريين الديموقراطيين تدريجاً بعد انهيار الاتحاد السوفياتي السابق ومنظومته الدولية، إذ اتجه كثير من الأحزاب الشيوعية التي كان أعضاؤها مؤمنين بفكرة دكتاتورية البروليتاريا إلى تبني قيم ديموقراطية بدرجات مختلفة في العمق والمدى.

وتبنت التيارات المحافظة المعتدلة أيضاً الديموقراطية، مع احتفاظها برفض التوسع في الحريات الاجتماعية والثقافية التي يعتقد المحافظون أنها تؤثر في تقاليد المجتمع وعاداته أو قيم موروثه فيه. وقد لا نجد في العالم اليوم حزباً أكثر إيماناً بالديموقراطية، من حيث سياسات الحكومة التي يقودها، من حزب الاتحاد الديموقراطي المسيحي الذي تتزعمه إنغيلا ميركل في ألمانيا، وهو حزب محافظ تمثل المسيحية إحدى المرجعيات المحددة لتوجهاته تجاه بعض القضايا الاجتماعية والثقافية.

وإذا كان من الطبيعي أن يوجد ديموقراطيون غير ليبراليين، فمن الممكن أيضاً بناء الديموقراطية حتى إذا كانت التيارات الليبرالية ضعيفة، وحتى إذا لم تكن ثقافة الديموقراطية (المستمدة في جوهرها من الليبرالية) راسخة، في بلد أو آخر. وليست اليابان حالة وحيدة في هذا السياق، ولكن تجربتها تنطوي على دلالة قوية إذ أمكن بناء نظام ديموقراطي كامل الأركان في بيئة ثقافية غير ليبرالية، بل في ظل سيادة ثقافة جماعية تنفر من الفردية التي تُعد بمثابة القيمة الأكثر فريدة في الليبرالية.

ولكن هل يعني ذلك أن في إمكاننا القول إن كل ليبرالي هو ديموقراطي، ولكن ليس كل ديموقراطي ليبرالياً؟ كان هذا صحيحاً إلى حد كبير حتى ثمانينات القرن الماضي عندما انتشرت نسخة جديدة من الليبرالية، أُطلق عليها «الليبرالية الجديدة»، تعطي أولوية قصوى وجوهريّة للحرية الاقتصادية على ما عداها، ويمكن أن يقبل بعض من يؤمنون بها تعطيل الديموقراطية إذا اقتضت ذلك مصالح المستفيدين من توسيع نطاق حرية السوق إلى أقصى مدى، وبلا حدود. ويستدعي التفكير في موقف الليبراليين الجدد تجاه الديموقراطية حديثاً آخر.

أين المفر من الفوضى العالمية؟!

*د. عبدالعاطي محمد

صحيفة (عمان) العمانية/ قضايا ودراسات: ٢٠١٨/١٠/٧

تحولت أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها ٧٣ إلى ما يشبه المحاكمة العلنية للمنظمة الدولية باعتراف صريح وقوي من أمينها العام انطونيو جوتيرس بأنها فشلت في القيام بمهامها التي لخصها المؤسسون عام ١٩٤٥ في تحقيق السلام والأمن الدوليين والتنمية لكل شعوب العالم.

ولم يكن هو الوحيد الذي ارتدى ثوب القاضي بل شاركه في ذلك قادة عالميون كثيرون كان من أبرزهم الرئيس الفرنسي ماكرون، بما شكل رسالة عالمية بأن العالم يتجه سريعا من التعاون إلى الصراع وسط وتيرة متزايدة من الانحراف نحو الفوضى العالمية أو انهيار النظام العالمي برمته.

المحاكمة في واقع الأمر لم تكن للمنظمة الدولية، وإنما للدول الأعضاء وعلى وجه الخصوص للدول الكبرى المتحكمة في مجلس الأمن أعلى سلطة في المنظمة الدولية، لأن المنظمة بالأصل مجرد سكرتارية للتجمع الدولي الضخم الذي وصل عدد أعضائه إلى ١٩٣ دولة، وهي تنجح أو تفشل وفق إرادتهم الجماعية وليس وفق وجودها في حد ذاته. وما الكلمات الحادة التي تحدثت بها جوتيرش وغيره من القادة والتي شكلت مجمل ملامح المحاكمة المثيرة التي تابعها العالم على الهواء مباشرة، إلا اتهامات صريحة وقاسية للدول الكبرى التي تراجعت عن التزاماتها بما احتواه ميثاق الأمم المتحدة من مبادئ وقواعد وإجراءات تم وضعها لإيجاد نظام عالمي يتسم بالتعاون واحترام السيادة ورفاهية البشرية جمعاء.

وربما قد لا تثير هذه المحاكمة دهشة أو استغرابا عند الرأي العام العالمي، بالنظر إلى أن التحذير من أوجه التقصير التي شابت أداء المنظمة الدولية على مدى السنوات الأخيرة، كان سمة معتادة في كثير من كلمات القادة في الدورات السابقة القريبة زمنيا، بل ومن جانب كثير من قادة العالم هذه الدورة أيضا. ولكن هذه المرة وفي الدورة ٧٣ اشتدت حدة التحذير وخلت من الدبلوماسية والحرص تعبيرا عن الشعور القوي بأن تدهور الأوضاع العالمية سواء على المستوى الدولي أو الإقليمي قد وصل حدا يندب بالهاوية، وليس من المبالغة القول إن القلق والخوف على مصير البشرية فاق اليوم ما كان عليه الحال في أشد فترات الحرب الباردة سخونة، لأن الالتزام بقواعد وقوانين المنظمة الدولية يتلاشى تدريجيا، بل ربما لم يعد قائما على وجه العموم.

جوتيرش وأمام العشرات من زعماء الدول، ممن حضروا هذه الدورة وكان من بينهم الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بينما لم يحضر زعيما روسيا والصين، قال بوضوح وبكلمات يملأها الأسى: «إن الثقة في النظام العالمي الذي يستند إلى القوانين وبين الدول أصبح عند حافة الهاوية، وأن التعاون الدولي أصبح أكثر صعوبة.. النظام العالمي يزداد اليوم فوضى، وأصبحت علاقات القوة أقل وضوحا، وتعرض القيم العالمية للاندثار، والمبادئ الديمقراطية محاصرة». وقال أيضا: «اليوم ومع تغير ميزان القوى فإن خطر المواجهة قد يتزايد وأجندة حقوق الإنسان تتراجع، والسلطوية تتزايد». وأقر جوتيرش بأن جهود السلام تفشل واحترام الأعراف الدولية يتلاشى مشيرا إلى أن هناك غضبا من عدم قدرة المجتمع الدولي على إنهاء الحروب في سوريا واليمن ومناطق أخرى، وأن الروهينجا ما زالوا منفيين ويعانون من الصدمة والبؤس ولا يزالون يتطلعون إلى السلامة والعدالة.

والرئيس الفرنسي ماكرون كان أكثر صراحة وتحديدا في وضع النقاط على الحروف فيما يتعلق بالحالة الفوضوية التي يعيشها النظام الدولي العالمي اليوم، فألى جانب إسهابه في إعادة التأكيد على القيم الإنسانية التي قامت عليها الأمم المتحدة وإشاراته القوية إلى تراجع إن لم يكن اختفاء هذه القيم، وكذلك ما كرره كثيرا بالنسبة لأهمية احترام القوانين الدولية دفاعا عن البقية الباقية من النظام الدولي، أشار إلى أن مصدر الخلل هو سعي بعض الدول الكبرى إلى أن تفرض كلمتها هي على الآخرين ولجونها إلى منطق القوة لا منطق الحوار. قال: إن قانون الأقوى هو السائد، ولكن هذا القانون يقود العالم مباشرة إلى طريق الأحادية، ذلك الطريق الذي يقود بدوره إلى الانكفاء والنزاعات والمواجهة العامة للجميع ضد كل شيء حتى على من يظن نفسه الأقوى على حد تعبيره. وأشار إلى أن قانون الأقوى أثبت فشله في تحقيق الاستقرار. والملفت أن ماكرون كان يوجه حديثه بشكل غير مباشر إلى الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الذي كان قد وجه انتقادات حادة كعادته للمنظمة الدولية بالنظر إلى أنه لم يخف منذ انتخابه رأيه بأنها منظمة فاشلة وليس من المفيد للولايات المتحدة أن تنفق عليها ولا أن تتبع قواعدها! كما عبرت كلمة ترامب عن السمة العامة في سياسة بلاده في

عهده باعتماد المواجهة والصراع مع كل من يخالفها أو ضد كل من تعتبره خطيرا على مصالحها الاقتصادية والأمنية، وحفلت كلمته كما كان متوقعا بتصعيد حاد في الخلاف القائم بينه وبين دول مثل روسيا والصين وإيران. ولكن ماكرون أراد بكلمته أن يعبر عن رفض بلاده لمواقف وسياسات إدارة ترامب عاكسا بذلك تيارا عاما داخل الاتحاد الأوروبي يعبر عن اتساع الفجوة في المواقف والمصالح بين أوروبا والولايات المتحدة في عهد ترامب. وتوقف ماكرون مليا عند الحالة الإيرانية المتعلقة بملفها النووي، حيث الخلاف الصريح بين أوروبا والولايات المتحدة بخصوص هذا الملف. واهتم ماكرون بهذا الموضوع كمثال من جانبه على الخطر الذي بات محققا ببنية النظام الدولي وما سماه بالسعي إلى فرض الأحادية وقانون القوة. ودافع ماكرون عن وجهة النظر الأوروبية التي تريد الإبقاء على الاتفاق النووي الإيراني وترفض انسحاب الإدارة الأمريكية الحالية منه.

لسنا في حاجة إلى توضيح إلى أي حد تضرر عالمنا العربي من هذا الوضع الدولي المضطرب أو من الانحراف إلى الفوضى بوتيرة متزايدة بلغة جوتيرس نفسه، فنظرة بسيطة إلى الساحة العربية كفيلا بالتأكيد على أن عالمنا العربي هو أول وأكبر الأطراف الإقليمية التي تضررت بشدة من هذه الفوضى العالمية أو أنه هو الذي يدفع الثمن أكثر من غيره لاستمرار هذه الفوضى. يتحدث عن الضرر ما جرى ويجري في بلدان عربية شقيقة عزيزة على أمته العربية، في سوريا واليمن وليبيا والعراق، وعن تسخين الأوضاع الإقليمية الناتج عن المواجهة من جانب كل من الولايات المتحدة وإسرائيل مع إيران، ناهيك عن الوضع المأساوي المعتاد في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وكذلك وقوع المنطقة في فخ سباق التسلح الذي يستنزف ثرواتها الوطنية التي كان من الممكن توجيهها للتنمية حتى تزداد شعوب المنطقة استقرارا ورفاهية، هذا فضلا عن المحاولات المستمرة لجذبها نحو تحالفات أو أحلاف تخدم غرض الدول الكبرى بالدرجة الأولى. وما كل ذلك إلى غيظ من فيض للفوضى التي ضربت النظام الدولي المعاصر.

من الطبيعي في هذا السياق أن يثور التساؤل: أين المفر؟ أو كيف الخروج من الانحراف إلى الهاوية كما عبرت عنه كلمات جوتيرس وغيره من قادة العالم في الدورة ٧٣ للجمعية العامة؟ والإجابة معني بها الجميع سواء المجتمع الدولي أو المنظمة الدولية، وبالطبع منطقتنا العربية بوصفها المنطقة الأكثر تضررا من الفوضى العالمية.

لدينا هنا ثلاثة خيارات أو حلول مفترضة ولا نقول إنها تتسم بالإجرائية أو التفعيل في خطوات محددة، فقط هي تمثل توجهات تحكم في مرحلة تالية صدور السياسات والتحركات الدبلوماسية. الحل أو التوجه الأول طرحه جوتيرس نفسه في كلمته أمام الجمعية العامة ويقضي - وفقا لعباراته - بأنه يتعين على قادة العالم تجديد التزاماتهم بالنظام العالمي المستند إلى القوانين بحيث تكون الأمم المتحدة في صلبه لمواجهة التهديدات الوجودية الهائلة على الناس والكوكب. وقال: «لا يوجد سبيل مستقبلي سوى العمل الجماعي المنطقي من أجل المصلحة الجماعية». هذا التصور يتسم بكونه تحفيزيا أو تشجيعيا، ولا يخرج في الحقيقة عن لغة كل من تولوا منصب الأمين العام للأمم المتحدة، حيث لا يمكنهم إلا التحفيز والحث والتشجيع على الالتزام بروح وقواعد الميثاق. وبوجه عام هو تصور أخلاقي ومعنوي لأن الأمين العام لا يملك سلطة التوجيه بالطبع، والجمعية العامة ذاتها ليست لها من دور أكثر من كونها منبر للرأي وقراراتها مجرد توصيات في نهاية المطاف، بينما السلطة الحقيقية هي لمجلس الأمن.

وأما التصور أو الخيار الثاني فقد عبر عنه ماكرون عندما طالب بالحوار والتعددية بديلا لقانون القوة على حد تعبيره، وركز على أن الأمر في البدء والنهية موقعه مجلس الأمن عندما يجري استخدام الفيتو لإجهاض حل ما يرتضيه غالبية الأعضاء بمن فيهم بعض الأعضاء في المجلس. وإشارته الواضحة إلى المجلس كانت علامة على أن الدول الكبرى هي التي يتحتم عليها أن تعمل بمبدأ الحوار وتقبل بالتعددية. ومع أن هذا التصور لا يبتعد كثيرا عن منطق التحفيز الذي تحدث به جوتيرس، إلا أنه يدخل أكثر في نطاق الضغط السياسي الفعال لاستعادة قوة النظام الدولي لأنه يأتي من دولة كبرى وعضو مؤثر في مجلس الأمن وتتحدث باسم الاتحاد الأوروبي إن جاز التعبير، ولها علاقات طيبة مع كل من روسيا والصين، بما يعني محاولة جادة لتشكيل كتلة دولية مضاد لسياسات الإدارة الأمريكية الحالية المتهمه بإحداث الخلل في النظام الدولي.

وأما التصور الثالث فهو التحصين من الأمراض التي انتابت النظام الدولي المعاصر، ويستند إلى بناء القدرات الذاتية التي تحفظ الوحدة الداخلية للدول وتدرأ عنها سبل التهديد الخارجي وتجنب الانزلاق لصراعات الدول الكبرى مع بعضها البعض، مع تأييد ودعم التوجهات الدولية المطالبة بالحوار والتعددية، وهذا هو التصور الممكن لمنطقتنا العربية في ظل الوضع المتأزم الذي يمر به النظام الدولي.

نزعات شعبية يصنعها إعلام مختلف !

*محمد المريحي

صحيفة (الشرق الاوسط) : ٢٠١٨/١٠/٧

ربما منذ اختراع الطباعة في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، لم يحدث للبشرية أن تأثرت سلوكاً ومواقف اقتصادية وسياسية، كما تتأثر اليوم من خلال ما يُعرف بشكل عام بـ«الإنترنت». الدراسات السابقة التي انغمس فيها مفكرون وكتّاب حول تأثير المطبعة، وجدت أن البشرية انقلبت على نفسها باختراع الطباعة.

الفرق بين تلك التأثيرات العميقة، وبين ما نشهده اليوم، أن الأولى حدثت بشكل متدرج نسبياً، أي أن طرق الطباعة تطوّرت تدريجياً، وتأثيرها على بقية العالم أيضاً أخذ أوقاتاً أطول، على سبيل المثال، تأخرت أربعمائة عام حتى دخلت الفضاء (الإسلامي - العربي)، على العكس من «الإنترنت» التي تدخلت إلى مجتمعات الغرب والشرق على السواء في نفس الوقت، وقد لمسنا اليوم تراجع تأثير الصحافة الورقية تقريباً في كل العالم لصالح التواصل السيبراني، بل إن بعض الصحف، حتى الكبرى، أصبحت تابعة وليست قائدة للمعلومات (صحيفة أو خاطئة) التي تُنشر في المساء على وسائل التواصل الاجتماعي، ولن أندش أن يتم في القريب تراجع حتى الإعلام المشاهد، فهو اليوم يعتمد أكثر وأكثر على الإنترنت، من جانب آخر لن يتأخر العالم كثيراً للحصول على خدمة الإنترنت من الفضاء، وبتكاليف زهيدة نسبياً وعلى كل مساحة الكوكب الأرضي، بل أصبح لدينا عملة دولية افتراضية قائمة على الإنترنت! ماذا يعني ذلك كله على الصعيد السياسي والاجتماعي؟ إنه انقلاب كامل وغير مسبوق في تشكيل العلاقات بين الجماعات والشعوب، كما هو انقلاب كامل في تشكيل ما يُعرف بالرأي العام أو (العقل الجمعي)، فهذا الرأي العام يمكن قلبه حتى على مؤسساته. لم يعد السياسي يحتاج إلى كاتب خطب، أو صحافي قدير بجانبه، أو حتى بالدعوة إلى (مؤتمر صحافي).. كل ذلك أصبح أو سوف يصبح قريباً شيئاً من الماضي، يكفي أن يكون له اتصال على الإنترنت وجهاز ذكي صغير في يده يوصله إلى العالم، وليس جمهوره فقط!

في الغالب فإن نشرات الأخبار في دول العالم تهتم بالقضايا المطروحة على مجتمعاتها، ونادراً ما تعطي قضايا أخرى (إلا في ما ندر) أولوية في صدر نشرات الأخبار، إلا أن الملاحظ أن كل نشرات الأخبار في معظم ثقافات ودول العالم في الآونة الأخيرة تشترك في قضية واحدة، هي ما يطلق عليها «إدمان التكنولوجيا الحديثة» وفعلها السلبي، فما فعلته «الإنترنت» في ربع القرن الأخير في سلوك الإنسان لم يفعله أي اختراع إنساني سابق! وحسب شركة «Statista» الألمانية، المتخصصة في أبحاث السوق، فإن عدد مستخدمي الهواتف الجوال في العالم سوف يرتفع في نهاية عام ٢٠١٨ إلى ٢,٥٣ مليار مستخدم، مقارنةً بنحو ٢,٣٢ في عام ٢٠١٧، ولكن الرقم سوف يصل إلى ٢,٨٧ مليار بحلول عام ٢٠٢٠. ويذهب بعض التقديرات إلى أن الفرد في المتوسط يقضي ٩٠ دقيقة في اليوم على هاتفه الجوال، أي أن معظم الناس يقضون ٢٣ يوماً في العام مع هواتفهم الذكية. في بريطانيا الدراسات تقرر أن المواطن البريطاني يدقق في تليفونه الجوال كل سبع دقائق، وينظر معظم المواطنين إلى تليفوناتهم خلال نصف ساعة من استيقاظهم من النوم، كما أن المتوسط للفرد هو أكثر قليلاً من ثلاث ساعات، يقضيها شخصاً في شاشة تليفونه الذكي في اليوم! هذه الظاهرة تجتاح العالم. إلا أنها متجذرة في بلاد عربية وشرق أوسطية، فالسعودية والمغرب يأتيان رقم (٢٩) و(٣٠) على التوالي في القائمة الدولية (عام ٢٠١٣) لحيازة التليفونات الجوال، ويتقدمان على كندا وأستراليا في عدد التليفونات الجوال، مقسمة على عدد السكان، وإيران تتقدم على المملكة المتحدة في ذلك!

واستخدام «الإنترنت» وما يجاورها من منتجات تقنية له الكثير من الفوائد، إن تم استخدامها بشكل إيجابي، كما له الكثير من الأضرار. فمن الإحصاءات الأخيرة نجد أن بين الضحايا في حوادث السيارات في المملكة العربية السعودية، سبعة آلاف ومائتي شخص، بسبب استخدامهم للتليفون الجوال في أثناء قيادة السيارة (عام ٢٠١٧). كما اضطرت وزارة التربية في الكويت، لمنع ظاهرة الغش في الامتحانات، إلى أن تستخدم نظاماً مطوراً هو الـ«إيرباترول». وفي الصين هناك ٣٠٠ مركز (حتى الآن) لعلاج إدمان الإنترنت، وهناك محاولات للتشريع ضد (الاستخدام السلبي لوسائل التواصل الاجتماعي). وفي سنغافورة وعدد من الدول الأخرى تغلظ العقوبات على ما يُعرف بـ«جرائم الإنترنت».

الإدمان أصبح ظاهرة عالمية إلى درجة صيغ لها مفهوم هو (فوبينج phubbing)، وتعني تجاهل شخص بجانبك لصالح تليفونك الجوال! تلك هي المخاوف والهواجس، إلا أنه من ناحية أخرى لا يستطيع أحد أن ينفي أن استخدام التقنيات المتطورة له فوائد جمة خصوصاً بالنسبة إلى التعليم، خصوصاً تعليم الصغار، إن هي استُخدمت بشكل صحي وعلمي، كما لا يستطيع أحد أن يستغني عنها.

مع الاعتراف بكل تلك الفوائد فإن الاستخدام السلبي في فضائنا العربي لـ«الإنترنت» ووسائلها في التواصل الاجتماعي يستنزف جهداً في التضليل والشعبوية، ربما لا يقابله مثيل في الثقافات الأخرى، وهو ناتج من عاملين "الأول هو ضعف المناعة لدى المتلقي الذي يبحث عن المعلومة، فإن أتته خاطئة أو محرّفة أو حتى كاذبة صدّقها، والعامل الثاني هو الغفلة لدى المؤسسات الرسمية عن أهمية الحاجة إلى وضع المواطن في الصورة بسرعة وياتقان في القضايا التي ترتبط بحياته. تتجه بعض الدول إلى منع شكل من أشكال التواصل الاجتماعي، كما تفعل إيران مثلاً ولكن ذلك المنع حبله قصير جداً، لأن التقنية يمكن لها أن تسهّل الالتفاف على المنع بسهولة. المعادلة المطروحة هي: كيف يمكن إقناع المواطن العادي بأن ما يصله من «معلومات» في كثير منها «إشاعات» مصنوعة لغرض ما ووراءها أجندة خفية؟ تلك معادلة صعبة، لأن المواطن بشكل عام «يحب الدم»، أي يعشق الغامض وما يقال إنه سرّي للغاية، بل ويحب أن يسمع ما يشتهي أن يسمعه، في غياب فاضح للمعلومة. ولا تتأخر «الأجهزة» في عدد من الدول التي لها أجندة ما عن الاستخدام السلبي لهذا الاختراع، وإذا كان الأطباء يقولون إن الإنسان هو ما يأكل! فإنه قد يكون قريباً إلى الصحة أن يقال إن الإنسان يتشكل موقفه من الأمور ممّن يرافقه، ولا أكثر من مرافقة الإنسان اليوم لجهازه الذكي، الذي ينقل له الأخبار، والإشاعات والدعايات أيضاً.

قد يتجاهل البعض أو يخفف من تأثير وسائل الاتصال (بأشكالها المختلفة) على تشكيل رؤيتنا وقيمنا وموقفنا من الحياة، وقد تسارع ذلك التأثير منذ زمن (الإعلام المطبوع) إلى زمن (الإعلام الإلكتروني)، من الصحافة إلى الإذاعة إلى التقنية. في الصحافة استجابة الجمهور لا تتسم بالتوافق الزمني، لأن الكل يقرأ الجريدة في زمن آخر. وفي الإذاعة تقارب الزمن. أما الاتصال الإلكتروني فقد تطابق الزمن لدى المتلقي. كما تقدم كثيراً فن «الإخضاع» لما يُبث من خلال تقدم دراسات فهم آليات العقل الجمعي، وصار من الممكن السيطرة على الجمهور وإخضاعه، فقد أصبحت «إعادة صياغة الجمهور أكثر أهمية من تغيير المنتج»، كما عبرت عنه الدراسات الخاصة في هذا الحقل، لأن تغيير السلوك الإنساني عملية اجتماعية، يمكن التحكم فيها، قابلة للخداع أيضاً. «الجوار الإلكتروني» يمكن أن يكون مصدراً للقيم والأخلاق الإيجابية أو المضادة، لا يقل في قوته المرجعية عن تأثير الأسرة والمؤسسة التعليمية وربما حتى التعاليم الدينية. على سبيل المثال في دراسة لجامعة نبراسكا الأمريكية سُئل مجموعة من الأطفال: هل الأفضل الاحتفاظ بأبائكم أم بأجهزة التلفزيون؟ فاختار أكثر من نصف العينة التلفزيون!

آخر الكلام: كم من المعلومات «المسمومة» التي تتدفق على العقل العربي، لم أسمع حتى الآن أن موقعاً يسمى «الناطق الرسمي» يتجاوب معها بكفاءة وسرعة. عادةً يأتي النفي بعد أن يكون الآخر قد استطاع «زرع الشكوك»!

بين حكمة الجموع وظاهرة القطيع

*د. باسم الطويسي

صحيفة (الغد) الأردنية: ٢٠١٨/١٠/٨

على الرغم من السمعة السلبية التي باتت تسيطر على صورة شبكات التواصل الاجتماعي وأدوارها في العالم بشكل عام وفي العالم العربي بشكل خاص نتيجة ازدياد توظيفها لأهداف سياسية ودينية واقتصادية، في ضوء النموذج التسويقي الذي بنيت عليه تكنولوجيا هذه الشبكات، فإن ثمة أصواتاً قوية في العالم أكثر تفاؤلاً لمستقبل الإعلام الرقمي بشكل عام بل لأنه في الحقيقة مستقبل الإعلام والاتصال، وبالقرب منه شبكات الإعلام الاجتماعي، فالنظرية التاريخية النقدية تقودنا إلى أن كل وسيلة اتصال جديدة تمر في مرحلة الصدمة ثم مرحلة انتقالية تسودها الريبة والشك والفوضى ويتم عادة توظيف الوسيلة الجديدة لتصبح أداة في يد القوى التقليدية لبعض الوقت ثم تميل أكثر للاستقرار وللتوظيف في خدمة الصالح العام.

ظهر مفهوم حكمة الجموع (wisdom of crowds) لأول مرة في كتاب حمل الاسم نفسه للمفكر (جيمس سيرويكسي - James Surowiecki) سنة ٢٠٠٤ وتزامن ذلك مع بداية الوب ٢٠٠٠ وبداية الجيل الأول من شبكات التواصل الاجتماعي، يطرح فيه المؤلف سؤالاً مركزياً حول حكمة الأكثرية في اتخاذ القرارات في تطوير الأعمال والاقتصاد والمجتمع والأمة "أي متى تكون الجماعة أذكى من الفرد.

هذه النظرية جاءت في سياق ينفي نظرية القطيع التقليدية أي قيادة الجموع وتضليلها، ونلاحظ أن الحديث عن هذه النظرية ازدهر في السنوات الأولى لظهور شبكات التواصل الاجتماعي قبل أن تلتفت القوى السياسية والاقتصادية لمصادر قوة هذه الشبكات وتقوم بما يشبه اختطافها. إن الأمر يذكر بما حدث للمطبعة وللصحافة في بدايتها، لكن في هذه المرة تدخل النموذج الاقتصادي وانحاز للطلب السلطوي والنخبوي من جديد، فالشبكات الاجتماعية شهدت تعديلات عديدة من خلال التدخل في الخوارزميات التي تعمل على أساسها الشبكات. بمعنى أننا ما زلنا في صراع بين فرضية حكمة الجموع وفرضية القطيع فأناصر الفرضية الأولى يذهبون إلى أن ما يحدث لا يعدو أكثر من مسألة وقت.

أصحاب فرضية حكمة الجموع يؤكدون على أن المستخدمين والتكنولوجيا في طريقهم للتخلص من الكثير من مظاهر الاختلالات، وسيعملان على المزيد من التنظيم الذاتي والمزيد من الأدوات التي تمكن الناس من التدقيق، ومن توفير حشود هائلة من المعلومات التي تصحح الأخطاء وتقوّم التضليل كما لن تكفي بذلك فستعمل الحشود الهائلة من الأفكار والنقاشات على تعليم الناس الديمقراطية العابرة للثقافات، فيما ستكون الأجيال القادمة التي تتعلم وتتسوق وتعمل من خلال الإنترنت أكثر قدرة على الاستفادة من هذا الكم الهائل من المعلومات والآراء وأكثر قدرة على التركيز والعمق.

توفر حكمة الحشود المعرفة والمعلومات والتعاون والتنظيم والتنسيق، وتحديدًا من خلال شبكات التواصل الاجتماعي ولقد بات من الممكن حشد الأمثلة على استخدام وسائل الإعلام أو الحكومات أو الشركات أو مؤسسات المجتمع المدني لهذه الحاسة الجديدة من أجل الوصول إلى حلول ابتكارية أو حلول تقليدية مجهولة للعشرات من المشكلات على سبيل المثال الحكومة البريطانية وشركة النفط العملاقة "BP" يستفتيان الحشود على الشبكة من أجل الوصول إلى الحلول أو أفكار لوقف تسرب النفط في خليج المكسيك، شركة "Gold Gorp" وهي شركة تعدين كندية عملاقة مرت بأزمة مالية، وفشلت في الوصول إلى الذهب في أونتاريو الشمالية، وعندما جاء مديرها الجديد وضع كل البيانات الجيولوجية والجغرافية على إحدى الشبكات وطلب مساعدة الحشود في اقتراح المكان الذي يوجد فيه الذهب طارحاً جائزة بقيمة نصف مليون دولار لمن يقدم معلومات دقيقة، وصلته اقتراحات من خبراء وهواة من مختلف أنحاء العالم وخلال شهور أصبحت هذه الشركة قادرة على الوفاء بالتزاماتها، كذلك يفعل العديد من شركات صناعة وتطوير الأدوية في البحث عن الحلول الشعبية التقليدية في كيمياء الأعشاب وغيرها.

إنها تكنولوجيا ضخمة ودقيقة للوصول إلى مجموعات كبيرة من الناس مع مجموعة متنوعة من المهارات والمعارف، وتكنولوجيا قادرة على تصحيح ما يقع الناس فيه من الأخطاء في المستقبل "علينا أن ننتبه إلى أين يذهب العالم.

بعد تلاشي الآمال هل يمكن أن يشتعل الربيع العربي مجدداً؟

*كريستوفر ديكي

موقع < ذا ديلي بيست >: ٢٠١٨/١٠/٨

تساءل كريستوفر ديكي في مقال له على موقع «ذا ديلي بيست» عما إذا كان من الممكن أن يشتعل الربيع العربي مجدداً أم لا. مشيراً إلى أن جذوة الغضب ما زالت مشتعلة في صدور الشباب العربي. وأوضح ديكي أن من تابع ثورة ميدان التحرير في القاهرة في عام ٢٠١١، في الأيام الأولى مما كان يسمى الربيع العربي، يتذكرون الإثارة والحماسة والأمل الذي ملأ الهواء مثل رائحة قلادات الياسمين التي تباع في شوارع مصر. لكن تلاشت الآمال بسرعة، وذبلت ورود الحرية، وألقيت في الغبار. فهل من الممكن التفاؤل بعودة هذه اللحظة مجدداً؟ يتساءل ديكي.

ربيع غير مكتمل

في غضون أشهر قليلة، تحول الربيع العربي إلى شتاء طويل ووحشي. إذ انتصرت الثورات المضادة في بعض أجزاء الشرق الأوسط. وانحدرت بلدان أخرى إلى الفوضى والحرب الأهلية، وانتشر ملايين اللاجئين عبر الحدود، ليس فقط في المنطقة بل وإلى أوروبا أيضاً.

ثم بزغ نجم ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) من العدم – يضيف ديكي – لتحتل مساحات شاسعة من سوريا والعراق. وكما كتب الباحث جيلز كيبل في كتابه الجديد «ما بعد الفوضى»، سرعان ما تحولت طموحات الربيع العربي إلى «رهائن» للجهاديين مع تمدد نفوذ داعش «من بلاد ما بين النهرين إلى ضواحي المهمشين في أوروبا».

امتدت هجمات (داعش) الإرهابية إلى باريس وأورلاندو وسان بيرناردينو وبرلين، مما فجر كره الأجانب والخوف في أوروبا والولايات المتحدة، ليرتفع صوت الشعبويين اليمينيين المتطرفين في السياسة الغربية، مما ساعد على خروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي. وأوصل دونالد ترامب إلى البيت الأبيض.

حملت (داعش) شعار «باقية وتتمدد» – يؤكد ديكي – ولكن اتضح أنها لا تستطيع القيام بأي منهما. فقد تبين أنهم مجموعة عابرة من المقاتلين الهاربين، الذين يحاولون البقاء في زاوية صغيرة من سوريا مع عدد قليل من الخلايا المنتشرة من نيجيريا إلى أفغانستان. كما أن لها وجوداً أقل بكثير في ساحة المعركة الكبيرة الأخرى «الإنترنت».

تحول مسجد النوري في الموصل بالعراق، حيث نصب زعيم (داعش) أبو بكر البغدادي خليفة لتنظيم دولة قمعية جديدة – في صيف عام ٢٠١٤، إلى أنقاض في صيف عام ٢٠١٧. وعلى مئذنته التاريخية المدمرة، كتب شخص «اللجنة على داعش».

تونس أول من انتفض ضد الحكم القمعي

وعلى الرغم من نجاح التحالف الدولي، بقيادة أمريكا، في سحق تهديد الدولة الإسلامية، بيد أن القضاء عليه لم يؤد إلى تحقيق السلام في المنطقة، وربما ندخل مجدداً دوامة من العنف المدمر.

ما نراه الآن هو، وكما قال صامويل هنتنجتون، صراع حضارات، ولكن كما يشير كيبل، هذا ليس صراعاً بين الغرب والإسلام، بل صراع داخل الإسلام نفسه: صراع بين السنة والشيعة يعود تاريخه إلى معارك للخلافة في أعقاب وفاة النبي محمد قبل أكثر من ١٣٠٠ عام.

استغلت (داعش) والمنظمات الإرهابية التي سبقتها في العراق هذا الصراع وأججته – ينوه ديكي. تحت حكم أبو مصعب الزرقاوي، بدأ المتمردون في قتال المحتلين الأمريكيين بعد الإطاحة بصدام حسين عام ٢٠٠٣. لكن العدو الأكبر للزرقاوي ومن تلاه لم يكن الولايات المتحدة، بل كان إيران الشيعة والحكومات في دمشق وبغداد التي كانت مطية لطهران.

لم يكن (داعش) سوى عرض صارخ في هذا الصراع التاريخي، واليوم بعد القضاء عليه، ما زال الصراع السني الشيعي مستمراً حيث تتنافس المملكة العربية السعودية وحلفاؤها السنة ضد الجمهورية الإيرانية مع عملائها الشيعة والسوريين العلويين.

اشتعال الصراع الطائفي

انخرط المعسكران في حروب بالوكالة على أرض المعركة السورية الدموية وفي اليمن القبلية الشديدة – يضيف ديكي – والخاسر كان شعب البلدين. لكن لا يوجد ما يشير إلى أن الإيرانيين أو السعوديين سيتراجعون. في وقت سابق من هذا العام، استبعد ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان أي فرصة للمصالحة مع إيران، وصيغ الصراع بصيغة دينية. وقال إن هدف طهران النهائي هو السيطرة على مكة المكرمة، أقدس موقع في الإسلام. «لن ننتظر حتى تكون المعركة في السعودية»، هذا ما أعلنه الأمير في مقابلة تلفزيونية مطولة. وأضاف «بل سننقلها إلى داخل إيران».

وقال محمد بن سلمان إنه إذا أعادت إيران إطلاق برنامجها النووي، فإن الرياض ستدشن برنامجاً نووياً أيضاً. وادعى، مثل إيران، أنه سيكون للأغراض السلمية البحتة.

ثم انتفض المصريون بحثاً عن الحرية

وقد انتقل الصراع إلى مرحلة جديدة – يقول ديكي – إذ تظهر مؤشرات عديدة على أن كلتا الدولتين تشنان عمليات سرية ضد بعضهما البعض. فخلال الأشهر القليلة الماضية، تم اعتقال عملاء إيرانيين مزعومين في النمسا وبلجيكا وفرنسا بسبب مؤامرة لتفجير تجمع للمعارضة بالقرب من باريس. وقد أغلقت الولايات المتحدة قنصليتها في البصرة في العراق خوفاً من الهجمات المدعومة من إيران. في المقابل، هاجمت جماعة إرهابية سنية عرضاً عسكرياً في مدينة الأهواز الإيرانية، مما أسفر عن مقتل ٢٥ شخصاً ومقتل خمسة مهاجمين. تبنت فلور داعش المسؤولية، لكن الإيرانيين ألقوا باللوم على السعودية وداعميها الأمريكيين.

ويرى ديكي أن هذه البيئة المشحونة قد تؤدي إلى حرب مفتوحة ومتصاعدة. إن إدارة ترامب، وبدعمها المطلق للسعوديين وعدائها الذي لا هوادة فيه تجاه إيران، لم تقتصر على اختيار الأطراف فحسب، بل وضعت نفسها في وسط الصراع، وهو موقف سيتركها تحت ضغوط هائلة للتدخل عسكرياً إذا اشتعلت الحرب بين الطرفين.

أما إسرائيل، التي كانت العدو اللدود لبلدان الشرق الأوسط، فقد نجحت ببناء تحالف شبه علني مع السعوديين ودول خليجية أخرى، يركز على الكراهية المتبادلة لإيران.

وبالنسبة لروسيا – يواصل ديكي كلامه – أعاد تدخلها في الحرب السورية هيبتها باعتبارها قوة عالمية، فهي تمارس لعبة الأعداء والأصدقاء في الشرق الأوسط ببراعة لدرجة أنه في بعض الدوائر، يسخر البعض بالقول إن فلاديمير بوتين مسلم لأن لديه أربع زوجات: إسرائيل والسعودية وإيران وتركيا. بيد أن هذه التحالفات والعداوات تتبدل فيما بينها.

لا شيء من هذا يفيد شعوب المنطقة. أسأل فقط عائلات أولئك الذين ذبحوا في سوريا بالقنابل الروسية. لذا، ألا توجد وسيلة للخروج من هذه المتاهة المحفوفة بالمخاطر؟ يتساءل ديكي. إذا نظرنا بعناية إلى ما حدث في الربيع العربي، قد تكون هناك دروس يمكن استخلاصها، وبصيص من التفاؤل.

صيحة غضب مفاجئة

اشتعلت الانتفاضات في الشرق الأوسط بعد أن قام بائع خضار شاب في تونس، بإشعال النيران في نفسه ديسمبر (كانون الأول) ٢٠١٠ بعد اعتداء شرطية عليه. خرج التونسيون يتظاهرون غاضبين، كان الحاكم التونسي ابن علي يخسر قبضته على السلطة، وبدأت الاضطرابات السياسية تنتشر شرقاً موجة من الرفض والعاطفة لا يمكن وقفها، وبدأت أنها ستقتلع الدكتاتوريات والأسر القديمة من السلطة في ليبيا ومصر وسوريا وما وراءها.

دُهمت الحكومات والدبلوماسيون والصحفيون مما يجري – يكشف ديكي – بل وصُعد الإرهابيون حتى “بدا أن تنظيم القاعدة، الذي لطالما زعم أن العنف هو الحل للخلاص، فجأة غير ذي أهمية في مواجهة الانتفاضات السلمية الهائلة التي شوهدت على الهواء مباشرة في جميع أنحاء العالم.

يرى ديكي أنه كان ينبغي على الغرب أن يتوقع هذا الأمر. يعلم الجميع أن غالبية سكان الشرق الأوسط هم من الشباب. والكثير منهم، إن لم يكن معظمهم، شعروا بالإحباط والإذلال تقريباً مثلهم مثل بائع الخضار في تونس. وكان الجميع يعرفون أيضاً أن ثورة الاتصالات قد اجتاحت منطقة خضعت فيها المعلومات لرقابة صارمة في التسعينيات والعقد الأول من هذا القرن، بدءاً بالفضائيات، ثم الإنترنت، وأخيراً والأهم من ذلك، ثورة الهواتف المحمولة.

لم يعد الشباب مجرد أغلبية أو محبطين فقط - ينوه ديكي - فقد تواصلوا مع العالم كما لم يفعل آباؤهم على الإطلاق. هذا التقارب الديموغرافي والرقمي جعل فجأة المستحيل يبدو ممكناً. في مصر، كان عنف الشرطة هو من أشعل المظاهرات في ميدان التحرير الموقر.

بدا أن مستقبل شعوب الشرق الأوسط يحمل في ثناياه وعود الحرية والازدهار. وهذه الآمال لم تقتصر على العرب. فقبل عام ونصف من انتفاضة مصر، تدفق الإيرانيون إلى شوارع طهران للاحتجاج على إعادة انتخاب الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد، وهو شخص يميني شعبي، أهدر ثروة الدولة وقمع الحريات الشخصية. كان نطاق المطالب الشعبية في إيران محدوداً. أما المرشحون الآخرون فقد كان من غير المرجح أن يوجهوا دعوة لإسقاط النظام الإيراني الشيعي، ومعظم الإيرانيين الذين كانت لهم ذكريات عن ثورة ١٩٧٩ لم يكونوا مستعدين لثورة أخرى. لكنهم أرادوا أن تكون لديهم ديمقراطية حقيقية. وأن تُسمع أصواتهم. هزت المظاهرات الجماهيرية النظام، وقوبلت بقمع وحشي، ولكن في النهاية تم سحقها. لكنهم أظهروا القوة المحتملة للاحتجاجات التلقائية. وقد أظهرت الاحتجاجات الإيرانية مساوئ افتقار الحركة الجماهيرية إلى التنظيم الكافي. في انتفاضة مصر - يواصل ديكي حديثه - كان هناك قدر كبير من التفاؤل في الأيام الأولى حول العمل الجماعي لقيادة الانتفاضة. لكن الحشود المؤثرة بدت مبعثرة في مواجهة جميع القوى الرجعية.

ثم جاء الدور على الدكتور الأسد

تمكن الثوار من إسقاط الرئيس حسني مبارك، لكن الانتهازيين المنظمين - جماعة الإخوان المسلمين الفاشية والقوات المسلحة المصرية - تنافستا من أجل السيطرة، تاركين المحتجين يائسين أو مسجونين أو ميتين. وكما كتب حسين آغا وروبرت مالي بعدها بأشهر، فإن يوم تنحي مبارك، في ١١ فبراير (شباط) ٢٠١١، «كان ذروة الثورة العربية. وفي اليوم التالي، بدأت الثورة المضادة».

في ليبيا، كافح الطاغية معمر القذافي للتشبث بالسلطة، وربما كان سيحدث لو لم يتدخل الفرنسيون والأمريكيون. أما في سوريا، تمكن بشار الأسد من البقاء على قيد الحياة بسجن وتعذيب وذبح مئات الآلاف من الناس. ويؤكد ديكي أن أي ثورات جديدة شبيهة بما رأيناه في ميدان التحرير، يجب أن تكون نابعة من الداخل، وكبيرة، ولا بد من إنجازها إلى آخرها. قد يتم انتخاب قيادة ولكن لا يمكن الاستعانة بها. سيتعين بناء منظمات يمكنها التحدث للجماهير، وتوجيه قوتها.

وسيفعل الديكتاتورون ما بوسعهم لإحباطهم، وبطاقة أكثر مما استطاع بن علي أو مبارك أن يفعلوا في عام ٢٠١١. ولكن، لإعادة صياغة ما قاله جيم موريسون، فإن العجائز يملكون الأسلحة، والشباب لديهم الحشود. وستأتي لحظة يكون لهؤلاء تأثير فيها.

على المدى القريب، يعتقد كييل أن العراق - بعد استبداد صدام، والغزو الأمريكي الطائش، ومذبحة الحرب الأهلية، والبروز المروع لداعش - قد يكون أفضل وأهم مكان للبدء في إعادة البناء. إن إعادة إعمار الموصل، إحدى أعرق المدن العالمية في الشرق الأوسط مع خليط من السنة والشيعية والكرد والمسيحيين، ستكون مكاناً جيداً لمحاولة البدء.

ويأمل ديكي أن تجد مصر، حيث عاش لسنوات عديدة، طريقها للخروج من القبضة الحديدية لقائدها العسكري الحالي، والعودة إلى نوع التفاؤل الذي شاهدناه جميعنا في الأيام الأولى من مظاهرات ميدان التحرير. هناك عدة طرق لتقول صباح الخير في اللغة العامية المصرية، إحداها هو «صباح الفل». إن هذا الشعور بالحرية والازدهار والأمل ليس أقل مما يستحقه شعب مصر.

مخاطر «الاحوار» في منطقتنا

*عماد الدين أديب

الأوطان لا تبني بالتحرف، ولا بالغلو، ولا بالقيود، ولكن بالإصلاح والعقل الوسطي

المصري اليوم : ٢٠١٨/١٠/٩

ماذا تعني كلمة «احوار»؟ وما الفارق بين «المونولوج» و«الديالوج»؟ وما خطورة وجود حالة من الاحوار؟ وتبعات وتداعيات المجتمعات التي تصرخ بدلاً من أن تسمع نفسها، وتتبادل السباب، بدلاً من أن تتبادل الآراء والأفكار والحلول والمبادرات؟

أسئلة تبدو للوهلة الأولى بسيطة، ساذجة، مكررة، لكنها أساسية وجوهرية وضرورية في نهوض أي مجتمع، وفي إصلاح أي ثقافة سياسية لأي كيان، في أي زمن من الأزمنة. منذ العصر الحجري، هناك قضايا أزلية لا تتغير مهما تغيرت الأزمنة، وتغير البشر وتغيرت الأنظمة السياسية والمجتمعات.

من هذه الأسئلة الأزلية: هل نحن في حالة حوار، بمعنى أن يكون هناك رأي ورأي مضاد؟ أم نحن في حالة أحادية الفكر يسير فيها الرأي في نفق ذي اتجاه واحد؟

والتنشئة السياسية في هذا المجال أمر بالغ الحيوية، بل إنه مرتكز أساسي لتحويل حالة العقل الإنساني من حالة النقل والتلقين إلى حالة التفكير والجدل.

التفكير والجدل والأخذ والرد هي الجسر الوحيد المؤدي إلى عبور العقل من حالة الفكر الجامد التقليدي إلى حالة الفكر المنفتح الإبداعي.

لا إبداع دون تفكير، ولا تفكير دون نقاش، ولا نقاش دون حوار، ولا حوار دون قواعد أولها الحرية وأهمها الانضباط واحترام الأخلاق والقانون.

وأزمة العقل العربي أنه ينتقل -للأسف الشديد- من حالات شديدة التحرف والحدية أي من حد إلى حد طرف مضاد تماماً مثلما ينتقل من ديكتاتورية صدام حسين في العراق إلى فوضى مرحلة ما بعد الغزو الأمريكي، أو الانتقال من نظام العقل الواحد في ليبيا في عهد العقيد القذافي إلى مرحلة الـ ٨٨ ميليشيا التي تحكم البلاد والعباد الآن.

هكذا نحن في عالمنا العربي من حار حارق إلى بارد مثلج، من ديكتاتورية دموية إلى فوضى بلا قيود ولا قواعد.

الأوطان لا تبني بالتحرف، ولا بالغلو، ولا بالقيود، ولكن بالإصلاح والعقل الوسطي، والإبداع الذي يفرض علينا خلق حالة من الحوار المنفتح والمسئول في آن واحد.

وينعكس ذلك أيضاً على حالات الاحوار، وانقطاع جسور التواصل بين أبناء الإقليم الواحد، فلا حوار في جامعة الدول العربية، ولا دول مجلس التعاون، ولا الدول المغاربية، ولا دول حوض النيل، ولا العالم الإسلامي إلى آخر القائمة المحبطة.

جنون الاستبداد وما بعده

* محمد عايش

صحيفة القدس العربي: ٢٠١٨/١٠/٩

موجة القمع والاستبداد غير المسبوقة التي يشهدها العالم العربي حالياً، والتي وصلت إلى مستوى التوحش الأعمى لا يمكن أن تأتي بخير على المنطقة“ لأن لكل فعل رد فعل، وما نشهده الآن في المنطقة هو الأفعال التي نتوسل إلى الله أن يحمينا من مآلاتها ومن الردود عليها.

النتيجة المنطقية للقمع والاستبداد والطغيان والقهر والحرمان وغياب العدالة والديمقراطية وانعدام الاحترام لحقوق الإنسان، كل هذا نتيجته الطبيعية المتوقعة هو مزيد من العنف والإرهاب الذي سيقوده جملة المحبطين وغير القادرين على التغيير السلمي، وهذا ما أثبتته التجارب التاريخية فعلا في السابق، عندما كانت كل موجة قمع تتبعها موجة من الإرهاب والعنف.

واقِع الحال أننا أمام حالتين من التطرف، الأولى أنظمة مستبدة تتطرف في قمع شعوبها واستعبادهم والتنكر لمطالبهم، والثانية رد فعل متطرف يستخدم الإرهاب لتحقيق مآرب وأهداف سياسية يجد نفسه غير قادر على تحقيقها بالمشاركة السياسية السلمية. وهنا من المهم والمفيد الإشارة إلى أن حركات الإسلام السياسي على اختلاف أفكارها وأيديولوجياتها ليست هي المحرك لتوليد الإرهابيين، ولا هي البيئة الحاضنة لهم، وإنما يجد المحبطين والجانحون نحو الإرهاب، في بعض أدبيات الدين الإسلامي، وبعض تراثه التاريخي، ما يُبرر الإرهاب والتطرف، فيلجأون إليه دون غيره.

العالم العربي يشهد اليوم حالة يمكن أن نطلق عليها اسم «جنون الاستبداد»، وهذه الحالة نتجت في أعقاب ثورات الربيع العربي، التي أطاحت ببعض الأنظمة، وهددت الأنظمة الأخرى بالانهيار، فما كان من القابضين على مفاصل الحكم في بعض الأنظمة وبعض الأماكن إلا الجنوح نحو موجة جديدة من القمع والطغيان والاستبداد، أملا في أن يزول الخطر الذي بدأ باندلاع الثورات الشعبية، لكن المشكلة هنا وفي هذه الحالة هو أن هذا «الاستبداد المجنون» يؤكد على أن الأنظمة العربية -أو بعضها- لم تصلها الرسالة الصحيحة، ولم تدرك الطريق الأفضل لاستقرارها السياسي. تجربة السنوات الأخيرة تؤكد على أن الإصلاح السياسي، والانفتاح، وتعزيز الديمقراطية، واحترام حقوق الإنسان، هي التي يمكن أن تحقق الاستقرار، ويمكن أيضا أن تحفظ للحاكم البقاء في كرسيه وللنظام الاستمرار في إدارة الدولة، والأنظمة التي فهمت هذه المعادلة حققت الرضا -ولو جزئيا- لشعوبها، بينما الأنظمة التي جنحت نحو «جنون الاستبداد» لم تُحقق ما حققه غيرهم.

في السنوات الأخيرة شهدت كل من المغرب والأردن وسلطنة عُمان والكويت إصلاحات سياسية، استطاعت إلى حد كبير أن تُلبي طموحات الناس، وحتى الذين لم تُعجبهم الإصلاحات ولا حجمها عادوا إلى منازلهم ولم يخرجوا إلى الشارع“ لأن النظام السياسي فتح الباب أمام المشاركة السلمية، وعزز من احترامه للناس، وهو ما كرس الاستقرار في هذه الدول، وجنب كلا من الأنظمة والشعوب ويلات الاصطدام الداخلي.

الشعوب العربية تحتاج فقط لبعض الإصلاحات، ومزيدا من الانفتاح السياسي والمشاركة السياسية، ومحاربة الفساد، والرد على هذه الحاجات بالقمع والقهر والاستبداد هو وصفة بالغة الخطورة“ لأن القمع والطغيان يولد ردود فعل مشابهة، ما يعني الانزلاق إلى دوامة العنف والإرهاب المرعب.

والنصيحة الأخيرة التي يمكن إسدائها للأنظمة العربية هي: لا تحاربوا الناس لأن الشعوب لا تموت، وإنما هادنوهم، وأعطوهم ولو شيئا من مطالبهم، وإياكم والقمع، فإنه سترك وراءه جيلا من المحبطين اليائسين الشاعرين بالظلم، والمؤهلين للجنوح في أي لحظة نحو التطرف والإرهاب.

العرب ومأزق الدولة الوطنية

*د. السيد ولد أباه

صحيفة (الاتحاد) الإماراتية : ٢٠١٨/١٠/٩

كان المفكر المصري المعروف «جلال أمين» الذي رحل مؤخراً إلى دار البقاء، يدعو في كتاباته الأخيرة إلى عودة الدولة القوية إلى العالم العربي بديلاً عن «الدولة الرخوة» الحالية التي لم تعد قادرة في ساحات عديدة على القيام بوظائفها الأولية من تدعيم الوحدة الوطنية، والدفاع عن الحوزة التراثية، وتوفير الحاجيات الأساسية لمواطنيها. وبطبيعة الأمر، يدرك جلال أمين أن نموذج الدولة القوية الذي قام في الخمسينيات والستينيات لم يعد ممكناً الرجوع إليه، إلا أنه يرى أنه لا خيار عن بناء إدارة بيروقراطية قوية ومؤسسة أمنية فاعلة وقاعدة اقتصادية مكيّنة، وإن كانت المهمة عسيرة نتيجة لتحكم العامل الخارجي في الوضع العربي. المطلوب اليوم هو إعادة بناء الدولة الوطنية العربية بما يقتضي العمل على هياكلها البيروقراطية الإدارية من جهة، وهياكلها العسكرية من جهة أخرى، فهما ضمانتان للخروج من المأزق الحالي الذي انهارت فيه مؤسسات المجال العام، ولم تعد فيه الدولة تحتكر العنف المشروع نتيجة لتحكم الميليشيات المسلحة. ما نعتقده هو أن العالم العربي يحتاج إلى أكثر من إصلاحات سياسية ومؤسسية كما يقترح جلال أمين، بل إلى هندسة سياسية كاملة للتعامل مع أخطر تحدٍ يواجهه اليوم، وهو انهيار الدولة الوطنية في العديد من البلدان العربية، بما فيها بلدان محورية فاعلة في المنطقة. ما يتعين التنبيه إليه هنا هو أن إصلاح وتحديث مؤسسات الدولة، شكل أحد الأهداف الثابتة للحركات الإصلاحية التي عرفتها المجتمعات العربية الإسلامية منذ نهاية القرن الثامن عشر، وقد تركزت أوانها على إصلاح المؤسسات العسكرية والإدارية باعتبارهما دعامتي الدولة، بيد أن المسار التاريخي للعالم العربي لم يعرف الاتجاه الذي سلكته المجتمعات الأوروبية الحديثة، حيث برزت الدولة السيادية في القرن السادس عشر قبل أن تتشكل الأمة بمفهومها المعاصر كتعبير عن الجسم الجماعي، ثم تتشكل قاعدتها الشرعية على أساس القانون الكلي المكرس للحرية الفردية وللمساواة الأصلية.

صحيح أن ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية حافظتا على بعض الخصوصيات في هذا المسار، إذ لم تستطع ألمانيا أن تحسم العلاقة بين الأمة والدولة في فترات كثيرة، ولذا كان التردد قائماً بين الصيغة الإمبراطورية القومية والدولة الوطنية غير المكتملة، في حين اتسمت الولايات المتحدة بازدواجية الدولة - الأمة والدولة - العالم بالنظر لمسار تشكلها غير القومي وطموحها الأصلي لتكون قبلة العالم وقائدته نحو الحرية والرفاهية.

في العالم العربي لم يكن مأزق الدولة الوطنية متولداً لا عن أسباب أنثروبولوجية اجتماعية (التركيب العصبية الأبوية للمجتمع) ولا عن أسباب دينية (تعارض مفهوم الأمة الحديث مع مفهوم الأمة الإسلامي)، بل عن اختلالات الهندسة السياسية للدولة العربية الحديثة في ترتيب العلاقة بين المكونات الثلاثة للحدث السياسي: الدولة السيادية، والأمة القومية، والشرعية القانونية للحكم. لقد انقسمت البلدان العربية إلى ثلاثة نماذج كبرى: بلدان سعت إلى تطوير البنيات السياسية التي أحدثتها الاستعمار الأوروبي في اتجاه بناء هويات وطنية مندمجة، وبلدان كرّست الانقسام بين الدائرة السياسية للدولة ودائرة الأمة بمفهومها القومي الأوسع، وبلدان سعت إلى تطوير الأشكال التقليدية للدولة السابقة للاستعمار.

في الحالة الأولى أحدثت الأنظمة العسكرية التي وصلت إلى السلطة في أغلب هذه البلدان خللاً عميقاً في تطور النظام السياسي بإنهاك وإضعاف الهياكل البيروقراطية للدولة التي هي التعبير عن المجال العمومي وأرضية الشرعية السياسية. وفي الحالة الثانية، تحولت الدولة الوطنية إلى مجرد «قطر» حسب المصطلح الدارج في الأدبيات العروبية، أي مجرد كيان سياسي محدود الشرعية والمرجعية التاريخية، يفتقد إلى الأرضية المجتمعية، بما يعنى الانقسام الخطير بين محدد الهوية المتميزين: الدولة والأمة. وفي الحالة الثالثة، نلاحظ أن هذه البلدان نجحت إجمالاً في معادلة الاستقرار السياسي والتنمية الاجتماعية، وتجنبت الانقسام مع أرضيتها المجتمعية، ولا تزال في طور عملية التحديث السياسي التي اقتضاها الوضع الاجتماعي الجديد. ما نستخلص من هذا الاستعراض هو أن تجارب الهندسة السياسية العربية الراهنة عانت من ثغرة كبيرة هي ائتلاف التنظيمات والأحزاب القومية الراضية لشكل الدولة الوطنية والاتجاهات السياسية التي قوضت عملياً المرتكزات المؤسسية للدولة. المطلوب اليوم هو إعادة بناء الدولة الوطنية العربية بما يقتضي العمل على هياكلها البيروقراطية الإدارية من جهة، وهياكلها العسكرية من جهة أخرى، فهما ضمانتان للخروج من المأزق الحالي الذي انهارت فيه مؤسسات المجال العام، ولم تعد فيه الدولة تحتكر العنف المشروع نتيجة لتحكم الميليشيات المسلحة.

قالت لي إحدى القيادات السابقة لحزب «البعث» العربي الاشتراكي في العراق: «لقد كنا رافضين بشدة للدولة الوطنية التي نسميها حالة قطر غير شرعية، فظهر لنا أننا عندما عجزنا عن بناء هذه الدولة، كان البديل هو الكيانات الطائفية والعشائرية، لا الدولة القومية التي أصبحت أفقاً بعيد المنال».

المجتمع العربي مهدد بالقتل !

*طيبة فواز الطيب

المركز الديمقراطي العربي : ٢٠١٨/١٠/٩

إن الرأي العام هو حق بشري يحمله كل مواطن عربي له آراء ومواقف ضد مواضيع عديدة منها الدين، السياسة، المجتمع. لكن مع الاسف أصبحت الحرية الشخصية وإبداء الرأي ممنوعة في مجتماعتنا العربية مجتمع منقب تحت شعار الدين الإسلامي الذي طالما شوهدت سمعت الإسلام ديننا السموح خلال السنوات الماضية.

إن الإعلام والصحافة هي السلطة الرابعة بعد سلطات الدولة الأخرى، لكن في مجتمعنا هذا السلطة منبوذة وغير محببة لهذا. أن أبدي رأيي في موضوع، وخاصة إذا كانت تمس الطبقة السياسية، فهذا خطر على حياتي، بل على عائلتي" لأنه وبكل بساطة لديه جميع الأدلة والإثباتات حول موضوع معين لشخصية سياسية مرموقة في المجتمع السياسي هذه الأدلة ستدفعه الثمن الذي سيدلي بفقدان حياته!

عن جمال خاشقجي أتحدث الكاتب السعودي الذي تحدثت مصادر تركية في إسطنبول أنه قتل في القنصلية السعودية في تركيا الذين كان مفقود في الأيام القليلة الماضية، وقالت مصادر تركية أخرى إنه قُتل بعد تعذيب، وتم تقطيع جسده ورميه، وقد صورت هذه الجريمة لتكون دليلاً على حذفه، في الحقيقة إن هذه الجريمة كانت داخل القنصلية السعودية التي تعتبر ضمن حدود وسيادة السعودية كما درسناها في الدبلوماسية، لذا تركيا حالياً لا تستطيع فعل شي يذكر لهذه الحادثة المفبركة من جهات غير معروفة الذي يتهم بها جهات سعودية إن ولي العهد السعودي الأمير سلمان وراء هذه الحادثة المفزعة، إذ يتلقى ولي العهد السعودي انتقادات عديدة بعد تحالفه مؤخراً مع الولايات المتحدة، وتأييده لترامب عندما قال أنتم مدينون لنا" لأننا من يقدم لكم الأمان، وقال حقوقيون سعوديون ينتقدون الأمير سلمان على إشارات بترامب والتعاون معه ودفع له الأموال للحفاظ على علاقاتهم وأمنهم ويتهمون بالفساد! إذ يصرحون لوسائل الإعلام أنه لا داعي لدفع الأموال التي هي من حق المجتمع السعودي ومشاريعه التنموية.

هذا الاستهداف لا يشمل خاشقجي فقط" فهناك كثير من الصحافيين العرب والناشطين أيضاً لا يمتلكون حرية ومساحة للتعبير عن آرائهم، وإذا تخطوا حدودهم استهدفوا عبر تهديدات من جهات تعمل لمصالح شخص ما وأجبروا على ترك بلدانهم وعوائلهم لحماية حياتهم.

إن الحرية الشخصية خاصة بالشخص نفسه، وأن الله هو الوحيد الذي يتولى عقابه ليس الناس إذا لم تتقبل أو تحب شخصية فرد أنت غير مجبور لرؤيته أو متابعتة أو الاهتمام به، وإذا أردت المساعدة قدم النصيحة فقط هذه هي صلاحيتك، أما أن تقتل نفساً لن تؤذيك" فهذا غير واقعي، وغير مُرضٍ لله سبحانه وتعالى، هذا ما حدث للنساء، وحتى قسم من الرجال في العراق جرائم القتل الذي رأيناه مؤخراً في العراق باستهداف الموديل وأصحاب مراكز التجميل الخاصة بالنساء، وحتى الرجال الذي أدى إلى خروج عدد كبير من المشاهير العراقيين إلى خارج البلاد، الذي حققت في جرائم قتلهم من قبل الحكومة، لكن إلى الآن لا أحد يعلم حقيقة قتلهم وما هي الدوافع لذلك!؟

حوادث أخرى كثيرة في عالمنا العربي الذي يعاني من مرض خبيث وهو الخوف تحت راية الإسلام الذي شوهدت صورته منذ مزجه بالسياسية، والمصالح المتعلقة بالمكانة والمنصب. هؤلاء الناس الذين لم يفعلوا شيئاً سوى التعبير عن شخصياتهم وآرائهم، التي هي حق من حقوقهم المشروعة في إطار حياتهم وأعمالهم فقدوا حياتهم بطرق بشعة.

شيطنة التغيير وتبرير الاستبداد

* محمد هنيدي

موسوعة "عربي 21": ٢٠١٨/١٠/٩

لماذا تُشَيِّطُ الثورات ولماذا كل هذا التهجم على ربيع الشعوب؟ لماذا نجعل من التجربة العربية الأنصع في التاريخ الحديث مثالا للفشل ودرسا في الدمار ومدعاة للندم؟
ينشط اليوم على الساحة الإعلامية خطاب تقريعي يتجلى في الهجوم الإعلامي والرسمي الشرس على مُخرجات الربيع العربي وتصويرها على أنها السبب الأساسي لما آلت إليه الأمور في المنطقة، حيث تتعمد مصادر كثيرة الربط السببي بين تمدد حالة الفوضى وانتشار الاقتتال وبين المطالب التي رفعتها الشعوب منذ حوالي ثماني سنوات تقريبا.
إنها ببساطة شديدة تعمل على إقناع المخاطب بأن الثورات العربية لم تجلب غير الفوضى والخراب وأنها لم تحقق نتيجة إيجابية واحدة. هذا الخطاب لا يقتصر على منصات إعلامية أو مواقف رسمية بعينها بل يشمل كذلك مواقع التواصل الاجتماعي ومنصات أخرى غير رسمية.

واقع متأزم

أولا يتأسس خطاب الشيطنة على الواقع المرئي المتأزم في المشهد العربي، أي أنه يجعل من المعيش اليومي للفرد والجماعة مستندا مبدئيا لخطابه دون الغوص في الأسباب الحقيقية والتراكمات العميقة التي أدت إليه لأنه لا يمكن منطقيًا أن نفسر رهن التردّي العربي بأحداث تعود إلى أقل من عقد من الزمان. فقد يكون من المنطقي القول بأن دور الثورات كان دورا المسرّع للوضع العام لكنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون مصدر الحالة نفسها وسببها.

إن حالة الفوضى العربية حالة قديمة نسبيا لأنها تعود في أقطار عربية معينة إلى طبيعة الأداء السياسي والاقتصادي للنظام الرسمي منذ نشأته في منتصف القرن الماضي. فكيف يمكن أن نقفز على أكثر من نصف قرن من الزمان لنحصر المشهد في حادثة لا يتجاوز عمرها ثماني سنوات؟

لا يخفى على أحد أن هذا الخطاب يرتبط بشديد الارتباط بالسلطة الحاكمة ومنصاتها الإعلامية والفكرية لأنها الخاسر الأكبر من موجات التغيير ومطالب الحرية والمساواة. فمطلب التغيير بما هو أساسا مطلب شعبي جماهيري إنما يستهدف رأس النظام الرسمي العربي في شكله السياسي وليس شعار "الشعب يريد إسقاط النظام" إلا خير دليل على ذلك.

شيطنة التغيير

لكن الأخطر في هذا الخطاب هو تماهيه مع آليات أخرى استعملتها السلطة السياسية من أجل جعل التغيير وجعل المطالبة به من أكبر المحرمات. فإذا كان سقوط النظام من أسوأ كوابيس النظام فإن الحيلولة دون وقوعه تعدّ من أهم وظائفه ومن أسمى أهدافه.

في كل تجارب التغيير العربية سلمية كانت أو غير سلمية حرص النظام على جعلها درسا في التوحش والدموية بهدف منع تجدها وجعلها عبرة للتجارب المحتملة المقبلة. ففي الجزائر تحولت "العشرية السوداء" إلى كابوس وطني يربع الجزائريين وصار حاجزا نفسيا أمام كل مبادرة لتغيير النظام. في سوريا مثلت تجربة حماه مجزرة بشعة جعلت من النظام قدرا لا فكاك منه وهو نفس النظام الذي يعيد اليوم ذات الدرس بوحشية نادرة من أجل أن تتحول فرصة التغيير إلى حمام من الدم والأشلاء. أما في مصر فإن القمع الذي واجهت به الآلة العسكرية ثورة يناير تشكل هي الأخرى نموذجا في شيطنة التغيير وفي وأد أي مخرج سلمي من الحالة الاستبدادية.

عسكرة الثورات

ليس هدف النظام الرسمي إلا البحث في تشويه النماذج الثورية سواء بشيطنتها ووسمها بالخيانة أم عبر تسليحها من الداخل ليبرر قمعها والقضاء عليها. فمن ناحية أولى ترفض السلطة السياسية العربية أي إصلاح داخلي جدي ثم هي تسحق كل مطالبة بالتغيير لكي تفتح الباب على كل أشكال الفوضى الممكنة مثلما هو الحال في أغلب الأقطار العربية.

لكن خطاب شيطنة التغيير يجد صداه في مستويات أبعد من هذا بكثير فهو لا يقتصر على منع سقوط النظام الرسمي بل يهدف أيضا إلى جعل الواقع المرير قدرا لا خلاص منه في ذهن العامة من الناس، حيث لا يستمد النظام شرعية وجوده من الأداء السياسي والاقتصادي والاجتماعي بقدر ما يستمدها من قدرته على كسر عزيمة المطالبين بواقع أفضل.

يكاد اليأس يسيطر اليوم على المشهد العربي وخاصة على قواه الثورية بعد مرارة التجربة الأخيرة التي لم تكتمل بعد فرغم كل الاحتقان الاجتماعي ورغم كل الوعي بفساد النظام ورغم كل المعاناة اليومية لملايين السكان فإن الخوف من الأسوأ صار يشكل حاجزا سميكا أمام كل مبادرة للحركة والفعل. كيف يمكن أن ترضى مئات الملايين من الجماهير المسحوقة بواقعها الأليم وكيف يمكن أن تصبر كل هذا الصبر على عقود من الفساد والتجهيل والتفكير والقتل والتشريد؟

الاستعداد إلى زوال

لكن مهما بالغت السلطة السياسية في الهروب إلى الأمام وفي منع كل شروط التغيير السلمي فإن حركة التاريخ سيكون لها رأي آخر. إذ لا يمكن لأي نظام قمعي مهما بلغ من القسوة والعنف أن يمنع شروط التغيير الاجتماعي ما لم يصنع هو نفسه الشروط الحقيقية التي تضمن له البقاء، حيث لم تصمد في التاريخ الحديث والقديم أعتى الأنظمة المستبدة لأنها بكل بساطة لا تمتلك شروط البقاء.

بناء عليه فإذا كانت شيطنة الربيع العربي بما هي جزء من منطق النظام الاستبدادي ومن خطابه قادرة على تأمين هيكل النظام لفترة تاريخية ما فإنه من المستحيل أن تنجح في منع سقوطه يوما ما. بل إن كل المؤشرات تؤكد عجز المنطق السياسي العربي عن تجديد نفسه وتجديد آلياته بشكل يؤشر على بلوغه نقطة اللاعودة ووصوله إلى درجة الانقطاع. وهو وضع تعكسه حالة التخبط والهيجان التي تعترى الفعل السياسي العربي داخليا وخارجيا لتجعل منه اليوم جسدا في مرحلة متقدمة من التحلل والانكسار بشكل يؤكد أنه يعيش آخر أطواره.

القوى الكبرى وسراب الهيمنة العالمية

*مارتن سيف

موقع <ستراتيجيك كلتشر>: ٢٠١٨/١٠/٩

يظهر القادة، وصانعو السياسة، والسياسيون والخبراء الأمريكيون ولعاً بالتحدث عن السيطرة التي يتخيلون أن الولايات المتحدة تتمتع بها في العالم اليوم، فيصفون هذه السيطرة المتخيلة بأنها «لحظة القطب الواحد». إن ما يغيب كلياً عن هذا التخيل هو وقائع تاريخية مزعجة. إذ إن «لحظة القطب الواحد» الأمريكية دامت أقل من عقد: منذ تفكك الاتحاد السوفييتي في نهاية ١٩٩١ وحتى ١٥ يونيو ٢٠٠١. ففي ذلك اليوم التاريخي، شهد العالم حدثين كبيرين. أولاً، تعهد الرئيس الأمريكي جورج بوش في خطاب ألقاه في وارسو بضم دول البلطيق الثلاث (إستونيا ولاتفيا وليتوانيا) إلى حلف الأطلسي. ولكن في ذلك اليوم ذاته، أنشأت روسيا والصين وأربع دول في آسيا الوسطى منظمة شنجهاي للتعاون، التي أصبحت اليوم المنظمة الأمنية الدولية الأقوى والأكثر تعداداً للسكان في التاريخ. فمع انضمام الهند وباكستان إلى هذه المنظمة العام الحالي، باتت منظمة شنجهاي تضم ٣ مليارات إنسان، أي حوالي ٤٠٪ من سكان الكوكب. وفي اللحظة ذاتها التي شهدت إنشاء منظمة شنجهاي للتعاون - التي كان هدفها منذ لحظتها الأولى ضمان وجود عالم متعدد الأقطاب - انتهت لحظة القطب الواحد الأمريكية.

وعندما شنّ تنظيم «القاعدة» هجماته الإرهابية على الولايات المتحدة يوم ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١، مما أسفر عن مقتل نحو ٣٠٠٠ شخص، كان الرئيس جورج بوش الابن يتخيل أن لحظة القطب الواحد الأمريكي لا تزال مستمرة، فغزا أفغانستان، وأتبع ذلك بعد سنتين بغزو العراق. ولكن الولايات المتحدة لا تزال حتى اليوم تتخبط في هاتين الحريين وتداعياتهما. والسبب هو أن ساسة ومفكري ووسائل إعلام أمريكا تجاهلوا دروس التاريخ. وفي الواقع، على مدى نصف الألفية الأخيرة، كانت هناك عدة لحظات قطب واحد سعت خلالها قوى كبرى إلى الهيمنة العالمية، ولكنها انهارت جميعاً بعد سنوات قلائل فقط.

عندما ألحقت إسبانيا أباطرة آل هابسبورج وحلفاؤها هزيمة حاسمة بأسطول الإمبراطورية العثمانية الجبارة في معركة لوبانتو عام ١٥٧١، بدا أن إسبانيا ضمنت هيمنتها الإمبراطورية على أوروبا. ولكن حروب إسبانيا الأوروبية في العقود القليلة التالية استنزفت قوتها، ثم جاء تحطيم أسطول «الأرمادا» الإسباني الجبار أمام سواحل بريطانيا عام ١٥٩٨ لتنتهي بذلك لحظة القطب الإسباني العالمي الواحد.

ثم جاء الدور على فرنسا، التي حققت السيطرة الأوروبية مع معاهدة وستفاليا في ١٦٤٨، ولكن «الملك الشمس» لويس الرابع عشر، الذي كان مهووساً بتحقيق الأمجاد، استنزف قوة فرنسا في سلسلة حروبه. ثم جاء دور بريطانيا، التي أدركت أنها لن تستطيع تحقيق السيطرة العالمية بعد انهيار القوة الفرنسية، فرضت للواقع وتقاسمت السلطة العالمية مع القوى الأوروبية الرئيسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر: روسيا، وبروسيا، وإمبراطورية النمسا والمجر.

وفي النهاية - عام ١٨٤٨ - أسقطت الثورات الشعبية الليبرالية حكم الأباطرة والملوك في روسيا، وبروسيا، وإمبراطورية النمسا - المجر. وعندئذ، ظن البريطانيون، مثلما سيظن الأمريكيون في سنوات ١٩٨٩ - ١٩٩١، أن لحظة قطبهم الواحد قد حانت أخيراً، وأنها سوف تدوم إلى الأبد - خصوصاً أن العالم أخذ يتطلع إلى لندن طلباً للتوجيهات.

ولكن لحظة القطب الواحد البريطاني لم تدم طويلاً. فبحلول العام ١٨٧١، نجح مستشار بروسيا الحديدي أوتو فون بيسمارك في توحيد ألمانيا، فشن حرباً قضت على القوة الفرنسية، وأذل بريطانيا بإخراجها من البر الأوروبي. وقد سنل بيسمارك ماذا سيفعل إذا عاد الجيش البريطاني إلى البر الأوروبي، فأجاب بأنه سيرسل قوة شرطة لاعتقال جنوده. ولكن ألمانيا الجبارة ما لبثت أن انهارت في نهاية الحرب العالمية الأولى. وعندئذ ظنت بريطانيا مرة أخرى أنها سوف تستعيد عظمته، إلا أنها اصطدمت بألمانيا هتلر منذ ١٩٣٣. وتزامن ذلك مع صعود اليابان الإمبراطورية في ثلاثينات القرن العشرين. وفي أواخر القرن العشرين، عندما تفكك الاتحاد السوفييتي، ظنت أمريكا أنها باتت القطب العالمي المهيمن الوحيد. ولكن حروبها منذ ٢٠٠١ أفلستها واستنزفت قوتها.

ويفترض أن هذا لم يكن مفاجئاً: فكما حذر الفيلسوف الألماني فريدريش هيغل، فإن «الشيء الوحيد الذي نتعلمه من التاريخ هو أننا لا نتعلم شيئاً من التاريخ».

*صحفي وكاتب واستشاري إعلامي أمريكي

منجز إنساني رائع

*د. محمد نورالدين

صحيفة (الخليج) الإماراتية: ٢٠١٨/١٠/٩

تقاطر زعماء العالم إلى نيويورك لعرض وجهات نظرهم من على منبر الأمم المتحدة. وهي الفرصة التي ينتظرونها سنوياً ليُطلوا على العالم أجمع من أعلى منبر دولي. كما هي مناسبة ليلتقوا مع زعماء دول آخرين من النادر أن يلتقوا بهم خارج هذه المناسبة.

من الطبيعة البشرية أن الإنسان عندما تكاثرت شعراً بالحاجة لمن ينظم أموره وشؤونه وخلافاته. فكان الاحتكام إلى زعيم العشيرة أو القبيلة، لكن هذا لم يكن كافياً فاخترع ما نسميه الآن الدولة أو السلطة، بما هي مؤسسة تنظم حياة ما سُمي لاحقاً بالشعب وعلى أرض محددة.

فالإنسان لا يمكن أن يعيش من دون أطر تنظم حياته وترعاها. والنبي العربي محمد عليه الصلاة والسلام فعل الشيء نفسه عندما انتقل من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة. فالرسالة والأفكار لا بد من ناظم لها في مؤسسة هي الدولة، فأنصرف في المدينة المنورة إلى إنشاء الدولة ووضع دستورها الاجتماعي المسمى بـ «صحيفة المدينة»، أو فقط «الصحيفة». لم تمر البشرية والدول التي تأسست، بمرحلة كذلك التي شهدتها بعد الحرب العالمية الأولى "تأسيس عصابة الأمم. للمرة الأولى في التاريخ تنشأ منظمة، تضم إلى حد ما جميع الدول أو على الأقل الدول القوية المؤثرة في العالم، سواء منها المنتصرة أو المهزومة في الحرب العالمية الأولى.

وقد لعبت هذه المنظمة التي تأسست عام ١٩١٩ واتخذت جنيف مقراً لها، دورها بين الحريين العالميتين. وبمعزل عن نجاح أو فشل هذه المنظمة، فقد كانت مرجعية تُحال إليها الخلافات الدولية، فتنجح تارة وتفشل تارة، ولكنها كانت عنواناً لاختراع صيغة جديدة للعلاقة بين الدول والمجتمعات والأمم. ومع أن الكلمة الأخيرة الراجحة كانت إلى جانب الأعضاء الوازنين فيها، مثل بريطانيا وفرنسا، لكنها أسهمت في التقليل من الحروب وفي تفكيك العديد من الأزمات. انهارت عصابة الأمم باندلاع الحرب العالمية الثانية، وتأسست مكانها في نهاية الحرب ما تُسمى بـ «الأمم المتحدة»، وهي المنظمة التي لا تزال قائمة حتى الآن.

الفارق بين عصابة الأمم والأمم المتحدة، هو أن الدولة الأقوى في العالم "أي الولايات المتحدة، انضمت إلى الأمم المتحدة بعدما لم تكن عضواً في عصابة الأمم. ليس ذلك فقط" بل نجحت في نقل مقرها من جنيف إلى نيويورك. وهذا بالطبع عكس موازين قوى كانت الولايات المتحدة هي الأقوى فيها، على الرغم من أن جنيف كانت الأنسب جغرافياً لكل الدول لموقعها الوسطي في العالم.

تميزت الأمم المتحدة بانضمام كل دولة نالت استقلالها، بحيث تغطي اليوم عدد أعضائها مئتين. أكثر من ذلك فقد حظي عدد من المؤسسات والمنظمات بصفة مراقب في الأمم المتحدة، في انعكاس لاحتضان المنظمة لكل العالم. لا يختلف اثنان على أن القوي يمكنه أن يفرض إرادته بأكثر من وسيلة، ومع ذلك فإن إعطاء حق الفيتو للدول القوية فرض نوعاً من التوازن حال دون هيمنة طرف دون آخر على المنظمة الدولية. وعندما يطالب البعض بإلغاء حق النقض الفيتو، إنما يشرع الباب أمام معادلة جديدة تفتح أمام فوضى واسعة ويصبح لدول صغيرة أن تتحكم بالقرارات المصرية في العالم، وهو أمر لا يتناسب مع موازين القوى. حتى المطالبة بتمثيل إضافي مع حق الفيتو لكتلها، مثل منظمة التعاون الإسلامي، ومنظمة الدول الإفريقية، غير واقعي" نظراً لأن أعضاء هذه المنظمات غير متفقين فيما بينهم. لا شك أن استمرار تحكم الأعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الأمن، بقراراته أمر غير عادل، لكن الحل يوجب اجتراح صيغة خلاقة غير متفق عليها بعد.

رغم كل ذلك، فإن الهيئة العامة للأمم المتحدة أصدرت الكثير من القرارات خارج رقابة مجلس الأمن الدولي، التي عكست ميول الأكثرية من الدول في العالم الثالث، كما أن المنظمات التابعة للمنظمة الدولية مثل اليونسكو، والفاو، وغيرهما، أسهمت بشكل رائع في تطوير وحماية القدرات الإنسانية والعلمية والثقافية والصحية والبيئية، ومكافحة الأمراض في العالم. ومهما اتفقنا على لا عدالة العديد من القرارات في الأمم المتحدة أو اتهامها بالعجز في موضوعات سياسية كثيرة، لكن هذه المنظمة تبقى منجزاً إنسانياً فريداً من نوعه، يتوجب الحفاظ عليه وتطويره ليكون أكثر عدالة وفاعلية

"تشومسكي وحوار الأزمات المختلفة"

المركز الكردي للدراسات : ٢٠١٨/١٠/١٠

أجرى المفكر المعارض وعالم اللغويات البارز والأستاذ الأكاديمي المخضرم نعوم تشومسكي، حواراً مع إذاعة "إنترسبت" الأمريكية، تناول الأزمات المختلفة بداية من حرب أفغانستان ومروراً بأزمات سوريا واليمن وكوريا الشمالية وحتى الانتخابات الأمريكية.

وقال "تشومسكي"، في حوارهِ، إن "هناك عدد كبير من الاختلافات في سياسات الرئيس الأمريكي الحالي دونالد ترامب عن سياسات سابقه، ولكن هناك أيضاً استمرار لبعض السياسات التي اتبعتها الإدارات الأمريكية السابقة. وعلى الساحة المحلية، ترامب فعال بشكل كبير جداً، نجح في إدارة دوائره الانتخابية".

وأضاف "تشومسكي": "هناك دائرة أصيلة من قوة الشركات والثروة الخاصة، يتم خدمتها بشكل رائع من خلال الأوامر التنفيذية والبرامج التشريعية التي يتم تطبيقها، والتي تمثل الجناح الأكثر وحشية من السياسات الجمهورية التقليدية - التي تلبي المصالح الخاصة والثروة الخاصة، وتستبعد كل ما هو غير ذي صلة ويسهل التخلص منه".

وتابع عالم اللغويات الشهير: "وفي الوقت نفسه، تمكن ترامب من الحفاظ على دائرة التصويت عن طريق التظاهر، بفاعلية كبيرة، بأنه الشخص الوحيد في العالم الذي يقف وراءهم ضد النخب المكروهة. وهذا أمر مثير للإعجاب. كم من الوقت يمكنه الاستمرار في هذا التظاهر؟

أنا لا أعرف. أما على الساحة الدولية، فالواقع أكثر إثارة للاهتمام، فهو يتعرض للانتقاد لاتخاذ مواقفه، من وجهة نظري، معقولة جداً. لذا، على سبيل المثال، في حالة كوريا: الكوريتان، في ٢٧ أبريل الماضي خرجنا بإعلان تاريخي، وضعنا فيه خطط واضحة إلى حد ما للتحرك نحو المصالحة والتكامل وإخلاء شبه الجزيرة الكورية من الأسلحة النووية".

ورداً على سؤال حول أن زعيم الكوريتان صنعنا التاريخ بأول زيارة لزعيم كوريا الشمالية إلى جارتها الجنوبية منذ بدء الحرب في ١٩٥٠، أشار "تشومسكي" إلى أن "الجميع كان يتواصل مع الغرياء، وهذا يعني أن الولايات المتحدة سمحت لهما بالمضي قدماً، حسب تعبيرهم، من تلقاء أنفسهم ووفقاً لشروطهم. وحتى الآن لم يتدخل ترامب كثيراً في هذا الأمر، وأعلن مؤقتاً إلغاء المناورات العسكرية التي قال بشكل صحيح أنها استفزازية للغاية. لقد تعرض للانتقادات على ذلك، لكن هذا هو الموقف الصحيح الذي أعتقد أنه كان يجب اتخاذه. في الوقت الحالي، الرئيس مون كان موجوداً في كوريا الشمالية، وإذا استطاعوا التوصل إلى خطوات إيجابية من تلقاء أنفسهم كما طلبوا، فإن ذلك سيكون مفيداً جداً". وقال "تشومسكي": "في حالة روسيا، الأمر أكثر تعقيداً. في الواقع، كانت سياسات ترامب ذات شقين، وواصلت إدارته سياسات بناء القوات العسكرية على الحدود الروسية، وأجرت مناورات عسكرية، وزادت التوترات في أجزاء بالغة الخطورة من العالم. لكنه في نفس الوقت، ومن ناحية أخرى، اتخذ أيضاً خطوات تصالحية إلى حد ما نحو الحد من التوتر. ولهذا السبب مرة أخرى، تم انتقاده. وعلى الرغم من ذلك، أعتقد أن هذا هو الشيء الصحيح الذي ينبغي عمله. وفيما يتعلق بمسائل أخرى تتعلق بالمسائل، فقد مرّق اتفاقات دولية مهمة، وكان أهمها الاتفاق النووي الإيراني".

وعلق "تشومسكي" على تصريحات الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، التي أعلن فيها الانسحاب من الاتفاق النووي الإيراني وفرض عقوبات اقتصادية جديدة على إيران، قائلاً: "حدث هذا بمعزل عن العالم بأسره في هذه الحالة، وهذا أمر خطير للغاية. والأخطر من ذلك كله، وهو ما طغى على كل شيء آخر، هو الانسحاب من مفاوضات باريس بشأن اتفاقية المناخ".

ويرى "تشومسكي" أن الولايات المتحدة باعتبارها الدولة الوحيدة في العالم التي ترفض رسمياً اتخاذ خطوات صغيرة حتى للتعامل مع أزمة وجودية حقيقية، بالإضافة إلى اتخاذها برامج محلية تسبب زيادة سريعة في استخدام أخطر أنواع الوقود الأحفوري، وغير ذلك من الأمور التي ما هي إلا مجرد سباق على تحقيق كارثة محتومة، وهذا حتى الآن أخطر التحركات ضد المبادرات لتقويض ما يدعى بشكل فضفاض النظام الدولي".

واستطرد العالم الأمريكي الشهير: "إن طرح الأسئلة حول حلف "ناتو"، على سبيل المثال، هو أمر معقول للغاية. قد يسأل المرء بالتأكيد لماذا يوجد حلف الناتو حتى بعد انهيار الاتحاد السوفييتي - ولا يعني ذلك أنه لم يكن هناك تساؤلات من قبل، بل كان هناك - ولكن القصة الرسمية كانت هي أن حلف شمال الأطلسي كان في مكانه للدفاع عن الغرب ضد جحافل روسيا، والتي بعيداً عن صحة هذه الرواية، كانت هي الموقف الرسمي". وتابع: "صحيح أنه بعد انهيار الاتحاد السوفياتي كانت هناك فترة سيطرت الولايات المتحدة فيها بشكل كبير على ما كان يحدث في روسيا والمنطقة المحيطة بها. ثم توسع حلف الناتو، وانهار الاقتصاد الروسي تماماً في ظل الإصلاحات الصارمة المفروضة على السوق. كان هناك انهيار جذري للاقتصاد، وزيادة حادة في معدل الوفيات. كانت روسيا مدمرة حقاً. عندما جاء بوتين، هو ليس شخص لطيف، لا أود تناول العشاء معه، لكن يمكنك فهم سياساته. كانت سياساته هي محاولة استعادة بعض الدور لروسيا على الأقل في منطقتها من العالم، والتي قد نتذكر أنها كانت طرق الغزو التقليدية التي تعرضت من خلالها روسيا لهجمات مدمرة عدة مرات في القرن الماضي".

وتابع "تشومسكي": "إذن، هذا ليس سؤالاً صغيراً. نعم، يحاول بوتين استعادة قدر من القوة الروسية في العالم، إلى درجة ما من السلطة الروسية. والامتداد الوحيد لذلك، في الواقع، هو الموقف الروسي في سوريا. كل هذا يتعدى على الهيمنة العالمية للولايات المتحدة، وثانياً على حلفائها التي هي، نوعاً ما، أصبحت قاعدة. القاعدة هي، "نحن نحكم كل شيء"، وإذا حاول شخص آخر التحكم في منطقة نفوذهم، فإن هذا يخل بالنظام الدولي. وهذا، من وجهة نظر معينة، كذلك بالفعل".

وأشار اللغوي الأمريكي إلى أنه "إذا ألقيت نظرة على القوة الروسية مقارنة بالولايات المتحدة، فهذا أمر يبعث على السخرية. هناك مؤشر واحد فقط: زيادة ميزانية ترامب في ميزانية الدفاع تقترب من الميزانية العسكرية الروسية بالكامل. لذا، فإن فكرة استيلاء روسيا على العالم أمر سخيف. ما يعنيه ذلك هو أنهم يحاولون، بطرق تستحق الإدانة، استعادة قدر من النفوذ الروسي في المنطقة المحيطة بروسيا بالإضافة إلى سوريا، قاعدتهم المتوسطة المشتركة. ومحاولة تأسيس مكان لروسيا في النظام العالمي، أضعف بكثير من الولايات المتحدة، وأضعف من الصين. في الواقع، إحدى مشكلات روسيا الدولية تتمثل في منعها من أن تغمرها القوة الصينية. هذا هو نوع الإخلال بالنظام الدولي المنسوب إلى روسيا".

ورداً على سؤال بشأن ما يمكن أن يعتبره من وجهة نظره موقف عادل لمواجهة الحرب في سوريا، قال "تشومسكي": "النقطة الأولى التي يجب وضعها في الاعتبار، والتي ذكرتها سابقاً، هي أن الأسد مجرم حرب فظيع. الجزء الأكبر من الفظائع، التي هي هائلة بالفعل، هي مسؤوليته. لا يوجد مبرر للأسد لما يرتكبه. من ناحية أخرى، حقيقة الأمر هي أنه يتحكم بشكل أساسي في سوريا الآن، ويرجع الفضل في ذلك إلى حد كبير إلى الدعم الروسي الجزئي الإيراني". وأضاف: "لقد دخل الروس فعلياً إلى سوريا على نطاق واسع بعد أن وفرت الاستخبارات الأمريكية السلاح لقوات الثوار التي تديرها في الغالب عناصر جهادية، وقدمت لهم صواريخ متطورة مضادة للدبابات كانت تحبب الجيش السوري عند هذه النقطة، حيث دخل الروس بالقوة الجوية وطغت قوتها على المعارضة. الوضع الحالي هو أن الأسد قد فاز بالحرب إلى حد كبير. أعجبنا ذلك أم لا.. كانت هناك في المراحل المبكرة معارضة ديمقراطية علمانية، محترمة جداً، لكنها سرعان ما طغت عليها العناصر الجهادية المدعومة من الخارج - المملكة العربية السعودية وقطر والولايات المتحدة وآخرين. هناك كارثة إنسانية معلقة في إدلب، المقاطعة التي كان الجهاديون فيها - المكان الذي طردوا منه أو فروا. إذا كان هناك هجوم روسي سوري فإنه يمكن أن يكون كارثة إنسانية كاملة. هناك بعض المؤشرات التي تشير إلى أن الروس والأتراك ربما يكونون قد حصلوا على منطقة آمنة يمكن لبعض المدنيين أن يفروا منها، لكن يبدو أن هذا الأمر شبيه بكارثة تتطور. إذا كانت هناك طريقة لمواجهة هذا الهجوم، فيجب اتباعها بالوسائل الدبلوماسية".

وتابع: "السؤال الحاسم الآخر هو وضع المناطق الكردية - روج آفا. في رأيي، من المنطقي للولايات المتحدة أن تحافظ على وجود من شأنه أن يردع أي هجوم على المناطق الكردية. لديهم جزء واحد من سوريا نجح في الحفاظ على مجتمع فعال مع العديد من العناصر اللائقة بمكونات المجتمع. وفكرة أنهم يجب أن يتعرضوا لهجوم من قبل الأعداء الأتراك، أو من قبل نظام الأسد، القاتل أعتقد أنه ينبغي فعل أي شيء لمحاولة منع ذلك. لا تسعى الولايات

المتحدة ، مثلها مثل القوى العظمى الأخرى ، إلى تحقيق الأهداف الإنسانية. إنها تسعى إلى تحقيق الأهداف التي تحددها اعتبارات السلطة ، وتؤدي إلى مواقف مختلفة فيما يتعلق بالکرد أو غيرهم في أوقات مختلفة". ويرى "تشومسكي" أنه "على سبيل المثال، في السبعينيات كان هناك وقت كانت فيه الولايات المتحدة تدعم الكرد ضد صدام حسين. وبعد فترة وجيزة، كان هناك اتفاق تمت فيه التضحية بالکرد لصالح صدام حسين. وأدى ذلك إلى التعليق الشهير لهنري كيسنجر بأنه لا ينبغي لنا الخلط بين السياسة الخارجية والنشاط التبشيري. صحيح تماماً أنه في تسعينات القرن الماضي، كان (كلينتون) يصب الأسلحة في تركيا لغرض شن هجمات هائلة قاتلة مدمرة ضد السكان الكرد في تركيا في الجنوب الشرقي - مدمرة بشكل هائل. وهذا لا يغير حقيقة أن الولايات المتحدة تستطيع الآن، بوجود صغير نسبياً، أن تردع الهجمات ضد الكرد في سوريا، التي يمكن أن تدمر الجزء الوحيد من سوريا الذي يعمل في الواقع بطريقة لائقة. نحن لا نتوقع الاتساق من الناحية الإنسانية من قوة عظمى لأن هذه ليست المبادئ التوجيهية".

وعن الوضع في أفغانستان، قال "تشومسكي": "رأبي الخاص الذي قد تتذكره في ذلك الوقت، هو أن استخدام القوة العسكرية في أفغانستان كان غير مناسب وغير شرعي. كانت هناك خيارات دبلوماسية - كان يمكن اتباعها - لكن الولايات المتحدة أرادت استخدام القوة. أعتقد أنه ربما أكثر وصف دقيق لما قامت به الولايات المتحدة كان من قبل عبدالحق - أحد أكثر الناشطين الأفغان المناهضين لطالبان والذين حظوا بالاحترام والذين قُتلوا في الواقع في أفغانستان - الذي عارض بقوة القصف الأمريكي كما فعل معظم المعارضين الأفغان، وقال إن الولايات المتحدة كانت تقصف لمجرد أنها أرادت إظهار عضلاتها وترويع أي شخص آخر وأنها تقوض جهود المقاومة الأفغانية المعادية لحركة "طالبان" لحل المشكلة بنفسها، وأعتقد أن تحليله كان صحيحاً. لقد مررنا الآن بـ ١٧ عاماً من المحاولات الفاشلة لفرض نظام يهيمن عليه الأمريكيون. هناك حركة سلام أفغانية. إنها ليست هائلة، لكنها مهمة. ينبغي علينا أن نفعل ما بوسعنا لدعمها، وأن نؤدي بها إلى إيجاد حل داخلي لأفغانستان، والتوفيق إلى أقصى حد ممكن مع الفصائل المتصارعة والمنقسمة عرقياً. إنها مشكلة غير عادية. أكبر ما يمكننا القيام به هو محاولة تسهيل الجهود بين الأفغان. لا أعتقد أن هناك الكثير الذي يمكن للولايات المتحدة أن تأمل في فعله بعد ذلك، وتبدو فكرة فرض حل عسكري بعيدة عن السؤال".

وقال "تشومسكي" إنه بالتأكيد لم تحقق الولايات المتحدة أي من أهدافها بعد إنفاق ضخم على الحرب، مضيفاً: "لذا، أعطها أي اسم تريده. أعني، قوة عظمى مثل الولايات المتحدة لم تنهزم، ولم تحقق أهدافها القصوى. لذلك، على سبيل المثال، لنأخذ فيتنام كمثال يكاد يكون معروفاً على مستوى العالم على أنه هزيمة للولايات المتحدة. ولكن إذا نظرت مرة أخرى إلى التخطيط الأصلي، فهذا يعود إلى أوائل الخمسينات، فلماذا أصبحت الولايات المتحدة متورطة في فيتنام، لم تكن هزيمة كاملة. لم تحقق الولايات المتحدة أهدافها القصوى لتحويل فيتنام إلى شيء مثل الفلبين، لكنها حققت هدفها الرئيسي المتمثل في منع فيتنام الجنوبية المستقلة من أن تصبح نموذجاً قد يتبعه الآخرون نحو تنمية مستقلة ناجحة. ربما تآكل نظام جنوب شرق آسيا بأسره في شرق آسيا، وهو ما كان يعني به المخططون في أوائل خمسينيات القرن العشرين".

وعن الوضع في اليمن، قال "تشومسكي": "تريد الولايات المتحدة ضمان إدراج اليمن ضمن نظام الدول العربية الرجعية التي تسيطر عليها الولايات المتحدة وتسيطر إلى حد كبير على المملكة العربية السعودية، الإمارات العربية المتحدة، التي تعتبر قوة عسكرية كبيرة بمعايير المنطقة وشرعية للغاية. يفترض أن الحوثي يحصل على قدر من الدعم الإيراني. اعتبار إيران كتهديد رئيسي في المنطقة أمر مثير للسخرية. كانت الولايات المتحدة وبريطانيا تتسلح وتتطور، وتدعم القوات العسكرية وأفعال المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة بالنتائج التي تصفها".

تطورات إستراتيجية مهمة

*د. عبدالمنعم سعيد

المركز الاقليمي للدراسات الاستراتيجية: ٢٠١٨/١٠/١٠

المراقبة من بعيد تجعل الأمور والقضايا والموضوعات أكثر شمولاً وكلية مما تبدو عليه في تفاصيلها الدقيقة. عن قرب تختصر الغابة في شجرة واحدة“ أما نظرة طائر ملحق فإن الخريطة لا تكون خطوطاً وإنما تعبير عن قارات كبرى. أربعة موضوعات لا تبدو مترابطة تراكمت خلال الفترة القصيرة الماضية:

أولها: أنه أثناء اجتماعات الأمم المتحدة وعقب لقاء مشترك بين الرئيس الأمريكي دونالد ترامب ورئيس الوزراء الإسرائيلي نيتانياهو ذكر الأول أنه وقد أصبحت «القدس» عاصمة لإسرائيل فإنه آن الأوان لحل الدولتين أن يطبق على القضية الفلسطينية. كانت تلك هي المرة الأولى التي يؤكد فيها ترامب حل الدولتين، وهو بالمناسبة يعيد قضية القدس إلى المفاوضات مرة أخرى“ وحينما أتى في اليوم التالي بقول إنه لا يمانع في حل الدولة الواحدة إذا ما رضى الطرفان، بذلك كان مفهوماً أن الرجل يلوح لإسرائيل بأن الفشل في تطبيق حل الدولتين لن يعنى إلا الحديث عن الدولة الواحدة بكل ما يترتب عليها من نتائج تجعل احتمالاً أن يكون رئيس وزراء الدولة اسمه «محمد». هذا كلام جديد في وقته، وفي كل الأحوال فإنه وسط الكثير من القضايا الأمريكية الخاصة بالإدارة الحالية ومعظمها حرج، فإن هذه الكلمات تعنى أن مبادرة ما سوف تأتي من جانب الولايات المتحدة خلال فترة ليست بعيدة.

وثانيها: أن وزارة الخارجية الأمريكية أعلنت أن وزير الخارجية «بومبيو» قد عقد لقاء مع ثمانية من وزراء الخارجية العرب من مجلس التعاون الخليجي لدول الخليج العربية الست بما فيها قطر وكل من مصر والأردن، وكان الغرض من الاجتماع الحديث عن ائتلاف عربي يواجه التهديدات التي تواجه منطقة الشرق الأوسط، ويعيد الاستقرار للمنطقة، ويدفعها إلى الرخاء والتقدم.

وثالثها: أن منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط شهدت مجموعة من الاتفاقيات التي تدعم موقع مصر كمركز للطاقة في المنطقة، وتنفيذ الاتفاقية التي جرت بين شركة دولفيناس للغاز المصرية، وكل من شركتي نوبل ودالك الأمريكيتين اللتين تديران حقل تامارا وليفاثيان للغاز في إسرائيل من أجل نقل ما يساوي ١٥ مليار دولار من الغاز خلال السنوات العشر المقبلة من خلال أنابيب الغاز المملوكة من شركة شرق المتوسط المصرية إلى مصانع التسييل في دمياط وإدكو وتصديرها إلى الخارج. وفي إطار هذه الاتفاقيات تمت تسوية الأحكام الواقعة على مصر فيما خص التوقف عن تصدير الغاز إلى إسرائيل وقدرها ١,٧ مليار دولار بتخفيضها إلى ٤٧٠ مليون دولار يتم سدادها خلال ١٥ عاماً من خلال نصيب في عائد مرور الغاز في الأنابيب. وفي نفس الوقت وقعت مصر اتفاقية مهمة مع قبرص لإنشاء خط أنابيب للغاز الوارد من حقل إفروديت القبرصي إلى مصر“ وبدأت الأعمال الأولية للحفر

في حقل «نور» المصري في شمال سيناء. ورابعها أن أسعار النفط قد أخذت في الارتفاع التدريجي حتى وصلت وقت كتابة المقال يوم الخميس الماضي إلى ٨٦ دولارا للبرميل، وهو ما أعطى للمملكة العربية السعودية أهمية إستراتيجية بالغة، نظرا لأنها الدولة الوحيدة التي لديها طاقة إنتاجية فائضة تسمح لها بإضافة مليوني برميل يوميا، وأكثر من ذلك فإن وزير البترول السعودي أعلن أن المملكة بصدد استثمار ٢٠ مليار دولار لكي ترفع طاقتها الإنتاجية من ١٢ إلى ١٣ مليون برميل في اليوم.

هذه التطورات الأربعة لا تبدو مرتبطة ببعضها البعض، فحديث السلام الفلسطيني الإسرائيلي ليس بجديد، وعادة فإنه كان لا يفضى إلى نتيجة، ومحاولة بناء تحالف عربي مطروحة منذ فترة ليست بالقصيرة، بل إن جذورها تعود إلى ما كان مطروحا في «إعلان دمشق» عقب حرب تحرير الكويت، والتطورات الجارية في منطقة شرق البحر المتوسط بخصوص الغاز تجرى في مسارها هذا منذ بضع سنوات، وارتفاع أسعار النفط يسير في النمط المعروف تاريخيا بدورات ما بين الانخفاض الشديد في الأسعار ثم الارتفاع فيها حسب مجريات حالة العرض والطلب في السوق العالمية للطاقة. ومع ذلك فإن اجتماع هذه التطورات يطرح تغييرات عميقة في البيئة الجيو سياسية والجيو اقتصادية لمنطقة الشرق الأوسط تستوجب الانتباه خاصة لدينا في مصر، حيث تبدو هي المركز في كل هذه التطورات. صحيح أن ارتفاع أسعار النفط ربما يقلل من الآثار الإيجابية التي حصلت عليها مصر من التطورات الجارية في مجال الغاز وجعلها تحقق الاكتفاء الذاتي، إلا أن هذا الارتفاع يفيد بشدة كلا من المملكة العربية السعودية والإمارات والكويت وجميعهم حلفاء واقعيون يعرفون طريق الاستثمار في مصر وخاصة في سيناء.

ولكن المسألة في الشرق الأوسط ليست اقتصادية فقط، وإنما هي في الجوهر إستراتيجية تتعلق بالعلاقات الإقليمية والدولية للمنطقة. والمعنى هنا هو كيف تؤثر هذه التطورات كلها في توازنات القوي، وما تعطيه لكل الأطراف من قدرات في التفاوض والمساومة. وعلى سبيل المثال فإن الرئيس الأمريكي لا يكف عن القول إن تقديمه الحماية لدول الخليج يفرض عليها تقديم مقابل مالي لواشنطن، والعكس في هذا هو الصحيح بمعنى أن زيادة القدرات الإنتاجية للنفط في السعودية هو الذي يتطلب من الولايات المتحدة أن تأخذ مواقف أكثر إيجابية من قضايا المنطقة وفي المقدمة منها القضية الفلسطينية. ومن ناحية أخرى فإن مجمل التطورات في شرق البحر المتوسط والتي بدأت بخطوة تخطيط الحدود البحرية مع قبرص، تدفع في اتجاه تخطيط هذه الحدود مع إسرائيل، ومع فلسطين أيضا. هذا التخطيط الأخير ربما يكون أول رسم لحدود الدولة الفلسطينية البحرية والتي على إسرائيل الاعتراف به طالما أنه سوف يتم وفق نفس القواعد الخاصة بقانون الأمم المتحدة للبحار التي رغم عدم توقيع إسرائيل عليه فأنها سارت وفق ما جاء فيه في اتفاقيتها مع قبرص. الأمر هنا أن هناك ديناميكية خاصة للحقائق الواقعة على الأرض في الشرق الأوسط.. وطوبى لهؤلاء الذين يكونون على استعداد للاستفادة منها. فيما أن المخاطر كثيرة، فإن هناك من الفرص ما هو أكثر!

القوى الكبرى وسراب الهيمنة العالمية

*مارتن سيف

موقع <ستراتيجيك كلتشر> ٢٠١٨/١٠/١٥

يظهر القادة، وصانعو السياسة، والسياسيون والخبراء الأمريكيون ولعاً بالتحدث عن السيطرة التي يتخيلون أن الولايات المتحدة تتمتع بها في العالم اليوم، فيصفون هذه السيطرة المتخيلة بأنها «لحظة القطب الواحد». إن ما يغيب كلياً عن هذا التخيل هو وقائع تاريخية مزعجة. إذ إن «لحظة القطب الواحد» الأمريكية دامت أقل من عقد: منذ تفكك الاتحاد السوفييتي في نهاية ١٩٩١ وحتى ١٥ يونيو ٢٠٠١. ففي ذلك اليوم التاريخي، شهد العالم حدثين كبيرين. أولاً، تعهد الرئيس الأمريكي جورج بوش في خطاب ألقاه في وارسو بضم دول البلطيق الثلاث (إستونيا ولاتفيا وليتوانيا) إلى حلف الأطلسي. ولكن في ذلك اليوم ذاته، أنشأت روسيا والصين وأربع دول في آسيا الوسطى منظمة شنجهاي للتعاون، التي أصبحت اليوم المنظمة الأمنية الدولية الأقوى والأكثر تعداداً للسكان في التاريخ. فمع انضمام الهند وباكستان إلى هذه المنظمة العام الحالي، باتت منظمة شنجهاي تضم ٣ مليارات إنسان، أي حوالي ٤٠٪ من سكان الكوكب. وفي اللحظة ذاتها التي شهدت إنشاء منظمة شنجهاي للتعاون - التي كان هدفها منذ لحظتها الأولى ضمان وجود عالم متعدد الأقطاب - انتهت لحظة القطب الواحد الأمريكية.

وعندما شنّ تنظيم «القاعدة» هجماته الإرهابية على الولايات المتحدة يوم ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١، مما أسفر عن مقتل نحو ٣٠٠٠ شخص، كان الرئيس جورج بوش الابن يتخيل أن لحظة القطب الواحد الأمريكي لا تزال مستمرة، فغزا أفغانستان، وأتبع ذلك بعد سنتين بغزو العراق. ولكن الولايات المتحدة لا تزال حتى اليوم تتخبط في هاتين الحريين وتداعياتهما. والسبب هو أن ساسة ومفكري ووسائل إعلام أمريكا تجاهلوا دروس التاريخ. وفي الواقع، على مدى نصف الألفية الأخيرة، كانت هناك عدة لحظات قطب واحد سعت خلالها قوى كبرى إلى الهيمنة العالمية، ولكنها انهارت جميعاً بعد سنوات قلائل فقط.

عندما ألحقت إسبانيا بأطربة آل هابسبورج وحلفاؤها هزيمة حاسمة بأسطول الإمبراطورية العثمانية الجبارة في معركة لوبانتو عام ١٥٧١، بدا أن إسبانيا ضمنت هيمنتها الإمبراطورية على أوروبا. ولكن حروب إسبانيا الأوروبية في العقود القليلة التالية استنزفت قوتها، ثم جاء تحطيم أسطول «الأرمادا» الإسباني الجبار أمام سواحل بريطانيا عام ١٥٩٨ لتنتهي بذلك لحظة القطب الإسباني العالمي الواحد.

ثم جاء الدور على فرنسا، التي حققت السيطرة الأوروبية مع معاهدة وستفاليا في ١٦٤٨، ولكن «الملك الشمس» لويس الرابع عشر، الذي كان مهووساً بتحقيق الأمجاد، استنزف قوة فرنسا في سلسلة حروبه. ثم جاء دور بريطانيا، التي أدركت أنها لن تستطيع تحقيق السيطرة العالمية بعد انهيار القوة الفرنسية، فرضخت للواقع وتقاسمت السلطة العالمية مع القوى الأوروبية الرئيسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر: روسيا، وبروسيا، وإمبراطورية النمسا والمجر.

وفي النهاية - عام ١٨٤٨ - أسقطت الثورات الشعبية الليبرالية حكم الأباطرة والملوك في روسيا، وبروسيا، وإمبراطورية النمسا - المجر. وعندئذ، ظن البريطانيون، مثلما سيظن الأمريكيون في سنوات ١٩٨٩ - ١٩٩١، أن لحظة قطبهم الواحد قد حانت أخيراً، وأنها سوف تدوم إلى الأبد - خصوصاً أن العالم أخذ يتطلع إلى لندن طلباً للتوجيهات.

ولكن لحظة القطب الواحد البريطاني لم تدم طويلاً. فبحلول العام ١٨٧١، نجح مستشار بروسيا الحديدي أوتو فون بيسمارك في توحيد ألمانيا، فشن حرباً قضت على القوة الفرنسية، وأذل بريطانيا بإخراجها من البر الأوروبي. وقد سنل بيسمارك ماذا سيفعل إذا عاد الجيش البريطاني إلى البر الأوروبي، فأجاب بأنه سيرسل قوة شرطة لاعتقال جنوده. ولكن ألمانيا الجبارة ما لبثت أن انهارت في نهاية الحرب العالمية الأولى. وعندئذ ظنت بريطانيا مرة أخرى أنها سوف تستعيد عظمتها، إلا أنها اصطدمت بألمانيا هتلر منذ ١٩٣٣. وتزامن ذلك مع صعود اليابان الإمبراطورية في ثلاثينات القرن العشرين. وفي أواخر القرن العشرين، عندما تفكك الاتحاد السوفييتي، ظنت أمريكا أنها باتت القطب العالمي المهيمن الوحيد. ولكن حروبها منذ ٢٠٠١ أفلستها واستنزفت قوتها.

ويفترض أن هذا لم يكن مفاجئاً: فكما حذر الفيلسوف الألماني فريدريش هيغل، فإن «الشيء الوحيد الذي نتعلمه من التاريخ هو أننا لا نتعلم شيئاً من التاريخ».

*صحفي وكاتب واستشاري إعلامي أمريكي

منجز إنساني رائع

*د. محمد نورالدين

صحيفة (الخليج) الاماراتية : ٢٠١٨/١٠/١٠

تقاطر زعماء العالم إلى نيويورك لعرض وجهات نظرهم من على منبر الأمم المتحدة. وهي الفرصة التي ينتظرونها سنوياً ليُطلوا على العالم أجمع من أعلى منبر دولي. كما هي مناسبة ليلتقوا مع زعماء دول آخرين من النادر أن يلتقوا بهم خارج هذه المناسبة.

من الطبيعة البشرية أن الإنسان عندما تكاثرت شعراً بالحاجة لمن ينظم أموره وشؤونه وخلافاته. فكان الاحتكام إلى زعيم العشيرة أو القبيلة، لكن هذا لم يكن كافياً فاخترع ما نسميه الآن الدولة أو السلطة، بما هي مؤسسة تنظم حياة ما سُمي لاحقاً بالشعب وعلى أرض محددة.

فالإنسان لا يمكن أن يعيش من دون أطر تنظم حياته وترعاها. والنبي العربي محمد عليه الصلاة والسلام فعل الشيء نفسه عندما انتقل من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة. فالرسالة والأفكار لا بد من ناظم لها في مؤسسة هي الدولة، فانصرف في المدينة المنورة إلى إنشاء الدولة ووضع دستورها الاجتماعي المسمى بـ «صحيفة المدينة»، أو فقط «الصحيفة». لم تمر البشرية والدول التي تأسست، بمرحلة كذلك التي شهدتها بعد الحرب العالمية الأولى «تأسيس عصابة الأمم. للمرة الأولى في التاريخ تنشأ منظمة، تضم إلى حد ما جميع الدول أو على الأقل الدول القوية المؤثرة في العالم، سواء منها المنتصرة أو المهزومة في الحرب العالمية الأولى.

وقد لعبت هذه المنظمة التي تأسست عام ١٩١٩ واتخذت جنيف مقراً لها، دورها بين الحريين العالميتين. وبمعزل عن نجاح أو فشل هذه المنظمة، فقد كانت مرجعية تُحال إليها الخلافات الدولية، فتنجح تارة وتفشل تارة، ولكنها كانت عنواناً لاختراع صيغة جديدة للعلاقة بين الدول والمجتمعات والأمم. ومع أن الكلمة الأخيرة الراجحة كانت إلى جانب الأعضاء الوازنين فيها، مثل بريطانيا وفرنسا، لكنها أسهمت في التقليل من الحروب وفي تفكيك العديد من الأزمات. انهارت عصابة الأمم باندلاع الحرب العالمية الثانية، وتأسست مكانها في نهاية الحرب ما تُسمى بـ «الأمم المتحدة»، وهي المنظمة التي لا تزال قائمة حتى الآن.

الفارق بين عصابة الأمم والأمم المتحدة، هو أن الدولة الأقوى في العالم «أي الولايات المتحدة، انضمت إلى الأمم المتحدة بعدما لم تكن عضواً في عصابة الأمم. ليس ذلك فقط» بل نجحت في نقل مقرها من جنيف إلى نيويورك. وهذا بالطبع عكس موازين قوى كانت الولايات المتحدة هي الأقوى فيها، على الرغم من أن جنيف كانت الأنسب جغرافياً لكل الدول لموقعها الوسطي في العالم.

تميزت الأمم المتحدة بانضمام كل دولة نالت استقلالها، بحيث تغطي اليوم عدد أعضائها مئتين. أكثر من ذلك فقد حظي عدد من المؤسسات والمنظمات بصفة مراقب في الأمم المتحدة، في انعكاس لاحتضان المنظمة لكل العالم. لا يختلف اثنان على أن القوي يمكنه أن يفرض إرادته بأكثر من وسيلة، ومع ذلك فإن إعطاء حق الفيتو للدول القوية فرض نوعاً من التوازن حال دون هيمنة طرف دون آخر على المنظمة الدولية. وعندما يطالب البعض بإلغاء حق النقض الفيتو، إنما يشرع الباب أمام معادلة جديدة تفتح أمام فوضى واسعة ويصبح لدول صغيرة أن تتحكم بالقرارات المصرية في العالم، وهو أمر لا يتناسب مع موازين القوى. حتى المطالبة بتمثيل إضافي مع حق الفيتو لكتلها، مثل منظمة التعاون الإسلامي، ومنظمة الدول الإفريقية، غير واقعي» نظراً لأن أعضاء هذه المنظمات غير متفقين فيما بينهم. لا شك أن استمرار تحكم الأعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الأمن، بقراراته أمر غير عادل، لكن الحل يوجب اجتراح صيغة خلاقة غير متفق عليها بعد.

رغم كل ذلك، فإن الهيئة العامة للأمم المتحدة أصدرت الكثير من القرارات خارج رقابة مجلس الأمن الدولي، التي عكست ميول الأكثرية من الدول في العالم الثالث، كما أن المنظمات التابعة للمنظمة الدولية مثل اليونيسكو، والفاو، وغيرهما، أسهمت بشكل رائع في تطوير وحماية القدرات الإنسانية والعلمية والثقافية والصحية والبيئية، ومكافحة الأمراض في العالم. ومهما اتفقنا على لا عدالة العديد من القرارات في الأمم المتحدة أو اتهامها بالعجز في موضوعات سياسية كثيرة، لكن هذه المنظمة تبقى منجزاً إنسانياً فريداً من نوعه، يتوجب الحفاظ عليه وتطويره ليكون أكثر عدالة وفاعلية

تعليق: خطاب مايك بنس .. هل هو اعلان عن بدء حرب باردة جديدة؟

بقلم / جين تسان رونغ، نائب رئيس واستاذ بمعهد الدراسات الدولية بجامعة الشعب الصينية

صحيفة (الشعب) الصينية: ٢٠١٨/١٠/١٠

لقى مايك بنس، نائب الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، خطابا مطولا بشأن سياسة الحكومة الامريكية تجاه الحكومة الصينية يوم ٤ اكتوبر الجاري، تضمن مجموعة متنوعة من الاتهامات الباطلة ضد الصين، أهمها تدخل الصين في الانتخابات النصفية للولايات المتحدة عام ٢٠١٨. وأن تقديم نائب الرئيس الصيني خطابا خاصا حول الصين لم يسبق له مثيل منذ عام ١٩٧٢ على الاقل. كيف نرى " تغيير الوجه " للحكومة الامريكية؟

بالنظر الى دوافع خطاب مايك بنس، أولا، علاقة الخطاب مع انتخابات التجديد النصفى للولايات المتحدة. في الوقت الحاضر، لا يمتلك الحزب الجمهوري الحاكم والحزب الديمقراطي اي مزايا واضحة، والوضع ليس واضحا. ووقوف مايك بنس لبيتهم الصين في هذا الوقت بذات ستعود بالمنفعة الجيدة له وللحزب الجمهوري، إذا ما تحدثنا من ناحية الانتخابات. ثانياً، التعبير عن الولاء لترامب. يريد مايك بنس التعبير عن ذلك بنفسه، حيث منذ وقت ليس ببعيد، قالت صحيفة "نيويورك تايمز" ذات مرة أن هناك أشخاص في الحكومة يقاومون ترامب، وشكك البعض أن يكون المقصود هو مايك بنس، ولا يستبعد أن الاخير بحاجة ماسة الى إيجاد مكان للتعبير عن نفسه، لإقناع الجميع بقيادة ترامب.

ثالثاً، تركيز مايك بنس في خطابه على ابراز مشاعر الحزب الجمهوري اليميني تجاه الصين، قد تجعله " حامل العلم المعادي للصين " للحزب، وهذا يعود بالمنفعة على الانتخابات الرئاسية المستقبلية.

بعد خطاب مايك بنس سرعان ما وصف أحدهم هذا الخطاب بأنه " خطاب الستار شبه الحديدي"، لكن أعتقد أن بالمقارنة مع تشرشل، لا يمكن اعتبار هذا الخطاب سوى "خطاب حريري"، ما يعتبر ناعما. وعلى الرغم من أن الخطاب مليء بالمشاعر الشديدة الى حد ما بدء حرب باردة جديدة، لكن من منظور القوة، لا يمكن أن تبدأ الحرب الباردة.

من منظور الهيكل الاقتصادي، الصين والولايات المتحدة الامريكية متداخلتان اقتصاديا، وفي حقبة الحرب الباردة، لا يكاد يوجد تبادل اقتصادي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. بالإضافة الى ذلك، هناك بعض المشاكل الدولية في العالم اليوم تزداد سوءاً، بحاجة الى جهد صيني امريكي مشترك، مثل، مكافحة الارهاب، مشاكل الفضاء الافتراضي لشبكة الإنترنت، الكوارث الطبيعية الناجمة عن تغير المناخ، التطرف الديني السائد وغيرها. والولايات المتحدة مضطرة للتعاون مع الصين في العديد من القضايا الدولية حتى ولو لا تحب الصين.

يجب ان تكون مواجهة بين مجموعتين لبدء الحرب الباردة. لكن الصين لا تتحالف مع دول أخرى، ولا تنخرط في التوسع الايديولوجي مثل الولايات المتحدة. علاوة على ذلك، السوق الصينية المحلية كبيرة جذابة لراس المال. وكان سوق التجزئة المحلي الاجمالي في الصين مماثلا لسوق الولايات المتحدة في العالم الماضي، وبالتأكيد سيتجاوز هذا العام. وبتحول الصين الى أكبر سوق لتجارة التجزئة في العالم، بطبيعة الحال، ستجذب لراس المال الكثير. ومحاولة الحكومة الأمريكية تقييد رأس المال من دخول السوق الصينية لفترة طويلة، يكاد يكون مستحيلا.

من وجهة نظر الولايات المتحدة نفسها، حكومة الولايات المتحدة معادية للغاية للصين، ومع ذلك، فإن موقف الناس العاديين في امريكا جيد تجاه الصين. وأن الرغبة في الدخول في حرب باردة جديدة تحتاج الى مشاركة المجتمع أجمع، وفكرة " مواجهة شاملة مع الصين " ليس لها قاعدة جماهيرية في الولايات المتحدة. وبالنظر من الخارج، وضع الولايات المتحدة ليس له أي أساس على المستوى الدولي. وبعد خطاب مايك بنس، لم نسمع اي رد فعل من حلفاء الولايات المتحدة، فعلى سبيل المثال، اليابان، لم تنطرق وسائل الاعلام اليابانية عن هذه المسألة ولو بإشارة صغيرة، ما يدل على أن الحفاء الامريكيين ليسوا داعمين أيضا، لذلك، لا يشجع التوتر سوى عدد قليل من الناس في المؤسسات الحاكمة الأمريكية، وأن الجماهير لا تدعم، الحلفاء لا يؤيدونها، والحرب الباردة الجديدة يصعب الوصول إليها.

يبدو أن حكومة الولايات المتحدة وبعض النخب السياسية شديدة الحساسية والقلق اليوم. وان عدم إمكانية استثناء الصين من جانب عرض المنتجات الأمريكية بما في ذلك الامدادات العسكرية، يعكس ايضا ان الاعتماد الامريكي أكثر على التصنيع الصينية أمر طبيعي في ظل العولمة الصناعية. وهذا هو نتيجة التقسيم العالمي للعمل وتجسيد القدرة التنافسية للصين. والصين بحاجة الى الثبات في الوقت الراهن، لان السياسة الامريكية تجاه الصين ستعود الى طبيعتها إذا لم تحصل الولايات المتحدة على تأثير جيد بعد فترة من المواجهة.

الدفاع عن جوهر الديمقراطية

شيرين عبادي وكريستوف ديبلوير

بروجيكت سنديكيت : ٢٠١٨/١٠/١٣

باريس- في العاشر من كانون الأول (ديسمبر) من العام ١٩٤٨، تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي أكد أن "إرادة الشعوب" - الديمقراطية - يجب أن تشكل الأساس لأي حكم. ولكن، بعد مرور سبعين عاماً على ذلك الحدث، أصبحت ديمقراطيات العالم عرضة لمخاطر شديدة. فبعد زيادة بلغ مقدارها أربعة أضعاف في عدد الديمقراطيات في الفترة بين نهاية الحرب العالمية الثانية والعام ٢٠٠٠، أصبحنا نعيش الآن فترة مطولة من التقهقر السياسي. وتنحرف المجتمعات التي كانت مفتوحة ذات يوم نحو الدكتاتورية، وفي العديد من الدول، تزداد النزعات الاستبدادية قوة.

ولن يتسنى لنا عكس هذه الاتجاهات إلا إذا اتفقنا على أسباب التراجع الديمقراطي ووجهنا حلولنا وفقاً لذلك. لا شك أن القول أسهل من الفعل. في مقالها الذي نُشر في العام ١٩٦٧ بعنوان "الحقيقة والسياسة"، أشارت الفيلسوفة هانا أرنست إلى أن "حرية الرأي تتحول إلى هزل ما لم تكن المعلومات الحقيقية مضمونة وما لم تكن الحقائق ذاتها ليست محل نزاع". ولكن من المؤسف أن الهزل الذي تحدثت عنه هانا أرنست أصبح واقعاً نعيشه. لكي تكون أي ديمقراطية حقيقية، يحتاج شعبها إلى الوصول إلى معلومات جديرة بالثقة ومنتجة في بيئة تتسم بالحرية والتعددية. لكن هذا الشرط الأساسي يجري اختباره الآن كما لم يسبق له من قبل. ففي مختلف أنحاء العالم، يسعى أنصار حكم القلة إلى شراء المنافذ الإعلامية لتعزيز مصالحهم وتعظيم نفوذهم، في حين يُقابل الصحفيون الذين ينشرون التقارير حول قضايا مثل التمييز والفساد بالترهيب والعنف والقتل. ولكن كيف نضمن حرية الرأي في ظل مثل هذه الظروف؟

كان المفترض أن تمنحنا تكنولوجيا المعلومات والاتصالات مزيداً من الحرية، لا أن تقيدها. الواقع أن أخبار الإنترنت المبكرة التي اكتسبت الطابع الديمقراطي أنهت هيمنة الناشرين التقليديين والتكتلات المؤيدة للحكومة. لكن هذا الوعد الأولي أفسح المجال لغابة من المعلومات، حيث يتفوق النهابون الأثرياء على جمهور بسيط. واليوم، تشن الحكومات حروب معلومات، ويستخدم الساسة وسائل التواصل الاجتماعي لنشر الأكاذيب، وتعمل جماعات الضغط التابعة للشركات الكبرى على نشر محتوى مخادع بكل سهولة. وكما وجدت دراسة أجراها معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا مؤخراً، فإن الأخبار الكاذبة تنتشر على الإنترنت أسرع من الأخبار الحقيقية - وبشكل كبير غالباً.

الأمر ببساطة أن عولمة المعلومات قلبت الموازين لصالح أولئك الذين يرون في الزيف والباطل أداة للسيطرة. ويصدر الحكام المستبدون أفكارهم بسهولة إلى المجتمعات المفتوحة، في حين أن المحتوى المنتج في ظل ظروف من

الحرية نادرا ما يتحرك في الاتجاه المعاكس. وقد تضخم هذا التحدي بفعل نمو شركات التكنولوجيا المتعددة الجنسيات، والتي أصبحت تملّي بنية المجال العام.

في تاريخ الديمقراطية، تطورت الآليات لتحسين دقة وأخلاقيات الصحافة. ورغم كونها غير مثالية وغير مرئية غالبا، فإن سبل الحماية التنظيمية هذه جلبت العديد من الفوائد للمستخدمين والمنتجين على حد سواء. لكن وتيرة التغيير في صناعة الإعلام - على سبيل المثال، بين التلفزيون والصحافة المطبوعة، أو الأخبار والإعلان - طمست الفوارق الواضحة التي كانت تستند إليها هذه القواعد في الأصل.

الواقع أن حماية المثل الديمقراطية في هذه البيئة المتضاربة مهمة حيوية وتاريخية. ولهذا السبب تنضم منظمة مراسلون بلا حدود إلى حائزين على جائزة نوبل ومتخصصين في التكنولوجيا، وصحفيين، وناشطين في مجال حقوق الإنسان لإطلاق لجنة المعلومات والديمقراطية.

وبصفتنا رئيسين مشاركين لهذه المبادرة المستقلة، فإن هدفنا يتلخص في إعادة تركيز الاهتمام العالمي على قيمة "المجال العام الحر التعددي"، وتقديم الحلول التي تمكن الصحفيين من العمل دون خوف من الانتقام وتسمح لعامة الناس بالوصول إلى المعلومات الدقيقة بسهولة.

في الأسابيع المقبلة، سنقوم بصياغة الإعلان الدولي للمعلومات والديمقراطية، وسوف نعمل بالتنسيق مع قادة العديد من الدول الديمقراطية من أجل تأمين الدعم من الحكومات في مختلف أنحاء العالم. وسوف تتسارع جهودنا في منتصف شهر تشرين الثاني (نوفمبر)، عندما يجتمع قادة العالم في باريس للاحتفال بالذكرى المئوية ليوم الهدنة وحضور منتدى السلام ومنتدى حوكمة الإنترنت.

يتعين علينا أن ندافع عن الديمقراطية، التي تمتد جذورها إلى مثل التنوير والحرية والعقل. ويتعين على الحكومات الديمقراطية ومواطنيها أن يتجنبوا الوقوع ضحية للأخبار الكاذبة، و"المتصيدين"، ونزوات الطغاة. ويهدف الإعلان الدولي للمعلومات والديمقراطية إلى تعزيز قدرة المجتمعات المفتوحة على محاربة القوى الاستبدادية.

نحن جميعا محظوظون لأننا نعيش خلال فترة من الإمكانيات التكنولوجية غير العادية. بيد أننا نتحمل أيضا المسؤولية عن ضمان عدم تحويل الطرق الجديدة لتقاسم المعلومات إلى أدوات للقمع. وكما يوضح "بيان المهمة" الصادر عن لجنتنا: "أصبح بقاء الديمقراطية على المحك، لأن من غير الممكن أن تستمر الديمقراطية في غياب مناقشة عامة مستنيرة، ومفتوحة، وديناميكية".

***شيرين عبادي: محامية إيرانية، قاضية سابقة وناشطة في مجال حقوق الإنسان، ومؤسسة مركز المدافعين عن حقوق الإنسان في إيران. في ١٠ تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٣، مُنحت عبادي جائزة نوبل للسلام على جهودها الكبيرة والرائدة لتعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان، وخاصة حقوق النساء والأطفال وحقوق اللاجئين.**

***كريستوف ديلاوار: الأمين العام لمنظمة مراسلون بلا حدود.**

متى تخاف الشعوب من التغيير؟

*عمرو حمزاوي:

صحيفة (الشروق) المصرية: ٢٠١٨/١٠/١٣

تشارك ثلاثتنا الحديث. هي روائية كينية تكتب باللغة الإنجليزية وتدرس فنون الكتابة الأدبية في نيروبي، هو عالم ومعالج نفسي ألماني يعمل في جامعة سويسرية ويتخصص في دراسة تداعيات الصدمات النفسية «التروما». افتتحت هي الكلام بسؤال عما إذا كان التفاؤل بمستقبل الإنسانية قد صار شططا من خيال إزاء ما يحيط بشعوب كثيرة من قتل وعنف وتطرف وكراهية وفي وجه المصائر القاسية التي يتعرض لها أصحاب الرأي الحر من الصحفية البلغارية المغدورة فيكتوريا مارينوفا إلى الصحفي السعودي المختفي جمال خاشقجي. قالت إنها وإن أدركت كون التقدم العلمي والتكنولوجي يفتح آفاقا جديدة لإخراج بلايين الناس من الفقر ولتحسين الخدمات التعليمية والصحية التي يحصلون عليها ولعلاج الأوبئة المزمنة والأمراض المعقدة ولحماية مجتمعاتنا من أخطار الطبيعة والمناخ المتقلبين، إلا أنها لا تملك تجاهل ما يحيط ببلدان الجنوب في الشرق الأوسط وإفريقيا من مذابح عرقية وحروب إقليمية وحروب أهلية وعمليات إرهابية وملايين الفارين من جحيم غياب الأمن والفقر والانفجارات العنصرية التي تعمق من عذاباتهم وجراحهم في المنافي الغربية. ليس بالتقدم العلمي والتكنولوجي فقط تحيا الإنسانية وظواهر الاستبداد والدماء والعنف استوطنت بلدان الجنوب منذ آمام بعيدة ولن ترحل عنها قريبا، هكذا أفاضت في تفصيل رؤيتها التشاؤمية ثم صممت مديرة عينيهما الواسعتين بيننا.

تداخل العالم والمعالج النفسي في الحديث، فأفصح عن أصوله الألمانية الشرقية ووظفها للتدليل على أن أحوال المجتمعات دائمة التغيير وفرص خروج البلدان التي أنهكها الاستبداد أو تمكن منها العنف من أزماتها أبدا لا تنعدم. ذكرنا أن نهاية ثمانينيات وبداية تسعينيات القرن العشرين شهدت من جهة استغلال بلدان أوروبا الشرقية والوسطى فرصا وانتهت للخروج من عباءة الهيمنة السوفيتية وإنهاء حكم الأحزاب الشيوعية ونجاحها بالفعل في فتح أبواب التغيير الديمقراطي واعتماد آليات الاقتصاد الرأسمالي، وتميزت من جهة أخرى بشيوع مناخات تفاؤلية في عموم أمريكا الشمالية وأوروبا تلت سنوات التشاؤم في أعقاب الارتفاع المذهل في أسعار النفط في السبعينيات والحروب بالوكالة التي خاضتها القوتان العظميان آنذاك الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وسباق التسلح المحموم بينهما وكرثة المفاعل النووي الأوكراني تشيرنوبيل في ١٩٨٦ والانتشار السريع لمرض الإيدز الذي لم تتوافر له علاجات ناجعة. قال إن المناخات التفاؤلية تلك استعادت للغربيين الثقة في مستقبل الإنسانية، وحفزتهم على الزهو بحكوماتهم الديمقراطية واقتصادياتهم الرأسمالية والعمل على نشر مبادئها وممارساتها عالميا وليس فقط في بلدان أوروبا الشرقية والوسطى، وشجعتهم على زيادة مساعداتهم التنموية للمجتمعات الفقيرة.

ثم انحسرت جرعة التفاؤل في حديث الرجل ما أن ولى فكرة شطر الحاضر الذي تبدو به الديمقراطية متراجعة والرأسمالية مأزومة وتتقاذف به العنصرية والأفكار اليمينية المتطرفة بلدان أوروبا الشرقية والوسطى، فقال إن استمرار مسارات التغيير الإيجابي في مجتمعات البشر إنما يرتبط (من بين عوامل أخرى) بتعاملها الصريح والنقدي مع ماضيها (عقود ما قبل التغيير) واعترافها بخطاياها ونواقصها. لذا، وفقا للأمثلة التي ساقها، تمكنت جمهورية التشيك من بناء نظام ديمقراطي ورأسمالي متوازن وتجنبته (إلى اليوم) السقوط في هاوية العنصرية واليمين المتطرف لأن حكوماتها المتعاقبة وجامعاتها ومسارحها ووسائل إعلامها أدارت نقاشا صريحا حول الماضي الشيوعي (١٩٤٥-١٩٨٩) وجرائم حكامه (قمع الانتفاضة الديمقراطية في ١٩٦٨) وخطايا الأغلبية (التي صممت على الاستبداد خوفا من القمع وطمعا في الفتات الذي يلقيه المستبدون). نجحت جمهورية التشيك بتعاملها مع الماضي الشيوعي كصدمة نفسية جماعية تستدعي المصارحة والنقد الذاتي والمواجهة قبل أن تغلق الملفات، وفشلت بلدان

كالمجر ورومانيا وبلغاريا وربما بولندا لأن رغبة الحكومات والنخب في طي صفحات الماضي وتناسيها أسفرت عن ترك أسباب استبداد ما قبل ١٩٨٩ كامنة في الحياة السياسية والاجتماعية وعجزت عن تفكيكها حتى تفجرت مجددا مستبدلة فقط تطرف اليمين الراهن بتطرف اليسار القديم.

جاء دوري، وكان بداخلي خليط استياء من اختزال سنوات نهايات الثمانينيات وبداية التسعينيات في تحولات بلدان أوروبا الشرقية والوسطى وإعجاب بتشبيه الماضي الأليم للمجتمعات بالصدمة النفسية التي دون الاعتراف بها وعلاج تداعياتها قد يستحيل إنقاذ الحاضر وصالح المستقبل. قلت إن مناخات التفاؤل في الغرب لم يواكبها مناخات مشابهة خارجه ومسارات التغيير الإيجابي في أوروبا تناقضت بالكامل مع انفجار الحروب الإقليمية والأهلية في الشرق الأوسط وإفريقيا، ودلت علي كلامي بالحرب العراقية - الإيرانية التي فرضت خرائط الدماء والدمار والخراب على البلدين بين ١٩٨٠ و١٩٨٨، وبغزو الديكتاتور صدام حسين للكويت في ١٩٩٠ وما تلاه من حرب إقليمية لتحرير الكويت وانقلاب الديكتاتور المهزوم على شعبه وارتكابه مجازر كيماوية ضد الكرد العراقيين في الشمال والشبيعة العراقيين في الجنوب. أضفت أن الحروب الإقليمية والأهلية في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات لم تقتصر على الشرق الأوسط الذي شهد أيضا القمع الإسرائيلي الدموي والعنيف لانتفاضة الحجارة الأولى للشعب الفلسطيني، بل امتدت إلى بعض البلدان الإفريقية (من الحروب الأهلية في الجزائر ونيجيريا إلى تداخل الأبعاد الإقليمية والأهلية في حروب تشاد والكونغو «زائير سابقا» وإثيوبيا) ولم تتورع عن إسقاط بعض الضحايا في أوروبا المنتشية بالتفاؤل (حروب ما بعد انهيار جمهورية يوغسلافيا السابقة في البلقان).

ثم أعقبت التعبير عن الاستياء بتوظيف إيجابي لمرادفة العالم والمحلل النفسي للماضي الأليم مع الصدمة النفسية الجماعية والممتدة، مؤكدا على أن أغلبية بلدان الشرق الأوسط التي عانت إن من الحروب الإقليمية والأهلية أو عانت منها ومن الاستبداد ومصائره القاسية لم تتعامل بصراحة ونقد ذاتي مع خطاياها ونواقصها وتمترست تارة خلف خطابات الإنكار وتارة أخرى خلف فنون التناسي والإسقاط من الذاكرة الجمعية بغية الامتناع عن التغيير. وحين واتت بعض البلدان العربية في ٢٠١١ فرصا للخروج من أزمت العنف والاستبداد وبدت حقيقة إمكانات التحول الديمقراطي، كبل الماضي الأليم وغير المعالج النخب والشعوب على حد سواء وأنتج لديها مخاوف وجودية من السقوط في هاوية الفوضى والانهيار ما لم تتمسك بأهداب الاستبداد الجاثم على المجتمعات وانسحبت من التجارب الديمقراطية التي سرعان ما صورت زورا وبهتانا إما كمؤامرات خارجية تتطلب المواجهة أو أفعال صبيانية تستدعي السحق. تورطت النخب والشعوب في إعادة إنتاج الاستبداد على الرغم من الفتات الاقتصادي والاجتماعي الذي يقدمه والحروب الإقليمية والأهلية التي يتسبب بها، ونصبت مجددا حكومات سلطوية قديمة - جديدة قائمة على أمرها خوفا من التغيير. قلت، وإزاء كل هذا يصعب التفاؤل بالحاضر والمستقبل وتفقد الرونق تلك النظرة الوردية لإنسانية التقدم العلمي والتكنولوجي المتجاوزة للأزمات.

اختتمت الروائية الكينية الكلام مثلما افتتحته، فأضافت عمقا تاريخيا لمرادفة الماضي الأليم مع الصدمة النفسية الجماعية مذكرة بكون البلدان الإفريقية لم تتعامل إلى اليوم بصراحة ونقد ذاتي لا مع الوقائع المفزعة للاستعمار الأوروبي في القرنين التاسع عشر والعشرين ولا مع نتائجها التي دمرت آنذاك مقومات الحياة التقليدية واستغلت ثروات الشعوب الإفريقية وفرضت عليها حداثة مشوهة لم تطلبها. وحين رحل الاستعمار وتحقق التحرر الوطني، هكذا قالت، مارست النخب والشعوب خليطا من إنكار الماضي وتناسي آلامه بغية النظر إلى الأمام وتعويض ما فات من تقدم وتنمية. غير أنها جهود التنمية والتقدم جاءت في إطار دول وطنية رسم تكالب المستعمرين حدودها، ووظفت مؤسسات حديثة صنعها الاستعمار ولم تكتسب أبدا شرعية مجتمعية، وعولت على نظم تعليمية تنكرت لتاريخ الشعوب الإفريقية وهوياتها قبل الاستعمار وعمت على وقائع ونتائج الاستعمار المفزعة. «واليوم تبدو القارة الإفريقية مكانا تعيسا لشعوب تنكرت لتاريخها وشوهت هوياتها وتنكر آلامها وتخترقها المرة تلو الأخرى خرائط الحروب والاستبداد والعنف!»

الديمقراطية والنظام الرئاسي في المنطقة

*المستشار شفيق إمام

صحيفة (الجريدة) الكويتية : ٢٠١٨/١٠/١٤

في ندوة عقدتها جمعية الخريجين في الثامن من يناير ١٩٩٦ حفلت بمحاضرة ألقاها الدكتور ناثن براون تحت عنوان "الديمقراطية والمبادئ الدستورية"، وقت أن كان الدكتور مساعد عميد كلية إيوت للعلاقات الدولية في جامعة جورج واشنطن، حاول فيها أن يلقي الضوء على نجاح النظام الرئاسي في حل المعادلة الصعبة في موضوع الرقابة على دستورية القوانين في التوفيق بين المبدأ الديمقراطي الذي يقرر أن السيادة للأمة، مصدر السلطات جميعاً، وأن البرلمان هو الذي يمثل الأمة صاحبة السيادة، وبين مبدأ الدولة القانونية الذي يوجب خضوع الدولة للقانون، وأن الحاكم يخضع للقانون مثلما يخضع له المحكوم، وأن البرلمان يخضع للقانون الذي يسنه إلى أن يعدله، كما يخضع للدستور وهو أسمى من القانون. والواقع أن أهمية دور المحاضرة التي ما زلت أذكرها حتى الآن في أن أغلب الدول العربية التي قامت فيها انقلابات عسكرية لم تجد هذه الانقلابات أسلوباً للحكم إلا في النظام الرئاسي الذي يمكنها من تشديد قبضتها على الحكم، وأغلبها ألغى الأحزاب التي يقوم على أساسها النظام البرلماني. وقد نجحت هذه الانقلابات في أن تقنع الشعوب أن النظام الرئاسي في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي الدولة العظمى والقطب الأكثر تأثيراً ونفوذاً في العالم، هو الذي أتاح للرؤساء المنتخبين المتعاقبين تحقيق هذه الإنجازات الكبيرة التي حققتها أمريكا.

وقد كان أحد أهداف هذه الثورة إقامة حكم ديمقراطي سليم، إلا أن شهوة الحكم تغلبت على مجلس قيادة هذه الثورة، الذي تنكب لهذا الهدف، وأقالوا رئيس الجمهورية ورئيس المجلس، وكانت أزمة مارس ١٩٥٤.

وكانت قد شكلت لجنة لإعداد دستور دائم قبل هذه الأحداث، ودارت في البلاد مناقشات واسعة حول النظام الأصح لمصر، وترددت فكرة الأخذ بالنظام الرئاسي المعمول به في الولايات المتحدة الأمريكية، وأدرت حواراً عندما كنت طالبا في كلية الحقوق على صفحات جريدة (لواء الجامعة) التي كانت تصدر عن دار العلم المصري إحدى جرائد الحزب الوطني وقتئذ، بين كل من الخير الدستوري الأريب، وشيخ الخبراء في هذا الوقت الدكتور سيد صبري، والشاب النابغة د. سليمان الطماوي، في عدد الجريدة الصادر في ١٥ / ٣ / ١٩٥٤، ليكون هذا الحوار تحت نظر لجنة الدستور.

وكان الدكتور سيد صبري عضواً في هذه اللجنة، حيث كان من رأي سيادته عدم الأخذ بالنظام الرئاسي، لأن انتخاب رئيس الدولة بواسطة الشعب يمنحه سلطات واسعة تجعله في مركز يتفوق به على البرلمان، وبذلك ينعدم التعاون بين السلطات التشريعية والتنفيذية، وقد بلغت أهمية مركز رئيس الدولة المنتخب بهذه الطريقة حداً جعل الفلاسفة يطلقون على هذا النظام (الرئاسي) نسبة إلى رئيس الجمهورية لأنه أهم معادلة في هذا النظام، والبعض سماه (حكومة رجل الشعب المختار) وأن هذا النظام لا يقوم على التوازن في حين يجب أن يسود التوازن بين السلطات في الدولة. وأن النظام الأمريكي قائم على فصل السلطات التام، وقد أثبتت التجارب في جميع البلاد عيوب هذا النظام، لأن السلطات في أي دولة يجب أن يكون بينها علاقة تعاون حتى تبدو الدولة وحدة واحدة، وهو ما أدى إلى انقلابات متعددة في دول أمريكا اللاتينية التي أخذت بهذا النظام. وكان الدكتور سليمان الطماوي يرى أن الرئيس في النظام الرئاسي لا يصل إلى مقعده إلا على أساس برنامج واضح بين المعامل، يلتزم هو وحزبه بإخراجه إلى حيز الوجود من الناحية التشريعية والتنفيذية، ولهذا تغدو جميع الصعوبات والانتقادات السابقة وهمية، لأن الرئيس يتعاون عملاً مع البرلمان المكونة أغلبيته من الحزب الحاكم الذي يترأسه غالباً الرئيس.

وإن هناك فارقاً جوهرياً بين السلطة التنفيذية القوية، التي تملك من الوسائل ما تنفذ به برنامجها في حدود القانون، وبين السلطة الدكتاتورية ثم إن مركز رئيس الوزراء في إنكلترا لا يختلف كثيراً من الناحية العملية عن مركز رئيس الجمهورية في النظام الرئاسي.

ويختم رأيه وحواره مع د. سيد صبري بأن ما يعنيه هو القضاء على فكرة "يسود ولا يحكم"، بأي طريقة لأنها فكرة فاشلة عملاً وغير مستساغة عقلاً، فليس هناك في غير إنكلترا من يقبل أن يكون صورة رمزية تعلق في صالونات الدولة دون أن تكون لها إرادة أو كلمة.

وللحديث بقية إن كان في العمر بقية.

وسائل الإعلام الاجتماعية كنوع من الحرب؟

*كوري شاكي

(وور أون ذا روكس) : ٢٠١٨/١٠/١٤

بالاشتراك مع أوغست كول، كتب بيتر سينغر واحداً من أفضل الكتب عن الكيفية التي تقوم بها التكنولوجيا بتغيير الحرب. وكان "الأسطول الشبهي" كتاب إثارة لذيذاً قرع ناقوس الخطر حول فقدان الجيش الأمريكي تفوقه على الصين بصوت أعلى مما يمكن أن يفعله أي تحذير غير قصصي (لماذا لم يتم تحويله إلى فيلم)؟ ثم بالاشتراك مع إيمرسون ت. بروكينغ، حوّل سينغر انتباهه الآن إلى الأزمة المباشرة التي لدينا: تسليح وسائل الإعلام الاجتماعية. على الرغم من أن الكتاب يحمل عنوان "مثل الحرب"، فإنه لا يتعلق كثيراً بأعمال الحرب بقدر ما يتعلق ببيان الكيفية التي تؤثر بها وسائل الإعلام الاجتماعية على المجتمع بشكل أوسع: كيف نقوم باستهلاك المعلومات، ولماذا ندمن وسائل الإعلام الاجتماعية إلى هذا الحد، وكيف استفادت منها الحركات الاجتماعية، والمشاهير، والساسة، والإرهابيون والدول. ويستحق هذا الكتاب القراءة لمجرد سرده تاريخ الإنترنت وحده، والذي يحدثنا عن كيفية قيام الأفراد بشخصنة القصة (ويستخدم المؤلفان بوضوح عناصر الإعلام الاجتماعي الفعال التي يحددانها: السرد، والعاطفة، والموثوقية، والمجتمع، والإغراق).

ثمّة الكثير من المثير للاهتمام فيما يقدمان: من كان يعرف أن الكونغرس الأمريكي مؤلّ التلغراف بفارق ستة أصوات فقط عن إنفاق المال على أبحاث التنويم المغناطيسي" أو أن خمس العدائين في ماراثون مكسيكو سيتي مارسوا الغش" وأن الحملة السياسية الأولى التي شهدت سرقة القوائم كانت حملة سكوت براون في سباق مجلس الشيوخ عن ولاية ماساتشوستس" أو أن قوات الدفاع الإسرائيلية تحدد إيقاع ضرباتها بتعليقات على تويتر!

لكن بروكينغ وسينغر يزعمان أن الإعلام الاجتماعي غير ديناميكي الصراخ وتفاعلات الدول والنظام العالمي بأكمله. وهما يجادلان بأن الإنترنت "غير التاريخ إلى الأبد"، وبأن "الحرب والسياسة لم تكونا متشابكتين أبداً بمثل هذا المقدار" من قبل، وبأن "الفوز في هذه المعارك على الإنترنت لا يعني مجرد الفوز بالسيطرة على الشبكة الإلكترونية فحسب، وإنما يعني الفوز بالعالم"، وبأن وسائل الإعلام الاجتماعية قد "أعدت تشكيل العالم المعاصر بشكل حاسم". ويقدم هذا الكتاب عرضاً أولياً قيماً عن المكان الذي نشأت منه وسائل الإعلام الاجتماعية، وكيف يتم استخدامها في الوقت الراهن. كما أنه يعرض بعض الاقتراحات المفيدة لترويض آثارها. لكن كتاب "مثل الحرب" لا يأتي إلى أي مكان قريب من إثبات ادعاءاته الكبيرة.

يشكل بروكينغ وسينغر دليلين رائعين يقودانك إلى التكنولوجيا، متيقظين لتحديات ترجمة المصطلحات التقنية إلى لغة ومقارنات يمكن فهمها. وهما يسردان الكثير من مفردات المعجم التقني، بحيث يصبح القراءة على دراية بمفاهيم مثل "التعهد الاجتماعي"، و"الراهنية"، و"الخنق"، و"جسور الشبكة"، و"الحرائق الرقمية"، و"العدوى العاطفية"، و"حرب الشبكة"، و"حروب اللهب"، و"عقلية الهندسة أولاً"، و"محدث المحتوى"، و"الشبكات العصبية".

تتدفق الكتابة في النص بسلاسة وتستخدم صوراً مبدعة، مثل مقارنة انتشار تنظيم "داعش" بـ"ماكدونالد شيطاني" يفتح الفروع في كل مكان. وقد أحببت الوصف البصري للإعلام الاجتماعي لـ"داعش" بأنه "امتلك قوة قصف مدفعي غير مرئي، حيث تهبط الآلاف من رسائله في مسار حلزوني أمام القوة المتقدمة". وتتسم الإحالات الأدبية للكاتبين بالبالغة، وتقتبس وصف مارك بلوخ للانهييار المصدوم للمعنويات الفرنسية في العام ١٩٤٠، في كتاب "الهزيمة الغريبة". وقد سررت برؤية الكاتبين ينسبان الفضل إلى ماري فون كلاوسفيتز على إسهاماتها في الكتاب (وكنّت لأسر أكثر لو أنهما استشهدا بكتاب إيفتيموفا بيلينغر المدهش حول الموضوع نفسه". كما كانت هناك أيضاً مقاطع أقل مدعاة للإعجاب: "سقطت تعليقات تايلور سويفت على إنستغرام بنفس قوة الضربات الجوية الدقيقة"، أو "وقف حفنة من الرؤساء التنفيذييين عند مقابض التحكم بهذه الآلة التي تقوم بتشكيل الواقع - لكنهم لم يكونوا يُشغّلون هذه المقابض بالشكل الصحيح".

ولكن، بغض النظر عن ذلك، في حين أن بروكينغ وسينغر ينجزان عملاً ممتازاً بنقل الفكرة عن فورية وسائل الإعلام الاجتماعية -سرعتها، وصولها، وتعزيزها المعتقدات القائمة- فإنهما لم يُدرجا مسألة الإحاح والمثابرة. هل تقوم الانطباعات في وسائل الإعلام الاجتماعي بتأطير المعتقدات بشكل دائم؟ وإذا كانت تقوم بتعزيز الأحكام المسبقة، فما الذي يتغير عندئذٍ؟ ويناقد الكاتبان تأثير الألفة، لكنني كنت أود لو أنهما يقيمان الصلة بين استكشافهما للتقنيات وبين علم النفس السلوكي بطريقة أكثر اكتمالاً، حيث هذه المشكلات مفهومة مسبقاً بشكل أفضل. وفي "التفكير بسرعة

وببطء"، يحذرنا دانيال كاهنمان من خطر التكرار المبسط الذي تجعله وسائل التواصل الاجتماعي ممكناً على نطاق واسع: "إحدى الطرق الموثوقة لجعل الناس يصدقون الأكاذيب هو التكرار المتواصل، لأن الألفة لا يمكن تمييزها بسهولة عن الحقيقة". وربما يكون الاختيار الذاتي للمعلومات هو ما يجب أن نخشاه أكثر ما يكون بشأن وسائل الإعلام الاجتماعية. ولكن، حتى هناك، كان سيصبح أكثر إثارة للاهتمام لو أن بروكينغ وستينغر استكشفاً كيف أن الإعلام الاجتماعي قابل للتمييز في هذا الشأن عن تحطيم المشهد العام للإعلام في برامج الحوار التلفزيونية والإذاعية، والتي تسمح أيضاً بالاختيار الذاتي والتعزيز - أو حتى الإنترنت قبل صعود وسائل الإعلام الاجتماعية.

تظهر أمثلة الكاتيبين مدى السرعة التي أصبح بها استخدام الإنترنت شائعاً في كل مكان - في العام ١٩٩٤، لم يكن مذيعو التلفزيون يفهمون عناوين الشبكة. وكان وصفهم للإنترنت بأنه "مجتمع ممتد على مستوى العالم، أكثر اتساعاً وتنوعاً من أي شيء سبقه، ومع ذلك تحكمه حفنة من أوليغاركيي وادي السليكون"، مضحكاً بما يكفي، ومثلاً على القبول غير النقدي بالمقولات. كان مطورو الإنترنت مفكرين وموظفين مدنيين. وإذا كان أسياد الخوارزميات في وادي السليكون أغنياء وجاهلين - عن قصد - بالتأثيرات الاجتماعية والسياسية لابتكاراتهم، فإنهم ليسوا خارج نطاق قبضة القانون والأنظمة. لكن تلك الفكرة لم تكن قد وصلتهم بعد، في جزء منه لأن البقية منا لم يكون حذرين أو مطلعين بما يكفي لضمان ذلك.

لكن يوم الحساب قادم. نحن ما نزال في المراحل المبكرة من الثورة، وفي منتصف الفهم، وهو ما يجعل من الصعوبة بمكان الحكم على حجم ما نختره بالضبط. لكن الزيادة الكبيرة في جدية الاستجاب الذي أخضع إليه قادة الإعلام من الكونغرس في الأشهر الخمسة القصيرة بين شهادة مارك زوكربيرغ في نيسان (أبريل) ونائبته شيريل سانديبرغ في أيلول (سبتمبر) تُظهر أن التقدم في فهم - وربما إحباط - أكثر آثار وسائل الإعلام الاجتماعي خطورة، يتم إحرازه حقاً. ومن المرجح أن يثقفنا الصحفيون والمدعون العامون الذين يجرون تشريحا للتأثير الروسي في الانتخابات الرئاسية الأمريكية أكثر. وقد كتب بروكينغ وسينغر عرضاً سهل الفهم، والذي أمل أن يُقرأ على نطاق واسع بينما يفكر مجتمعنا بكيفية البناء على المزايا التي تقدمها وسائل الإعلام الاجتماعية، ويعمل على تحييد بعض من مخاطرها.

في هذا الصدد، فاجاني أن الكتاب لم يناقش الجهود التنظيمية الجارية الآن. وهو يعترف بأن "هناك ضغطاً قانونياً وسياسياً متصاعداً"، ويحث على أن "الشركات يجب أن تفكر بشكل استباقي بالتداعيات السياسية، والاجتماعية، والأخلاقية لخدماتها"، لكنه يتجاهل بطريقة مثيرة للفضول هذه الأدوات في توصياته لتدجين وسائل الإعلام الاجتماعية. وبشكل خاص، لا يأتي الكتاب على أي ذكر لحماية البيانات في الاتحاد الأوروبي، وتدابير الخصوصية، التي تشكل أول جهد كبير لاحتواء وسائل الإعلام الاجتماعي في الولايات المتحدة. وكنت لأقدر تفسيرهما لكيفية عمل هذه القوانين، والحكم على ما إذا كانت ستعمل، وعرض التداعيات. وكنت لأود أيضاً عرض مزيد من الاحتفال بالأدوات والسياسات التي تدفع بثبات ضد القصص الخيالية في وسائل الإعلام الاجتماعية "هناك عدد لا بأس به من المجتمعات الحرة التي لديها جهود تثقيفية جارية. كما يمنحنا بروكينغ وسينغر القليل من الفضل على قدرة التكيف. ولا شك في أن البشر الذين يستطيعون أن يبنوا ويستخدموا هذه الأعاجيب يستطيعون أن يخمنوا أيضاً كيفية ترويضها في نهاية المطاف.

يختم المؤلفان بفكرة أنه "كلما أصبحت الحرب أكثر ارتباكاً وأقل خطية، أصبحت أكثر تشاركية". وفي حين أنه قد يكون من المبكر كثيراً اشتماله في الكتاب، فإنني كنت لأستمتع بتأمل تجريه بروكينغ وسينغر في تأثير الضغط الأخلاقي للنظر، من النوع الذي يمارسه مهندسو "غوغل" الذين يرفضون العمل لوزارة الدفاع الأمريكية (لكنهم يوافقون حتى الآن على العمل لحساب الصين). ومن المرجح أن تكون دراسة أخلاقية فكرة "لا للاستهداف، وإنما نعم للقمع" هي الخطوة الأولى فقط في تعليم الإنسانيات لـ "سادة الكون" هؤلاء. أئن يكون رائعاً إذا تبين أن الاعتقاد بالصالح الذاتي لوداي السيليكون يمكن أن يكون هو نفسه خلاصنا من ابتكاراته؟

مع ذلك، لا يقترب سينغر وبروكينغ من إثبات أن وسائل الإعلام الاجتماعية غيرت الطبيعة الأساسية للحرب، أو أدت إلى تغيير النظام العالمي بأكمله. وفي الواقع، يعرض الكاتبان أدلة الإدانة مرة أخرى لادعائاتهما هما مرة أخرى، حين يكتبان أن "كارل فون كلاوسفيتز ولد قبل قرنين من الإنترنت، لكنه كان سيفهم ضمناً كل شيء يفعله في الصراعات الراهنة تقريباً". فإذا كان كلاوسفيتز سيفهم الإنترنت، فإنه لن يكون قد غير طبيعة الحرب حقاً. ما تزال الحرب امتداداً للسياسة. ويشكل هذا الكتاب دليلاً قيماً إلى السلاح الابتكاري الذي تشكله وسائل الإعلام الاجتماعية، لكنه لا يقطع كل الشوط نحو إثبات أننا نعيش نوعاً جديداً من الحرب.

* نائب المدير العام للمعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية. تقوم بتدريس مساقات "دراسات الحرب" في كينغز كوليغ.

هل تساعد التكنولوجيات الجديدة الدول النامية أم تؤذيها؟

*داني رودريك

بروجيكت سنديكيت: ٢٠١٨/١٠/١٤

تعمل التكنولوجيات الجديدة على خفض أسعار السلع والخدمات التي توظف في خدمتها. وهي تؤدي أيضاً إلى إنشاء منتجات جديدة. ويستفيد المستهلكون من هذه التحسينات، سواء كانوا يعيشون في دول غنية أو فقيرة. تشكل الهواتف المحمولة مثلاً واضحاً على التأثير العميق الذي تُحدثه بعض التكنولوجيات الجديدة. ففي حالة واضحة من القفزات التكنولوجية الضخمة، أعطى الهاتف المحمول الفقراء في الدول النامية القدرة على إجراء اتصالات بعيدة المدى من دون الحاجة إلى استثمارات مكلفة في الخطوط الأرضية وغير ذلك من البنى الأساسية. وعلى نحو مماثل، عملت الخدمات المصرفية المقدمة عبر الهواتف المحمولة على تمكين الوصول إلى الخدمات المالية في المناطق النائية من دون الحاجة إلى إنشاء فروع للبنوك.

هناك الكثير من الأمثلة على تكنولوجيات تعمل على تحسين حياة الفقراء. ولكن، لكي تقدم التكنولوجيا مساهمة حقيقية ومستدامة للتنمية، لا ينبغي أن تكتفي بتقديم منتجات أفضل وأرخص فحسب بل ينبغي لها أن تؤدي أيضاً إلى خلق وظائف أعلى أجراً. وبعبارة أخرى، يجب أن تساعد الفقراء في الاضطلاع بدورهم كمنتجين فضلاً عن كونهم مستهلكين. ويثير نموذج النمو الذي أطلق عليه رجل الاقتصاد، تايلر كوين، وصف "الهواتف المحمولة بدلاً من مصانع السيارات" سؤالاً واضحاً: كيف يستطيع الناس في العالم النامي أن يشتروا الهواتف المحمولة في المقام الأول؟

ولنتأمل هنا مرة أخرى أمثلة الاتصالات والخدمات المصرفية باستخدام الأجهزة المحمولة. فلأن التمويل والاتصالات من مدخلات الإنتاج، فإنها تُعد إلى حد ما من خدمات المنتج فضلاً عن كونها من خدمات المستهلك. على سبيل المثال، ساعدت دراسة معروفة في توثيق كيف عمل انتشار الهواتف المحمولة في ولاية كيرالا الهندية على تمكين الصيادين من مقارنة الفوارق في الأسعار بين الأسواق المحلية، وزيادة أرباحهم بنحو ٨٪ في المتوسط نتيجة لذلك. ويبدو أن الخدمات المصرفية واسعة الانتشار بالهواتف المحمولة في كينيا (M-Pesa) عملت على تمكين النساء الفقيرات من الخروج من زراعة الكفاف إلى أعمال غير زراعية، مما أدى إلى ارتفاع كبير على سلم الدخل عند القاع.

كانت التكنولوجيات الرقمية الجديدة تلعب دوراً بالغ الأهمية في تحويل الزراعة على نطاق واسع في أمريكا اللاتينية وأماكن أخرى. فقد عملت البيانات الضخمة، وأنظمة تحديد المواقع العالمية، والطائرات من دون طيار، والاتصالات عالية السرعة، على تمكين تحسين خدمات الإرشاد والري واستخدام مبيدات الحشرات والمخصبات على أفضل وجه، ووفرت أنظمة الإنذار المبكر وعملت على تحسين مراقبة الجودة وزيادة كفاءة الخدمات اللوجستية وإدارة سلاسل الإمداد. وقد عملت هذه التحسينات على رفع الإنتاجية الزراعية وتسهيل التنوع والتحول إلى محاصيل غير تقليدية ذات عوائد أعلى.

يحدث إدخال مثل هذه التكنولوجيات الجديدة في الإنتاج في الدول النامية غالباً من خلال سلاسل القيمة العالمية. ومن حيث المبدأ، تعود سلاسل القيمة العالمية بالفائدة على هذه الاقتصادات من خلال تسهيل دخولها إلى الأسواق العالمية.

ومع ذلك، تحيط تساؤلات كبرى بالإمكانيات التي أوجدتها هذه التكنولوجيات الجديدة. فهل تكون مكاسب الإنتاجية كبيرة بالقدر الكافي؟ وهل يمكن نشرها بسرعة كافية في مختلف بقية قطاعات الاقتصاد؟ في واقع الأمر، يجب أن ينحسر أي تفاؤل بشأن حجم مساهمة سلاسل القيمة العالمية بفعل ثلاث حقائق واقعية. فأولاً، يبدو أن توسع سلاسل القيمة العالمية توقف إلى حد كبير في السنوات الأخيرة. وثانياً، ظلت مساهمة الدول النامية في سلاسل القيمة العالمية -وفي التجارة العالمية في عموم الأمر- محدودة للغاية، مع استثناء ملحوظ لبعض الدول الآسيوية. والحقيقة الثالثة، وربما الأكثر إثارة للقلق، هي أن العواقب المرتبطة بتشغيل العمالة والمترتبة على الاتجاهات التجارية والتكنولوجية الأخيرة كانت مخيبة للآمال.

ومن خلال التدقيق عن كثر، نجد أن سلاسل القيمة العالمية والتكنولوجيات الجديدة تُظهر خصائص تحد من - بل والكثير منها يقوض - تأثير الجانب الإيجابي وتجعله محصوراً في الأداء الاقتصادي للدول النامية. ومن بين هذه الخصائص الانحياز الإجمالي لصالح المهارات وغير ذلك من القدرات. ويتسبب هذا الانحياز في تقليص الميزة النسبية التي تتمتع بها الدول النامية في أنشطة التصنيع التقليدية كثيفة العمالة (وغير ذلك)، وتقليل مكاسبها من التجارة.

ثانياً، تزيد سلاسل القيمة العالمية من الصعوبات التي تواجهها الدول منخفضة الدخل في استخدام ميزة تكاليف العمل للتعويض عن أوجه القصور في ما يتصل بالتكنولوجيا، من خلال الحد من قدرتها على استبدال العمالة غير الماهرة بمدخلات إنتاج أخرى. وتعزز كل من هاتين الخاصيتين الأخرى. وتشير الأدلة حتى يومنا هذا، على جبهتي تشغيل العمالة والتجارة، إلى أن العيوب ربما تكون أكثر من أي مزايا.

تتمثل الاستجابة المعتادة لهذه الشواغل والمخاوف في التشديد على أهمية بناء المهارات والقدرات التكميلية. وعلى هذا، يتعين على الدول النامية أن تعكف على تحديث الأنظمة التعليمية، والتدريب الفني، وتحسين بيئة الخدمات، وتعزيز المرافق اللوجستية وشبكات النقل من أجل تحقيق الاستخدام الأمثل والأكمل للتكنولوجيات الجديدة، كما نسمع غالباً. لكن الإشارة إلى احتياج الدول النامية إلى التقدم على مختلف هذه الأبعاد ليس جديداً ولا مفيداً. ويشبه هذا قولنا أن التنمية تحتاج إلى التنمية. وتقدم التجارة والتكنولوجيا الفرصة عندما يكون بوسعهما الاستفادة من القدرات القائمة، وبالتالي توفير مسار أكثر مباشرة وجدارة بالثقة إلى التنمية. وعندما تطالب باستثمارات تكميلية ومكلفة، فإنها بذلك لا تعمل كطريق مختصر حول التنمية القائمة على التصنيع.

ولنقارن هنا بين التكنولوجيات الجديدة ونموذج التصنيع التقليدي، الذي كان محركاً قوياً للنمو الاقتصادي في الدول النامية. أولاً، التصنيع قابل للتداول. وهذا يعني أن الناتج المحلي ليس مقيداً بالطلب (والدخل) في الداخل. وثانياً، كان من السهل نسبياً نقل الدراية التصنيعية عبر الدول، وبشكل خاص من الاقتصادات الغنية إلى الاقتصادات الفقيرة. ثالثاً، لم يعمل التصنيع على زيادة الطلب على المهارات.

عملت هذه الخصائص الثلاث مجتمعة على تحويل التصنيع إلى أداة رائعة لرفع دخول الدول النامية. وتقدم التكنولوجيات الجديدة صورة مختلفة تماماً من حيث سهولة نقل الدراية وما تتطلبه من مهارات. ونتيجة لذلك، يبدو تأثيرها الصافي على الدول منخفضة الدخل غير مؤكد إلى حد كبير.

* أستاذ الاقتصاد السياسي الدولي في كلية جون ف. كينيدي للعلوم الحكومية بجامعة هارفارد. وهو مؤلف كتب، "مفارقة العولمة: الديمقراطية ومستقبل الاقتصاد العالمي"، و"قواعد الاقتصاد: صواب وخطأ علوم الكمبيوتر"، وآخرها "حديث صريح عن التجارة: أفكار لاقتصاد عالمي عاقل".

تطورات استراتيجية شرق أوسطية مهمة

*د. عبد المنعم سعيد

رئيس المركز الاقليمي للدراسات - القاهرة: ٢٠١٨/١٠/١٦

المراقبة من بعيد تجعل الأمور والقضايا والموضوعات أكثر شمولاً وكلية مما تبدو عليه في تفاصيلها الدقيقة. عن قرب تختصر الغابة في شجرة واحدة، أما نظرة طائر محلق فإن الخريطة لا تكون خطوطاً وإنما تعبير عن قارات كبرى. أربعة موضوعات لا تبدو مترابطة تراكمت خلال الفترة القصيرة الماضية:

أولها أنه أثناء اجتماعات الأمم المتحدة وفي أعقاب لقاء مشترك بين الرئيس الأمريكي دونالد ترامب ورئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو ذكر الأول أنه وقد أصبحت «القدس» عاصمة لإسرائيل فإنه آن الأوان لحل الدولتين أن يطبق على القضية الفلسطينية.

كانت تلك هي المرة الأولى التي يؤكد فيها ترامب على حل الدولتين وهو بالمناسبة يعيد قضية القدس إلى المفاوضات مرة أخرى، وحينما أتى في اليوم التالي بقول إنه لا يمانع في حل الدولة الواحدة إذا ما رضي الطرفان بذلك كان مفهوماً أن الرجل يلوح لإسرائيل بأن الفشل في تطبيق حل الدولتين لن يعني إلا الحديث عن الدولة الواحدة بكل ما يترتب عليها من نتائج.

هذا كلام جديد في وقته، وفي كل الأحوال فإنه وسط الكثير من القضايا الأمريكية الخاصة بالإدارة الحالية، فإن هذه الكلمات تعني أن مبادرة ما سوف تأتي من جانب الولايات المتحدة خلال فترة ليست بعيدة. وثانيها، أن وزارة الخارجية الأمريكية أعلنت أن وزير الخارجية بومبيو قد عقد لقاء مع ثمانية من وزراء الخارجية العرب من مجلس التعاون الخليجي وكل من مصر والأردن وكان الغرض من الاجتماع الحديث عن ائتلاف عربي يواجه التهديدات التي تواجه منطقة الشرق الأوسط، ويعيد الاستقرار للمنطقة، ويدفعها إلى الرخاء والتقدم.

وثالثها، أن منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط شهدت مجموعة من الاتفاقيات التي تدعم موقع مصر كمركز للطاقة في المنطقة، وفي الوقت نفسه وقّعت مصر اتفاقية مهمة مع قبرص لإنشاء خط أنابيب للغاز الوارد من حقل إفروديت القبرصي إلى مصر، وبدأت الأعمال الأولية للحفر في حقل «نور» المصري في شمال سيناء.

ورابعها أن أسعار النفط قد أخذت في الارتفاع التدريجي حتى وصلت إلى ٨٦ دولاراً للبرميل وهو ما أعطى للمملكة العربية السعودية أهمية استراتيجية بالغة نظراً لأنها الدولة الوحيدة التي لديها طاقة إنتاجية فائضة تسمح لها بإضافة مليوني برميل يومياً.

هذه التطورات الأربعة لا تبدو مرتبطة ببعضها البعض، فحديث السلام الفلسطيني الإسرائيلي ليس بجديد، وعادة فإنه كان لا يفضي إلى نتيجة، ومحاولة بناء تحالف عربي مطروحة منذ فترة ليست بالقصيرة بل إن جذورها تعود إلى ما كان مطروحاً في «إعلان دمشق» في أعقاب حرب تحرير الكويت، والتطورات الجارية في منطقة شرق البحر المتوسط بخصوص الغاز تجري في مسارها هذا منذ بضع سنوات، وارتفاع أسعار النفط يسير في النمط المعلوم تاريخياً بدورات ما بين الانخفاض الشديد في الأسعار ثم الارتفاع فيها حسب مجريات حالة العرض والطلب في السوق العالمية للطاقة.

ومع ذلك فإن اجتماع هذه التطورات يطرح تغييرات عميقة في البيئة الجيو سياسية والجيو اقتصادية لمنطقة الشرق الأوسط تستوجب الانتباه خاصة لدينا في مصر، حيث تبدو هي المركز في كل هذه التطورات.

صحيح أن ارتفاع أسعار النفط ربما يقلل من الآثار الإيجابية التي حصلت عليها مصر من التطورات الجارية في مجال الغاز وجعلها تحقق الاكتفاء الذاتي، إلا أن هذا الارتفاع يفيد بشدة كل من المملكة العربية السعودية والإمارات والكويت وجميعها حلفاء واقعيون يعرفون طريق الاستثمار في مصر وخاصة في سيناء. ولكن المسألة في الشرق الأوسط ليست اقتصادية فقط، وإنما هي في الجوهر استراتيجية تتعلق بالعلاقات الإقليمية والدولية للمنطقة. والمعني هنا هو كيف تؤثر هذه التطورات كلها في توازنات القوى، وما تعطيه لكل الأطراف من قدرات في التفاوض والمساومة. ومن ناحية أخرى فإن مجمل التطورات في شرق البحر المتوسط والتي بدأت بخطوة تخطيط الحدود البحرية مع قبرص، تدفع في اتجاه تخطيط هذه الحدود مع إسرائيل، ومع فلسطين أيضاً.

هذا التخطيط الأخير ربما يكون أول رسم لحدود الدولة الفلسطينية البحرية والتي على إسرائيل الاعتراف به، طالما أنه سوف يتم وفق نفس القواعد الخاصة بقانون الأمم المتحدة للبحار التي رغم عدم توقيع إسرائيل عليه فإنها سارت وفق ما جاء فيه في اتفاقيتها مع قبرص. الأمر هنا أن هناك ديناميكية خاصة للحقائق الواقعة على الأرض في الشرق الأوسط، وطوبى لهؤلاء الذين يكونون على استعداد للاستفادة منها. ورغم أن المخاطر كثيرة، فإن هناك من الفرص ما هو أكثر!

حق المواطن في دولة الخدمات

*جميل عودة

مركز آدم للدفاع عن الحقوق والحريات: ٢٠١٨/١٠/١٦

جميل عودة يعتبر موضوع الخدمة العمومية من أهم المواضيع التي تستحوذ على اهتمام صناع القرار والسياسيين والمخططين، بسبب اضطلاع الدولة بمسؤولية توفيرها للمواطنين، وقد تطور هذا الدور بتطور مفهوم الدولة ووظائفها، ابتداء من الدولة الحارسة إلى الدولة المتدخلة إلى دولة الخدمات في العصر الحديث، حيث أصبحت الدول تستمد مشروعيتها من فاعلية وجودة وسرعة توفيرها للخدمات المختلفة وتقديمها للمواطنين.

لذا فإن الكثير من الدول صاغت مواد دستورية وقانونية، ورسمت سياسات، ونظمت إجراءات تلزم سلطاتها التنفيذية بتقديم الخدمات الأساسية التي لا غنى عنها للمواطنين، والتي لا يمكن أن يقوم بها القطاع الخاص بشكل منفرد، كما تلزمها بضمان التوزيع العادل والكفاء للخدمات العامة في مختلف أنحاء البلاد، وذلك على وفق مبادئ مثل الشمول، والإتاحة، والكفاءة، والشفافية والمساءلة، والاستمرارية، والنوعية، والسعر المعقول، والعدالة وغيرها.

وانطلاقاً من ذلك، فإن مؤسسات الدولة عموماً تسعى إلى تقديم العديد من الخدمات العامة، سواء من المؤسسات الحكومية إلى الأفراد (مواطنين، وأجانب)، أو من المؤسسات الحكومية إلى قطاع الأعمال (شركات) أو من المؤسسات الحكومية إلى القطاع غير الحكومي (منظمات غير حكومية، نقابات، اتحادات، وجمعيات... الخ) أو من مؤسسة حكومية إلى مؤسسة حكومية أخرى.

وقد تقدم هذه الخدمات مشتركة بين جهتين حكوميتين أو أكثر، وقد تكون غير مشتركة أي تنفرد بها جهة حكومية دون جهة حكومية أخرى، وقد ينحصر تقديم الخدمة العامة في مركز الجهة الحكومية، أو قد يمنح فرع الجهة الحكومية الحق في تقديم الخدمة العامة أو جزء منها، وقد تقدم الخدمة الحكومية من جهة حكومية اتحادية، وقد تقدم من جهة حكومية محلية.

في الواقع، على مستوى الدول والحكومات، المنتخبة منها أو غير المنتخبة، لا يبدو أن هناك اختلافاً على تبني مفهوم (دولة الخدمات) أو (حكومة الخدمات) كونه سبب من أهم أسباب وجود مؤسسات الدولة الثلاثة (التشريعية والتنفيذية والقضائية) فتوفير الخدمات للمواطنين واستدامتها هي العمود الفقري لكل هذه المؤسسات. ولكن على مستوى التطبيق ليست كل الدول والحكومات قادرة على تقديم الخدمات لمواطنيها أو للمقيمين على أراضيها، أو أنها تقدم بعض الخدمات وتمتنع عن تقديم البعض الآخر، أو أن خدماتها لا تبلغ مستوى رضا المتعاملين معها ولا تلبي جزء من طموحاتهم وتطلعاتهم، فلا تأمن لهم الكهرباء والماء، والصحة والبيئة النظيفة، والتعليم، والعمل، والطرق والمواصلات والبنى التحتية، لأسباب إدارية ومادية وبشرية وتكنولوجية، وغيرها.

ليس هذا وحسب، بل قد تميز بعض مؤسسات الدولة بين مواطنيها من الناحية العملية في الحصول على الخدمة الحكومية، وإن كانت من الناحية النظرية تساوي فيما بينهم، ففي العديد من البلدان، ومنها العراق، يجد المواطنون أنفسهم لكي يحصلوا على الخدمة الحكومية المطلوبة أن يسلكوا أحد الطرق الآتية:

١- الطريق العادي: وهو أن يراجع المواطن طالب الخدمة، المؤسسة الحكومية المعنية، ويتقيد بالقوانين والأنظمة والتعليمات والتوجيهات والإجراءات المعقدة، فيتعرض للمضايقات الاهانات من لدن موظفي هذه المؤسسات، ولا يحصل على الخدمة المطلوبة إلا في ساعات متأخرة من نهاية الدوام الرسمي، أو يطلب منه المجيء في اليوم الثاني أو الثالث، فلا يحصل إلا الخدمة التي طلبها إلا بشق الأنفس، حتى قيل (إن المواطن العادي عندما يراجع مؤسسة حكومية يترك في باب المؤسسة شيئين هاتفه وكرامته).

٢- طريق العلاقات والمعارف: وهو الطريق الذي يسلكه أصحاب المعارف والعلاقات، تحديداً موظفي الدولة الكبار والصغار، على حد سواء، وأقرباءهم وأصدقاءهم، بما فيها موظفو الأجهزة الأمنية والرقابية، فهؤلاء لا يذهبون إلى

أي مؤسسة حكومية خدمية إلا بعد التنسيق والاتصال والتواصل مع إدارة هذه المؤسسة أو أحد موظفيها، وتنجز معاملات هؤلاء في أوقات قياسية، استثناء من أي ضوابط وتوجيهات.

٣- طريق "الهدية" والرشوة: وهو الطريق الذي يسلكه المواطنون الذين لا يريدون أن يخسروا أوقاتهم وكرامتهم في مؤسسات الدولة، وليس لديهم معارف وعلاقات تمكنهم من انجاز معاملاتهم في الوقت المحدد، أو تكون هناك مشكلة في الوثائق الرسمية المقدمة، لذا يلجئون إلى دفع مبالغ نقدية أو مالية من أجل الحصول على الخدمة الحكومية. في مثل هذه البلدان، تكمن مشكلة مؤسسات الدولة الخدمية في أنها مشكلة بنيوية، وهي أن المواطن لم يحظ بالاهتمام الحكومي المطلوب، لا على مستوى رسم السياسات العامة للدولة، من حيث تأكيد مفهوم (الدولة خادمة للشعب) ولا على مستوى تعامل إدارة المؤسسة الحكومية مع المواطنين المراجعين، من حيث تثبيت مفهوم (الموظف في خدمة المواطن) وبناء عليه، لا يوجد سبب يدعو إدارة المؤسسة الحكومية الخدمية أن تغيّر سياستها في تقديم الخدمة، أو تحسينها، ولا يوجد سبب يدعو الموظف إلى احترام المواطن وتلبية احتياجاته.

لعل الأمر يختلف تماما في بلدان أخرى، مثل دولة الإمارات التي غيرت نظرة الدولة إلى مواطنيها جذريا، فتغيرت نظرة المؤسسة الحكومية الخدمية إلى المواطنين المتلقين للخدمة، فعلى سبيل المثال، رأت قيادة دولة الإمارات أن (الحكومة الناجحة هي التي تذهب للناس ولا تنتظرهم ليأتوا إليها) و(نريد اليوم أن ننقل مراكز الخدمات واستقبال المعاملات الحكومية إلى كل هاتف وجهاز متحرك في يد أي متعامل، وبما يمكنه من تقديم طلبه للحكومة من هاتفه حيثما كان ودون أي انتظار) وعليه، فإن الحكومة الإماراتية ركّزت جهودها على توفير خدماتٍ تضاهي أفضل الخدمات العالمية المقدمة في القطاع الخاص، وتوفير تجربة مرضية للمتعاملين لدرجة تضاهي شعور النزول في فندق من فئة الخمس نجوم، وكفاءة التعامل مع بنك رائد. وحثت على استخدام التكنولوجيا في الخدمات الحكومية.

ليس تغيير نهج التعامل مع المواطنين في المؤسسات الحكومية الخدمية بما يعطي انطبعا إيجابيا عن المؤسسة الحكومية، والموظف الحكومي، والخدمة الحكومية شيئا صعبا إطلاقا، ولكن لا يمكن لأي دولة أو حكومة تحترم مواطنيها أن تغيّر طريقة تعامل مؤسساتها مع المتعاملين ما لم تعمل باتجاهين:

الأول: أن تكون لدى الدولة رؤية سياسية واضحة وملزمة تعبر عن مدى احترام الحكومة للمواطنين والمقيمين على أرضها، وتلزم المؤسسة الحكومية الخدمة أن تقدم خدماتها للمتعاملين على أساس الاحترام والمساواة، وترفض ازدواجية التعامل مع المتعاملين على أسس غير إنسانية وغير قانونية وغير مهنية، وترفض التمييز النظري والعملي بين متلقي الخدمة، وتضع العقوبات الصارمة بحق كل موظف يحول دون تنفيذ هذه السياسة العامة.

الثاني: ينبغي أن تملك كل جهة حكومية منظومة مرجعية متكاملة للخدمات العامة التي تقدمها، يعرفها الموظف والمواطن متلقي الخدمة على حد سواء، وذلك من حيث (اسم الخدمة، ووصف الخدمة، وإجراءات تقديم الخدمة، والفئات المستفيدة من الخدمة، وتصنيف الخدمة، وقنوات الخدمة، والمستندات المطلوبة لكل خدمة)، ومن حيث (حجم المعاملات، والوقت المتوقع لإنجاز الخدمة، ومراكز تقديم الخدمة، وطرق الدفع المتاحة للخدمة، وهيكلية الخدمة (رئيسية، فرعية) ومن حيث (الضرائب والرسوم والأجور)، كما إنها مسؤولة عن توفير معلومات الخدمات وتقديمها على جميع القنوات، حسب طبيعة كل الخدمة، لأن وجود منظومة خدمات متكاملة وواضحة للموظفين والمواطنين سيحقق الكثير من الفوائد للدولة والمؤسسة الخدمية، ومنها:

١- إصلاح النظام الإداري للخدمات العامة بهدف زيادة شفافيته وفعالته عن طريق إنشاء قنوات للمشاركة العامة.

٢- تكييف الخدمات العامة مع احتياجات المستخدمين.

٣- التوزيع العادل للخدمات والمرافق العامة داخل وبين المدن والمناطق الريفية.

٤- التأسيس لثقافة المساءلة والنزاهة والشفافية في الخدمة العامة والإدارة العامة

صناعة اليأس والتأسيس بضاعة نافذة للفساد

*محسن الأكرمين

صحيفة المثقف : ٢٠١٨/١٠/١٦

اليأس والتأسيس ثقافة تفكير استبدت على عقولنا بالجمع فبتنا نتسارع بجهد مضاعف على غرسه في أجمل صوره العادمة والسلبية. من مظاهر اليأس حين تبيت الثقة في التغيير يتخللها حديث فقدان الاطمئنان في الحاضر والمستقبل. من خطابات التأسيس ازدهار (لغة الخشب)، وهي لغة إيديولوجية الأنظمة العميقة التي تبشر بتحقيق الخير العام (متى وأين، لا نعلم)، وهي لغة الوعود بالإيمان القوي عندهم أنها لن تتحقق البتة، والنسيان قادر على محوها بإلهاءات وضيعة وسخيفة.

اليأس من أحداث التاريخ الآتي من المستقبل جدلية ممكن استقراء غيبها عند أقرب عرافة (شوافة) ممكنة، التأسيس من التاريخ غير الحادث هو لسان كهنة خزنة سياسة التمييز وتعويم المشاكل الاجتماعية، هو في استغفال ذاكرة شعب عبر مساهمته في رفع معاول الهدم ونسف الحاضر والمستقبل وإسقاط الثقة في تاريخ التغيير. إنه (الوعي الشقي) الذي ازدهرت صناعة بمغرب الفوارق الاجتماعية وأصبح تجارة نافذة بيد الفساد، إنه الرعب والخوف من أحداث تاريخ حياة الفوضوية، إنه الفساد بعينه كمحرك آلي لوضعيات اليأس البنيوية ودينامو تدوير (الوعي الشقي).

للفساد عمق سحيق، ومجاريه عادمة ومتشعبة، للفساد سلطة أضحت إيجابية على خلق ضفة موحدة من مجتمع اليأس الغاضب. للإستبداد السلطوي أياد سافكة تعتبر الرعية من غوغاء (الفوضوية)، وردة فعله - (الوعي الشقي) - ناتجة من طبخة طنجرة ضغط اليأس على أنماط المجتمع المتحرك بلا عقل ولا تحليل. فهل ممكن لليأس أن يخلق تمردا على الوضع الاجتماعي المتردي بالنكوص؟، هل ممكن لليأس أن يتآخى مع الفساد؟، هل الفساد ممكن أن يتحكم في اليأس ويجعله طيعا وسهل التحكم؟، هل ممكن للتأسيس أن يستهلك كل مسكنات التخدير الموضوعي وينشئ مجموعة من الصعاليك (الخواسر) الجدد؟، هل اليأس سياسة فريدة للأنظمة العميقة لأجل اللعب على أدوار بطولة (كوميديا سوداء) للإنقاذ؟.

محاكمة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بالنقد البناء وصل حد التثرثرة المسرفة، ولن ينفك الوضع يتزايد تفاقم بالتذمر - (الوعي الشقي) - ويتجه نحو التمرد وتدمير ثقافة المعارضة السلمية في ظل استمرارية الإصلاحات الهيكلية. محاكمة الأوضاع (الفوارق الاجتماعية) تتجاوز حكمة (عفا الله عما سلف)، تتجاوز الوقوف بفاصلة (ويل لكل...) نحو المحاسبة والمساءلة وجبر ضرر ضحك عيش الشعب، وبناء الثقة والتفكير الآمن في المستقبل.

حين تسقط العقلانية في المجتمعات تظهر ثقافة الإلهاءات، يظهر فكر المرجئة وتأجيل قانون العقاب من حياة الدنيا نحو ممات الآخرة، ينكمش الأمل بمسوغات متعددة وينصاع طوعا لرؤية الفساد، ويشد بالنواجذ على تلايبب جلايبب اليأس ويسقط المستقبل لزاما ضمن ظلمة المستنقع الفاسد.

لن نحدد تاريخ ميلاد اليأس، هل هو من رحم الدولة الحديثة، أم من الدولة التقليدية؟، لن نرجعه كليا بمرجعية تراكمات وإخفاقات سياسة الماضي. بل نقول، أننا فشلنا في بناء تنمية مستدامة تحفظ الإنسان إنسانيه وتنمي ذكاء الفرد والمكان، نقول بأننا أفسحنا للفوارق الاجتماعية اتساعا بيننا وزكينها بالانبطاح التام والهولة نحو الاستفادة من بقايا ريع الفساد، نقول بأن ثقافة التنوير تخلت عن أدوارها وباتت تعيش مشاكل الفصائل المتناحرة داخليا.

الآن (بلغ السيل الزبى) واستوطن اليأس المجتمع بمنتهى صيغة مبالغة التأسيس، حين أصبحت الأحزاب السياسية تتسابق نحو امتلاك كراسي التسيير وباتت دكاكين انتخابية، حين سعى الفساد إلى تلميع صورته وميع رؤية الإصلاح والتغيير، حين بتنا نحمل ألسن التراشق بكلام (الخواسر) الجدد وأفعال الصعاليك، حين أصبحنا لا نميز بين الصالح والطالح ونلقي بالكل في سلة واحدة وكأن لسان حالنا يردد (الشواري خانز، وإن كان فارغا من الحوت المعفن).

نحن، وهم أبناء الوطن، فمنهم من ركب البحر واقتنص قتلا، ومنهم من أشعل النار في ذاته... إنها ثقافة اليأس المزدهرة الصناعة كبضاعة حصرية (الماركة) للفساد. ثقافة لن أزيكها بالمرّة، ولكن نطمح (نحن/هم) في صناعة ثقافة شعب رزين، ثقافة تجدد رغبة الشعب في خلق حلقات متسعة للنضال الداخلي التفاعلي مع قضايا الوطن، في الاصطفاف بجانب الأيادي البيضاء، في التمييز بين الخير والشر والتعبير عن الآمال في وطن يسعنا باختلافاتنا الفكرية والإيديولوجية.

وزراء الثقافة والتحديات العربية

*د. أحمد يوسف أحمد

صحيفة (الاتحاد) الإماراتية: ٢٠١٨/١٠/١٦

عُقدت في اليومين الماضيين الدورة الحادية والعشرون لمؤتمر وزراء الثقافة العرب وهو تقليد ترعاه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تخطيطاً ومتابعةً، غير أنه يُعقد في السنوات الأخيرة في ظل ظروف عربية مُحَمَلة بتحدياتٍ جسام تتضمن تهديداً للهوية العربية ذاتها من جراء تداعيات ما سُمي بـ"الربيع العربي" والتي أفضت إلى إذكاء قوى خارجية للهويات الطائفية على حساب الهوية العربية الجامعة مع أن العروبة بمعناها الصحيح مثلت دوماً الإطار الحاضن لكل الانتماءات الفرعية، ويُضاف إلى ذلك الفهم المغلوط للإسلام الذي تبنته تيارات بعينها، والذي أفضى إلى تناقض مفتعل بين العروبة والإسلام، ناهيك عن الأفكار المعادية أصلاً للفكرة العربية، والتي وجد أصحابها في الظروف المتردية الراهنة ما يشجعهم على طرحها، ويمثل تقويض الهوية العربية دون أدنى شك تقويضاً للأساس الجامع للعرب ومن ثم وضع نهاية للأمل في مستقبل مشترك لهم، وتضطلع الثقافة بطبيعة الحال بالمسؤولية الأولى في التصدي للتحديات التي تجابه الهوية المشتركة ومواجهة الأفكار المغلوطة المتطرفة عن الدين وانعكاساتها على جوانب حياتنا كافة، ولذلك فقد أحسست بالارتياح عندما أُتيح لي الاطلاع على محاور المؤتمر، والتي تبحث بشكل أو بآخر في هذه التحديات وسبل مواجهتها.

وتُظهر قراءة الأعمال التحضيرية للمؤتمر أنه يدور حول محاور أربعة من شأن النجاح في تناولها على نحو عملي وفعال أن يمثل استجابة سليمة للتحديات التي تواجه العمل الثقافي العربي المشترك، ويركز المحور الأول على دور الثقافة في ترسيخ الهوية العربية من خلال تعزيز اللغة العربية وحمائتها وكذلك تعزيز الانتماء والولاء للذات العربية في مواجهة الولاءات الفرعية وتعضيد التضامن العربي والعمل على تحقيق التناغم والوحدة من خلال التنوع وإبراز التراث الثقافي العربي كقاسم مشترك بين الدول العربية، ويدور المحور الثاني حول مواجهة التحديات الثقافية من خلال الدور الذي يمكن أن تلعبه الثقافة في مواجهة مشكلات التطرف والغلو والإرهاب والعنصرية ودور الثقافة كذلك في المعالجة السليمة للقضايا التربوية والتعليمية ودور النخب العربية المثقفة في بناء المشروع الثقافي العربي وترشيد الدور الذي يلعبه الإعلام المرئي والمسموع ووسائل التواصل الاجتماعي في المحتوى الثقافي بحيث يكون دائماً دوراً إيجابياً، أما المحور الثالث، فيتعلق بقضية اللغة الأهمية بالنسبة لحيوية الثقافة العربية وازدهارها ومستقبلها مازال بعيداً عن المستوى المأمول، وهي قضية بالغة الأهمية بالنسبة لحيوية الثقافة العربية وازدهارها ومستقبلها على النحو الذي يؤهلها للوفاء بالمسؤوليات المناطة بها في مواجهة التحديات التي تعترض في الوقت الراهن مسار النهوض العربي، وأخيراً وليس آخراً يتعلق المحور الرابع بالعلاقة مع الآخر من خلال تعزيز الحوار والتواصل مع العالم وهو عمل بالغ الحيوية إذا أردنا أن نعيش كعرب في بيئة آمنة نفهمها ونستكشف آفاق التعاون مع مكوناتها ونستفيد منها في بناء نهضتنا، ولا تتردد في أن نرفد ثمار هذه النهضة في التيار العام للحضارة الإنسانية.

وقد عكست الكلمات التي أُلقيت في الجلسة الافتتاحية الإحساس بأهمية العمل الثقافي العربي المشترك في الظروف الراهنة، فأكد الدكتور سعود هلال الحربي المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على "أننا نتحمل مسؤولية عظيمة على المستوى الإنساني ونعمل على الارتقاء بعالمنا العربي"، وأوضح أننا "نريد ثقافة تترقي بالإنسان العربي أينما كان. ثقافة متصالحة مع الآخر ومتوازنة بين ماضيها وحاضرها وتمهد لمستقبلها. نريد ثقافة تواكب القوة التكنولوجية والثروة المعرفية"، أما وزيرة الثقافة المصرية مضية المؤتمر، فقد أكدت أننا "نحتاج إلى المشاركة لمكافحة التطرف والحفاظ على التراث العربي... ولا بد أن نفتح على الثقافات الأخرى ونعمل على تعزيز الريادة التنموية والتعددية والتنافسية على الصعيد الدولي"، أما أمين عام الجامعة، فقد وضع النقاط فوق الحروف بوضوح بقوله "إن الثقافة العربية تقف اليوم في مفترق طرق حقيقي، وتعاني من معضلة حقيقية، ولا بد من أن تجد نفسها وفي الوقت نفسه تتواصل مع التاريخ"، كما أكد أن الثقافة ليست نشاطاً تجميلياً وإنما هي المحرك الحقيقي للأحداث، وهي مرتبطة بقضايا الأمن القومي"، ويبقى أن تعكس قرارات المؤتمر المعاني السابقة، وأن تتم متابعتها بجدية فائقة ولعله من حسن الحظ أن يكون على رأس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم رجل يقرب القول بالعمل كمديرها الحالي.

الضربة الثانية من تركيا

*حسني محلي

بعد سيطرة القوات العراقية على مطار كركوك وحقول النفط والمواقع الحساسة في المدينة، قرّرت الحكومة التركية، التي عقدت اجتماعها الاستثنائي برئاسة الرئيس رجب طيب أردوغان، إغلاق المجال الجوي أمام حركة الملاحة باتجاه الشمال العراقي. وأعلنت الحكومة، أيضاً، استعداد تركيا لدراسة أي طلب عراقي لإغلاق معبر الخابور الحدودي، والعمل على تسليم إدارته من الجانب العراقي لبغداد.

وكان قد سبق للحكومة التركية أن منعت سفر الطائرات التركية إلى أربيل والسليمانية، فيما جاءت قراراتها، أمس، غداة إلغاء زيارة رئيس الوزراء بن علي يلدريم لبغداد، بعدما رفضت أنقرة طلباً عراقياً بسحب القوات التركية من جميع الأراضي العراقية، وبشكل خاص قرب بعقوبة القريبة من الموصل. وكانت هذه القوات قد دخلت تلك المنطقة بناءً على طلب رئيس إقليم كردستان مسعود بارزاني، لـ«منع عناصر حزب العمال الكردستاني من السيطرة عليها، خلال عملية تحرير الموصل».

ومن المتوقع أن يتفق الطرفان، العراقي والتركي، من جديد، على زيارة يلدريم لبغداد أو العبادي لأنقرة، خلال هذا الأسبوع، بعد مواقف تركية جديدة تثبت دعم أنقرة للقرارات والتصرفات العراقية الخاصة بكركوك، والشمال العراقي عموماً، لا سيما في موضوع بوابة الخابور التي تسيطر عليها قوات بارزاني منذ حرب الخليج الثانية، حين هُزم الجيش العراقي في الكويت. آنذاك، جاءت حوالي ٨٠ طائرة أمريكية وبريطانية، والبعض منها ألمانية وفرنسية، تحت اسم «قوات المطرقة» إلى تركيا، في تموز ١٩٩١، لحماية كرد العراق شمال خط العرض ٣٦. وسيطر الكرد بعدها على البوابة المذكورة، وربحوا منها منذ ذلك التاريخ مليارات الدولارات، بسبب التجارة التركية مع شمال العراق والدولة العراقية، إلى جانب نشاط المئات من الشركات التركية في العراق وشماله، وهو ما حققت من خلاله تركيا أرباحاً زادت على ٦٠ مليار دولار، منذ عام ١٩٩١، إضافة إلى الأرباح المشتركة مع بارزاني، من تجارة النفط خلال السنوات الأخيرة.

في هذا الوقت، يحتدّ النقاش والاتهامات المتبادلة بين قيادات «الحزب الديمقراطي الكردستاني» بزعامة بارزاني، و«الاتحاد الوطني الكردستاني» بزعامة هيرو أحمد، زوجة الرئيس العراقي الراحل جلال طالباني. ويقول أتباع بارزاني إن القوات الموالية لـ«الوطني» قامت بتسليم كركوك للقوات العراقية، من دون أي اقتتال، فيما تتهم قيادات «الاتحاد» مسعود بارزاني بارتكاب أخطاء فادحة، وجرّ الشمال العراقي والشعب الكردي إلى مغامرات خطيرة.

من جهة أخرى، تتوقّع الأوساط السياسية التركية أن يرضخ بارزاني للشروط العراقية، ويلغي الاستفتاء في حال استمرار التدابير التركية، بعد إغلاق بوابة الخابور، على اعتبار أن ذلك هو المنفذ الوحيد بالنسبة إلى الشمال العراقي، وخصوصاً المناطق التي يسيطر عليها بارزاني.

*صحيفة (الاخبار) اللبنانية ١٧/١٠/٢٠١٧ :

استقلالية القضاء والانتقال نحو الديمقراطية

مدخل أساسي وحقيقي للانتقال نحو الديمقراطية

مركز الجزيرة للدراسات: ٢٠١٨/١٠/٢٠

إدريس لكريني*: تظل التدابير التي تتخذها الدول على طريق الانتقال نحو الديمقراطية غير ناجعة وغير متينة، إذا لم تستحضر ضمن مقوماتها إصلاح القضاء وتعزيز استقلاليته، على اعتبار أنه يشكل الدعامة الأساسية التي يفترض أن تحمي الديمقراطية وتقويها من خلال فرض سيادة القانون وإعطاء بعد قوي للمؤسسات. ولا شك في أن القضاء بدوره يظل بحاجة ماسة إلى فضاء ديمقراطي مبني على الشفافية والتداول السلمي للسلطة، بالصورة التي تمنحه القوة والشجاعة في تطبيق القوانين وحماية الحقوق والحريات.

العلاقة الجدلية بين استقلالية القضاء والديمقراطية

إصلاح القضاء ورهان الانتقال الديمقراطي بالمغرب

أولاً- العلاقة الجدلية بين استقلالية القضاء والديمقراطية

ترتبط الديمقراطية عادة بتداول السلطة بشكل مشروع وسلمي بما يسمح بإشراك المواطنين في تدير أمورهم والمساهمة في اتخاذ القرارات التي تهمهم، واحترام حقوق الإنسان مع القدرة على تدير الاختلاف بشكل بناء. وهي مسيرة معقدة ومركبة تحتاج إلى مجموعة من العوامل والشروط الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية والقانونية والمؤسسية.

إنها عملية مجتمعية تخص الحاكمين كما المحكومين وترتبط بالقيم والمؤسسات، وتشمل العديد من المبادئ مثل الإصلاح الدستوري، ومبدأ الشفافية والاعتراف بسيادة القانون. والإقرار بنظام التعدد السياسي وتطوير المجتمع المدني والتداول السلمي على السلطة.

وقد أكد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الفقرة الثالثة من مادته الحادية والعشرين على أن "إرادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة" ويعبر عن هذه الإرادة بانتخابات نزيهة دورية تجري على أساس الاقتراع السري وعلى قدم المساواة بين الجميع أو حسب رأي إجراء مماثل يضمن حرية التصويت".

وبدأت الديمقراطية في العقود الأخيرة التي أعقبت انهيار المعسكر الشرقي ونهاية الحرب الباردة - كما هو الشأن بالنسبة لمجموعة من القضايا الحيوية الأخرى كحقوق الإنسان والمحافظة على البيئة ومكافحة "الإرهاب" - تستأثر باهتمام دولي متزايد، بعدما ظلت حتى وقت قريب تعد شأنًا داخليًا محاطًا بجدار سميك فرضته سيادة الدول، وهذا ما شكل في أحد جوانبه رادعا معنويًا في مواجهة مختلف الأنظمة الديكتاتورية.

وهكذا، تزايد الاهتمام الدولي في العقود الأخيرة بقضايا الديمقراطية باعتبارها عنصرا أساسيا من عناصر الحماية الدولية لحقوق الإنسان، وتبين ذلك سواء من خلال التدابير والإجراءات التي تتخذها الأمم المتحدة باعتبارها منظمة عالمية أو من خلال بعض التدابير الانفرادية التي تقودها بعض الدول الكبرى في مواجهة الأنظمة التي تعتبرها غير ديمقراطية، بالصورة التي أضحت معها احترام الديمقراطية وحقوق الإنسان مؤشرا أساسيا ضمن مجموعة من المؤشرات التي يقاس بها مدى تقدم وتطور الدول.

وإذا كانت الممارسة الديمقراطية تسمح بخلق فضاء مناسب لبناء قضاء قوي، فإن وجود قضاء مستقل يشكل من جانبه دعامة متينة للممارسة الديمقراطية وترسيخ المساواة أمام القانون.

إن هناك علاقة قوية متبادلة بين إصلاح القضاء والممارسة الديمقراطية، فالديمقراطية تظل بحاجة ماسة إلى قضاء مستقل قادر على مقاربة مختلف القضايا والملفات بنوع من الجرأة والنزاهة والموضوعية، بعيدا عن أي تدخل قد تباشره السلطات الأخرى، مثلما يظل القضاء من جانبه بحاجة إلى شروط موضوعية وبيئة سليمة مبنية

على الممارسة الديمقراطية تعزز من مكانته وتسمح له بتحقيق العدالة المنشودة“ بعيدا عن أي استهتار أو انحراف بالقوانين.

يقصد باستقلالية القضاء“ عدم وجود أي تأثير مادي أو معنوي أو تدخل مباشر أو غير مباشر وبأية وسيلة في عمل السلطة القضائية“ بالشكل الذي يمكن أن يؤثر في عملها المرتبط بتحقيق العدالة، كما يعني أيضا رفض القضاة أنفسهم لهذه التأثيرات والحرص على استقلاليتهم ونزاهتهم.

ويفترض أن يقوم مبدأ الاستقلالية على مجموعة من المرتكزات التي تعززه“ من قبيل اختيار قضاة من ذوى الكفاءات والقدرات التعليمية والتدريبية المناسبة، ومنحهم سلطة حقيقية تتجاوز الصلاحيات الشكلية“ وتسمح للقضاء بأن يحظى بنفس القوة المتاحة للسلطتين التشريعية والتنفيذية“ وتجعله مختصا على مستوى طبيعة الهيئة القضائية والصلاحيات المخولة“ مع توفير الشروط اللازمة لممارستها في جو من الحياد والمسؤولية، بالإضافة إلى وجود ضمانات خاصة بحماية القضاة من أي تدخل يمكن أن تباشره السلطتين التشريعية والتنفيذية في مواجهة أعمالهم أو ترقيتهم أو عزلهم“ وإحداث نظام تأديبي خاص بهم، كما يتطلب وجود هيئة مستقلة تسهر على اختيار القضاة وتعيينهم على أساس الكفاءة وتأديبهم.

وينطوي مبدأ فصل السلطات على أهمية كبرى على اعتبار أنه يحدد مجال تدخل كل سلطة على حدة ويمنع تجاوزها، غير أن هذا المبدأ لا يعني الفصل الصارم والمطلق بين السلطات الثلاث (السلطة التشريعية“ السلطة التنفيذية“ السلطة القضائية) ذلك أن القاضي يظل بحاجة إلى سلطة تنفيذية تسمح بتنفيذ الأحكام والقرارات، كما يظل بحاجة أيضا إلى قوانين ملائمة تصدرها السلطة التشريعية“ كما أن المشرع بدوره يظل بحاجة إلى السلطة التنفيذية والقضائية“ والسلطة التشريعية بحاجة إلى السلطتين القضائية والتنفيذية.

ومن هذا المنطلق فالعلاقة يفترض أن تكون في إطار الضوابط القانونية دون تجاوز أو مصادرة“ فالقضاء الدستوري هو الذي يبت في مدى دستورية القوانين“ فيما يختص القضاء الإداري بالنظر في مدى شرعية أعمال الإدارة وإمكانية إلغاء قراراتها في حالة وجود تعسف في استعمال السلطة.

إن السلطة التنفيذية لا يجوز أن تتناول على المهام القضائية بالضغط أو التأثير“ أو الامتناع عن تنفيذ الأحكام والقرارات الصادرة في حقها من قبل مختلف المحاكم“ أو تعطيل تنفيذها أو توجيه النقد إليها“ مع الحرص على توفير الشروط التقنية والمادية الكفيلة بضمان حسن سير العدالة.

وعلى السلطة التشريعية أيضا“ ألا تتدخل في أي منازعة تدرج ضمن الاختصاص المخول للقضاء“ أو منح جزء من صلاحياته إلى جهات أخرى.

ومعلوم أن القضاء الاستثنائي الذي تجسده المحاكم الخاصة“ يعد أحد العوامل التي تسيء لاستقلالية القضاء“ من حيث كونه يسمح للسلطات التنفيذية والتشريعية بالتدخل في مسار القضايا المعروضة عليه.

لقد أكدت العديد من المواثيق والإعلانات والقرارات الدولية على أهمية استقلالية القضاء في تحقيق العدالة“ وطالبت الدول باحترام هذا المبدأ وبلورته ميدانيا“ فالمادة ١٦ من إعلان حقوق الإنسان والمواطن لعام ١٧٨٩ تؤكد على أن: "كل مجتمع لا تكون فيه ضمانات للحقوق" ولا فصل للسلطات" ليس لديه دستور".

كما أن المادة العاشرة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان تشير إلى أنه: "لكل إنسان الحق، على قدم المساواة التامة مع الآخرين، في أن تنظر قضيته أمام محكمة مستقلة نزيهة نظراً عادلاً علنياً للفصل في حقوقه والتزاماته وأية تهمة جنائية توجه إليه".

وقد أكدت لجنة حقوق الإنسان في مؤتمر "سانتياغو" سنة ١٩٦١ على أن "وجود قضاء مستقل يعد أفضل الضمانات للحريات الشخصية" وأنه يتعين وجود نصوص دستورية أو قانونية ترصد لتأمين استقلال السلطة

القضائية من الضغوط السياسية وتأثير سلطات الدولة الأخرى عليها، وذلك بالحيلولة بين السلطتين التنفيذية والتشريعية وبين ممارسة أية وظيفة قضائية أو التدخل في إجراءات القضاء".

وفي نفس السياق " نجد العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية الذي اعتمد وعرض للتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢٢٠٠ د ٢١- المؤرخ في ١٦ كانون/ ديسمبر ١٩٦٦ (تاريخ بدء النفاذ: ٢٣ مارس/ آذار ١٩٧٦) يؤكد في المادة ١٤ منه" على أن "الناس جميعا سواء أمام القضاء" ومن حق كل فرد" لدى الفصل في أية تهمة جزائية توجه إليه أو في حقوقه والتزاماته في أية دعوى مدنية" أن تكون قضيته محل نظر منصف وعلني من قبل محكمة مختصة مستقلة حيادية" منشأة بحكم القانون".

وجاءت المبادئ الخاصة بميثاق القضاة الأوروبيين، ومبادئ رابطة القضاة الدولية، والإعلان العالمي حول استقلال العدالة الصادر عن مؤتمر مونتريال عام ١٩٨٣، وكذلك اتفاقية الرياض المرتبطة بسلوك القاضي العربي، لتلح على أهمية استقلالية القضاء" وتم التأكيد على ذلك أيضا ضمن المبادئ الأساسية المتعلقة باستقلال السلطة القضائية التي اعتمدها مؤتمر الأمم المتحدة السابع لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين المنعقد في "ميلانو" بإيطاليا من ٢٦ آب/ أغسطس إلى ٦ أيلول/ ديسمبر ١٩٨٥" حيث اعتمدت ونشرت بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٤٠/٣٢ المؤرخ في ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٥، و٤٠/١٤٦ المؤرخ في ١٣ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٥.

وقد تم التأكيد خلالها على ضرورة إيلاء الاعتبار لدور القضاة وأهمية اختيارهم وتدريبهم مع حث الحكومات على بلورة مجموعة من المبادئ الأساسية التي تضمن هذه الاستقلالية في تشريعاتها وممارساتها الوطنية" من خلال: وضع الدولة لضمانات تكفل استقلال السلطة القضائية والتنصيب على ذلك ضمن بنود الدستور أو القوانين الأخرى، فصل السلطة القضائية في القضايا المعروضة عليها بشكل مستقل ومحايد" بعيدا عن أي ضغط أو تهديد أو تدخل مباشر أو غير مباشر، إعمال السلطة القضائية لاختصاصاتها فيما يتعلق بالقضايا ذات الطابع القضائي، عدم التدخل في الإجراءات والتدابير والأحكام والقرارات القضائية" عدم جواز إحداث محاكم استثنائية لا تطبق الإجراءات القانونية المقررة في إطار النظام القضائي المعمول به، ضمان سير الإجراءات القانونية بعدالة واحترام حقوق الأطراف" ثم توفير الموارد اللازمة والكافية التي تسمح للسلطة القضائية بأداء مهامها بطريقة سليمة.

ومن خلال ما سبق" يتبين أن استقلالية القضاء" تتأسس على مرتكزات ذات طابع شخصي ترتبط باستقلالية القاضي نفسه وحياده وحصانته المادية والمعنوية" وأخرى ذات طابع موضوعي ترتبط بتقوية القضاء بالشكل الذي يجعل منه سلطة حقيقية على قدم المساواة مع السلطات الأخرى وعدم التدخل في مهامها واختصاصاتها من لدن السلطات الأخرى(التشريعية والتنفيذية) أو التناول والمساس بالاختصاص الأصلي للقضاء من خلال محاكم استثنائية أو مؤسسات تنفيذية وتشريعية.

يعتبر القضاء المستقل مؤشرا محوريا ضمن مؤشرات التنمية الإنسانية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.. " فهو مدخل فعال للتغلب على الجريمة في مختلف أبعادها ووسيلة رئيسية لتكريس العدالة وحماية الحريات وضمان احترام حقوق الإنسان" وسيادة الثقة في القانون والمؤسسات والتشجيع على الاستثمار" كما أن هناك علاقة وطيدة بينه وبين بناء مجتمع ديمقراطي.

إن استقلالية القضاء هي تجسيد للعدالة وعنصر محوري وهام ضمن الأسس التي ترتكز إليها دولة القانون وهي شرط من الشروط الضرورية التي تؤسس لتوازن السلطات" بما يسهم في ضمان الاستقرار داخل المجتمع ويكفل سير المؤسسات بشكل سليم" ويرسخ ثقة المواطنين فيها(المؤسسات) ويحمي الديمقراطية نفسها من كل انحراف أو زيغ.

فانتهاكات حقوق الإنسان التي تشهدها الكثير من البلدان العربية" لم تكن لتقع بنفس الشكل والوتيرة والخطورة في وجود قضاء قوي ومستقل.

كما إن الانتخابات التي تفرز نخبة يفترض أن تتولى تدبير الشأن العام والوطني والسهر على قضايا المواطنين الحيوية“ تتطلب وجود قضاء فعال ومستقل قادر على ضمان نزاهتها ومرورها في جو سليم وبناء“ من خلال معاقبة المفسدين وتكريس تكافؤ الفرص واحترام إرادة الجماهير.

ولذلك هناك عدد من الباحثين من يعتقد بأن وجود قضاء مستقل يؤكد ويحميه الدستور هو شرط أساسي للديموقراطية يتجاوز في أهميته إجراء الانتخابات ذاتها..

إن إصلاح القضاء وضمان استقلاليته ليس بالأمر الهين كما يعتقد البعض“ وإنما هو عملية مركبة تفترض تجنيد عدد من الجهات وتوافر إرادة سياسية حقيقية بالإضافة إلى شروط قانونية وتقنية مختلفة.

وهو مدخل حقيقي يسهم في تعزيز وترسيخ الممارسة الديموقراطية على أسس متينة“ كما يسمح بوضع الشروط الكفيلة بتنمية مستدامة تركز إلى الثقة في القانون وتشجيع الاستثمار الوطني والدولي“ والتحفيز على الاهتمام بالشأن العام وترسيخ مواطنة بناءة“ وقد أكدت الكثير من التجارب الميدانية تلك العلاقة الوطيدة بين إصلاح القضاء والتطور الاقتصادي.

ثانيا : إصلاح القضاء ورهان الانتقال الديموقراطي بالمغرب

قطع المغرب في السنوات الأخيرة خطوات مهمة على طريق الإصلاح الديموقراطي“ وتعزيز الحقوق والحريات“ في سياق تفاعل إيجابي مع المتغيرات المحلية المرتبطة بتنامي مطالب المجتمعين السياسي والمدني في هذا الاتجاه، ومع التحولات الدولية الكبرى التي أفرزتها نهاية الحرب الباردة وما رافق ذلك من تزايد للاهتمام الدولي بقضايا الديموقراطية وحقوق الإنسان..“ حيث تم إحداث مجموعة من المؤسسات كالمجلس الاستشاري لحقوق الإنسان، والوزارة خاصة بحقوق الإنسان، ومؤسسة الوسيط، والي المظالم وهيئة التحكيم.. وإحداث هيئة المصالحة والإنصاف والمجلس الملكي للشؤون الصحراوية والمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، والمجلس الأعلى للتعليم.. وتمت المصادقة على مجموعة من الاتفاقيات والمعاهدات الدولية المرتبطة بحقوق الإنسان..

كما تحققت مجموعة من المكتسبات الهامة على طريق إصلاح القضاء“ فقد أحدثت المحاكم الإدارية“ التي تختص بالنظر في طلبات إلغاء قرارات السلطات الإدارية بسبب تجاوز السلطة وغيرها من القضايا الأخرى.. كما تم استبدال الغرفة الدستورية في المجلس الأعلى“ بالمجلس الدستوري الذي يسهر على مراقبة دستورية القوانين“ وتم إلغاء محكمة العدل الخاصة“ وإصدار العديد من النصوص والتشريعات القانونية كمدونة الأسرة ومدونة الشغل.. ومراجعة قوانين أخرى..

غير أن مجمل الإصلاحات التي طالت حقل القضاء“ لم تكن بالنجاعة والفعالية التي تضمن استقلاليته“ على الرغم من كثرة الانتقادات الموجهة له“ الأمر الذي يمثل تشويشا على مختلف الإنجازات السياسية والاجتماعية التي حققها المغرب.

لقد حرص المشرع المغربي على التأكيد على مبدأ استقلالية القضاء“ فالدستور المغربي في الفصل الثاني والثمانين من الباب السابع“ أكد على أن القضاء مستقل عن السلطة التشريعية وعن السلطة التنفيذية.

كما أن هناك مجموعة من النصوص القانونية الأخرى التي حاول المشرع من خلالها ترسيخ هذا المبدأ“ ونذكر في هذا السياق الظهير الخاص بالنظام الأساسي لرجال القضاء الذي أكد على استقلالية القضاة وعدم جواز عزلهم ونص على مختلف الضمانات الكفيلة بتوفير الشروط اللازمة لتحسينهم وتأمين حمايتهم وحريرتهم في اتخاذ الأحكام والقرارات، وحاول المحافظة على حياد القضاة من خلال منعهم من ممارسة أي نشاط سياسي أو اتخاذ أي موقف ذي طابع سياسي..

ومن جانبها أكدت حكومة "التناوب" في برنامجها الحكومي على أولوية إصلاح القضاء وهو ما تبلور في بعض الجهود المتخذة في هذا الشأن.

كما إن الوزير الأول الحالي (عباس الفاسي) صرح خلال مؤتمر صحفي عقده بتاريخ ٢٩ يناير ٢٠٠٩ بأن إعادة هيكلة النظام القضائي تعتبر من أهم المجالات التي تركز عليها الحكومة جهودها.

إن التأكيد على فصل السلطات واستقلالية القضاء في مختلف النصوص القانونية“ يظل غير كاف إذا لم يعزز ذلك بإجراءات وتدابير ميدانية تترجمه على أرض الواقع.

فبالرغم من التنصيص الدستوري على استقلالية القضاء بالمغرب“ فإن هذه الاستقلالية لا زالت تطرح مجموعة من التساؤلات والإشكالات“ سواء في جانبها القانوني أو في جانبها المرتبط بالممارسة.

فعلى الصعيد القانوني“ يلاحظ أن الفصل ٨٦ من الدستور المغربي يشير إلى أنه:

”يرأس الملك المجلس الأعلى للقضاء“ ويتألف هذا المجلس بالإضافة إلى رئيسه من:

- وزير العدل نائبا للرئيس“

- الرئيس الأول للمجلس الأعلى“

- الوكيل العام للملك لدى المجلس الأعلى“

- رئيس الغرفة الأولى في المجلس الأعلى“

- ممثلين اثنين لقضاة محاكم الاستئناف ينتخبهم هؤلاء القضاة من بينهم“

- أربعة ممثلين لقضاة محاكم أول درجة ينتخبهم هؤلاء القضاة من بينهم“.

ومعلوم أن المجلس يحظى بصلاحيات حيوية وهامة في علاقتها بالسلطة القضائية“ فهو يسهر بموجب الفصل السابع والثمانين من الدستور المغربي على “.. تطبيق الضمانات الممنوحة للقضاة فيما يرجع لترقيتهم وتأديبهم“.

كما أن الفصل الرابع والثمانين“ يشير إلى أن الملك يعين “..القضاة بظهير شريف باقتراح من المجلس الأعلى للقضاء“.

إن خضوع القضاة للمجلس الأعلى للقضاء على مستوى التعيين والترقية والتأديب“ تطرح مجموعة من الإشكالات في علاقتها باستقلالية القضاء بالمغرب“ ذلك أن هذه المؤسسة الدستورية التي يرأسها الملك، وتتكون بموجب الفصل السادس والثمانين من الدستور - كما رأينا - من ممثلين عن السلطة القضائية(رئيس الغرفة الأولى بالمجلس وقاضيان من محاكم الاستئناف وأربعة قضاة من محاكم الدرجة الأولى يتم انتخابهم من قبل زملائهم)“ تعرف حضورا وازنا للسلطة التنفيذية التي يمثلها وزير العدل والرئيس الأول للمجلس والوكيل العام للمجلس الأعلى باعتباره يمثل الحق العام.

وتبدو سلطات وزير العدل - الذي يتأسس المجلس واقعا وإن كان مجرد نائب عن الملك من الناحية القانونية - واسعة في هذا الشأن“ فهو يملك صلاحيات تقديرية مهمة من حيث إمكانية إيقاف القاضي حالا إذا ارتكب خطأ خطيرا“ بموجب الفقرة الثانية من الفصل ٦٢ من النظام الأساسي لرجال القضاء“ كما يلعب دورا أساسيا على مستوى ترقية القضاة بمقتضى الفصل ٢٣ من نفس النظام“ كما يمكنه تحريك الدعوى التأديبية ضد القضاة دون استشارة المجلس(الفصل ٦١ من نفس النظام)“ وله إمكانية اتخاذ القرار بصدد منح التقاعد للقضاة الذين بلغوا سن الستين عاما أو إحالة ملف المعني بالأمر على المجلس الأعلى للقضاء لتقرير تمديد مدة أقصاها سنتان قابلة للتجديد مرتين لنفس الفترة“ بمقتضى ظهير وباقتراح من وزير العدل(الفصل ٦٥ من نفس النظام)“ بالإضافة إلى الرقابة التي يفرضها على مختلف الأنشطة الثقافية والعلمية التي يمكن للقضاة أن يباشروها من قبيل المشاركة في ملتقيات ومؤتمرات علمية أو نشر دراسات وأبحاث(الفصل ١٥ من نفس النظام)“.

ومن جهة أخرى وبموجب قانون المسطرة الجنائية“ فإن النيابة العامة تعمل تحت سلطة وزير العدل.

كما يلاحظ أن المشرع الدستوري حرص على وصف المجال التشريعي والتنفيذي ب”السلطة““ حيث تحدث عن السلطة التشريعية في معرض تبيانها لممارساتها(من الفصل ٥٢ إلى الفصل الثامن والخمسون من الدستور) وعن السلطة التنظيمية للوزير الأول (الفصل الثالث والستون من الدستور) أو في بابه الخامس عند الحديث عن علاقات السلطات بعضها ببعض(قاصدا العلاقة بين الملك والبرلمان)“ أو في الفصل الثاني والثمانين حيث أكد على أن: “القضاء مستقل عن السلطة التشريعية وعن السلطة التنفيذية“.

وفي مقابل ذلك "نجده يستعمل مصطلح القضاء فقط دون اعتباره سلطة" عند تناول المجال القضائي "وهو ما يثير تساؤلات عديدة بصدد استقلالية القضاء ومدى اعتباره سلطة بالفعل أو مجرد وظيفة.

وعلى مستوى الممارسة الميدانية" تنامت الانتقادات الموجهة إلى القضاء المغربي في السنوات الأخيرة" نتيجة لبعض الممارسات التي تسيء لاستقلاليتها ونزاهتها" من قبيل عدم اعتماد الصرامة في تنفيذ الأحكام القضائية بما يجعل عددا كبيرا منها حبرا على ورق" والتأثيرات التي تباشرها السلطة التنفيذية على مسار القضاء وبخاصة فيما يتعلق ببعض المحاكمات ذات الصبغة السياسية أو المرتبطة بحرية الرأي والصحافة.

بالإضافة إلى مظاهر انتشار المحسوبية والرشوة وسيادة منطق التعليمات" وهي كلها عوامل تحول دون ترسيخ سيادة القانون وتكرس الاستهتار بالقوانين والإفلات من العقاب.

كما تزايدت التقارير الصحفية والحقوقية التي تتحدث عن انتشار الرشوة والفساد في هذا القطاع الحيوي" بالإضافة إلى عدم متابعة بعض الأشخاص ذوي النفوذ السياسي والاقتصادي رغم اقترافهم لجرائم ومخالفات قانونية" وعدم فتح عدد من الملفات المرتبطة بالفساد الإداري ونهب المال العام..

وفي هذا السياق" تعرض في السنوات الأخيرة عدد من القضاة للاعتقال والمتابعة بتهمة الارتشاء وعلاقتهم بمروجي المخدرات في شمال المغرب إلى جانب عدد من المسؤولين في جهاز الأمن.

وأظهرت قضية "رقية أبو عالي" التي تابعها الرأي العام المغربي وتفاعل معها الإعلام والجمعيات الحقوقية، مظاهر من الفساد الذي يعتور جهاز القضاء.

وأمام هذه الوضعية" تزايدت في السنوات الأخيرة المطالب الداعية إلى إصلاح وتقوية القضاء بالمغرب سواء من قبل فعاليات المجتمع المدني أو الأحزاب السياسية" ليكون في مستوى التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها المغرب.

بل إن العديد من المنتمين إلى هذا القطاع الحيوي (قضاة" محامون" موظفون...) تحدثوا غير مرة عن مختلف المشاكل والاختلالات التي يعرفها القضاء" وعبروا عن استيائهم من الظروف الصعبة التي يشتغلون فيها.

إن مطالب الإصلاح تجد أساسها في الوضعية الصعبة التي يعيشها القضاء بالمغرب" وفي أهمية وضرورة ذلك لبناء دولة ديمقراطية تركز إلى المؤسسات وإلى التوازن بين السلطات" بما يسمح بترسيخ مبدأ استقلالية القضاء وبتيح المحاكمة العادلة وحماية حقوق الإنسان في مختلف تجلياتها.

فهئية الإنصاف والمصالحة التي أحدثت سنة ٢٠٠٤ من أجل طي صفحات قائمة من تاريخ المغرب" أوصت في تقريرها النهائي الذي قدم إلى الملك بضرورة تعزيز مبدأ فصل السلطات" وبمنع الدستور لكل تدخل من طرف السلطة التنفيذية في تنظيم وسير السلطة القضائية.

وفي شهر مارس ٢٠٠٧ وخلال افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية للبرلمان المغربي" أكد العاهل المغربي عن عزمه فتح لقاءات تشاورية واسعة من أجل تغيير عميق وشامل للقضاء.

وعلى إثر هذا الخطاب" قامت وزارة العدل بإعداد مشروع يتضمن خطة شاملة لإصلاح القضاء والنهوض به.

وخلال اجتماع أعضاء الحكومة المغربية بتاريخ ٠٣ أبريل ٢٠٠٩" قام وزير العدل بعرض المحاور الكبرى للمشروع" حيث أكد أنه ينطلق من "التشخيص الموضوعي لأوضاع القضاء وغاياتها الهادفة لتعزيز وتحسين استقلال القضاء وتحديثه وتأهيله للنهوض، بمهنية عالية وبكل فعالية، بدوره على أحسن وجه، كدعامة لدولة الحق، ولترسيخ الديمقراطية، وكدرع للأمن القضائي الضامن لسيادة القانون والمحفز على التنمية".

وفي هذه الأجواء قامت مجموعة من الجمعيات والمنظمات الحقوقية بطرح مذكرة تدعو فيها إلى إصلاح القضاء وقدمت مجموعة من المقترحات والتوصيات التي اعتبرتتها مدخلا للرقى بالقضاء المغربي إلى سلطة دستورية قوية ومستقلة.

حيث أشارت إلى أن الإصلاح الحقيقي للقضاء ينبغي أن يبدأ بإصلاح دستوري يضع ضمانات فعالة تكفل استقلالية القضاء والفصل بين السلطات بدل التنصيب عليها فقط“ وأكدت على أهمية إعادة هيكلة المجلس الأعلى للقضاء بالشكل الذي يجعله مستقلا بالفعل عن وزارة العدل التي هي جزء من السلطة التنفيذية“ سواء من حيث موارده المالية أو من حيث مقره ومن حيث تركيبته التي ينبغي أن تتوسع وتفتح لتضم قضاة ممثلين عن مختلف المحاكم المغربية وبعض الشخصيات غير القضائية من قبيل رئيس هيئات المحامين بالمغرب.

كما أوصت المذكرة بضرورة مصادقة المغرب على مختلف الاتفاقيات الدولية التي ستعزز دور القضاء واستقلالته من قبيل معاهدة روما الخاصة بالمحكمة الجنائية والاتفاقية الدولية لحماية الأشخاص من الاختفاء القسري والبروتوكول الاختياري الملحق باتفاقية مناهضة التعذيب“ مع التأكيد على أهمية تنصيب الدستور بشكل جلي وواضح على سمو المعاهدات والاتفاقيات الدولية المصادق عليها على القوانين والتشريعات الداخلية.

وتم التأكيد في هذه المذكرة أيضا على حق البرلمان في التشريع في مجال العفو العام طبقا للقانون الدولي المعاصر.. وبخصوص الجوانب المتعلقة بالإصلاحات التشريعية الضامنة لاستقلال القضاء والمجلس الأعلى للقضاء، أوصت الجمعيات والمنظمات الحقوقية بضرورة توضيح مهام المجلس الأعلى للقضاء على المستوى الدستوري والقانون التنظيمي، على اعتبار أن هذه المؤسسة هي الممثل الدستوري الضامن لاستقلال السلطة القضائية عن السلطتين التشريعية والتنفيذية، لتشمل تتبع الحياة المهنية للقضاة منذ تعيينهم إلى تقاعدهم، وتتبع سير المحاكم على مستوى ضوابط توزيع المسؤوليات والقضايا والمهام القضائية التديرية للمحاكم، وتتبع التكوين، والسهر على التقيد بأخلاقيات المهنة وإقرار جزاءات على الإخلال بها، ومراقبة شروط تسيير المهن المساعدة للقضاء.

وحملت المذكرة توصية تدعو إلى تعديل القانون الخاص بالنظام الأساسي لرجال القضاء رقم ١,٧٤,٤٦٧ لسنة ١٩٧٤“ بما يسمح بتعزيز استقلالية القضاء واستقلال النيابة العامة عن وزير العدل.

كما تضمنت مقترحات أخرى ترتبط بتطوير عمل المعهد العالي للقضاء وتوحيد المعايير المرتبطة باختيار القضاة وتعيين قضاة التحقيق من طرف المجلس الأعلى للقضاء، وتوصيات أخرى تتعلق بمهنة المحاماة وكتاب الضبط وتنفيذ الأحكام وبنائات المحاكم وأوضاع السجون وإصلاح المحكمة الدائمة للقوات المسلحة الملكية وإصلاح المسطرة الجنائية وتوخي الشفافية ومحاربة الرشوة والسماح بالوصول إلى المعلومات..

وفي غمرة هذا النقاش“ جاء خطاب الملك محمد السادس ليوم ٢٠ غشت ٢٠٠٩ بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب“ ليجسد وجود إرادة لإصلاح القضاء“ وليؤكد على أهمية بناء القضاء فعال ومنصف باعتباره حصنا منيعا لدولة الحق، وعمادا للأمن القضائي، والحكامة الجيدة، ومحفزا للتنمية، وكذا تأهيله ليوكب التحولات الوطنية والدولية، ويستجيب لمتطلبات عدالة القرن الحادي والعشرين“، والرغبة في إحداث“هيئة استشارية قارة، تعددية وتمثيلية، تتيح للقضاء الانفتاح على محيطه“.

وقد حمل هذا الخطاب دعوة إلى وزارة العدل من أجل الشروع الفوري في هذا الإصلاح من خلال التركيز على ستة مجالات“ حددها الخطاب في دعم ضمانات الاستقلالية، وتحديث المنظومة القانونية، وتأهيل الهياكل القضائية والإدارية، وتأهيل الموارد البشرية، والرفع من النجاعة القضائية، وتخليق القضاء لتحسينه من الارتشاء واستغلال النفوذ.

إن فتح أورش الإصلا في هذا القطاع الحيوي“ وتطهيره من مختلف العوامل التي تساعد على انتشار الفساد السياسي وخرق حقوق الإنسان واستغلال النفوذ ونهب الأموال العامة.. من خلال تعزيز الضمانات الدستورية في هذا الشأن“ وتطوير وتحديث المحاكم“ وإعادة النظر في تشكيلة المجلس الأعلى للقضاء بالصورة التي تعزز استقلاليته عن السلطة التنفيذية المجسدة في وزير العدل“ بالإضافة إلى تأهيل وتطوير العنصر البشري في وزارة العدل“ واعتماد الصرامة في مواجهة كل ما من شأنه التأثير في هذه استقلالية.. هو مدخل أساسي وحقيقي للانتقال نحو الديمقراطية. وهو أمر لن يتأتى إلا بفتح نقاش واسع وبناء تنخرط فيه مختلف الفعاليات المجتمعية إلى جانب الدولة.

* أستاذ الحياة السياسية، جامعة القاضي عياض بمراكش، المغرب

استقطابات حول أزمات المنطقة

*محمد سيد رصاص

صحيفة (الحياة) : ٢١/١٠/٢٠١٨

دخلت الجزائر في عشرية من المواجهة المسلحة بين السلطة الجزائرية والإسلاميين بعد انقلاب ١١ كانون الثاني/يناير ١٩٩٢، والذي أتى لمنع الجولة الثانية من الانتخابات البرلمانية التي فاز الإسلاميون بجولتها الأولى. في هذا الانقلاب، أكدت المؤسسة العسكرية أنها الحاكمة منذ انقلاب بومدين على بن بيللا في ١٩ حزيران/يونيو ١٩٦٥، وأنها لن تسمح بالخروج عن هذا السياق. لم يكن مجيء بوتفليقة للرئاسة عام ١٩٩٩ خارج ذلك.

كان مفاجئاً أن تدعم الجزائر الإسلاميين في فترة الصراع الليبي ٢٠١٥ - ٢٠١٨، الذي أنتج أزمة ليبية بين إسلاميي الغرب في طرابلس من جهة، والعسكر المتحالفين مع برلمان طبرق في الشرق الليبي من جهة أخرى. هناك لوحة غريبة إلى «حدّ ما» تعطىها الأزمة الليبية: استقطاب إيطالي - جزائري يدعم حكومة فائز السراج في طرابلس الغرب، المعترف بها دولياً بعد اتفاق الصخيرات أواخر ٢٠١٥ والمدعومة من الإسلاميين، في مواجهة استقطاب فرنسي - مصري - إماراتي يدعم الفريق خليفة حفتر في بنغازي وبرلمان طبرق. الولايات المتحدة الأمريكية تعترف بحكومة السراج، لكنها في الوقت نفسه تدعم مساعي المبعوث الدولي غسان سلامة، في حلّ متوافقٍ عليه بين السراج وحفتر.

تعطي الأزمة الليبية (المقصود بمصطلح الأزمة هو استعصاء توازني في صراع محلي - إقليمي - دولي، لا يستطيع طرفاه الحسم ضد الطرف الآخر، ما ينتج أزمة على الأرجح أو الأغلب تنتهي بتسوية لها) صورة خاصة: واشنطن التي تخلّت عن الإسلاميين بعد انقلاب عبد الفتاح السيسي على محمد مرسي في ٣ تموز/يوليو ٢٠١٣، لا تتوافق مع القاهرة في الأزمة الليبية، وفي الوقت عينه تعترف بحكومة يقودها الإسلاميون في طرابلس الغرب، في مواجهة معسكر الشرق الليبي المعادي للإسلاميين المدعوم من القاهرة. هناك انقسام أوروبي بين روما، المستعمر القديم لليبيا، وباريس التي قادت عملية «الناتو» ضد معمر القذافي عام ٢٠١١ بدعم من واشنطن، ما يجعل الأزمة الليبية في حالة من التعقيد الشديد. أما واشنطن، التي تلتقي مع الإمارات في العداء والمواجهة مع إيران في عهد دونالد ترامب، وليس في عهد باراك أوباما الذي عقد اتفاق ١٤ تموز/يوليو ٢٠١٥ مع طهران، فلا تلتقي مع أبو ظبي في ليبيا.

يشبه انقلاب السيسي انقلاب خالد نزار عام ١٩٩٢، أي انقلاباً عسكرياً على إسلاميين منتخين لينتج الانقلاب اضطراباً سياسياً - أمنياً - اجتماعياً، ولكن مصر والجزائر لا تلتقيان في أزمة بلد يقع بينهما. على الأرجح، إن الجغرافيا هي التي تفسر اختلافهما "تريد العاصمتان منع وقوع ليبيا تحت نفوذ الطرف الثاني منهما، لذلك كان التحالف مع قوى ليبية من أجل إنشاء النفوذ لكل منهما لتحقيق ذلك. هنا كانت القاهرة في حالة انسجام أيديولوجي لما تحالفت مع قوى معادية للإسلاميين، فيما تحالفت الجزائر، التي لسلطتها الحاكمة أثار من الدماء في صراعها مع الإسلاميين، مع إسلاميين خارج الحدود الجزائرية.

هناك لوحة غريبة إلى «حدّ ما» تعطىها الأزمة الليبية

لا تنفرد الأزمة الليبية في تعقيد الاصطفافات حولها، بل تشاركها الأزمة اليمنية في ذلك. ثمة مؤشرات كثيرة على أن العملية العسكرية السعودية - الإماراتية في اليمن يوم ٢٦ آذار/مارس ٢٠١٥، التي سميت «عاصفة الحزم»، ضد تحالف الحوثيين - علي عبد الله صالح المدعوم من طهران، لم تكن برضا أوباما. سبقت تلك العملية العسكرية بأسبوع عملية توقيع «بروتوكول لوزان» حول الملف النووي الإيراني، الذي كان أساساً لـ«اتفاق فيينا» في ١٤ تموز/يوليو ٢٠١٥، وسمّي «١+٥»، وهو أساساً اتفاق أمريكي - إيراني، كان المراد منه فتح صفحة جديدة في العلاقات، وتم عملياً فيه موافقة طهران على تفكيك برنامجها النووي مقابل اعتراف واشنطن بالحدود القائمة للتمدد الإيراني في

إقليم الشرق الأوسط (شكل هذا الاتفاق الدافع الرئيس لترامب إلى سحب توقيع واشنطن على الاتفاق المذكور، في ٨ أيار/ مايو ٢٠١٨).

هنا تمكن قراءة عملية الرياض وأبو ظبي كضربة وقائية ضد التداخيات المحتملة للاتفاق المرتقب بين واشنطن وطهران ومحاولة لضرب حلفاء طهران في صنعاء استباقياً، في مناخ كان مرتقباً فيه توقيع الاتفاق، في وقت أشارت فيه التوقعات إلى أن تكون تلك العملية العسكرية قصيرة الزمن، وهو ما لم يحدث. اللافت هنا، أن الغموض الأمريكي في الموقف تجاه تلك العملية السعودية – الإماراتية لم يتبدد إلا مع مجيء ترامب الذي يحمل سياسة صدامية مع طهران، لكن اقتراب المبعوث الدولي السابق لليمن إسماعيل ولد الشيخ، والحالي مارتن غريفيث، من الحوثيين أكثر من قريهما من الرئيس اليمني المعترف به دولياً عبد ربه منصور هادي، وكذلك تقارير المنظمات الدولية عن اليمن، تشي بغياب وحدة أمريكية – سعودية – إماراتية تجاه الأزمة اليمنية.

يمكن هنا إضافة الطريقة التي تغطي بها «BBC» الأزمة اليمنية، وهي بالتأكيد تثير الغيظ في الرياض وأبو ظبي. جرت تحليلات كثيرة عقب عملية سيطرة الحوثيين – علي عبد الله صالح على صنعاء في ٢٠ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٤ بأن واشنطن في حالة غضبٍ بصر عن العملية التي هزّ صداها السعودية والخليج، وأن تلك العملية هي «بشكل ما» تعويض لطهران عن اهتزاز وضعها في العراق عقب سقوط حليفها نوري المالكي في آب/ أغسطس ٢٠١٤ إثر شهرين من سقوط الموصل بيد «داعش»، من أجل جذب طهران عبر تلك المكافأة التعويضية نحو تنازلات أكبر لواشنطن في الملف النووي الذي كانت مفاوضاته في حالة استعصاء ذلك العام.

هنا يمكن الملاحظة أيضاً أن الأزمة السورية، التي هي أكبر أزمة دولية – إقليمية – محلية منذ عام ١٩٤٥، لجهة تأثيراتها في المحيط الدولي والمناخ الإقليمي وتأثيراتها في تفريخ الإرهاب الدولي أكثر من تجربتي أفغانستان ١٩٧٩ – ١٩٩٨ والعراق ٢٠٠٤ – ٢٠١٣، هي أقل تعقيداً في لوحة استقطاباتها، ربما بسبب شدتها وأهميتها أكثر من الأزميتين الليبية واليمنية. فبعد مدة قصيرة من نشوب الأزمة السورية في درعا، في ١٨ آذار/ مارس ٢٠١١، توضحت ملامح الاستقطابات الدولية – الإقليمية بدءاً من آب/ أغسطس ٢٠١١، عندما تشكل استقطاب أمريكي – تركي – فرنسي – قطري يطالب الرئيس السوري بالتنحي، وكان يدعم أنقرة التي تحولت إلى ظهير للمعارضة الإسلامية بشكليها المدني والعسكري. في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١١، توضحت معالم استقطاب روسي – إيراني يدعم السلطة السورية.

السعودية ظلت في حالة نأي بالنفس عن الأزمة السورية حتى أيلول/ سبتمبر ٢٠١١، وعندما اتجهت أكثر نحو دعم المعارضة السورية، ظلت في حالة اختلاف مع أنقرة والدوحة المدعومتين من واشنطن في عامي ٢٠١١ و٢٠١٢، والساعيتين إلى انتصار «الإخوان المسلمين» في عموم البلدان العربية الخمسة المتفجرة. وقد كانت الرياض في حالة توجس من وصول «الإخوان» إلى السلطة في البلدان العربية، خاصة في القاهرة ودمشق، وتأثير ذلك بالوضع السعودي. ففي مقالة للأمير تركي الفيصل (رئيس المخابرات السعودية السابق)، في جريدة «الشرق الأوسط»، كشف عن أن عملية إسقاط مرسي كانت رغماً عن أوباما.

لم تتقارب واشنطن والرياض في الأزمة السورية إلا عند نزع واشنطن لأنقرة والدوحة عن إدارة الملف السوري، بدءاً من صيف ٢٠١٣. وعقب تولي الملك سلمان جري تقارب سعودي – تركي أدى إلى زيادة دعم للمعارضة السورية المسلحة، الأمر الذي قاد إلى سقوط محافظة إدلب بيد المسلحين السوريين المعارضين وتقدمهم باتجاه منطقة الغاب، الشيء الذي قاد إلى الدخول العسكري الروسي في ٣٠ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٥. لم يعمر كثيراً هذا التقارب السعودي – التركي ولم يتجاوز حدود ٢٠١٥. كان لمصر بعد سقوط مرسي سياسة أقرب إلى موسكو في الملف السوري من قريها إلى الرياض وواشنطن، ويبدو هذا بسبب العداء للإسلاميين ولأنقرة الداعمة لهم. يلاحظ هذا أيضاً عند مقارنة موقف الإمارات من الأزمة السورية، إذ تقيس أبو ظبي مواقفها في اليمن وليبيا من منظور سياسة مجابهة الإسلاميين.

* كاتب سوري

مآل التحديث العربي.. من الدولة إلى العصاية

*برهان غليون

صحيفة (الاتحاد) الإماراتية : ٢١/١٠/٢٠١٨

شهدت معظم المجتمعات العربية، منذ بدايات النهضة في القرن التاسع عشر، تطورا كبيرا للفكر السياسي والاجتماعي الحديث، انعكس في ما يمكن تسميتها الثورة الدستورية التي شارك فيها العرب مع الشعوب المسلمة الأخرى، المتطلعة إلى اللحاق بالعصر، في إطار السلطنات القديمة المتداعية. وقد استمر هذا التطور بعد الانفصال عن السلطنة العثمانية، وتسارع، ولو مع كثير من المخانق، في ظل الوصاية الاستعمارية، وعبر عن نفسه من خلال تمسك الحركات الاستقلالية بالدستور وبالسيادة الوطنية، ورفض التبعية، ومقاومة السيطرة الأجنبية، والسعي إلى الاستقلال الكامل والناجز. وورثت بلدان عربية عديدة، في المغرب ومصر وسورية والعراق ولبنان والسودان وغيرها، بعد الاستقلال، نظما تعددية ديمقراطية الطابع، على الرغم مما كان يشوبها من نواقص وتشوهات، لم يكن من المستحيل التغلب عليها، وتجاوزها مع الزمن.

لكن السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية شهدت، في البلدان العربية كما الحال في معظم بلاد العالم، صعودا عاصفا لأفكار الثورة الاجتماعية، وتبنت أفكارها، كما حصل في روسيا الشيوعية وصين ماو تسي تونغ، نخب "طليعية"، على أمل أن يفتح القضاء على احتكار السلطة والثروة من شرائح قليلة من المجتمع، طريق التقدم الصناعي والزراعي، ويمكن المجتمعات من اللحاق السريع بالدول الصناعية الغربية. وقد أنشأت هذه الأفكار التي انتشرت في بلدان العالم المتأخرة جميعا، سواء وصل أصحابها إلى الحكم أم لا، مناخا جديدا بدت فيه النظم الليبرالية أو شبه الليبرالية، في مقابل ما يقدمه النموذج "الثوري" الروسي أو الصيني من فعالية وإنجاز، مهترئة وبالية، لا تفي بالمطالب الشعبية، ولا تستجيب للتطلعات العميقة إلى السيادة والنهضة الحضارية. وخلال السنوات القليلة التي أعقبت الاستقلال، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، اكتسحت الثورات والانقلابات التي ارتبطت بها القسم الأعظم من الدول الصغيرة التي ولدت من حركات تصفية الاستعمار، وعلى أرضية انحسار الهيمنة الأوروبية في القارات الثلاث، آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

بيد أن الأزمات العديدة التي بدأت تعاني منها هذه النظم الثورية، منذ السبعينيات، والزوال السريع للأوهام التي ارتبطت بها، وإخفاقها في تلبية المطالب الاجتماعية، والرد على التوقعات التي ولدتها في مرحلة صعودها، كل ذلك وضع حدا للأمال القديمة المعلقة عليها، وأحبط الشارع الشعبي، وأدخل النخب السياسية التي التحقت جميعها تقريبا بالمشروع "الثوري" في أزمة أيديولوجية عميقة، دفع أكثرها إلى العودة إلى "النموذج السائد"، أي إلى نظام التعددية والتنافس على السلطة، لإعادة بناء الشرعية. كانت بلدان أمريكا اللاتينية التي شكل مقتل شي غيفارا صدمة كبيرة لشعوبها، هي السبابة للدخول في هذا الطريق عبر مفاوضات صعبة للتسوية السياسية بين حركات المقاومة المسلحة والنخب اليمينية الحاكمة. لكن ستعقبها بسرعة الكثير من الدول الأفريقية قبل أن تلتحق بها، منذ نهاية الثمانينيات، الكتلة السوفييتية برمتها، أعني الاتحاد الروسي ودول أوروبا الشرقية وآسيا الوسطى جميعا.

(١)

لم يختلف وضع الدول العربية التي دخلت في التجربة ذاتها عن ذلك، فقد كانت مصر سبابة لاكتشاف مأزق نموذج النظام السوفييتي، أولا بسبب هشاشة الأسس النظرية والسياسية التي قام عليها هذا النموذج فيها. وثانيا بسبب الضربة المعنوية القاسية التي أصابت السلطة العربية "الثورية" نتيجة الهزيمة المؤلمة التي تكبدتها في مواجهة القوات الإسرائيلية، وحليفها الأمريكي عام ١٩٦٧. وهكذا بينما بدأت القاهرة في التحلل من أوهامها الثورية، والعودة إلى طريق الليبرالية، لكن بعد تفريغها من مضمونها السياسي الرئيسي، وهو احترام الحريات العامة وتعزيزها، منذ وفاة الرئيس جمال عبد الناصر وتسلم أنور السادات السلطة من بعده، كانت السلطة "الثورية" في سورية والعراق وليبيا واليمن والسودان وغيره لا تزال تتخبط من دون أن تصل إلى قرار. أما في الجزائر فقد عوّضت الموارد النفطية الكبيرة عن إفلاس النموذج نفسه، وسمحت باستمراره من دون هزات كبيرة حتى التسعينيات، لتلحق تطوره بنموذج النظم الخليجية الريعانية، ولو في ثوب جمهوري.

لم يكن هناك من حيث المبدأ ما يمنح البلاد العربية التي اختبرت النموذج السوفييتي من الخروج السلمي والتدريجي من حكم الحزب الواحد إلى النظام التعددي، كما حصل في كل بقاع العالم، باستثناء كوبا وكوريا الشمالية. لكن ما حصل كان معاكسا لذلك. فبدل الخروج من أزمة النظم "الثورية" من باب العودة إلى التعددية والديمقراطية، فضلت البلاد العربية الخروج من باب الكمبرادورية الاقتصادية والفاشية السياسية، وإعادة بناء النظم الاستبدادية على أسس جديدة، سواء ما تعلق بالقاعدة الاجتماعية التي تقوم عليها، أو بنوعية الأجهزة والمؤسسات التي تستند إليها في فرض سلطتها وإرادة أصحابها، أو بالأيدولوجيا التي تعبر من خلالها عن مصدر شرعيتها. فبالإضافة إلى الطلب الدولي، أو بالأحرى الغربي، على النظم الاستبدادية التي تضمن "الاستقرار"، وتوفر شروطا أفضل للاستثمار الاقتصادي والاستراتيجي، وجدت النخب السياسية والثقافية العربية في التوظيف في المسألة القومية، مع اختصارها في الاعتراض على التوسعية الإسرائيلية، أو دعم القضية الفلسطينية، أفضل وسيلة لإنقاذ نموذج حكم الاستثناء. وهكذا لم تعد ثورية النظم مرتبطة بتبليتها تطلعات الجمهور الشعبي من عمال وفلاحين وتقليص الفوارق بين الطبقات، وتسريع وتائر التنمية الاقتصادية وبناء القاعدة الصناعية والتقنية والعلمية للبلاد، وإنما في تأكيد الوحدة الداخلية والإبقاء على النظم القائمة من دون تغيير، فأصبحت الثورية في العقيدة والممارسة رديفا لحكم الاستثناء والمحافظة على قوانين الطوارئ وإلغاء الحقوق الفردية والحريات العامة واستباحة السلطة للفضاء العام السياسي والمدني والديني وإزالة كل "الخصوصيات".

وكما احتلت البيروقراطية المتحالفة مع أطراف وكسور عشائرية وطائفية واجتماعية محل طبقة العمال والفلاحين مكان الحاضنة الاجتماعية للنظم المتجددة، حلت عقيدة الحفاظ على الأمن، أو مقاومة الصهيونية والوقوف في وجه الاستعمار أو كليهما، موردا للشرعية محل شعارات الثورة الاجتماعية والصناعية والعلمية. وأخذت الأجهزة الأمنية المتقاطعة والمليشيات الموازية والمتنامية التابعة للإرادة الشخصية للحاكم الفرد، تحتل المكانة التي كانت من اختصاص الجيوش الشعبية والعقائدية في تأمين شبكات الدفاع والحماية للنخب الحاكمة، بل في ضمان اتساق النظام بأكمله، وضبط حركته، وتوحيد مؤسساته، وتسييرها، بما في ذلك تجديد النخب نفسها، والعناية بتأمين العناصر القيادية السياسية والإدارية اللازمة لتشغيل النظام. وشيئا فشيئا، أصبحت النظم السياسية رهينة مباشرة لهذه المؤسسة الأمنية والمليشيات العسكرية التي لا هدف ولا برنامج لها سوى الحفاظ على نفسها، وتخليد الوضع القائم، وتثبيت زعاماته وأعوانه في مواقعهم وأدوارهم، والقضاء في المهد إذا أمكن على احتمال ظهور أي عامل أو عنصر يمكن أن يشكل في المستقبل تهديدا للنظام، فكريا كان أم سياسيا أم اقتصاديا أم تقنيا.

وصار إلغاء الحقوق والحريات وتعليق القانون وتعميم الملاحقات الأمنية وتهديد الأفراد في وجودهم وأرزاقهم علامة الوطنية، أو القومية التي أصبحت تعني الاهتمام بفلسطين، وبرهانا عليها. وما كانت هناك شروط أفضل من ذلك، لتعميم الفساد والرشوة ونهب المال العام، والتخلي عن مسؤوليات الحكم والقيادة لصالح تكوين شبكة المصالح الشخصية من الممسكين بالسلطة والثروة، وتحويل الدولة إلى عصابة، تستخدم القوة والعنف لتحقيق أهدافها الخاصة، ولا تتورع عن أي عمل من أجل ضمان استمرارها وتنمية مواردها وثرواتها ونفوذها.

وبمقدار ما قاد السطو العلني، و"شبه القانوني"، على موارد الدولة والمجتمع إلى تنظيم حرب ضدهما واستعمارهما من الداخل، وقوض في النهاية أي فرصة للتقدم الصناعي والتقني والعلمي للبلاد، وقاد إلى الكساد الاقتصادي وتعميم الفقر وتعميق التفاوت الصارخ بين الطبقات، سوف يقود إلى الثورات الشعبية، ويدخل المجتمعات منذ نهاية العقد الماضي، في حقبة طويلة من الحروب والنزاعات الأهلية.

(٢)

ولدت من رحم النظم "الثورية"، أي الانقلابية والاستثنائية، نظم مغلقة كليا، تسير بقوة دفعها الذاتية، وحسب منطقها الداخلي، لا تدين للمجتمع بشيء، ولا تتأثر به أو تلتفت إلى ما يقول، وتقتصر علاقتها به على تحييده، ومنعه من المبادرة أو الحركة أو الاحتجاج. نحن في الواقع أمام آلات لا يمكن النفاذ إليها، ومن باب أولى فتح حوار معها أو التفاوض، بأي صورة كانت، حول السياسات التي تتبعها. ذلك أنها لا تخضع، هي نفسها، في سلوكها أو

سيرها إلى أي مفهوم سياسي، وليس لها علاقة بالسياسة أو بالمجتمع. إنها عوالم قائمة بذاتها، تعيش في فلك خاص بها، وتتبنى مفاهيم وتعتمد معايير من تصميمها، لا علاقة لها بالمعايير القائمة في العالم الخارجي المحيط بها. وبعد أن استمكت موارد البلاد التي وضعت يدها عليها، لم تعد بحاجة كي تضمن بقاءها إلى التعامل أو التفاعل مع أحد من خارجها. ولا للتواصل مع المجتمع أو التعامل معه إلا عبر المؤسسات التي خلقتها هي نفسها، والتي تشكل جزءاً من جهاز أمنها، بما فيه المؤسسات غير الأمنية. والمكان المفضل لديها للتواصل مع أفرادها، والاتصال بهم هو مكاتب فروع الأمن المنتشرة في كل قرية وحي ودوار. هذه هي الوضعية الوحيدة التي يجد فيها أعضاؤها الأمان والثقة الضروريين، واللغة الرئيسية لبناء علاقاتها مع أفراد الشعب في أثناء ممارستها حياتها الطبيعية، وسيلتها لفرض الخوة والأمر الواقع عليهم.

هكذا وجدت أكثر الشعوب العربية نفسها في مأزق يصعب الخروج منه، فهي في وضعية يائسة لا تفيد فيها الثقافة ولا السياسة، ولا يمكن أن ينمو فيها أي أمل بالحوار، ولا ينفج معها لا الضغط ولا الاحتجاج ولا الاعتصام. إنها أمام غول نشأ في أحشائها، ونما في رحمها، وهو يمتلكها من الداخل ويستبد بكل مواردها ومؤسساتها وإمكاناتها العقلية والمادية معاً، ويتحكم بها حتى يكاد يحصي عليها أنفاسها وتنهذاتها. ومن هذه الأوضاع الاستثنائية خرجت السياسة الاستثنائية أو سياسة الاستثناء الأقصى للسياسة، إلغاء الشعب والقضاء عليه وتشريده من طرف، والانتفاضات الشعبية الانتحارية من طرف آخر.

كان من الممكن لثورات الربيع العربي أن تشكل فاتحة لتغيير في علاقات السلطة يعيد الطغم الحاكمة، سواء أكانت طبقات أو شرائح أو نخباً لقيطة، إلى الواقع، ويدفعها إلى القبول بحد أدنى من المساومة على حكم الاستثناء الذي تريد تخليده، ومعه إلغاء أي مفهوم للحقوق والواجبات والقانون والعدالة والمواطنة بل وللسياسة، والاعتراف بوجود شعب، مالك الأرض، تجمع بين أفرادها رابطة سياسية تتجاوز بهم الولاءات الأهلية والعصبية الطبيعية، من طوائفية وعشائرية وأقوامية، لتؤسس لالتزامات متبادلة يحكمها الولاء المشترك للقانون، وبالتالي الكف عن التعامل معهم كما لو كانوا قطيعاً من الماشية، وفي أحسن الأحوال أتباعاً وموالين شخصيين. لكنها فعلت العكس. هكذا قادت الثورات المضادة الطغم الحاكمة إلى تبني سياسات أكثر تطرفاً في العنف والإقصاء والاستثناء، فأطبقت على شعوبها بقبضة آلتها الجهنمية الأمنية، لتعيدها إلى أوضاع أسوأ بكثير من السابقة، بعد أن قوّضت أركان الدولة ومؤسساتها، ووضعت المجتمعات في دوامة الفوضى العارمة التي تحتاج فيها إلى زمن طويل، قبل أن تستعيد توازنها وسكينتها و"رشد"ها وتتمكن من بناء رد منظم على استباحة فضائها ومحرماتها.

لكن، بتقويضها دولها ومجتمعاتها حولت هذه الطغم الأزمة من أزمة سياسية وطنية إلى أزمة إقليمية ودولية، ورفعتها إلى مستوى يجعلها خارج سيطرتها، ونقلتها إلى داخل مجموعة النظم العربية التي اعتقدت أنها، ببنياتها الأبوية وولاءات جماعاتها العشائرية والدينية والمحسوبية، يمكن أن تنأى بنفسها عنها، وتحتمي بها من عدوى فكرة المواطنة والحقوق السياسية والمعنوية المتعلقة باحترام الأفراد والكف عن اغتصاب إرادتهم وضميرهم وتجريدهم من إنسانيتهم، لتسهيل استتباعهم. وأمام شعورها بضغط الأزمة الإقليمية الجارف، لا تجد هذه النظم الأبوية اليوم سوى ارتداء الدرع ذاتها التي ارتدتها من قبل النظم الثورية المجهضة، واستبدال سياسة الاستثمار في علاقات الولاء الشخصية، على أساس العرف أو الدين أو القرابة أو المحسوبية، بعلاقات الإخضاع الآلي، وبالتالي إعادة بناء آله الحرب الداخلية التي تعتقد أنها الوحيدة التي تضمن وجودها وسيطرتها. لا نعرف بعد من قتل الكاتب السعودي، جمال خاشقجي، بالتحديد، لكننا ندرك أن القتل أصبح العملة السياسية الوحيدة المتداولة في حقل السياسة، في مشرق العالم العربي ومغربه. وما يبدو احتكاراً للعنف من طرف واحد في البداية لن يلبث حتى يصبح الرأسمال الأكثر شيوعاً ومجانية بين أيدي الجميع في مرحلة ثانية.

هل سيكون لدى المجتمعات العربية القدرة من جديد على تحطيم هذه الآلة الجهنمية، أقصد "الدولة العصابة"، أم سوف تستمر الشروط الإقليمية والدولية التي ساهمت في نشوئها واستمرارها تحول دون ذلك، وكيف؟ هذا سؤال يستحق التفكير، حتى لو أن الإجابة عنه ليست بالضرورة جاهزة.

الأمريكيون يقيمون دويلة غير شرعية شرقي الفرات

النموذج الأمريكي في إعادة بناء هذه المنطقة وغيرها من مناطق العالم

حوار صريح مع وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف مع روسيا اليوم ووسائل إعلام فرنسية

روسيا اليوم: ٢٠١٨/١٠/٢١

كسينيا فيودوروفا، مدير ورئيس تحرير RT France: مرحبا بكم معالي الوزير وشكرا لكم على منحكم لنا هذه الفرصة. سأبدأ فوراً بالسؤال الأول. تتعرض روسيا دائماً، وبالأخص في الآونة الأخيرة، لوابل من الاتهامات من قبل الدول الغربية ووسائل الإعلام: كالتدخل في الانتخابات والهجمات السيبرانية ضد عدد من المنظمات، بدءاً من الوكالة الدولية لمكافحة المنشطات وانتهاءً بمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية. ومنذ فترة وجيزة وجهت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا وهولندا في آن معا اتهامات مماثلة وقدمت لمثلي وسائل الإعلام معلومات مضى عليها نصف عام. فما هذا؟ أهي حملة مخطط لها بهدف الضغط على روسيا وفرض عقوبات جديدة؟ وكيف تعلقون على الأدلة المقدمة بهذا الصدد؟

سيرغي لافروف، وزير الخارجية الروسي: يصعب عليّ البتّ بجديّة في هذا الموضوع لأن جميع الأدلة تقدّم لنا عبر وسائل الإعلام. ومع الاحترام الكبير لها ولمهنة الصحافة، إلا أننا كأناس جادّين لا يمكننا النظر في مسائل محددة تُتهم خلالها روسيا الاتحادية بجميع الذنوب دون استخدام المعايير القانونية المصاغة خصيصاً لهذا الغرض. لقد ذكرتم بأنهم ألصقوا بنا تهماً مضى عليها ستة أشهر. ومنذ حين أتهمونا أيضاً بما مر عليه "أربع سنوات". فمقتل نائب الرئيس السابق لشركة "أيرفولوت" السيد غلوشكوف الذي كان يقيم في لندن بعد تقديم لجوء سياسي له فيها، أثار مجدداً قلق الإدارة البريطانية. وظهرت تكهنات جديدة حول أن روسيا متورطة في مقتله، وذلك لأنه كان ينوي قبيل وفاته التحدث عن علاقاته بالاستخبارات، وعن ما تنوي الأخيرة فعله في بريطانيا وغيرها من الدول الغربية.

وبالتالي، فإن ستة أشهر ليست الحد الأقصى. وسنكون مستعدين لاستفزازات أوسع نطاقاً. ولكن ردنا بسيط للغاية: إذا كانوا يتحدثون معنا عبر وسائل الإعلام، فسندرد عن طريقها ولكن بشكل دقيق ومحدد. والدقة تكمن في أننا نطرح أسئلة عملية بحتة. فلماذا لا يتم، مثلاً في الأمر الذي تحدثتم عنه، تفعيل آلية معاهدة حظر الأسلحة الكيميائية؟ فهي تنص مباشرة على أنه يجب على الدولة العضو في المعاهدة والتي تظهر لديها تساؤلات تجاه دولة عضو أخرى في المعاهدة أن تبدأ بشكل مباشر بالحوار الفعال مع هذه الدولة. فهذا لم يجر. والأكثر من ذلك أنه عندما أرسلنا إلى الهيئات المعنية في إنجلترا طلب لجنة التحقيق التابعة لنا حول ضرورة تفعيل قواعد المساعدة المتبادلة في القضايا الجنائية، أبقوا هذا الطلب لديهم عدة أشهر بدون أي رد، ومنذ أيام قليلة جاءنا الرد الذي كتب فيه رسمياً أنه ولأسباب متعلقة بالأمن القومي لا يمكن لبريطانيا أن تقدم لنا المساعدة في هذه القضية الجنائية بالتحديد والمتعلقة بمصير مواطني روسيا الاتحادية.

وحتى إذا أخذنا بعين الاعتبار أن لدى سيرغي سكريبال جنسية مزدوجة، فبالإضافة للجنسية الروسية لديه جنسية بريطانية، فإن يوليا سكريبال مواطنة روسية مئة بالمئة. وكل المعاهدات الدولية تطالب لندن بتنفيذ التزاماتها والسماح لنا بالوصول إلى يوليا.

فهم لا يسمحون بمقابلتها، والأكثر من ذلك ليس هناك رد على سؤال محدد جداً. ليس سؤال مبهم يتضمن عبارات "highly likely" (من المرجح جداً)، أو "ليس لدى أحد آخر دافع أو سبب لذلك"، بل السؤال المحدد: أين سيرغي سكريبال؟ أين يوليا سكريبال؟ لماذا لا يسمحون لأقربائهما بمقابلتهما، ولا يمنحونهم تأشيرات دخول؟ وغيرها الكثير. كل ذلك محدد جداً.

فإذا كان زملاؤنا الغربيون يتعمدون بهذه الهيستيريا إخراجنا عن طورنا، فهم لا يقرأون الكتب التاريخية بشكل صحيح. فإذا كان هذا الأمر سطحياً أو أن هذا السعار السياسي، إن صح القول، سيزول بشكل طبيعي، وعندما سيفرغون كل ما في جعبتهم، عندها نحن في انتظارهم في الميدان القانوني للحوار الجاد والمهني وغير البروبوغاندي.

إيف تريار، نائب مدير إدارة جريدة فيغارو؛ معالي الوزير، أنا إيف تريار، نائب مدير إدارة جريدة فيغارو. ولدي سؤال بسيط للغاية: من وجهة نظركم ألا تتحاز فرنسا بشدة إلى الولايات المتحدة في سياستها تجاه إيران وسوريا وأوكرانيا؟ سيرغي لافروف، وزير الخارجية الروسي؛ لا أوافق على ذلك، لأننا إذا أخذنا على وجه الخصوص إيران فإن فرنسا وروسيا وبريطانيا وألمانيا والصين وإيران كذلك تبقى جميعها ملتزمة بخطة العمل المشتركة الشاملة حول البرنامج النووي الإيراني. ويجري الآن عمل مكثف جدا بما في ذلك بمشاركة جميع الدول التي ذكرتها آنفا، أي واضعو هذه الاتفاقية عدا الولايات المتحدة التي انسحبت من هذه الصفقة. يجري عمل مكثف من قبل الثلاثية الأوروبية وروسيا والصين وإيران للحفاظ على هذا الاتفاق ولكن بدون الولايات المتحدة. لذا لا بد من وضع آليات تسمح بتنفيذ كل ما تم الاتفاق عليه وكذلك تأمين الأرباح الاقتصادية لإيران التي ستنفذ التزاماتها في ظروف جديدة.

ويتضمن هذا العمل الكثير من المشاكل التقنية والمالية والإجراءات المصرفية، ومع ذلك يجري تنفيذه. وآمل بأن تلك التهديدات التي تصرح بها واشنطن التي لم تخرج من خطة العمل المشتركة الشاملة فحسب، وإنما تطالب الآخرين بوقف مشاركتهم في هذا الاتفاق الذي يعتبر واحدا من أهم الاتفاقات خلال السنوات الأخيرة. آمل أن تلك التهديدات لن تؤثر على البنزس الأوروبي.

لقد سمعت بأن بعض الشركات الأوروبية، بما في ذلك الفرنسية قد غادرت إيران. وزملاؤنا في برلين وباريس ومع تأكيدهم بالتزام حكومتي ألمانيا وفرنسا بهذه الصفقة يقولون إنه لا يمكنهم إجبار البنزس على البقاء في إيران، في حال كان لدى هذا البنزس مصالح أكثر في الولايات المتحدة الأمريكية. نحن ندرك ذلك، ولكن يمكن للحكومات ويجب عليها القيام بكل شيء من أجل تقديم البدائل للبنزس. وهذا بالتحديد ما يقوم به زملاؤنا من الهيئات المالية والبنوك المركزية وغيرها من الهيئات الأخرى.

وبالتالي لا أرى هنا تطابقا في مواقف فرنسا والولايات المتحدة، كما لا أرى تطابقا في مواقف باريس وواشنطن في حزمة واسعة من المسائل الأخرى، بما في ذلك الموقف تجاه اتفاق باريس للمناخ والذي خرجت منه الولايات المتحدة أيضا، كخروجها كذلك من إحدى المنظمات الموقرة والتي يقع مقرها في باريس، وهي منظمة اليونيسكو. أعتقد أنه هذا مثال غير جيد لتطابق مصالح الولايات المتحدة وفرنسا، فهنا نرى تنافر واضح للمصالح.

أما فيما يخص سوريا، فمن المرجح هنا بأنه لديكم الكثير من النقاط المشتركة في المواقف تجاه هذه الأزمة، وليس بين فرنسا والولايات المتحدة فحسب، وإنما بين أوروبا والولايات المتحدة عموما. فتعمل ما تسمى بالمجموعة المصغرة حول سورية والتي شكّلت بمبادرة من الرئيس ماكرون، ويدخل فيها كل من فرنسا والولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا والأردن والمملكة السعودية ومصر كما أذكر. وتتخذ هذه المجموعة مواقف لا نقاسمها فيها. وهنا أنتم أقرب بكثير إلى مواقف واشنطن.

وأتجرد عن الأشكال التي تُعرض فيها هذه المواقف في هذه المرحلة أو تلك، فأنتم توجهون العمل بالشكل الذي سيغير النظام السوري بأي ثمن وبأن تنتهي العملية السياسية بتغيير النظام حتما، ما لا ينص عليه القرار رقم اثنان وعشرون وأربعة وخمسون، والذي نريد احترامه والذي يقترح مبدأ واضحا جدا: على السوريين بأنفسهم أن يقرروا مصير بلدهم ومصيرهم. وهذا القرار يقترح، كما تعلمون، صياغة دستور جديد وإجراء انتخابات تحت إشراف الأمم المتحدة، انتخابات يمكن لجميع السوريين أن يشاركوا فيها، وغيرها من الأمور.

وبالطبع، لا يمكننا أن نوافق على تصرفات أعضاء هذه المجموعة المصغرة، تجاه استخدام القوة ضد الدولة السورية وضد المنشآت الحكومية السورية تحت ذريعة استخدام دمشق للأسلحة الكيماوية. وهذه الذرائع لم تُبرهن فورا بالحقائق. وما جرى في الرابع عشرة من أبريل، عندما قصفت فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة منشآت مرتبطة، كما أُعلن، بإنتاج الأسلحة الكيماوية في سوريا، وقد جرى ذلك قبل عدة ساعات من الوصول المفترض لمفتشي منظمة حظر الأسلحة الكيماوية لهذه المنشآت.

وكنتم على علم بذلك، كان مسؤولوكم على دراية جيدة بذلك، والجميع علم بهذا. وإذا كان في هذه الحالة، عندما كان المفتشون على وشك الوصول وإجراء تحقيق مستقل، قررت هذه الدول الغربية الثلاث قصف هذه المنطقة

بالتحديد، فليس لدي أي تفسير آخر، عدا أنكم كنتم تعلمون بأن الاتهامات ضد دمشق باطلة، وحاولتم من خلال هذا القصف.. لستم أنتم بالطبع، المعذرة على قولي ذلك، هيئاتكم الرسمية حاولت من خلال هذا القصف عرقلة عمل المفتشين. ومنذ ذلك الحين، وكما ذكرت سابقاً، نحاول إجراء حوار ما بشأن سوريا. ونحن لسنا ضد الاتصالات مع هؤلاء الذين لا يشاطروننا تقييماتنا، وهؤلاء الذين لا نقاسمهم تقييماتهم. روسيا تتواجد في سوريا بدعوة من الحكومة الشرعية، أما الدول الغربية فبدون هذه الدعوة. ولكن الرئيس ماكرون قد طرح حينها فكرة أن تقوم هذه المجموعة المصغرة حول سوريا بالتواصل مع مجموعة أستانا: مع روسيا وتركيا وإيران. نحن مستعدون لمثل هذه الاتصالات، ولكن علينا، بالطبع، بدايةً وقبل البدء بشكل جاد بمناقشة أمر ما، علينا تحديد أسس مثل هذا الحوار. والأساس يمكن أن يكون القرار اثنان وعشرون وأربعة وخمسون فقط، والذي تعتبر فيه مواقف السوريين أنفسهم وأنه على السوريين فقط أن يخوضوا هذه العملية حجر زاوية. فلا يمكننا أن نحل أية مسائل هامة من وراء ظهر الحكومة والمعارضة والمجتمع المدني السوري.

وفيما يخص أوكرانيا، وقد تطرقت إلى هذا الموضوع، توجد مجموعة الاتصال والتي يجب ضمنها على الحكومة والمعارضة وبدعم من روسيا ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا أن تتفقا على خطوات محددة لتنفيذ اتفاقيات مينسك. وتوجد صيغة النورماندي التي تمثل فيها كل من روسيا وفرنسا وألمانيا وأوكرانيا. وهذه الصيغة أنشئت لتقديم الدعم لعمل مجموعة الاتصال. وتتعاون ضمناً عن كثب، علماً أنه لم تجرِ قمة لها منذ فترة طويلة. فقد مضى عامان، ولكن الخبراء والوزراء يتحاورون ضمن هذا الإطار، بما في ذلك روسيا وفرنسا. وأعتقد بأننا أصبحنا نفهم بعضنا الآخر أكثر.

كسينيا فيودوروا، مدير ورئيس تحرير RTFrance؛ وسائل الإعلام الرئيسية في الغرب لاتزال تصمت عما يتعلق بأكبر الأزمات الإنسانية في اليمن. وفي الوقت الذي تصدر فيه بعض الدول ومن ضمنها فرنسا الأسلحة إلى السعودية تصمت هذه الوسائل عن الضحايا مثلما حصل في الموصل والرقعة حيث كانت الخسائر البشرية هائلة جداً، لكنه في نفس الوقت وخلال عملية تحرير شرق حلب حيث وفرت روسيا الممرات الإنسانية كان يُفسر هذا الوضع كأكبر كارثة في المنطقة. كيف توضحون وجود هذه المعايير المزدوجة؟

سيرغي لافروف، وزير الخارجية الروسي؛ توضيح ذلك سهل، إذا قلنا باختصار إن هذه دعاية صارخة وغير نزيهة. ذكرتم اليمن، فمنذ وقت طويل أطلق ممثلو الأمم المتحدة على مستوى نائب الأمين العام المسؤول عن القضايا الإنسانية على الوضع في اليمن اسم "أكبر كارثة إنسانية في عصرنا الراهن". ونسهم في بذل الجهود الرامية إلى تسهيل معاناة الشعب اليمني ونورد المساعدات الإنسانية إلى هناك بانتظام، وهذا الأمر ليس سهلاً على ضوء الأعمال القتالية المستمرة. بالرغم من ذلك استطعنا عدة مرات أن نتفق مع التحالف العربي وبالتحديد مع السعودية التي تتأسسه وبالنتيجة كانت التوريدات الإنسانية تنفذ وسنواصل ذلك في المستقبل.

نعرف أن التحالف العربي الذي يواصل الأعمال القتالية يقدم بنفسه مساعدة كبيرة نسبياً للشعب اليمني. وذلك أمر مفيد بيد أنه ينبغي إنهاء الحرب. وعلى ما يبدو أن النوايا الحسنة والنبيلة تشكل دافعا للمبعوث الخاص للأمم المتحدة إلى اليمن السيد غريفيث في عمله، لذا نريد مساعدته في ذلك.

تتمثل المهمة الرئيسية الآن في وقف الأعمال القتالية والتوصل إلى الاتفاق بشأن تنظيم حركة ميناء الحديدة حيث تندلع حوله معارك أكثر شراسة، وبشأن الانتقال السريع إلى العملية السياسية.

لقد انخرط السيد غريفيث للأسف في الخلافات المتعلقة بتحديد مكان اللقاء وطرق الوصول إليه.. وهذا لا يناسب حدة وإلحاح اللحظة هذه، وسنعمل بكل ما في وسعنا للإصرار على ضرورة ترك كل الأمور الأخرى التافهة جانبا وإجلاس الأطراف إلى طاولة المفاوضات دون شروط مسبقة.

أما الحالات الأخرى.. فقد ذكرتم الرقة والموصل، لم يهتم أحد بضرورة اتخاذ الإجراءات الخاصة من أجل تقليل الأخطار بالنسبة للسكان المدنيين كما فعلنا في حلب حيث وفرنا الممرات الإنسانية وكنا نتفق مع المعارضة. وكان بإمكان المدنيين مغادرة تلك المناطق إن رغبوا في ذلك.

كما كان بإمكان المسلحين الذين لم يرغبوا بالمشاركة في الاشتباكات مغادرة تلك المناطق أيضا إن شاءوا. وكانت هناك ضجة كبيرة وقبل كل شيء في الصحافة الغربية وصحافة بعض دول المنطقة حول التطهير الإثني وطرد الناس من ديارهم. وبهذا الصدد أستطيع أن أذكركم بأنه منذ ذلك الحين عاد مئات الآلاف من السكان إلى حلب ولا يزالون يعودون بشكل مستمر. كما تم ترميم وتصليح جميع المكونات الرئيسية للبنية التحتية والخدمات العامة ويشبه هذا الوضع ما يجري في الغوطة الشرقية.

وبالمناسبة، كان زملاؤنا الغربيون يشتكون من النقص في الأدوية أثناء المعارك من أجل تحرير شرق حلب، كما كانوا يطالبون باستمرار "توفير المرافقة للقوافل الطبية بما في ذلك التي حملت الأدوات الجراحية". وكانت هناك أسباب عديدة للاشتباه بأنه إلى جانب الأهداف الإنسانية النزيفة أرادوا توصيل المواد الطبية والأدوية والأدوات الجراحية اللازمة من أجل ضمان علاج المسلحين.

بعدما تم تحرير شرق حلب زاره ممثلو منظمة رعاية الصحة الدولية من دمشق وصرحوا علنا عن العثور على كميات هائلة من المواد الطبية اللازمة بكل أنواعها وكذلك مستودعات ضخمة، كما أكدوا على عدم وجود أي نقص في الأدوية في حلب.

أما الرقة والموصل فلم يعلن أحد عن وجود أية ممرات إنسانية هناك. كما لم يهتم أحد كثيرا بضرورة توفير الممر الآمن للسكان وإمكانية عودتهم فيما بعد. والآن فقط بدأ الناس يعودون إلى هناك وبأعداد قليلة. وبقيت الجثث غير مدفونة على مدى أشهر حتى فترة قريبة، ولم يفك أحد الألغام هناك مثل ما فعل العسكريون الروس في حلب والغوطة الشرقية.

أكرر مرة أخرى أننا وبطبيعة الحال نلفت نظر الأمم المتحدة إلى ضرورة تركيز الاهتمام بأوضاع المدنيين في الرقة وفي المناطق الأخرى. لكننا لا نتصرف في هذا الشأن انطلاقا من المبدأ "باعتبار أنكم تثيرون موجات الدعاية ضدنا بصدد حلب سنرد عليكم بالتذكير بما حصل في الرقة". ونتمنى أن تُقدم للمجتمع الدولي صورة موضوعية عما يجري في جميع أنحاء سوريا.

ريجي لو سومييه - نائب مدير مجلة باري ماتش: بالعودة إلى إدلب والغوطة. ابتداءً من عام ٢٠١٥، اتهمت روسيا طوال جميع مراحل الحرب بإنزال غارات جوية مكثفة على المدنيين أثناء تواجد المسلحين في مناطق مأهولة. ألا تشعرين كدبلوماسي بالأسف بسبب سقوط هذا العدد الهائل من الضحايا من أجل إنهاء الصراع العسكري والعودة إلى الوضع الذي كان عليه في عام ٢٠١١، مع بقاء بشار الأسد في سدة الحكم وتدمير البلاد؟

سيرغي لافروف - وزير الخارجية الروسي: تعرفون أنه يجب على كل شخص عقلاني أن يأخذ مسألة قتل مدنيين أو أناس عزّل على محمل الجد. أما فيما يخص جميع الاتفاقيات المتعلقة بالالتزام بالقانون الدولي الإنساني والمبرمة بين روسيا وفرنسا وغالبية دول العالم فإنها تنص على ضرورة تضافر الجهود بغية إبعاد المدنيين عن أية مخاطر. فضلا عن ذلك، تدل هذه الاتفاقيات على مطلب آخر يتعلق بتجنيد المدارس والمستشفيات والأحياء السكنية من القصف والحيلولة دون وقوع مثل هذه الهجمات على المباني الأخرى ثنائية الاستخدام إذا كان ثمة مجرد اشتباه بوجود مدنيين فيها.

إذا كنتم تهتمون فعلاً بتنفيذ جميع هذه المطالب من قبل الإنسانية والحضارة الغربية وحضارتنا فلا بد لكم من العودة إلى الماضي. في هذا السياق، ونظراً لأننا أوروبيون وأعضاء منظمة الأمن والتعاون في أوروبا فلنعود إلى عام ١٩٩٩ حين قصف الناتو يوغوسلافيا. وقد دمر حلف الناتو المباني المدنية والمباني ثنائية الاستخدام.

وقد هدموا وزارة الدفاع وهيئة الأركان العامة. وبوَدِّي تذكيركم بأنهم دمروا جسر سكك الحديد في الوقت الذي كان قطار يقل ركابا يسير عليها.

أما فيما يخص المركز التلفزيوني في بلغراد فدمره الناتو أيضاً. أتعرفون سبب ذلك؟ يعود هذا السبب إلى أنه زُعم بأن هذا المركز كان يمارس "الدعاية الزائفة".

حين تقول بعض الدول بما فيها فرنسا إن وسائل الإعلام الروسية ليست ووسائل إعلام بل هي أدوات للدعاية، أعتقد أن هذا الأمر يثير تساؤلات كثيرة.

لذلك أتفق تماماً معكم فيما يخص الحروب أينما كانت سواء في يوغوسلافيا أو ليبيا التي دمرها الناتو بمشاركة فرنسا حين أطلق الرئيس ساركوزي هذه العمليات العسكرية التي خالفت القرار الأممي. وقد نص ذلك القرار فقط على إقامة منطقة حظر الطيران فوق ليبيا لكي لا يتسنى لطيران القذافي التحليق فيها. وبالمناسبة لم ينفذ الطيران الليبي تحليقاته.

لكن على أية حال، تعرضت ليبيا إلى غارات جوية. وتحدثت فرنسا بصراحة في عام ٢٠١١ عن إيصال الأسلحة إلى خصوم القذافي التفافاً على قرار حظر السلاح أي حظر تصدير أية أنواع من الأسلحة إلى ليبيا. أما الآن فنلاحظ في ليبيا كوارث إنسانية كبيرة وتدفعاً للمهاجرين إلى أوروبا وتسلاً للمجرمين والإرهابيين مع الأسلحة الفرنسية الصنع إلى أفريقيا السوداء.

أذكرون الرواية التي لا يمكننا نسيانها. فبعد تدمير ليبيا من جانب الناتو توجه الإرهابيون إلى الجنوب، وقد اتصل بي السيد لوران فابيوس الذي شغل آنذاك منصب وزير الخارجية الفرنسي لهذا السبب. وكانت فرنسا في تلك الأوقات قلقة من تعرض مالي إلى مخاطر إذ تواجدت فيها قوات فرنسية كانت تواجه مختلف العصابات الإجرامية القادمة من الشمال والتي حاولت الاستحواذ على العاصمة مالي. وكانت فرنسا تسعى إلى الحصول على سماح أممي لمحاربة هذا الخطر الإرهابي.

لقد اتصل بي السيد لوران فابيوس وطلب مني عدم رفض هذا القرار. فأجبته أننا لن نرفضه بل على العكس سندعمه، إذ أن مكافحة الخطر الإرهابي هي مسألة مهمة.

وقلت له عليكم أن تأخذوا بعين الاعتبار أنكم تواجهون هؤلاء الذين زودتموهم بالسلاح في ليبيا. وقد ضحك السيد فابيوس قائلاً: "هذه هي الحياة" لكن هذا التعبير لا يمت بصلة إلى السياسة. لا ريب في أنها معايير مزدوجة.

أما فيما يتعلق بسوريا فبودي التشديد من جديد، وقد ذكرت ذلك رداً على السؤال السابق، على أننا قمنا بكل ما في وسعنا بغية تحرير المدنيين في شرق حلب والغوطة الشرقية وتسوية المشكلة المتعلقة بالمنطقة الجنوبية لخفض التصعيد والتي تم التوصل إليها مع الولايات المتحدة والأردن وبالتشاور مع الطرف الإسرائيلي أخذاً بعين الاعتبار قرابة الجولان المحتل منها. أما العملية العسكرية هناك فنُفذت دون حدوث أية تداعيات إنسانية وخيمة.

وقد تسنى للقوات الأممية استعادة عمليات المراقبة الرامية إلى فض الاشتباك في الجولان المحتل إضافةً إلى استعادة خطي "ألفا" و"برافو" حيث يتواجد الجيشان السوري والإسرائيلي وفقاً لما تم الاتفاق عليه في عام ١٩٧٤. وبطبيعة الحال، علينا التصرف دائماً بهذه الطريقة.

لا نعرف ما يحدث في بعض المناطق السورية خصوصاً وأن الأمريكان الذين يتحصنون في الضفة الشرقية لنهر الفرات لفترة طويلة أقاموا هناك منطقة بقطر ٥٠ كم حول التنف. ويتواجد داخل هذه المنطقة مخيم الركبان لللاجئين الذي لا يمكن الوصول إليه، إذ لا أحد يقدم ضمانات أمنية لدخول هذا المخيم دون التعرض إلى هجمات الدواعش الذين يتصرفون بحرية في هذه المنطقة الخاضعة للسيطرة الأمريكية.

فضلاً عن ذلك، نحصل على مزيد من الأدلة على أن الأمريكان ينقلون الدواعش من سوريا إلى العراق وأفغانستان. وتشغل بالننا هذه المعلومات، لذا توجهنا إلى المؤسسات الدولية المعنية وإلى الطرف الأمريكي بغية الاستفسار عن ذلك. كما ذكرت، يشغل هذا الأمر بالننا خصوصاً وأن غالبية الخبراء يعتبرون أن ثمة محاولات لتحويل أفغانستان إلى مرتع جديد "لداعش". ويتحصن الدواعش أساساً في شمال أفغانستان أي بالقرب من آسيا الوسطى حيث يتمركز حلفاؤنا وشركاؤنا الاستراتيجيون. هذه المسألة مهمة، وسنكون حريصين على مواصلة العمل للحصول على إيضاحات فيها.

ريجي لوسوميه، نائب مدير مجلة باري ماتش: بالعودة إلى مسألة إدلب... أكد الرئيس بشار الأسد أن الأوضاع الحالية في إدلب مؤقتة. هل تعتقدون أن شركاءكم الأتراك، قادرون على نزع سلاح الجهاديين المتواجدين في إدلب؟ وما هو الحل برأيكم لهذه العقدة الأخيرة في الحرب السورية؟

سيرغي لافروف، وزير الخارجية الروسي: أولاً، الاتفاق مع الأتراك مؤقت فعلاً. ولن تنتهي هذه القصة إلا عندما يستعيد الشعب السوري السلطة ويخرج جميع الغرباء من أراضي سوريا، لا سيما من جاء إليها بدون دعوة رسمية. وهذا واضح للجميع.

أما فيما يتعلق بكيفية تنفيذ اتفاقية سوتشي، فيجب القول إنه يتم تنفيذها، حيث بدأت عملية إنشاء منطقة منزوعة السلاح في إدلب وبدأ سحب الأسلحة الثقيلة من هناك، ويتعامل شركاؤنا الأتراك بنشاط مع المعارضة ويقنعونها بضرورة التعاون، وهذا التعاون يجري. سنتابع هذه العملية بانتباه.

لا أتفق معكم في أن إدلب هي المنطقة المتأزمة الأخيرة في الأراضي السورية. هناك مساحات شاسعة من الأراضي السورية شرقي الفرات تجري فيها أشياء غير مقبولة مطلقاً. تسعى الولايات المتحدة بواسطة حلفائها السوريين، وبالدرجة الأولى بواسطة الكرد، لاستخدام هذه الأراضي بهدف تأسيس دويلة غير شرعية.

ريجي لوسوميه، نائب مدير مجلة باري ماتش: ما زال داعش يسيطر على هذه الأراضي..

سيرغي لافروف، وزير الخارجية الروسي: كلا، بل يتواجد هناك فلول داعش. كما سبق لي وقلت لكم، الدواعش يتموضعون في منطقة قاعدة التنف التي قام الأمريكيون ببنائها بصورة غير شرعية. إن تواجد الأمريكيين هناك أمر غير شرعي، وهذه القاعدة تم إنشاؤها بصورة أحادية. وطبقاً للمعلومات المتوفرة لدينا، وهذه المعلومات متوفرة أيضاً لدى بلدان أخرى، فإن الأمريكيين يقومون بإرسال الدواعش إلى العراق وأفغانستان.

وفي شرقي الفرات يحاول الأمريكيون، وبصورة غير شرعية إطلاقاً، إقامة دويلة ويبدلون قصارى جهدهم لتهيئة ظروف ملائمة وطبيعية لحياة أتباعهم، ويؤسسون هناك هيئات السلطة البديلة لهيئات سلطة الجمهورية العربية السورية ويساهمون في إعادة اللاجئين وإسكانهم هناك. وفي نفس الوقت لا ترغب الولايات المتحدة ولا فرنسا ولا غيرها من الدول الغربية في تهيئة ظروف لعودة اللاجئين إلى مناطق أخرى في سورية، إذ يربطون في الغرب ذلك بضرورة إطلاق عملية سياسية "تحظى بالثقة" على حد قولهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا لا حاجة في الضفة الشرقية لنهر الفرات، والتي يسيطر عليها الأمريكيون مع أتباعهم المحليين، إلى انتظار إطلاق العملية السياسية التي "تحظى بالثقة"؟ لا يمكن أن تكون إلا إجابة واحدة، ألا وهي: أنهم يريدون إنشاء منطقة ستكون أساساً لدويلة جديدة ما. وعلى ما يبدو، إنهم يبادرون في لعبة جديدة خطيرة مع فكرة كردستان الكبرى... ولا أستبعد ذلك، لأن الولايات المتحدة في هذه المنطقة تسعى في أغلب الأحيان إلى الحفاظ على التوتر وإلى منع أي شكل من أشكال التهدئة.

ففي هذه المياه العكرة يسهل عليهم صيد السمك كما يشاؤون. ولا يمكن أن تكون عاقبة ذلك خيراً. وعندما يقولون لنا أن أحداً لا يتصرف كما تشاء الولايات المتحدة، فلنتذكر العراق و"زجاجة العار" التي أظهرها كولن باول في مجلس الأمن كـ "دليل قاطع" والأهم من ذلك هو أن في مايو ٢٠٠٣ أعلن جورج بوش الابن من متن حاملة الطائرات الأمريكية عن "انتصار الديمقراطية" في العراق.

وأين العراق اليوم؟ وفي ليبيا أيضاً تم الإعلان عن أن الدكتاتور قد هُزم. وشاهدت هيلاري كلينتون بث مقتله وكانت سعيدة لذلك. وأين ليبيا اليوم؟ أرادوا فعل ذات الشيء مع سوريا. إذاً فإن النموذج الأمريكي في إعادة بناء هذه المنطقة وغيرها من مناطق العالم لا يمكن اعتباره نموذجاً ناجحاً.

هل يقف الإقليم على عتبة «نقطة تحول»؟

*عريب الرنتاوي

مركز القدس للدراسات : ٢٠١٨/١٠/٢٢

باءت جهود أكثر من ثلاث سنوات من العمل السياسي والدبلوماسي لوقف الحرب في اليمن وعليه، بالفشل المتكرر.. تفاقمت الكارثة الإنسانية، وباتت غير مسبوقة وفقاً لتقارير الأمم المتحدة.. تعاقب الموفدون الدوليون من دون جدوى.. وتنقلت موائد الحوار والمشاورات بين عواصم عدة، من دون نتيجة.. اليوم، تهب رياح جديدة، بخفة حتى الآن، ولكنها مشبعة بعناصر التفاؤل بفرص الحل وإمكاناته.

أما الأزمة الخليجية فلم يكن حالها أفضل.. وساطات كويتية وأمريكية راوحت مكانها.. مشاريع قمم في كامب ديفيد وواشنطن لم يكتب لها أن ترى النور.. الأطراف ما زالت على مواقفها، بل وتنزلق في أتون حروب إعلامية ودبلوماسية ومعارك «علاقات عامة» مكلفة لتحسين صورة هذا الفريق، و«تقبيح» صور خصومه... لا تقدم حتى الآن، مع تباشير انفراجة تلوح في الأفق كذلك.

تلکم بعض من تداعيات أحداث الأسبوعين الأخيرين في إسطنبول، والحبل على الجرار... ما بات يُعرف باسم ملف اختفاء الخاشقجي، تحول إلى عامل تغيير لقواعد الاشتباك وديناميكيات بعض الأزمات، في منطقة لا ثابت فيها سوى التغيير... تنام على مشهد وتصحو على غيره... في منطقة، يصعب سبر أغوارها بالعقل وأدواته والمنطق وحكمته... كل شيء عرضة للتغيير السريع وكل شيء قد يحدث في لحظة بصر.

اليمن، أو الحرب المنسية، عادت لاحتلال مكانة متزايدة من اهتمام الإعلام الدولي ومراكز صنع القرار، وبات الحديث فيها وعنها، يندرج في سياق «التسوية الشاملة» التي يجري التداول بعناصرها... لا شك أن مارتن غريفيت، يتابع عن كثب كافة مجريات ووقائع الأسبوعين الأخيرين، ويرصد بعين الخبير كيف يمكن أن تنعكس على مهمته، وما الذي يمكن أن تولده من مستجدات في مواقف الأطراف الفاعلة وتحالفاتها وأولوياتها... لا شك أنه يشعر بأنه معني بالقول: «مصائب قوم عند قوم فوائد» أكثر من غيره.

لا يعني ذلك أن الحرب ستضع أوزارها غداً، وأن المعاناة الإنسانية ستُرفع عن كاهل أطفال اليمن ونساءه وشيوخه بين عشية وضحاها، أو أن زمن المعارك الكبرى قد ولى... لكن السلام في اليمن، قد يمتلك فرصة جدية لأول مرة، ناجمة بالإساس عن انسداد أفق هذه الحرب، وتعاضم كلفها، وحالة الإرهاق التي أصابت أطرافها، واحتمال بروز ميل متزايد لدى بعض الأطراف المقررة، للتسويات وال طول الوسط، بعد أن بات وضعها عصياً على الاحتمال.

والأزمة الخليجية بدورها، تبدو كعرض جانبي، سيزول بزوال المرض الرئيسي... الفتور التركي - الخليجي الذي بلغ حداً غير مسبوق في العامين الفائتين في طريقه إلى الزوال، وربما نشهد على اندفاع كبيرة في مستوى وسوية العلاقات بين هذه الأطراف... واشنطن ستجدها سائحة لاستئناف جهود المصالحة، وكذا الكويت، «راعية الأولى» في الجهود الرامية لرأب الصدع الخليجي... الأزمة قد لا تنتهي فوراً وبالكامل، ولكنها في طريقها للحلحلة كذلك.

لا ندرى كيف ستنعكس تطورات الأسبوعين الأخيرين على بقية أزمات المنطقة، لكننا نعرف أن كثرة من اللبنانيين تفاءلوا بقرب تشكيل حكومتهم الجديدة... والعراق بات أكثر تحفظاً من ثقل «العامل الإقليمي» مع أن إيران ما زالت لاعباً إقليمياً رئيساً على أرضه في مواجهة اللاعب الدولي الرئيس: واشنطن... الشيء غير المؤكد بعد، هو قياس أثر هذا التطورات على «صفقة القرن» ومشروع «الناتو العربي» الذي دشنت في واشنطن على هامش اجتماعات الجمعية العامة... هنا، وهنا بالذات، قد يأتي التغيير في الاتجاه المعاكس.

حراك إقليمي، أبعد من إسطنبول وأكبر من واقعها التي شغلت الرأي العام، وعلى المراقبين أن يستنفروا أدواتهم المعرفية، لقياس اتجاهات هبوب الريح في المرحلة المقبلة.

الديمقراطية في عالم متحول

*د. محمد الصياد

صحيفة (الخليج) الإماراتية : ٢٢/١٠/٢٠١٨

منذ إنشاء واعتماد الديمقراطية في القرن الخامس قبل الميلاد، في أثينا ولايات المدن اليونانية، كأداة إدارة مجتمعية كلية قائمة على «حكم الشعب لنفسه»، وبعد الطريق الطويل والوعر الذي قطعه مسيرة تطبيقاتها العالمية، يبدو اليوم جلياً، التفاوت والتباين المختلف الدرجات لمدى نجاح تطبيقها في بلدان العالم قاطبة، والتي تبنتها في مراحل تاريخية مختلفة، بعضها متقدم وبعضها الآخر متأخر جداً، وبعضها الآخر لا زال حتى اليوم، لم يحسم بعد موقفه منها، والتحاقه بركبها العالمي الذي صار يعتمد عليها مرجعية في كافة مناحي حياته.

فهي متقدمة، ناضجة ومستقرة، في بلدان الغرب التي نقلتها عبر الخبرة التاريخية المتراكمة، إلى مرتبة الديمقراطية الليبرالية، وذلك بتأكيداتها إضافة إلى وظيفتها التحكيمية المرجعية حماية حقوق الأفراد والأقليات، وهي ديمقراطيات صاعدة في البلدان التي لم تصل بعد إلى مرحلة تضمين دساتيرها حماية مثل هذه الحقوق، وهي ديمقراطية لا زال الشكل يتفوق على مضمونها في البلدان التي قررت تبنيها حديثاً، إنما مع قصر إطار ممارستها على مفهومها ومبتغاها الضيقين، اللذين لا يتجاوزان البناء المعماري المخصص لمداولاتها المكرسة افتراضاً لقضايا التشريع والرقابة.

ممارسة الديمقراطية على أرض الواقع في حواضنها الأولى، تتخطى بكثير إطارها «التقني»، كمنتج نهائي، إلى فضاء أرحب، أحالها إلى نظام اجتماعي متكامل وإلى ثقافة مجتمع، مناقبية وسياسية وأخلاقية، تتجلى فيها مفاهيم ابتدائية تتعلق بالمستويات المختلفة لأنماط العيش، الفردي والأسري والمجتمعي، والسلوك الإنساني البيئي (بين أفراد المجتمع)، كاسرة بذلك الفجوة بين هذا المستوى البنيوي التحتي لجوهر ممارستها، وبين مفهوم منتجها النهائي المتمثل في القبول العام بمبدئها الأساس، وهو تداول السلطة سلمياً وبصورة دورية.

فهناك من تُوصف تجربته بالديمقراطية الشعبية كالصين الشعبية، بينما يضعها أكاديميو علم الاجتماع السياسي في خانة دكتاتورية الحزب الواحد والطبقة الاجتماعية التي تنتظمه، وهناك من بدأ يعطي توصيفات مختلفة لطبيعة الديمقراطية الأمريكية وإلى حد ما الأوروبية، بأنها ديمقراطية أوليغارشية، أو ديمقراطية حكم الأثرياء (بلوتوقراطية)، حيث تستحوذ على السلطة والثروة حفنة من كبار الأثرياء ومخدوميهم داخل مؤسسة الحكم.

نحن في عالمنا العربي للأسف الشديد لم نصل بعد إلى الطور الذي يكون فيه القانون (والقصد ينصرف هنا إلى كافة القوانين المنظمة لعلاقتنا المجتمعية ولشؤون حياتنا اليومية، الصغيرة منها والكبيرة)، هو الفيصل الحاسم والمقرر لكل مسلكياتنا وممارساتنا، جميعاً دون استثناء ومن دون تمييز، ولم نصل بعد إلى مرحلة احترام هذا القانون بقناعة المجتمعات عالية التنظيم والانضباط، كما هي مجتمعات جنوب شرقي آسيا على سبيل المثال.

ولعلنا نزعم والحال هذه أننا بحاجة إلى تحول نوعي في الثقافة العربية السائدة.. تحول يطال كافة مناحي حياتنا ومناهج تفكيرنا. ويكفي للدلالة على الذروة الارتدادية الثقافية والمناقبية، القيمية بضمنها، التي بلغتها بعض مجتمعاتنا العربية التذكير فقط بما أضحينا عليه من انكشاف تام أمام أنظار العالم كله، بأن لدينا بيئات تفرخ وتنتج كائنات بشرية بعشرات الآلاف بل ربما بالملايين، لا تتورع عن الاندساس وسط الناس الأبرياء وتفجير أنفسهم فيهم باسم التقرب لله.

ومن الذروة إلى المستويات الأدنى من علاقتنا بمحيطنا: لننظر مثلاً إلى كيفية تعامل الناس مع العمران العام، الشوارع والطرق، وكيف يلقون فيها بقايا أطعمتهم ونفاياتهم بصورة لا تنم عن وجود إحساس بالمكان وأناسه العابرين، وكيف يتعاملون مع أصول الدولة وملكياتها العامة، وكيف يتبرمون ويتأففون من الوفاء بواجباتهم في مقابل زعيقهم وهم يطالبون بحقوقهم؟

ثم انظروا أيضاً إلى مشاهد البرامج الحوارية التي تضح بها القنوات الفضائية، والتي يُقدّم فيها الضيوف على أنهم مثقفون وأكاديميون وخبراء اختصاصيون في الشؤون كذا وكذا، وقارنوا بينهم وبين أقرانهم ليس في الدول المتقدمة، وإنما في الدول النامية الأخرى، التي أنتجت تجارب ديمقراطية مختلفة في مستوى النضج، وسترون الفجوة الواسعة بين الحالتين.. في السلوك قبل الاختصاص.

تجديد الفكر العربي: من البنية التوفيقية إلى النزعة النقدية

*صلاح سالم

صحيفة (الحياة): ٢٢/١٠/٢٠١٨

في مسعاه إلى استعادة توازنه وتكامله دار جدل الفكر الغربي الحديث مع نفسه وبين تياراته حول ثنائية أصلية هي العقل والإيمان أو العلم والدين. فمن الثنائية المثالية الديكارتية (الفكر - الامتداد) إلى الثنائية الكانطية (العقل - الواقع) كان العقل الغربي ينتج تصورات الخاصة عن تحديات تواجهه وتحولات تصدمه، في سياق سعيه إلى تعقل الوجود من حوله، حيث تبدت حركته نحو الحداثة وكأنها رحلة سير في أرض بكر، تمثل فيها الفلسفات المثالية والنقدية، ناهيك عن التيارات العلمية التجريبية والوضعية، ما يشبه «حركة كشوف عقلية» أنتجت وعياً جديداً، يتوازى مع «حركة الكشوف الجغرافية» التي أنتجت عالماً جديداً.

في المقابل لم تتوافر للعقل العربي المعاصر فرصة إنتاج تصورات عن الواقع في أرض فراغ، بل في ساحة مزدحمة بتقليدين أساسيين: أولهما التقليد الذاتي، أي الموروث الثقافي القديم، وليد تجربة النهضة الإسلامية الأولى، وثانيهما التقليد الغربي الحديث الذي تحول إلى مرجعية كاملة، أخذنا ننقل عنها، ومن ثم تحرك الوعي العربي في فلك ثنائية «مستعارة» من الثنائية الغربية الأصلية، ودار الجدل بين تياراته حول ثنائيات من قبيل: المنقول الإسلامي والمعقول الغربي، التراث العربي والحداثة الغربية. ففي تلك القوالب جميعها شكل الفكر الغربي للوعي العربي صورة العقل المعاصرة، فيما شكل التراث الإسلامي مادة الإيمان - الأصالة. وأفضى ذلك إلى تبعية مزدوجة للعقل العربي، إزاء تراث ذاتي متقدم، وتراث آخر معاصر، ومن ثم إلى تعقيد عملية التجديد والتحديث.

كانت ثنائية «الأصالة - المعاصرة»، التي خلبت لب كثيرين بينهم كاتب هذه السطور صيباً، برشاقتها اللفظية وجاذبيتها اللغوية، هي القالب الذي صاغه الفيلسوف الراحل زكي نجيب محمود لمشروعه التوفيقية. غير أن ربع قرن مر على رحيل الرجل كشف عن حاجتنا إلى إعادة صياغته على نحو يكسبه الحيوية، ويخرج به من أسر البنية التوفيقية الراكدة، حيث يتعارك دوماً طرفان متناقضان في ثنائية حادة، إلى فلك النزعة النقدية حيث تتجادل الأفكار مع الوقائع، والمفاهيم مع الظواهر بشكل مباشر. ومن ثم يمكننا ليس فقط تجاوز الموقف السلفي الراض للحداثة، بل أيضاً الموقف التوفيقية الداعي إلى الجمع بين الأصالة والحداثة، كونه اتخذ شكلاً نمطياً وصار قالباً جامداً، فرض نفسه على الفكر العربي لقرن ونصف قرن من دون أن ينتج شيئاً ذا بال، على رغم ما استهلكه من مشروعات فكرية قيمة، وانطوى عليه من اجتهادات بحثية معتبرة.

حدث ذلك لأن النزعة التوفيقية قد انحرفت عند الممارسة العملية إلى صياغة «تلفيقية» في معظم المجتمعات العربية، خصوصاً في النصف الثاني للقرن العشرين. ويرجع هذا الانحراف بلا شك إلى دوافع عدة: عملية وتاريخية، وبالذات سياسية، حيث وجدت دوماً فجوة واسعة بين طبيعة السلطة العربية التقليدية حتى النخاع على رغم الشكل الحدائي الصوري الذي استعارت معالمه، أو الخطاب الإيديولوجي

الذي أطلقته، وبين الأهداف التحديثية التي كانت ترجوها لمجتمعاتها، وهي الفجوة التي قادت دائماً إلى المراوغة بين الوسائل والأهداف وبين الأبنية ووظائفها العملية، وبين المؤسسات وأدوارها الحقيقية. فهناك البرمان لكنه لا يشرع، والمركز البحثي الذي لا ينتج علماً الخ... غير أنه، في جانب كبير منه، يرجع إلى الصياغة الإشكالية للقوالب الفكرية التي تمت من خلالها مقارنة قضية الحداثة: فنظرة مدققة إلى صيغة «الأصالة - المعاصرة»، على رغم تفوقها على ما سبقها من صيغ وقوالب، تكشف أنها وضعت الذات العربية في علاقة سلبية بالزمن جعلت اختياراتنا الفكرية الشاملة أسيرة تناقض تاريخي مستمر بين الماضي والحاضر، حيث تم تفسير مفهوم «الأصالة» في الاتجاه السلبي الذي يحدده بالزمن حيث لحظة التشكيل الأولى بكل قوالبها وأشكالها هي «مستودع» الأصالة الكاملة لدى الذات العربية، وبالأحرى لدى التيار السلفي الذي نظر إلى هذه اللحظة وكأنها «فوق تاريخيه»، فقام بتثبيت هويته عندها رافضاً كل ما بعدها.

ومن ثم ساهمت تلك الصياغة في تعميق الشعور العربي بالاغتراب إذ وضعت الواقع العربي إزاء نسقين فكريين متميزين عنه: الأول منهما ينتمي للزمان حيث «ماضي الذات»، والآخر ينتمي إلى المكان حيث الآخر الغربي، الأمر الذي أضفى صعوبة كبيرة على مسعى التوفيق الذي لم يعد فقط بين وجودين إنسانيين حقيقيين ومختلفين (الذات العربية، والذات الغربية)، يدخلان في صراع ينجز المركب الأرقى «التوفيق»، بل بين وجود حقيقي واحد هو الذات العربية المعاصرة، ووجودين صوريين غريبين عنه مكاناً وزماناً، ومن ثم انتهى الأمر إلى الوقوع في أسر التلفيق.

وفي المقابل غاب التفسير الإيجابي لمفهوم الأصالة الذي يربطه بـ «الكينونة» وينطلق به في اتجاه ثوابتها، حيث معيار تحقق الأصالة هو مدى استلهاام العناصر الجوهرية في تشكيل الهوية: كاللغة والتاريخ والدين والتجربة المشتركة وغير ذلك، مما لا غنى عنه لنبقى عرباً، وليس الرجوع إلى الأشكال المصاحبة لبداية تشكيل تلك الهوية، بحيث تتحول الأصالة عن الارتباط بالماضي نحو الارتباط بالجوهر، وهنا نصبح أمام «ذاتنا» التي تعكس تكويننا وليس «ماضيها»، ويتم الخلاص من ذلك البعد الشكلي الزائف في هويتنا، والذي يحيلها كياناً مصمماً جامداً، محددًا بشكل نهائي منذ بداية الزمن وحتى آخره.

وهنا نقترح جدلية «الخصوصية - الكونية» قالباً جديداً لمقاربة قضية الحداثة، بديلاً لثنائية «الأصالة - المعاصرة» مستفيدين من السجال الفكري حول العولمة، الممتد في ربع القرن نفسه الذي تلا رحيل الرائد الكبير زكي نجيب محمود، بحيث تصبح «خصوصيتنا» بديلاً لـ «أصالتنا» هي التعبير عن المكونات الأساسية للذات العربية، كما تصبح «الكونية» بديلاً عن «المعاصرة» في توصيف بنية العالم خارجها. هذه الصياغة الجدلية تمثل آلية ذهنية وليس فقط لغوية لتسهيل التفاعل بين القيم الجوهرية الكامنة في شتى الأزمان والتجارب، لأنها في بحثها عن الذات إنما تفصل بين الشكل والمضمون، أي بين الطقوس والقيم، وبين الثوابت والمتغيرات ثم تقوم بعزل القوالب: الأشكال والطقوس والمتغيرات لأنها تاريخية تعكس لحظة التشكيل وتبقي على الجواهر: المضمون، والقيم، والثوابت، لأنها تكوينية تصوغ خصوصيتنا الدائمة وتحميها من التعارض الظاهري مع الزمن، أو التناقض الزائف مع العصر.

* كاتب مصري

ثقافة العنف ودورها في هدم الدول

*أحمد الشبيبة النعيمي

صحيفة (المثقف) : ٢٢/١٠/٢٠١٨

قد تمتلك الدول كل المقومات المادية للنهوض الحضاري والعمراني ولكنها قد تفتقد إلى العقلية الإنسانية الحضارية والنظام السياسي القادر على استيعاب جميع الطاقات دون إقصاء أو تهميش، والذي يعمل على توظيف أفضل القدرات في أنسب المواقع ويستوعب وجهات النظر المختلفة ويحترم حرية الرأي ويلتزم بالحق والقانون. وفي ظل ذلك تظل جميع إنجازاتها تحت تهديد السقوط والتراجع مع غياب الحكم الرشيد والشفافية والمشاركة السياسية، ومع تغول النظام القمعي الأمني على مفاصل الدولة وإخضاعها بقانون القوة وليس بقوة القانون واستخدام سلاح التوحش في مواجهة المخالفين وأصحاب الرأي الآخر بالاعتقالات والتعذيب والاعتقالات والإقصاء السياسي والاجتماعي والحرب الاقتصادية وجميع مظاهر الإسراف في استخدام عنف السلطة واضطهادها والتعامل بعقلية تأرية مع المعارضين.

والدول في الغالب مثل الأفراد فعند استسلام إنسان ما لغرائز الثارات والأحقاد والكرهية فإنه يدمر نسيجه الإنساني ويعطل قدراته العقلية التي يستنزفها في التخطيط لارتكاب جرائمه. وتقوده نزعته العدوانية إلى ارتكاب تصرفات حمقاء بنزعة سادية تأتي في الأخير على حساب طموحاته، وقد تقوده إلى خزي الدنيا قبل خزي الآخرة. وعندما يستسلم نظام سياسي لغرائزه البدائية التأرية في التعامل مع الآخرين ويعطي زمامه لعواطف الكراهية والأحقاد فإن هذه العواطف المدمرة تقوده إلى مغامرات لا يحسب عواقبها إلا بعد أن يقع الفأس في الرأس، فيفقد يوماً بعد آخر استقلاله ويغدو أسير نزواته، وفي سبيل إشباعها مستعد للتنازل عن المقدسات والقضايا المصرية ويستنزف قدراته المادية في سبيل أهداف حمقاء تعقد من مشاكله حتى تتجمع عليها تراكمات الأحقاد ويصبح عبئاً ثقيلاً على حلفائه الذين سيعملون على التخلص منه أو استبداله في أقرب ساحة ومع أي منعطف. ومن الغباء أن يظن النظام القمعي أن تربية بعض أدواته على ثقافة العنف والكرهية سيتوقف عند الحدود التي يرسمها، فبراكين الأحقاد مثل النيران قد تندلع من مستنقع الشرر وتستشري في مساحات واسعة يصعب السيطرة عليها إلا بعد أن تكون أجهزت على الأخضر واليابس.

وإن مجتمعاتنا اليوم تتحول إلى غابات وحوش بسبب سياسات قمعية رعاء تعمل على تنمية ثقافة الحقد والكرهية وتأتي قراراتها ومواقفها لتلبية غرائز الثأر والانتقام، وتساهم في تحويل المجتمعات من مسالمة تفهم استخدام القوة لغاية تحقيق السلم إلى أن يصبح العدوان غاية بحد ذاته لتحقيق الذات. وتفرض هذه السياسات إلى نتائج متناقضة، فهناك الطفرة المادية التي تجعل من ينظر إلى النظام من الخارج يعتقد أنه في حالة تقدم، والحقيقة أن هناك تراجعاً قيمياً وردة الحضارية نحو عصور الصراعات الدموية وثقافة الانتقام البدائية والاستعصاء على استيعاب كل المكتسبات الإنسانية في سبيل بناء مجتمعات إنسانية ديمقراطية يسودها السلام والمساواة والشفافية والحكم الرشيد. وهكذا نجد أنفسنا في مجتمعات جوهرها جاهلي وقشرتها حضارية، وفي أول مفترق حقيقي سينكشف خداع القشرة الخارجية وتظهر الروح الجاهلية في أبشع صورة، والأمثلة التي بدأت تتكشف كثيرة وبدأ الرأي العام الخارجي يستوعب بعض ما يحدث والتأثرات الاقتصادية تتوالى، ولن يعصم المجتمعات والدول من السقوط إلا الإصلاح الحقيقي الذي يعالج أصل المشكلة ولا يحاول فقط استخدام بعض المسكنات الوقتية لتخدير الشعور بالأعراض.

إن ظاهرة تفاقم العنف السلطوي قبله مؤقتة تهدد السلم الداخلي للمجتمع وتعرض الدول لمخاطر لا يحمد عقابها. ولنا في الأنظمة التي بلغت في استخدام القمع الداخلي في العراق وليبيا وسوريا عبرة وكيف تفجرت براكين العنف في هذه المجتمعات مع هبوب رياح الربيع العربي.

ختاماً، نؤكد أن السبيل إلى السلام يبدأ بالتصالح مع الذات والشعوب وفتح مجالات المشاركة في اتخاذ القرار واحترام حرية التعبير والإفراج عن جميع معتقلي حرية الرأي وتغيير السياسات الأمنية القمعية والتوقف عن التلاعب بملفات العنف واستخدام جماعات العنف المخبراتية لأغراض سياسية واستئجار عصابات عنف عالمية للتخلص من الخصوم السياسيين في دول المنطقة.

ترامب والانسحاب من «المعاهدة النووية» مع روسيا

باب جديد للنزاع بين الولايات المتحدة وروسيا

الانصتات المركزي: ٢٢/١٠/٢٠١٨

بابٌ جديد للنزاع بين الولايات المتحدة وروسيا، فتحه دونالد ترامب. هذه المرة عبر معاهدة «الأسلحة النووية المتوسطة المدى» الموقعة منذُ ثلاثة عقود، إذ أكد نية بلاده الانسحاب من الاتفاقية، بعد اتهامه موسكو بخرق بنودها

يوصل الرئيس الأمريكي دونالد ترامب منذ انتخابه قبل عامين الانسحاب من الاتفاقات الدولية. هذه المرة وقع اختياره على معاهدة «الأسلحة النووية المتوسطة المدى» المبرمة مع الاتحاد السوفياتي السابق في الثمانينيات من القرن المنصرم، معللاً قراره بـ«عدم احترام روسيا المعاهدة ونشرها منظومات صواريخ يتجاوز مداها ٥٠٠ كلم». وشدد ترامب في لقاءٍ في نيفادا على أن «موسكو لم تحترم المعاهدة، وبالتالي فإننا سننهي الاتفاقية الموقعة بيننا». وتابع الرئيس الأمريكي: «لا أعرف لماذا لم يتفاوض الرئيس (بارك) أوباما عليها أو ينسحب منها.. نحن لن نسمح لهم بانتهاك اتفاقية نووية والخروج وتصنيع أسلحة (في حين) أننا ممنوعون من ذلك».

وقد تزامن إعلان ترامب الانسحاب من المعاهدة مع وصول مستشار الأمن القومي جون بولتون إلى موسكو، ضمن جولة له إلى روسيا وأذربيجان وأرمينيا وجورجيا. ومن المقرر أن يجتمع اليوم مع وزير الخارجية سيرغي لافروف للتحضير للقاء متوقع بين ترامب ونظيره فلاديمير بوتين قبل نهاية العام.

وسيلتقي أيضاً سكرتير مجلس الأمن نيكولاي باتروشييف، ومستشار بوتين يوري أوشاكوف. في هذا السياق، ذكرت صحيفة «ذي غارديان» البريطانية، أن بولتون هو من ضغط على الرئيس الأمريكي من أجل الانسحاب من المعاهدة، مضيفة إن «بولتون يعيق المفاوضات حول توسيع معاهدة ستارت الجديدة للحد من الأسلحة الاستراتيجية الهجومية التي ينتهي العمل بها في ٢٠٢١ وترغب روسيا في تمديدتها».

موسكو: القرار <حلم أمريكي بالهيمنة على العالم>

في المقابل، رأت موسكو أن القرار «حلم أمريكي بالهيمنة على العالم من خلال بقائها القوة الوحيدة فيه»، مشككة على لسان مصدر في وزارة الخارجية من «تحقيقها ذلك». وشدد المصدر على أن بلاده «نددت مراراً بمسار السياسة الأمريكية نحو إلغاء الاتفاقات النووية». كما نقلت وكالة «أترفاكس» الروسية عن الخبير السياسي أليكسي أرباتوف، قوله إن «القرار الأمريكي قد يخلف تداعيات كارثية»، ملاحظاً أن «جولة جديدة من سباق التسلح هي أمر ممكن».

من جهته، اعتبر عضو مجلس الاتحاد الروسي أليكسي بوشكوف، في تغريدة على موقع «تويتر» أن قرار ترامب هو «ثاني ضربة قوية تتلقاها منظومة الاستقرار الاستراتيجي في العالم»، مذكراً بأن الضربة الأولى تمثلت بانسحاب واشنطن من «معاهدة الصواريخ المضادة للبالستية» عام ٢٠٠١. وأضاف بوشكوف: «مجدداً، إن الولايات المتحدة هي الطرف الذي يبادر الى الانسحاب من المعاهدة».

توجيه الأنظار نحو الصين؟

لا يعتبر قرار انسحاب ترامب من المعاهدة «سابقة»، على قدر كونه «عادة» مارسها منذ توليه منصبه. ولا يعني الانسحاب من المعاهدة النووية بالضرورة «اندلاع حرب» بين المعسكرين الروسي والأمريكي، لكن قرار ترامب أثار

مخاوف من تسارع سباق التسلح الرامي إلى تطوير الأسلحة النووية وإنتاجها لدى الدولتين. وتأخذ إدارة ترامب على موسكو نشرها منظومة صاروخية من طراز «٩ إم ٧٢٩» التي يتجاوز مداها، وفق واشنطن، ٥٠٠ كلم ما يشكل انتهاكات للمعاهدة. وقد اعتبر خبير الأسلحة النووية الذي عمل في مجلس الأمن القومي أثناء إدارة أوباما، جون وولفستال، أن الانسحاب «يسم بئر الاستقرار النووي»، مضيفاً: «من المرجح أن يكون له تأثير مروع على أي صفقات أسلحة نووية محتملة بين البلدين في المستقبل». وقد يؤدي الانسحاب الأمريكي إلى توجيه الأنظار نحو الصين التي يمكن أن تطور قيود أسلحتها النووية المتوسطة المدى بما أنها لم توقع على الاتفاق.

يُذكر أن الاتفاقية التي أعلن ترامب نيته الانسحاب منها كانت قد وقّعت بين الرئيس الأمريكي آنذاك رونالد ريغان، ورئيس الاتحاد السوفياتي ميخائيل غورباتشيف. ووضعت المعاهدة التي ألغت فئة كاملة من الصواريخ يراوح مداها بين ٥٠٠ و ٥٠٠٠ كلم، حداً لأزمة اندلعت في الثمانينيات بسبب نشر السوفيات صواريخ «إس إس ٢٠» النووية. وأجبرت المعاهدة، أو هكذا يفترض، الطرفين على سحب أكثر من ٢٦٠٠ صاروخ نووي تقليدي، من الأنواع القصيرة والمتوسطة المدى.

ماذا يعني انسحاب ترامب من المعاهدة النووية مع موسكو؟

لم يكن انسحاب دونالد ترامب من معاهدة حول الأسلحة النووية مع روسيا سابقة، قدر كونها "عادة" مارسها الرئيس الأمريكي منذ تولى منصبه قبل أقل من عامين.

وفي ما يبدو أنه انسلاخ من حقبة سلفه باراك أوباما، أعلن ترامب انسحابه سابقاً من الاتفاق النووي المبرم مع إيران، عام ٢٠١٥، وأيضاً معاهدة باريس للمناخ التي وقعتها ١٩٥ دولة في العام ذاته.

لكن حساسية المعاهدة النووية التي انسحب منها ترامب تفرض بالضرورة سؤالاً مهماً: وماذا بعد؟

كما قد يكون للانسحاب من هذه المعاهدة تبعات ضخمة على السياسة الدفاعية الأمريكية في آسيا، وتحديدًا تجاه الصين منافستها الاستراتيجية الرئيسية التي يحرص ترامب معها حرباً تجارية.

والصين ليست طرفاً في المعاهدة، وقد أنفقت أموالاً كثيرة على الصواريخ التقليدية، في الوقت الذي تحظر فيه معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى حياة الولايات المتحدة صواريخ بالستية تطلق من الأرض، أو صواريخ كروز يتراوح مداها بين ٥٠٠ و ٥٥٠٠ كيلومتر.

وأغضب قرار ترامب موسكو، حيث اعتبر مصدر في الخارجية الروسية أن الولايات المتحدة "تحلم" بأن تكون هي القوة الوحيدة المهيمنة على العالم بقرارها الانسحاب من المعاهدة.

وقال المصدر بحسب ما نقلت عنه وكالة "ريا نوفوستي" الحكومية، إن "الدافع الرئيسي هو الحلم بعالم أحادي القطب. هل سيتحقق ذلك؟ كلا".

وشدد على أن موسكو "نددت مراراً علانية بمسار السياسة الأمريكية نحو إلغاء الاتفاق النووي"، وأن واشنطن "اقتربت من هذه الخطوة على مدار سنوات عديدة من خلال تدميرها أسس الاتفاق بخطوات متعمدة ومتأنية".

وأضاف أن "هذا القرار يندرج في إطار السياسة الأمريكية الرامية للانسحاب من الاتفاقيات القانونية الدولية التي تضع مسؤوليات متساوية عليها وعلى شركائها، وتقوض مفهومها الخاص لوضعها الاستثنائي".

غورباتشوف يعلق

واعتبر الزعيم السوفييتي السابق ميخائيل غورباتشوف انسحاب الولايات المتحدة من معاهدة الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى أمرا غير مقبول، وأن توقيع المعاهدة كان "انتصارا عظيما". وقال غورباتشوف في تصريح لوكالة "نوفوستي": "أعتقد بأنه غير مقبول"، مضيفا أن "التوصل إلى القرارات، التي أصبحت بمثابة حجر الأساس لمعاهدتين للتخلص الحقيقي من الأسلحة والشحنات النووية، كان انتصارا عظيما". وأعرب عن رأيه بأن "الجانب الأمريكي بات في مأزق فيما يتعلق باتخاذ قرارات جديدة، واختار هذا التصرف غير المسؤول". ودعا غورباتشوف إلى مناقشة قضية انسحاب الولايات المتحدة من المعاهدة في الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي، لأنها تهم العالم بأسره، وأن على المؤسسات الدولية أن تنخرط في هذه العملية. وشدد على أنه "من غير الجائز إنعاش زيادة الترسانات النووية من جديد". وأشار إلى أن الفرص للحفاظ على المعاهدة لا تزال قائمة، لافتا إلى أن مستشار الرئيس الأمريكي للأمن القومي جون بولتون يزور روسيا، ويجب أن يحاول الجانبان الروسي والأمريكي "إيقاف هذه العملية الهدامة".

الكرملين: ننتظر من الجانب الأمريكي توضيحات

وقال الكرملين إن مصير المعاهدة الروسية الأمريكية حول الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى سيناقش أثناء اللقاء بين الرئيس فلاديمير بوتين والمستشار الأمريكي للأمن القومي، جون بولتون. وأوضح المتحدث باسم الرئاسة الروسية، دميتري بيسكوف، أن بوتين يخطط لاستقبال بولتون لكنه أكد أن ذلك "لن يحدث (الاثنين)". وفي تعليق على تصريحات الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، حول انسحاب الولايات المتحدة من هذه المعاهدة، قال بيسكوف: "لا شك في أن التصريحات الأخيرة (لترامب) ستتطلب توضيحات من الجانب الأمريكي". يذكر أن مستشار الرئيس الأمريكي للأمن القومي وصل إلى موسكو يوم الأحد، للقاء مسؤولين روس، وذلك قبل بدء جولته في دول جنوب القوقاز. وأفادت وسائل إعلام أمريكية بأن بولتون يخطط لإطلاع الجانب الروسي على موقف واشنطن من موضوع المعاهدة التي برر ترامب، أمس السبت، انسحاب الولايات المتحدة منها بـ"انتهاكها" من قبل روسيا، دون أن يذكر أي تفاصيل.

موسكو سترد على واشنطن

وأكد برلماني روسي رفيع المستوى، أن موسكو سترد بخطوات عملية على واشنطن بعد انسحابها من المعاهدة الروسية الأمريكية بشأن الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى. وفي تصريحات متلفزة، قال رئيس لجنة العلاقات الدولية بمجلس الاتحاد ("الشيوخ") الروسي، قسطنطين كوساتشوف: "يجب علينا ألا نرد على الانسحاب (الأمريكي) من المعاهدة بحد ذاته، بقدر ما علينا الرد على خطوات عملية ستتخذها الولايات المتحدة بعد أن تكون حرة في تصرفاتها. وكما قال رئيسنا (فلاديمير بوتين)، فلدى روسيا جاهزية عسكرية وتقنية تامة بهذا الخصوص، وسيكون الرد فوريا". وأضاف: "أنا أعرف جوهر الموضوع، لكنها باتت تعتبر اليوم معلومات سرية. كما أنني واثق بأن الأمريكيين يعرفون تماما عما يدور الحديث". وفي ديسمبر الماضي، حذرت الخارجية الأمريكية من أن واشنطن ستتخذ "إجراءات اقتصادية وعسكرية" حال عدم عودة موسكو إلى تنفيذ التزاماتها بموجب المعاهدة. وبحسب معطيات الولايات الأمريكية، فإن روسيا انتهكت المعاهدة ببدئها في نشر صواريخ "نوفاتور 9 إم 729". وكانت وزارة الخارجية الروسية أشارت سابقا إلى أن واشنطن لم تقدم أي أدلة على أن مدى الصواريخ المذكورة يتجاوز المعايير المتفق عليها بين الدولتين. وشملت المعاهدة، التي وقع عليها الرئيسان الأمريكي، رونالد ريغان، والسوفييتي، ميخائيل غورباتشوف، أثناء زيارته لواشنطن، في 8 ديسمبر 1987، طبقة واسعة من الصواريخ ذات المدى المتراوح بين 500 وألف كم، وبين 1000 و5000 كم، والقادرة على حمل رؤوس نووية، بما فيها تلك التي نشرها الاتحاد السوفييتي في كوبا عام 1962، مما أثار "أزمة الكاريبي" آنذاك.

كأنه عالم معلق

*حازم صاغية

صحيفة (الاتحاد) الإماراتية : ٢٢/١٠/٢٠١٨

تمديد فترة المفاوضات بين بريطانيا والاتحاد الأوروبي حول «بريكزيت»، يقول الكثير عن صعوبة «بريكزيت»، إن لم يكن استحالتها. الذين أيّدوها كانوا، كما يتبين اليوم، يؤيدون الصعوبة التي ترقى إلى استحالة. ورطة كهذه تنم عن مآزق النكوص حين يُقدّم بوصفه البديل الأوحى عن السير إلى الأمام. تظاهرة لندن الجبارة التي طالبت بإعادة الاستفتاء، وتزايد الأصوات في الحزبين الرئيسيين التي رفعت المطلب نفسه، إشهار مُدوّلاً للمآزق. «كونفيدريالية الصناعة البريطانية»، كبرى منظمات رجال الأعمال في المملكة المتحدة، لا تتحدث إلا عن «أضرار بريكزيت» التي تحقّق معظمها قبل أن تتحقّق.

والمآزق عالمي، لا بريطانيّ فحسب، يتجلّى في أشكال كثيرة ومتفاوتة، منها الحرب التجارية التي باشرها دونالد ترامب ضدّ الصين أساساً، لكن أيضاً ضدّ دول أخرى بعضها حليف تقليديّ لواشنطن. منها أيضاً تمزيق عدد من المعاهدات الدولية، التجارية وغير التجارية، والتهديد المتواصل بتمزيق سواها أو مراجعته. مجمل السلوك الترامبي يندرج، في الواقع، في خانة النكوص. يصحّ هذا خصوصاً في بناء الجدران بين البلدان وتفريق الجماعات على البلدان. ينطبق النكوص أيضاً على أفعال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، وتحديداً على سعيه إلى استعادة أجزاء مختارة من السلوك الأمميّ السوفياتي. هذا النهج البوتيني الذي بات له أتباع ومقلدون كثيرون في العالم، يضع القانون وحكم القانون بين مزدوجين ويمضي في طريقه. لكن الردّ على بوتين يقع هنا أيضاً: في العودة إلى سباق التسلّح، على ما أوحى انسحاب أمريكا من معاهدة ١٩٨٧ حول التسلّح النوويّ المتوسط المدى، التي وقّعها ريغان وغورباتشوف.

الصدام بين صعوبات التقدّم إلى الأمام وصعوبات الرجوع إلى الوراء يعلّق العالم ويعلّق مسائله الحساسة على نحو يمتدّ من الاقتصاد إلى البيئة ومن أنماط الحاكمية إلى أنماط الحرب والسلاح. وما لا شك فيه اليوم، أنّ الحروب المفتوحة، خصوصاً في منطقتنا، في سورية واليمن وليبيا، وبدرجة أقلّ فلسطين - إسرائيل، والتي لا تجد من يغلقها، أفدح نتائج التعليق وأعلاها في حساب الكلفة الإنسانية.

لقد أصيبت الوجهة التي بدأت تشقّ طريقها مع نهاية الحرب الباردة، بانتكاسة متعدّدة الأوجه. التفاؤل بالعولمة الاقتصادية والمعلوماتية، ومع التفاؤل بالديموقراطية الليبرالية، خلفاً جيوباً من اليأس والبؤس في آن معاً. توسّع هذه الجيوب عزز الميل، أو بالأحرى الوهم، إلى الانعزال واكتشاف الخصائص القومية «الجوهريّة». هكذا أعيد الاعتبار، بعد هدم جدار برلين، إلى الجدران، من فلسطين إلى أمريكا مروراً بتركيا وإيطاليا وسواها. بلدان أوروبا الوسطى ربّما قدّمت الدليل الأبلغ والشهادة الأكثر توثيقاً على الصعيد هذا: بعد ثورات على التوتاليتارية مسكونة بالتوق إلى بناء أنظمة ديموقراطية ومجتمعات ليبرالية، رست تلك البلدان على شعبيّات قومية وأنظمة أكثرية. أوروبا الغربية والولايات المتحدة كما كانتا في ١٩٨٩ - ٩١ لم تعودا قبلة أوروبا الوسطى. مع هذا فالحقبة السوفياتية، بروسيا أو من دونها، ليست أيضاً قابلة للاستعادة. هناك، كما في روسيا، تلوح الشعبيّة المرآة الأصفى لهذا التعليق: إنّها محطة رجراجة ومهترّة تعيّن صعوبات الطريق إلى الأمام الديموقراطيّ، خصوصاً الليبراليّ، كما تعيّن صعوبات الارتداد إلى الاستبداد المحض.

بالمعنى نفسه، يصحّ القول إنّ الدولة الوطنية لم تستنفد كلّ أغراضها، وبعض البلدان لم يصل بعد إلى مرتبة الدول الوطنية. مع هذا، فإنّها استنفدت الكثير من أغراضها، وعدم الاعتراف بهذه الحقيقة يساهم إلى حدّ بعيد في تعليق العالم والعالم المعلق لا يعمل. إنّه، في أحسن حالاته، ينتظر فيما يحتاج ويضطرب ويحترّب. لكنّ الأخطر أنّ طول الانتظار المصحوب بتفاقم المشكلات قد لا ينجب إلاّ المزيد من الأنبياء - الكذّبة، وقد ينجب أيضاً تطبيعاً مع الكوارث مفاده أنّ ليس في الإمكان أحسن ممّا كان. يذهب دي ميستورا. يأتي دي ميستورا آخر.

عصر الفوضى العالمية

*وليد شرارة

صحيفة (الحياة) : ٢٣/١٠/٢٠١٨

قرار إدارة الرئيس دونالد ترامب الانسحاب من معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى، التي وقّعت عام ١٩٨٧ بين الرئيسين الأسبقين، الأمريكي رونالد ريغن والسوفيياتي ميخائيل غورباتشوف، خطوة حاسمة على طريق تفكيك بنية العلاقات الدولية التي قامت على مؤسسات دولية وتحالفات ومواثيق ومعاهدات واتفاقيات مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

لم يخف الرئيس الأمريكي منذ أن كان مرشحاً نيته «تحرير» الولايات المتحدة من «أعباء» هذه التحالفات والمعاهدات والاتفاقيات، أو على الأقل تعديلها لتصبح أكثر انسجاماً مع مصالحها بحسب تعريفه لها. وتأتي هذه الخطوة لتكمل مساراً بدأ مع إدارة جورج بوش الابن التي قامت كجزء من سعيها لترسيخ الهيمنة الأحادية الأمريكية على العالم، في ظل موازين قوى دولية مختلفة عن تلك الحالية، بالانسحاب من معاهدة الحد من منظومات الصواريخ المضادة للصواريخ عام ٢٠٠٢.

اتخذ القرار في ظل ما تسميه تقارير البننتاغون «تصاعد التنافس بين القوى الكبرى» وعودة سباق التسلح بينها، وكذلك تزايد مناطق «الاحتكاك» وساحات الحرب بالوكالة، المنخفضة التوتر حتى الآن. وهو سيؤدي بلا ريب إلى اشتداد التنافس المذكور واستتعار الصراعات بالوكالة ودخول العالم في حقبة فوضى مفتوحة على شتى الاحتمالات يصعب التنبؤ بمداهما الزمني والجغرافي.

محاولات استعادة الهيمنة الأحادية والفوضى

يذكر دايفيد سانغر وويليام برود، في مقال نشره في «نيويورك تايمز» يوم ١٩ من هذا الشهر أن إدارة الرئيس السابق باراك أوباما، على الرغم من اتهاماتها لروسيا بتطوير ونشر أسلحة نووية تكتيكية ممنوعة بحسب معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى، لم تنسحب من المعاهدة بسبب اعتراضات الأوروبيين على ذلك، ولحرصها على عدم إطلاق سباق تسلح جديد.

لم تكن إدارة أوباما أقل تمسكاً بالحفاظ على موقع مهيمن للولايات المتحدة على صعيد عالمي ولا أكثر تهاوناً مع منافسيها الجدد وأولهم الصين التي صاغ الرئيس الأمريكي السابق سياسة «الاستدارة نحو آسيا» لمواجهة صعودها أساساً. الخلاف بين مواقف الإدارتين هو في الحقيقة خلاف بين مقاربتين أمريكيتين لمستقبل الدور الدولي للولايات المتحدة.

وبينما ترى الأولى، التي كان أبلغ المعبرين عنها زيغنيو بريجنسكي، مستشار الأمن القومي في عهد الرئيس جيمي كارتر، أن على الولايات المتحدة أن ترتضي بموقع «الأولى بين متساوين» في علاقاتها مع القوى الدولية الأخرى نظراً للتحويلات التي طرأت على موازين القوى الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، أي أن تعترف لهؤلاء بدوائر نفوذ إقليمية على الأقل وأن تحترم المعاهدات والاتفاقيات التي عقدتها معهم، أصرت الثانية على حيوية حفاظها على تفوقها العسكري النوعي عليهم واحتواء صعودهم باعتبارهم «قوى تحريفية»، كما ورد حرفياً في

ستراتيجية الأمن القومي الأخيرة، ساعية لتغيير أسس النظام الدولي الحالي وأن لا تتردد واشنطن في التحلل من أية معاهدات أو اتفاقيات تمنعها من التصدي لهم بنجاح. كان أوباما يتبنى إلى حد ما المقاربة الأولى، بينما يعبر ترامب بفجاجة عن الثانية.

الذريعة التي أوردتها الولايات المتحدة لتبرير انسحابها من المعاهدة هي، بالإضافة إلى الاتهامات الموجهة ضد روسيا بتطوير ونشر أسلحة نووية تكتيكية وصواريخ كروز جديدة ورفضها للشفافية في ما يتعلق بذلك، مباشرة الصين في بناء صواريخ متوسطة المدى تحمل رؤوساً نووية.

هذه الأخيرة غير موقعة على المعاهدة وهدفها الأول من تطوير قدراتها الصاروخية هو إبعاد البحرية الأمريكية قدر المستطاع عن شواطئها وقواعدها في بحر الصين الجنوبي. وكانت المعاهدة تنص على منع جميع الصواريخ الأرضية التي تراوح مسافتها ما بين ٥٠٠ إلى ٥٥٠٠ كلم، أي تلك القصيرة أو المتوسطة المدى القادرة على حمل رؤوس نووية تكتيكية أو تقليدية.

ولا تشمل المعاهدة الصواريخ الجوية والبحرية. السبب الرئيسي الذي يفسر السلوك الروسي هو الاستثمار المكثف للولايات المتحدة بأنظمة الدفاع المضادة للصواريخ ومحاولاتها تطويق روسيا بها لشل قدرتها على الرد على ضربة نووية أولى قد تتعرض لها. في مواجهة هذه الاستراتيجية الأمريكية الهجومية، لا تمتلك روسيا، حسب سانغر وبرود، سوى الاعتماد على الأسلحة النووية التكتيكية والحرب السيبرانية كجزء من خيار هجومي قليل الكلفة نظراً لأوضاعها الاقتصادية والمالية.

وما إعلان الرئيس فلاديمير بوتين لقرب نشر روسيا لصواريخ بالستية جديدة قادرة على حمل رؤوس نووية تفوق سرعتها سرعة الصوت إلا تأكيد لهذه الحقيقة. الدوافع نفسها، أي الانتشار العسكري الأمريكي في جوارها ضمن استراتيجية احتواء موجهة ضدها، تحمل الصين على تنمية قدراتها الصاروخية والنوية التكتيكية.

بكلام آخر، تنسحب الولايات المتحدة من المعاهدة في سياق سياسة هجومية ضد البلدين مهّدت لها في جميع وثائقها الرسمية الخاصة باستراتيجيتها العامة كاستراتيجية الأمن القومي واستراتيجية الدفاع الوطني والوثيقة النووية التي صدرت جميعها في بداية هذا العام.

سيترتب على هذه السياسة انطلاق سباق تسلح من دون ضوابط، بما أن الولايات المتحدة بادرت إلى ازالتها، وتصاعد في التوتر بين الأطراف الدولية يترجم عبر المزيد من احتدام النزاعات بالوكالة كما هو الحال في أوكرانيا أو إلى حد ما في سوريا وإلى محاولة استثمار كل طرف لنقاط ضعف الطرف الآخر لاستنزافه (النااتو في أفغانستان، الإيغور في الصين، الشيشان والقفقاز في روسيا، الصراع بين فنزويلا والولايات المتحدة).

قد يفضي هذا التوتر المتصاعد حتى إلى تدويل أزمات محلية في مناطق مختلفة من أفريقيا أو العالم العربي وتحولها إلى ساحات مواجهة واستنزاف.

سيتيح هذا التنازع الدولي المزيد من الفرص أمام الأطراف الإقليمية وحتى المحلية، دولتية كانت أو غير دولتية، للاستفادة من التناقضات وتعزيز قدراتها وتحقيق بعض أهدافها.

جموح إدارة ترامب في مواجهة القوى الدولية المنافسة خبر سار بالنسبة إلى جميع أعداء الولايات المتحدة في جنوب العالم.

سؤال القرن: أيّ عالم سينتصر؟

*حسام مطر

الخليج اونلاين : ٢٣/١٠/٢٠١٨

خصصت مجلة «فورين أفيرز» عدد تموز/ آب للتقصي عن سؤال «في أيّ عالم نحن نعيش»؟ وتعكس الأعداد الأخيرة للمجلة، بالإضافة إلى منشورات جملة من مراكز الدراسات والمطبوعات الأمريكية ذات الاتجاه الليبرالي، عمق القلق السائد على النظام الدولي الليبرالي الحالي أو ما يعرف بنظام ما بعد الحرب العالمية الثانية. وتسود هذه الأوساط كتابات حول أزمة الليبرالية الحالية في النظام العالمي ونقاشات حول ما إذا كانت هذه مجرد أزمة عابرة اعتادت الليبرالية على تجاوزها، أم أنها تواجه شيئاً غير مسبوق، وتالياً كيفية الاستجابة وما هي البدائل الممكنة للنظام الحالي إن كان لا بد من بديل. في الجواب عن السؤال أعلاه، تعرض «فورين أفيرز» ستة عوالم يصح القول إنها متفاعلة ومتداخلة، وغالباً متضاربة، إلا أن ما يجمعها في الغالب هي أنها تنبئ بمستقبل مقلق للبشرية. أولاً، لدينا «العالم الواقعي»: يتغيّر اللاعبون، لكن تبقى اللعبة» (ستيفان كوتكين)، وفي هذا العالم هناك قواعد موضوعية ثابتة حيث الصراع هو الأصل، والسعي للنجاة والأمن والقوة هو مراد الجميع. ويعود هذا «العالم» للصعود بعدما ظن كثيرون أن العولمة والليبرالية تجاوزت حقبة لعبة «الجيوبولتيك» وصراعات القوى الكبرى. بناءً عليه، فأحداث هذا العالم ستقودها سياسات القوى الكبرى، ولذا فإن مسار هذا القرن مرتبط إلى حد بعيد بالشكل الذي سيتخذه التنافس الصيني - الأمريكي.

يرى كوتكين تماثلاً بين سماح بريطانيا، مملكة التجارة الحرة، بصعود ألمانيا التوسعية في بدايات القرن العشرين، مع ما تفعله الولايات المتحدة مع الصين. بينما لدى الليبراليين حجة مضادة بأن من شأن دمج الصين في النظام الدولي أن تقوي الاتجاهات الليبرالية داخل الصين وتُشجعها على التحول والاندماج السلمي في النظام، في ظل قيادة الولايات المتحدة. إلا أن ما حصل، بحسب كوتكين، هو أن الصين نجحت في بناء اقتصاد سيصبح أكبر بشكل مستدام من الاقتصاد الأمريكي من دون أن تصبح الصين ليبرالية ومن دون أن تعاني من الشمولية في الوقت ذاته. وهذا ما يدفع السياسة الأمريكية إلى اتهام الصين بأنها تستغل النظام الدولي ومؤسساته من دون أن تلتزم بقيمه وشروطه.

في المقابل، وقع الغرب في الشلل الداخلي بسبب تجاهل نخبته الآثار الاجتماعية والاقتصادية للعولمة في الداخل، وهي أدت إلى تفجير تناقضات داخلية وقادت إلى ظهور الشعبوية والقومية. لكن على المدى البعيد، ورغم هذه التحولات، فإن الديكتاتورية مع قوتها تبقى هشّة في حين مهما بدت الديمقراطية مثيرة للشفقة تبقى مرنة، يقول كوتكين. ثم إن السماح بصعود الصين رافقه صعود أوروبا واليابان والبرازيل والهند وآخرون، وهؤلاء يفضلون القيادة الأمريكية. لكن السؤال: هل ستضرب الصين بمصالح الآخرين عرض الحائط لأنها تستطيع القيام بذلك؟ وهل ستقبل أمريكا شركاء في القيادة العالمية لأنه يجب عليها ذلك؟

لا يرى الكاتب أن التاريخ قادر على أن يخبرنا شيئاً عن المستقبل (بينما الواقعيون يقولون العكس لأن التاريخ عندهم يجري بصورة دائرية)، إلا أنه يستطيع أن يخبرنا بأن المستقبل سوف يفاجئنا. لذا، ورغم عودة «الجيوبولتيك»، فإن المخرجات الإيجابية ممكنة، فالواقعية ليست محكومة باليأس، بينما في المقابل فإن منتجات الليبرالية والعولمة كالذكاء الاصطناعي والطباعة الثلاثية الأبعاد والثورة الرقمية والجينية يمكن أن تحدث انقلاباً في التجارة العالمية وتشجيع الفوضى في العالم بشكل دراماتيكي، يخلص الكاتب.

كي لا ينفجر هذا العالم الواقعي، أربعة أمور ينبغي أن تحدث: أولاً، على الغرب أن ينجح في تعميم فوائد العولمة (عالم منفتح ومندمج) على غالبية سكانه، وثانياً أن تحافظ الصين على صعودها السلمي، وثالثاً على الولايات

المتحدة أن تحقق توازناً سليماً من الردع القوي ضد الصين واستعادة الانتظام محلياً، ورابعاً أن تحدث نوعاً من معجزة تعالج قضية تايوان، يختم كوتكين.

ثانياً، لدينا «عالم ليبرالي: النظام المرن» (دانيال ديودني _ ج. جون إيكينري)، وهو عالم يعاني من انتكاسات وتراجع وتحديات، «إلا إن النظام العالمي الليبرالي لا يزال متيناً بشكل ملحوظ، وهذا مرتبط بنمو أشكال الاعتماد المتبادل في مجالات متزايدة تدفع الجميع للعمل معاً وتزيد من الحاجة إلى المنظمات والترتيبات الدولية». تتعدد أزمات العالم الليبرالي، حيث وبعد عقود على اختفائها المفترض في الغرب، عادت القوى المظلمة للسياسة العالمية، أي اللالبرالية والطغيان والقومية والحمائية ومجالات النفوذ والمطالبة بتغيير إقليم الدولة، لتؤكد نفسها. هذا التراجع العام في الديمقراطية الليبرالية حول العالم يبدو أنه من عوارض مرض النظام العالمي الليبرالي. إلا أن الكاتبين ينظران بكثير من الأمل والثقة إلى مستقبل العالم الليبرالي لأسباب عدة:

١- ليس محتوماً أن التاريخ سينتهي بانتصار الليبرالية، ولكن الذي لا مفر منه أن أي نظام عالمي لائق لن يكون إلا ليبرالياً. فالليبرالية «تبقى جذابة لأنها تستند إلى التزام بالكرامة وحرية الأفراد». كما أنها تغني فكرة التسامح، وهو أمر ضروري في عالم يصبح متفاعلاً ومتنوعاً باطراد، لكن لا بد من تقليص انعدام المساواة بالعودة إلى السياسات الديمقراطية الاجتماعية وإقرار ضرائب أكثر تقدمية والاستثمار في التعليم والبنى التحتية، فالليبرالية تحوي بذور خلاصها، يقول الكاتبان.

٢- بالرغم من التحول الحالي، إلا أن اللحظات الثورية غالباً ما تفشل في إحداث تغيير مستدام، ولذا من غير الواقعي اليوم التفكير بأن سنوات محدودة من الديماغوجية القومية ستؤدي إلى تراجع دراماتيكي لليبرالية.

٣- بعكس السائد، الكثير من المؤسسات الدولية اليوم ليست ليبرالية بل «ويستفالية» مكرسة فقط لحل مشاكل الدول السيدة، سواء الديمقراطية أو الشمولية منها. كما أن عودة المنافسة الأيديولوجية ستدفع إلى تعزيز النظام الليبرالي وإجراء إصلاحات داخلية.

٤- طالما تعافت الديمقراطية من أزمات ناتجة من تجاوزاتها الذاتية. ورغم أن مؤسسات النظام الليبرالي الدولي قد تبدو هشة أحياناً، إلا أنها لم تنشأ بالصدفة بل كمنتجات لمصالح عميقة. مثلاً بالنسبة إلى «النااتو»، لا تزال حوافز الالتزام به بالنسبة إلى الولايات المتحدة أكبر من تلك للخروج منه. كما أن بعض أفعال ترامب الفعلية تدعم هذا النظام كقصف سوريا والوقوف بوجه روسيا والصين. كما أنه رغم تراجع أمريكا، لا يزال الآخرون أكثر تمسكاً بهذا النظام وإصراراً على حمايته.

ويخلص الكاتبان إلى التأكيد على إيمانهما بأن الليبرالية تجاوزت ما هو أخطر من ترامب والقومية والشعبوية، مثل الركود العظيم والشيوعية وحرب المحاور، «والحل الحقيقي للمشاكل اليوم هو المزيد من الليبرالية». يعكس الكاتبان إيمانهما بفكرة التقدم التاريخي الليبرالية وإن حاولا الظهور بشكل أكثر تحفظاً من حتمية «نهاية التاريخ» لفوكوياما. وما بدا أنه خلاصة سهلة على شاكله «الليبرالية هل الحل»، إلا أن مزيداً من الليبرالية كما طرحا تعني حكماً الصدام مع المكوّن الرأسمالي في التجربة الغربية، أي الصدام مع قوى السوق والمال، وهي مسألة أبعد ما تكون عن البساطة.

ثالثاً، لدينا «العالم القبلي: هوية الجماعة هي كل شيء» (آيمي تشوا) وهو عالم صاعد ومصدر قوته الأساسي أنه مرتبط بالطبيعة البشرية، فالقبلية غريزة أساسية حيث إن «البشر هم كائنات قبلية ونحن بحاجة إلى الانتماء إلى جماعات، ولهذا نحب النوادي والفرق الرياضية». عندما يتصل الناس بمجموعة ما تصبح هوياتهم مرتبطة بها بقوة أكبر». وتحيل الكاتبة إلى دراسات عملية تثبت أننا كبشر نتحيز إدراكياً وعصبياً للجماعة التي ننتمي إليها، وهذا هو الجانب المظلم من الغريزة القبلية.

وبعكس التفاؤل الليبرالي، تذهب «تشوا» إلى أنه في السنوات الأخيرة عادت القبلية لتمزق نسيج الديموقراطيات الليبرالية في الدول المتقدمة. أمريكا نفسها بدأت تختبر في السنوات الأخيرة هذه القبلية وهو ما ينعكس في ديناميات سياسية تدميرية تشبه تلك التي في الدول النامية والدول غير الغربية: صعود الحركات القومية والإثنية، وتراجع الثقة بنتائج الانتخابات والمؤسسات، وشيوع الديماغوجية والمتاجرة بالكراهية وبروز ردة شعبية ضد «المؤسسة» والأقليات الأجنبية، وفوق كل ذلك تحول الديموقراطية إلى محرك لقبلي سياسي صفرية. يحيل الكاتب هذه القبلية الصاعدة في أمريكا إلى التحولات التي يعانها الأمريكيون البيض، ديموغرافياً واقتصادياً، ثم التباين الاجتماعي والطبقي المتزايد بين المناطق حيث تستحوذ «نخبة السواحل» على أغلب عوائد النمو.

وتنتقد الكاتبة المحللين وصناع القرار الأمريكيين أنهم لطالما ركزوا في فهمهم للعالم على الأيديولوجيا والاقتصاد والصراعات السياسية، وتجاهلوا الهويات الأولية للجماعات، وتجاوزوا أن الهوية الأهم ليست تلك الوطنية بل الإثنية والمكانية والدينية والمذهبية والسلالية. فهويات الجماعات نادراً ما شكّلت رأي النخبة الأمريكية حول الشؤون الدولية، وهذا ما أدى إلى أسوأ الإخفاقات منذ فييتنام حتى حرب أفغانستان والعراق. ففي حرب فييتنام، لم يلتفت القادة الأمريكيون إلى أن الثروة في جنوب فييتنام كانت تسيطر عليها أقلية إثنية من أصول صينية كانت الأكثر استفادة من مقاومات الجيش الأمريكي وتوريداته. لم تستفد أمريكا من هذا العامل إلا بشكل متأخر في العراق حين أدرك الجيش الأمريكي أن «المجتمع العشائري يمثل الصفائح التكتونية في العراق والتي يستقر فوقها كل شيء» (الجنرال جون الآن). هذا التحول الأمريكي ساهم في نجاح تجربة «الصحوات»، بحسب ما ترى «تشوا».

رابعاً، عادت لتتجلى نبوءات ماركس في «عالم ماركسي: ماذا تتوقع من الرأسمالية» (روبن ماغين) حيث تتزايد في أمريكا وأوروبا اللامساواة وتراجع الأجور وتتضخم أرباح الشركات وتضمحل الطبقة الوسطى وتُجوف الديموقراطية التي يجري استبدالها بحكم التكنوقراط لنخب معولمة. فرغم نهضة الغرب خلال سنوات ما بعد الحرب الثانية، إلا أن المصالح الاقتصادية لرأس المال (السوق) روّضت التنظيم السياسي للناس (الدولة) ولا تزال هذه المعضلة قائمة.

التحدي اليوم هو الوصول إلى ملامح لاقتصاد مختلط قادر على تأمين ما أنجزه العصر الذهبي. بحسب الكاتب، وهذا يستلزم تبني روح ماركس أي الاعتراف بأن الأسواق الرأسمالية يمكن أن تكون الترتيب الاجتماعي الأكثر ديناميكية الذي أنتج من قبل البشر. وهذه الديناميكية تعني أن تحقيق أهداف المساواة يستلزم تعديلات مؤسسية جديدة مدعومة بأشكال جديدة من السياسات وترويض الأسواق وإعادة إحياء الديموقراطية الاجتماعية، وهذا لن يحصل بسياسات من الماضي.

خامساً، نحن نرى بزوغ «عالم التكنولوجيا: أهلاً في الثورة الرقمية» (كيفين دروم)، حيث يدخل العالم فجر الثورة الصناعية الثانية أي الثورة الرقمية والتي سيكون تأثيرها أعظم من الثورة الصناعية الأولى للقرن التاسع عشر التي سمحت بصعود طبقة وسطى مع ضغط حقيقي لأجل الديموقراطية. إلا أن هذه الثورة، بحسب الكاتب، لم تبدأ بعد، فحتى الآن هي ابتكرت ألعاباً إلكترونية أفضل، لكنها ستبدأ فعلاً حين تزداد الإنتاجية الكلية للاقتصاد العالمي. ما قد يغيّر الأمور هو مسألة الذكاء الاصطناعي والذي يتقدم بثبات، ولكن ما زلنا في مرحلة المخاض، ولنتجاوزها هناك حاجة إلى أجهزة بقوة الدماغ البشري وبرمجيات قادرة على التفكير باقتدار.

بعد عقود من الإحباط، الجانب المتعلق بالأجهزة (hardware) على وشك التحقق حيث توفر جهاز كومبيوتر بقوة الدماغ البشري لكن حجمه يعادل مساحة غرفة وبكلفة ٢٠٠ مليون دولار ويستهلك كهرباء بكلفة ٥ ملايين دولار سنوياً. أما على صعيد البرمجيات فالأمور أكثر ضبابية، ولكن العلماء (٥٠٪ توقعوا ذلك) متفائلون ويعتقدون

أنهم سينجزون برمجية قادرة على أداء كل المهام البشرية بحلول ٢٠٦٠ أو ٢٠٤٥. حينها ستؤدي هذه الأجهزة كل الأنشطة البشرية من كتابة الروايات إلى إجراء العمليات الجراحية بشكل أسرع وأمهر وبالدخول إلى كل أشكال المعرفة في العالم. هذه الثورة الرقمية ستكون الأعظم في تاريخ البشرية بحيث ستبدو كل التحولات الأخرى مزيفة بالمقارنة.

في كتابه «القوى العظمى في الذكاء الاصطناعي: الصين وسليكون فالي والنظام العالمي الجديد» يشير كاي-فو لي، أحد أبرز خبراء الذكاء الاصطناعي اليوم، إلى نجاح الصين في تحويل التعاملات المالية إلى الهواتف الذكية (١٨ تريليون دولار سنوياً) ما سمح بمراكمة داتا هائلة أتاحت للشركات الصينية أن تصبح الأكثر قيمة في مجالات رؤية الكمبيوتر والتعرف إلى الكلام وتركيب الكلام والترجمة الآلية والطائرات من دون طيار. «إن الداتا هي النفط الجديد، والصين هي السعودية الجديدة»، ففي ظل هذه الثورة الهائلة، تقود الصين التنفيذ وإن كانت أمريكا تقود الاكتشافات، بحسب «لي».

إلا أن من تحديات هذه الثورة تقلص الوظائف المتاحة للبشر. بحسب بعض الدراسات فإن ٣٨٪ من الوظائف في أمريكا ستكون عرضة لخطر مرتفع بحلول ٢٠٣٠. وفي حال حصول ذلك سنصبح أمام خطر ثورات عنفية حول العالم. بحسب كاي-فو لي، فإن أبرز الوظائف المهددة هي الوظائف الفردية الروتينية مثل السائقين ووظائف المبيعات وخدمة العملاء وأطباء أمراض الدم وأطباء الأشعة، وهؤلاء سيجري استبدالهم تدريجياً خلال الـ١٥ سنة المقبلة. في المقابل ستندرج الوظائف الإبداعية لأن الذكاء الاصطناعي يستطيع التحسين وليس الإبداع.

وبناء عليه، الحوكمة المطلوبة في هذه الحالة، بحسب الكاتب، هي الأقدر على إدارة قوة الذكاء الاصطناعي لصالح أكثرية الناس. هذا الذكاء قد يكون قادراً على حلّ مشكلة التغير المناخي رغم تسببه بالبطالة الواسعة. سيتحول العالم نحو منافسات القوى الكبرى على صعيد الذكاء الاصطناعي، القبلية لن تعود مهمة، فالروبوت يقوم بالعمل فلم الهويات؟ أما الديمقراطية الليبرالية فستكون أمام سؤال البطالة، والدين سيواجه أسئلة صعبة فالإنسان خلق ما هو مثله فكراً وإبداعياً، يحتاج «دروم» (يبدو هناك خلاف حول قدرة الذكاء الاصطناعي على الإبداع). وحينها مثلاً يمكن تطوير تقنيات الدرونز في التعقب والاستهداف بما يجعل أي منظمة غير متطورة تقنياً عاجزة عن البقاء.

سادساً، نتجه نحو «عالم محتبس حرارياً: لماذا يهم التغير المناخي أكثر من أي شيء آخر» (جوشوا بوسبي). في هذا العالم يصبح خطر التغير المناخي لا يقل عن أي من المخاطر الكبرى التي تهدد العالم والتي ستحدد شكل هذا القرن. فهذا التحدي لن يبقى تهديداً بعيد الأمد بل تهديداً يستلزم تحركاً فورياً. فمن أصل الـ١٧ سنة الأكثر سخونة ضمن السنوات المسجلة، حصلت ١٦ منها بعد عام ٢٠٠١. لقد ازدادت حرارة سطح الأرض ١,٢ Celsius منذ الثورة الصناعية، فيما هناك إجماع علمي على أن الحد الأقصى للزيادة قبل أن يحدث تغير مناخي خطير هو درجتان فقط، وهذا يعني أن أمام العالم ٢٠ عاماً قبل تجاوز العتبة. في حال تحقق ذلك يعني أننا سننتقل إلى عالم من الكوارث الطبيعية وهو ما سيرتد تأثيرات جيولوجية مخرقة ويطلق شرارة للاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية. وهذه كلها ستختبر النظام الدولي بطرق جديدة وغير متوقعة، يشدد الكاتب.

فبسبب التغير المناخي ستصبح أجزاء أساسية من العالم غير قابلة للحياة ما يعني حركة هائلة للانتقال البشري واللجوء، ما سيجعل من بعض التوترات الدولية أكثر شراسة وحدة مثل حروب الماء والسدود (نهر الهند - نهر النيل) والجفاف وتراجع المحاصيل (في الـ٢٥ سنة الأخيرة اختفى في الصين ٢٨,٠٠٠ نهر). كذلك أجاج ذوبان مناطق قطبية التنافس على المناطق الجديدة لاستكشاف مخزونات الطاقة والممرات الجديدة، وتتزايد التوترات حول الدعم الذي تقدمه حكومات لقطاعات مرتبطة بالاقتصاد الأخضر مثل دعم الصين لصناعة الطاقة الشمسية ما دفع أمريكا لفرض تعريفات عليها. كثير من سياسات الاستجابة لظاهرة تغير المناخ ستنجح خاسرين وراحين وبالتالي توترات وصراعات.

هذا التحدي، بحسب «بوسبي»، يسلتزم مستويات غير مسبوقة من التعاون العالمي لا سيما في الصين والولايات المتحدة، فدورها مركزي في الاستجابة لتحدي تغيير المناخ (كلاهما مسؤول عن ٤٠٪ من الانبعاثات) وعليهما بناء نظام يسمح لهما بالتعاون في القضايا حيث مصيرهما مترابط مع تجاوز تنافسات الأمن الإقليمي بينهما في آسيا. ولتحقيق هذا النظام يجب الاعتراف بظاهرة تشظي القوة حيث تتخلى أمريكا عن السيطرة كقوة هيمنة وتقبل بصعود الصين، وكل ذلك يوجب التعاون مع الحكومات والشركات والمجتمع المدني والأفراد الأثرياء جداً.

وفي هذا السياق، يؤكد عدد حديث لمجلة الـ«إيكونوميست» (أيار ٢٠١٨) هذه التوقعات الكارثية لا سيما في منطقة الشرق الأوسط التي ستشهد مزيداً من تراجع كميات المتساقطات وموجات الحر والعواصف الرملية من الرباط إلى طهران. ومن المتوقع أن ترتفع درجات الحرارة في المنطقة بضعف المعدل العالمي. وبحسب المقياس العالمي للرطوبة والحرارة فإنها ستزداد حتى عام ٢١٠٠ بشكل يجعل منطقة الخليج غير قابلة للسكن. فيما كشفت الأقمار الصناعية لـ«ناسا» أن نهري دجلة والفرات خسرا من المياه العذبة بين عامي ٢٠٠٣-٢٠١٠ ما يوازي كمية المياه في البحر الميت، وأغلب ذلك بسبب الضخ وحفر الآبار لتعويض النقص في الأمطار. تضع هذه التحولات المناخية ضغوطاً هائلة على الدول والمجتمعات، وفيما تنفق الدول الغنية عشرات المليارات للتكيف وإيجاد الحلول واستيعاب الخسائر (كلفة الأحداث الطارئة المرتبطة بالطقس كلفت الولايات المتحدة ٣٠٠ مليار دولار عام ٢٠١٧)، تقف الدول الفقيرة وتلك الفاشلة ساكنة وعاجزة في انتظار الكارثة المميته.

خاتمة

أربعة من أصل ستة عوالم جرى عرضها، تقدم صورة سوداوية للمستقبل المنظور، فيما يتخبط العالم الليبرالي ويتأرجح العالم التكنولوجي بين عودته وعواقبه. فالقرن الحادي والعشرون سيتشكل تحت وطأة ضغوط من جملة اتجاهات وتحولات هائلة مثل صعود الصين واختلال النظام العالمي، وتزايد القبلية السياسية، وتضعف الفكرة الليبرالية سواء في النظام الدولي أو الديمقراطيات الوطنية، والاحتباس الحراري، والبطالة المرتبطة بالتكنولوجيا وكذلك العوارض الثقافية الناتجة عنها. العوالم الواقعية والقبلية والمحتبسة حرارياً هي إلى حد بعيد عالم واحد بأوجه مختلفة، عالم يعزز الميل للحرب والتنافس والصراع والمصالح الذاتية الضيقة والألعاب الصفرية والفوضى العالمية، ويتعزز كل ذلك بإخفاقات العالم الليبرالي والعوارض السلبية للعالم التكنولوجي.

الثورة التكنولوجية الجارية، لا سيما المتعلقة بالداتا، تعزز من احتكار القوة وقدرات السيطرة أقلها قبل أن يتأقلم الأضعف معها، وكذلك تعمق الفوارق الهائلة بين شمال العالم وجنوبه (على سبيل المثال، حالياً تتلف أوروبا سنوياً ٥٠ مليون طن من الفاكهة والخضر نظراً إلى أن شكلها سيئ، فيما يموت ٣ ملايين شخص جوعاً في دول الجنوب)، والتي بدأت تتوسع في الشمال نفسه.

يلفت «لي» إلى أن الخطر الأكبر في ثورة الذكاء الاصطناعي ليس فقدان الوظائف بل فقدان المعنى. فالثورة الصناعية غسلت أدمغتنا وجرى إقناعنا أن العمل هو سبب وجودنا وهو ما يحدد معنى حياتنا. إلا أن «لي» اكتشف، بعد تجربة الإصابة بمرض السرطان والشفاء منه، أننا «موجودون من أجل الحب... وهذا ما يميزنا عن الذكاء الاصطناعي... فنحن نتميز بالإبداع ثم الرحمة والحب والتعاطف». هنا يصبح لخسارة الوظائف الروتينية بسبب ثورة الذكاء الاصطناعي وجه آخر، ألا وهو إمكانية خلق وظائف جديدة، ووظائف قائمة على التعاطف (مثل المعلمين، ومقدمي الرعاية الطبية، والأخصائيين الاجتماعيين)، أي أن نجعل من الحب مهناً (مثل التعليم المنزلي ومرافقة العجائز) وهكذا نتذكر ما يجعلنا بشراً، يقول «لي». باختصار، لا بد من «ثورة مضادة» توازن ثورة التكنولوجيا الجارية، ثورة أخلاقية وفلسفية في النظر إلى الوجود الإنساني على هذا الكوكب، قبل فوات الأوان، إن لم يكن قد فات.

* كاتب لبناني

انفلات نووي خطير

روسيا اليوم: ٢٢/١٠/٢٠١٨

"الولايات المتحدة تعيد العالم إلى مرحلة الخوف من حرب نووية" عنوان مقال أندريه ريزتشيوكوف، في "فزغلياد"، حول إعلان ترامب عن نيته الانسحاب من اتفاقية الصواريخ المتوسطة وقصيرة المدى. وجاء في المقال: يبدو أن أهم اتفاقيات الحد من الأسلحة المبرمة بين الولايات المتحدة واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية - معاهدة ستارت ٣ واتفاقية تقليص الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى، باتت من الماضي. فإذا صدقت تسريبات الصحافة، فإن واشنطن تستعد لإعلان انسحابها من هذه الاتفاقات. وفي حين لم يتم تحديد المصير النهائي لستارت ٣، فإن معاهدة تقليص الصواريخ متوسطة والقصيرة المدى التي لا تقل أهمية عنها يبدو أنها لم تعد تعني الولايات المتحدة. فوفقاً لصحيفة نيويورك تايمز، ستقوم إدارة ترامب بإخطار روسيا بالتحضيرات الأمريكية للانسحاب من هذه الاتفاقية... وفي الصد، يرى رئيس مركز الأمن الدولي بمعهد الاقتصاد العالمي والعلاقات الدولية التابع لأكاديمية العلوم الروسية، الأكاديمي أليكسي أريباتوف، أن هناك، في الولايات المتحدة بين العسكريين، مجموعة ضغط قوية تدفع لتمديد ستارت ٣. فقد تم التخطيط للأسلحة الاستراتيجية لعقود قادمة. وبالتالي فإن الجيش يحتاج إلى القدرة على التنبؤ لمدة تتراوح بين ٥ و ١٠ سنوات على الأقل للتخطيط لقواته بثقة". وأشار أريباتوف إلى أن الإدارة الأمريكية الجديدة وعدت بزيادة الأسلحة النووية. وقال إن روسيا حاولت بكل الطرق إقناع الولايات المتحدة بالتخلي عن مثل هذه الخطط، "عدة مرات، عبر الهاتف وفي اجتماع في هلسنكي، اقترحنا على الأمريكيين تمديد معاهدة ستارت ٣. الرئيس ترامب لا يفقه شيئاً في ذلك. لكنهم في الكونغرس الأمريكي، وفي الإدارة نفسها، هناك مزاج قوي ضد هذه المعاهدة، على خلفية اتهام روسيا بانتهاك معاهدة الحد من الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى، وهم عملياً يوجهون إنذاراً نهائياً: اعترفوا بالانتهاكات وأزيلوا تلك الأنظمة التي تعتبرها الولايات المتحدة انتهاكاً للاتفاق. وبعدها، ربما نمدد ستارت ٣". يتوقع أريباتوف عدم تمديد معاهدة ستارت ٣ إذا تم الانسحاب من اتفاقية تقليص الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى، "لأن الوضع السياسي لا يساهم في ذلك". وكما أظهرت تجربة السنوات الخمسين الماضية، فعندما يغيب إطار التحكم في الأسلحة والقدرة على التنبؤ وشفافية القوى، فإن الردع النووي يتصاعد.. يبدأ اعتماد أنظمة تسليح ومفاهيم لاستخدامها، تضع العالم في مواجهة أي أزمة على شفا الحرب".

كيف يؤثر انسحاب واشنطن من معاهدة الصواريخ متوسطة المدى على سباق التسلح؟

إلى ذلك أعلن مجلس الدوما الروسي أن الانسحاب أحادي الجانب للولايات المتحدة من معاهدة الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى قد يؤدي إلى أزمة في مجال الرقابة على الترسانات النووية. وأضاف أن المعاهدة الموقعة عام ١٩٨٧ بين موسكو وواشنطن اشترطت القضاء على صنف هام من الصواريخ الحاملة للسلاح النووي كاملة. ويعتقد الخبراء الآن أن الولايات المتحدة يمكن أن تستأنف الآن إنتاج أنظمة الصواريخ المحظورة وتزيد من مدى عمل الصواريخ المتوفرة لديها حالياً. قد أثار إعلان تقدم به الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بشأن استعداد الولايات المتحدة للانسحاب من معاهدة الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى رد فعل سلبياً في موسكو. ويرى البرلمانيون الروس أن فسخ المعاهدة قد يحفز سباق التسلح في العالم. وقال رئيس لجنة الشؤون الدولية في مجلس الدوما، ليونيد سلوتسكي، بصورة خاصة إن فسخ المعاهدة يمكن أن يؤدي إلى وقوع أزمة جدية في مجال فرض الرقابة على الترسانات النووية.

جدير بالذكر أن معاهدة الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى عقدت في ٨ ديسمبر عام ١٩٨٧ بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة حيث اتفقت الدولتان على القضاء التام على الصواريخ ومنصاتها التي يتراوح مدى إطلاقها بين ٥٠٠ كيلومتر و٥,٥ ألف كيلومتر.

وقام الاتحاد السوفيتي بحلول عام ١٩٩١ بإتلاف الأنظمة الصاروخية "بيونير" و" تيمب - أس" و"اوكا" وصواريخ "ار - ١٢" و" أر-١٤". أما البنتاغون فتخلص من أنظمة "بيرشينغ" والنماذج البرية من صواريخ "تمهوك". وتتبادل موسكو وواشنطن في الآونة الأخيرة الاتهامات بوجهها أحدهما للآخر حيث يشير البنتاغون إلى أن مدى عمل الصواريخ المجنحة الروسية "أم ٧٢٩" يزيد عن ٥٠٠ كيلومتر ولا يتجاوز مدى عمل صاروخ "أر - ٢٦" روبيج" البالستي ٥,٥ ألف كيلومتر.

أما اتهامات موسكو فتتعلق بالدرجة الأولى بنشر منظومة الدرع الصاروخية العالمية حيث عبرت القيادة السياسية العسكرية الروسية عن قناعتها بأن الأمريكيين يمكن أن يستخدموا منظومات الصواريخ المضادة للجو التي تم نشرها في أوروبا لإطلاق الصواريخ المتوسطة المدى "BGM-109" (تمهوك). ويعتقد الخبراء في وزارة الدفاع الروسية أيضا أن البنتاغون يستخدم ذخائر محظورة بمثابة أهداف تدريبية لاختبار الصواريخ المضادة. يذكر أن الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى تنتمي إلى صنف السلاح النووي غير الاستراتيجي (التكتيكي).

وكان البنتاغون يعرب مراراً عن قلقه من تفوق روسيا على الولايات المتحدة في هذا الصنف من الصواريخ. وتتوفر في ترسانة روسيا حسب المعلومات الواردة من وزارة الدفاع الأمريكية من ألف واحد إلى ٦ آلاف ذخيرة نووية تكتيكية، فيما تمتلك الولايات المتحدة ٥٠٠ قطعة فقط من السلاح النووي التكتيكي ومن بينها ٢٠٠ قطعة تخزن في مستودعات ألمانيا وإيطاليا وتركيا وهولندا وبلجيكا.

وجاء في تقرير بشأن السياسة النووية الأمريكية أن القوات المسلحة الأمريكية عاجزة عن توجيه رد متكافئ على استخدام روسيا لسلاحها النووي التكتيكي في أوروبا.

وكان قائد القيادة الاستراتيجية للجيش الأمريكي، جون هاتن، قد أعلن في مطلع العام الجاري: "أننا نخاطر أن نهزم في حال نشوب نزاع باستخدام السلاح النووي التكتيكي في أوروبا".

وأجرت قناة " آر تي" التلفزيونية الفضائية الروسية استطلاع رأي الخبراء في هذا المجال. ويرى غالبيتهم أن الولايات المتحدة معنية بالانسحاب من معاهدة الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى. وقال نائب مدير معهد الولايات المتحدة وكندا لدى أكاديمية العلوم الروسية، بافل زولوتاريوف، إن الانسحاب من المعاهدة يمنح الولايات المتحدة ورقة بيضاء لإطلاق إنتاج الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى المحظورة وتصنيع أنواع جديدة من الأسلحة النووية الضاربة. أما رئيس مركز "بير" الروسي، يفغيني بوجينسك، فيعتقد أن استئناف إنتاج الصواريخ المحظورة لا علاقة له بمهام دفاعية، إذ أن الكمية الموجودة من صواريخ "تمهوك" وصواريخ "جو - أرض" كافية للدفاع والهجوم. وأضاف أن الصواريخ الأمريكية الجديدة ستنتشر في أوروبا وآسيا.

ويرى مؤسس بوابة " Military Russia"، دميتري كورنيف، أن الولايات المتحدة بمقدورها أن تصنع بأسرع وقت ممكن نماذج برية من صواريخ "تمهوك"، ما سيشكل خطورة على أمن روسيا وسيؤدي إلى تفاقم الأوضاع على حدود روسيا مع الغرب، إذ أن أي إطلاق لصاروخ قد يتسبب إلى رد متكافئ من جانب روسيا.

وقال كورنيف: "في حال بدء الولايات المتحدة في إنتاج الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى سترد روسيا بالمثل. وستظهر لديها الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى التابعة لمنظومات "إسكندر"، ناهيك عن ظهور نسخ برية من صواريخ كاليببر "بحر - أرض" و"جو - أرض". يجب ألا يغيب عن البال السلاح الفرط صوتي الذي قد يمتلكه الجيش الروسي والذي يعتبر اعتراضه أمراً مستحيلاً عملياً.

وقال الخبير العسكري، يوري كنوتوف، في حديث أدلى به لقناة " آر تي" الفضائية الروسية إن روسيا تمتلك في الوقت الراهن كمية كافية من آليات الردع النووي وغير النووي حتى في حال فسخ معاهدة الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى من قبل الولايات المتحدة.

العادات السبع للدكتاتور

*أحمد بن راشد بن سعيد

منبر الجزيرة (المعرفة) : ٢٤ / ١٠ / ٢٠١٨

ثمة خصائص يتسم بها القادة الدكتاتوريون عبر التاريخ، وقد تتوافر كلها أو بعضها في سلوك الدكتاتور حسب النظام الذي يمارس سلطته في ظلّه، وحسب السياقات المكانية والزمانية. إجمالاً، هذه أبرز العلامات التي يُعرف بها الدكتاتور:

الحكم الفردي

"السلطة المطلقة مفسدة مطلقة"، كما قال السياسي البريطاني لورد آكتن في القرن التاسع عشر، ويصف المفكر السوري، عبد الرحمن الكواكبي، هذا النوع من الحكم بأنه التصرف "في شؤون الرعية... بلا خشية حساب، ولا عقاب محققين"، فالدكتاتور "يتحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم، ويحكمهم بهواه لا بشريعتهم، ويعلم من نفسه أنّه الغاصب المتعدّي، فيضع كعب رجله على أفواه الملايين"، وهو يفعل ذلك لأنه "يودّ أن تكون رعيته كالغنم درأً وطاعة، وكالكلاب تذلاًّ وتملقاً"، ولهذا، كان الاستبداد، حسب الكواكبي، "أعظم بلاء" لأنه وباء دائم بالفتن، وجذب مستمر بتعطيل الأعمال، وحريق متواصل بالسلب والغصب، وسيل جارف للعمران، وخوف يُقطع القلوب، وظلام يُعمي الأبصار، وألم لا يفتر، وصائل لا يرحم، وقصة سوء لا تنتهي".

استغلال الدين

يريد الدكتاتور أن يظهر تقياً يخاف الله، ويؤدّي الصلاة، ويرفع يديه إلى السماء داعياً بخشوع، وقد تذرف عيناه، ويحجّ ويعتمر، وينظر في المصحف، ويحضر مجالس العلم، ولا بدّ أن تلتقط له الصّور وهو يتحدث إلى فقهاء، أو يوزّع جوائز على حفظة القرآن، وربّما استشهد بنصوص شرعية أو أحداث تاريخية لتبرير سياسات أو برامج أو مواقف. لما اجتمع القادة العرب في "قمة بغداد" عام ١٩٧٨، والتي رفضت المعاهدة وعدتها استسلاماً، صوّر السادات حاله مع العرب بحال النبيّ نوح مع قومه.

صدام حسين خاض حرباً ضروساً ضدّ إيران في الثمانينيات وسماها "قادسية صدام" مستدعياً بذلك معركة "القادسية" التي قادها الصحابيّ سعد بن أبي وقاص في صدر الإسلام "أنور السادات استشهد بأية "وإن جنحوا للسلم فاجنح لها"، لإضفاء الشرعية على معاهدة "كامب ديفد"، وخرج من الأزهر، المؤسسة الدينية الرسمية، من يشبه المعاهدة بصلح الحديبية.

ولما اجتمع القادة العرب في "قمة بغداد" عام ١٩٧٨، والتي رفضت المعاهدة وعدتها استسلاماً، صوّر السادات حاله مع العرب بحال النبيّ نوح مع قومه مستشهداً بالآيات: "ربّ إني دعوتُ قومي ليلاً ونهاراً، فلم يزدّم دعائي إلّا فراراً، وإني كلّما دعوتهم لتتغفّر لهم، جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً، ثمّ إني دعوتهم جهاراً، ثمّ إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً". الزعيم الفلسطيني، ياسر عرفات، وصف مساعيه للصلح مع الكيان الصهيوني بـ "سلام صلاح الدين"، وهو ربط تاريخي لا يهتم صانعه بمدى مطابقته للواقع بقدر ما يهتم بتضليل الجماهير عن حقيقة ما يجري، وإيهامها بأنّه لم يفرط في حريّاتها وحقوقها.

حجب المعلومات

لا يطيق الدكتاتور أن يرى الجماهير تنهل من المعلومات، لأنّ ذلك سيمكّنها من إدراك حقيقة حاضرها، واستشراف مستقبلها. يدرك الدكتاتور أنّ قبضته على السلطة ستستمر فقط إذا ظلت الجماهير "مغيبة" عن واقعها، ولذا، يلجأ إلى تضليلها وتجهيلها بماكينة دعاية ضخمة تجعلها أكثر تجانساً وأسس قياداً.

تزدهر الدعاية في أجواء القمع، وتخطب الناس بوصفهم جماعة لا أفراداً، فهي تستميل الروح الجماعية، وتتجذب مناشدة الفرد. الدعاية "آلية ضبط اجتماعي" كما يخبرنا أستاذ الاتصال السياسي، دان نيمو، ولذا، فهي تعتمد على العاطفة لا المنطق، وتضيق ذرعاً بالتفكير النقدي.

ومن اللافت أن الأمر لا يقتصر فقط على المجتمعات الشمولية، بل حتى المجتمعات الديمقراطية الليبرالية كالمجتمع الأمريكي تقع ضحيةً للدعاية، لكنها ليست دعاية مباشرة وتقليدية كالتي تشهدها المجتمعات المغلقة، بل دعاية معقدة مستترة قائمة على إيهام الجماهير أنه لا يجري التلاعب بهم، وأنهم يتعرضون لرسائل واقعية ومتوازنة.

تبتث وسائل الإعلام (الميديا) وقائع الحملات الانتخابية وطقوسها وأغنياتها وبرامج المرشحين وفصائحهم، كما تبتث الإعلانات والمناظرات واحتفالات الترشيح ومراسم التنصيب، وكلها مشاهد تعتمد على الإبهار، وتعزز قناعة الرأي العام بنجاعة العملية السياسية السائدة. يواكب ذلك ترويج أساطير مهمة لتخليد هذه الدعاية كأسطورة "الحلم الأمريكي"، وأسطورة "مجتمع الصهر/البوتقة"، وأسطورة البلد "المحب للسلام" الذي يحمي حقوق الإنسان، ويسعى لجعل العالم أكثر أماناً.

يبني دكتاتور ما سياسته على كذبة مؤداها أن جماعة ما "إرهابية"، وتدرجاً تصبح الكذبة جزءاً من الخطاب العام، وتصبح مساءلتها ضرباً من العبث، وقد يتعرض المشككون فيها إلى حملة تخوين. وحسب نعوم تشومسكي، فإن الدعاية في أمريكا تُمارس من خلال "سيطرة على التفكير" (thought control)، تهدف إلى تضليل الجماهير بـ "خدع ضرورية" (necessary illusions)، وعندما تنكشف هذه الخدع، وتظهر الممارسات غير القانونية، يجري اللجوء إلى تكتيك دعائي آخر هو "السيطرة على الضرر" (damage control)، يتمثل في لجان التحقيق، أو جلسات الاستماع، التي لا تُسفر في الغالب عن تغييرات تُذكر. وقد يلجأ الدكتاتور، عندما يفشل في وقف انتشار معلومات عن انتهاك ارتكبه، أو فضيحة تورط فيها، إلى شن "عمل عسكري" خارج الحدود، ليصرف الانتباه عن مأزقه، معيداً تركيز الاهتمام الشعبي على عدو خارجي.

الكذب

يلجأ الدكتاتور إلى الكذب حتى عند مواجهته بالحقائق. في الواقع، يعتقد معظم الساسة أن الكذب وسيلة ناجعة لتحسين صورتهم الذهنية، أو لتحقيق ما يرون أنها حماية للأمن القومي لبلدانهم، أو لصناعة القبول بحملاتهم العسكرية، وسياساتهم القمعية. يستوى القادة السلطويون والقادة "الديموقراطيون" في ممارسة الكذب، حتى أصبح هذا السلوك لازمة من لوازم السياسة. الحملات الانتخابية سوق رائجة للكذب، ويعلم الناخبون أن الوعود التي يقطعها المرشحون على أنفسهم في سياق الحملات ليست إلا وسيلة لكسب الأصوات.

يعتقد الدكتاتور محققاً أنه بتكرار الكذب سوف يدفع قطاعاً من الجمهور إلى التشكك في الحقيقة، واعتناق الخرافة التي تدعم أهدافه. لكن الكذب يقود إلى نتائج مدمرة. جورج بوش الثاني ردأ أكاذيب متوحشة لكن الضخ المستمر لها عبر مؤسسات إدارته والصحافة السائدة المؤيدة لها، أدى إلى إضعاف مقاومتها وتحييد معارضيها: "شارون رجل سلام"، "امتلاك العراق أسلحة دمار شامل"، "حماس منظمة إرهابية"، مجرد أمثلة. قد يبني دكتاتور ما سياسته على كذبة مؤداها أن جماعة ما "إرهابية"، وتدرجاً تصبح الكذبة جزءاً من الخطاب العام، وتصبح مساءلتها ضرباً من العبث، وقد يتعرض المشككون فيها إلى حملة تخوين مكارثية أو حملة "صيد ساحرات".

يلجأ الدكتاتور إلى إلقاء مسؤولية إخفاقاته على جماعة أو دولة أو شخص في محاولة لتخفيف اللوم عنه، أو لتوجيه مشاعر الإحباط الشعبي إلى جهة أخرى غيره.

استدعاء الزبانية

يلجأ الدكتاتور إلى تمكين موالين دعائيين في مواقع حساسة من أجل الترويج لأفكاره، والدفاع عن سياساته الداخلية والخارجية، ويحرص على أن يتمتع هؤلاء بقدرات خطابية وشخصيات أسرة (كاريزما). مثلاً، كذبة الدكتاتور المشار إليها في آخر الفقرة السابقة (إعلانه أن منظمة ما إرهابية)، يتلقفها الزبانية، ويعيدون إنتاجها،

منتبهين إلى تصديقها، ثم تبرير تبعاتها، لأنها ليست مجرد كلام، لتصبح الأفعال القمعية، والمحاکمات الصورية، والانتهاكات واسعة النطاق ضرورية أو مفهومة على الأقل.

ينبئ الكواكبي إلى خطر هذه الفئة التي يسميها "المتمجدين" (ربما تنطبق عليهم أسماء محكية مثل "البلطجية" و "الشبيحة")، ويصورهم بوصفهم "جذوة نار من جهنم كبرياء المستبد، يحرق بها شرف المساواة في الإنسانية"، مضيفاً أن الدكتاتور يريد من خلال تمكين هؤلاء دفع الأمة إلى "إضرار نفسها تحت اسم منفعتها، فيسوقها مثلاً لحرب اقتضاها محض التجبر والعدوان على الجيران، فيوهمها أنه يريد نصره الدين، أو يسرف بالملايين من أموال الأمة في ملذاته وتأييد استبداده، باسم حفظ شرف الأمة وأبهة المملكة، أو يستخدم الأمة في التنكيل بأعداء ظلمه، باسم أنهم أعداء لها، أو يتصرف في حقوق المملكة والأمة كما يشاء هواه، باسم أن ذلك من مقتضى الحكمة والسياسة". الدكتاتور، يضيف الكواكبي، لا يعدو كونه محتاجاً إلى "عصاة تعينه وتحميه، فهو ووزراؤه كزمره لصوص".

اتخاذ كبح فداء

يلجأ الدكتاتور إلى إلقاء مسؤولية إخفاقاته على جماعة أو دولة أو شخص في محاولة لتخفيف اللوم عنه، أو لتوجيه مشاعر الإحباط الشعبي إلى جهة أخرى غير: المهاجرين، الأقليات، الملونين، الإسلاميين، من تسميهم الدعاية "الإرهابيين". هتلق قال إن اليهود كانوا يحاولون امتصاص دم ألمانيا، ترمب يقول إن المهاجرين المسلمين والمكسيكيين يهددون الشعب الأمريكي اجتماعياً واقتصادياً، السيسي يقول إن الإخوان المسلمين إرهابيون ويريدون بيع السويس وسيناء لقوى أجنبية. قد يعلق الدكتاتور فشله في جانب ما على مستشار أو وزير، فيعزله من منصبه.

إذا قدر لك أن تكون زعيماً ذات يوم، فاحذر أن تقع في إحدى هذه العادات، وحاول أن تضرب مثلاً في العدالة. قد يعيش الدكتاتور طويلاً، لكن التاريخ سيلعنه حتماً.

اللجوء إلى "كبح فداء" سياسة قذرة، وضحاياها عادة هم الأبرياء والضعفاء الذين يسهل استهدافهم من دون خوف من انتقام. لسوء الحظ، تنجح هذه السياسة لا سيما في ظل سطوة الدعاية، وغيان المشاعر العنصرية، وتخلي حراس الديمقراطية عن واجبهم في المساءلة والرقابة.

رفض الاعتراف بالأخطاء

يتوقف الدكتاتور عن دكتاتوريته إذا اعترف بخطئه. الاعتراف بالخطأ علامة ضعف لا قوة، و "تنازل" لا يعرف به سوى المغفلين، ورضوخ للضغط يتعارض مع حزم السلطة وهيبتها. لا شيء يدمر الدكتاتورية أكثر من الاهتمام بالرأي العام. ولدت الدكتاتورية من رحم العنف، ولذا، فهي تسمح بولادة ثقافة العنف التي تتنكر للقانون والنظام والتسامح والمحاسبة.

يعتقد الدكتاتور أنه "أبو الأمة، وربما ربها الأعلى" الذي يجب أن يكون بمنأى عن الأخطاء، وبمنأى حتى عن النصح. الدكتاتور لا يحب الناصحين، لأنه ينظر إلى السلطة بوصفها غاية لا وسيلة، كما يقول جورج أرويل، الذي يضيف: "لا أحد يؤسس دكتاتورية ليحافظ على ثورة، بل يصنع الثورة ليؤسس دكتاتورية".

إذا قدر لك أن تكون زعيماً ذات يوم، فاحذر أن تقع في إحدى هذه العادات، وحاول أن تضرب مثلاً في العدالة. قد يعيش الدكتاتور طويلاً، لكن التاريخ سيلعنه حتماً.

*بروفيسور في الإعلام السياسي

وهن القوة العالمية الرائدة

*خافير سولانا

بروجيكت سنديكيت، ٢٤/١٠/٢٠١٨

إن تخلي أمريكا عن الزعامة في ظل ترامب يثير تساؤلاً واضحاً: أي خير قد يتأتى من اضطلاع أمريكا بدور القوة المهيمنة العالمية إذا اختارت حكومتها في مواجهة أعظم التحديات العالمية أن تحكم على نفسها بالعجز؟ تُعد المناقشة العامة السنوية التي تديرها الجمعية العامة للأمم المتحدة واحدة من أبرز المناسبات على جدول أعمال الدبلوماسية الدولية، وكما جرت العادة، جمع اجتماع هذا العام، الذي جرى في الأسبوع الأخير من شهر سبتمبر، بين قائمة طويلة من زعماء العالم، وإن كان مصطلح "زعيم عالمي" ربما لم يعد من الممكن استخدامه بهذه البساطة، فقد أوضح رئيس القوة العالمية الرائدة أنه ليس لديه أي مصلحة في المشاركة في حل أي من مشاكل العالم المشتركة، ومن المؤسف أنه ليس وحده في ذلك.

من منظورنا نحن الذين وضعنا ثقتنا في التعاون الدولي كعنصر مكمل ضروري للعولمة الاقتصادية، كشفت المناقشة التي أجرتها الجمعية العامة عن مشهد شديد القتامة. الواقع أن مصالح بعض القادة في الأمد القريب، والتي تقدم غالباً على أنها "مصالح وطنية"، تُعد من العوامل التي تكدر العلاقات الدولية أكثر من أي وقت مضى منذ نهاية الحرب الباردة، لكن صعود النزعة الشعبوية القومية ليس السبب بقدر ما كان نتيجة للصدوع التي ظلت تتشكل لبعض الوقت.

كما هي الحال مع أي عملية اقتصادية، تنطوي العولمة على بُعد توزيعي، مما يعني أنها من المحتم أن تعمل على توليد الإحباط لبعض المجموعات من الناس. كان وسط الطيف السياسي الغربي أكثر ميلاً إلى التقليل من شأن التأثير الناجم عن اتساع فجوة التفاوت بين الناس داخل البلدان، مع التركيز بدلاً من ذلك على الفوائد المترتبة على فتح الأسواق والتكامل، مثل الانخفاض السريع إلى حد غير مسبوق في مستوى الفقر العالمي، ولكن من المفهوم ألا يجد الجميع تعزية في مثل هذه النتائج.

لا تدور السلع والخدمات ورؤوس الأموال عبر الاقتصاد العالمي فحسب، بل الأفكار أيضاً تدور عبره، وعلى هذا فإن العولمة، مثلها في ذلك مثل الديمقراطية، عُرضة للأذى الناجم عن تصرفاتها، لأنها تضع تحت تصرف خصومها مجموعة من الأدوات التي يمكنهم استخدامها لتخريبها، وإدراكاً منها لهذه الحقيقة، قامت الحركة "القومية الدولية" بقيادة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب ورفاقه من الرحالة الأيديولوجيين بتعبئة القلق والاعتراب بغية إطلاق حملة شعواء (على نحو لا يخلو من مفارقة وتناقض) لعولمة خطابهم المناهض للعولمة بشكل خاص.

في كلمته أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، أعلن ترامب صراحة: "نحن نرفض أيديولوجية العولمة، ونعتنق عقيدة حب الوطن"، ثم كال المديح لدول أخرى، مثل بولندا، تحذو حذوه، وإذا انتخب البرازيليون المرشح الرئاسي اليميني المتطرف يانير بولسونارو، فإنهم بهذا ينضمون إلى موجة من الشعبوية الوطنية التي تهدد بتدمير المؤسسات العالمية المتعددة الأطراف.

مع ذلك، لا يوجد تناقض بين العولمة والحس الوطني، والواقع أن استحضار ترامب لحب الوطن لا هدف له غير تمويه ميوله القومية المعادية للمهاجرين، وقد تباغتنا مثل هذه المصائد البلاغية عندما نتخلى عن الحذر، وخصوصاً عندما يكون الشخص الذي ينصبها قائداً من المعروف عنه أن يقدم أفكاره في هيئتها الخام، لكن من

الواضح أن إدارة ترامب أيضا يساورها القلق بشأن مواكبة المظاهر. هناك العديد من الأمثلة الأخرى. ففي الأمم المتحدة، سعى ترامب إلى إضفاء مظهر التماسك على سياسته الخارجية من خلال منحها لقب "الواقعية القائمة على المبادئ". في العلاقات الدولية، تمثل الواقعية نظرية تعتبر الدول قوى مركزية فاعلة ووحدات تحليل، الأمر الذي يعني تحويل المؤسسات والقوانين الدولية إلى وضع التابع الملحق، وغالبا ما تُنحَى المبادئ مثل حقوق الإنسان جانبا، وإن كان من المحتمل أن تستغلها بشكل انتقائي لتعزيز مصالحها.

هذا هو ما يفعله ترامب على وجه التحديد عندما ينتقد القمع الذي يمارسه النظام الإيراني، في حين يمتنع عن إدانة ممارسات مماثلة في دول أخرى، لكن أي شخص واقعي يحترم نفسه لن يبالغ في تقدير التهديد الذي تشكله إيران، أو يسمح لفورة من الإطراء والمديح الذين يكيّله ترامب للزعيم كيم جونج أون بحجب رؤيته لما يحدث في كوريا الشمالية حقا.

قال ترامب مخاطبا الأمم المتحدة: "ستختار امريكا دائما الاستقلال والتعاون لا الحكم العالمي، والسيطرة العالمية، والهيمنة العالمية". من الناحية النظرية، لا تعارض بين التعاون والنموذج الواقعي. على سبيل المثال، ربما يدرك الواقعيون أن الولايات المتحدة تحاول موازنة صعود الصين على الصعيد الجيوسياسي من خلال تعزيز تحالفاتها في منطقة آسيا والمحيط الهادئ، وخصوصا مع اليابان وكوريا الجنوبية.

لكن إدارة ترامب أثارت التساؤلات حول المظلة الأمنية التي توفرها لهذه الدول، خصوصا أنها لم تعفها حتى من تدابير الحماية التجارية (برغم أن التحديث الأخير للاتفاقية الثنائية مع كوريا الجنوبية ربما أدى إلى تهدئة المخاوف). وقد امتد هذا السلوك المزعج إلى حلفاء تقليديين آخرين للولايات المتحدة، مثل الاتحاد الأوروبي، على النحو الذي يكشف عن عزوف ترامب غير العادي عن التعاون، وعندما يفعل فإنه نادرا ما يدعم التحالفات الأكثر مناسبة لمصالح بلده الاستراتيجية.

عندما يتعلق الأمر بالصين، تستخدم الدبلوماسية الأمريكية صراحة مصطلح "المنافسة"، على الرغم من العلاقات الودية التي يدعي ترامب أنه يحرص على إقامتها مع شي جين بينغ، ويبدو أن الحرب التجارية (والتكنولوجية) الجارية بين البلدين، إلى جانب نوبات الاحتكاك في بحر الصين الجنوبي، تُنذر بدوامه من المواجهة لا يمكن السيطرة عليها.

ومع ذلك، يمكن تجنب هذا السيناريو (الذي ربما تتنبأ به المدرسة الواقعية)، وخصوصا إذا قمنا بتعزيز الهياكل القائمة للحكومة المتعددة الأطراف، والتي يمكنها أن تساعدنا في إدارة التحولات في موازين القوى. من الواضح أن الصين لا تلتزم دائما بالمعايير الدولية، لكن الاستجابة الصحيحة تتلخص في صيانة هذه المعايير لا تجريفها، ولكن من المؤسف أن الولايات المتحدة اختارت المسار الأخير في العديد من المجالات، مثل العلاقات التجارية.

في خطابه أمام الجمعية العامة، لم يؤكد وزير الخارجية الصيني وانغ يي على السياسة الواقعية التي تروج لها بلاده عادةً "وبدلا من ذلك، ذُكر مفهوم "الفوز للجميع" ما لا يقل عن خمس مرات، وإذا استمر ترامب - ومع بقية القومية الدولية - في رفض فكرة المنفعة المتبادلة، فمن المرجح يتمكن من إبطاء نمو الصين ونمو الولايات المتحدة أيضا.

الأمر الأكثر إثارة للانزعاج أن رفض التعاون المتعدد الأطراف يعني الحكم على العالم بالاستسلام في مواجهة قضايا وجودية مثل تغير المناخ، وهو موقف ينم عن إهمال وتقصير شديدين ذلك الذي تبنته بكل سرور إدارة ترامب، الواقع أن تخلي امريكا عن الزعامة في ظل ترامب يثير تساؤلا واضحا: أي خير قد يتأتى من اضطلاع امريكا بدور القوة المهيمنة العالمية إذا اختارت حكومتها في مواجهة أعظم التحديات العالمية أن تحكم على نفسها بالعجز؟

* زميل متميز في مؤسسة بروكنج، وهو رئيس ESADEgeo، ومركز ESADE للاقتصاد العالمي والدراسات الجيوسياسية.

رأسمالنا البشري في مواجهة التحولات الكبرى

*ابراهيم غريبه

"ما يمكن تخيله لا يظل مستحيلا"

صحيفة (الغد) الاردنية ٢٤/١٠/٢٠١٨

يكاد العالم يكون مشغولا بالتأثير العميق للتكنولوجيا الجديدة أو ما صار يسمى الثورة الصناعية الرابعة على الأعمال والأسواق وبطبيعة الحال الحياة بعامه، ويبدو الحديث في كثير من الأحيان مخيفا ومقلقا، ويبدو المستقبل غامضا، لكن ما تجمع عليه الدراسات والمؤسسات المشغولة بالمسألة أن الاستثمار المتقدم في التعليم والصحة يؤهل الأفراد والمجتمعات لاستيعاب هذه التحولات، وكنت قدمت في مقالات سابقة أفكار واقتراحات البنك الدولي ومكتب الأمم المتحدة للتنمية الإنسانية في هذا المجال، ومازال هناك الكثير من المستجدات والمعطيات التي تنشأ في كل لحظة.

لكن الأفكار والمبادرات مهما كانت تقدمية ورائدة لا يمكن تفعيلها وإنجاحها إلا بمشاركة الأفراد والمجتمعات، ولا بد أيضا من وجود مجموعات وشخصيات ريادية قادرة على أن تقود المجتمعات والمؤسسات باتجاه الأفكار والتحولات الجديدة، وفي ذلك لدينا ثلاث أزمت عميقة، غياب المجتمعات، والفجوة بين النخب والمجتمعات، وانهايار المؤسسات الوسيطة مثل منظمات المجتمع المدني والنقابات والجماعات الاجتماعية،..

والحال أن معظم إن لم يكن جميع ما يبذل اليوم في بلدنا لأجل الإصلاح مثل عرس بلا عروسين.. فاردات وطخ وأغان وضيوف وتهنئة وأضواء وفرق موسيقية ودبكات... ومستقبلين ومودعين وكنافة ومناسف وأحاديث ونقاشات وكلمات.. وفي النهاية ينتهي الكرنفال بلا نتيجة!

فإذا لم يتحرك الناس في اتجاه مصالحهم ومطالبهم وعلى قدم المساواة في المسؤولية والمكاسب مع المنظمات والأحزاب والمبادرات فلا يمكن التقدم خطوة واحدة في اتجاه الإصلاح. وإذا لم تكن القيادات والمبادرات الإصلاحية في موقع مناسب من المجتمع تحركه وتتقدم به بما هو مجتمع نحو ما تعيه أو تدركه فهي مثل الرقص في العتمة أو مثل المفرقات الصوتية والألعاب النارية.

وتحتاج القيادات الاجتماعية سواء كانت شخصيات أو أحزابا أو منظمات اجتماعية أو مبادرات ومشروعات وبرامج أن تكون متقدمة على المجتمع في وعيه وسرعته وإيقاعه" ولكنها متقدمة بالقدر الذي لا تبتعد فيه كثيرا عن الناس أو تنعزل عنهم، إنما تبقى في نقطة يدركها الناس بوضوح ورغم المسافة بينهم وبين المبادرات، ولا حاجة بالطبع إلى القول إن القيادات والمبادرات التي لا تختلف في مستواها ووعيتها ومحتواها عن المجتمعات والأفراد لن تضيف شيئا وليست إصلاحية، وأما إذا كان المجتمع متقدما عليها فهي ضد الإصلاح والمجتمع.

يغلب على منظمات المجتمع المدني أنها مؤسسات أنيقة معزولة" لا يكاد يكون لها وظيفة سوى امتصاص المعونات الدولية والتبرعات، أو هي بزئس فردي أو عائلي.. ولا علاقة لها وثيقة بالعمل الاجتماعي ولا المجتمع، ولا يمكن تصنيفها في خانة المجتمعات مهما كان محتواها، هي لا تختلف عن مشروعات تجارية وهمية.. ولكنها في ذلك أيضا أسوأ بكثير من المشروعات التجارية لأنها في واقع الحال لا تقدم سلعا أو منتجات أو خدمات يحتاجها السوق أو المجتمع، هي تقدم محتوى وهميا لا يصلح لشيء سوى تمرير الفواتير والمساعدات التي تكون في العادة تساوي ثلاثة أضعاف تكاليف المشروع، وأسوأ من ذلك أنها تنشئ طبقات متطفلة على المجتمعات والموارد، وتهيي لمتنمرين وفاشلين فرص التقدم السياسي والاجتماعي من غير استحقاق.

إن المؤشر الأساسي الذي يمكن الاستدلال به على الحراك الاجتماعي والنخبوي هو ديناميات التقدم الوظيفي والشخصي والتنافس على الفرص المتاحة في الأسواق والمجتمعات والقطاع العام، فعندما لا يكون الجيل الجديد قادرا على المشاركة في منافسة عادلة على الفرص المتاحة في السوق والقطاع العام فهذا يعني مستقبلا أسوأ بكثير من الحاضر.

هل يُفتح ملف أنظمة الاستبداد والنظام العالمي؟

*عوض عبدالفتاح

العربي الجديد: ٢٧/١٠/٢٠١٨

حتى فترة قريبة، أي حتى قبل انفجار الثورات العربية، كان يستعصي على المواطن العربي، البسيط، هضم (أو تصديق) الأخبار عن فظاعة العنف الذي يمكن أن يمارسه نظام الحكم العربي ضد معارضيه خلف القضبان، أو خلف الكواليس. قلة طلائعية فقط التي جرّبت غياهب السجون العربية لم يفاجنها هذا المستوى من التوحش البهيمي، والذي كان يصعب على العقل تصديقه، أو تخيّل. ولا يزال المرء يجد، يومياً، أناساً عاديين، متعلمين، انحازوا إلى أنظمةٍ تدعي القومية، لا يصدّقون ما تنقله وسائل الإعلام عن الممارسات المرعبة ضد المعارضين. هناك بطبيعة الحال من يعرف هذه الحقائق، ويدركها، وقد يكون، وياً للمفارقة، من هؤلاء أسرى فلسطينيون، لكنهم يبرّونها تحت شعارات متهاكمة، أخلاقياً وإنسانياً.

استحضرت فضيحة خطف الصحافي السعودي، جمال خاشقجي، وقتله بطريقة فاقت الخيال، وتقطيعه، في قنصلية بلاده في اسطنبول، في أذهان الناس المقهورين بؤس نظام العربية السعودية، وانحطاطه، وهو الذي استمد استمراريته وشرعيته من تجار السلاح في الغرب، كما وأعدت تذكير الإنسان العربي بواقع الأنظمة المتوحشة التي تحكمه، إذ إن سبعة أعوام من القتل والفتك بالشعوب التي ثارت، وبدعم النظام العالمي، وتواطئه وصمته، ببنيتها الطبقيّة المتوحشة الراهنة، كانت قد أوصلت العربي إلى حافة الاستسلام إلى مصيره الذي بدا وكأن من يصنعه هم الطغاة فقط الذين يستظنون بحماية خارجية، استعمارية. وقد نزح كثيرون من صناعات الانتفاضات العربية، من الشباب والكبار، عن بلادهم، تفادياً لمواجهة مصير عشرات آلاف من المعارضين الذين قتلوا بوحشية، أو عذبوا في المعتقلات، أو ما زالوا تحت وطأة التعذيب في باسستيات الطغاة. وقد تدفع هذه الجريمة بعض بسطاء الناس إلى إعادة النظر في عملية تشكيكهم (أو تبريرهم) في روايات التعذيب والسحق، والتذويب في مادة الأسيد، وعمليات الاغتصاب المرعبة للمعتقلين في سجون نظام الأسد ورامي مخلوف، وكذلك في معتقلات نظام عبد الفتاح السيسي. نعم، قد تزيل غشاوة "المانعة" عن عقولهم، ويبدأون بالتعرّف مجدداً على حقيقة هذه الأنظمة المرعبة، وأنها مهياة مهنية ونفسياً، لممارسة أبشع الجرائم بحق مواطنيها المعارضين.

بعد أن نجحت أنظمة الطغيان في دمج نفسها في نادي محاربة الإرهاب العالمي، لحماية نفسها من السقوط وإخضاعها للمحاسبة، وذلك عبر استيلاء قوى إرهاب جديدة على صورة هذه الأنظمة، تفاقمت أزمة الثورات، وتحولت إلى حروب أهلية طاحنة، فوجد الثوار أنفسهم أمام نظام عالمي فاقد الأخلاق، كان قد بدأ يتشكل في العقدين السابقين، مع نمو شعور القلعة الرأسمالية بتحقيقها انتصاراً نهائياً، ولكن من دون تدثره بخطاب الديمقراطية وحقوق الإنسان.

وقد قادت هذه الوضعية التي وجد الثوار أنفسهم فيها، حيث تركت مناشير العظام تقطع أجسادهم، وتهشّم أرواحهم، إلى تشتتّهم في بقاع الأرض، بعضهم في إطار جهدٍ لمواصلة المسيرة، وآخرون بحثاً عن النجاة.

يجمع محللون على نهاية حكم محمد بن سلمان في العربية السعودية، وعلى أن مصير هذا الشاب الأهوج انتهى قبل أن يبدأ، فكل مغامراته فشلت، ابتداءً من حربه الوحشية، الرجعية، في اليمن، مروراً بحصار قطر، وقبله في مواجهة إيران في سورية (لعب دوراً مركزياً في تخريب الثورة).

أما ما سميت حملة الإصلاح التي قادها، وتدثر فيها الغرب لتبرير دعمه هذا الرجل، فقد توجت بفضيحة تصفية خاشقجي، وهي جريمة شكلت استمراراً طبيعياً لحملة القمع الوحشية التي تابرعليها منذ تسلمه القيادة، في الداخل. وسكتت عليها، بل ربما شجعتها إدارة ترامب، لتمكين هذا الصبي القاتل من الحكم.

من المستبعد أن تدفع هذه الحادثة، الجريمة، إلى تحول جذري في علاقات الإدارة الأمريكية وحكومات الغرب مع النظام السعودي "عربية أخرى، نحوها، لكن المصالح الإمبريالية والطمع في أموال السعودية، وعداءها حركات المقاومة الفلسطينية، والتحالف الخياني مع الكيان الإسرائيلي في مواجهة إيران، كان ولا يزال فوق كل اعتبار. لقد باتت إدارة الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، التي أمعنت في حلب السعودية، من أكثر القوى العالمية قلقاً وارتباكاً بعد جريمة قتل خاشقجي التي تواجه تحدياً يتمثل في كيفية امتصاص النقد الداخلي، والحفاظ على مورد مالي كبير، بأقل الأضرار على صورتها التي هي أصلاً محل نقد عالمي، حتى من أصدقائها، كما أن إسرائيل، وحسب دوائر صحافية مقربة من رئيس حكومتها، أوعزت، في الأيام الأولى، إلى قادة اللوبي اليهودي الأمريكي، بالاستنفار للمساعدة في الحفاظ على مكانة النظام السعودي في مؤسسات الحكم والإعلام في الولايات المتحدة. وسخر محللون إسرائيليون ناقدون ممن سموهم "أصدقاء نتنياهو" في العالم العربي، طبعاً يضيفون إليه النظام المصري المتوحش، والنظام الإماراتي المتهتك، إلى قائمة هؤلاء الأصدقاء.

من المستبعد أن تدفع هذه الحادثة، الجريمة، التي أصبحت قضية عالمية، إلى تحول جذري في علاقات الإدارة الأمريكية وحكومات الغرب مع النظام السعودي، وستجد الطريقة التي يتم بها التخلص من محمد بن سلمان، بطريقة تضمن العلاقة المالية، وغير الأخلاقية، مع نظام آل سعود، ولكنها قد تعيد فتح ملف هذه الأنظمة العربية المتوحشة، وطبيعة علاقات الغرب مع هذه الأنظمة التي باتت تلقى الدعم والقبول، وإعادة تأهيلها، بعد أن سحقت ثورات شعوبها. وستجد القوى الديمقراطية في هذه البلدان الغربية متنفساً، أو فرصة جديدة، تواجه فيها انتهازية حكوماتها ولا أخلاقيتها.

وبالتوازي، هي فرصة أيضاً لقوى الثورات العربية التي حوصرت لتجديد هجومها على هذه الأنظمة، وممارسة الضغط على النظام العالمي، بغربه وشرقه، لوقف الدعم السياسي والعسكري، لهذه الأنظمة المنتصرة على شعوبها. ليست المسألة سهلة أمام ديمقراطيين العالمين، العربي والغربي، لكن الجريمة في قنصلية العربية السعودية في إسطنبول تشكل ظرفاً جديداً سانحاً لتصعيد "جهادها" من أجل نظام عالمي مختلف.

نتنياهو في سلطنة عمان

*سايمون هندرسون وأساف أوريون

معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى: ٢٧/١٠/٢٠١٨

في ٢٥ تشرين الأول/أكتوبر، قام رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بزيارة «غير مُعلنة» إلى سلطنة عُمان، هي الأولى التي يقوم بها رئيس وزراء إسرائيلي منذ أكثر من عشرين عاماً. ووفقاً لبيان مشترك صدر بعد الزيارة، بحث نتنياهو والسلطان قابوس "سُبل دفع عملية السلام في الشرق الأوسط، وناقشا عدداً من القضايا ذات الاهتمام المشترك والتي تهدف إلى تحقيق السلام والاستقرار في الشرق الأوسط".

وستوفر الإشارة إلى عملية السلام غطاء دبلوماسياً للسلطان قابوس من انتقادات دول أخرى في العالم العربي، بناء على الأثر الذي أحدثته زيارة الرئيس الفلسطيني محمود عباس في وقت سابق من هذا الأسبوع. إلا أن مضمون الحوار ربما ركز على "تعزيز العلاقات الإسرائيلية مع دول المنطقة من خلال إبراز الخبرات الإسرائيلية في مجالات الأمن والتكنولوجيا والاقتصاد"، على حد تعبير مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي.

وفي أخباره المسائية، بث التلفزيون الحكومي العماني شريط فيديو عن الزيارة يظهر فيه السلطان - الذي سيبلغ من العمر ثمانية وسبعين عاماً في الشهر القادم، والذي لا يتمتع بصحة جيدة - وهو مفعم بالحيوية ولكنه ضعيف. وعرف قابوس على نتنياهو أربعة من كبار مستشاريه، هم: وزير ديوان البلاط السلطاني خالد البوسعيدي، ووزير المكتب السلطاني سلطان النعماني، ووزير الشؤون الخارجية يوسف بن علوي بن عبد الله، ورئيس جهاز الاتصالات والتنسيق بالمكتب السلطاني منذر سعيد، الذي تتركز مهامه على الاستخبارات الخارجية. وضم وفد نتنياهو رئيس "الموساد" يوسي كوهين، ورئيس "مجلس الأمن القومي" مئير بن شبّات ومدير وزارة الخارجية يوفال روتيم.

وتعود آخر هذه الزيارات إلى ما قبل مطلع القرن الحالي. ففي عام ١٩٩٤، سافر رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إسحاق رابين إلى سلطنة عُمان، كما استضاف رئيس الوزراء الإسرائيلي بالوكالة شمعون بيريز، وزير الدولة العماني للشؤون الخارجية يوسف بن علوي، في القدس بعد عام من ذلك التاريخ. وفي عام ١٩٩٦، اتفق البلدان على إنشاء مكتبين تمثيليين تجاريين متبادلين، حيث قام بيريز رسمياً بافتتاح المكتب الإسرائيلي في مسقط. ورغم قيام عُمان بإغلاق ذلك المكتب بعد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية عام ٢٠٠٠، إلا أنها استمرت في السماح للممثلين الإسرائيليين بالبقاء في السلطنة. ومنذ ذلك الحين، أصبحت العلاقات الاستخباراتية والأمنية غير المعلنة بين الحكومتين وثيقة للغاية. وكما هو الحال مع دول خليجية أخرى، تسمح مسقط ببيع منتجات إسرائيلية غير قابلة للتعريف داخل عُمان.

وبالنسبة لإسرائيل، تُظهر الزيارة أن نهج نتنياهو الإقليمي يؤتي ثماره، الأمر الذي يمكن أن يُثبت أنه مفيد داخلياً إذا أُجريت الانتخابات القادمة في المستقبل القريب كما هو متوقع. كما تُبين دور مسقط كقناة خلفية محتملة مع إيران، ربما فيما يتعلق بسوريا. وبالنسبة إلى قابوس، قد يساعد الاجتماع في درء الانتقادات عن علاقاته مع طهران واستعداده للتساهل في نقل الأسلحة الإيرانية إلى المتمردين الحوثيين في اليمن. بالإضافة إلى ذلك، يُلمح الاجتماع إلى أن المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة ليستا المسارين الإقليميين الوحيدين للدبلوماسية الإسرائيلية. وبالنسبة لواشنطن، يمثل الاجتماع خطوة أولى جيدة أخرى على الطريق الطويل لإحياء عملية السلام.

سايمون هندرسون هو زميل "بيكر" ومدير "برنامج برنستاين لشؤون الخليج وسياسة الطاقة" في معهد واشنطن. أساف أوريون، عميد إسرائيلي متقاعد وстрاتيغي للشؤون الدفاعية، و زميل عسكري زائر في المعهد.

العلاقات مع إسرائيل تهدد عروش حكام السعودية والإمارات

ستراتفور: ٢٧/١٠/٢٠١٨

بدافع الشعور بالتهديد من قبل إيران، والتشجيع من قبل الولايات المتحدة، تتدافع دول الخليج العربي، وخاصة السعودية والإمارات، للتقارب مع (إسرائيل)، حيث تتم تنحية أي عقبات في سبيل ذلك جانبا. وفي الواقع، ولأول مرة منذ أعوام عديدة، وصل النفوذ الإيراني الآن إلى البحر الأبيض المتوسط عن طريق البر" مما أثار مخاوف متزايدة لدى دول الخليج و(إسرائيل). لكن في حين أن الانفراجة بين المعسكرين حقيقية، إلا أن العلاقة الناشئة لا تزال خاضعة للعديد من القواعد القديمة للديناميات العربية الإسرائيلية. وبينما تفكر القوتان الأكبر في الخليج (السعودية والإمارات) في تحول رسمي لعلاقتها مع (إسرائيل) لتحقيق مكاسب براغماتية، يجب عليهما حساب استعدادهما لتحمل ردة الفعل المحلية، وغضب الكثيرين من العالم الإسلامي، واحتمال أن بعض المنافسين داخل الأسر المالكة قد لا يدعمون مثل هذا المسعى.

محفزات للتغيير

ولعقود من الزمان، استخدمت السعودية والإمارات، مثل باقي الدول في جميع أنحاء العالم العربي، الصراع الفلسطيني الإسرائيلي كوسيلة لتعزيز الشرعية المحلية. وعبر دعم قضية إقامة دولة فلسطينية مستقلة، أكد السعوديون والإماراتيون على توجهاتهم القومية العربية والإسلامية التي ساعدت في ربط مجتمعاتهم القبلية بالحكام، وروجوا لمؤهلاتهم كقوى ناعمة رئيسية في العالم الإسلامي. وفي الحالة السعودية، عزز دعم الفلسطينيين مصداقية الرياض كحارس لآقدس المواقع الإسلامية، مكة والمدينة المنورة. ويمكن للدولتين الإبقاء على هذه النظرة ما بقيت هذه المواضيع العربية والإسلامية أدوات فعالة لبناء الدولة، وطالما لم تكلفهما معارضة (إسرائيل) الكثير من النفوذ أو المال.

ولأن الولايات المتحدة كانت هي الضامن الأمني للخليج منذ سبعينيات القرن العشرين، لم يكن لدى الحكام في الرياض وأبوظبي سبب لتجاوز مجالاتهم السياسية والدبلوماسية. غير أن سلسلة من الأحداث المؤثرة قوضت أسس هذا السلوك. أولا، أثبتت انتفاضات الربيع العربي أن المواقف الملتزمة تجاه العروبة وفلسطين لا يمكن أن تنقذ أي نظام. والأسوأ من ذلك، أن الانتفاضات، لا سيما في مصر، قدمت الإسلام السياسي كتحد محتمل للأنظمة التقليدية. وبعد ذلك، أعلنت إدارة الرئيس الأمريكي "باراك أوباما" عن محورها في آسيا" مما أثار مخاوف في الشرق الأوسط من انسحاب الولايات المتحدة بالكامل من المنطقة، والذي قد يفاقم المشاكل الأمنية.

وأخيرا، أزال اتفاق إيران النووي لعام ٢٠١٥ الأغلال عن طهران، بينما فشل الاتفاق في معالجة قضية الصواريخ الباليستية والحروب الإقليمية بالوكالة. وحين بدأ أن الولايات المتحدة غير مهتمة بمكافحة صعود إيران، وظهر أن الموقف المؤيد للفلسطينيين يأتي بعوائد أقل محليا، تحولت دول الخليج باتجاه الدولة الوحيدة القوية والملتزمة بما فيه الكفاية بمحاربة إيران، ألا وهي (إسرائيل). وبجذر، توصلت دول الخليج إلى معرفة ما يمكنهم الحصول عليه من (إسرائيل)، وما يمكن لشعوبهم تحمله. ومنذ انتخاب "دونالد ترامب" رئيسا للولايات المتحدة، استأنفت الولايات المتحدة موقفها المتشدد المعادي لإيران. ومع ذلك، استمرت العلاقة بين الخليج العربي و(إسرائيل) في النمو جزئيا" لأن الولايات المتحدة لم تشر بعد إلى أنها ستبذل كل ما في وسعها لمكافحة النفوذ الإيراني.

وعلى سبيل المثال، حدث واشنطن من أنشطتها في اليمن" حيث يقاتل حلفاء الحوثيين المدعومين إيرانيا تحالفا تقوده السعودية. كما تجنبت البلاد جميع الهجمات غير الدفاعية ضد وكلاء إيران في سوريا، وليس هناك ما يضمن أنها ستقصف إيران، سواء بشكل استباقي، وهو قرار تجدد الولايات المتحدة أنه أكثر صعوبة سياسيا بعد غزو العراق عام ٢٠٠٣، أو كرد فعل ضد أي قرار إيراني بتطوير سلاح نووي.

وعلى الجبهة الداخلية، فإن العقبات التي تعترض العلاقات مع (إسرائيل) تزداد ضعفا. وفي حين أثار قرار الولايات المتحدة بنقل سفارتها في (إسرائيل) إلى القدس، في ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٧، احتجاجات وغضبا في جميع أنحاء العالم الإسلامي، أبدى مواطنو دول الخليج ردا صامتا في الغالب، في حين لم تقدم حكوماتهم سوى نسخ وردود فعل تقليدية، دون أي التحولات الجوهرية في السياسة.

وحتى بعد إعلان الولايات المتحدة عن قرارها، استمر بعض الشخصيات الإعلامية والمسؤولين الخليجيين في دعم علاقات أكثر دفئا مع (إسرائيل)، أو الاجتماع بهدوء مع المسؤولين الإسرائيليين. لكن الأكثر وضوحا أن السعودية سمحت بهدوء باستخدام مجالها الجوي لرحلات الطيران المتجهة إلى (إسرائيل) أو منها، ربيع هذا العام.

حسابات التكلفة

وفي نهاية المطاف، إذا فشلت الولايات المتحدة في التحرك بقوة ضد إيران حال قررت طهران استئناف برنامج التسليح النووي للبلاد، أو رعت هجوما مسلحا على أهداف في الخليج العربي، أو شاركت في أنشطة أخرى تهدد (إسرائيل) أو السعودية أو الإمارات، فإن دول الخليج العربية ستعزز علاقتها مع (إسرائيل).

وفي مثل هذه الحالة، سيتم اجتياز كل الحدود التي منعت حتى الآن النظر في مثل هذه الخطوة بشكل جدي. وتشمل هذه العقوبات رد الفعل المحلي.

وفي حين أن (إسرائيل) لم تعد ذلك العدو البغيض في المجتمعات الخليجية، فإن رد الفعل المعاكس ممكن في كل من السعودية والإمارات، لا سيما إذا كان التنسيق بين (إسرائيل) ودول الخليج صريحا، وإذا فشلت محاولات الوصول إلى اتفاق سلام مع الفلسطينيين.

وستواجه السعودية مخاطر أكبر في سعيها لإقامة علاقات أوثق مع (إسرائيل) بسبب تنوعاتها الجغرافية والديموغرافية والثقافية الكثيرة، والتي لا يمثل شيعة المنطقة الشرقية إلا خط الصدع الأكثر وضوحا فيها.

وفي الوقت نفسه، يجب على الحكومة السعودية أن توازن الخلافات في محافظة عسير الجنوبية، وهي سنية، ولكن تشبه إلى حد كبير ثقافة اليمن، ومنطقة نجد المحافظة بشدة، ومنطقة الحجاز الأكثر شهرة، وجميعها مغمورة بالخلافات بين الحضر والريف، والشيوخ والشباب، والليبراليين والمحافظين، ناهيك عن الانشقاقات الاجتماعية الأخرى. ولا يقتصر رد الفعل المحلي على الشارع فقط.

ففي المملكة، يمكن لقرار العمل مع (إسرائيل) أن يضر بشرعية الملك "سلمان" وولي العهد "محمد بن سلمان"، مما قد يدفع الفصائل الملكية المتنافسة إلى المناورة والاستفادة من أي اضطرابات شعبية لتأييد مطالبتهم بالعرش. وقد يستحضر أولئك الذين يحملون بالفعل ضغينة ضد ولي العهد القيم التقليدية للمملكة، وهم يتحركون ضد الوريث الظاهر.

وقد يواجه حكام الإمارات تحديات مماثلة.

وعلى الرغم من أن الأسر المالكة السبع في البلاد آمنة داخل إماراتها، إلا أن العلاقات الأكثر دفئا مع (إسرائيل) قد تشعل صراعا على السلطة بين الفصائل الملكية المتنافسة بعد وفاة الشيخ "خليفة بن زايد آل نهيان".

وما هو أكثر يقينا هو أن العالم الإسلامي الأوسع لن ينظر بشكل إيجابي إلى التنسيق الخليجي العربي الإسرائيلي. وتدعي السعودية أنها ليست فقط حامية لأقوى الأماكن في الإسلام، بل أيضا زعيمة العالم السني، إلا أن العلاقات الدافئة مع (إسرائيل) ستؤدي إلى تآكل هذا الزعم في العالم الإسلامي الأوسع، خاصة إذا دعمت المملكة أي هجوم إسرائيلي ضد بلد مسلم آخر حتى لو كانت إيران.

وعلاوة على ذلك، فإن مثل هذا التنسيق سيضعف محاولات السعودية المستمرة منذ عقود لبناء القوة الناعمة في الخارج من خلال بناء المساجد والمدارس.

وقد يفيد مثل هذا الغضب الخصمين السنيين الرئيسيين للدولتين الخليجيتين، تركيا وقطر.

وتعد تركيا، التي لديها برنامجها الديني الخاص لتدعيم طموحاتها الناعمة في جميع أنحاء العالم، في موقع جيد لاستغلال عدم الثقة العامة في المؤسسات السعودية في جميع أنحاء العالم السني.

وعليه، فإن تركيا، إلى جانب قطر، قد تصبح راعيا أكبر للمساعدات في جميع أنحاء العالم الإسلامي، إذا رفض المسلمون المال السعودي أو الإماراتي من حيث المبدأ.

ماذا عن الولايات المتحدة؟

ويبقى السؤال الرئيسي هو ما ستفعله الولايات المتحدة ضد إيران، وكذلك كيف ستنظر (إسرائيل) والسعودية والإمارات إلى هذا الإجراء.

وترغب (إسرائيل) في التنسيق مع دول الخليج، سواء لأغراض استراتيجية أو تجارية، لكن يجب الانتظار عليها لمدة حتى تصبح الرياض وأبوظبي أكثر راحة مع مثل هذه العلاقة.

وقد يتسارع هذا الجدول الزمني إذا رأت الرياض وأبوظبي أن واشنطن فشلت في وقف أنشطة طهران بشكل واضح.

ويعد التعاون مع (إسرائيل) لمواجهة إيران خطوة تنطوي على الكثير من المخاطر والأرباح لدول الخليج العربية.

لكن بغض النظر عن مزايا وعيوب متابعة تلك العلاقات، فمن الواضح أن لدى عرب الخليج الكثير ليلبحثوه مع (إسرائيل).

بوتن وترامب.. واحتمالات اندلاع الحرب العالمية الثالثة

صحيفة (الأهرام): ٢٧/١٠/٢٠١٨

موسكو- د. سامي عمارة: إعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب خروج بلاده من «معاهدة تصفية الصواريخ المجنحة» الموقعة مع موسكو منذ ثلاثين عاما، وما أعقبه من مباحثات جون بولتون مستشاره للأمن القومي في موسكو، يحدد الكثير من ملامح العلاقات الدولية خلال الفترة القريبة المقبلة، بما في ذلك مدى احتمالات اندلاع «الحرب العالمية الثالثة».

يذكر الكثيرون ما قاله الرئيس بوتين حول انه يظل يتمسك بما سبق وحددته سلوكيات شوارع لينينجراد إبان سنوات الصبا والفتوة، وفي مقدمتها «إذا كان العراك محتوما، فلتكن أنت البادئ». ولعل المتابع لسياسات الرئيس الروسي يتذكر أيضا أنه طالما أحسن الاستفادة من كل الصعاب والعراقيل التي واجهت بلاده، على الصعيدين الداخلي، إبان مواجهته للحركات الانفصالية والتنظيمات الإرهابية في شمال القوقاز، أو الخارجي مثلما فعل لدى مواجهة إعلان الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الابن حول خروج بلاده من معاهدة الحد من الأنظمة الصاروخية في مطلع القرن الجاري، وما أقرته الولايات المتحدة وبلدان الاتحاد الأوروبي من عقوبات ضد روسيا منذ اندلاع الأزمة الأوكرانية.

ومن هذا المنظور نعيد إلى الأذهان ما قاله بوتين في ختام منتدى فالداي في سوتشي حول احتمالات اندلاع الحرب العالمية الثالثة والمواجهة العسكرية مع الولايات المتحدة. ونذكر أنه قال «إن بلاده لا تخشى أحدا. إن بلادا بمثل هذه المساحات الشاسعة وبمثل ما تملك من منظومات دفاعية وقدرات بشرية على استعداد للدود عن استقلالها وسيادتها. وفيما استطرد في تفسيرات فلسفية لمعاني «الخوف» من منظور ما تراكم لديه من دروس وخبرات منذ سنوات عمله في «كي جي بي» الذي يعد من اقوى أجهزة المخابرات في العالم على مدى عقود طويلة، خلص بوتين الى تأكيد استعداد بلاده لمواجهة أي احتمالات بما فيها اندلاع الحرب العالمية الثالثة، وتبعات مواجهة البدء باستخدام الأسلحة النووية.

ولعل ما قاله بوتين خلال الأيام القليلة الماضية، يعيدنا بدوره إلى ما سبق وقاله في خطابه بمؤتمر الأمن الأوروبي في ميونيخ ٢٠٠٧ حول رفض روسيا لعالم القطب الواحد وانفراد واشنطن بالقرار الدولي، وإلى ما عاد إلى التذكير به في مطلع العام الجاري في «خطابه إلى الأمة»، حين كشف عن أحدث الأسلحة التي تنفرد بها روسيا اليوم، وقال إن لا احد في العالم يملك مثلها، مؤكدا أن بلاده عكفت على تصميمها وصناعتها ردا على قرار بوش الخروج من معاهدة الحد من الأنظمة الصاروخية. كما أكد بوتين في الخطاب نفسه أن بلاده قطعت شوطا طويلا على طريق تحقيق الاكتفاء الذاتي والعثور على البدائل ردا على الكثير من العقوبات الاقتصادية الغربية.

وها هو يعود مرة أخرى للبحث عن الرد المناسب على إعلان نظيره الأمريكي دونالد ترامب الخروج من معاهدة تدمير «الصواريخ المجنحة» المتوسطة والقصيرة المدى التي وقعها الرئيس الروسي الأسبق ميخائيل جورباتشوف مع الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان في واشنطن في ١٩٨٧، وأقدم بسببها كبير مصممي الصواريخ السوفيتية من طراز «اس اس ٢٠» على الانتحار احتجاجا على ما اعتبره الكثيرون خيانة للوطن.

وفي محاولة للبحث عن البدائل والحلول وصل الى موسكو، جون بولتون مستشار الرئيس الأمريكي للأمن القومي، حيث التقى عدداً من المسؤولين البارزين الروس إلا أن اللقاء الأهم كان مع الرئيس فلاديمير بوتين الذي استهل لقاءه مع بولتون بإعرابه عن دهشته مما اتخذته الولايات المتحدة من إجراءات «غير ودية»، ومن مواصلتها لعدها لروسيا على النحو الذي يبدو ان لا نهاية له، في نفس الوقت الذي لا تبادلها فيه روسيا مثل هذا السلوك. وتوقف بوتين ليطلب توجيه «سؤال» يريد أن يسمع إجابته من ضيفه الأمريكي.

- يبدو النسر المرسوم في شعار بلادكم وهو يحمل في أحد مخالبه ١٣ سهما (نسبة الى عدد الولايات التي اعلنت عن قيام الولايات المتحدة في ٤ يوليو عام ١٧٧٦)، بينما يحمل في المخالب الاخر ١٣ غصن زيتون.

ولم يكن بوتين قد فرغ من سؤاله حول أغصان الزيتون، حتى بادره بولتون بقوله ضاحكا:

- إنني جئت إليكم بدون غصن زيتون!

ولم يحل مثل هذا التعليق من جانب من يعتبرونه في داخل الولايات المتحدة وخارجها أحد أبرز المتشددين وأكثرهم عداً لروسيا، دون أن يعود بوتين الى لهجته التي اتسمت بطابع ينم عن ترحاب وود على النقيض من «مضمون اللحظة»، لي طرح اقتراحه حول اللقاء مع نظيره الأمريكي على هامش احتفالات باريس بالذكرى المئوية الأولى لانتها الحرب العالمية الأولى في ١١ نوفمبر المقبل، قبل ان يستدرك قائلاً: هذا في حال أبدى الجانب الأمريكي اهتماماً بهذه الاتصالات. وهو ما سارع بولتون بالرد عليه بقوله «ان الرئيس ترامب سيكون سعيداً بمثل هذا اللقاء».

وأضاف بولتون «أنه على الرغم من الخلافات الموجودة بيننا حسب المصالح القومية لكل من بلدينا، فمن المفيد جداً أن نلتقي ونعثر على نقاط الالتقاء وما قد يكون مفيداً لنا».

الغموض الذي يظل يكتنف الكثير مما جرى تناوله وراء الأبواب الموصدة سواء في الكرملين أو في اجتماعات بولتون مع وزير الخارجية الروسية، أو وزير الدفاع، لم يكن ليحول دون تداول ما طرحه موسكو من تحفظات حول إعلان ترامب بشأن خروج بلاده من المعاهدة التي وقعتها مع موسكو، بما في ذلك العودة إلى التذكير بما كان يسمى بأزمة الكاريبي التي استطاع الرئيس الأمريكي الأسبق جون كينيدي مع الزعيم السوفييتي نيكيتا خروشوف، تجاوزها في عام ١٩٦٢. ويربط عدد من المعلقين المعروفين بمواقفهم القريبة من الكرملين الكثير من جوانب تلك الأزمة وموافقة موسكو على سحب صواريخها من كوبا، مقابل الإعلان عن ضمانات الأمن لنظام فيديل كاسترو في كوبا، وسحب الصواريخ المتوسطة المدى من تركيا والتي كانت تهدد موسكو وغرب الاتحاد السوفييتي، دون الإعلان عن ذلك، بما يمكن التوصل إليه للخروج من المأزق الراهن.

ومن هذا المنظور قالت المصادر الروسية الرسمية إن موسكو يمكن أن تُقدم على تدمير أي صواريخ يمكن نشرها على مقربة من حدود روسيا في حال خروج الولايات المتحدة من المعاهدة الموقعة من موسكو. وثمة من يضيف إلى ذلك إن الولايات المتحدة بما أعلنته من حرب تجارية ضد الصين يمكن أن تتزايد حدتها وتيرتها، قد تدفع الصين إلى المزيد من التقارب مع روسيا، وبما يهدد عملياً الاستقرار الاستراتيجي الراهن، على ضوء عدم مشاركة الصين في المعاهدة الموقعة بين موسكو وواشنطن. ولذا كان من الطبيعي أن يعلن الكرملين رسمياً عن الأخطار التي تهدد المنطقة والعالم من جراء قرار ترامب حول الخروج من المعاهدة المذكورة، في نفس الوقت الذي بادر فيه الكثير من قادة كبريات البلدان الأوروبية أعضاء الناتو وفي مقدمتها فرنسا وبريطانيا وألمانيا بوصفها «الهدف المحتمل الأول»، بإطلاق تحذيراتها من مغبة التصعيد، ومناشدتهم الطرفين الأمريكي والروسي العمل من أجل العثور على الحلول المناسبة بعيداً عن التهديدات المباشرة من الجانبين.

وكان الرئيس بوتين قالها صراحة حول إن الرد على الخروج من المعاهدة سيكون «فوراً وبلا إبطاء»، بينما قالت مصادر عسكرية روسية إن الرد الروسي لن يرتبط بالكم بقدر ما سوف يستند إلى «النوع»، في إشارة إلى ما تملكه روسيا اليوم من أسلحة سبق وأماط بوتين اللثام عن بعضها في خطابه إلى الأمة في مارس الماضي، وإن ظل الكثيرون في الداخل والخارج يعلقون الكثير من آمالهم على احتمالات أن يعثر الرئيسان بوتين وترامب على «الحلول الوسط» أو «النهاية السعيدة» في لقاءهما المرتقب في باريس في ١١ نوفمبر المقبل على هامش احتفالات الذكرى المئوية الأولى للحرب العالمية الأولى، أي بعد أسبوع واحد من انتهاء الانتخابات النصفية للكونجرس الأمريكي، والتي قد تحدد نتائجها الكثير من ملامح القمة المرتقبة.

وحتى ذلك الحين تحذر موسكو من الاستمرار في التفريط فيما تحقق من مكتسبات على صعيد الرقابة على التسلح، على خلفية خروج بوش الابن من معاهدة الحد من الأنظمة المضادة للصواريخ، وتهديد ترامب بالخروج من معاهدة تدمير الصواريخ المجنحة، في ظل الأخطار التي تهدد استمرارية معاهدة سولت -٣. وبهذا الصدد قال سيرجي ريبكوف نائب وزير الخارجية الروسية والمسئول عن ملف العلاقات مع الولايات المتحدة إن موسكو تعرب عن مخاوفها من احتمالات أن يفقد العالم الرقابة على التسلح، مثلما فقد البعض الرقابة على مفردات خطابه، في إشارة لا تخلو من مغزى إلى افتقاد الرئيس الأمريكي قدرة التحكم في تصريحاته البعيدة عن الحكمة واللياقة.

خاشقجي.. ومستقبل الشرق الأوسط

*د. محمد حسين أبو الحسن

الأهرام: ٢٧/١٠/٢٠١٨

منذ أمد ليس بالقصير، صار الشرق الأوسط قبلة للتدخلات الخارجية الإقليمية والدولية، بينما تأتي ردات الفعل العربية ارتجالية متخبطة متنافرة، تفتقر إلى التخطيط، ومن ثم تعاني، برغم موقعها الفريد وثرواتها الهائلة وقواها الكامنة، فراغا وانكشافا استراتيجيا حادا، أمام أطماع الأقارب والأبعاد، لاسيما مع بؤس النظام العربي، وعجزه عن التعامل مع الأزمات المزمنة أو الطارئة، وآخرها أزمة الصحفي السعودي جمال خاشقجي، والتي أبرزت تواجها أن النظام العربي مات إكلينيكيًا. صمم الاستعمار القديم/الجديد حدود البلدان العربية لتكون تابعة، غير قادرة على إنجاز تنمية أو سيادة، زرع إسرائيل خنجرا في قلب الأمة، وقام بإخلاء الإقليم أولا بأول من أي قطب عربي يلتف حوله الجميع، كثيرا ما جرى ذلك بمعونة أطراف عربية: مصر الستينيات، عراق التسعينيات، ويبدو أن السعودية في المرمى الآن، بمساعدة قطر والأترك وجماعة الإخوان الإرهابية. أظهر تصدع النظام العربي ثقل التدخلات الدولية خاصة الأمريكية، ومعها الإقليمية التركية الإسرائيلية الإيرانية، محاولات لإحياء خرائط قديمة تفكك المنطقة على أسس مذهبية وإثنية، باغتنام أي فرصة.. هنا لا أريد الخوض في أزمة خاشقجي من منظور التحقق من مختلف الروايات، الجريمة بشعة مرفوضة بكل الوجوه لكنها تزيح الستار عن المسكوت عنه، يؤكد الكاتب البريطاني جون برادلي أن خاشقجي كان مستشارا لرئيس المخابرات السعودية الأسبق، منسقا للعلاقة مع القاعدة وأسامة بن لادن، وألمح برادلي إلى خطة ترعاها دوائر أمريكية لـ (تحديث) النظام السعودي، تفتح الباب لتغيرات جديدة للمشاركة بالحكم، وأن خاشقجي أسس في أمريكا حزب (الديمقراطية في العالم العربي الآن)، لتمكين أعداء العرش السعودي، تحديدا الإخوان، وفي بقية العالم العربي. وكأن الأمر تهديد لإطلاق حلقة من (الربيع العربي) بمساحيق جديدة، بعد أن هشمت مصر واجهة هذا المشروع، في ٣٠ يونيو ٢٠١٣، وعرقلت تمكين جماعات الإسلام السياسي، وبقيت بذور المشروع في التربة تتحين فرصة للاستنبات.

إن ظاهرة (الربيع العربي) برغم تعبيرها عن رغبة الشعوب في الحرية والديمقراطية، أفضت إلى خريف مفعج، فاقمت حالة الفرقة والخراب والعجز، صارت أغلب البلاد العربية فاشلة أو على أعتاب الفشل، تشهد مخاضات عسيرة وتزايد تبعيتها لتوجهات الرأسمالية (النيوليبرالية) المتوحشة التي تسحق الشعوب، بالتزامن مع صعود اليمين المتطرف في أمريكا وأوروبا، بسياساته التوسعية على حساب الدول الضعيفة في النظام العالمي. صحيح أن واشنطن في أزمة اقتصادية، تقودها إلى الصدام مع الصين وروسيا وحلفائها، أزمة هيمنة لا تستطيع أن تستمر فيها إلا بمزيد من التدخل العسكري، وهكذا تلوح بالعصا والجزرة لشفط الرساميل والثروات العربية، وربما تعرف صفقة القرن العفنة طريقها للتنفيذ بقوة الأمر الواقع، أزمة خاشقجي أريد لها أن تكون بوابة شر للمنطقة، وستكون، الكيل ليس بمكيالين إنما بمكاييل لا تحصى، وفق مصلحة كل طرف.

إقليميا، برغم الخلافات الجوهرية بين إسرائيل وإيران وتركيا، فإن تحالفا استراتيجيا يبدو قائما بينها، جوهره قضم أراضي العرب ومقدراتهم واستقلالهم، وكما أسلفت بمعونة عربية، قطر نموذجا، أليس غريبا أن يدعو أردوغان إلى قمة رباعية لحل الأزمة السورية، مع استبعاد أي طرف عربي، عقب تصدده المشهد بخبث وبراعة في أزمة خاشقجي. الحقيقة أن العرب يتحملون الشطر الأكبر من المسؤولية عما آلت إليه أحوالهم، دعت القاهرة إلى قوات عربية مشتركة، فأفشلوا مسعاها، بل تركوها - وهي الخارجة من ثورتين - تطلب معونة صندوق النقد، ومن يرد فهم الواقع عليه إدراك أن الاستعمار والقوى المهيمنة لن تسمح لمصر بأن تصبح دولة قوية، جرى مع محمد علي وإسماعيل وعبد الناصر، الحكاية متكررة.. يقبلون بالنموذج التركي الميكيفيللي عضو الناتو الذي يرتدي قلنسوة الإسلام وعباءة الإخوان، لأنه حليف موثوق للغرب. مصر لا، إنها خطر داهم على هيمنتهم، يتغير العرب بتغيرها، وسيبذلون جهدهم لمنع ذلك التغيير" أفصحت بعض التسريبات عن مطالبة أمريكية-تركية للرياض بفك التحالف مع القاهرة وأبوظبي، لتسوية قضية خاشقجي!.

يدفع بعض العرب ثمنا فادحا لتكريمهم للقومية العربية، بينما يعود الاستعمار الجديد على بارجة أو جثة، ومن ثم الحاجة الماسة إلى نظام عربي بديل، يتجاوب مع أشواق الشعوب في الحرية والديمقراطية والإصلاح، تكون نواته الصلبة مصر والسعودية والإمارات، مبدئيا، ويمتد لآخرين، بناء على توافق الرؤى والأهداف، بما يتسق مع المعادلات الجيو- استراتيجية الخطيرة بالمنطقة والعالم، فالوقت ينفد. لا أدري لماذا تذكرت رواية حمدي أبوجليل: (نحن ضحايا عك)!

الهوية: الحاجة للكرامة وسياسات الاستياء

*فرانسيس فوكوياما

مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة: ٢٠١٨/١٠/٢٨

عرض: رعدة البهي* طرح "فرانسيس فوكوياما" (المفكر، والفيلسوف، والأكاديمي الأمريكي الشهير بجامعة ستانفورد) في كتابه "نهاية التاريخ والإنسان الأخير"، الذي صدر في أعقاب نهاية الحرب الباردة، وسقوط الاتحاد السوفيتي، أن الديمقراطية الليبرالية بقيمتها السياسية والاقتصادية تشكل مرحلة نهاية التطور الأيديولوجي للإنسان، وأنها ستكون الصيغة النهائية للحكومات. لكنه في كتابه الجديد "الهوية: الحاجة للكرامة وسياسات الاستياء" يطرح رؤية مغايرة لما طرحه من قبل، حيث يري أن صعود سياسات الهوية يمثل أحد أكبر التحديات التي تواجه الديمقراطيات الليبرالية الحديثة في النظام الدولي المعاصر، وهي السياسات التي تتأجج معها قضايا من قبيل: الاعتراف، والكرامة، والهجرة، والقومية، والدين، والثقافة، والشعبوية. ودون الفهم الصحيح لتلك السياسات من ناحية، وسياسات الكرامة الإنسانية من ناحية أخرى "ستزداد الصراعات المستقبلية حدة. ويجادل "فوكوياما" في كتابه بأن الرغبة في الاعتراف بالهوية والكرامة الإنسانية من شأنها أن تسفر إما عن احترام متبادل لمختلف الأفراد على قدم المساواة، أو استعلاء ناتج عن الاعتراف بتمايز المرء. وأن فوز "ترامب" بالرئاسة ساهم في تداعي المؤسسات الأمريكية وكان نتاجاً له، على الرغم من عودته باستخدام شعبويته لإصلاح النظام، وجعله فاعلاً مرة أخرى. وعليه، يمثل "ترامب" اتجاهاً عاماً في السياسة الدولية نحو ما يسمى "القومية الشعبوية".

تغيرات جذرية:

شهدت السياسات الدولية المعاصرة تغيرات جذرية بعد أن أضحت الديمقراطية الليبرالية الشكل المعتاد لكثير من الحكومات حول العالم، وتزايد الاعتماد الاقتصادي المتبادل بين الدول، وتنامت ظاهرة العولمة. ولكن على الرغم من ذلك، يشهد عددٌ كبيرٌ من الدول سوء توزيع للموارد، حتى تدفقت مكاسب النمو إلى نخبٍ بعينها دون أخرى. ومع تزايد إنتاج السلع، وسهولة انتقال الأشخاص من مكانٍ إلى آخر، تزايدت حدة التغيرات الاجتماعية المدمرة، وتكيفت أسواق العمل مع قواعد جديدة، وانتقل التصنيع من أوروبا والولايات المتحدة إلى شرق آسيا. ووفقاً لـ "فوكوياما"، ومع بداية الألفية الثانية، تزامنت كافة تلك التغيرات مع أزميتين ماليتين "أولاهما أزمة الرهن العقاري، وثانيهما أزمة الديون اليونانية. وفي كليهما، أسفرت سياسات النخب عن ارتفاع معدلات البطالة، وانخفاض دخول ملايين العاملين حول العالم. وعلى إثرهما، تقوضت سمعة الديمقراطية الليبرالية. فقد وصف "الاري ديموند" السنوات التي أعقبت الأزميتين الاقتصادييتين بالركود الديمقراطي الذي أصاب عدداً كبيراً من الديمقراطيات، وامتد إلى أجزاء كبيرة حول العالم.

وفي ذلك الإطار، بدأت الصين في تطوير "النموذج الصيني"، وهاجمت روسيا الانحلال الليبرالي للاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، وانزلق عددٌ من الدول إلى الحكومات السلطوية، بما في ذلك: المجر، وتركيا، وتايلاند، وبولندا. كما قوض الربيع العربي الآمال الديمقراطية بعد أن سقطت كل من: ليبيا، واليمن، والعراق، وسوريا في حروب أهلية، وأضحت "الدولة الإسلامية" المزعومة لتنظيم "داعش" الإرهابي منارة للعنف السياسي حول العالم.

واللافت للأنظار -وفقاً لـ "فوكوياما"- هو انسحاب بريطانيا من الاتحاد الأوروبي من ناحية، وانتخاب "دونالد ترامب" رئيساً للولايات المتحدة من ناحية أخرى. ففي كلتا الحالتين، اهتم الناخبون بالأوضاع الاقتصادية خاصةً الطبقة العاملة التي خسرت وظائفها، وتأثرت بالمخاوف المتأججة جراء الهجرة واسعة النطاق التي كان يُنظر إليها كعامل مساعدٍ في الحد من الوظائف المتاحة والتأثير في الهويات الثقافية من جانبٍ آخر.

سياسات الكرامة:

مع تصاعد الجدل حول منع مظاهر الهوية الإسلامية، وتأثيراتها في نظيرتها الأوروبية "ركز اليسار على مصالح الجماعات المهْمَشَة، مثل: السود، والمهاجرين، والمرأة، واللاجئين. وأكد اليمين سعيه لحماية الهوية الوطنية

التقليدية المرتبطة بالعرق، والإثنية، والدين. ولا شك أن الجماعات التي تتعرض للإذلال تحمل عواطف كامنة مقارنةً بتلك التي تسعى للمكاسب الاقتصادية.

وفي السياق ذاته، تحدث الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" عن مأساة انهيار الاتحاد السوفيتي في التسعينيات. ورغب في رؤية روسيا كقوة عظمى لا كلاعب إقليمي ضعيف، كما وصفها "باراك أوباما" في السابق. كما صرح "فيكتور أوربان" رئيس الوزراء المجري في عام ٢٠١٧: "نحن المجريون قررنا استعادة دولتنا، ونرغب في الاحترام واستعادة مستقبلنا".

ويرى "فوكوياما" أنه في كافة الأمثلة السابقة، هناك من يؤمن بأن هويته لا تحظى بالاعتراف الكافي من قبل العالم الخارجي. وتشير الهوية عمومًا إلى عدة معانٍ، يشير أبسطها إلى الأدوار أو التصنيفات الاجتماعية. ووفقًا لـ "فوكوياما"، فإنها تنبع من التفرقة بين الفردي الداخلي والعالم الخارجي، بما يشمل من قواعد اجتماعية وقيم لا تعترف بذلك الفردي أو الداخلي. وكلاهما معًا يشكلان أساسًا للكرامة الإنسانية التي تتغير طبيعتها عبر الزمن. وتتطلب الكرامة انتماء الفرد إلى جماعة تربطها قواسم مشتركة من جهة، واعتراف الآخرين بها من جهةٍ أخرى" فاحترام الذات ينشأ من احترام الآخرين لها.

يتطور الإحساس المعاصر بالهوية إلى سياسات تفسر في جانب كبير منها الكفاح السياسي في العالم المعاصر من الثورات الديمقراطية إلى الحركات الاجتماعية الجديدة. ولفهم سياسات الهوية المعاصرة، تدعو الحاجة إلى فهم أعمق للدوافع الإنسانية والسلوك البشري، بجانب نظرية أفضل عن الروح البشرية.

أبعاد سياسات الهوية:

ينهض عددٌ من النظريات السياسية والاقتصادية على السلوك والطبيعة البشرية" فتجادل النظريات الاقتصادية بسعي الأفراد إلى تعظيم مكاسبهم ومنافعهم وفقًا لمصالحهم الذاتية المادية، باعتبار أن الفرد العقلاني هو وحدة التحليل الرئيسية. غير أن تلك النظريات لا يمكنها تفسير التفضيلات غير المادية، أو الإجابة عن تساؤلات من قبيل: لماذا يسعى بعض الأفراد لجمع المال بينما يسعى آخرون للتبرع به لمساعدة الآخرين؟ ولماذا يضحى الجنود بأرواحهم في المعارك؟ ولماذا يُقدّم بعض الإرهابيين على تفجير أنفسهم؟.

ويجادل "فوكوياما" بأن الإجابة عن كافة تلك التساؤلات تكمن في سياسات الهوية لا النظريات الاقتصادية السائدة. ويضيف أن تلك السياسات المعاصرة ترتبط بدورها بالاعتراف بالجماعات المهمشة من قبل مجتمعاتها. وهو ما يشكل جانبًا كبيرًا من الهوية القومية وبعض أشكال السياسات الدينية المتطرفة الأخرى.

ويكمن جوهر الهوية في التفرقة بين ذاتية المرء والمجتمع من حوله" فقد تحدث فجوة بين هوية الأفراد من جانب، والدور المكلفين به من قبل المجتمع المحيط من جانبٍ آخر. وتتأسس الهوية على التساؤل عمّن أكون؟ وهو ما يتطلب اعترافًا من قبل المجتمع. ففي المجتمعات الزراعية على سبيل المثال، هناك مجموعة من القواعد الاجتماعية المحدودة والثابتة، وكذا هيراركية ثابتة وفقًا للنوع والسن. وفي إطارها، يؤدي الجميع الوظائف ذاتها من زراعة الأراضي وتربية الأطفال. ويعيش الجميع في دائرة مغلقة من الجيران والأصدقاء، تتشارك جميعها في الدين الواحد" فلا مكان للتعددية أو التنوع أو الاختيار.

وفي ذلك الإطار، تتضاءل أهمية التساؤل عن حقيقة المرء ومن يكون، في ظل ثبات العوامل التي تبلور الذات البشرية. غير أن ذلك بدأ في التغير مع اتساع المدن حجمًا، وظهور طبقات اجتماعية جديدة، فازدادت الخيارات المتاحة أمام الأفراد، وتنامت أهمية التساؤل عمّن نكون.

وتتعدد أبعاد الهوية لتشمل جوانب عدة من الشخصية البشرية، بجانب الاعتراف بتلك الجوانب وتمايزها من قبل المجتمع. ويُعد ذلك مفهومًا متطورًا من الكرامة. وقد تجلت الرغبة في الاعتراف بالكرامة واضحة في كافة الثورات المندلعة بما في ذلك: الثورة الفرنسية، والثورات الملونة، وغيرها من الثورات.

فقد تمثل جوهر الاحتجاجات الأوكرانية في عام ٢٠١٣ في الاختيار بين حكومةٍ معاصرةٍ تعامل الجميع على قدم المساواة، أو نظامٍ فاسدٍ يتلاعب بالديمقراطية خلف ستار من الممارسات الديمقراطية. فالحكومات السلطوية لا تعترف بهوية مواطنيها على قدم المساواة.

الهوية والقومية والدين:

يشير "فوكوياما" إلى ارتباط الهوية والقومية والدين بين الجيل الثاني من المسلمين في غرب أوروبا حيث يعيش المسلمون في مجتمعات علمانية ذات جذورٍ مسيحيةٍ، لا تقدم دعماً كافياً لقيمهم الدينية أو ممارساتهم العقائدية. وفيها، يسعى الأطفال المهاجرون من ذلك الجيل إلى إبعاد أنفسهم عن الطرق التقليدية التي ترعرع عليها آبائهم، إلا أنهم لم يندمجوا بعد في المحيط الأوروبي الجديد، خاصةً بالنظر إلى معدلات البطالة المرتفعة بين الشباب المسلمين، والتي بلغت (٣٠٪).

ينتمي المسلمون المعاصرون إلى جماعةٍ دينيةٍ أكبر هي الأمة، ولكن على الرغم من عراققتها وقدمها وتعدد مظاهر الانتماء لها، لا تحظى باحترام العالم الخارجي. وعليه، يجد المسلمون أنفسهم بين ثقافتين "تلك الموروثة من جيلٍ لآخر، وتلك التي تتبناها الدول الأوروبية التي يقيمون بها. ويكمن الحل في نظر البعض في "الإسلام الراديكالي" الذي يقدم لهم الكرامة. ولذا، يبرز التساؤل التالي: هل يمثل صعود "الإسلام الراديكالي" أزمة هوية أم هو ظاهرة دينية؟

وتثير القومية -وفقاً لفوكوياما- بالمثل إشكالياتٍ عدة بعد أن باتت إحدى أهم سمات السياسة الدولية المعاصرة، والتي تجلت على يد عددٍ من القادة أمثال: (بوتين، وأردوغان، وترامب)، كما تجلت أيضاً عند خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي. ومن المتوقع تزايد اكتساح اليسار الشعبوي في الدول الفقيرة أو الغنية ذات التفاوتات الاجتماعية. ففي الثورة الفرنسية، سعى اليسار إلى استخدام قوة الدولة لإعادة توزيع الثروة من الأغنياء إلى الفقراء. ولكن منذ الأزمة المالية العالمية، وبدلاً من صعود اليسار، سعدت القوى القومية اليمينية الشعبوية في أرجاء عدة من العالم المتقدم، وبصفةٍ خاصة في الولايات المتحدة وبريطانيا. وعليه، تساءل "فوكوياما" عن أسباب صعود اليمين القومي بدلاً من اليسار على خلفية الأزمة المالية العالمية؟ ولماذا سعد الدين في الشرق الأوسط في أعقاب ثورات الربيع العربي بدلاً من الطبقات الاجتماعية المهمشة؟

عادةً ما تشعر الطبقة الوسطى بأنها قلب الهوية القومية، وقد أيدت تلك الطبقة الوسطى الحزب الديمقراطي الأمريكي منذ الثلاثينيات حتى صعود "رونالد ريجان". غير أن اليسار المعاصر يركز اهتمامه في طبقاتٍ وجماعاتٍ بعينها. فيركز اليسار على جماعاتٍ صغيرةٍ مهمشةٍ بطرقٍ عدة، وهو الأمر الذي لا يمكن النظر إليه بمعزلٍ عن الليبرالية الحديثة، واستبدال الاعتراف العالمي بالاعتراف بجماعاتٍ بعينها دون أخرى.

وختاماً، تحتاج المجتمعات إلى حماية المهمشين والمستبعدين، لكنها بحاجة أيضاً إلى تحقيق أهدافٍ مشتركة من خلال التداول والتوافق. ومن ثم، لا بد من إعادة تعريف الهويات الجماعية التي تميز المجتمعات الليبرالية الديمقراطية الحرة. مع الأخذ في الاعتبار أن الهوية من الاتساع بحيث تضم في طياتها عدداً من القضايا المهمة، مثل: القومية، والشعبوية، وغيرها من التيارات السياسية. وأنها متعددة الاستخدامات، إما لنشر الفرقة أو للم شمل، لكنها في النهاية الحل الأمثل للسياسات الشعبوية في الوقت الحاضر.

وفي إطارها، يرغب القادة الشعبويون في استخدام الشرعية التي تمنحها الانتخابات الديمقراطية لتعظيم قوتهم. ويختزلون "الشعب" في قطاعاتٍ بعينها دون غيرها، ويكرهون المؤسسات، ويقوضون الضوابط والتوازنات التي تحُدُّ من قوة القائد السياسي في الديمقراطيات الليبرالية الحديثة، بما في ذلك السلطان القضائي والتشريعية، والإعلام المستقل، والبيروقراطية غير الحزبية.

*مدرس العلوم السياسية المساعد، جامعة القاهرة

المد الشعبي يجتاح العالم ويهدد القيم الكبرى

*أبو بكر العيادي

صحيفة (العرب) اللندنية: ٢٨/١٠/٢٠١٨

شكلت الديمقراطية في الأعوام الأخيرة مبحثا تداول عليه عدة مفكرين ولاسيما في الولايات المتحدة، أمثال ستيفن ليفيتسكي، ودانيال زيبلاط، ووليم غالتسون، وآخرهم ياشا مونك أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد، الذي نشر كتابا بعنوان "الشعب ضد الديمقراطية" مع عنوان فرعي "لماذا حريتنا في خطر وكيف السبيل لإنقاذها"، حاز اهتمام المتخصصين في العالم، وأثارت طبعته الفرنسية الصادرة حديثا (دون العنوان الفرعي) جدلا طويلا في أوساط المفكرين والمحللين، تركّز حول صعود الشعبوية في البلدان الغربية واستئثار أقلية نخبوية بالسلطة، وتحميل المؤلف الشعب مسؤولية تآكل الديمقراطية.

على غرار فرنسيس فوكوياما، عند تحليله الاتجاهات السياسية والتاريخية على الصعيد العالمي في كتابه "نهاية التاريخ"، عمد ياشا مونك (وهو في الواقع بولندي ولد في ألمانيا عام ١٩٨٣ واعتنق الجنسية الأمريكية) إلى جعل حديثه عن وهن الديمقراطية شاملا، يمتد من أمريكا ترامب إلى تركيا أردوغان، وكذلك انتشار المد الشعبي المناهض للهجرة والمهاجرين في معظم البلدان الأوروبية، من بولندا إلى إيطاليا، مروراً بالنمسا والمجر، لمعرفة الأسباب التي جعلت الديمقراطية مهددة من كل صوب، تهزها قوى معادية بعضها فاشستي معلن، وبعضها الآخر رومانسي يحلم بالثورات. من أهم تلك الأسباب أن المنظومة السياسية الديمقراطية تقوم على غايتين أساسيتين: الأولى هي الدفاع عن الحقوق الفردية كحرية التعبير، وحرية المعتقد، وضمان الفصل بين السلطات والثانية هي سيادة الشعب، أي أن الشعب يريد أن تترجم إرادته في السياسات المتبعة.

إلا أن ما نشهده منذ عدة عشرات هو الالتزام بالغاية الأولى، ومخالفة الغاية الثانية. لأن قوى المال في تلك البلدان صار لها نفوذ لم تعرفه من قبل، ولأن الواقع الاقتصادي العالمي صار أشد تعقيدا بسبب العولمة والتكنولوجيا الحديثة ما جعل الحكام يحتاجون إلى التكنوقراط والبنوك والوكالات المستقلة في اتخاذ قراراتهم، وهو ما ولد إحساسا لدى الشعوب بأنها استبعدت من تقرير مصائرهما، وفقدت بذلك سيادتها التي تنص عليها عبارة "ديمقراطية" نفسها، أي حكم الشعب.

يلاحظ مونك أن الظرف الغربي الراهن يتسم بظاهرتين: الأولى شعور عام بأن الديمقراطية انتزعتها منظمات خبراء لا تنفك تستولي على عدد متزايد من السياسات العامة دون إخضاعها للمصادقة الشعبية والثانية صعود قوى للأحزاب الشعبوية أدى إلى ظهور ديمقراطيات "غير ليبرالية" بتعبير الهندي فريد زكريا، حال وصولها إلى السلطة، على غرار ما حدث خاصة في المجر مع فيكتور أوربان وإيطاليا مع ماتيو سالفيني. ما أوجد تعارضا بين ديمقراطية تتراجع إلى حدودها الدنيا ك"ترجمة للإرادة الشعبية في السياسات العامة"، وبين دولة القانون القائمة على قيم الليبرالية السياسية وفلسفة الأنوار.

بيد أن القيم الليبرالية للتعدد، وضمان الحقوق، وحماية الحريات الأساسية التي قامت عليها الديمقراطية الحديثة أقيمت منها لتحل محلها أنظمة الوفاق التام غير الليبرالية، فيما المؤسسات التكنوقراطية الحريضة على الحفاظ على الحريات الإنسانية والاقتصادية تزداد قناعة بأنها ليست ملزمة بالرجوع إلى الشعب ورموزه السيادية.

يركز مونك على هذا التعارض، ويعرض مقترحات لمواجهة القوى المعادية التي تهدد الديمقراطية الليبرالية. وبخلاف أندرياس شيدلر، وسكوت مينوارنغ اللذين أثنيا على مفهوم "التعزيز الديمقراطي"، يقترح مونك مقاربة أخرى تقوم على "عدم التعزيز الديمقراطي"، لأنه لاحظ أن عددا من الديمقراطيات الغربية لم يعد يملك الخصائص المنتظرة من ديمقراطيات معززة، ساد الظن أن الديمقراطية فيها أزلية لمجرد أنها مزدهرة يقوم نظام الحكم فيها على التداول على السلطة عبر انتخابات حرة وشفافة، وأن شعوبها ترفض البديل الاستبدادي، والحال أن الإحصائيات في عدد من

بلدان أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية تشير إلى قبول جانب هام من مواطنيها بوضع قار قوامه حكم متسلط. من ذلك مثلا أن ثلث السكان في الولايات المتحدة يفضلون رجلا قويا يتخلص من إرغامات البرلمان والانتخابات، فيما تصل هذه النسبة في فرنسا إلى النصف، بعد أن كانت ربحا في نهاية التسعينات، وهي نسب تضم من ولدوا بعد عام ١٩٨٠، أي من لم يخبروا كأسلافهم الأنظمة الاستبدادية كالنازية والفاشية والشيوعية.

ومن الطبيعي أن تؤدي تلك التغيرات إلى تحولات في الممارسة الانتخابية، انعكست في صعود أحزاب شعبية، لا تخفي عداها للقواعد الديمقراطية، فاقت استحقاقاتها الانتخابية ٢٥ بالمئة بعد أن كان معدلها لا يتجاوز الـ ٧ بالمئة في أوروبا كلها.

وقد استعمل مونك في بحثه صيغة بثلاثة عوامل لمعرفة موقع الديمقراطية في البلدان الغربية بالتعاون مع زميله روبرتو ستيفان فوا من جامعة ملبورن: الأول معرفة مدى مساندة الشعب، أي إلى أي درجة يعتقد المواطنون أن بلادهم ينبغي أن تظل ديمقراطية.

والثاني استعداد الناس لقبول أشكال الحكم غير الديمقراطية، كالنظام العسكري. والثالث معرفة ما إذا كانت الأحزاب السياسية والحركات المناهضة للمنظومة، أي تلك التي تعتبر المنظومة الحالية غير شرعية، تلقي المساندة. من بين الحلول المقترحة أيضا، مفهوم الوطنية، وهي قضية لا تزال تشغل الديمقراطيات الغربية حتى اليوم، حيث يسعى اليمين الهوي إلى إلغاء كل تمييز بين الجنسية والإثنية، واعتبار أن المتحدرين من المجموعة المهيمنة هم وحدهم الأصلاء وما عداهم أغراب وأجانب لا حق لهم في المواطنة" بينما يكاد اليسار يتخلى تماما عن فكرة الأمة، بل إن وعيه بالعذاب الذي يسببه الغلو والتطرف يجعله يفضل التخلي عن كل إحساس بالوطنية. وهذا في رأي مونك خيار سيء، لأن القومية تحتفظ بقوة سياسية كبرى، ينبغي النضال للتحكم فيها خير من ترك المتطرفين يقررون دالاتها. ومن ثم ينصح بإيجاد ما يسميه "الوطني الشامل" الذي يلح على ما يوحد لا ما يفرق، كالأثنية والمعتقد، مع الاعتراف بما تتعرض له بعض الجاليات من ميز عنصري ومظالم. ومبعث القلق عند مونك أن المعايير التي كانت تضمن استقرار الديمقراطيات سواء في "القارة العجوز" أو في "العالم الجديد" باتت هشّة، في وقت لا ينفك الشعبويون، الذين يمقتون الشروط الأساسية للديمقراطية الليبرالية، يبسطون نفوذهم السياسي والأيدولوجي في كل مكان تقريبا، بفضل خطاب تحريضي ضد البنى التكنوقراطية (الهيئات الإدارية المستقلة، البنوك المركزية، المفوضية الأوروبية...) التي تتآمر في رأيهم لانتزاع السلطة من الشعب، مشفوع بخطاب قومي عنصري ضد الأجانب والمهاجرين.

وهو إذ يدافع عن الديمقراطية الليبرالية، يذكر بأن الديمقراطيات ليست كلها ليبرالية بطبيعتها، إذ ثمة ديمقراطية تراتبية تسمح للحكام المنتخبين عبر صناديق الاقتراع بتجسيد الإرادة الشعبية بالطريقة التي يتأولونها، دون اعتبار لحقوق الأقليات الفاعلة ومصالحها.

هذا الكتاب الذي راج رواج "نهاية التاريخ" لفوكوياما، وعقدت لصاحبه لقاءات صحافية وتلفزيونية، ونُظمت ملتقيات وندوات، ليس فتحا مبينا، فقد سبقه إليه المؤرخ وعالم الاجتماع الفرنسي غي هيرمي المدير الأسبق لمعهد الدراسات والبحوث الدولية، والأستاذ بجامعة باريس ولوزانا، وكان قد أصدر منذ نحو عشرين عاما كتابا بالعنوان نفسه "الشعب ضد الديمقراطية" عن دار فايار بباريس، بين فيه أن الأنظمة الديمقراطية تمثل امتيازاً لدى عدد قليل من الدول في العالم.

ولكن ذلك لم يمنع انتقادها في الفضاء نفسه الذي خلقت فيه، فغالبا ما يُدان نفاق "الديمقراطيات الفعلية" المتهمة بكونها ليست سوى إعادة ترتيب لهيمنة الحكام على المحكومين. في هذا الكتاب، يطرح هو أيضا قراءة مغايرة للمشهد السياسي الغربي، ويتساءل ما إذا لم تكن عيوب الديمقراطية في هرم السلطة بل في قاعدتها الشعبية، التي لا تملك الحس الديمقراطي، إذ غالبا ما وقفت ولا تزال تقف ضد الديمقراطية والتسامح والحرية وروح المسؤولية، بل وتنادي بحكم قوي، أي تسلطي استبدادي. وكان هيرمي أول من انتهك التابو حول هذا التساؤل الجوهري، بعد أن عاين بعين الخبير تهاقت ما أسماه "السياسة الفرجية"، والميول النضالية للعمل النقابي، وقارنها بانتفاضات البناء الديمقراطي القديمة، ليؤكد أن سلوك المواطنين العاديين في مجمل المجتمعات الغربية ليس أفضل من سلوك القادة الذين يختارونهم على سدة الحكم.

في تعليقه على المشهد السياسي الغربي الراهن كتب غي هيرمي مؤخرا يقول "الفرز يخيم على السفينة السياسية، سواء لدى الذين تتمثل حرفتهم في أن يُنتخبوا، أو لدى المدعويين إلى انتخابهم، أولئك الذين لم يعودوا البتة راغبين في ذلك"، ففي رأيه أن ما يحدث في أوروبا وأمريكا الشمالية هو إعادة نظر جادة في الديمقراطية، يتوقع ألا تكون عرضية، بل يخشى أن تستمر. فقد بلغ الأمر حدا تجاوز شبكات التحليل المعتادة، ذلك أن المحللين يتحدثون عن الخطر الشعبي كما كانوا يفعلون قبل عشرين عاما، مع نتائج تسوء باطراد.

وإذا كان مونك قد أرجع وهن الديمقراطية الليبرالية إلى عدة عوامل كالانحراف التشريعي والتكنوقراطي للسياسة التي باتت تعكس آراء الأغلبية بشكل يتناقض تدريجيا، وتأثير المواقع الاجتماعية التي صارت تزاحم وسائل الإعلام التقليدية وتشكك في صدقية مواردها، والهجرة المكثفة التي تهز الانسجام القومي، والركود الاقتصادي الذي يلغي آفاق التقدم، ورأى أنها أزمة، فإن غي هيرمي يعتبر أن الحديث عن أزمة لوصف الوضع غير مناسب، لأنه يوهم بأنها مرحلة عابرة يمكن تجاوزها، والحال أن الوضع خطير جدا، إذ تحول بصفة جذرية، نفرت الشعوب من الديمقراطية.

ولكن ماذا كان رأي المرتد كاوتسكي؟

ستران عبدالله*

قبل مائة سنة كتب (الرفيق) لينين كتابه السجالي حول الديمقراطية البرجوازية و(بديلتها الثورية): الديمقراطية البروليتارية، في الرد على المفكر الالماني كارل كاوتسكي، كان اسم الكتاب: الديمقراطية والمرتد كاوتسكي. ويغنينا وصف كاوتسكي بالمرتد عن التساؤل حول نظرة لينين لمساهمات المحاور المختلف معه في الأدبيات الاشتراكية، فهو مجرد مرتد أيديولوجي ينبغي سحقه لا انتظار النفع منه.

واستذكار مئوية هذا الكتاب ليس من أجل الفذلكة الفكرية في دعم مساهمات لينين الفكرية ودوره الكبير في تطوير الأدبيات الماركسية. فهناك على طول البلاد وعمر العباد من أوفى هذا الموضوع حقه، ولا من أجل إعادة الاعتبار للرفيق كاوتسكي ودوره، هو الآخر، في السجلات الفكرية في الربع الأول من القرن العشرين.

ليس من أجل هذا ولا ذاك، بل غايتنا من أجل التوقف عند ظاهرة تتكرر في التصارع السياسي على مسرح الحياة في بلادنا، ظاهرة اجتماعية جرت العادة على تسميتها بالفكر السائد أو النمطية في التفسير والتعاطي مع الظواهر والأشياء والاحداث، هذه النمطية التي يمكن تفهمها فيما يخص تعاطي العوام، أما والمسألة تتجاوز الى تمثلات النخبة ورؤاها فإن تجذر هذه العدوى ومثويتها شرقياً وفي الشرق محلياً، يحتاج إلى وقفة نقدية ليس الغرض منها مدح أو قدح لينين أو تروتسكي، فربما في بلد المنشأ، أو يقينا، كان المحاوران أعطيا هذا الموضوع حقه وكان لهما الفرص ذاتها في الدفاع عن وجهة نظرهما، كل على حدة. ولكن النمطية الشرقية كانت أقوى من الهيام بالتحاور، العنيف منه والهائئ، الرجعي منه والتقدمي، لذا اكتفينا في بلاد الشرق بما كتبه رفيقنا اللينيني فلادمير طالما أن نموذجه السوفييتي انتصر على السجلات الأخرى لدعاة الاشتراكية غير البلشفية، والكاوتسكية طبعاً من أعمدها.

لقد درجت مطابع المعسكر الشرقي من "دار التقدم" إلى "دار داروغا" إلى "الفارابي" الى المطابع الخفية مما هو من مستلزمات النضال اليساري السري على تدوير ترجمات الرد على الكاوتسكية طوال عقود، لذا اكتفينا برواية الرفيق لينين ودحضه لحجج كاوتسكي (المرتد). ولم نسأل الى أن حلت المئوية، ماذا كانت حجج المرتد ولماذا ارتد؟

ان الرواية الشرقية قدمت عن كاوتسكي صورة شيطان أفاق، خادم للبرجوازية أو مطية لها على حد وصف الشهيد "فهد" لحكومات المرحوم نوري سعيد. عادت أرواح السادة لينين وكاوتسكي وفهد ونوري السعيد الى باربيها ولم يرجع قط الحق الموضوعي الى اصحابه في التقييم المنصف. وظل التفكير النمطي سيد الموقف راسخاً متجذراً غير عابئ بتلوث الحقيقة وتشوش الذهن والرؤية.

كيف يمكن لهذا الخطأ الجسيم وهذه المزحة السمجة أن تتكرر دائماً؟

هل هي نتاج النمطية في التفكير والتبسيط، في اعتماد البصر بدلاً من البصيرة؟ إن خطأ وجناية الخطيئة مضاعف إذ يبرز في ساحة النخبة. تذكروا، كنموذج، كاريكاتيرات الصحف في العهود السابقة، حيث الرجل النحيف يمثل الفقر والبؤس، والرجل السمين يمثل الرأسمالية والاحتكاريين، إن الشيء السيئ والمخجل في هذا الأمر ليس في توارى الرأسمالي السمين في الكاريكاتير عن الأنظار، بل في تعرض السمين، الفقير والمنكوب، للتحقير والعقاب المعنوي اعتماداً على نمطية في التفكير، سطحية قاتلة للعدالة ومشتتة للذهن السليم.

فأغنياء اليوم رشيقو القد والقوام، وفقراء العصر الجديد ولربما كان القديم كذلك، فيهم السمين والنحيف وفقيرهم مكنون في الباطن لا في ظاهر البطن. وأتذكر حين كنا في جامعة الموصل، حيث النقاشات الشبابية حول انهيار الاقتصاد والاشتراكية كجزء من اهتمامات طلبة قسم الاقتصاد بالموضوعات الاقتصادية، فإن صديقاً يسارياً كان يجادل صديقاً آخر حول الانتصار الحتمي للرأسمالية اعتماداً على الكتاب الرائع والصادر وقتها للدكتور فؤاد مرسي، (الرأسمالية تجدد نفسها) حول تجديد الرأسمالية لأليات عملها. حيث أنبرى صديق آخر حسماً للجدل البيزنطي: ولكن لماذا تظنون أن الرأسمالية تقر بقدمها وعفونتها حتى تعترف بضرورة تجديد نفسها؟

صحيح، لماذا نظن أن الرأسمالية تتبنى أحلامنا ورؤانا حتى نتصور أنها تشعر بما نشعر او بما كنا نشعر به وقتها من الألم والحزن؟ ومازلت أتذكر هذا الحسم اليساري لصديقي العتيد وما زلت كما أقول على سبيل التنهد والتهكم معاً: ولكن ماذا كان رأي المرتد كاوتسكي؟.

رؤيتنا لمنطقة آمنة ومزدهرة ومستقرة

تصريحات وزير الدفاع الامريكى ماتيس في قمة حوار المنامة

وزارة الدفاع الامريكية/ مكتب المتحدث الرسمي : ٢٩/١٠/٢٠١٨

المتحدث جون شيبمان؛ وزير الدفاع جيمس ماتيس والمدير التنفيذي للمعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية
وزير الدفاع جيمس ماتيس:

شكرا يا دكتور شيبمان، معاليكم، سيداتي سادتي. يسرني فعلا أن أعود إلى هنا إلى قمة حوار المنامة، وأتوجه بشكر خاص إلى وزير خارجية البحرين على ضيافته التقليدية والكريمة المعهودة. وأود استعمل عبارات سفير أمريكي سابق إلى المملكة المتحدة ورئيس هيئة الأركان المشتركة الأدميرال ويليام كرو، الذي قال، وأنا هنا أقتبس كلامه "برهنت البحرين مرارا وتكرارا على أنها أحد أقوى المحكمين للسلام والاستقرار في المنطقة." لذا شكرا جزيلاً للبحرين على قيادتها المستمرة في هذا المجال.

تمثل استضافة حوار المنامة برأيي مثالا رئيسيا على قيادة البحرين وتوضيح أن حجم أراضي الدولة لا يحدد أثر التزامها بالأمن الإقليمي. هذه النسخة الرابعة عشر من هذا المنتدى الجدير بالاهتمام وهو يجمع الملتزمين بصياغة مستقبل أفضل وتبادل الأفكار وأفضل الممارسات من مختلف أنحاء الشرق الأوسط والعالم.

نحن مدينون بالشكر للمعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية ولكامل شعب هذه المملكة على فرصة العمل معا من أجل السلام. رحت أفكر قبل النوم الليلة الماضية في ما عبرت عنه عبارات ملك الأردن لنا جميعا على العشاء في تلك التصريحات القصيرة جدا والموجزة جدا التي تليت علينا بالنيابة عنه.

لقد قال إنه لا يمكن أن يكون الأمل أحادي الجانب عند العمل من أجل السلام المستدام. يجب أن نعمل معا لنوفر الأمل للجميع عند الاضطلاع بمسؤوليتنا الجماعية. وأعتقد أن إحلال السلام واجب علينا تجاه الجيل التالي، وأريد أن أعبر عن آرائي اليوم بشأن الدور الأمريكي في الشرق الأوسط المتغير بروحية الأمل متعدد الأطراف.

أعتقد أن الأهم من ذلك هو أنني أتيت لأستمع إلى وجهات نظركم، فعلى الرغم من أنني أزور هذه المنطقة بشكل متكرر، يعيش كثيرون منكم هنا وأنا مستمع جيد. أسجل الملاحظات عندما يكون لديكم أفكار. إذن سأحدث لبضع دقائق ثم أترك متسعا من الوقت لطرح الأسئلة. أتطلع إلى الاستماع إلى أسئلتكم وخصوصا آرائكم حول كيفية تعزيز التعاون معا لمواجهة التحديات المشتركة في المنطقة.

اليوم، وعلى حد تعبير وزير الخارجية السابق جورج شولتز، "العالم غارق في التغيير." يقع الشرق الأوسط في قلب بيئة أمنية متزايدة التعقيد تتأثر بعودة المنافسة القوية على السلطة والتهديدات الدائمة من الجهات الفاعلة التي تسعى إلى تقويض النظام الدولي القائم على القواعد.

في حين أن البعض لا يشاركونا رؤيتنا لمنطقة آمنة ومزدهرة ومستقرة، تبقى الولايات المتحدة ملتزمة بذلك. أنا هنا اليوم، والولايات المتحدة موجودة هنا في الشرق الأوسط، ونحن ملتزمون بالعمل جنبا إلى جنب مع الشركاء متقاربي التفكير لتعزيز الاستجابات الدولية الدائمة والديناميكية للتحديات الإقليمية.

نحن ندرك أن الشرق الأوسط المستقر يدعم عالما مستقرا. لا يحترم عدم الاستقرار أي حدود وطنية، بل ينمو وينتشر إذا ترك بدون رادع. هذه المنطقة حاسمة بالنسبة إلى الاقتصاد الدولي. قد لا تحتاج الولايات المتحدة إلى نطف الشرق الأوسط لاقتصادها الداخلي، ولكن أسواقنا تعتمد عليه بشكل كبير، وإذا ما وضعنا العوامل الاقتصادية جانبا، يستحق سكان هذه المنطقة السلام تماما مثل أي شعب آخر.

لا تسعى الدول المتقاربة التفكير المتواجدة هنا اليوم إلى الحرب أو الصراع، ولكن لا يمكننا تجاهل التأثير الخبيث والسلوك المزعزع للاستقرار الذي تنتهجه المنظمات المتطرفة العنيفة والنظام الإيراني الخارج على القانون، وأنا أقتبس بذلك عبارات لوزير الخارجية الأمريكي بومبيو مؤخرا.

لذا أكرر اليوم أن الولايات المتحدة ضد نشر إيران للأسلحة التقليدية المتقدمة وتوفيرها للمساعدات المالية والتقنية للمقاتلين القاتلين وسط إرهابيين بالوكالة وغيرهم في المنطقة. يظهر تأثير ذلك في اليمن وسوريا ولبنان والعراق وحتى هنا في مملكة البحرين.

تواصل إيران في اليمن تصدير الصواريخ والأنظمة الجوية بدون طيار إلى المقاتلين الحوثيين، مما يمثل انتهاكا للقيود التي فرضتها الأمم المتحدة. أطلق الحوثيون على مدى الأشهر الثمانية عشر الماضية أكثر من ١٠٠ صاروخ نحو المملكة العربية السعودية، بما في ذلك ضد أهداف مدنية مثل مطار الملك خالد الدولي.

تدعم إيران الصراع في اليمن وتطيل أمده وتوسع نطاقه وتزيد المعاناة الإنسانية وتهدد مجالات مائية بالغة الأهمية وتعرقل الجهود الرامية إلى تحقيق السلام المستدام. بالإضافة إلى ذلك، إن استخدام قيادة القاعدة لإيران كملاذ آمن معترف به على نطاق واسع بين المتطرفين أمر غير مقبول للمجتمع الدولي وغير منطقي لما هو في مصلحة الشعب الإيراني المسكين المجهد بنظام يركز على خلق الفوضى والعنف خارج حدوده.

نحن نعارض السلوك الإيراني غير الآمن أو حتى المتهور في المجال البحري، مثل الهجمات التي قام بها الحوثيون بأسلحة زودها بهم الإيرانيون في تموز/يوليو على الشحن الدولي في باب المندب.

تعرقل هذه السلوكيات حرية الملاحة وتعطل الأمن البحري والتجارة الدولية. نحن نقف ضد قيام إيران بالهجمات الإلكترونية المدمرة والمكلفة ضد الدول والشركات السيادية.

نحن نعارض اختباراتنا ونشرها لأنظمة الصواريخ بما يتعارض مع التفويضات الدولية ونشر هذه التهديدات على نحو غير مسؤول في سوريا ولبنان واليمن وأماكن أخرى. لا تقلل حقيقة عمل النظام الإيراني من خلال قوات بالوكالة من ذنبه ولن تقلل من مساءلة المجتمع الدولي له.

لن نقف مكتوفي الأيدي أمام أي محاولة يقوم بها النظام الإيراني للحصول على سلاح نووي. وكما أوضح الرئيس ترامب، تدرك الولايات المتحدة أن النظام الإيراني لا يتكلم بالنيابة عن الإيرانيين الذين يحق لهم العيش والازدهار في منطقة آمنة تنعم بالسلام.

يشعر النظام الإيراني الذي يتجاهل احتياجات مواطنيه بالحرية في التصعيد والشروع في صراعات مكلفة لا تخدم مصلحة أحد. لا يرمز أي شيء إلى الأنشطة الإيرانية الخبيثة في الشرق الأوسط أكثر من دعم نظام الأسد القاتل. فهذا الدعم إلى جانب استخدام روسيا المتكرر لحق النقض (الفيتو) لقرارات مجلس الأمن الدولي هو السبب الرئيسي لبقاء الأسد في السلطة.

تثبت انتهازية روسيا واستعدادها للتغاضي عن أنشطة الأسد الإجرامية ضد شعبه عدم التزامها الصادق بالمبادئ الأخلاقية الأساسية. وأوضح اليوم أن وجود روسيا في المنطقة لا يمكن أن يحل محل التزام الولايات المتحدة الطويل الأمد والمستمر والشفاف تجاه الشرق الأوسط. هذه حقيقة أكررها اليوم بدون تحفظ.

نحن **نقف مع شركائنا الذين يفضلون الاستقرار على الفوضى** ونؤيد وحدة الجهود بين جيوش دولنا استجابة للتهديدات والتحديات المشتركة، فالوحدة هذه هي القوة الحقيقية لتحقيق السلام وصونه. أصدرت الولايات المتحدة هذا العام أول استراتيجية دفاعية وطنية لها منذ أكثر من عقد من الزمان.

بالإضافة إلى إعطاء الأولوية للتهديدات التي نواجهها في المشهد المعقد اليوم، تسلط الاستراتيجية الضوء على الأهمية الحاسمة لتعزيز التحالفات والشراكات القائمة وإقامة علاقات جديدة مع الدول متقاربة التفكير. منطلقنا بسيط، فالدول التي لديها حلفاء وشركاء تزدهر بينما تندثر التي تعتبر الآخرين تابعين لها أو معالين على حسابها ينبغي استغلالهم.

ثمة فرصة هائلة للتعاون مع من يشاركوننا رؤيتنا لعالم يسوده السلام والازدهار والحرية، سواء داخل هذه المنطقة أو في خارجها، وحتى في خضم التحديات الحالية. عالم تدعمه سيادة القانون في الدول عينها وعلى الصعيد الدولي.

لم أقاتل أبدا ضمن تشكيلة أمريكية محضة على مدى أكثر من أربعة عقود في الزي الرسمي. خدمت دائما في انتلافات في معظم الحالات إلى جانب قوات من دول مجتمعة هنا اليوم. لقد أوضحت لي هذه التجارب أننا أقوى عندما نعمل معا، ويمكننا أن نرد بشكل أفضل على السلوك الخبيث عندما نكون موحدين، وفي حال وقوع نزاع، يمكننا إنهاءه بسرعة أكبر عندما نتعاون.

على حد قول ونستون تشرشل ذات مرة، ثمّة شيء واحد أصعب من القتال مع الحلفاء، وهو القتال من دونهم. قد نختلف حول العديد من المسائل أحيانا، إلا أن الجهود الرامية إلى إحلال السلام أقوى عندما نعمل معا لبناء شراكات منتجة وموثوقة ومرنة. ليس الأمر سهلا دائما، ولكنه ضروري، بل هو عمل نبيل.

نرى في هذا الإطار مسارا نحو الاستقرار يبدأ بهيكل أمن إقليمي فعال، هيكل يزيد التعاون وقابلية التشغيل البيئي ويبني مؤسساتنا الدفاعية وينسق تبادل المعلومات ويدعم القرار السياسي المتناغم.

إن حل المناقشات الداخلية بين شركاء دول مجلس التعاون الخليجي أمر حيوي لتحقيق هذه الرؤية. نضعف بدون هذه النقاشات أمننا في وقت يحتاج فيه المبعوث الخاص إلى اليمن مارتن غريفيين وإلى سوريا ستافان دي ميستورا وخليفته إلى دعمنا الكامل والمحايد وسيحتاجون إليه أكثر في هذا الوقت.

لهذا السبب تدعم الولايات المتحدة المناقشات الجارية لاستكشاف تشكيل تحالف استراتيجي شامل في الشرق الأوسط، ألا وهو تحالف "ميسا". مفهوم يولد هنا في هذه المنطقة ويجمع بين مختلف الشركاء من أجل مواجهة التحديات المشتركة بشكل فعال ومنتج.

تلتزم الولايات المتحدة بالعمل مع الحلفاء والشركاء في مختلف أنحاء المنطقة وعبرهم ومن خلالهم لجعل هذا المفهوم حقيقة واقعة وتعزيز الردع من الأعمال العدائية. إن قوة التعاون واضحة وكل ما أنجزناه وما زلنا نحققه معا لمواجهة سلوك زعزعة الاستقرار من المجالات البحرية والسيبرانية والجوية والصواريخ ومكافحة الإرهاب.

تحققت نجاحات نعرفها. ستواصل الولايات المتحدة العمل في المجال البحري إلى جانب دولكم لضمان حرية الملاحة وعبور المياه الدولية. ولا بد لي أن أشير هنا إلى قيادة البحرية البحرينية في وقت سابق من هذا العام للفرقة المشتركة لمكافحة القرصنة ١٥١ خارج منطقة الخليج.

يبقى أسطولنا الخامس الموجود هنا في البحرين وشركاؤنا في التحالف البحري عازمين على تصميمنا على إبقاء البحار خالية من التدخل غير القانوني والإتجار غير المشروع بالأسلحة والمخدرات والبشر عن طريق القيام بدوريات في هذه المياه والقيام بعمليات أمنية بحرية مشتركة للسماح باستخدام التجاري السلمي من قبل جميع الدول المشاركة في الأنشطة القانونية.

في المجال السيبراني، ستواصل وزارة الدفاع مشاركة الدروس السيبرانية التي تعلمناها شركائنا فيما نعمل معا لتعزيز صمودكم ضد الهجمات السيبرانية المدمرة على الأنظمة الحساسة. وعلاوة على ذلك، نحن على استعداد لدعم شركائنا وحلفائنا إذا هاجمتهم جهات فاعلة شريرة في المجال السيبراني.

وفي المجال الجوي والصاروخي، ستواصل الولايات المتحدة تعزيز دفاعات الشركاء من خلال مشاركة أفضل تقنياتنا التي تسمح لهذه الدول بالدفاع عن سكانها. وسنساعد في تعطيل الانتشار الخبيث للصواريخ والتقنيات ذات الصلة وتحديد الفرص لتعزيز جهود مكافحة الأنظمة الجوية بدون طيار والمشاركة بها والاحتفاظ بطائرات قادرة في الجو والبحر في المنطقة للكشف عن العدوان وردعه والتصدي له إذا لزم الأمر.

ينبغي أن أشير هنا إلى أن العديد من الدول على خط المواجهة تواجه تهديدات جوية وصاروخية وقد شاركت معنا دروسها المستفادة القيمة، لذلك من الواضح أن هذا جهد مفيد للطرفين. يعمل مركزنا المشترك للعمليات الجوية في قطر مع ممثلين من ١٧ دولة كحارس لمراقبة التهديدات الجوية والصاروخية في المنطقة.

وسنواصل العمل مع الأطراف الأخرى لتعزيز الدفاع الصاروخي على نطاق أوسع. ففي هذا المجال وتاماً كما في العديد من المجالات الأخرى، لا تستطيع أي دولة حماية سكانها بمفردها عندما تستطيع الصواريخ المرور بسرعة عبر العديد من الحدود لضرب أهدافها. وفي مجال مكافحة الانتشار، لا تزال الولايات المتحدة ملتزمة بالعمل مع شركائنا لضمان أن تبقى أسلحة الدمار الشامل بعيدة عن أيدي الجهات الفاعلة غير المسؤولة والمزعزعة للاستقرار التي من المرجح أن تستخدمها.

سنعمل عبر مختلف أنحاء المنطقة لتعزيز قدرات شركائنا وحلفائنا الإقليميين لمواجهة التهديدات الإرهابية المستمرة والناشئة وتبادل المعلومات الاستخباراتية بينما تعمل ١٤ دولة على تعزيز الإرهاب وتزديري سيادتكم وتسعى لتقويض الاستقرار الإقليمي سعياً لتحقيق أيدولوجياتها الراديكالية.

يواصل التحالف الدولي لهزيمة داعش ضمن هذا السعي تحقيق خطوات حاسمة من خلال العمل معاً لدعم الجيش العراقي. لقد حرروا الأراضي التي كان داعش يسيطر عليها وقد تقلصت نسبة أراضي الخلافة الفعلية في سوريا إلى أقل من ٢٪ نسبة للتي كان التنظيم يسيطر عليها في السابق.

ولكن لم تنته المعركة بعد ويجب ألا نكتفي بما تحقق. سيواصل التحالف المكون من ١٧ دولة استئصال بقايا داعش في سوريا وسيوسع المجال لدبلوماسيينا للتفاوض على السلام طويل الأمد في ذلك البلد الذي مزقته الحرب والذي لا يزال الأسد في السلطة فيه بسبب دعم روسيا والنظام الإيراني.

سنواصل الكفاح ضد المتطرفين طالما أنهم يشكلون خطراً واضحاً وشاملاً على أمننا ومصالحنا، ولكن الصراع السوري يتطلب حلاً سياسياً ونحن نقدر جهود شركائنا التي لا تكل والتي تهدف إلى توجيه عملية جنيف في إطار قرار مجلس الأمن رقم ٢٢٥٤.

نحن ندرك إلى أقصى الحدود التضحيات التي قدمها العديد من شركائنا وما زالوا يقدمونها ضمن هذا الجهد للتعامل مع آثار عنف الأسد ضد شعبه. لقد أدركت أمتنا أن أي ساحة قتال تمثل أيضاً مجالاً إنسانياً للأبرياء العالقين في الحرب.

أثني على الدول التي وفرت ملاذاً آمناً لملايين اللاجئين وتصدت في الوقت عينه وبشكل استباقي للمتطرف بين الشعب السوري المشرد والضعيف، وأذكر بشكل خاص تركيا والأردن ولبنان. أشكركم على جهودكم المستمرة لتعزيز الاستقرار والحد من المزيد من المعاناة الإنسانية بين من عانوا كثيراً جداً لوقت طويل جداً.

تسعى الولايات المتحدة أيضاً إلى تعزيز شروط السلام في نزاع اليمن. نحن نسعى جاهدين لبناء قدرات قوات الأمن اليمنية الشرعية وتعزيز القدرات الدفاعية لشريكنا الإقليمي كخطوة نحو تحقيق الاستقرار. أكرر دعم الولايات المتحدة لحق شريكنا في الدفاع عن نفسه ضد هجمات الحوثيين التي توفر إيران الأسلحة لها ضد أراضيها ذات السيادة، وندعو في الوقت عينه إلى إنهاء القتال بشكل عاجل.

أعود إلى كلام ملك الأردن ليلة أمس سعياً لتحقيق هذا الهدف الهام والضروري، نحن ندعم بقوة جهود المبعوث الخاص مارتن غريفيث المحترمة لضمان التوصل إلى حل سياسي للحرب. يجب أن تنتهي كافة الحروب في نهاية المطاف ومأساة اليمن تتفاقم يوماً بعد يوم. لقد تم قضاء ما يكفي من الوقت على القضايا الثانوية وحان الوقت الآن للمضي قدماً لوقف هذه الحرب.

يجب أن نبدأ التفاوض على جوهر القضايا في تشرين الثاني/نوفمبر ويجب أن تحل المساومة محل القتال ويجب أن يحصل الناس على السلام للشفاء. تقف الولايات المتحدة في العراق وأفغانستان مع حلف شمال الأطلسي (الناتو) وأقوى دول العالم، والتي ظلت ملتزمة ببناء قوات أمن وطنية قادرة على الدفاع عن شعبها ضد التهديدات لشعبها وسيادتها.

أجرى كلا البلدين انتخابات هذا العام على الرغم من توقع الخبراء المزعومين عدم حصول ذلك في وجه الإرهاب. عندما شكك المشككون في العراق وأفغانستان، ساد الشعب في مواجهة كل ذلك وفي مواجهة جهود الإرهاب. ربما لم تكن الانتخابات كاملة، ولكن ساد الناس على الرغم من الصعاب.

قاتلت القوات الدولية جنبا إلى جنب مع القوات العراقية والأفغانية على مدى سنوات عديدة. ونحن نشهد كل يوم التضحيات التي تقدمها القوات المشتركة لتحقيق الأمن والاستقرار في أوطانهم. وسيواصلون المسار الصعب والطويل نحو السلام في أوطانهم إذا استمر المجتمع الدولي واقفا إلى جانبهم في هذا الجهد.

عندما يمكن سماع الأصوات المعارضة في عملية سياسية تتكيف مع ثقافة كل دولة وتسمح بمعارضة سلمية لأنها تمنح صوتا للجميع وحقوق الإنسان للجميع، تصبح الدولة أكثر أمنا. عندما يتمكن الناس من التحدث ويتم الاستماع إليهم عندما يدعون للسلام واحترام الجميع، لا يتم تبني الرسالة الإرهابية لممارسة الكراهية والعنف.

وبناء على اهتمامنا المشترك بالسلام واحترامنا الراسخ لحقوق الإنسان، ينبغي لمقتل جمال خاشقجي في منشأة دبلوماسية أن يعنينا جميعا إلى حد كبير. وكما قال وزير الخارجية الأمريكي بومبيو، لا تتسامح الولايات المتحدة مع هذا النوع من العمل الوحشي لإسكات الصحفي السيد خاشقجي من خلال العنف.

يقوض تقاعس أي دولة عن الالتزام بالمعايير الدولية وحكم القانون الاستقرار الإقليمي في وقت يحتاج إلى ذلك الالتزام إلى أقصى درجة، وكما أشار الرئيس ترامب، سنكشف ماذا حصل. لقد أشرنا إلى ذلك في إطار شكل حكومتنا الديمقراطي في الولايات المتحدة ودعا الرئيس ترامب إلى إشراك الكونغرس في هذه المسألة.

نظرا لخطورة هذا الوضع، سأواصل التشاور مع رئيسنا ووزير خارجيتنا فيما ينظران في تداعيات هذا الحادث في إطارنا الاستراتيجي الأوسع. سنحافظ على ضروراتنا المزدوجة كما ذكر وزير الخارجية بومبيو، والمتمثلة في حماية الولايات المتحدة ومصالحنا ومحاسبة المسؤولين عن عملية القتل هذه.

سبق أن ألغى وزير خارجيتنا التأشيرات وسيتخذ إجراءات إضافية مع توضيح ما حصل. ما زالت مصلحة الولايات المتحدة الأمنية مع شركائنا العرب والإسرائيليين في هذه المنطقة قائمة، ولم يقلل احترامنا للشعب السعودي، وهو احترام تعزز في العام ١٩٤٥ عندما التقى الرئيس فرانكلين روزفلت والملك السعودي بن سعود على ظهر السفينة الأمريكية الحربية كوينسي.

نحن نحافظ على شراكة قوية بين الشعبين ونذكر أنه ينبغي أن يترافق احترامنا مع الشفافية والثقة كما أشار إليه الرئيس ترامب ووزير الخارجية بومبيو والقادة الأوروبيون أيضا. هذان المبدأن أساسيان لضمان استمرار التعاون والالتزام، ونحن ملتزمون.

يجب أن تتواصل الشفافية والأمن للجميع في هذه المنطقة وهذا ضروري لنتمتع بشرق أوسط آمن ومزدهر. وأود أن أكرر كلام ملك الأردن من الليلة الماضية وأقول إن "الاستقرار والثقة يسيران جنبا إلى جنب".

نحن أقوى عندما نعمل معا من أجل السلام. الولايات المتحدة مستعدة لمواصلة العمل مع حلفائنا وشركائنا عبر المنطقة وعبرهم ومن خلالهم. بالعمل إلى جانبكم، سنعزز جهودكم الرامية إلى تحسين نظام أمن إقليمي متكامل يشمل جميع شركائنا في المنطقة، نظام سكون بمثابة آلية شاملة لحل الصراعات والحفاظ على السلام في المستقبل.

أتطلع إلى العمل معكم عن كثب اليوم لمكافحة التأثير الخبيث بالشراكة لمواجهة سلوك زعزعة الاستقرار بالتعاون، فبدون هذا التعاون، لا نعزز إلا من يعتبرون مخطئين أن أمنهم ينبثق من انعدام أمن الآخرين محليا أو دوليا.

لقد قال الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان يوما إنه لا يمكن ضمان السلام الدائم من خلال قوة السلاح وحده، فالتبادل المفتوح للأفكار يمثل أمنا الأعظم في نهاية المطاف. والآن انطلاقا من ذلك، أتطلع إلى هذا التبادل المفتوح للأفكار فيما أجييب على أسئلتكم. شكرا جزيلا لكم سيداتي وسادتي.

السيد جون شيبمان :

شكرا جزيليا يا معالي وزير الدفاع على هذا البيان الرائع. لدينا ثلاثة أو أربعة أشخاص يرغبون في الكلام، وأعلم أن آخرين سيرغبون في ذلك أيضا. تأكدوا من الالتزام بالخطوات الثلاث. إذا واجهتم أي مشكلة، ارفعوا يديكم وسوف يساعدكم أحد موظفي المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية.

١.السؤال: أود أن أضغط عليكم بشأن مسألة العلاقات الأمريكية التركية وعلى نطاق أوسع حول دور تركيا وأمن المنطقة في أعقاب مقتل خاشقجي في اسطنبول. لقد اتخذت تركيا موقفا حازما في هذا الشأن. لقد أطلقت تركيا أيضا سراح مواطن أمريكي. في ظل هذه الظروف، كيف تنظرون إلى مستقبل دور تركيا كحليف في حلف الناتو وحليف للولايات المتحدة وكقوة إقليمية تتفاعل مع الولايات المتحدة، بشكل خاص في سوريا وأيضا هنا في الخليج ولا سيما من خلال العلاقة الدفاعية بين تركيا وقطر. شكرا لكم.

٢.السؤال: أشكرك وأشكر وزير الدفاع على هذا الالتزام القوي بالسلام والأمن في المنطقة. عندي سؤال. هل تعتقد أن إعلان القدس عاصمة لإسرائيل ونقل السفارة الأمريكية إلى هناك يساهم في أمن الشرق الأوسط واستقراره؟

٣.السؤال: تشكل الجهود الأمريكية للسيطرة على البرنامج النووي الإيراني حجر الزاوية في سياسة عدم الانتشار التي تنتهجها إدارة ترامب في الشرق الأوسط، ولكن بعد الانسحاب من خطة العمل الشاملة المشتركة، ما هي التداعيات على المفاوضات بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية الجارية والرامية لجعل كوريا الشمالية خالية من الأسلحة النووية؟ وقد أعلنت الولايات المتحدة أيضا انسحابها للتو من معاهدة القوى النووية المتوسطة المدى، فكيف سيؤثر ذلك على وضع القوات الأمريكية عبر المناطق الساحلية الأوراسية، بما فيها الشرق الأوسط؟ شكرا لكم.

الوزير ماتيس:

لم يقل أحد إن الأمر سيكون سهلا، ولكن هذا هو بالضبط سبب مجيئي إلى المنامة لأن هذا عمل شاق. بالنسبة إلى السؤال الأول من الإمارات العربية المتحدة، يتمثل هدفنا بجعل إيران توقف هجماتها المحسوبة على الآخرين. أكرر أننا لا نعتبر أن النظام الإيراني يتحدث بالنيابة عن الشعب الإيراني. نحن نعرف أنه ثمة... يعلم جميعنا في هذه القاعة أنه ثمة أشخاص في إيران يريدون السلام والازدهار والتجارة ويريدون أن يتمكن أطفالهم من الذهاب إلى الجامعات في بلدان أخرى والعودة إلى الوطن لينعموا بالحرية التي تمتعوا بها عندما كانوا في دول أخرى. إذا استطعنا أن نرى إيران تنضم مجددا إلى مجتمع الأمم بمسؤولية وبدون وكلاء تسلحهم لنشر الأذى والقتل في مختلف أنحاء المنطقة وفي أماكن أخرى، ستتغير العقوبات حتما ولكن يجب أن يكون تغييرها قائما على أساس الظروف. لا يمكن أن يعتمد على الأمل أو على بعض الخداع أو الإنكار.

نحن نعرف ما تقوم به إيران وأدعوكم جميعا إلى زيارة واشنطن حيث ثمة حظيرة للطائرات... نعم، نحتاج إلى حظيرة طائرات لعرض أمثلة لما جمعناه من مختلف أنحاء المنطقة من صواريخ إيرانية وزوارق متفجرة وتجهيزات أخرى للحرب والقتال وليس للسلام.

إن بناء على الجهود المبذولة لمحاولة إعادة إيران إلى التوافق مع القانون الدولي والمبادئ الدولية، ستروننا عندئذ فقط عندئذ على استعداد لتلبية توقعات إيران. نحن لا نقبل ما تقوم به إيران اليوم، وردا على أسئلة من زميلنا الكوري، تمثل السيطرة على البرامج النووية ومنع انتشار تلك البرامج مسؤولية دولية.

كما تعلمون، لدينا قواعد دولية حول هذا الموضوع، لذا أعتقد أن هذا هو جانب الغروب في خطة العمل الشاملة المشتركة والتي أشارت إلى أننا نعتبر أنه من المقبول أن تحصل إيران على سلاح نووي وهذا تاريخ البدء في ذلك. يمكنك القيام بذلك بعد عامين.

هذا هو ما يجب أن نتعامل معه وهذا في حد ذاته يمنح مصداقية أكبر لما نقوم به في شبه الجزيرة الكورية، إذ نعمل مرة أخرى من خلال المجتمع الدولي، ولكننا نتحمل مسؤولية قيادة هذا الجهد لضمان عدم انتشار هذه الأسلحة ولنسيطر عليها حتى لا نواجه وضعاً أسوأ فيما نحاول تقليل عدد الأسلحة في العالم.

في ما يتعلق بمعاهدة القوى النووية المتوسطة المدى، نحن نعمل بتعاون وثيق مع حلفائنا الأوروبيين وكنا نتشاور معهم حتى يوم أمس، وسنواصل التعاون عن كثب مع المعاهدة وآثارها على الأمن الأوروبي.

ينبغي أن نتذكر نقطة مهمة هنا وهي أنه ثمة إدارتان أمريكيتان، واحدة ديمقراطية والأخرى جمهورية، قد عملتا لما يقرب من خمس سنوات لتعيد روسيا الامتثال. دعونا لا ننسى أن دولتين فحسب قد وقعتا على هذه المعاهدة وإحداهما لا تمثل لها منذ سنوات. لقد التقينا دبلوماسياً ولم تكن المعاهدة منتجة على مدى إدارتين.

علينا أن نعترف بحقيقة الأمور في نهاية المطاف، مما يعني أنه علينا أن نعترف أننا نبتعد عن السيطرة على الأسلحة، ولكن لا ينبغي أن تكون السيطرة على الأسلحة مجرد حبر على ورق. يجب أن تتمثل في إجراءات، لذا أعتبر أن ذلك يعزز مستوى الالتزام لأننا لا نصول ونجول حول قضايا عدم الامتثال ونشبح بنظرنا وكأن كل شيء على ما يرام.

* بالنسبة إلى العلاقات بين الولايات المتحدة وتركيا، تركيا حليف في حلف شمال الأطلسي وعبر هذه الفترة العصبية ومع بدء التوترات بسبب كم العنف في سوريا... تذكروا أن هذا هو مصدر التوترات التي نواجهها اليوم. فيما نتعامل مع هذه القضايا، أقمنا التحالف العسكري الذي يبقى قويا جدا والاتصالات في إطاره مفتوحة جدا وشفافة وموثوق بها. حتى في القضايا الأوسع، لدينا الكثير من القواسم المشتركة مع حليفنا في حلف شمال الأطلسي، ثم لدينا قواسم مشتركة في مجالات غير مألوفة وهذه ليست أمور تستطيع السيطرة عليها بكل بساطة. لدينا بعض القضايا المزعجة جدا، ولكنني أعتبر أن دور تركيا فيما نمضي قدما وبحسب التقدم الذي أشرت إليه في مجالين رئيسيين يتمتع بقدر أكبر من القوة لنجتمع مرة أخرى حول تلك القضايا التي اختلفنا عليها ونحن ملتزمون بذلك.

في ما يتعلق بالبحرين، كان الأمر يتعلق بالمساهمة في الاستقرار، سواء كان إعلان نقل السفارة إلى القدس قد ساهم في الاستقرار أم لا.

أعتقد أن الأهم هو التزامنا بعملية السلام في الشرق الأوسط. هذه هي المسألة المهمة.

لدينا قنصلية في القدس منذ فترة طويلة وأنا لا أقلل بهذا الكلام رمزية نقل سفارتنا إلى القدس، إلا أن ذلك لم يهدف بأي حال من الأحوال إلى إبطاء عملية السلام، بل إظهار حقيقة ماهية القدس. وتمثل أيضا برأيي جزءا لا يتجزأ من كيفية المضي قدما في الوضع الفلسطيني ونحن نضمن لهم الأمل الذي أشار إليه الملك الأردني ليلة أمس، إذ قال إنه لا يمكن أن يكون الأمل أحادي الجانب، بل ينبغي أن يكون متعدد الأطراف وأن يشمل المستقبل، مستقبلا أفضل للشعب الفلسطيني.

وفي هذا الصدد، لا أعتقد أن نقل السفارة إلى هناك يلغي بأي شكل من الأشكال التزامنا بتوفير مستقبل أفضل للشعب الفلسطيني. لا نزال ملتزمين بذلك. يدور نقاش روتيني في واشنطن العاصمة حاليا على أعلى المستويات حول كيفية دفع الشعبين قدما نحو السلام والاستقرار ومستقبل إيجابي.

السيد شيبمان:

شكرا جزيلاً لك يا معالي الوزير ماتيس على قيادتك الأنيقة لكافة الأسئلة الاستراتيجية والتي أظهرتها اليوم. وأعتقد أن جميعنا في هذه القاعة نتمنى لكم كل الخير في مهمتكم الدائمة للجمع بين الاستراتيجية الهادئة والدفع الإنساني. شكرا جزيلاً لك.

الوزير ماتيس: شكرا لكم.

«حوار المنامة»... سيناريوهات "إعادة ترتيب الشرق الأوسط" والتحديات

اعداد: الانصات المركزي: ٢٩/١٠/٢٠١٨

اختتمت في البحرين مساء الاحد، الجلسات العامة لـ«حوار المنامة» الذي شارك فيه أكثر من ٥٠ وزيراً ومسؤولاً يمثلون ٢٥ دولة، وكان بتنظيم المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية بالتعاون مع وزارة الخارجية البحرينية. وأشاد المدير العام الرئيس التنفيذي للمعهد جون تشييمان، بـ«الدعم الكبير من ملك البحرين حمد بن عيسى آل خليفة، للمؤتمر الرابع عشر للأمن الإقليمي (حوار المنامة)». أتى ذلك خلال الجلسة الختامية العامة للحدث، والتي حملت عنوان «اجتياز التغير الجيوسياسي: الشرق الأوسط في السياق العالمي».

إلى ذلك، تطرق مستشار أول للجغرافيا الاقتصادية والاستراتيجية في المعهد ديفيد غوردون، خلال الجلسة، إلى ثلاثة مواضيع وهي «العلاقة بين الشرق الأوسط وجمهورية الصين الشعبية»، و«العلاقات الصينية- الأمريكية»، بالإضافة إلى «تطور استراتيجية الصين حول طريق الحرير».

وخلال جلسة «الأمن والتنافس في منطقة القرن الأفريقي» أكدت فيرجينيا كومولي زميل وباحث أول في الصراع والأمن والتنمية في المعهد ذاته أن «حوار المنامة» في نسخته الأخيرة «قدم فرصاً كبيرة لاكتشاف آفاق جديدة في القارة الأفريقية». أشارت إلى أن هناك علاقات قوية تربط دول الخليج العربية بالقارة الأفريقية والتي امتدت لتشمل العلاقات التجارية بين الطرفين»، لافتة إلى أن «حجم التجارة التي تمر من باب المنذب تبلغ نسبتها ١٢ في المئة من حجم التجارة العالمي سنوياً، وهي نسبة كبيرة جداً». وأشادت كومولي باتفاق السلام الذي توصلت إليه إثيوبيا وأريتريا بعد سنوات من الصراع، والذي كان للمملكة العربية السعودية دوراً كبيراً في التوصل إلى هذا السلام بفضل الجهود الذي بذلتها في هذا الصدد. وذكرت أن «الاتحاد الأفريقي يبقى مؤسسة قوية جداً، العلاقات بين القرن الأفريقي ودول الخليج العربية في ازدهار».

إلى ذلك، أكد المدير التنفيذي للمعهد في الشرق الأوسط الفريق المتقاعد السير توماس بيكيت، أن «الإرهاب من بين التحديات التي تواجه هذه المنطقة، لذا وجب إقامة التحالفات لمواجهة هذا الإرهاب». وأضاف أن «سياسة الولايات المتحدة تركز على ضمان هزيمة تنظيم داعش الإرهابي، بالإضافة إلى انسحاب القوى التي تقودها إيران داخل الأراضي السورية، وضرورة تفعيل أداة إعادة الإعمار للحد من النزاعات وإعادة الاستقرار للشعب السوري». وأوضحت نائب المدير العام في المعهد كوري شاكي أن الشرق الأوسط «منطقة حساسة تختلف تماماً عن بقية مناطق العالم، ويجب التعامل معها بطريقة مختلفة». كما تطرقت إلى كيفية تطور الشراكات الإقليمية في هذه المنطقة. وأضافت أنه من خلال المناقشات في جلسات «حوار المنامة»، تم إعادة القضية الفلسطينية بقوة إلى صلب النقاشات، مشيدة بالحوارات الإيجابية الذي شمله الحوار.

سيناريوهات "إعادة ترتيب الشرق الأوسط"

سلطت الجلسات العامة لمنتدى حوار المنامة ١٤ التي انعقدت بمملكة البحرين من الجمعة إلى الأحد، الضوء على مناقشة السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، والعلاقات المتحولة والنظام الشرق أوسطي الناشئ، وتثبيت الاستقرار وإعادة الإعمار في المنطقة، والأمن والتنافس في منطقة القرن الأفريقي. وناقش المشاركون في جلسات الحوار الخاصة التحديث والتصنيع الدفاعي في الشرق الأوسط، وأمن باب المنذب، والطاقة النووية وعدم انتشار الأسلحة النووية في الشرق الأوسط، والمصالح المشتركة بين آسيا والشرق الأوسط. وشارك في حوار المنامة أكثر من ٥٠ وزيراً إضافة إلى كبار المسؤولين الحكوميين الإقليميين والدوليين، السياسيين والعسكريين، الذين يمثلون ٢٥ دولة من مختلف أنحاء الشرق الأوسط وأفريقيا وأوروبا وأمريكا الشمالية من أجل مناقشة التحديات الأمنية الأكثر إلحاحاً في الشرق الأوسط والتطورات المرتبطة بمجالات الأمن والدفاع والسياسة الخارجية في المنطقة.

وانعقدت قمة هذا العام في ظروف استثنائية إذ تعي مملكة البحرين بحجم الضغوط التي تتعرض إليها المنطقة العربية من الإرهاب إلى الدور الإيراني التخريبي إلى تواطؤ قطر، والطموح التركي بالتوسع على حساب المصالح العربية. وتذكر أن أبرز تحديات المنطقة والعالم، هي قضية "إعادة ترتيب الشرق الأوسط"، حيث خصص المنتدى فعالياته وجلساته لبحث هذا الموضوع بأبعاده المختلفة.

وحملت الجلسة الختامية العامة لحوار المناامة، الأحد، عنوان "اجتياز التغير الجيوسياسي: الشرق الأوسط في السياق العالمي". وتطرق ديفيد جوردون مستشار أول للجغرافيا الاقتصادية والاستراتيجية في المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية، خلال الجلسة الختامية، إلى ثلاثة مواضيع وهي "العلاقة بين الشرق الأوسط وجمهورية الصين الشعبية"، و"العلاقات الصينية الأمريكية" بالإضافة إلى "تطور استراتيجية الصين حول طريق الحرير".

وأكدت فيرجينيا كمولي، زميل وباحث أول في الصراع والأمن والتنمية بالمعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية، خلال جلسة "الأمن والتنافس في منطقة القرن الأفريقي" أن حوار المناامة في نسخته الأخيرة قدم فرصا كبيرة لاكتشاف آفاق جديدة في القارة الأفريقية.

وأشادت باتفاقية السلام الذي توصلت إليها إثيوبيا وإريتريا بعد سنوات من الصراع وقد كان للسعودية دور كبير في التوصل إلى هذا السلام بفضل الجهود التي بذلتها في هذا الصدد، موضحة بأن الاتحاد الأفريقي يبقى مؤسسة قوية جدا وأن العلاقات بين القرن الأفريقي ودول الخليج العربية في ازدهار.

من جهته أكد الفريق المتقاعد توماس بيكيت المدير التنفيذي للمعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في الشرق الأوسط، أن الإرهاب من بين التحديات التي تواجه هذه المنطقة، لذا يجب إقامة التحالفات لمواجهة هذا الإرهاب. وأضاف أن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تركز على ضمان هزيمة تنظيم داعش الإرهابي بالإضافة إلى انسحاب القوى التي تقودها إيران داخل الأراضي السورية وضرورة تفعيل أداة إعادة الإعمار للحد من النزاعات وإعادة الاستقرار إلى الشعب السوري.

وقال وزير خارجية البحرين الشيخ خالد بن أحمد آل خليفة السبت أمام المؤتمر إن مجلس التعاون لدول الخليج العربية "يعد دعامة للاستقرار الإقليمي وأهم عنصر، إلى جانب جمهورية مصر العربية والمملكة الأردنية الهاشمية، في مساعدة المنطقة على الاستقرار". وأضاف أن التحالف الأمني الخليجي المزمع تشكيله، والذي يضم مصر أيضا، سيكون في طور العمل بحلول العام المقبل. ويهدف "تحالف الشرق الأوسط الاستراتيجي" إلى مواجهة خطر إيران ومعضلة التطرف.

وقال الوزير البحريني الشيخ خالد "هذا التحالف سيسهم في تعزيز الأمن والازدهار في المنطقة وسيكون مفتوحا أمام من يقبلون بمبادئه" مشيرا إلى أن التحالف سيشمل أيضا التعاون في الملفات الاقتصادية.

وأكدت السعودية والبحرين السبت إن دول الخليج العربية تلعب دورا مهما في الحفاظ على الاستقرار بالشرق الأوسط من خلال مواجهة الرؤية "الظلامية" الإيرانية، وذلك في وقت تواجه فيه الرياض أسوأ أزمة سياسية منذ عقود نتيجة حملة إعلامية شرسة ضدها، استغلت قضية مقتل الصحافي السعودي جمال خاشقجي لاستهدافها وتشويه صورتها أمام الرأي العام الدولي.

وشددت السعودية والبحرين في أشغال المنتدى على التزامهما الصارم بتقوية مجلس التعاون لدول الخليج العربية، باعتباره المؤسسة الخليجية الأهم، وأكد وزير الخارجية السعودي عادل الجبير، أن منطقة الشرق الأوسط تشهد نزاعات كثيرة وحربا على الإرهاب مستمرة منذ سنوات، وتلك النزاعات تقودها محاولات لتغيير النظام الإقليمي والسيطرة على الشرق الأوسط، مشددا على أن المتورطين في قضية الصحافي السعودي جمال خاشقجي سيحاكمون داخل المملكة العربية السعودية.

وأضاف الجبير أن علاقات السعودية مع الولايات المتحدة "صلبة وثابتة" وسط ما وصفه بأنه "هستيريا إعلامية" في شأن مقتل خاشقجي بالقنصلية السعودية بإسطنبول في الثاني من أكتوبر الحالي، وقال الوزير أيضا إن إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب تتبع سياسة خارجية "عقلانية وواقعية" يمكن أن تدعمها كل الدول الخليجية العربية.

وقال وزير خارجية البحرين، إن المنامة ملتزمة بجعل مجلس التعاون الخليجي ركيزة للاستقرار الإقليمي، مضيفاً أن "السعودية هي ملاذ للاستقرار وللرؤية المستقبلية لمنطقتنا".

وزير خارجية عمان: إسرائيل دولة موجودة بالمنطقة ومنتظر هذه الصفة

من جهته وفي كلمة أمام المنتدى قال وزير الشؤون الخارجية العماني يوسف بن علوي: إن إسرائيل دولة موجودة بالمنطقة ونحن جميعاً ندرك هذا، والعالم أيضاً يدرك هذه الحقيقة وربما حان الوقت لمعاملة إسرائيل بالمثل وتحملها نفس الالتزامات.

وأضاف الوزير العماني، إن "التاريخ يقول إن التوراة رأت النور في الشرق الأوسط واليهود كانوا يعيشون في هذه المنطقة من العالم".

والتقى السلطان قابوس بن سعيد في قصر بيت البركة، يوم الجمعة، مع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو الذي صرح بأنه "تم خلال اللقاء بحث سبل دفع عملية السلام وقضايا تتعلق بتحقيق السلام والاستقرار بالمنطقة". وذكر أن "الزيارة إلى سلطنة عمان هي أول زيارة رسمية في هذا المستوى منذ ١٩٩٦ وهي تشكل خطوة ملموسة في إطار تطبيق سياسته الرامية إلى تعزيز العلاقات الإسرائيلية مع دول المنطقة من خلال إبراز الخبرات الإسرائيلية في مجالات الأمن والتكنولوجيا والاقتصاد".

وإلى ذلك، أضاف الوزير العماني المسؤول عن الشؤون الخارجية في تعليق على زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي لسلطنة عمان: "نشعر بتفاؤل شديد حيال هذا الاقتراح لحل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني"، والذي سيكون مفيداً للإسرائيليين والفلسطينيين على حد سواء.

وتابع: "لا نقول إن الطريق أصبح الآن سهلاً ومفروشاً بالورود لكن أولويتنا هي وضع نهاية للصراع والانتقال إلى عالم جديد".

وأكد الوزير يوسف بن علوي، أن بلاده لا تلعب دور الوسيط بين إسرائيل وفلسطين، ولكنها "تقدم تسهيلات وأفكاراً لمساعدة الطرفين على التقارب".

وكان بيان رسمي عُمانى أفاد أن السلطان قابوس وبنيامين نتانياهو "بحثا سبل دفع عملية السلام في الشرق الأوسط وناقشا عدداً من القضايا ذات الاهتمام المشترك والتي تهدف إلى تحقيق السلام والاستقرار في الشرق الأوسط".

وَبثَّ التلفزيون العماني لقطات لنتانياهو وأفراد الوفد المرافق إلى جانب السلطان قابوس الذي نادراً ما يظهر في الإعلام، ووفد عماني يرتدي الزي التقليدي.

ووجه السلطان قابوس دعوة إلى نتانياهو وزوجته سارة للقيام بهذه الزيارة في ختام اتصالات مطولة بين البلدين. وشارك في الزيارة كل من رئيس الموساد يوسي كوهين ومستشار رئيس الوزراء لشؤون الأمن القومي ورئيس هيئة الأمن القومي مائير بن شبات ومدير عام وزارة الخارجية يوفال روتيم ورئيس ديوان رئيس الوزراء يوآف هوروفيتس والسكرتير العسكري لرئيس الوزراء العميد أفي بلوت".

.. كلمة السر "إيران ومليشياتها"

هذ وسيطرت التدخلات الإيرانية في المنطقة على جلسات الدورة الثانية عشرة من "حوار المنامة" التي انطلقت الجمعة، بعيد انتهاء القمة الخليجية السابعة والثلاثين التي استضافتها العاصمة البحرينية، على مدار يومي السادس والسابع من ديسمبر/كانون الأول، والتي حضرت التدخلات الإيرانية بقوة أيضاً في بيانها الختامي. التظاهرة التي تنظمها وزارة الخارجية البحرينية سنوياً بالتعاون مع معهد الدراسات الاستراتيجية البريطاني، تهتم هذا العام بمناقشة عدد من القضايا الإقليمية من بينها النزاعات في سوريا والعراق وليبيا واليمن، إضافة إلى ملفات التطرف، والأمن الإقليمي، وآفاق السياسة الأمريكية في ظل وصول دونالد ترامب، صاحب التصريحات المقلقة، للبيت الأبيض.

وشارك في أعمال هذه الدورة عدد كبير من الشخصيات من مسؤولين رسميين ورجال أعمال من أكثر من ٢٠ دولة من بينهم رؤساء وزراء ووزراء دفاع ووزراء خارجية ومستشارو أمن قومي وقادة جيوش ومخابرات. وزير الخارجية البحريني، الشيخ خالد بن أحمد آل خليفة، قال إن الدورة الثانية عشرة "ستوفر فرصاً مهمة لتلاقي الأفكار وتبادل الخبرات بين صناع القرار والقيادات الأمنية" للخروج برؤية شاملة وأطر متكاملة قادرة على مواجهة مختلف التحديات"، بحسب وكالة الأنباء البحرينية الرسمية.

الفصل: إيران تسعى لوضع العالم تحت حكم الإمام الغائب

وهاجم رئيس المخابرات السعودية السابق، الأمير تركي الفيصل، إيران قائلاً: "إنها لم تثبت يوماً أنها دولة مسالمة وتريد التعاون، وهو ما يؤكد زيادة نشاط تدخلاتها في الشؤون الداخلية لدول المنطقة، والتصريحات العدائية العلنية والصريحة التي تصدر من مختلف قياداتها".

الفيصل استهجن أيضاً زعم طهران بأنها "تتحكم في أربع عواصم عربية، وأن هناك ٢٠٠ ألف عسكري إيراني منتشرون في العالم العربي، وأن بغداد هي العاصمة التاريخية للدولة الفارسية".

لكن الفيصل أعرب عن اعتقاده "بأنه ليس من المصلحة المساس بالاتفاق النووي الإيراني في المرحلة الحالية" لأنه سيمنع طهران من الحصول على السلاح النووي لمدة ١٥ عاماً، مؤكداً أن على دول المنطقة اتخاذ التدابير والإجراءات لما بعد فترة انتهاء الاتفاق.

كما أشار الفيصل إلى أن الطموحات الإيرانية لا حد لها "حيث تعمل إيران بحسب قوله لوضع العالم تحت سيطرة الإمام الغائب، وهذا الأمر ليس شعارات بل ما يجري تنفيذه الآن.

وأضاف الفيصل أنه لا يمكننا تجاهل ما تقوم به إيران ضد دول المنطقة وأن نتعاون معها في أمور أخرى، موضحاً أن المقصود هو الحكومة الإيرانية وليس الشعب، فهناك "روابط شعبية بيننا وبين الإيرانيين"، وهو أمر يجب أن يكون منطلقاً لتفاهات مستقبلية. وطالب الفيصل أن تتوقف المليشيات المدعومة إيرانياً عن تدمير العراق حتى نعتبرها دولة يمكن التعامل معها.

اتهامات ودعوات

أما مدير وكالة الاستخبارات الأمريكية الأسبق، الجنرال ديفيد بتيوس، فأشار إلى أن وجود مليشيات مدعومة من إيران يجعل مهمة الحكومة العراقية بعد هزيمة "داعش" في الموصل أصعب من الآن حيث يفترض أن يكون هناك ضمان لحقوق الأقليات سواء في الموصل أو أي مكان في العراق، بحسب قوله.

إلى ذلك أكدت الرئيسة السابقة لمجلس الاستخبارات الأمريكية، آلان ليبسون، أنه لا يوجد اختلاف كبير في توجهات إدارة الرئيس الأمريكي المنتخب دونالد ترامب، عن إدارة الرئيس المنتهية ولايته باراك أوباما بشأن الالتزامات العسكرية في الحرب على الإرهاب، مضيفاً أن هناك اتجاهًا أمريكيًا لتغيير سياساتها تجاه إيران.

وأشارت ليبسون إلى أن "الاتفاقية التي تم التوقيع عليها بين إيران ومجموعة "١+٥" تناولت الملف النووي فقط، ولم تتطرق إلى أنشطة إيران الأخرى فيما يخص تدخلاتها في دول الجوار، وهنا يجب التركيز على تعديل السلوك الإيراني في المنطقة، وخصوصاً أن لها أحلاماً تاريخية في المنطقة".

وزير خارجية بريطانيا: أمن الخليج من أمن المملكة المتحدة

وعلى هامش الدورة قال وزير الخارجية البريطاني، بوريس جونسون: إن "أي أزمة في الخليج العربي هي أزمة للمملكة المتحدة، وإن أمن الخليج العربي هو من أمن المملكة المتحدة".

كما تحدث جونسون عن المخاطر الإيرانية في اليمن، قائلاً: "إن يد إيران واضحة في اليمن، وإننا ندرك مدى جدية قلق ومخاوف السعودية. وسنعمل على إعادة الاستقرار لليمن وإيجاد حلول سياسية إقليمية للقضاء على كل نزاع مسلح". وأكد ضرورة أن يكون لدى البريطانيين رؤية واضحة للدور الإيراني في المنطقة، بحسب "الشرق الأوسط" السعودية.

علاوي: الأوضاع في العراق أصبحت عشاً للطائفية والتطرف

بدوره عبر نائب الرئيس العراقي، إياد علاوي، عن مخاوفه على الأمن الإقليمي العربي، بعد أن تغلغت إيران في العراق منذ عام ٢٠١٠. وقال علاوي: "إيران قررت من سيفوز في الانتخابات هنا (في العراق)، وهو ما كان له تأثير كبير على إدارة البلاد"، مشيراً إلى أن التدخلات الإيرانية لم تقتصر على العراق "فهنالك تدخلات واضحة في كل من سوريا واليمن وحتى البحرين ودول الخليج العربية".

وطالب علاوي بوضع مساهمات لإذكاء فكرة الأمن الإقليمي، قائلاً: "سيكون على الدول العربية والإسلامية أيضاً أن تكون لها مساهماتها، من خلال عقد مؤتمر إقليمي لوضع النقاط على الحروف في هذا الملف".

كما أعرب نائب الرئيس العراقي عن أسفه للأوضاع التي وصل إليها العراق، "حيث أصبحت عشاً للطائفية والتطرف بسبب التدخل الإيراني السافر"، بحسب تعبيره.

ووفقاً لوكالة (بنا) البحرينية الرسمية فقد وصف علاوي هذا التدخل بـ "الجرثومة"، في ظل تدمير مؤسسات الدولة، خصوصاً الجيش، أثناء فترة الوجود الأمريكي.

وعن الفرص المتاحة لترتيب أوضاع الإقليم، أشار علاوي إلى أن الانفتاح على إيران "سيكون من أجل أن تأتي إلى طاولة المفاوضات" لأن هناك فرصة مواتية لتنفيذ الاتفاقية النووية وتشجيعها على المشاركة الإيجابية في ترتيبات أمن المنطقة، وإذا لم ترغب في ذلك فعلى دول الإقليم أن تتخذ مواقفها".

في غضون ذلك أعلن وزير الخارجية البحريني، خالد بن أحمد آل خليفة، السبت، رفض إيران دعوتها لحضور مؤتمر "حوار المنامة". وقال: إن "الإيرانيين يسمون آذانهم عنّا، وقد حاولنا دعوتهم لحوار المنامة ولكنهم رفضوا".

سيادة القانون قبل الديمقراطية والخبر

*د. باسم الطويسي

صحيفة (الغد) الأردنية: ٢٠١٨/١٠/٢٠

جاء خبر عودة الذين اعتدوا على مكتب رئيس جامعة آل البيت إلى أعمالهم ذرا للرماد في العيون، فالحادثة التي وقعت قبل أسابيع قليلة حينما أجبر عاملون في الجامعة رئيسها على مغادرة الجامعة في مشهد هز المجتمع الأردني ها هي تمر وكأن شيئاً لم يحدث، لا جديد، فهذا النمط الذي يتكرر باستمرار في المؤسسات التعليمية وفي المستشفيات وفي الشارع وفي كل مكان“ يؤكد قوة قانون الإفلات من العقاب ويشير بقوة إلى أن هذه الحلقة الصعبة التي تتقاطع مع كل مناحي الحياة سوف تقود حتماً إلى الهشاشة بمعناها السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

من العبث القفز في كل مرة إلى تعليلة الإصلاح السياسي على الطريقة الأردنية ونحن عاجزون عن حماية شرف مؤسسة أكاديمية أو حرم مستشفى عام وعاجزين عن أخذ القانون والقضاء إلى موضعهما ومكانتهما، فلا يمكن العمل لا على إصلاح سياسي ولا حتى اقتصادي ما دام القانون مختطفاً ويطبق بانتقائية ولا يعمل على الجميع ومن أجل الجميع وهذا ألف باء بناء الدول وعافيتها.

لعل ملف القانون يفسر جانبا مهما في حالة المرحلة الانتقالية الطويلة التي نشهدها، وما باتت تفرزه من أشكال الهشاشة السياسية الاقتصادية والاجتماعية الجديدة، لا يمكن تصور أي إصلاح سياسي أو اقتصادي بدون قاعدة متينة من المأسسة وسيادة القانون، وكل جهود خارج هذه الدائرة ستكون عبثاً وإضاعة للوقت، علينا أن نلاحظ كيف تعمل هذه الحالة مع الزمن على تهشيم المناعة المجتمعية سواء على مستوى التكيف مع متطلبات الردع العام والانضباط أو على مستوى قدرة المجتمعات في الانتقال إلى مجتمعات منتجة قادرة على مغادرة مربعات الريعية وثقافة الانتفاع.

الإفلات من العقاب يعد أكبر امتهان للقانون وأكبر إهانة للدولة التي من المفترض أنها تحتكر القوة التي تخولها من صيانة العدالة، كل عام ينشغل الرأي العام الأردني بعشرات القضايا التي تهز الضمير العام، وبعد أسابيع أو أشهر تضيع تلك القضايا وتذهب نسياً منسياً لدى الناس قصص تدمي القلب كيف يفلت من العقاب بكل بساطة قائمة لا تتوقف من العابثين بإطلاق النار إلى المعتدين على حقوق عامة أو موظفي الدولة وصولاً إلى محتالين ومتحرشين بالسياس وفاسدين وتجار مخدرات.

وجد القانون في الأصل وعبر التاريخ وفي كل المجتمعات من أجل حماية حقوق البشر“ وصب مسألة الحقوق كرامات الناس ووجد القانون لحل الخلافات ومنع اختطاف القوة التي يفترض أن تحتكرها الدولة أي صيانة الكرامة من جور التعسف بالقوة، ووجد القانون أيضاً لإقامة العدل ليس في حل النزاعات وحسب. بل نجد في الدولة التي تصون القانون وتبني مؤسساتها عليه وتنشئ نخبتها على احترامه تعمل آلة الدولة من تلقاء نفسها في حماية حق الناس في الوصول إلى فرص عادلة ومنصفة وفي التنمية والخدمات والعمل ما يعني جوهر الكرامة الإنسانية. أبرز مظاهر الهشاشة أو الطريق إلى الهشاشة تبدو في فقدان الشرعية المرتبطة بالأمن والقانون ولا يجوز التضحية بأحدهما من أجل الآخر“ فعندما تفتقد الدولة للشرعية في أعين مواطنيها فإن ذلك يضعف قدرتها في تحقيق نجاح أفضل من قبل مواطنيها عندما تطلب منهم التقيد بالنظام ويزداد ضعفها في إنفاذ القانون.

المعادلة الصحية في مسار بناء الدول المعاصرة تتلخص في مجتمع قوي دولة قوية، يمكن في لحظة أن تهتز الدولة، ولكن لا يجوز أن تتعمق هشاشة المجتمع لأن المصدر الأقوى والأغنى لقوة الدولة يتمثل في قوة المجتمع، لقد كانت سيادة القانون وقوة القضاء هما الإطاران الأقدر على صيانة المجتمع واستعادته وهما الأقدر على إعادة صياغة الثقافة المجتمعية وتعديلها عند كل منعطف، وحتى إعادة إنتاج المجتمعات.

الديمقراطية لا تعني بناء الأمم.. فما عوامل تماسك الدول وانهارها؟

مجلة <أيون> الإلكترونية : ٢٠١٨/١٠/٣٠

حاول تقرير نشر على موقع مجلة «أيون» الإلكترونية، التي تهتم بالأفكار والفلسفة والثقافة، الإجابة عن أسئلة تتمحور حول انهيار بعض الدول، على أساس عرقي في أكثر الأحيان، بينما يبقى البعض الآخر متماسكاً على مدار عقود وقرون، على الرغم من تنوعها السكاني أيضاً، بعبارة أخرى، لماذا ينجح بناء الدول في بعض الأماكن، بينما يفشل في أماكن أخرى؟ وتوضح لنا التراجيديا السورية التبعات الدموية المحتملة للفشل في بناء الدول. وقد مر جنوب السودان وجمهورية أفريقيا الوسطى بتجارب مماثلة في السنوات الأخيرة الماضية، وإن لم تحظ بالتغطية الإعلامية ذاتها. بينما حازت حركات انفصالية طويلة الباع على زخم في بعض من الدول الغنية والديمقراطية في غرب أوروبا مثل إسبانيا، وبلجيكا، والمملكة المتحدة. وقد نرى في أعمارنا نجاح بعض هذه الحركات في الانفصال عن هذه الدول. وفي الجهة المقابلة، ليس ثمة حركة انفصالية بين المتحدثين بـ «الكانتونية» في جنوب الصين، أو بين «التاميليون» في الهند. فلماذا؟ ولماذا لم يشكك أي سياسي جاد قط في الوحدة الوطنية في بلاد متنوعة مثل سويسرا أو بوركينا فاسو؟ قال التقرير إن من الضروري قبل الإجابة عن هذه الأسئلة تعريف «بناء الدول» بشكل أكثر دقة. فالأمر يتجاوز مجرد وجود دولة مستقلة ذات علم ونشيد وطني وجيش. فبعض البلدان القديمة، مثل بلجيكا، لم تندمج بصفقتها أمة، بينما جاء الأمر على خلاف ذلك في دول أحدث مثل الهند. إن ثمة وجهان لعملية بناء الدولة وتتمثل في مدى التحالفات السياسية في بلد ما، والتماهي مع مؤسسات هذه الدولة والولاء لها، بصرف النظر عن يحكمها. الوجه الأول هو عنصر التكامل السياسي، والثاني هو عنصر الهوية السياسية لبناء الأمة. ومن أجل تعزيز الوجهين، فإن الروابط السياسية بين المواطنين والدولة ينبغي أن تتجاوز التقسيمات العرقية.

ليست لعبة صفرية

يذكر التقرير إن روابط التحالف هذه تربط الحكومات الوطنية بالمواطنين الأفراد، أحياناً عبر منظمات سياسية بسيطة مثل الجمعيات التطوعية والأحزاب والمجموعات المهنية، وما إلى ذلك. ويفترض لهذه الروابط أن توصل جميع المواطنين في شبكات من التحالفات المرتكزة حول الدولة. في مثل هذه البلدان، يرى جميع المواطنين أنفسهم ممثلين في مركز القوى، حتى لو كان حزبهم المفضل أو راعيهم السياسي لا يشغل حالياً أيًا من مقاعد الحكومة. ففي نهاية المطاف، ينظر المثقفون، والنخب السياسية، فضلاً عن الفرد العادي، إلى جميع المواطنين، بصرف النظر عن خلفيتهم العرقية أو الإثنية، بصفتهم أعضاء متساوين في الجماعة الوطنية.

وورد في التقرير أن البناء الفعال للأمم يجلب تبعات مهمة وإيجابية. إذ تؤدي التحالفات المتقاطعة عبر إقليم أو بلد بأكمله إلى نزع تسييس الانقسامات العرقية. ولا ينظر إلى السياسة بصفتها لعبة صفرية تكافح فيها المجموعات العرقية للسيطرة على الدولة. وإنما تأتي إلى واجهة النقاش لقضايا سياسية أكثر أهمية حول ما ينبغي للدولة عمله. وتؤدي التحالفات السياسية الإدماجية أيضاً إلى شعور بملكية الدولة والترويج للهدف الجمعي المثالي المتجاوز لأسرة الفرد وقريته وعشيرته ومهنته. وبالمثل، يكون المواطنون المتماهون مع بلدهم أقل مقاومة لدفع الضرائب، وأكثر احتمالاً أن يدعموا سياسات الرفاه، وتحكمهم دول أكثر فعالية. والجدير بالذكر أن التحالفات الإدماجية التي تضم أقليات عرقية وأغليات على حد سواء، تقلل بشكل كبير من خطر نشوب حرب أهلية وتعزز النمو الاقتصادي.

في الولايات المتحدة، يساوي معظم صناعات السياسة الخارجية بين بناء الدولة وبين الديمقراطية. إذ يعتقدون أن الديمقراطية أفضل أداة لتحقيق التماسك السياسي في «الجنوب العالمي». وحجتهم في ذلك أن الانتخابات الديمقراطية تجذب دوائر عرقية متنوعة تجاه المركز السياسي وتشجع السياسيين على بناء تحالفات أوسع خارج نطاق مجموعة الناخبين الذين يشاركونهم الخلفية العرقية ذاتها. ويشير التقرير إلى أن معظم الدول التي فشلت في بناء الدولة وتحكمها نخبة من أقلية صغيرة، مثل الطائفة العلوية للرئيس السوري بشار الأسد، دول مستبدة. وفي المقابل، فإن الدول الديمقراطية أكثر احتمالاً، في العموم، لأن تشتمل على ممثلين عن الأقليات في تحالفاتهم الحاكمة.

ومع ذلك، فليس من الضروري أن تصبح الائتلافات الحاكمة أكثر إدماجاً بمرور الوقت بعد انتقال بلد ما إلى الديمقراطية. ففي الكثير من الدول التي انتقلت حديثاً إلى الديمقراطية، لا تكتسح الأغليات العرقية إلى السلطة إلا

للانتقام من النخب التي كانت مهيمنة حتى هذه اللحظة، ومن المجتمعات العرقية لهذه النخب. ظهر هذا الأمر جلياً في العراق ما بعد حكم صدام حسين، فأكثر التأييد الداخلي الذي حصلت عليه القاعدة، وبعد ذلك داعش، جاء من النخب البعثية السابقة، ومن القبائل السنية الساخطة التي استاءت من فقدان السلطة. بينما حافظت الولايات المتحدة على العبودية خلال أول ٧٠ سنة من وجودها الديمقراطي، ولمدة قرن آخر بعد أن حرم التحرير الأفارقة الأمريكيين من أي نوع من التمثيل السياسي المهم. إن هذه العلاقة بين الديمقراطية والإدماج تحدث في تلك البلدان التي يحكمها بالفعل تحالف أكثر شمولاً بشكل أسرع وأسهل من الأنظمة الإقصائية التي تحارب الديمقراطية بشتي ما تستطيع من طرق. بعبارة أخرى، فإن الديمقراطية لا تعني بناء الأمم، لكن الأمم المبنية بالفعل أكثر احتمالاً من غيرها أن تنتقل إلى الديمقراطية.

عوامل تماسك الدول

يسلط التقرير الضوء على عوامل ثلاثة أخرى تتطور بشكل أبطأ، على مدى أجيال، لكنها أكثر فعالية في بناء روابط سياسية تتجاوز الانقسامات العرقية، من الانتخابات الحرة والتنافسية. يشير العامل الأول إلى طريقة تنظيم هذه الروابط. إذ من الأسهل إنشاء تحالفات سياسية تتجاوز الانقسامات العرقية لو كان باستطاعتها البناء على منظمات طوعية قائمة بالفعل، مثل دوائر القراءة والنقابات والنوادي السياسية وما إلى ذلك. وقال التقرير إن هذه المنظمات الطوعية عادة ما تدخل في تحالفات أفقية مع بعضها. مثل تحالف رابطات التمريض المحلية في كاليفورنيا. وفي المقابل، فإن أنظمة المحسوبية الهرمية تتكاثر فيها الروابط رأسياً بين الرعاة والزبائن الذين يصبحوا بدورهم رعاة لزبائن آخرين أسفل هرم السلطة والنفوذ. ومن ثم، فإن شبكات التحالف المبنية على المنظمات الطوعية يمكنها الانتشار في إقليم ما وتجاوز الانقسامات العرقية بسهولة أكبر من أنظمة المحسوبية. فعلى سبيل المثال، من الأسهل نسبياً تأسيس منظمة شاملة لجميع جمعيات التمريض في البلاد. ثم يمكن لهذه المنظمة الشاملة أن تسعى للتحالف مع وزارة الصحة أو مع حزب سياسي وطني.

ويشرح التقرير أن درجة تطور هذه المنظمات الطوعية أمر مهم لا سيما في السنوات الأولى من الوجود الحديث لبلد ما، أي بعد الإطاحة بملكية مطلقة (كما كان الحال في معظم أوروبا) أو في مستعمرة سابقة أصبحت مستقلة (كما هو الحال في معظم بقية العالم). لو كان ثمة شبكة كثيفة من مثل هذه المنظمات قائمة بالفعل، فإن الممسكين الجدد بالسلطة سوف يعتمدون عليها لحشد المؤيدين ولتجنيد القادة السياسيين. وتحت هذه الظروف، يصبح الإقصاء السياسي للأقليات العرقية أو حتى الأغلبية، أمراً أقل وروداً، إذ تكون المنظمات الطوعية قد طورت بالفعل أفرعاً في أجزاء مختلفة من البلد التي تقطنها مجموعات عرقية مختلفة. وعندما يعتمد القادة الجدد على هذه المنظمات للحصول على دعم سياسي، فمن المرجح أن توظف هذه القيادة من مختلف المجموعات العرقية أيضاً.

وتعتبر المقارنة المقارنة بين سويسرا وبلجيكا، وهما بلدان متشابهان حجماً، مع تكوين لغوي مماثل للسكان، ومستويات متقاربة من التنمية الاقتصادية، مثلاً جيداً. ففي سويسرا، تطورت منظمات المجتمع المدني، مثل نوادي الرماية، ودوائر القراءة ومجموعات الكورال، في البلاد خلال أواخر القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر. انتشرت هذه المنظمات بالتساوي في جميع أنحاء البلاد لأن الصناعات الحديثة قد ظهرت في جميع المناطق الرئيسية، ولأن «دول المدن» في سويسرا كانت تفتقر إلى القدرة والحافز على قمع هذه الجمعيات. أما في بلجيكا، فقد تعرف نابليون، وكذلك الملك الهولندي الذي خلفه، على القدرات الثورية لمثل هذه الجمعيات الطوعية، فقمعها. بل الأكثر أهمية من ذلك، أن الجمعيات التي كانت موجودة في بلجيكا اقتصرت على المناطق الأكثر تطوراً من الناحية الاقتصادية والمناطق، والشرائح السكانية، الناطقة بالفرنسية والأكثر تعليماً.

وعندما استقلت بلجيكا عام ١٨٣١ عن مملكة هولندا، كان معظم الحكام الجدد للبلاد أعضاء، منذ وقت طويل، في هذه الشبكات التعاونية الناطقة بالفرنسية. ودون كثير من التفكير، أعلنوا اللغة الفرنسية اللغة الرسمية لإدارة الجيش والقضاء. ومع أن أولئك الذين كانوا يتحدثون بالفلمنكية وحسب، كانوا يشكلون أغلبية ديموغرافية طفيفة، فإنهم لم يكونوا جزءاً من هذه الشبكات، وكذا فقد استبعدوا من الحكومة المركزية. وحتى نهاية القرن التاسع عشر، حكم الفلمنكيون بصفتهم مستعمرة داخلية لبلجيكا الفرنكوفونية. فشل البناء المبكر للدولة إذن، وأصبح الانقسام اللغوي مسيساً بشكل كبير خلال القرن العشرين، حتى أصبح البلد الآن على أعتاب الانقسام.

أما في سويسرا، فقد حدث الانتقال إلى الدولة القومية بعد حرب أهلية قصيرة عام ١٨٤٨. اعتمدت النخب الليبرالية التي فازت في الحرب وهيمنت على البلاد لأجيال على شبكات منظمات المجتمع المدني العابرة للأقاليم والمتعددة العرقيات، لتجنيد الأتباع والقادة. وكذا فقد شمل هيكل السلطة الناشئ أغلبيات وأقليات على حد سواء. وكانت كل مجموعة لغوية ممثلة، منذ البداية، في أعلى مستوى من الحكومة وفي الإدارة الفدرالية، تبعاً لحجم السكان، بشكل تقريبي. ومرة أخرى، ودون كثير من التفكير في الأمر، أصبحت كل من الفرنسية والألمانية والإيطالية جميعاً لغات رسمية للدولة. وخلال معظم التاريخ السياسي اللاحق لسويسرا، وحتى يومنا هذا، ظل التنوع اللغوي مسألة غير سياسية.

يتعلق العامل الثاني بالموارد التي يتبادلها المواطنون مع الدولة. فمن المرجح أن يدعم المواطنون، سياسياً، حكومة توفر السلع العامة مقابل فرض ضرائب عليها. وإذا كانت الضرائب مقابل السلع العامة، فإن طبيعة العلاقة بين الحكومة والمواطنين تختلف. فالأمر لا يعود انتزاعاً تحت التهديد، كما كان الحال عادةً مع الأنظمة الأكثر قمعية التي سبقت الدولة القومية، مثل المملكة الاستبدادية والحكم الإمبراطوري أو الإدارة الاستعمارية. فكلما زادت قدرة الحكومة على توفير السلع العامة في جميع أقاليم البلاد، زادت جاذبيتها بصفقتها شريك تبادلي، وزاد عدد المواطنين الراغبين في التحالف معها. وسوف يعكس التحالف الحاكم هياكل التحالف الشاملة تلك، ومن ثم يعكس التنوع العرقي للسكان.

وعقد التقرير مقارنة بين الصومال وبوتسوانا لإيضاح هذا العامل فكلاهما بلد قاحل، ولهما أسس اقتصادية متشابهة، تعتمد على تصدير المواشي، ولهما تاريخ استعماري متشابه. عندما استقلت بوتسوانا عام ١٩٦٦، خلقت حكومتها وأدارت بكفاءة فرص تصدير لمربي الماشية، وسعت بشكل ضخم من البنية التحتية للمواصلات، والمدارس، والمنشآت الصحية، وخلقت برامج طوارئ لفترات الجفاف التي كانت تدمر، بشكل دوري، اقتصاد المواشي. هذه المنافع العامة أفادت جميع المناطق بشكل متساو. وليس ثمة الكثير من الأدلة على أن البيروقراطيين قد فضلوا عشيرتهم العرقية عند تخصيص هذه الموارد للقرى أو المقاطعات. وفي المقابل، فقد حاز الحزب الحاكم على دعم في مختلف المناطق والدوائر العرقية، وهو ما ترجم بدوره إلى برلمان ومجلس وزراء مثلت فيه الأغلبيات والأقليات العرقية بشكل تقريبي وفقاً لعدد سكانها. وقد أدى هذا الترتيب الاحتوائي للسلطة، بمرور الوقت، إلى تماه قوي مع الدولة وأغلبية التسوانا، فاندماج المزيد والمزيد من مواطني الأقلية في أغلبية التسوانا وتماهوا معها.

أما في الصومال، فقد كانت ظروف بناء الدولة من خلال توفير السلع العامة أقل إيجابية، فبعد أن توحدت المستعمرات البريطانية والإيطالية السابقة في الصومال المستقل، لم تحظ الدولة بالكثير من القدرة على توفير الخدمات العامة للسكان. وتغذت البيروقراطية الناشئة سريعاً على المساعدات الأجنبية، بدلاً من الضرائب أو الجمارك. وعندما تعلق الأمر بتوزيع المشروعات الحكومية، فضل البيروقراطيون من كانوا يستطيعون تقديم أعلى الرشى أو أعضاء عشيرتهم. وقد غير انقلاب محمد سياد بري عام ١٩٦٩، هذا الأمر لفترة مؤقتة. ونظراً للافتقار إلى القدرة المؤسسية، فقد حاول نظام بري تقديم السلع العامة من خلال حملات قصيرة الأجل عسكرية الأسلوب، مثل تعليم السكان البدو القراءة والكتابة، أو تقديم الغوث لضحايا الجفاف. ولم يكن بالإمكان بناء أي تحالفات سياسية مستدامة تتمحور حول الحكومة المركزية بهذه الطريقة. وبدلاً من ذلك، زادت وتيرة اعتماد بري في حكمه على الأتباع المخلصين من تحالف عشيرته وعشيرة أمه. وسرعان ما حمل أولئك المستبعدون من الدوائر الداخلية للسلطة السلاح. واندلعت عقود من الحرب الأهلية تقاتلت فيها تحالفات متغيرة من العشائر وأمراء الحرب ضد بعضهم، فمزقت البلاد إرباً.

يشير الجانب الثالث من علاقات التحالف بين المواطنين والدولة إلى طريقة التواصل بينهم. فإقامة الروابط عبر المناطق والفوارق العرقية يكون أسهل لو استطاع الأفراد التمازج بلغة مشتركة. يقلل هذا الأمر من (تكاليف المعاملات)، أي الجهد اللازم لفهم نوايا كل طرف، وحل الخلافات والتفاوض حول التسويات، وهي أمور محورية لبناء علاقات مستدامة قائمة على الثقة، وتبطل الانقسامات اللغوية من انتشار الشبكات السياسية في أراضي الدول.

ويوضح القرنان الماضيان من تاريخ الصين وروسيا كيف أن وجود الوسائل المشتركة للتواصل يسهل من بناء الدولة. ففي بداية القرن ١٩، كان لدى كل من الصين وروسيا أجيال سابقة من حكم الحكام المستبدية من السلالات الإمبراطورية، التي تضم مجموعات سكانية هائلة ومتنوعة، ولم تخضع لحكم أجنبي قط. يتكلم شعب الصين الكثير من

اللغات، وهو ما من شأنه جعل بناء الدولة أكثر صعوبة. ومع ذلك، فإن الخطابات والصحف والكتب مكتوبة بأبجدية موحدة، وليست هذه الكتابة قريبة من أي من اللغات المنطوقة الكثيرة، وهو ما يسمح للأفراد من مختلف أركان هذا البلد الضخم بفهم بعضهم بسهولة. مكن هذا التجانس الكتابي أيضاً الدولة، طوال الحقبة الإمبريالية، من توظيف البيروقراطيين، من خلال نظام من الاختبارات التحريرية، من جميع زوايا البلاد. ونتيجة لذلك، فقد كانت النخبة البيروقراطية الصينية متعددة اللغات بنفس قدر تعدد لغات السكان بشكل عام.

دور الاختلافات اللغوية

ينطبق الأمر ذاته على الفصائل السياسية التي تشكلت بين هذه النخبة البيروقراطية، ذلك أن الرجال الذين لم يكن باستطاعتهم فهم بعضهم عند الحديث، صار بإمكانهم المراسلة بالكتابة لتبادل الأفكار وتكوين التحالفات. وينطبق الأمر ذاته على الجمعيات الجمهورية المناهضة للإمبريالية التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر في الصين. إذ انضم إليها أفراد كانوا يتكلمون لغات مختلفة من جميع أنحاء الصين. وفي عام ١٩١١، صعدت هذه القوى للسلطة تحت قيادة الحزب القومي الصيني (كومينتانغ) وأطاح بالسلالة الإمبراطورية. كانت قيادة الحزب متنوعة لغوياً كما كانت النخب الحاكمة تحت حكم سلالة تشينغ. وقد جند الحزب الشيوعي، الذي تولى السلطة عام ١٩٤٩، هو الآخر قادة من جميع أنحاء الصين كانوا يتكلموا لغات مختلفة. وبالنظر إلى الطبيعة الإدماجية متعددة اللغات للتحالفات الحاكمة، من سلاسة تشينغ مروراً بنظام كومينتانغ، وانتهاء بالصين الشيوعية المعاصرة، فلم يكن لدى الأقليات المتحدثة بغير الماندرينية بين الصينيين من قومية الهان أي سبب للانفصال عن الصين والسعي لإقامة دولة تحت سيطرتهم. إذ سمحت أجيال من الروابط السياسية العابرة للانقسامات اللغوية، للمفكرين والسياسيين القوميين تخيل أمة الهان متعددة اللغات، لكنها متجانسة عرقياً. فلم تنبج كلاب القومية اللغوية قط بين أغلبية الهان الصينية.

أما في الإمبراطورية الروسية، فقد أدى التنوع اللغوي دوراً شديداً للاختلاف. إذ انقسمت الإمبراطورية مرتين على أساس عرقي - لغوي: مرة بعد الثورة البلشفية في شهر أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩١٧، ومرة أخرى في خضم إصلاحات الزعيم السوفيتي ميخائيل جورباتشوف حوالي عام ١٩٨٩. واجه بناء الدولة الروسية والسوفيتية تحدياً أكبر بكثير لأن اللغات الكثيرة - من الفنلندية إلى الألمانية، ومن الروسية إلى التركية، ومن الكورية إلى الرومانية - لم تكن من عائلات لغوية مختلفة بالكامل فحسب، وإنما كتبت أيضاً بأبجديات مختلفة، تشمل السيريلية واللاتينية والعربية والمنغولية. وعندما بدأ عصر السياسة الجماهيرية في روسيا أواخر القرن التاسع عشر، تجمعت شبكات التحالف على أساس الانقسامات اللغوية. وحينها، كما هو الحال الآن، كان الوصول إلى جمهور متعلم من خلال البروباجاندا والصحف يتطلب أبجدية ولغة مشتركتين. الأحزاب الشعبية التي ظهرت خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين خدمت بشكل حصري مجتمعات لغوية بعينها (الأرمن، والجورجيين، والفنلنديين، والبولنديين، وما شابه من ذلك). أو أنها أشبهت خليطاً من شبكات التحالف المحصورة لغوياً، كما فعل «المنشفيك». تبلور الوعي القومي في عشرات القوالب المنفصلة والمعروفة لغوياً، بدلاً من الهوية الشاملة مثل تلك التي كانت لقومية الهان.

وقد عززت سياسة القوميات السوفيتية بعد ثورة ١٩١٧ من هذه الحالة من خلال تدريس الأقليات كيفية القراءة والكتابة، وتعليمهم، وصولاً إلى الخمسينيات، بلغاتهم الخاصة. وسمح لنخب الأقليات، تحت رقابة لصيقة من موسكو، بحكم المقاطعات والمناطق الجديدة المعرفة لغوياً في الاتحاد السوفيتي. وتبعاً لذلك، تشكلت شبكات تحالف «زبائنية» جديدة بين أقسام منفصلة عرقياً. وكانت الأقليات غير الروسية ممثلة تمثيلاً ناقصاً للغاية في قيادة الحزب، وأعلى مناصب البيروقراطية، والجيش، التي كانت جميعها يهيمن عليها الروس. وكذا، فمن غير المدهش أن قادة الاتحاد السوفيتي لم يكونوا قادرين على تشكيل شعب سوفيتي متكامل، عندما حاولوا، تحت حكم نيكيتا خروتشوف بعد حوالي ٤٠ سنة من الثورة، التحول إلى سياسة أكثر اندماجية. سياسياً، ظل الاتحاد السوفيتي شبيهاً بخليط من شبكات التحالف العرقية. وعندما بدأ جليد الحكم السلطوي في الذوبان تحت حكم جورباتشوف، تشظت البلاد على أساس لغوي إلى دول مستقلة مثل لاتفيا، وجورجيا، وكازاخستان.

إرث الدول المركزية

يرى التقرير إنَّ النظر إلى التاريخ يدفعنا إلى التساؤل عن السبب الذي يجعل دولاً تتمكن من تطوير لغة أو أبجدية موحدة بينما لا تستطيع دول أخرى، والسبب الذي يجعل بعض الحكومات قادرة على توفير الخدمات العامة عبر أراضيها، بينما لا تستطيع حكومات أخرى. والجواب، بحسب التقرير، أنَّ كلاً من التعددية اللغوية والقدرة على تقديم خدمات عامة تتشكلان من إرث الدول المركزية التي بنيت بالفعل قبل عصر السياسات الجماهيرية الذي بدأ في أواخر القرن التاسع عشر. يشير هذا الأمر في الجنوب العالمي إلى الفترة التي سبقت تعرض هذه الدول للاستعمار من قبل الامبراطوريات الغربية (واليابانية) خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر. حيث تطورت حكومات شديدة المركزية في القرون السابقة، وظهرت إدارات بيروقراطية تعلمت كيفية الإدماج التنظيمي والتحكم السياسي في مختلف مناطق الدولة.

كان بإمكان الحكومات التي تلت هذه الدول، سواء الحكومات الاستعمارية أو حكومات الدول القومية حديثة التكوين، الاعتماد على هذه المعرفة والبنية التحتية البيروقراطية لتوفير السلع العامة بشكل عادل على جميع المناطق. وعلى المدى الطويل، شجعت هذه الحكومات المركزية للغاية أيضاً النخب الهامشية وأتباعها على تبني لغة النخب المركزية (أو كما في الحالة الصينية: أبجدية هذه النخب). إذ كان تعلم لغة الدوائر الحاكمة في العاصمة طريقة فعالة لتعزيز مسيرتهم الوظيفية ومصالحهم، وبالنسبة للراعي العاديين فقد كان من المفيد أيضاً معرفة الكلام بلغة البيروقراطيين الذين يتدخلون في حياتهم اليومية.

ففي بوتسوانا ما قبل الاستعمار، مثلاً، ظهرت سلسلة من الممالك المركزية شديدة التكامل بدءاً من القرن السابع عشر فصاعداً. وقد حكم هذه الممالك جميعها نبلاء ناطقون بالتسوانا، وقد أدمجت الحكومة المستقلة ما بعد الاستعمارية هذه الممالك في نظامها الإداري من خلال تقليص سلطة الملوك، بينما جعلت منهم ومن بيروقراطياتهم الصغيرة جزءاً من الهيكل الحاكم. وبهذه الطريقة قدمت الممالك للحكومة الجديدة شرعية الحكم (إذ كان الرئيس الجديد للبلاد نفسه من الأسرة الملكية) وشجعت المواطنين على الانصياع لأحكام الدولة الحديثة. كلا الأمران سهلا كثيراً تقديم الخدمات العامة من قبل الحكومات ما بعد الاستعمارية. وروجت الممالك أيضاً، من فترة ما قبل الاستعمار حتى يومنا الحاضر، لاستيعاب السكان من غير التسوانا، الذين كانوا ما يزالون يشكلون أغلبية ديموغرافية في معظم الممالك في القرن التاسع عشر، في الثقافة واللغة المهيمنتين للتسوانا، التي تمثل الآن أغلبية قوية.

أما في التاريخ الصومالي، فلم تقدر دولة قط على بسط حكمها على الأغلبية البدوية. وقد مثل هذا الأمر عائقاً ملحوظاً أمام توفير السلع العامة في حقبة ما بعد الاستعمار. إذ كان على الحكومة الصومالية المستقلة حكم سكان لم يعتادوا قط على الدولة، ولم يكن باستطاعتها الاعتماد على طبقة المديرين التي تعلمت كيفية تقديم الخدمات العامة، بدلاً من الاعتماد على عائلاتهم.

دعم المؤسسات

من وجهة نظر التقرير إنَّ الالتزام طويل المدى بتعزيز المؤسسات الحكومية وجعلها أكثر كفاءة في تقديم الخدمات العامة يمثل أكثر السياسات الدولية الواعدة للمساعدة في بناء الدول في العالم.

وأفضل من يقدم هذه الخدمات العامة هي الحكومات الوطنية والمحلية. ومع أنَّ الشركات الخاصة، والمنظمات الأجنبية غير الحكومية أو الجيوش المتدخلة أحياناً ما تكون أكثر كفاءة اقتصادياً، لكنَّ الخدمات العامة المقدمة من قبل قوى خارجية لا تؤدي إلى الكثير من تعزيز شرعية الحكومة الوطنية. مشاريع الخدمات العامة التي قدمها الأجانب في أفغانستان جعلت الأفغان أقل رضى عن حكومتهم الوطنية، مقارنة بالمشاريع التي نفذتها وكالات حكومية.

الاستراتيجية الأخرى لبناء أمة فعالة تتمثل في وجود نظام قومي موحد للمدارس. وأنَّ استمرار الدعم لأنظمة المدارس الوطنية في مواجهة الضغوط المالية يحقق الكثير ليس فقط في تحقيق نمو اقتصادي مستدام ومساواة بين الجنسين، وإنما في المساعدة على إنشاء روابط سياسية بين العرقيات المختلفة.

إنَّ دعم منظمات المجتمع المدني قد يؤدي إلى رد فعل عكسي ضد النفوذ الأجنبي والتدخل السياسي. لكن على المدى البعيد فإنَّ مثل هذه المنظمات تساعد على توفير بنية تحتية سياسية لإنشاء روابط بين المجموعات العرقية المختلفة والانتقال إلى التكامل السياسي الوطني. وإنَّ وجود استراتيجية طويلة المدى من شأنه أن يساعد المواطنين على التواصل مع بعضهم بناء على قضية مشتركة لا عرقية.

واختتم التقرير بالقول إنَّ السياسيين ينبغي لهم التخلي عن الفكرة القائلة بأنَّ من الشرعي والممكن «تعليم الشعوب كيفية حكم نفسها». ذلك أنَّ بناء الأمم من الخارج أمر شبه محال لو كانت الظروف المحلية غير مواتية لوضع الأقليات والأغليات على قدم المساواة وإنشاء ائتلافات حكومية إدماجية. فبناء الأمم يجب إنجازها على يد المواطنين والسياسيين في كل بلد على حدة.

تحديات القرن الـ ٢١ والعمل التعددي الجديد

*كريستين لاغارد

بروجيكت سنديكيت: ٢٠١٨/١٠/٣٠

سأحدث في هذا المقال عن البعد الثاني في المشهد الاقتصادي المتغير" أي عدم المساواة والتكنولوجيا واستمرارية الأوضاع، وهذه ليست بالموضوعات الجديدة، لكنها في الوقت الحالي أكثر تشابكا، وأسرع حركة من أي وقت مضى. والتحرك لمواجهة هذا البُعد يمثل مطلبا بالغ الأهمية لتحقيق الاستقرار الاقتصادي والرخاء. ولكن مرة أخرى، لا يمكن التحرك بفعالية لمواجهة هذا البعد إلا من خلال التعاون. فلننظر إلى عدم المساواة: تفيد بحوث الصندوق بأن انخفاض عدم المساواة يرتبط بنمو أقوى وأكثر قابلية للاستمرار. وفي الوقت نفسه، ترتبط الزيادة المفرطة في عدم المساواة بتهميش المواطنين، وتلف المجتمعات، وتآكل الثقة.

فلا عجب أن يشعر كثيرون بالغضب والإحباط. والتصدي لعدم المساواة يتطلب الشراكة، والعمل الجماعي بين الحكومات والقطاع الخاص والمجتمع المدني" بغية القضاء على التمييز ضد المرأة، وتصميم إصلاحات سوق العمل الصحيحة، وتقويم نظم التعليم والتدريب، والحماية الاجتماعية" لإشراك المواطنين، وعدم إقصائهم، بل تهيئتهم للتحول التكنولوجي اللاحق. ولننظر إلى التكنولوجيا: نحن نعلم أن الثورة الرقمية تحمل في طياتها آمالا واعدة ومخاطر كبيرة" فالتكنولوجيا البيولوجية وتكنولوجيا الروبوت والذكاء الاصطناعي ستوفر صناعات وفرص عمل جديدة، لكن هذا التحول سيكون مُربكا أيضا، ويتسبب في حالات من الحرمان، ويجب أن نكون منتبهين للأثار التي ستقع على الناس. ولا شك أن التكنولوجيا المالية بإمكانها إطلاق العنان للديناميكية الاقتصادية والحد من الفقر، خاصة بتوفير الخدمات المالية لنحو ١,٧ مليار نسمة لا يستفيدون من الخدمات المصرفية،

ولكن مرة أخرى، ينبغي توخي الحذر في التعامل معها لحماية الاستقرار والأمان الماليين. ونظرا لأن "الرقمنة" تعني "العولمة"، فإنها ستتطلب جهدا متعدد الأطراف، وأشعر بالتفاؤل" لأننا أطلقنا – بالتعاون مع البنك الدولي وجهات شريكة أخرى – "جدول أعمال بالي للتكنولوجيا المالية" للمساعدة على تقديم الإرشاد لمساعينا المشتركة. أما فيما يتعلق باستمرارية الأوضاع، فإن معالجة آثار تغير المناخ متزايدة السلبية هي أولوية مشتركة لا يمكن تحقيقها إلا بالعمل المشترك.

والأمر نفسه يسري على جدول الأعمال الأوسع نطاقا لتحقيق "أهداف التنمية المستدامة"، التي تمثل تطلعاتنا المشتركة من أجل عالم أفضل للجميع. وتفيد تقديراتنا أخيرا بأن حجم الإنفاق الإضافي اللازم للبلدان منخفضة الدخل لتحقيق أهداف التنمية المستدامة – في القطاعات الرئيسية كالصحة والتعليم والمياه والبنية التحتية – سيبلغ نحو ٥٢٠ مليار دولار سنويا بحلول عام ٢٠٣٠.

ولا سبيل لسد هذه الفجوة من دون الشراكة – بين البلدان نفسها، والقطاع الخاص، والجهات المانحة، والمؤسسات الدولية، وجهات العمل الخيري، ويجب أن تمتد هذه الشراكة لتشمل رفع كفاءة استخدام الموارد، وتعزيز عملية التحصيل الضريبي، بسبل منها كبح التهرب والتحايل الضريبيين، والقضاء على الفساد. وهذا النوع من الشراكة يشكل جزءا أساسيا من العمل التعددي الجديد، ما يرجع لأمر ليس أقلها أن التوترات الناجمة عن الإقصاء وتغير المناخ لا تتوقف عند الحدود الوطنية.

ولذلك، فإن التضامن هو من قبيل المصلحة الذاتية. كذلك يجب أن يكون العمل التعددي الجديد أكثر شمولاً للجميع، ومنفتحا أمام تنوع الآراء والأصوات، ويجب أن يكون أكثر توجها نحو الناس – فيضع الاحتياجات الإنسانية في المقام الأول، ويجب أن يكون أكثر فعالية وعلى درجة أكبر من المساءلة، محققا النتائج لمصلحة الجميع. والصندوق في قلب هذا العمل التعددي الجديد.

هكذا تحدث رئيس البرازيل الجديد اليميني جاير بولسونارو

الغارديان: ٢٠١٨/١٠/٢٠

يعد جاير بولسونارو شخصية شديدة الاستقطاب" والذي نجا عشية الانتخابات من محاولة اغتيال سياسية، ليصبح قائداً لأكبر الاقتصادات الموجودة في أمريكا اللاتينية، امتدح بولسونارو بينوشيه (حاكم تشيلي الديكتاتوري السابق)، وعبر عن دعمه للتعذيب وطالب بإطلاق النار على المعارضين السياسيين، مما أكسبه لقب "أكثر المسؤولين المنتخبين كراهية في العالم الديموقراطي".

لكنه تمكن من قيادة حملة انتخابية ناجحة مبنية على الخوف من ارتفاع جرائم العنف والغضب من فضائح الفساد المتكررة، وتمكن من استثمار وسائل التواصل الاجتماعي بشكل فعال.

يقول بريان وينتر -رئيس تحرير مجلة أمريكان كوارتلي-: "بالنسبة إلى مؤيديه يمثل بولسونارو النظام والقانون وهو أمر مُلح بشدة في بلد يحدث فيها ٦٠ ألف جريمة قتل في العام، وحدث فيها أكبر فضيحة فساد".

يتحدث بولسونارو بكل حنين عن الدكتاتورية العسكرية التي حكمت البلاد منذ عام ١٩٦٤ وحتى ١٩٨٥، ووعده بأن يشكل حكومته من قادة عسكريين سابقين وحاليين، كان بولسونارو عضواً في الكونغرس منذ عام ١٩٩١ رغم أنه لم يقدم خلال كل هذه الفترة سوى مقترحين أصبحا قانونين، واشتهر دائماً بتعليقاته الهجومية والتحريضية.

وبالرغم من عمله في السياسة لثلاثة عقود نجح جندي المظلات السابق في الإعلان عن نفسه كمنافس من خارج العمل السياسي، وأنه على استعداد لتهيئة المؤسسات وتجفيف مستنقع الطبقة السياسية التي أثبتت أنها مليئة بالفساد النظامي.

نجح الاقتصاد البرازيلي في الخروج من حالة الركود الكارثية مؤخراً، بينما تعرض مجموعة من السياسيين من جميع الأحزاب الرئيسية في البلاد إلى التحقيق بشأن تداول العقود العامة من أجل الحصول على الرشاوى والعمولات.

يقول وينتر: "حصل ترامب على أصوات الناخبين عندما قال إن الجريمة داخل المدن أصبحت خارج السيطرة وأن اقتصاد البلاد في كارثة والطبقة السياسية بأكملها فاسدة، هذه الأشياء الثلاثة حقيقية تماماً في البرازيل".

أما خصوم بولسونارو السياسيين فهم يكرهونه بسبب هجومه التحريضي على النساء والأشخاص السود والأجانب ومجتمعات السكان الأصليين، حتى أنه تعرض من قبل للتغريم وواجه اتهامات بسبب خطاب الكراهية الذي يبثه، وفي عام ٢٠١٥ حُكم عليه بدفع تعويض لإحدى زميلاته في الكونغرس عندما قال إنها "لا تستحق الاغتصاب".

قبل شهر من إجراء الجولة الأولى للانتخابات تعرض بولسونارو لهجوم أثناء إحدى أحداث حملته ونجا من محاولة طعن بالسكين قاتلة، واستمر في حملته من سريره بالمستشفى، حيث أطلق الكثير من التغريدات وقام بتسجيل منشورات يومية لمتابعيه على فيسبوك وعددهم ٥ مليون شخص ومتابعيه على يوتيوب وعددهم ٩٠٠ ألف شخص.

وفي تصريح صدر مؤخرا يقول بولسونارو: "من العام القادم بإذن الله سوف نغير مصير البرازيل معاً"، وإليكم مجموعة من أكثر تصريحات بولسونارو الهجومية والمثيرة للجدل:

بالنسبة إلى اللاجئين:

"لقد انتشر حثالة سكان الأرض في البرازيل، كما لو أننا ليس لدينا ما يكفي من مشاكلنا الخاصة لننظر إلى مشكلاتهم" - (سبتمبر ٢٠١٥)

بالنسبة إلى الديموقراطية والدكتاتورية:

"لن نستطيع أن نغير أي شيء في البلاد من خلال الانتخاب، لا شيء أبداً فليسوء الحظ الأمور لا تتغير إلا عندما تشتعل حرب أهلية ونقوم بالعمل الذي لم يقم به النظام العسكري، هل يتسبب ذلك في قتل ٣٠ ألف مواطن! فلنقتلهم! وإذا مات بعض الأبرياء فلا بأس في ذلك". (١٩٩٩)

"أنا أؤيد الديكتاتورية، فلن نتمكن من حل المشكلات الوطنية الخطيرة من خلال تلك الديموقراطية غير المسؤولة". (١٩٩٢)

بالنسبة لحقوق الإنسان:

"أنا أؤيد التعذيب". (مايو ١٩٩٩)

"السجون البرازيلية أماكن رائعة، إنها المكان الذي يدفع فيه الناس ثمن أخطائهم، لا ليعيشوا حياة المنتجات، فهؤلاء الذين يغتصبون ويخطفون ويقتلون سيعانون هناك ولن يحصلوا على أي راحة". (فبراير ٢٠١٤)

"هل نحن ملزمون بمنح هؤلاء المجرمين حياة جيدة؟"

"هل نحن ملزمون بمنح هؤلاء المجرمين حياة جيدة؟ إنهم يقضون حياتهم في إيدائنا، أما نحن الذين نقضي حياتنا في العمل فيجب علينا أن نمنحهم حياة جيدة في السجن، اللعنة عليهم". (فبراير ٢٠١٤)

بالنسبة إلى النساء:

"لدي ٥ أطفال، ٤ منهم رجال وفي المرة الخامسة كنت أعاني من لحظة ضعف فجاءت فتاة". (أبريل ٢٠١٧)

"أقول إنني لم أكن لأغتصبك لأنك لا تستحقين ذلك". (ديسمبر ٢٠١٤، وهي جملة موجهة للسياسية ماريا دو روزاريو)

بالنسبة إلى العرق:

"لن أخطر بأن أرى أطفال يولدون من امرأة سوداء، لقد حصل أطفال على تنشئة جيدة" (مارس ٢٠١١)

"لقد ذهبت لزيارة كيلومبو (مستوطنة أسسها أحفاد الهاريين من العبودية)، كان أحد الأفارقة الأخف وزناً هناك يزن حوالي ١٠٠ كيلوجرام، إنهم لا يفعلون أي شيء، لا أعتقد حتى أنه بإمكانهم التناسل أكثر من ذلك". (أبريل ٢٠١٧)

صعود الفاشية تحت عباءة اليمين الشعبوي

*عريب الرنتاوي

مركز القدس للدراسات، ٢٠١٨/١٠/٣١

يحمل اليمين الشعبوي المتطرف في تلافيف خطابه السياسي والفكري، بذورا فاشية جديدة، تتهدد المنجز الحضاري الديمقراطي للبشرية جمعاء... ولا يبدو أن ثمة دولة ديمقراطية واحدة، باتت بمنجى عن صعود هذه الظاهرة، وإن كانت أوزانها تختلف من دولة إلى أخرى.

الزلازل الأكبر، ضرب الولايات المتحدة في انتخابات ٢٠١٦ ومجيء إدارة دونالد ترامب إلى سدة الحكم، مدججة بخطاب الكراهية والسياسات المناوئة للاجئين، إدارة معادية للإعلام والنساء والملونين عموماً، وهي مسؤولة أكثر من غيرها، عن حالة الانقسام والاستقطاب والتوتر والعنف التي يعيشها المجتمع الأمريكي، دع عنك تآزيم العلاقات الدولية وتسميمها.

أمس انضمت البرازيل، واحدة من كبريات الديمقراطيات في العالم، إلى قائمة الدولة المضروبة بهذا «التسونامي»، رئيسها الجديد جاير بولسونارو، مثل ترامب، لا يكف عن تمجيد الديكتاتوريات، ويتهدد شعبه بقبضة حديدية صارمة، وربما إعادة الديكتاتورية وفرق القتل والإعدام خارج القانون، تماماً مثلما فعل ويفعل زميل له على مبعدة مئات آلاف الأميا في الفلبين، رودريغو دوتيرتي الذي أطلق العنان لفرق القتل الميداني لتعيث قتلاً وحرقاً من دون مسوغ قانوني، وعلى طريقة المليشيات والعصابات.

قبل هذا وذاك، كانت أوروبا مسرحاً لصعود اليمين الشعبوي المتطرف، وهو وإن لم يصل للسلطة في معظم البلدان، فقد شارك فيها، وحل أولاً وثانياً وثالثاً في الانتخابات، وارتفع نفوذه كما يحصل من قبل... في السويد سجل حزب «ديمقراطيو السويد» أفضل نتيجة انتخابية في تاريخه، وحلّ ثالثاً في البرلمان... وفي إيطاليا تمكّن حزب «رابطة الشمال» اليميني المتطرف من قيادة تحالف تصدر نتائج الانتخابات البرلمانية ٢٠١٨، و وتمكنت حركة «خمس نجوم» الشعبوية المعادية للمؤسسات من تحقيق أفضل النتائج الحزبية المنفردة، بحصولها على ثلث أصوات الناخبين.

أما في ألمانيا، فقد سجل حزب «البديل من أجل ألمانيا» ولا يزال يسجل تقدماً في الانتخابات البرلمانية والمحلية، فيما حركة «بيغيدا» اليمينية المتطرفة، فتعد قوة سياسية لا يستهان بها، مبالغة للعنف والفوضى، خصوصاً ضد المهاجرين. وفي فرنسا تمكّنت زعيمة حزب الجبهة الوطنية اليميني المتطرف، مارين لوبان، من الوصول إلى الدورة الثانية من الانتخابات الرئاسية الفرنسية التي جرت في نيسان (أبريل) العام ٢٠١٧، وحصدت أكثر من ثلث أصوات الناخبين الفرنسيين.

وليس الوضع في بريطانيا أفضل من شقيقاتها، فقد قاد حزب الاستقلال الشعبي المملكة المتحدة في مسيرة «البريكست» ... وفي هولندا يقود حزب الحرية البلاد لمصير مشابه ونجح الحزب بزعامة فون غيرت فيلدرز على تسجيل مكاسب انتخابية... وفي النمسا فاز حزب «الحرية» بزعامة نوبرت هوفر بأكثر من ثلث الأصوات في الانتخابات الرئاسية الأخيرة ... وفي الدنمارك . يعد حزب الشعب الدنماركي القوة الثالثة في البرلمان... أما في اليونان، فقد عزز حزب الفجر الذهبي انتخابات عام ٢٠١٥ مستفيداً من تداعيات الأزمة المالية، وتحول اليونان إلى بوابة لاستقبال موجات اللاجئين.

الوضع في أوروبا الشرقية ليس أفضل حالاً ... هنغاريا، بولندا، التشيك وسلوفاكيا تلعب أحزاب اليمين الشعبوي أدواراً متزايدة... رئيس الحكومة في هنغاريا من هذه المدرسة، وفي بولندا يقود حزب القانون والانصاف هذا التيار... وكذا الحال في بقية هذا الشطر الأوروبي الملحق حديثاً بقطار الديمقراطية.

عديدة هي الأسباب التي تقف وراء ظاهرة صعود اليمين الشعبوي المتطرف، فاشي النزعة والملاح ... الأزمة الاقتصادية واحدة منها، تعاقب موجات الهجرة واللجوء، تفاقم التهديد الإرهابي، فشل الأحزاب التقليدية من يسارية ويمينية وانهيار الثقة بقياداتها وانعدام الفوارق بين برامجها، تفشي الخشية من اشتداد هبوب رياح العولمة أو السرعة المتزايد للاندماج الأوروبي، تعاظم دور وسائط التواصل الاجتماعي وثورة المعلومات والاتصالات، عظمت فرص الخطاب الإيديولوجي العقائدي على الانتشار... تنامي مظاهر الجريمة والفساد خصوصاً في ديمقراطيات الأطراف: الفلبين والبرازيل وغيرهما ... لا مجال لحصر كافة الأسباب في هذه العجالة، وكل سبب منها يلعب أدواراً متفاوتة من دولة إلى أخرى.

إن ما يجمع أحزاب اليمين الشعبوي، من قواسم ومشاركات، أكثر مما يميزها ... فهي تعتمد خطاباً ذا طبيعة قومية – شوفينية (دينية أحياناً)، وهي كارهة لليسار والاشتراكيين الاجتماعيين عموماً، وهي معادية للأجانب والمهاجرين وأحياناً لأتباع الديانات الأخرى والملونين، وهي مروج بشع للإسلاموفوبيا، وهي تنحو باتجاه الانغلاق القومي والحماية الاقتصادية والتفوق بدلاً عن العولمة ... والخلاصة، أنها جميعها تشكل تهديداً لاحقاً للديمقراطية والتعددية وحقوق الانسان والعيش المشترك والحوار، وتندرج إن سنحت لها الفرصة، باستعادة نظم الحكم الفاشية والشمولية الديكتاتورية.

بين الديمقراطية والتسلطية

*د. شفيق ناظم الغبرا

قنطرة: ٢٠١٨/١٠/٢١

صراع النموذج الديمقراطي والتسلطي ليس جديداً وهو لن يحسم في مدى قريب في قارات كآسيا وإفريقيا والعالم العربي الممزق. فوفق المفكر السياسي هنتنغتون جاءت موجة معاكسة للديمقراطية بعد كل موجة ديمقراطية. الموجة الثالثة للديمقراطية التي فاجأت العالم في أواسط سبعينيات القرن العشرين، حتى سقوط الاتحاد السوفياتي وأوروبا الشرقية، حافظت على الكثير من مكتسباتها في مواقع عديدة، بالرغم من التراجعات التي برزت في آسيا وإفريقيا بشكل أساسي. يمكن الاستنتاج بأن التسلطية مقنعة لمدد زمنية محددة، خاصة وأن هناك مناطق في العالم عصية على ممارسة الديمقراطية، بسبب عمق السلطوية في بنيتها الإدارية والثقافية.

ويعزز السلطوية انتشار نماذج ناجحة تحظى بالقبول كما هو حال الصين بسبب قدرتها على التنمية، وهذا ينطبق بدرجة كبيرة على نماذج فاعلة تخلق نتائج اقتصادية وتنمية واضحة في ظل رؤية. ففي تجربة سنغافورة وقلة صغيرة من التجارب العربية (المعتمدة على ثروة نفطية مؤقتة) في الخليج ما يؤكد هذا الاتجاه. هذا النمط من التنمية اعتمد أساساً على رؤية، وطريقة فريدة في القيادة وتركيز على الإنجاز. ويضاف لهذا النموذج نماذج، كالروسي على سبيل المثال، حيث بوتين الذي صعد للسلطة في ظل حالة انتخابية مناقضة للكثير من القيم الديمقراطية. وترتفع مطالب الديمقراطية عندما يشعر مجتمع بأن القيادة غير المنتخبة وغير المساءلة قد وصلت لأزمة بسبب ضعف نتج عن غياب التنافس السياسي والمساءلة والفساد. كثيراً ما يكون المدخل للثورة الديمقراطية فشل اقتصادي وتراجع لمشروع الدولة يصاحبه عدم القدرة على ممارسة التغيير. وتصل الأزمة لأحد منعطفاتها عندما تدخل النخب في صراع كبير حول الأحقية في القيادة، في ظل ضعف آليات انتقالها من حاكم لآخر. ففي الديمقراطيات الراسخة تلعب آليات التداول السلمي دورها في امتصاص النزاع بين النخب. كان يوم العشرين من يناير ٢٠١٧ يوم تنصيب ترامب رئيساً للولايات المتحدة مليئاً بالتوترات. ورغم ذلك التوتر الكبير إلا أنه وبفضل تقاليد راسخة ومؤسسات تعنى بالانتقال السلمي، مر اليوم بسلام.

الحل الديمقراطي صالح عندما يجد الناس بأن القرارات الحكومية لم تكن مدروسة ولم تنجح في استيعاب قدرات المجتمع، وأن المجتمع لا يملك طريقة للتغيير السلمي للسلطة. هنا بالتحديد تصبح مطالب المشاركة والديمقراطية وضرورات الرأي الآخر أكثر زحماً وقوة. لقد طالب الطلبة والشبان في الصين بديمقراطية وحرية، لكن الدبابات سحقته مطالبهم في ١٩٨٩. ومع ذلك فهذه المطالب سترتفع مجدداً في الصين عندما يصل النموذج الصيني لسقفه السياسي والاقتصادي والاجتماعي. في وقت كهذا سيبحث المجتمع الصيني عن شرعية جديدة تقوم على مشاركة المواطن في صناعة القرار وانتخاب القادة ومساءلتهم عن خطتهم وتوجهاتهم، وهذا سيتطلب حريات وضمانات دستورية ليست متوفرة اليوم.

ولا يشترط ان تقتصر الديمقراطية في المستقبل على الانتخابات والتصويت وتوازن السلطات الثلاث، فهذا جزء من الديمقراطية. بل ستزداد قيمة المساءلة والشفافية والمؤسسات التي تحمي الحقوق والحريات والعدالة والمواطنة. في الممارسة الديمقراطية سترتفع نسب التركيز على الاستفتاءات الشعبية وعلى استيعاب القوى الاجتماعية المهمشة والمستثناة، وبنفس الوقت ستحتوي البرلمانات بصورة أكبر على كوتا للمرأة والأقليات، بينما ستضع المؤسسات الرقابية المدنية خارج البرلمان والسلطات الثلاث حدوداً واضحة لسيطرة رأس المال على نتائج العلاقة بين الفقراء والأغنياء، كما وستضع حدوداً لسيطرة قوى النفوذ واللوبيات على تعبيرات المجتمع الحرة. مازال العالم العربي، نسبة لبقية القارات والمجتمعات، هو الأكثر حرماناً من الحقوق والديمقراطية والمساءلة، وهو الأكثر تقبلاً لسلوكيات الفساد بين نخبه. إن ضعف البصيرة في الأطر القيادية العربية ستفرض نفسها مع الوقت على شكل الحلول وعلى آفاق موجة قادمة لربيع عربي جديد. الحاضر العربي عنيف وتسلطي واستبدادي، وهذا بحد ذاته يمثل مدى فشل النظام العربي في تأمين كرامة المجتمعات وحقوق الناس وتطلعاتها.

النقد مثل الصدقة للأقربين أولى

*سعيد ناشيد

صحيفة (العرب) اللندنية؛ ٢١/١٠/٢٠١٨

النقد مثل الصدقة للأقربين أولى – قال لي صاحبي: الحضارة المعاصرة أول حضارة أجابت عن سؤال ما معنى الحياة، بعبارة لست أدري.

قلت له: لكنها أول حضارة طرحت السؤال، وهذا يكفي.

قال: الحضارة المعاصرة أول حضارة لم تسطر هدفا لوجود الإنسان.

قلت: لكنها أول حضارة جعلت سؤال الهدف ضمن النقاش العمومي، وهذا يكفي.

قال: الحضارة المعاصرة أول حضارة انتقدت نفسها باستمرار.

قلت: لكنها أول حضارة جعلت نقدها لنفسها ضمن سيرورة بنائها، وهذا يكفي.

النقد سلاح الإنسان ضد الجمود والتحجر، سلاح العقل ضد التسلط على الإنسان، حتى ولو كان هذا التسلط باسم العقل أو العلم أو التقدم.

لذلك يبقى النقد الجذري الذي يطال كل شيء ولا يستثنى أي شيء سر سيرورة التنوير.

كان نقد روسو للتمدن جذريا، لكنه نجح أيضا في تجذير قيم التمدن نفسها.

كان نقد كانط للعقل جذريا لكنه نجح في المقابل في تجذير العقلانية نفسها، وكذلك الأمر بالنسبة لنقد نييتشه وماركس وهيدغير للحضارة المعاصرة.

هؤلاء الناقدون الكبار للحضارة المعاصرة سرعان ما تم استيعابهم ضمن سيرورة بناء الحضارة المعاصرة نفسها. بهذا المعنى فنحن أمام أول حضارة تراجع نفسها باستمرار.

هذا ما لا يستوعبه بعض مثقفينا الذين يجترّون النقد الغربي للغرب كنوع من التماهي أو التعويض عن عقدة النقص.

وهو الفخ الكبير الذي يقع فيه الكثيرون.

مثل هؤلاء كمثل رجل عربي زار أمريكا، فسألهم: ما دليكم على أن الديمقراطية موجودة عندكم في

أمريكا؟ ردوا عليه: دلينا أننا نستطيع أن ننتقد باراك أوباما بكل حرية دون أن نواجه السجن.

فقال لهم بكل ثقة في النفس: نحن أيضا في كل البلدان العربية نستطيع أن ننتقد باراك أوباما دون أن

نواجه السجن.

ما أسهل انتقاد حكام الآخرين، حكماء الآخرين، أحكام الآخرين، حكومات الآخرين، حكم الآخرين، ما

أسهل التماهي مع نقد الآخرين لذواتهم. غير أن المثقف النقدي هو من يبدأ النقد من محيطه أولا. ذلك أن

النقد مثل الصدقة“ للأقربين أولى.

التحديات الخمسة.. تعرف على أسباب النزاعات الدبلوماسية بين أمريكا وروسيا

معهد روسيا الحديثة؛ ٢١/١٠/٢٠١٨

ترجمة - شهاب ممدوح: "التحليلات الهجينة: خبراء يروجون لدعايات سياسية منحازة للكرملين في موسكو وأوروبا والولايات المتحدة" هذا هو عنوان تقرير مكوّن من ٥٨ صفحة صادر عن "معهد روسيا الحديثة" في مطلع شهر أكتوبر. يشير البحث بأصابع الاتهام إلى خبراء روس وأوروبيين وأمريكيين، ويتهممهم بترويج "دعاية منحازة للكرملين في الغرب".

في الواقع، تضع مؤلفة هذا التقرير "كاترينا سماجلي"، المديرية السابقة لمكتب معهد كينان في أوكرانيا، "قائمة سوداء" لا تضم فقط مؤسسات بحثية وجامعات ووكالات استشارية روسية، لكنها تضم أيضاً مؤسسات غربية. من بينها "معهد كينان" التابع لمركز ويلسون، شركة "Kissinger Associates" للاستشارات، ومركز كارنيجي للسلام الدولي، مركز المصلحة الوطنية، وجامعة أكسفورد، جامعة "كينجز كوليغ" في لندن، ومؤسسة "فريدريك إيبيرت"، ومؤسسات أخرى.

إن الدراسة التي أصدرها معهد روسيا الحديثة، تشير مجدداً إلى أن ممارسة الدبلوماسية العامة ليست بالأمر السهل هذه الأيام، وذلك بالنظر إلى المواجهة الحاصلة بين روسيا والغرب. المفارقة أن التواصل المباشر بين الشعوب أو "دبلوماسية الخبراء" من المفترض لها أن تحسّن العلاقات الثنائية، لكن وبدلاً من إصلاح العلاقات، أصبح هذا النوع من الدبلوماسية موضعاً للنقاشات، ويُنظر إليه باعتباره دعاية خفية ضمن "الحرب الهجينة".

حتى الدبلوماسيين والخبراء البارزين الذين يحاولون تعزيز الروابط بين روسيا والغرب، لم يعودوا محصنين من الهجمات الإعلامية وحملات التشكيك. إن محاولة وكالة "بلومبيرج" الأخيرة الربط بين النشاط الذي يمارسه الدبلوماسي "هنري كسنجر" و"ديمتري سايمز"، رئيس مركز المصلحة الوطنية (for National Interest) (the Center)، وقضية التواطؤ الروسي مع ترامب، يزيد من انعدام الثقة تجاه الدبلوماسية العامة والحوار وسط المتشككين.

بعد وقت قصير من قمة ترامب - بوتين في هلسنكي في شهر يوليو، جرى اعتقال المواطنة والناشطة الروسية "ماريا بوتينا"، ٢٩ عاماً، في الولايات المتحدة" بسبب محاولتها التواصل مع سياسيين أمريكيين في خضم التحقيق المستمر بشأن تدخل روسيا في الانتخابات الأمريكية. اتُهمت "بوتينا" بأنها عميلة روسية وعضو في جماعة ضغط تعمل لحساب روسيا. هي الآن في السجن، وربما تواجه عقوبة سجن قسوى لعشر سنوات حال إدانتها.

كل هذا يعيق أية محاولة للتواصل بين السياسيين والناس العاديين والخبراء من روسيا والغرب، كما أنه يؤثر تأثيراً سلبياً على الأشخاص الذين يخططون لزيارة الولايات المتحدة بوصفهم معلقين سياسيين أو دبلوماسيين ثقافيين. في وقت تنتصر فيه السياسة على الحوار بين الشعوب، فإن هذه الدعاية السلبية ضد روسيا، تكشف النقاب عن خمسة تحديات تواجه الدبلوماسية العامة اليوم: أزمة الثقة بين روسيا والغرب، الخلافات السياسية بين روسيا وأمريكا، حروب المعلومات، التقنيات الهدامة، وقوة الأفكار النمطية.

١- أزمة الثقة بين الولايات المتحدة وروسيا

في السادس والعشرين من يوليو، اعتُقل "يفجينى بريماكوف" في مطار كييف، وهو رئيس مؤسسة "المهمة الإنسانية الروسية"، وهي مؤسسة خيرية غير ربحية تساعد ضحايا النزاعات والحروب. كان "يفجينى" ينوي المشاركة في مؤتمر منظمة الأمن والتعاون الأوروبية بشأن الحريات الإعلامية في الغرب. سحب أمن المطار جواز

سفره واقتاده بعيداً، ونظراً لاتهامه بأنه يمثل تهديداً على أمن أوكرانيا الوطني، فإنه لن يتمكن من السفر إلى هذا البلد لمدة خمس سنوات.

يقول "بريماكوف" إنه كان ينوي المشاركة في هذا المؤتمر لتسليط الضوء على غياب الحوار بين روسيا والغرب. وكان يرغب في تعزيز التواصل بين الشعوب وإيقاف الحرب في أوكرانيا. لكن أوكرانيا أزعجها استخدامه خطاباً نارياً ضدها: ففي السابع عشر من مايو، قبل شهر من انعقاد مؤتمر منظمة الأمن والتعاون في أوروبا، دعا بريماكوف الروس للتظاهر أمام سفارة أوكرانيا في موسكو احتجاجاً على اعتقال "كيريل فيشنسكي"، رئيس مكتب وكالة أنباء "نوفوستي" الخاضعة لسيطرة الحكومة الروسية، أثناء عمله في أوكرانيا.

إن قضية بريماكوف هي مثال آخر على تزايد فجوة الثقة بين روسيا والغرب، والتي باتت أمراً شائعاً هذه الأيام. إنها أزمة ثقة من الجانبين. في الثامن والعشرين من مايو، منحت روسيا "سلومير ديبسكي"، مدير المعهد البولندي للعلاقات الدولية، من دخول أراضيها حتى مارس ٢٠٢١ ما يعني منعه من المشاركة في مؤتمر للخبراء في موسكو. إن "ديبسكي" معروف بانتقاداته القاسية والمتواصلة للكرملين: في وقت سابق، دعا أوكرانيا وبولندا للتكاتف من أجل "مواجهة العدوان الروسي".

الضربة الأخرى للدبلوماسية العامة كانت بسبب قضية "سكريبال". إذ جرى اتهام الكرملين بتسميم الجاسوس السابق "سكريبال" وابنته "يوليا"، ما دفع الرئيس ترامب لطرده ٦٠ دبلوماسياً روسياً، وإغلاق القنصلية الروسية في سياتل: من بين المرشحين، رئيس المركز الثقافي الروسي في واشنطن.

بالمثل، فإن تحركات روسيا تعرقل عمل الدبلوماسية العامة. في سبتمبر ٢٠١٧، طلب الكرملين من الولايات المتحدة تخفيض عدد العاملين في بعثتها الدبلوماسية وتسريح ٧٥٥ موظفاً في السفارة الأمريكية في موسكو وسان بترسبرج وفلاديفوستوك. غالبية الموظفين الذين جرى طردهم (نحو ٦٠٠ شخص) هم من روسيا، ونحو ١٠٠ موظف أمريكي. إن التخفيض الكبير في عدد العاملين في السفارة الأمريكية في موسكو، طال في معظمه الملحقة الثقافية في السفارة، والتي كانت مسؤولة أيضاً عن الدبلوماسية العامة.

في ظل الوضع الراهن، تتحمل كلٌّ من موسكو وواشنطن مسؤولية تصاعد الأزمة، وعجزهما عن التوصل لاتفاق فيما بينهما: طلب الكرملين من الولايات المتحدة تخفيض عدد العاملين في البعثة الأمريكية في روسيا رداً على سيطرة الولايات المتحدة على مجمعات دبلوماسية روسية في ولايتي نيويورك وماريلاند. لقد أُجبر الدبلوماسيون الروس على الانتقال من مساكنهم الصيفية الأمريكية بسبب الاشتباه في استخدامهم تلك المجمعات الدبلوماسية في عمليات تجسس إلكترونية. من جانبها، نفت موسكو تلك الاتهامات وردت بإجراءات مماثلة.

٢ - الخلافات السياسية بين الولايات المتحدة وروسيا

إن الشكوك المتبادلة بين روسيا والغرب في حالة تصاعد منذ عام ٢٠١٢ بسبب الخلافات السياسية العميقة بين تلك البلدان، وانتخاب فلاديمير بوتين لفترة رئاسية ثالثة ما ساهم في خلق توترات بين واشنطن وموسكو. في ذلك الوقت، لم تثق الولايات المتحدة في بوتين، بينما كان لدى الأخير قناعة تامة بأن أمريكا تحاول التدخل في انتخابات ٢٠١٢-٢٠١١ البرلمانية والرئاسية.

وفي ضوء هذه الخلفية، غادرت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، التي ساهمت في جهود الدبلوماسية العامة الأمريكية حول العالم، روسيا في سبتمبر ٢٠١٢. لم يكن هناك إجماع بشأن الأسباب الحقيقية لإيقاف وكالة التنمية الأمريكية أنشطتها في روسيا. بينما تزعم واشنطن أن الكرملين طلب وقف برامج تلك الوكالة في روسيا، يزعم الطرف الروسي أن الوكالة خفّضت وجودها في موسكو بسبب فقدانها الاهتمام تجاه هذا البلد.

بعد ذلك، وأثناء فترته الرئاسية الثالثة، أصدر الرئيس بوتين سلسلة من القوانين، التي قوبلت بانتقادات قاسية في الغرب: قانون "ديما ياكوفليف" الذي يمنع العائلات الأمريكية من تبني الأيتام الروس، وقانونان آخران بشأن العملاء الأجانب والمنظمات غير المرغوبة التي تخلق بيئة غير مواتية للمنظمات الروسية والأجنبية غير الحكومية، بالإضافة إلى القانون الذي يحظر الدعاية للمثلية الجنسية، وما إلى ذلك.

إن الضربة الأقوى التي تلقتها الدبلوماسية العامة جاءت من واضعي قانوني العملاء الأجانب والمنظمات غير المرغوبة. فبعد تبني القانونين، في صيف ٢٠١٥، أنشأ مجلس الاتحاد الروسي "قائمة التوقيف الوطنية" التي تضم العديد من المنظمات غير الحكومية الأجنبية، التي اضطرت في النهاية لمغادرة روسيا. من بينها كانت منظمة "الوقف الوطني للديمقراطية"، ومؤسسة سوروس، ومؤسسة ماك آرثر، ومؤسسة فريدوم هاوس. وقد دعت تلك المؤسسات مبادرات مهنية وأكاديمية ووطنية.

لقد حظر الكرملين نشاط تلك المنظمات في روسيا لأنها، وفقاً لرواية موسكو، حاولت سرّاً تغيير النظام السياسي الراهن في روسيا. يقول "قنستانتين كوساشيف"، رئيس مجلس الاتحاد الروسي، إن هدف "قائمة التوقيف" هو مواجهة تلك القوى التي تحاول تغيير السلطة في روسيا.

في الوقت ذاته، لعب ولع الرئيس الديمقراطي "باراك أوباما" بالدفاع عن حقوق الإنسان في روسيا دوراً في إنكفاء نار الخلافات الأمريكية-الروسية. فمنذ عام ٢٠١٢، نظر الغرب إلى روسيا باعتبارها دولة مارقة تنتهك حقوق الإنسان، بينما اعتبرت موسكو واشنطن دولة متطفلة تُمثل تهديداً على سيادة روسيا.

كذلك، عانت الدبلوماسية العامة بشكل كبير نتيجة للخلافات الروسية - الغربية بشأن سيطرة روسيا على القرم عام ٢٠١٤، وانخراطها في الحرب المستمرة في إقليم "دونباس". على سبيل المثال، أنهت روسيا عمل برنامج التبادل الطلابي لقادة المستقبل، وهو برنامج ثقافي وتعليمي أمريكي لطلاب المدارس الثانوية، بحجة أن أحد طلاب البرنامج رفض العودة إلى روسيا. بعد عام من إغلاق برنامج "قادة المستقبل"، أغلقت روسيا "الركن الأمريكي" في مكتبة الأدب الأجنبي الروسية: جرى نقل هذا المركز إلى مبنى السفارة الأمريكية في وسط موسكو.

٣- الحروب المعلوماتية بين روسيا والغرب

صرّح السيناتور الجمهوري "ليندزي جراهام" في الصيف الماضي بما يلي "إن القول بأن روسيا لم تتدخل في انتخاباتنا هو أخبار مزيفة". إن المؤسسة السياسية الأمريكية لا يساورها شك في أن روسيا تدخلت في الانتخابات الرئاسية الأمريكية.

مع ذلك، فإن الكرملين نفى بصورة متكررة هذه الاتهامات، إذ يسخر العديد من المعلقين ووسائل الإعلام الروسية بشكل علني من الرواية الأمريكية بشأن دور موسكو في الانتخابات. عادة ما تركز الحجج الروسية على ثلاث نقاط: أولاً، أمريكا تواجه أزمة هوية وطنية (أو أزمة سياسية)، ثانياً، أن الديمقراطيين يحاولون تبرير فشلهم في الانتخابات الرئاسية، ثالثاً، شيطنة روسيا هي وسيلة مناسبة لليبراليين لتحقيق أهدافهم السياسية.

إن الخلافات الروسية - الأمريكية بشأن تدخل الكرملين في الانتخابات، تشير إلى أن موسكو وواشنطن منخرطتان في حرب معلومات واسعة النطاق. وهذا له تأثير سلبي على الدبلوماسية العامة. وليس من الصعب على المرء أن يجد أمثلة على ذلك.

ففي يوليو ٢٠١٥، نشرت صحيفة "دايلي بيست" مقالة وضعت فيها تعليقات انتقائية تعود لخبراء ودبلوماسيين أمريكيين، يتهمون فيها "مركز كارنيجي موسكو" بأنه حصان طروادة للكرملين، وبأنه يروج لرواية منحازة لموسكو في الولايات المتحدة. إن أحد الأسباب التي تقف خلف تلك الاتهامات ربما تكون حقيقة أن مدير المركز "ديميتري ترينين" كان دائماً متوازناً في تعليقاته بشأن أحداث أوكرانيا، كما أنه تجنّب استخدام خطاب حاد وقاسٍ تجاه السلطات الروسية.

هناك مثال آخر وهو محاولة الصحفيين الغربيين وضع قائمة سوداء لوسائل الإعلام التي تنشر دعايات الكرملين والأخبار المزيفة في الولايات المتحدة وأوروبا. في أواخر شهر نوفمبر عام ٢٠١٦، قدمت صحيفة واشنطن بوست حملة دعائية لما يسمى مشروع "PropOrNot" (دعاية أم ليست دعاية). وقد نشرت الصحيفة قائمة سوداء لوسائل إعلامية روسية وغربية تقوم بنشر أخبار كاذبة في أمريكا. وفقاً لمشروع "PropOrNot"، فإن الدعاية الروسية ساهمت في فوز ترامب بالانتخابات وهزيمة هيلاري كلينتون. إن القائمة السوداء لم تضم تلك الوسائل الإعلامية فحسب، والتي تُعد أبواق دعاية للكرملين في الغرب (محطة روسيا اليوم، وكالة سبوتنيك)، لكنها ضمت أيضاً مشروعاً ترعاه الدولة الروسية هدفه تعزيز الدبلوماسية العامة - مشروع "Russia Diurect" (الذي جرى إغلاقه في مارس ٢٠١٧). لقد نظم هذا المشروع جلسات حوارية للخبراء بشأن العلاقات الروسية - الأمريكية.

وبالرغم من أن مشروع "Russia Direct" جرى إزالته من القائمة السوداء، غير أن المشكلة لا تزال قائمة: الحملة ضد الأخبار المزيفة أصبحت أداة في أيدي الطرفين في حرب المعلومات - دعاية ضد دعاية. المثير للاهتمام أنه في مطلع عام ٢٠١٨، نشرت وكالة "سبوتنيك" الخاضعة لسيطرة الدولة الروسية مقالة تربط فيها بين مشروع "PropOrNot" وبين "المجلس الأطلسي" (Atlantic Council) ووزارة الخارجية الأمريكية. من غير الواضح ما إذا كان هذا الأمر صحيحاً أم لا، لكن "سبوتنيك" تدعم حجتها عبر الاستشهاد بكلام صحفي التحقيقات "جورج إلياسون".

٤- التقنيات الهدامة

إن الإنجازات الحاصلة في تطوير تقنيات المعلومات، تماماً مثل سيف ذي حدين، تخلق فرصاً وتحديات للدبلوماسية الجماهيرية. أولاً، القيمة الناتجة من عمليات التواصل المباشرة أثناء اجتماعات الطاولة المستديرة والمنتديات، باتت تتقلص، لأن وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت تستحوذ على معظم الاهتمام، وباتت بديلاً عن الواقع. في أحيان كثيرة، يفضل مستخدمو الإنترنت التواصل الافتراضي على الحقيقي، وهو ما لا يسهم دائماً في زيادة كفاءة الدبلوماسية العامة.

ثانياً، تزايد حجم التهديدات السيبرانية يثير حالة من الريبة المتبادلة بين روسيا والغرب، وبالتالي هذا يزيد المشكلة الرئيسية سوءاً - أي أزمة الثقة. لقد بدأت موجة جديدة من المواجهة الروسية - الأمريكية بعد اتهام واشنطن للكرملين بقرصنة اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطي، وتسريب مراسلات هيلاري كلينتون الخاصة مع مستشارها "جون بوديستا".

ثالثاً، تفرض وسائل التواصل الاجتماعي الآن سيطرة أكبر على الإعلانات السياسية على منصاتهما. ترتبط هذه التحولات بالضجة الأخيرة حول فيسبوك وشركة "كامبريدج أنالتيكا" البريطانية المتخصصة في تحليل البيانات، التي عملت لصالح فريق دونالد ترامب الانتخابي. في ربيع ٢٠١٨، أقرّ فيسبوك بتسريب بيانات خاصة لـ ٨٧ مليون شخص لشركة "كامبريدج أنالتيكا" التي استخدمت البيانات في حملات إعلانية عديدة لصالح ترامب.

في أبريل، حضر المدير التنفيذي لشركة فيسبوك "مارك زوكربيرج" جلسة استماع للكونغرس بشأن دور روسيا في الانتخابات الأمريكية عام ٢٠١٦. وفي شهر مايو، غير فيسبوك قواعد الإعلانات السياسية لمستخدميه الأمريكيين.

من الناحية العملية، هذا يعني أن التقارير والمقالات المنشورة على مواقع المؤسسات البحثية والمنظمات غير الحكومية ربما يجري وصفها بأنها إعلانات سياسية. هذا بدوره يمكن أن يخلق حالة من انعدام الثقة تجاه الدبلوماسية العامة وسط الناس.

وما يزيد الوضع سوءاً هو أن الفيس بوك يشدد قواعد منح تصريح الإعلانات للمنظمات الأجنبية التي تسعى لإجراء إعلانات "سياسية" للجمهور الأمريكي. من الآن فصاعداً، الأمريكيون فقط هم من سيمكنهم فعل ذلك: المستخدم سيتعين عليه إثبات جنسيته الأمريكية وإقامته القانونية عبر تقديم جواز السفر ورخصة قيادة السيارة وإقرار خطي بالإقامة ورقم الضمان الاجتماعي.

نتيجة لذلك، فإن المنشورات التحليلية الصادرة عن دول أجنبية ربما لن تصل للمستخدمين الأمريكيين، من بينهم الأشخاص الذين يتعاملون مع البحث الأكاديمي والسياسة الخارجية. ونظراً إلى شعبية فيسبوك وسط الخبراء والمؤسسات البحثية الروسية، التي تشارك منشوراتها وتنشر إعلانات موجهة على صفحاتها، فإن وصول المستخدمين إلى أبحاثها على وسائل التواصل ربما يجري تقييده إلى حد ما.

٥- مشكلة الصورة النمطية

إن قانون "حماية الأمن الأمريكي من عدوان الكرملين"، الذي اقترحه السيناتور لينزي جراهام، يتضمن الجزء التالي "تحديث الدبلوماسية العامة"، ويقدم القانون إجراءات لتحسين كفاءة الدبلوماسية العامة الأمريكية "و ضمان أن تعمل برامج تلك الدبلوماسية على زيادة المعرفة والفهم والثقة تجاه الولايات المتحدة وسط الجمهور المستهدف. إن حقيقة ذكر الدبلوماسية العامة في سياق مهمة مواجهة "العدوان" الروسي، يوحي بأن التواصل المباشر بين الشعوب يُنظر إليه باعتباره أداة دعائية.

في وقت سابق، تبنى دبلوماسيان أمريكيان وهما "ريتشارد هولبروك" و "كيم إليوت" موقفاً واضحاً بشأن الدبلوماسية العامة. هما يعتبرانها "حرباً نفسية" و"دعاية دولية". لكن الدبلوماسية العامة، مدفوعة بصورة رئيسية من الحكومات، تتضمن أيضاً مبادرات شعبية لا يمكنها أن تضاهي الدعاية الحكومية. على سبيل المثال، في الفترة بين عامي ١٩٨٥ و١٩٩١، صار التواصل المباشر بين الشعوب أحد أهم المحركات لعملية إصلاح الاتحاد السوفيتي المعروفة بـ "بيرسترويكا": أرسل برنامج "السوفيت يتعرفون على وسط أمريكا" (The Soviets Meet Middle America)، الذي أسسه مركز مهتم بمبادرات للتقريب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، مئات المواطنين السوفيت للولايات المتحدة. وقد أصبحوا سفراءً ثقافيين وعملوا على تفنيد الأفكار النمطية المتبادلة.

بالتالي، فإن مشكلة التصور السائد تجاه الدبلوماسية العامة وسط الدوائر الإعلامية والسياسية والتجارية تُعد أيضاً عقبة كبيرة. ما التصور السائد تجاه دبلوماسية المواطن؟

أولاً، مشاريع التواصل بين الشعوب ليست جذابة من وجهة النظر التجارية لأنها ذات طبيعة تعليمية وإنسانية. لكن الأوساط التجارية ربما تدعم مبادرات الدبلوماسية العامة من أجل الدعاية عبر تشجيع الأعمال الخيرية. ثانياً، من الصعب تقييم الدبلوماسية العامة، لأنها تسعى لتحقيق أهداف طويلة الأمد. علاوة على ذلك، فإن النتيجة المهمة لتلك الدبلوماسية ليست مادية: فهي تتعلق بكسب القلوب والعقول واستثارة التعاطف. من الناحية الكمية، من الصعب جداً تقييمها.

ثالثاً، نظراً لافتقارها للفائدة التجارية، فإن الدبلوماسية العامة تكسب الدعم بصورة رئيسية من مراكز الأبحاث والمعاهد السياسية، التي تستخدم في أحيان كثيرة الروابط الإنسانية وعمليات التبادل المهني لتحقيق أهدافها

الأيدولوجية والترويج لأجندتها الحزبية. بالتالي، فإن الدبلوماسية العامة يُنظر إليها باعتبارها دعاية راقية أو خفية. يزعم المتشككون أن الاستقلالية والحيادية والأمانة هي أمور صعبة المنال في الوضع السياسي الراهن، لأن هناك رعاة يحددون برنامج العمل.

بالطبع، يلعب الرعاة دوراً كبيراً في مبادرات الدبلوماسية العامة، لكن أي محاولة للربط بين انتماءات المراكز البحثية وبين جودة عمل تلك المراكز، يقوّض من فكرة الدبلوماسية العامة نفسها ويؤثر عليها سلباً. إن حقيقة ارتباط معاهد سياسية وأكاديمية برعاتها، لا يعني بالضرورة فقدان تلك المعاهد لسمعتها.

ما الواجب عمله؟

أولاً: إن مشكلة الدبلوماسية العامة معقدة وتتطلب نهجاً شاملاً. الأولوية القصوى اليوم بالنسبة لروسيا والغرب هي التعامل مع أزمة الثقة الخطيرة. من المستحيل الحديث عن التغلب على هذه الأزمة في المستقبل القريب، نظراً إلى تعنت واشنطن وموسكو، لكن المشكلة يمكن تخفيفها على الأقل عبر تكثيف الحوار انطلاقاً من القاعدة بين الخبراء والأكاديميين والطلاب الروس والغربيين. لقد فشلت قمة ترامب - بوتين المنعقدة في هلسنكي في شهر يوليو، لكن برامج التواصل بين الشعوب يمكن لها أن تنجح بالرغم من البيئة العدائية بين روسيا والولايات المتحدة.

ثانياً، ينبغي على روسيا والولايات المتحدة وأوروبا أن يتعلموا من جديد أساسيات الدبلوماسية الكلاسيكية: التوصل لحل وسط من أجل المصلحة العامة، وليست المصلحة الوطنية لبلد بعينه فقط. في هذا الوضع، ينبغي على المرء أن يكون واقعياً ومثاليًا. فواقعية روسيا ومثالية الغرب ليستا بالضرورة غير متطابقتين. بل يمكنهما تعزيز بعضهما الآخر. إن التنازل ليس علامة ضعف، بل علامة قوة ونضوج سياسي.

ثالثاً، ينبغي على روسيا والغرب الابتعاد عن استخدام الدعاية: فهي لا تخلق ثقة، لكنها تؤجج الشكوك. من الأفضل أن يتجنب الصحفيون الروس والغربيون الاتهامات والتشنيح المتبادل: من الضروري أن يستمع ويفهم الطرفان بعضهما الآخر.

رابعاً، يمكن استخدام التقنيات الهدامة ليس في تأجيج المواجهة السياسية، ولكن في توسيع الحوار. إن تنظيم حلقات دراسية شبكية ومؤتمرات عبر الفيديو، هو خطوة في الاتجاه الصحيح. علاوة على ذلك، فإن تأسيس مشاريع عملية وتفاعلية في الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، مثل أدوات التثبّت من الحقائق، هو مثال على التأثير الإيجابي للتكنولوجيات على الدبلوماسية العامة. وفي هذا الإطار، فإن مشروع فيس بوك المعروف باسم: "لنجعل الحقائق عظيمة مرة أخرى" هو مثال ناصع على هذا الأمر.

خامساً، من الأفضل لروسيا والغرب الفصل بين الدبلوماسية العامة والدعاية، والتركيز على فوارقهما الدقيقة. لا يسع المرء إلا أن يتفق مع "روبيرت بيشيل"، المدير السابق لمكتب معلومات الناتو في موسكو. هو يزعم أن الهدف الرئيس للدبلوماسية العامة هو تزويد الناس بالمعلومات والرد على أسئلتهم. هذا يعني إجراء نقاشات مفتوحة بشأن الخلافات والمشاكل. إن الدبلوماسية العامة مبنية على الحقائق والمعلومات الموثقة، أما الدعاية، الصريحة والخفية، فتهدف لتضليل الجمهور ونشر الأكاذيب. ثانياً، تُعد السمعة والمبادئ والحقيقة والمسؤولية والاحترام تجاه الجمهور أولويات قصوى للدبلوماسية العامة، وهو ما لا ينطبق على الدعاية التي لا تهتم بالسمعة والمبادئ

العالم وشبح سباق تسلح نووي جديد

*ميخائيل كورباتشوف

صحيفة (نيويورك تايمز) ٢١/١٠/٢٠١٨

قبل ٣٠ عاماً مضت، وقعت أنا ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية رونالد ريجان في واشنطن المعاهدة الأمريكية السوفييتية حول التخلص من الصواريخ متوسطة وقصيرة المدى. وللمرة الأولى في التاريخ، يتم التخلص من فئتين من الأسلحة النووية وتدميرهما. وقد كانت تلك هي الخطوة الأولى الشجاعة. وأعقبها في عام ١٩٩١ معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية، التي وقعها الاتحاد السوفييتي السابق مع الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الأب، وقد كان اتفاقنا حول عمليات تقليص كبيرة في الأسلحة النووية التكتيكية، ثم جاءت «معاهدة ستارت الجديدة» التي وقعها رئيسا روسيا وأمريكا مؤخراً في عام ٢٠١٠.

وبالطبع، لا تزال هناك أسلحة نووية كثيرة في العالم، وعلى رغم من ذلك، فإن الترسانتين الأمريكية والروسية هما الآن جزء مما كانتا عليه أثناء الحرب الباردة. وفي مؤتمر مراجعة منع الانتشار النووي في عام ٢٠١٥، كشفت كل من واشنطن وموسكو أمام المجتمع الدولي أن ٨٥ في المئة من هاتين الترسانتين قد تم تفكيكهما وتدمير الجزء الأكبر منهما. وفي الوقت الراهن، يتعرض هذا الإنجاز الهائل، الذي يحق لدولتنا أن تفخر به، للتدمير. فقد أعلن الرئيس دونالد ترامب الأسبوع الماضي خطة أمريكية للانسحاب من معاهدة الصواريخ النووية متوسطة المدى، وأن لدى بلاده النية لتصنيع أسلحة نووية.

وقد سئلت حول ما إذا كانت أشعر بالمرارة أن أرى زوال ذلك الإنجاز الذي عملت بجد لتحقيقه، لكن المؤكد أن المسألة ليست شخصية على الإطلاق، فهناك أمور أهم بكثير على المحك من مجرد الإرث الشخصي“ ذلك أن إعلان الرئيس ترامب يعني ضمناً الإعلان عن سباق تسلح جديد. ولن تكون معاهدة الصواريخ النووية متوسطة المدى الضحية الأولى لعسكرة الشؤون العالمية. ففي عام ٢٠٠٢، انسحبت الولايات المتحدة من معاهدة الصواريخ المضادة للبالستية، وخلال العام الجاري، انسحبت من الاتفاق النووي الإيراني. وقد قفزت النفقات العسكرية إلى مستويات فلكية، وتواصل الارتفاع.

وكذريعة للانسحاب من معاهدة الصواريخ النووية متوسطة المدى، اعتمدت أمريكا على انتهاكات مزعومة لبعض أحكام المعاهدة. وقد أثارت روسيا مخاوف مماثلة بخصوص الالتزام الأمريكي، لكن موسكو تقترح في الوقت نفسه مناقشة القضايا على مائدة المفاوضات من أجل التوصل إلى حل يقبله الطرفان. غير أنه خلال السنوات القليلة الماضية، تحاشت واشنطن مثل هذه المناقشات. وأعتقد أن السبب واضح الآن.

ومع وجود إرادة سياسية كافية، فإن أية مشكلات في الامتثال للمعاهدات الموجودة يمكن حلها. لكن مثلما شاهدنا خلال العامين الماضيين، يبدو أن لرئيس الولايات المتحدة هدفاً مختلفاً اختلافاً كبيراً يضعه نصب عينيه، وهو إعفاء أمريكا من أية التزامات وأية قيود، وليس فقط بخصوص الصواريخ النووية.

وقد أخذت الولايات المتحدة على عاتقها زمام المبادرة في تقويض نظام المعاهدات والاتفاقات الدولية بأسره، والذي كان ركيزة أساسية للسلام والأمن عقب الحرب العالمية الثانية.

وعلى رغم من ذلك، أنا مقتنع اقتناعاً تاماً بأن من يأملون في الاستفادة من عالم يتنافس فيه الجميع ويتصارعون هم واهمون تماماً، ولن يكون هناك فائز في «حرب الجميع ضد الجميع»، وخصوصاً إذا انتهى بها المآل إلى حرب نووية. وهذا أمر محتمل لا يمكن استبعاده في ظل المعطيات الراهنة. ولن يؤدي سباق تسلح شديد وتوترات دولية وغياب ثقة عالمية إلا إلى زيادة المخاطر.

هل فات أوان العودة إلى الحوار والمفاوضات؟ لا أرغب في فقدان الأمل.. ويحدوني الأمل أن تتخذ روسيا موقفاً صارماً ولكن متوازناً. وأمل أن يرفض حلفاء أمريكا، ببصيرة نافذة، أن يكونوا منصات إطلاق لصواريخ أمريكية جديدة. ويحدوني كذلك الأمل أن تتخذ الأمم المتحدة، وخصوصاً الدول الأعضاء في مجلس الأمن، المفوضة بموجب ميثاق الأمم المتحدة بمسؤولية حفظ السلام والأمن الدوليين، إجراءً مسؤولاً.

وفي مواجهة هذا التهديد الرهيب على السلام، أؤكد أننا لا نقف عاجزين، ولن نتخلى عن مسؤولياتنا، ويجب ألا نستسلم.

آخر رئيس للاتحاد السوفييتي

الربع الاخير نوفمبر 2018

المسؤولية والمساءلة الحكومية

*د. باسم الطويسي

صحيفة (الغد) الأردنية: ٢٠١٨/١١/٣

استقالة وزير السياحة والتربية والتعليم مع بدء لجان التحقيق المتعددة في فاجعة البحر الميت تثير الكثير من الأسئلة حول المسؤولية والمساءلة الحكومية وحدودها " سواء عن نوعية الأخطاء التي وقعت في إدارة الأزمة وعن حدود المسؤولية القانونية والإدارية والأخلاقية التي تقع على كل منهما وحول كفاءتهما وما حققاه من إنجازات.

فلا شك أن ثمة أخطاء مزمنة في أداء الوزارتين تراكمت وأسهمت بشكل مباشر وغير مباشر في وقوع هذه الفاجعة وهو ما نتوقع أن تصل إليه لجان التحقيق. ومن المتوقع أن ينال الأمر وزارات وجهات أخرى، ولكن هذا لا ينتقص من كفاءة الوزيرين ولا من تاريخهما ما يجعل الاستقالات تصنف في باب الاستقالات السياسية والأخلاقية التي تحتاج البلاد أن ترسي تقاليد واضحة وراسخة لممارستها.

الخروج من الصدمة، يعني أن لا نبقى في الدوار المزمّن الذي أبقى الغشاوة على العيون وأوهمنا أن المؤسسات والنخب تعمل " ثمة مستوى من الترهل في الصفوف الثانية والثالثة من الإدارات الحكومية حان الوقت لمساءلتها وإخضاعها للمسؤولية، يتحمل الوزراء المسؤولية السياسية وأحيانا القانونية أيضا هذا صحيح، لكن ثمة مستويات مترهلة في الأداء العام سهلت العبث في الرحلات المدرسية وسهلت غض النظر عن مكاتب سياحية غير مرخصة، وثمة مسؤوليات من مستوى مختلف أبقتنا إلى هذا اليوم لا نستطيع الإجابة على أسئلة أساسية، لا ندري إلى من تعود الولاية الإدارية على منطقة مثل وادي زرقاء ماعين.

صدمة فاجعة البحر الميت تحتاج اليوم إلى البحث الجدي والحفر عن أساسات الترهل والاسترخاء الذي أصاب أركان الدولة وجعلها ثقيلة وبطيئة في الحركة والاستجابة، لا أن نكتفي في البحث عن كبش الفداء مرة في إحالة إرث متراكم من رداءة الأداء العام إلى أخطاء ارتكبتها مدرسة ومرة بالتضحية بوزيرين فالمسألة التي قد لا تتحمل الكثير من جوانبها هذه الحكومة.

أكبر من كل ذلك أنها أزمة كفاءة الدولة التي أصبحت موضع السؤال وسوف تصبح هذه الحكومة مدانة مثل غيرها إذا ما التقت هذه الفاجعة لإعادة صب زيت كثيف على محركات ماكنة الدولة وبدأت بمراجعة جريئة.

تعيش الدولة الأردنية أزمة إدارة حقيقية متدرجة كل يوم يزداد حجمها وتتسع قاعدة انتشارها.

أما نتائجها الفعلية، فقد بدأت تلمس منذ صيف العام ٢٠٠٩، وعنوانها الأبرز والأكثر وضوحا هو تراجع كفاءة الدولة وتمادي حالة الاسترخاء، حتى باتت اليوم كأنها تكتفي بمجرد إدارة هذا الاسترخاء، على نحو ما يبدو ذلك في العديد من الوزارات والمؤسسات المستقلة، والجامعات، والدوائر الخدمية.

وقد كانت تلك نتائج مراحل ليست بالقصيرة من تراجع الأداء العام، بينما ساهمت المقاربة السياسية في التعامل مع الاحتجاجات الشعبية بعد العام ٢٠١١ في كشف هذا الضعف، حينما كان استرخاء الأداء العام شبه قرار رسمي، ولم يلمس قرار آخر باستعادة الولاية والكفاءة.

إعادة اكتشاف قوة الدولة تتطلب اليوم رؤية جديدة، تُعنى بإعادة تعريف الإدارة العامة في سياق الأزمة الاقتصادية الراهنة. وفي ظل التوقعات القاتمة، وما ترتبه من تداعيات التنافس الشرس والتهديدات القائمة والمنتظرة، مقابل الفرص المتاحة والمتوقعة، تتطلب هذه الرؤية إعادة تعريف علاقة المواطن بالدولة، وعلاقة

القطاع العام مع القطاع الخاص، ومنح جرعة من القوة لمنظومة فاعلة وجادة من إجراءات النزاهة واجتثاث مصادر الفساد و الترهل والاسترخاء ثم وضع مقاربة للكيفية التي يجب أن يعمل كل من التحديث والأتمتة في تحسين الأداء العام وزيادة الكفاءة وسرعة الاستجابة.

يبدو اليوم أن شروط إصلاح إداري ثوري " أي جريء وليس انقلابيا، يتمثل في استعادة دور القانون ونفاذه، ثم تحديث الإدارة والقدرة على الإزاحة والإحلال في النخب، وقبل ذلك توفر الإرادة السياسية الجادة لاستعادة كفاءة الدولة بالفعل.

الحدث والتأويل: بين الداخل والخارج

*سعيد ناشيد

مركز ناشيد للتأويل الفلسفي: ٢٠١٨/١١/٣

دعنا نعتزف أولا بأن هناك مشكلة في التعامل مع الأحداث، لا سيما في هذا "الشرق الأوسط الكبير"، والذي لا نعرف ماذا يتوسط بالضبط أو على وجه التحديد، وحيث تختلط الحقائق بالمقدّسات، والمعرفة بتصفية الحسابات، والتاريخ بالخرافات.

تتعلق المشكلة بالأهمية التي يجب أن نمنحها للعوامل الداخلية مقارنة بالعوامل الخارجية. المسألة معقدة بعض الشيء. لكن، في كل الأحوال، هناك شيء سبق أن تعلمناه من الأدبيات الماركسية إبان "سنواتها السمان"، وأظنّه، بصرف النظر عن مآلات الماركسية اليوم، لا يزال ساري المفعول: تنقسم الأسباب إلى نوعين، نوع يندرج ضمن العوامل الداخلية، ونوع ثان يندرج ضمن العوامل الخارجية. وفي هذا الإطار تُمنح الأولوية للعوامل الداخلية، والتي يُصطلح عليها باسم العوامل الأساسية أو الحاسمة.

شيء آخر تعلمناه: العوامل الخارجية لها دور ثانوي، لكنه دور لا يمكن إغفاله. والسؤال دوماً، كيف نحقق التوازن المطلوب في الرواية والتحليل بين أولوية العوامل الداخلية وعدم استبعاد دور العوامل الخارجية؟ هل نقطة التوازن هي نقطة الوسط؟ هيهات فإن هندسة الواقع أشدّ تعقيداً، ونقطة التوازن لا تكون دائماً في الوسط. مشكلة أخرى، استحضار العوامل الخارجية وإن كان يمثل رهانا معرفياً وضرورة علمية، إلا أنه قد يخفي في نفس الآن فحاً أخلاقياً كبيراً، حين تصبح العوامل الخارجية فرصة للتوصل من مسؤولية الذات ومحاسبة النفس فيما آلت إليه الأحوال. لكن، في المقابل علينا أن نعتزف بهذا: إن استبعاد العوامل الخارجية قد يجعل معطيات التحليل ناقصة. نحن أمام مشكلة، تتعلق بتحديد نقطة التوازن بين العوامل الأساسية (الداخلية) والعوامل الثانوية (الخارجية).

هناك عوائق كثيرة تعيق إمكانية تحقيق التوازن الذي يحفظ أولوية العوامل الداخلية دون استبعاد للعوامل الخارجية، وعلى رأسها أننا بقدر ما ندين الآخر وننتهمه فإننا نضخم دوره (أوروبا، أمريكا، إسرائيل، تركيا، إيران..)، وهذا بسبب آثار الظاهرة الاستعمارية، لدرجة أن الكثيرين يتوهمون بأن الغرب يفعل بنا ما يشاء، متى يشاء، وكيفما يشاء. وهذا سوء تقدير ناجم عن استيهامات المرحلة الاستعمارية. وفي الأساس، لا يوجد استعمار إلا حين توجد القابلية الذاتية للاستعمار. ولا يوجد تقسيم إلا حين توجد القابلية الذاتية للتقسيم، وأيضاً لا يوجد تطرف إلا حين توجد القابلية الذاتية للتطرف. الأصل هو القابلية الذاتية أولاً. حين يعاني جسم الإنسان من نقص في المناعة الداخلية فإن أي فيروس خارجي سينال منه حتى ولو لم يتقصده، حتى ولو تجرعه بنحو عرضي أو بمحض الصدفة.

ما يحدث في المنطقة العربية من مأس ناجم عن خلل في البنية الداخلية لهذه المجتمعات. إنه خلل ثقافي دفين فينا. وهنا تكمن مشكلة أخرى، عادة ما نبخس من قيمة الثقافة فنحصرها في مهرجانات وندوات وجامعات. والحال أن الثقافة هي البنية الثابتة في الوعي الجمعي واللاوعي الجمعي للشعوب. إن ما يحدث في الأوطان هو انعكاس لما يحدث في الأذهان. وما يحدث في الأذهان هو المضمون الفعلي لكلمة الثقافة.

صحيح أن للعوامل الخارجية دوراً، لكن لا بد من الحفاظ على الترتيب، الأولوية دائماً للعوامل الداخلية. ومثلاً، نعتزف بوجود قوى عالمية لها مصالح قد تتقاطع مع مصالحنا (التي لم نتوافق حولها بعد)، لكن هل نحن فعلاً مجرد أدوات؟ عادة ما نسأل عما تريده أمريكا هنا الآن، أو ما تريده إسرائيل هنا الآن، أو ما يريده الأوروبيون، أو روسيا "القيصرية" أو إيران "الصفوية" أو تركيا "العثمانية"، لكننا لا نطرح السؤال الأساس: ماذا نريد نحن بالذات؟ وهل توافقنا حول من نحن؟ وهل حدّدنا المشروع المستقبلي الذي يجب أن يجمعنا؟ أم سنظل ننظر إلى الماضي؟ شيء آخر نتعلمه من اللغة العربية: كان فعل ماض ناقص، والنقص يطال الوجود والزمان.

غياب المصداقية والموضوعية عن الإعلام

*د. عماد بوظو

الحرّة (شبكة الشرق الأوسط للإرسال) (أم. بي. أن) ٢٠١٨/١١/٣٠

"السلطة الرابعة"، مصطلح تم استخدامه في الماضي للإشارة لوسائل الإعلام في محاولة لتضخيم دورها عبر وضعها كسلطة حقيقية بعد السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية. لكن ما نشاهده منذ بضع سنوات، خصوصا في الولايات المتحدة الأمريكية، حول الدور المتزايد لوسائل الإعلام في الحياة السياسية تجاوز كل ما كان معروفا سابقا. لم تعد تقتصر مهمتها على نقل الأخبار والآراء، بل وصلت إلى لعب دور المحقق وجامع الأدلة والمدعي العام، مثل ما تقوم به في التحقيقات حول التدخل الروسي في انتخابات ٢٠١٦، أو حول أسباب ومضاعفات بعض قرارات الإدارة الأمريكية أو للتشكيك في كفاءة بعض الشخصيات المرشحة لمناصب حكومية.

استخدم الإعلاميون أساليب جديدة في مهمتهم تلك، منها نشر معلومات أو وثائق خاصة أو حساسة أو محرّجة تم الحصول عليها من متعاونين من أجهزة الدولة أو من طرف الخصم السياسي" وبمجرد إيصال هذه المعلومات لملايين المشاهدين أو القراء تصبح قضية رأي عام ووسيلة للضغط على السلطة التنفيذية أو التشريعية لمنعها من اتخاذ أحد القرارات أو المضي في سياسات معينة.

نجد هذا الأسلوب في بعض الحالات وفشل في بعضها الآخر" لذلك فقد تميزت تغطية الإعلام الأمريكي خلال السنوات الأخيرة بالإنارة والتشويق حتى استطاعت في بعض التحقيقات الصحفية منافسة هوليوود، عاصمة السينما العالمية، وأصبح كثير من الأمريكيين يضعون برنامجهم اليومي مع ضمان التفرغ في ساعات محددة لمتابعة برنامجهم السياسي المفضل.

نتيجة لذلك، من الطبيعي أن تكون الشخصيات الإعلامية التي يشاهد برامجها أو يقرأ مقالاتها ملايين الأمريكيين أكثر شهرة من أغلب السياسيين، وأن يسعى الرؤساء والقادة السياسيون للتقرب من الإعلاميين والعمل على اكتساب ودهم والاستماع لنصائحهم والاستفادة من خبرتهم الطويلة.

بينما يرى بعض الأمريكيين في ما يحدث مؤشرا سلبيا على زيادة حدة الصراع السياسي داخل الولايات المتحدة، كان كثير من شعوب العالم يغبطون الأمريكيين على الحرية التي ينعمون بها وعلى قدرتهم على التعبير عن آرائهم ومواقفهم مهما كانت، وعلى متانة نظامهم الديمقراطي وخاصة لجهة فصل السلطات فيه حيث يجهد كل قسم للقيام بدوره كاملا، بانتظار أن يذهب الأمريكيون الذين يتابعون هذه البرامج المختلفة والمتناقضة في رؤيتها السياسية، إلى صناديق الاقتراع، التي ستحدد من سيتولى السلطة التنفيذية والتشريعية للسنوات القليلة المقبلة ومن كان الأكثر نجاحا من الإعلاميين والسياسيين في التأثير على الرأي العام.

في الوقت الذي يعيش فيه الإعلام الأمريكي قمة مجده، يشهد الإعلام العربي انحدارا غير مسبوق. ففي لبنان الذي كان الواحة الوحيدة للصحافة والإعلام الحر خلال النصف الثاني من القرن الماضي نتيجة سيطرة ديكتاتوريات عسكرية على الحواضر الثقافية في الشرق الأوسط كالقاهرة وبغداد ودمشق، تم إغلاق معظم الصحف والمجلات العريقة، وبقيت صحف محدودة لا يمت معظمها لمهنة الصحافة بصلة. وكانت تلك النهاية الطبيعية لسلسلة طويلة من عمليات اغتيال منظمة طالت الكثير من الأقلام الحرة والمفكرين الاستقلاليين من سليم اللوزي حتى سمير قصير وجبران تويني والشهيدة الحية مي شدياق، إلى جانب الملاحقة القضائية لآخرين.

واقصر ما يمكن مشاهدته من البرامج التلفزيونية في المحطات اللبنانية حاليا على بعض البرامج الكوميديية الخفيفة أو برامج المنوعات التي يتابعها البعض بسبب جراتها مقارنة مع بقية الإعلام العربي من ناحية محتواها أو الأزياء التي يتم ارتداؤها. أما من الناحية السياسية، فالإعلام اللبناني اليوم لا يختلف كثيرا عن الإعلام الموجه في أي نظام ديكتاتوري بعد نجاح "حزب الله" في زرع الخوف عند كثير من الإعلاميين والمنتقنين والسياسيين اللبنانيين. وتشهد مصر تراجعاً كبيراً أيضاً. فهذا البلد الذي ولدت فيه كبريات الصحف والمجلات العربية التي سيطرت إعلامياً وثقافياً وفنياً طوال القرن الماضي على الساحة الثقافية العربية، يخسر دوره تدريجياً. وقد برزت في القرن الماضي أسماء لامعة في الصحافة والإعلام مثل علي أمين ومصطفى أمين ومحمد حسنين هيكل، رغم أن الأنظمة التي تعاقبت على مصر خلال ذلك الوقت، كانت بعيدة عن الديمقراطية لكن هذه الشخصيات نجحت في ترك مسافة بينها وبين الحكام.

أما خلال السنوات الأخيرة فقد غابت الأسماء الكبيرة عن الإعلام المصري المرئي والمقروء، وأصبحت البرامج السياسية دعاية مباشرة فجّة للسلطة. وتحولت البرامج الحوارية في معظمها إلى ساحة للمناقشات الحادة والمهاترات يتم في بعضها استخدام ألفاظ غير لائقة بحق بعض الأشخاص وحتى بحق شعوب كاملة بطريقة لا تتماشى مع الماضي الرصين للإعلام المصري. ولم ينعكس تحسن الاقتصاد المصري على الإعلام، إذ في كل فترة يحال بعض الإعلاميين للقضاء بتهم مختلفة أو يغادر بعضهم خارج مصر نتيجة ما يشعرون به من قيود على حرية التعبير. أما من ناحية الإعلام الخليجي، فإن الفضائيات الخليجية، التي سيطرت على المشهد الإعلامي العربي في العقدين الأخيرين مستفيدة من القدرات المالية والخبرات التي استقطبتها من مختلف البلدان العربية، بدأت تخسر بريقها تدريجياً.

فقد شهدت السنوات الأخيرة، خصوصاً بعد "الربيع العربي"، ازدياداً كبيراً في حدة الخلاف السياسي والإعلامي، وأثار التزام المنابر الإعلامية الخليجية بالتوجهات السياسية لدولها الشكوك حول مقدار موضوعيتها ومصداقيتها. وتحولت بعض الفضائيات الخليجية إلى ساحات حرب إعلامية شرسة استخدمت خلال مختلف الأدوات الممكنة. وبدا أن بعض هذه الفضائيات تستنسخ في أوقات سياسية خطابها من خطابات الإعلام القومي القديم، الحماسية المليئة بالتهديدات غير الواقعية على طريقة أحمد سعيد في صوت العرب في ستينيات القرن الماضي، أو الصحف العراقي مطلع القرن الحالي.

يُضاف إلى هذا، ظاهرة ارتهان عدد كبير من الصحافيين العرب بشكل مفضوح لبعض الأنظمة العربية، وتحولهم إلى أبواب لدى هذه الأنظمة للدفاع عن سياساتها.

نتيجة لذلك لم يعد بإمكان أي أداة إعلامية في الوطن العربي ادعاء الموضوعية، وإذا أراد المواطن في هذه البلدان الحصول على معلومات على درجة من المصداقية فلم يبق أمامه سوى البحث عنها خارج الحدود، كما كان الحال في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي عندما كان المواطن العربي يستمع لصوت أمريكا أو هيئة الإذاعة البريطانية أو صوت إسرائيل ليعرف حقيقة ما يجري داخل بلده.

أزمة الديمقراطية في السياسة العربية المعاصرة

* محمد الجوادى

الجزيرة (بوابة المعرفة)؛ ٢٠١٨/١١/٤

مع أن تعريف الديمقراطية معروف وملاحظها الفكرية والعملية لا خلاف عليها في الأدبيات العالمية فإن الفكر السياسي العربي تعمد إساءة استعمال المصطلح على نحو غير مسبوق في التجارب السياسية الدولية. ومن باب إحقاق الحق فإننا نلاحظ أن الجماعات الأيديولوجية لم تشارك على الإطلاق في إساءة استعمال مصطلح الديمقراطية، حتى وإن كانت قد تحنبتها تماما.

وينطبق هذا على معظم جماعات ما يُعرف بجماعات الإسلام السياسي، وعلى حركة البعث العربي وحركة القوميين العرب، وكثير من حركات التحرير الفلسطينية وغير الفلسطينية.

وفي المقابل فإن إساءة استعمال مصطلح الديمقراطية وما يرتبط به قد حدثت على يد ما يُعرف بالنظم الثورية المتولدة عن وصول العسكر للسلطة، وتقديمهم لأنفسهم على أنهم ديمقراطيون بما في ذلك ما حدث مرات من النص في اسم الدولة على صفة الديمقراطية، ثم محاربة الديمقراطية نفسها حربا شعواء تحت هذه المظلة.

وليس من شك في أنه كانت هناك أكثر من تجربة سياسية عربية اشتبكت بقسوة مع الديمقراطية وأثخنها جراحا، مع حرصها على نسبة تصرفاتها للديمقراطية. لكن أبرز هذه التجارب في هذه المعركة المريرة والمحبطة كانت التجربة الناصرية.

ومن المدهش - بل المذهل - أن أكثر من ساهم في إضفاء هذا التحول القاسي على الناصرية هي الولايات المتحدة الأمريكية. ومن المدهش - بل المذهل - مرة أخرى أن هذا هو موطن العبرة من التجربة التي تتكرر الآن في أكثر من موقع بمحيطنا العربي، من دون انتباه كافٍ من الساسة والمنظرين.

وليس من قبيل المبالغة القول بأن أولى سمات الفكر السياسي في شخصية الرئيس جمال عبد الناصر كانت كفره التام بالديمقراطية وعداؤه الصريحة لها، ونحن نفهم أن هذا هو الطابع المسيطر على العسكريين في كل زمان ومكان لكن الرئيس جمال عبد الناصر كان مبالغا في هذا الكفر وهذا العداء لأسباب جوهرية وأخرى مرحلية.

بل إنه من العجيب أن الأسباب التي كان يُحتمل أن تجعله يُكنّ قدرا من الحب والتقدير للديمقراطية لعبت براءة ضد الديمقراطية وضد حباها على طول الخط، ذلك أنه بدأ نشاطه السياسي في تنظيمات الأقلية التي ترفع شعار الديمقراطية بينما هي تعاديها وتكفر بها تماما، بل وتعمل على القضاء عليها انطلاقا من أهداف تبدو نبيلة للغاية والمعتقد.

والمثل في ذلك هو جماعة "مصر الفتاة" التي شكلت الوعي السياسي لعبد الناصر، وحين آثر أن يترك "مصر الفتاة" فإنه ترك الأشخاص ولم يترك الفكرة الفاشية، بل إنه - شأن كل شاب من أمثاله - ازداد اعتصاما بالفكرة ليدين بها الأشخاص أو الزعامات التي رآها أقل من أن تحمل روح الفكرة.

وهكذا فإن الرئيس جمال عبد الناصر - شأنه شأن كل المنشقين عن "مصر الفتاة" من الشباب - كان فاشيا أكثر من المتعقلين، الذين بقوا في "مصر الفتاة" ليحافظوا للحركة - ثم للحزب - على مكانة ما في الشارع السياسي.

وإذا بحثت فيما انتقد به عبد الناصر قياداته السابقة في "مصر الفتاة" مبرا به خروجه عليهم فستجده لا يتحدث إلا عن تجاوزات مالية، أما الفكرة الفاشية نفسها فكانت لا تزال حتى مماته تأخذ بلبه وتشغل فؤاده، بل وتزداد تألقا ولمعانا في ذهنه وذائقته على حد سواء.

وهكذا فقد أضاف الرئيس جمال عبد الناصر كرهه الفاشية للديمقراطية إلى كرهه العسكرية للديمقراطية، ثم تبلورت قمة كراهيته للديمقراطية في مرحلة ما بعد نجاح حركة الجيش، عبر ما كان يخرج به من مناقشاته ومناقشات زملائه مع الأمريكيين (الذين كان يلقبهم منذ ما قبل الثورة وفي أعقابها مباشرة).

فقد فهم من هؤلاء الأمريكيين - بكل وضوح - أنهم لا يتقون في إمكان التعاون مع حزب الوفد لسبب جوهري، هو أن الوفد كان يفوز في الانتخابات بسهولة، ومن ثم فإنه كان يؤمن بالشعب ويحرص على أصوات الناخبين.

ولهذا السبب فإن الأمريكيين كانوا يصرحون لعبد الناصر بأنهم لا يرحبون بالانتخابات لأنها ستأتي بالوفد، بل وأكثر من هذا فإنه فهم - بكل وضوح - أن تأييدهم له مرتبط بقدرته على تأجيل الانتخابات والتسويق بها، حتى لا يعود الوفد إلى الحكم واتخاذ القرار.

نحن نفهم -من برجننا العاجي الآن- جوهر السبب في أن الأمريكيين لم يكونوا على استعداد للتعامل مع قوة وطنية تستند إلى صندوق الاقتراع، لكننا سنكون متجئين على عبد الناصر إذا طالبناه بأن يكون واعيا لهذا العداء الأمريكي لإرادة الشعوب، حين كان في المرحلة السنوية التي كان لا يزال فيها حين تناقش مع الأمريكيين. ونحن نعرف ونفهم أن الأمريكيين كانوا يشغلون الوقت بما يتحدثون به عن الإنجاز التنموي، وعن إلحاح الحاجة إلى الإنجاز من أجل رفع المستوى الاجتماعي والاقتصادي.

ونعرف بالطبع أنهم كانوا يعزفون السيمفونية القائلة بأن الإنجاز لا يمكن أن يتحقق في ظل روح الحزبية التي تنتقد جهود الآخرين، ولا في ظل الديمقراطية التي تتطلب التصويت وموافقة البرلمان، ولا في ظل بقاء هذه الزعامات الليبرالية القديمة وما تمثله من صراعات على المصالح.

هكذا أصبح الرئيس عبد الناصر -بشبابه وبقلته خبرته وبفهمه المتأثر بتوجهه الثوري (اليميني أو الفاشي)- أسيرا للفكرة التي مؤداها أن الإنجاز التنموي يتطلب -بل يحتم- التضحية بالديمقراطية، وكان هذا في الواقع هو قمة نجاح الأمريكيين في تشكيل وعيه عبر مناقشات مستفيضة، كان معروفا لهم أنها لا بد أن تنتهي إلى هذه النتيجة.

وخذ مثلا موضوعا أو إنجازا كالإصلاح الزراعي بكل ما عُرف به في الأدبيات التاريخية والعالمية من مزايا وعيوب، وتأمل معي صورة الرئيس جمال عبد الناصر حين يستمع في الصباح إلى علي ماهر باشا وهو يشرح له عيوب مثل هذا القانون، فإذا به يكتشف أنها هي نفسها العيوب التي قالها له الأمريكان في الليلة السابقة.

إن أي زعيم من المخضرمين (من طبقة علي ماهر باشا) سيبيدها له، ثم إنه سيستمع إلى الإخوان المسلمين فيذكرون له حكم الشرع تجاه حقوق الملكية، فإذا هو نفسه ما ذكره له الأمريكان في الليلة السابقة، وهم يصورون له موقف ما يطلقون عليه مصطلح الرجعية الدينية" على حد تعبيرات الاقتصاديين الحريصين على التظاهر باليسارية. وهكذا استطاع الأمريكان أن يؤكدوا ما كانت عقلية الرئيس جمال عبد الناصر قد مضت إلى بلورته، بالسير في الاتجاه الذي يحارب الديمقراطية بلا هوادة من أجل الإنجاز.

وأنت إذا كنت من هواة المسرح، وتسارعت دقات قلبك إحساسا بالخوف عليه وهو تحت هذا التأثير المعرفي المزيف" فإنك ستحس أيضا بالتعاطف التام معه مهما كانت تجاوزه في سبيل ما ظنه واجبا عليه.. ولن تلقى بالألم يقول لك إنه أحب التسلط لأنه متسلط بطبعه، ولا لأنه عاجز عن العدل أو الفهم أو الاستيعاب.

وهكذا تشكل وعي الرئيس جمال عبد الناصر بعد أن قامت ونجحت حركة ١٩٥٢ ليكون دكتاتورا مطلقا، غير قابل للعودة إلى أية درجة من درجات الديمقراطية بأية صورة من الصور.

وفي مقابل أزمة غياب الديمقراطية وما ترتب عليها" فقد كان أسوأ ما ابتلي به عبد الناصر هو تنظيماته السرية التي تبدو في بعض الكتابات التاريخية محل إعجاب المراقبين، دون أن يكون لها الحق في الاستحواذ على هذا الإعجاب.

لقد كانت متاعبها أكثر بكثير من فوائدها، لكن عبد الناصر ظل مقتنعا بضرورة هذه التنظيمات بحكم انتمائه السابق وانتماء أقرانه للعمل السري (في النظام الخاص للإخوان أو في الحرس الحديدي أو في التنظيمات الشيوعية... إلخ)، أو بحكم إعجابه بهذه النماذج من التنظيم الهادف المحكم، أي إنه تنظيم ذو هدف محدد وطبيعة محكمة.

ومن عجائب الحياة -التي لا يندهش لها المشتغلون بالأدب- أن كل المصاعب والانتقادات التي وُجّهت إلى الرئيس جمال عبد الناصر وتجربته -في حياته وبعد مماته- جاءت ممن انضوا تحت راية هذه التنظيمات ونظائرها، وفي مقدمتها التنظيم الطبيعي ومنظمة الشباب الاشتراكي.

صحيح أن هذه التنظيمات لم تصبح تنظيمات معارضة للرئيس عبد الناصر ونظامه، لكنها أصبحت بمثابة المورد والمعين الذي وفر الأدبيات والحركيات التي كانت ضرورية لتشريح ونقد ثم تمزيق صورة التجربة الناصرية.

حين تكرس الصورة الوعي الزائف عربياً

*نديم الوزة

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/١١/٤

بعد اكتشاف المحاكاة البصرية للتعبير عن التفاعل الفني الفطري مع الطبيعة، وموجوداتها المؤثرة على وجود الإنسان، تحولت هذه المحاكاة إلى نوع من التقديس للصور والتماثيل. ومع أن هذه الصور تطورت إلى نوع من اللغة التداولية كما هي الحال في الكتابة الهيروغليفية، إلا أن معاملة الصور والتماثيل كأجساد حيّة وتقدّم لها الأضاحي والندور، بقيت شائعة حتى ظهور الإسلام، الذي حرّم عبادة التماثيل بدوره، ويعرف الجميع حكاية تحطيم التماثيل من جانب الأنبياء قبل الإسلام أيضاً.

وربما يكون تحريم هذه العبادة منطقياً، أو عقلاً باعتبار أن العقل السليم لا يقبل أن يعبد الإنسان التماثيل التي يصنعها بيديه ومن مواد أرضية. وفي المقابل، يبدو تحريم التصوير في حد ذاته مستغرباً، لأنه يستمر في التعامل مع الصورة كشياء حيّة، وليس فناً من الفنون، أو محاكاة للواقع، أو المبالغة فيه، كما هي حال الصورة الشعرية.

صحيح أن الدول المستبدة مثل روسيا اللينينية وألمانيا هتلرية، تعاملت مع صور الزعماء وتماثيلهم بقداسة. لكن هذا الشبه بقي نفسياً، ويجد معادله الموضوعي في شخصية إنسانية مثل ستالين مثلاً، ذات سمات قاسية، ومرعبة، وليس لها بعد ميتافيزيقي، أو لا تخضع للتفكير الأيديولوجي، واستمرت الشخصية العربية والإسلامية بوجه عام في التعامل مع الصور والتماثيل من منطلق المحرّم.

وربما قلّد مستشارو السلطات العربية والإسلامية نظراءهم في روسيا وألمانيا لنشر الاستبداد من خلال مفهوم الزعيم وصوره وتماثيله. أو ربما كانوا على دراية بهذا الوعي الاستيهامي للشخصية العربية والإسلامية، فأخذوا بإشاعة صور الزعماء وتماثيلهم ليظهروا في وعي الشعوب - غير العقلانية بموروثها عن عصر الانحطاط - ثابتين لا يمكن إزالتهم.

لا أريد أن أتحدّث عن المردود السلبي لنشر هذا النوع من الوعي على ضرورات التنمية البشرية التي تحتاجها الشعوب العربية والإسلامية، فهذا شيء قد لا تهتمّ به سلطات هذه الشعوب. وهي لن تعي خطورته إلا في اللحظات الحرجة حين يهدّد وجود هذه السلطات ذاتها.

وأكتفي بما فعله «داعش» وأشباهه من تحطيم للتماثيل التي هي في نظر الأمم المتحضرة إرث إنسانيّ تنبغي حمايته.

ولكي أذكر أطرف ما حصل أثناء احتلال الولايات المتحدة الأمريكية للعراق، وكيف استفادت من هذا الوعي الزائف حين جعل خبراء الجيش الأمريكيّ من احتلال بغداد شيئاً محققاً بسقوط تمثال الرئيس وليس بسقوط الرئيس ذاته، ليحققوا صدمة مروّعة في وعي الجيش العراقي والموالين له آنذاك، وعلى ما بدا كان لهم ما أرادوا.

* كاتب سوري

مفهوم الحكم الرشيد واساسياته

*حسن العطار

ايلاف: ٢٠١٨/١١/٤

يعرف البنك الدولي مفهوم الحكم الرشيد بأنه: الطريقة التي تباشر بها السلطة في إدارة موارد الدولة الاقتصادية والاجتماعية بهدف تحقيق التنمية، ويبدو جليا أن هذا المفهوم يتسع لأجهزة الحكومة كما يضم غيرها من المؤسسات المحلية ومؤسسات المجتمع المدني. ويثير هذا المفهوم أهمية قواعد السلوك وشكل المؤسسات، وأساليب العمل المرعية بما تتضمنه من حوافز للسلوك.

أما الحكم الرشيد من منظور التنمية الإنسانية: فيقصد به الحكم الذي يعزز ويدعم، ويصون رفاه الإنسان، ويقوم على توسيع قدرات البشر وخياراتهم وفرصهم وحياتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، لاسيما بالنسبة لأكثر أفراد المجتمع فقرا. وتعرف منظمة الشفافية الدولية الحكم الرشيد بأنه: هو الغاية الحاصلة من تكاتف جهود كل من الدولة والقطاع الخاص والمجتمع المدني ومختلف المواطنين في مكافحة ظاهرة الفساد، بداية من جمع المعلومات وتحليلها ونشرها لزيادة الوعي العام حول الظاهرة، وخلق آليات تمكن هذه الأطراف من القضاء على الظاهرة أو على الأقل التقليل منها.

الحكم الرشيد، هو حكم تفعيل وتشجيع وتطوير كفاءات ومهارات المواطنين في جميع ميادين الحياة من أجل بناء الوطن وتعزيز سيادته وأمنه واستقراره ووحدة أراضيه. هو الحكم الذي يقيم مصالحة بين الدين والدنيا، وتواصل وتكامل بين المعبد والسوق، ويستفيد من شرائع الأديان والبشر من أجل بناء دولة حضارية عادلة آمنة، تساهم في إقامة تعايش بشري أخوي عادل وآمن يتمتع بخيرات الأرض من غير احتكار ولا هيمنة.

الحكم الرشيد، يؤكد ان من حق الإنسان الاستقلالية التامة بشؤون حياته الخاصة، في أسرته ومسكنه وماله، ولا يجوز التجسس عليه أو انتهاك حرمة خصوصياته، أو الإساءة إلى سمعته أو التدخل التعسفي في شؤونه. والحكم الرشيد يسعى لبناء مجتمع أخلاقي عادل وراشد، تجل به قدسية حياة الإنسان وكرامته، وتضان سلامة البيئة ويتحقق التعايش الأمن بين مكوناته.

منذ انهيار الاتحاد السوفيتي برز الحديث في الجدل السياسي المعاصر عن التحول الديموقراطي وحقوق الانسان، ودور المنظمات غير الحكومية وأيضا عن مفهوم الحكم الذي يعد من أحدث المفاهيم التي باتت تعبيرا عن "ما بعد الحداثة" في الفكر السياسي، والتي ترافقت مع أفكار "الموجة الثالثة" للفيلسوف وعالم السياسة الأمريكي "صامويل هنتغتون"، ونهاية التاريخ للمفكر "فرانسيس فوكوياما"، والتصورات الأمريكية لدول العالم الثالث كأطر لمشاريع الإصلاح، والشرق الأوسط الكبير.

وباعتبار هذا المفهوم حديث النشأة وأحد إفرازات العولمة بحيث يفترض أن الدولة لم تعد الفاعل الرئيسي في العملية السياسية، فإنه يدل على تحفيز الدولة للمجتمع المدني، بشكل يدعو الى العودة الى ضوابط مجتمعية أخلاقية لطرفي الوجود السياسي "الحاكم والمحكوم"، بشكل يزيد من فاعلية المجتمع المدني وتأثيرها في السياسات العامة للدولة. وفي الوقت نفسه، فإن المفهوم يفترض أن السلطة لم تعد تتفاعل مع أفراد محكومين فحسب بل شبكة مدنية ممثلة بقطاعات حداثية مثل الأحزاب، ومنظمات غير حكومية، ونقابات وغيرها. الأمر الذي يستدعي تأسيس ثقافة مدنية حقيقية لدى أفراد المجتمع، والاهتمام بالتنشئة السياسية.

يؤمن الحكم الرشيد سيادة ظروف مستقرة، ناتجة عن وجود أساسيات الحكم السليم، وهي:

سيادة القانون:

يجب ان تتسم الأطراف القانونية بالعدالة، ولا بد من توخي الحياد في إنفاذها وخصوصا القوانين المتعلقة بحقوق الانسان.

المساءلة:

يجب ان يكون صناع القرار في الحكومة مسؤولين امام أعضاء البرلمان الذين يمثلون الجمهور العام.

المشاركة:

يجب ان يكون لكل الرجال والنساء صوت في عملية صنع القرار سواء بصورة مباشرة أو من خلال مؤسسات وسيطة شرعية تمثل مصالحهم، وتستند هذه المشاركة الواسعة الى حرية التعبير وتكوين الأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني.

الشفافية:

تعني حرية تدفق المعلومات التي يجب ان تكون متاحة بصورة مباشرة لأولئك المهتمين بها. الرؤية الاستراتيجية: يجب ان يمتلك القادة والجمهور العام منظورا عريض وطويل الاجل فيما يتعلق بالحكم الرشيد، كما ينبغي ان يكون هناك فهم للتعقيدات التاريخية والثقافية والاجتماعية التي يتشكل وسطها ذلك المنظور.

الأساس الذي يقوم عليه مفهوم الحكم الرشيد هو عملية نزع "القداسة" عن السلطة ونقلها للمجتمع والافراد، وهو مفهوم حديث النشأة، برز منذ الثمانينيات من القرن الماضي، وهو يعكس اساسيات الإصلاح والكفاية الإدارية في قيادة الدولة للمجتمع بسيادة القانون، ويسعى المجتمع من خلاله، في المقابل، الى مزيد من المشاركة وتفعيل نفسه مدنيا.

الفرق بين الاحتجاج والإرهاب الفكري

*داود كتاب

الحرّة (شبكة الشرق الأوسط للإرسال) (أم. بي. أن.) : ٢٠١٨/١١/٤

من أهم مسؤوليات المشرع في أي بلد، إلى جانب التشريع، هو الرقابة على أداء الحكومة، ولكن في بعض الأحيان يتجاوز موضوع الرقابة على الحكومة إلى التأثير والضغط غير المبرر على الحكومات لتنفيذ أمر ما أو منع تنفيذ قرار ما بناء على أفكار ومبادئ النائب.

وعندما يكون الأمر متعلقاً من قريب أو بعيد بالأمر الديني فإن النواب يصبحون أسوداً في الدفاع عن الدين والعقيدة، وكأن أي نقاش ولو فلسفي يعتبر مساساً بالذات الإلهية ويجب منعه أو إيقافه بدون حتى معرفة التفاصيل والتأكد من البيانات. في الفترة الأخيرة ورغم إعلان دول معتدلة، مثل الأردن، ضرورة محاربة التطرف العنيف وأهمية الوسطية واحترام الرأي الآخر والتسامح الفكري والديني، يعتبر البعض، وخصوصاً من هم في مواقع مؤثرة، أنفسهم منتدبين للدفاع عن الدين. لذلك، عندما يستشف هؤلاء من أن أي نقاش أو بند في مؤتمر ما يعارض فكرهم فإنهم يقومون بتضخيم الأمور والضغط على المسؤولين لإلغاء المؤتمر ويحصل الأمر عينه مع الكتب والأفلام وغير ذلك.

كان من المفترض أن يعقد في الأردن مؤتمراً بدعوة من مؤسسة "مؤمنون بلا حدود" وبالتعاون مع مركز مسارات للتنوير في الفترة ما بين ٢ و٤ تشرين الثاني/نوفمبر تحت عنوان "انسدادات المجتمع الإسلامي والسرديات الإسلامية الجديدة"، بمشاركة حوالي ٥٠ مفكرة/ مفكرين أردنيين وعرب وأوروبيين، إلا أن وزير الداخلية الأردني قرر إلغاء المؤتمر، بعد شكوى من أحد النواب، وذلك على خلفية أن إحدى الجلسات في جدول الأعمال جاءت بمسمى "تاريخ الله".

استمر الإرهاب الفكري، الذي بدأ مع الشكوى إلى وزارة الداخلية، في الأيام التالية لإلغاء المؤتمر إذ جرى الضغط على رابطة الكتاب الأردنيين لإلغاء المؤتمر الصحافي الذي كان يفترض أن تعقده مؤسسة "مؤمنون بلا حدود" في مقر الاتحاد للحديث عن إلغاء المؤتمر.

رغم أن بعض الأردنيين لام النائب الأردني على تقدمه بالشكوى، إلا أنني أعتبر أن الحكومة الأردنية لم تبد أي محاولة لصد الهجوم غير المبرر وغير المدعوم بحقائق، بل رضخت للضغوط الشعبية.

علق الكاتب الأردني باسل رفاعية على حسابه في فيسبوك بالقول: "قرأت الحكومة المكتوب من عنوانه، وقررت أنه "يستفز الشعور الديني"، ولضعفها في القراءة والاستيعاب منعه مسبقاً، وتجاوبت مع "أمية ثقافية" يروجها التدين السياسي الشعبي، ويستفيد منها في الانتخابات، والسوشال ميديا! "تاريخ الله" مترادفات في بدايات الألوهة، وعناوين أخرى من الكتب موجودة في الأردن، وهي بحوث ودراسات في تاريخ المعرفة".

واستغرب آخرون موقف عمر الرزاز، وهو رئيس وزراء متنور وجاء تعيينه إثر تظاهرات شبابية.

علق الأمين العام لمؤسسة "مؤمنون بلا حدود" يوسف قنديل على الموضوع بالقول إن مؤسستهم ستستمر في "إيماننا اللامحدود بحريتنا جميعاً في التفكير والتعبير وفي رفض أسلوب التهيب والتخريض وإن مقياس عمق الإيمان يجب أن يكون رهينة بمدى المحبة وليس بالتعصب وكراهية الآخرين".

وأضاف في بيان له أنه "كان بإمكانكم أن تحضروا المؤتمر، وأن تناقشوا بكل حرية، وأن تعبروا عن وجهة نظركم، بكل أريحية. كان بإمكاننا أن نمنحك منابرنا لقول كل ما يلوح لخاطركم، لقد فعلنا ذلك من قبل، دون تهيب، وعن وعي بضرورة التساؤل والتساجل والجدل. وسنستمر في عملنا على رعاية التعدد وتأطير النقاشات، استجابة لما يليق بإيماننا اللامحدود بحريتنا جميعاً، وبحقنا جميعاً في التفكير والتعبير، لكن اختياركم المدروس لأسلوب التهيب والتخريض، كما دأبتم عليه، بدلا من الحوار تحت مظلة "كلمة سواء"، يؤكد أن "الطيور التي تولد في قفص تعتقد أن الطيران جريمة".

في عصر المعلومة في القرن الواحد والعشرين، ولا شك أنه يجب أن نحتكم في قراراتنا للرأي المبني على المعلومة وعلى التيقن من الأمور وعلى الجدال الهادئ المبني على الاستماع وشم التعليق وليس على استباق الأمور وإقصاء الآخر على أساس عنوان حلقة أو على أساس انطباعات معينة.

لقد آن الأوان للوصول إلى عقد مجتمعي جديد يؤكد على حرية التعبير والرأي وضرورة إلغاء التابوهات والاستثناءات، فما لا يقال في المؤتمرات العلنية سيقال في الغرف الإلكترونية المغلقة ومن المستحيل إطفاء ضوء المعلومة والحجة، والرد على الفكر يكون بالفكر وليس بالإرهاب والمنع والإقصاء.

استفتاء في كاليدونيا الجديدة بشأن الاستقلال عن فرنسا

الانصات المركزي: ٢٠١٨/١١/٤

اصطف سكان من كاليدونيا الجديدة يوم الأحد، أمام مراكز الاقتراع للمشاركة في استفتاء قد يجعل الأرخيبيل الفرنسي الواقع في جنوب المحيط الهادي أحدث دولة في العالم، في خطوة جاءت نتيجة عملية لإنهاء الاستعمار بدأت قبل ٣٠ عاما.

وهذا أول تصويت بشأن تقرير المصير تشهده أرض فرنسية منذ تصويت جيبوتي بالاستقلال عام ١٩٧٧. وتشهد المنطقة توترا عميقا منذ فترة طويلة بين السكان الأصليين المؤيدين للاستقلال والمعروفين باسم الكانك وأحفاد المستوطنين الاستعماريين الذين مازالوا موالين لباريس.

والسؤال المطروح في الاستفتاء هو "هل تريد أن تحصل كاليدونيا الجديدة على سيادة كاملة وتصبح مستقلة؟". ولن يؤدي التصويت بالموافقة على الاستقلال إلى جرح كبرياء فرنسا فحسب ولكنه سيحرم باريس أيضا من أن يكون لها وجود في منطقة المحيطين الهندي والهادي حيث تعزز الصين وجودها. وكانت فرنسا في الماضي قوة استعمارية وصل نفوذها إلى الكاريبي وأفريقيا جنوب الصحراء والمحيط الهادي.

ويحق التصويت لنحو ١٧٥ ألف شخص من أصل ٢٨٠ ألفا يعيشون في الأرخيبيل. ووفقا لاستطلاعات جرت الأسبوع الماضي من المتوقع أن تأتي نتيجة التصويت لصالح البقاء جزءا من فرنسا. واعترف الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون خلال زيارة لكاليدونيا الجديدة في مايو/ أيار بما وصفه "بالأم الاستعمار" وأشاد بالحملة "المشرقة" التي يقودها الكانك من أجل الاستقلال.

ويعتمد اقتصاد كاليدونيا الجديدة على مساعدات سنوية فرنسية قيمتها ١,٣ مليار يورو (١,٤٨ مليار دولار)، وكذلك على معدن النيكل الذي يشكل إنتاجها منه ربع الانتاج العالمي وعلى السياحة. وتتمتع كاليدونيا الجديدة بالفعل بقدر كبير من الحكم الذاتي ولكنها تعتمد بشكل كبير على فرنسا في أمور مثل الدفاع والتعليم.

تبعد كاليدونيا الجديدة، التي اكتشفها المستكشف البريطاني جيمس كوك، أكثر من ١٦٧٠٠ كيلومتر عن فرنسا وأصبحت مستعمرة فرنسية عام ١٨٥٣. ويعد هذا التصويت هو الأول من نوعه بشأن الاستقلال تشهده أراض فرنسية، منذ تصويت جيبوتي بالاستقلال عام ١٩٧٧.

ويمثل الأرخيبيل أهمية استراتيجية واقتصادية لفرنسا، حيث يضمن لها وجودا مؤثرا في منطقة آسيا والمحيط الهادي، ويقع تحت السيادة الفرنسية منذ عام ١٨٥٣. وبحسب النتائج النهائية فإن ٥٦,٤٪ من الناخبين صوتوا ضد الاستقلال عن فرنسا في هذه الاستشارة الشعبية التي شهدت نسبة مشاركة ٨٠,٧٪.

وأجري الإستفتاء بموجب الإتفاق الموقع سنة ١٩٩٨ بين فرنسا والسلطات المحلية في الجزيرة الواقعة في المحيط الهادئ بعد حدوث أعمال شغب بين السلطات الفرنسية وشعب الكانك الذي يشكل حوالي ٣٠٪ من سكان الجزيرة ويطالب بالإستقلال.

وعبر الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في خطاب حول نتائج الاستفتاء قائلا: "ان فخرنا العميق لأننا اجتزنا معا هذه المرحلة التاريخية"، مضيفا إنه "لا توجد طريق أخرى غير طريق الحوار"، وإن الحكومة ستقترح على القوى السياسية في الأرخيبيل لقاء في الأسابيع المقبلة.

انتخابات منتصف الولاية الرئاسية في الولايات المتحدة: وقائع ورهانات

وكالة فرانس برس : ٢٠١٨/١١/٥

يدلي الأمريكيون الثلاثاء، بأصواتهم في انتخابات منتصف الولاية وهي سلسلة عمليات اقتراع على المستويين الوطني والمحلي تُنظم بعد عامين من الانتخابات الرئاسية وغالباً ما تتحوّل إلى استفتاء حول الرئيس.

تجديد مجلس النواب

يُعاد انتخاب جميع أعضاء مجلس النواب البالغ عددهم ٤٣٥ نائباً. وتسيطر على المجلس حالياً غالبية جمهورية مريحة مع ٢٣٦ مقعداً مقابل ١٩٣ للديموقراطيين وستة مقاعد شاغرة. ومن أجل استعادة السيطرة على المجلس، يجب أن يفوز الديموقراطيون بـ ٢٣ مقعداً إضافياً. ويبدو الانتصار في متناولهم رغم أن المنافسة على حوالي ثلاثين مقعداً شديدة جداً، بحسب استطلاعات الرأي. وسيبدأ المنتخبون الجدد ولايتهم التي تستمرّ سنتين في بداية كانون الثاني/يناير ٢٠١٩.

تجديد ثلث مقاعد مجلس الشيوخ

يضمّ مجلس الشيوخ مئة مقعد ويتمّ تجديد ثلثها كل عامين، أي ٣٥ مقعداً هذا العام. يملك الجمهوريون الغالبية حالياً مع ٥١ مقعداً مقابل ٤٩ ديموقراطياً. لكن الخريطة الانتخابية لمجلس الشيوخ غير مؤاتية بالنسبة إلى الديموقراطيين لأن عليهم الدفاع عن ٢٦ مقعداً (بينهم ستة مهددين) مقابل تسعة للجمهوريين.

يُنْتَخَب أعضاء مجلس الشيوخ لست سنوات وسيبدأون ولايتهم أيضاً في بداية كانون الثاني/يناير.

الانتخابات المحلية

عملياً، يتم تجديد كل المجالس المحليّة (المجالس التشريعية ومجالس شيوخ الولايات) إضافة إلى حكام ٣٦ ولاية من أصل ٥٠ والعديد من المناصب الأخرى (رؤساء بلديات ومقاطعات، قضاة محليون...) وسيصوّت الناخبون أيضاً على العديد من المبادرات المحلية.

الرهانات

قد تكون وطأة هذه الانتخابات هائلة لأنه منذ أكثر من ١٥٠ عاماً نادراً ما نجا الحزب الرئاسي من تصويت عقابي ويخشى الجمهوريون خسارة السيطرة على الكونغرس.

ففي حال سيطر الديموقراطيون على مجلس النواب، يزداد احتمال بدء آلية لإقالة ترامب. كما أن التحقيقات ستتزايد في الكونغرس بحق إدارة ترامب ولا سيما بشأن الشبهات حول تواطؤ فريق حملة ترامب مع روسيا في انتخابات ٢٠١٦. وسيتولى الديموقراطيون رئاسة اللجان البرلمانية في مجلس النواب، ما سيعطيهم إمكانية توجيه استدعاءات لمثول شهود يودون الاستماع إلى إفاداتهم تحت القسم. وإن تمكن الديموقراطيون من السيطرة على مجلس الشيوخ، فقد يعملون على إعاقة جميع تعيينات ترامب سواء للمحكمة العليا أو النظام القضائي الفدرالي أو المناصب التنفيذية في الإدارة، إذ أن مجلس الشيوخ له الكلمة الفصل في هذه الخيارات الرئاسية.

استفتاء على ترامب

تتخذ الانتخابات التشريعية شكل استفتاء على ترامب. وبالرغم من أن اسم الرئيس غير مدرج على بطاقات التصويت، فإن العديد من الأمريكيين يعتبرون أن انتخابات السادس من تشرين الثاني/نوفمبر ستكون بمثابة استفتاء عليه. وفي الولايات المحافظة مثل كنساس وكارولينا الجنوبية، ليس هناك ما يدعو المرشحين الجمهوريين إلى النأي بأنفسهم عن ترامب، بل يمكنهم الاستناد إلى شعبيته الكبيرة بين المحافظين. لكن مع اشتداد المنافسة بين الجمهوريين والديموقراطيين في عدد من الدوائر، فإن التقرب من ترامب قد يضر بحظوظ المرشحين، ما يحمل الجمهوريين على تركيز حملتهم على النمو الاقتصادي المتين، فيما يعمد الديموقراطيون في المقابل إلى تذكير الناخبين باستمرار سياساته المثيرة للجدل في مواضيع الهجرة والصحة والتجارة.

ناخبون غير متحمسين

تُظهر استطلاعات الرأي أن انتخابات منتصف الولاية لا تجذب الناخبين. وبحسب الاحصاءات، مارس ٤١,٩٪ فقط من الناخبين حقهم المدني عام ٢٠١٤ مقابل ٦١,٤٪ عام ٢٠١٦ عندما كانت انتخابات الكونغرس متزامنة مع الانتخابات الرئاسية. لكن هذا العام، قد تسجل المشاركة أرقاماً قياسية بسبب التعبئة الكبيرة لمعارضى ترامب، وخصوصاً الشباب.

الانتخابات النصفية وتوازن السلطات

*توماس فريدمان

صحيفة (نيويورك تايمز) : ٢٠١٨/١١/٥

عزيزي القارئ، بعد ٢٣ سنة من كتابتي لهذا العمود، أعتقد أنك بت تعلم أنني لست شخصاً كسولاً أو متقاعداً. فأنا أحاول دائماً أن أطرح أفكاراً جديدة، غير أنني اليوم بتُ خالياً من الأفكار الجديدة. واليوم، وأكثر من أي وقت آخر خلال مساري المهني، أعتقد أن بلدنا أضحى في خطر، وذلك لأن من يتولى رئاسته ينبغي أن يكون معالماً للبلاد في أوقات الأزمات الوطنية الكبرى ويوحّدنا للقيام بأشياء كبيرة لا يمكننا القيام بها إلا معاً، والابتعاد عن تقسيمنا من خلال الغضب والخوف. والواقع أن الخطر كبير للغاية. فإذا أكدت الانتخابات النصفية المقبلة سيطرة ترامب على كل أذرع السلطة الوطنية – البيت الأبيض، ومجلس الشيوخ، ومجلس النواب، والمحكمة العليا – فإنه هذا الوضع سيصبح أكثر خطورة على مؤسساتنا، كونه سيخل بتوازن السلطات.

لقد قال ترامب متفاخراً ذات مرة: «إنني قومي». ولا شك في ذلك، ولكن علينا أن نتذكر ما قاله الرئيس الفرنسي ذات يوم: إن محبي الوطن يضعون حب شعبهم أولاً، في حين يضع القوميون كراهية الأشخاص الآخرين أولاً. وهذا هو الوقت لكي يقوم كل أمريكي محب لوطنه بالشيء الوحيد الذي يمكن أن يحدث فرقاً الآن: في الانتخابات النصفية، صوت لمرشح «ديمقراطي»، واطلب من الناس التصويت على مرشح «ديمقراطي»، واجمع التبرعات من أجل مرشح «ديمقراطي»، وقم بتوصيل شخص ما بسيارتك إلى مكتب التصويت من أجل التصويت على مرشح «ديمقراطي». أكرر: في الانتخابات النصفية، صوت لمرشح «ديمقراطي»، واطلب من الناس التصويت على مرشح «ديمقراطي»، واجمع التبرعات من أجل مرشح «ديمقراطي»، وقم بتوصيل شخص ما بسيارتك إلى مكتب التصويت من أجل التصويت على مرشح «ديمقراطي». أكرر: في الانتخابات النصفية، صوت لمرشح «ديمقراطي»، واطلب من الناس التصويت على مرشح «ديمقراطي»، وقم بتوصيل شخص ما بسيارتك إلى مكتب التصويت من أجل التصويت على مرشح «ديمقراطي».

في ما عدا ذلك، لا شيء آخر يهم. فنحن مطالبون بحماية مؤسساتنا والتركيز على حب بلدنا أكثر من كره الآخرين. وحتى نذكر أنفسنا بهذه المطالب، أفرّد ما تبقى من الحيز المخصص لي على هذه الصفحة للرئيس جورج واشنطن ومقتطفات من الرسالة التي كتبها إلى إحدى الطوائف الدينية بمدينة نيويورك، في ولاية رود آيلاند، بتاريخ ١٨ أغسطس ١٧٩٠: (أيها السادة: لقد تلقيتُ بسرور كبير خطابكم الحافل بعبارات الحب والتقدير... وقد سعدتُ بفرصة التأكيد لكم على أنني سأحتفظ دائماً بذكرى جميلة عن الترحيب الوطني الذي لقيته من كل فئات المواطنين خلال زيارتي إلى نيويورك. إن التفكير في أيام المصاعب والمخاطر التي مرت أصبح أحلى، انطلاقاً من إدراك بأن ما ستعقبها هي أيام ازدهار وأمن غير معهودة.. وإذا كنا نتمتع بالحكمة لاستغلال ما نحظى به من امتيازات، فإننا لن نفشل في سعينا إلى أن نصبح شعباً عظيماً وسعيداً، تحت الإدارة العادلة لحكم رشيد... يحق لمواطني الولايات المتحدة الأمريكية الشعور بالفخر وتهنئة أنفسهم لأنهم منحوا البشرية نماذج لسياسة ليبرالية وكبيرة: سياسية جديرة بالتقليد والمحاكاة.

*كاتب أمريكي

الانتخابات النصفية الأمريكية: استفتاء على سياسات ترامب

صحيفة (العرب) اللندنية: ٢٠١٨/١١/٥

يدلي الأمريكيون الثلاثاء، بأصواتهم في انتخابات منتصف الولاية وهي سلسلة عمليات اقتراع على المستويين الوطني والمحلي تُنظم بعد عامين من الانتخابات الرئاسية وغالباً ما تتحول إلى استفتاء حول الرئيس. ويصف العديد من المراقبين المطلعين هذه الانتخابات النصفية بأنها الانتخابات الأكثر أهمية على الرغم من أنها انتخابات غير رسمية في السنة التي لا توجد فيها منافسة رئاسية، لكن ما يميزها أنها بمثابة استفتاء على الرئيس الأمريكي دونالد ترامب نفسه وسياساته الشعبوية المثيرة للجدل.

بالرغم من أن اسم الرئيس غير مدرج على بطاقات التصويت الخاصة بالانتخابات النصفية الأمريكية، فإن العديد من الأمريكيين يعتبرون أن تاريخ ٦ نوفمبر سيكون بمثابة استفتاء على ترامب وعلى سياساته اليمينية المحافظة، ويخشى الجمهوريون خسارة السيطرة على الكونغرس حيث يبدو الانتصار هذه المرة في متناول الديمقراطيين الذين يحتاجون ٢٣ مقعداً إضافياً رغم المنافسة الشديدة، ومهما كانت النتيجة لصالح المعسكر الجمهوري أو الديمقراطي يعتقد المراقبون أن تقسيم السيطرة سيتواصل على الكونغرس ما يعني أن المعارك بين الحزبين المتنافسين لن تنتهي.

وعمل أسلوب وشخصية الرئيس ترامب العدوانية والهجومية على تقسيم الولايات المتحدة ودفع الناخبين إلى الانتماء إلى معسكرين: ديمقراطي وجمهوري، وظل ترامب متمسكاً في حكمه بقاعدته الجمهورية، في حين تجاهل وأقصى أولئك الذين صوتوا لصالح الديمقراطيين. وكثف من أساليبه الانقسامية في الفترة التي سبقت يوم الانتخابات من خلال تعليقاته على المستوى القومي، وكذلك في حملته الانتخابية للمرشحين الجمهوريين في الولايات في جميع أنحاء البلاد. حتى أنه طلب من مؤيديه المتحمسين أن يروا كل انتخابات وكأنها تتعلق به. ما أثار انتقاد الناخبين الذين يعارضونه على الجانب الآخر.

وفي الولايات المحافظة مثل كنساس وكارولينا الجنوبية، ليس هناك ما يدعو المرشحين الجمهوريين إلى النأي بأنفسهم عن ترامب، بل يمكنهم الاستناد إلى شعبيته الكبيرة بين المحافظين. لكن مع اشتداد المنافسة بين الجمهوريين والديمقراطيين في عدد من الدوائر، فإن التقرب من ترامب قد يضر بحظوظ المرشحين، ما يحمل الجمهوريين على تركيز حملتهم على النمو الاقتصادي المتين، فيما يعتمد الديمقراطيون في المقابل إلى تذكير الناخبين باستمرار سياساته المثيرة للجدل في مواضيع الهجرة والصحة والتجارة.

ورسم ترامب خطوط معركة الانتخابات النصفية، وستسمح نتيجة الانتخابات للمعسكر الفائز السيطرة على الكونغرس الأمريكي الذي يضم مجلسين: مجلس النواب (الذي يضم ٤٣٥ عضواً موزعاً على سكان الولايات الخمسين) ومجلس الشيوخ (الذي يضم عضوين لكل ولاية). ويتمتع الجمهوريون في الوقت الحالي، بأغلبية المقاعد في مجلسي النواب والشيوخ.

ويملك الجمهوريون الغالبية حالياً مع ٥١ مقعداً مقابل ٤٩ ديمقراطياً. في حين أن خارطة الانتخابية لمجلس الشيوخ غير مواتية بالنسبة للديمقراطيين لأن عليهم الدفاع عن ٢٦ مقعداً (بينهم ستة مهددين) مقابل تسعة للجمهوريين.

لكن النتيجة الأكثر أهمية هو ما تعنيه النتائج بالنسبة لسياسات وممارسات الإدارة الأمريكية إذا كانت محل تأييد أو معارضة، وبغض النظر عن الكيفية التي ينقسم بها الكونغرس، سيظل نهج الرئيس تجاه السياسة الخارجية والعلاقات الدولية قومية وانعزالياً، في ظل التداعيات التي تتضح بشكل كبير في مجالات مثل التجارة والهجرة. أما التأثير الأكبر داخل الولايات المتحدة فسيكون في دعم الكونغرس، أو في مقاومته لبنود أجندة الرئيس ترامب.

أجندة ترامب

تضمنت أجندة الرئيس الأمريكي منذ صعوده سدة الحكم تخفيضات ضريبية توفر منافع رمزية للمواطن العادي وفوائد كبيرة للشركات الثرية والكبيرة، وأيضاً إلغاء نظام "أوباما كير" - البرنامج الذي صمم لتوفير تغطية صحية معقولة لجميع الأمريكيين. كما تضمنت أجندة ترامب أيضاً تقليص حجم وتغيير تركيز الوكالات المحلية بشكل جذري والتي تحظى بتقدير كبير من الديمقراطيين مثل دوائر التعليم والداخلية والعمل والإسكان والتطوير الحضري ووكالة حماية البيئة.

ومن وجهة نظر تشريعية بحتة، لا يهم كثيراً ما إذا كان الجمهوريون يحتفظون بالسيطرة على مجلسي الكونغرس أو يفقدون السيطرة، أو حتى يسيطر عليه الديمقراطيون. والسبب هو أن الكونغرس، طيلة ما يقرب من عقد من الزمان، عانى من خلل في إدارته. وكانت هناك بعض التنازلات البسيطة بين مجلسي الكونغرس، ولم يتم تمرير الكثير من التشريعات.

لكن تكمن أهمية السيطرة على الكونغرس في دعم أجندة الرئيس من عدمه، حيث بعد انقضاء فترة الانتخابات، سيواصل الرئيس ترامب الحكم، كما اعتاد، من خلال إصدار الأوامر التنفيذية. وسيساعد استحواذ أغلبية الجمهوريين على المجلسين على إنفاذ هذه الأوامر، وقد تمرر في بعض الأحيان تشريعات تتعلق بها. وسيعني انقسام السيطرة معارك لا تنتهي بين المجلسين.

إن تمكن الحزب الديمقراطي من السيطرة على مجلس الشيوخ، فقد يعمل على إعاقة جميع تعيينات دونالد ترامب

أما الاحتمال الأكثر إثارة للفضول فهو إذا نجح الديمقراطيون في السيطرة على المجلسين، والذي سينتج عنه دون شك محاولات للحد من مقترحات سياسة ترامب المعادية للهجرة، ومن الممكن أيضاً أن يعارضوا إلغاء برنامج "أوباما كير". ففي حال سيطر الديمقراطيون على مجلس النواب، يزداد احتمال بدء آلية لإقالة ترامب. كما أن التحقيقات ستتزايد في الكونغرس بحق إدارة ترامب ولا سيما بشأن الشبهات حول تواطؤ فريق حملة ترامب مع روسيا في انتخابات ٢٠١٦.

وسيتولى الديمقراطيون رئاسة اللجان البرلمانية في مجلس النواب، ما سيعطيهم إمكانية توجيه استدعاءات لمثول شهود يودون الاستماع إلى إفاداتهم تحت القسم.

وإن تمكن الديمقراطيون من السيطرة على مجلس الشيوخ، فقد يعملون على إعاقة جميع تعيينات ترامب سواء للمحكمة العليا أو النظام القضائي الفدرالي أو المناصب التنفيذية في الإدارة، إذ أن مجلس الشيوخ له الكلمة الفصل في هذه الخيارات الرئاسية.

تقسيم السيطرة

لا تحدث الانتخابات النصفية تغييرات جذرية في صنع القوانين فحسب، بل تؤثر على صناع القانون وعلى أسلوب وحماس الحوار الوطني وموقف الجمهور الأمريكي منه. وسيؤدي استمرار سيطرة الجمهوريين إلى تعزيز وتوسيع عصر الظلمات الذي يعيش فيه الأمريكيون والخوف من استئثار مشاعر القومية والعداء للآخر، والانسحاب من المسرح العالمي تحت مبدأ "أمريكا أولاً". أما الانقسام أو سيطرة الديمقراطيين على الكونغرس فيعني إمكانية رؤية النور من جديد، والأمل، والتفاؤل، وإعادة الالتزام بالقيادة الدولية.

قبل بضعة أيام من إجراء الانتخابات، يبدو أن الاحتمال الأرجح هو تقسيم السيطرة على الكونغرس مع احتفاظ الجمهوريين بالأغلبية في مجلس الشيوخ وسيحصل الديمقراطيون على أغلبية المقاعد في مجلس النواب.

وقد أعطت مؤسسة "فايف ثيرتي إيت"، وهي مؤسسة أبحاث تقوم بالتوقعات التي تستخدم تحليلاتها الإحصائية لنتائج العديد من منظمات الاقتراع، للديمقراطيين فرصة ٦ من ٧ للفوز بالسيطرة على مجلس النواب وللجمهوريين فرصة ٦ من ٧ بالسيطرة على مجلس النواب والجمهوريون ٦ من ٧ فرصة للحفاظ على السيطرة على مجلس الشيوخ.

ولكن هذه التقديرات ليست بالأكيدة، ففي النهاية سيصوت المواطنون الثلاثاء. وسوف يعرف مواطنو الولايات المتحدة العالم بالنتائج الفعلية. وبعد ذلك، لن يكون هناك المزيد من التخمينات، لكن ما سيقع هو مراقبة التداعيات.

لحظة تأمل

* آرام علي عزيز

عذراً إن استوقفتك قارئ العزیز لنكن معاً في لحظة تأمل من وقتك الثمين وتداول مقولة قديمة نطقها نبيه وتدبرها حكيم وبحث في ثناياها عاقل ألا والحكمة هي "اعرف نفسك"، وكلي ثقة اننا بعدها نصفح عن بعضنا في عناق حميم أخوي في الإنسانية، وينطلق من فوق أكفنا حمام السلام سابعة في الفضاء الرحب.

جالسني معك حيث انت على كرسيك في حديقة مدينتك الزاهية بين زقزقة العصافير وهديل الحمام فوق غصون الأشجار، أو وانت على بساط في غرفتك الصغيرة وصدى قهقهة طفلك يملأ الأجواء حولنا، أو انت على اريكتك في بهو استقبال الفخم مع أصدقائك والحديث يدور عن آخر مشاريعك المستقبلية الناجحة، حتى وان كنت في غرفة مكتب عمك في الشركة التي انت فيها سانحتك الفرصة لتناول فنجان قهوة.

جالسني معك حيث انت ومن كنت وأين كنت، لتتعرف أكثر على أنفسنا في لحظة تأمل لا أشوش فيها على أفكارك بل قد نرتب أمورنا الإنسانية.

نمر اليوم جميعاً بتشابك مزمن من الأفكار "الايديولوجيات" شوهدت من خلالها المبادئ والقيم الى الحد الذي أفرز واقعاً شبيهاً بالحقبة التي مرت بها أجناس الملائكة والجن والبشر في دوامة الإستفهام الكبير، من نحن؟ ومن خلقنا؟ وما السر في وجودنا؟ أسئلة عمقها خلجات النفس دائرة في فلك الذهن، بين العقل والقلب، والروح والمادة، والخاص والعام، شارعة ميادين السلوك والتصرف فيما هو لك وما هو عليك، منادية بجواب ينظم متطلبات حياتنا اليومية من القوت والأمان. واستفهام يقودنا الى ماهية الديانات السماوية ومعتقداتها التشريعية واليمين واليسار والشرقية والغربية والشيوعية والرأسمالية وجليات عصر العولمة.

لقد أصبح في العن قوانين الكيمياء والفيزياء والذرة والالكترونيات والرياضيات الى آخرها من شتى علوم الفضاء وتطبيقاتها، وسائل عاجزة عن منحنا السعادة المنشودة بدون جوهر قانون الفكر.

نرجع ونقول حقبة مرت بها الأجناس من قبل فأقبل الجواب الكوني آدمي الرد سمي اللاهوت مطلقاً وتوالت الأسئلة على آدم (عليه السلام) تباعاً ودونت الواقعة كتاباً بمقومات لبناء حضارة انسانية بعد ان استوفت بتلك الواقعة شروطها بالفكر أولاً والقوة ثانياً والإمكانات ثالثاً.

وسور حدودها بإقليم أوسط الشرق منابع دجلة والفرات حدودها الشمالية وشلالات نبع النيل حدودها الجنوبية وأيكوناتها طور سيناء وجبل الزيتون ومكة المكرمة ونازلها الجيزة وصاعداها جبل سنجار الذي في منبسطه ضريح آدم عليه السلام في كردستان، وانبعث سيدنا موسى عليه السلام بالتطهير الأول ما بين طور سيناء نازلاً الى منابع النيل، وطهر سيدنا عيسى عليه السلام ما بين قدس وكردستان وأكملها الحواريون وأتباعهم كل اوربا واقفين عند حدود البحر وأتمها اصحاب الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) بحدود الشرق صينا وشمال افريقيا غرباً وبدأت موجة تضادية عكسية نتجنب بعض تفاصيلها ونحدد العناوين العامة. محي من الوجود الكنيسة اليهودي وطوق الكنيسة المسيحية وحوصرت في بقعة صغيرة واستبدل بهما بغير ما يؤمنان به.

وبدأت الموجات العكسية تتحطم في الشرق الأوسط بعد أن تحشدت تحت مسميات وعناوين مختلفة. اليوم بدأ عصر جديد للإنسانية وتلك قصة الإيمان قد سردتها لك قارئ العزیز، هل تعرفنا على عدونا الحقيقي؟

أستأذنك بالمغادرة وكل عام وأنت بألف ألف خير.

بدء الانتخابات النصفية.. الأمريكيون يقترعون

الحررة: ٢٠١٨/١١/٦

بدأ الناخبون الأمريكيون الثلاثاء، الإدلاء بأصواتهم في انتخابات التجديد النصفية التي يتوقع أن تشهد إقبالا غير مسبق بجلول موعد إغلاق مراكز الاقتراع. وكانت فرمونت أولى الولايات التي انطلقت فيها عملية التصويت، إذ بدأت مراكز الاقتراع فتح أبوابها اعتبارا من الخامسة صباحا (١٠:٠٠ ت.غ). وفي الساعة السادسة صباحا بالتوقيت المحلي (١١:٠٠ ت.غ) انطلقت عملية التصويت في ولايات أريزونا وكونيكتيكت وإلينوي وإنديانا وكنتاكي ولويسيانا وماين وميزوري ونيوهامشر ونيوجرزي ونيويورك وفرجينيا.

وفي الساعة ٦:٣٠ بالتوقيت المحلي، انطلقت عملية الاقتراع في ولايات نورث كارولينا وأوهايو ووست فرجينيا. وفي الساعة السابعة بالتوقيت المحلي، بدأ الناخبون في ولايات جورجيا وهاواي وأيووا وكانزاس وميريلاند وماساشوسيتس وميشيغن ومينيسوتا ومونتانا ونيبراسكا ونييفادا ونيو مكسيكو ونورث داكوتا وأوكلاهوما وبنسلفانيا ورود آيلاند وساوث كارولينا وساوث داكوتا وتكساس ويوتا ويسكونسن ووايومين والعاصمة واشنطن.

وفي الساعة ٧:٣٠ بالتوقيت المحلي بدأ الناخبون في ولاية آرکانسو الإدلاء بأصواتهم.

أما ولايتا أوريغون وواشنطن في شمال غرب الولايات المتحدة، فلا يحتاج الناخبون إلى التوجه إلى مراكز اقتراع إذ يصوتون عبر البريد. وستغلق مراكز الاقتراع أبوابها مساء في مواعيد مختلفة، أولها في الساعة السادسة بالتوقيت المحلي في كل من إنديانا وكنتاكي وهاواي، وآخرها في التاسعة بالتوقيت المحلي في كل من أيوا ونيويورك ونورث داكوتا. ويصوت الأمريكيون لاختيار ٣٥ عضوا من أصل ١٠٠ في مجلس الشيوخ، وكل أعضاء مجلس النواب الـ٤٣٥، وحكام ٣٦ ولاية.

وتكتسب هذه الانتخابات أهمية كبيرة، إذ تعتبر بمثابة استفتاء على سياسات الرئيس دونالد ترامب بعد عامين له في البيت الأبيض، حسب ما ذكرته وسائل إعلام أمريكية.

ويتصدر الديموقراطيون الساعون إلى التعويض عن خسارتهم في انتخابات ٢٠١٦، استطلاعات الرأي لاستعادة السيطرة على مجلس النواب، في حين يرجح احتفاظ الجمهوريين بمجلس الشيوخ.

ويحتاج أي حزب إلى ٢١٨ مقعدا على الأقل لضمان الأغلبية في مجلس النواب، بينما يحتاج إلى ٥١ مقعدا لنيل أغلبية مجلس الشيوخ. ويختلف السباق بين غرفتي الكونغرس، ففي مجلس النواب يتحتم على الديموقراطيين انتزاع ٢٣ مقعدا إضافيا للحصول على الأغلبية. وفي مجلس الشيوخ، حيث يجري التنافس على ٣٥ من مئة مقعد لولاية مدتها ست سنوات، يتوقع الجمهوريون أن يعززوا غالبيتهم إذ أن ثلث المقاعد المعنية بالانتخابات هذه السنة هي مقاعد عن ولايات ذات غالبية محافظة.

وشهد التصويت المبكر في انتخابات التجديد النصفية إقبالا قياسيا، إذ صوت نحو ٣٦ مليون شخص حتى الآن بالفعل في ٢٥ ولاية أمريكية.

أمريكا منقسمة: لماذا الانتخابات النصفية مهمة

(الإيكونوميست) : ٢٠١٨/١١/٦

ترجمة: علاء الدين أبو زينة: في فترة استعداد أمريكا للذهاب إلى صناديق الاقتراع في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر)، أصبح البلد أكثر انقساماً وغبياً مما كان عليه في أي وقت منذ عقود. وكانت الحملات السياسية لانتخابات منتصف المدة مشوبة بمعاملة الساسة بعضهم البعض بشكل روتيني كمارقين، أو حمقى، أو خونة. وفي الأيام الأخيرة، قام مؤيد للرئيس ترامب بإرسال رسائل ملغومة بقنابل إلى ١٤ من خصوم الرئيس، وقتل أحد التفويين البيض ١١ مصلياً في كنيس يهودي، في أسوأ عمل معاد للسامية في التاريخ الأمريكي.

تشكل السياسة الفيدرالية السامة أعظم نقاط ضعف أمريكا. فهي تحول دون العمل على القضايا الضاغطة الحقيقية، من الهجرة إلى الرفاه الاجتماعي، وهي تحت إيمان الأمريكيين بحكومتهم وبمؤسساتها، وهي تُعتم ضوء منارة الديمقراطية الأمريكية في الخارج. وتشكل الانتخابات النصفية فرصة للشروع في وقف التعفن - بل وحتى بدء المهمة الشاقة المتمثلة في معالجة أسبابه.

لم يكن السيد ترامب هو الذي بدأ هذا الإذلال. لكنه اعتنقه بحماسة مثل أي شخص آخر، وحمله إلى أعماق جديدة من صنعه الخاص. كل الساسة يقومون بتشويه الحقيقة. ويكذب السيد ترامب بلا وازع - أكثر من ٥,٠٠٠ مرة منذ تنصيبه، وفقاً لصحيفة "الواشنطن بوست". وخداعه وقبح جدا وفعال، حتى أن الكثير من أنصاره يأخذون كلمته أعلى من كلمة أي من منتقديه، خاصة أولئك في الإعلام، وفي وجه كل دليل على ما يبدو. وهذا يناسب السيد ترامب، بما أنه لا يتم تصديق أحد من منتقديه، فإنه يظل آمناً من المحاسبة. لكن هذا الوضع كارثي على أمريكا. فبمجرد أن يخسر النقاش العقلاني قدرته على كسب الجدالات، لن يعود بوسع الديمقراطية أن تعمل.

كما أن السيد ترامب مثير للانقسام عمداً. كل السياسيين يهاجمون خصومهم، لكن الرؤساء يرون أن من واجبهم توحيد البلد بعد مأساة. ويعتقد السيد ترامب وحده بأن إطلاق النار في كنيس "شجرة الحياة" يشكل فرصة للانقضاض على الإعلام والديمقراطيين بسبب انتقادهم له. وهو فقط من يستطيع اقتراح أن عليه رفع لهجة خطابه المتفجرة بدلاً من تهدئتها. وهذه النزعة التقسيمية تحدث فارقاً لأنه، عندما يكون خصومك سيئون، ببساطة، فإن التسوية - التي هي وظيفة كل السياسات الصحية - تصبح صعبة ومتعذرة في داخل الأحزاب، وشبه مستحيلة بينها.

ليس السيد ترامب السياسي الوحيد الذي يسمح بدخول الانقسام - سوى أنه الأكثر قوة وواحد من الأكثر رسوخاً في هذا المضمار. قبل انتخابه، قال أكثر من نصف الديمقراطيين لمستطلعي الآراء أنهم خائفون من الجمهوريين، وقال نصف الجمهوريين تقريباً الشيء نفسه عن الديمقراطيين.

وبعد أن أطلق رجل مسلح مضطرب العقل النار على عضو جمهوري في الكونغرس في الصيف الماضي، أعرب الديمقراطيون البارزون عن "الغضب" من اقتراح أن يكون خطابهم قد لعب أي دور في التحريض. ومع ذلك، استخدموا محاولات التفجير بالرسائل المفخخة وحادثه إطلاق النار في الكونغرس للشروع في نقاش حول الدرجة الدقيقة للمسؤولية الرئاسية عن الإرهاب المحلي.

إن الديمقراطية الأمريكية قوية - وقد صُممت لتكون كذلك. ومع ذلك، يتم حقن مؤسساتها، واحدة فواحدة، بنوع سُمي من الاستقطاب. وقد التقط الكونغرس العدوى في التسعينيات، عندما كان نيوت غينريتش رئيسه. كما سقط الإعلام أيضاً ضحية لنزعة الشك الحزبية - بين المتلقين بالتأكيد، إن لم يكن أيضاً بين جماعة الإعلام أنفسهم. ويصدق ١١٪ فقط من الذين يؤيدون السيد ترامب بقوة وسائل الإعلام السائدة، بينما يثق ٩١٪ منهم بالسيد ترامب،

كما وجد استطلاع أجرته محطة "سي. بي. إس" الإخبارية في الصيف الماضي. وبين الديمقراطيين، تميل هذه المعتقدات إلى أن تكون معكوسة. والآن، أصبح يُنظر إلى المحكمة العليا على أنها حزبية أيضاً. ويرى الديمقراطيون في التعيين الجديد لبريت كافانوه لرئاسة المحكمة اقتحاماً لشخص حزبي ربما يكون قد كذب بشأن اعتداء جنسي، والذي لن يكون قادراً على وضع القانون فوق مصلحة حزبه. وعلى النقيض من ذلك، يرى الجمهوريون في تعيينه انتصاراً على مؤامرة ديمقراطية وحشية لتقويض رجل محترم. ثمة رئيس تنفيذي غير شريف، يتواطأ مع هيئة تشريعية متزلفة، ويتلقى الدعم من سلطة قضائية متحيزة: إذا وصل الأمر إلى هذا الحد، فإن أمريكا ستكون حقاً في ورطة حقيقية.

ما الذي ينبغي فعله؟ تماماً كما أن السياسة الأمريكية لم تفسد بين عشية وضحاها، فكذلك سيكون الطريق إلى الأمام، بخطوات كثيرة صغيرة، تبدأ بالانتخابات النصفية الحالية. وأولى هذه الخطوات هي أن يتحول مجلس النواب، كحد أدنى، إلى السيطرة الديمقراطية.

وهذا مهم لأن السيد الترامب يجب أن يخضع لرقابة الكونغرس. فهو يظهر ازدراءً للأعراف التي كانت قد قيدت الرؤساء السابقين بدرجات مختلفة—سواء كان ذلك عن برفض الكشف عن إقراراته الضريبية" أو مزج العمل الرسمي بالعمل الخاص" أو التنمر على المسؤولين الذين يعملون، مثلاً، في وزارة العدل الذين ينبغي أن يكونوا مستقلين. ويجب أن يقيم الكونغرس جلسات استماع للتحقيق في مثل هذه التصرفات. لكن الجمهوريين في المجلس فشلوا بشكل متكرر في القيام بذلك، متجاهلين الاضطلاع بمسؤوليتهم الدستورية. وعندما وجهوا بحكم الأجهزة الاستخباراتية بأن روسيا تدخلت في الانتخابات الرئاسية، على سبيل المثال، قاموا باستدعاء المسؤولين الذين يشرفون على التحقيق للشهادة حتى يجعلوا عملهم أكثر صعوبة. ويعني تنازلهم عن المسؤولية أن استمرار أغلبية جمهورية في مجلس النواب سوف يقوض في النهاية حكم القانون.

إذا فاز الديمقراطيون بالسيطرة على مجلس النواب، فإن ذلك سوف يفيد كلا الحزبين على المدى البعيد. وسوف تشجع هزيمتهم بعض الجمهوريين على الشروع في الدفع بديل محافظ للترامبية. وسوف تؤدي هزيمتهم في مجلس الشيوخ أيضاً إلى منح ذلك الجهد قوة دفع كبيرة، ولو أن ذلك يبدو غير مرجح. وعلى النقيض من ذلك، سوف يؤدي دوام الوضع الراهن إلى تعزيز استيلاء ترامب على الحزب الجمهوري.

تعتمد الحسابات بالنسبة للديمقراطيين على خطر التعرض للهزيمة. وهم ما يزالون حتى هذه اللحظة في خضم جدال بين المركز وبين الجناح المتطرف للحزب. ويمكن أن تؤدي خسارة أخرى إلى دفعهم نحو اليسار. وإذا كسب الديمقراطيون مرة أخرى أغلبية من الأصوات، وإنما انتهى الأمر بهم بأقلية من المقاعد، فإن الحزب ربما يجد إغراء في بناء برنامج على أساس سياسات خرق القواعد، مثل توسيع حجم المحكمة العليا أو إقالة القضاة. وعلى النقيض من ذلك، سوف يؤدي الاستيلاء على مجلس النواب إلى تقوية موقف معتدلي الحزب.

كما أن الحكومات المنقسمة لم تذهب دائماً إلى حالة من الجمود. فحتى في هذه الأونة، يتفق الرئيس والديمقراطيون في الكونغرس على بعض الأمور، مثل بناء البنية التحتية، ومواجهة الصين ومحاربة وباء الأفيون. وهكذا: دعهم يتقاتلون من أجل كل شيء آخر، ولكن ضع جانباً ازدراءهم المتبادل لبعضهم البعض في السعي إلى سياسات يستطيع كل منهم ادعاء الفضل فيها. ربما يظهر مثال واحد إكراهية وجود قيمة وكرامة في التسوية.

لن تتمكن أمريكا من إصلاح سياساتها في انتخابات واحدة. وفي الحد الأدنى، سوف يتطلب إحراز التقدم المزيد من الانتخابات، وتجديداً للحزب الجمهوري، ورئيساً مختلفاً ببوصلة أخلاقية مختلفة. لكن النتيجة المباشرة للانتخابات الحالية يمكن أن تشير إلى الطريق.

نتائج الانتخابات ربما تعيد واشنطن لحالة الجمود السياسي رصد سيناريوهات التجديد النصفى على سياسات أمريكا

Financial Times: ٢٠١٨/١١/٦

فتحت مكاتب الاقتراع أبوابها، الثلاثاء، على الساحل الشرقي للولايات المتحدة للانتخابات التشريعية والمحلية لمنتصف الولاية، التي تشكل اختباراً لأداء الرئيس الأمريكي دونالد ترمب وستكون حاسمة لولايته. وأصبح إمكان الناخبين التصويت في عدة ولايات على الساحل الشرقي (كونيكتيكت وماين ونيوهامبشر ونيوجيرزي ونيويورك وفرجينيا)، وكذلك في كنتاكي في الوسط اعتباراً من الساعة ٦:٠٠ (١١:٠٠ ت غ). وفي حال خسر الجمهوريون غالبيتهم في الكونغرس الأمريكي فإن برنامج الرئيس سيتأثر بشكل كبير. وقالت صحيفة Financial Times البريطانية إن سيطرة الجمهوريين على البيت الأبيض ومجلسي الكونغرس منحت الحزب الجمهوري في العام والنصف الماضيين، سلطات هائلة، ما سمح بتمرير تخفيضات ضريبية بعيدة الأثر والاستحواذ على مقعدين في المحكمة العليا الأمريكية. وترصد صحيفة The Financial Times البريطانية الآثار الممكنة التي يمكن أن تنبثق من السيناريوهات المختلفة لسير الأمور في الكونغرس الأمريكي، خاصة أن نتائج انتخابات التجديد النصفى يوم الثلاثاء ٦ نوفمبر/تشرين الثاني ربما تؤدي إلى إعادة واشنطن إلى حالة الجمود السياسي التي صارت معتادة عليها، مما يجعل عملية وضع السياسات أمراً أكثر إزعاجاً.

إذا فاز الديمقراطيون بأغلبية مجلس النواب واحتفظ الجمهوريون بمجلس الشيوخ:

التجارة

قالت صحيفة Financial Times البريطانية، يمكن أن يصير الطريق نحو الحصول على موافقة الكونغرس على اتفاقية «يوسمكا» (USMCA) التجارية مع المكسيك وكندا أكثر تعقيداً، بالرغم من أن المسار النهائي يحتمل استمرار ضمانه في ٢٠١٩ في ظل سيطرة الجمهوريين على مجلس الشيوخ. قد لا ينظر ترمب إلى أي نتيجة مختلطة في الانتخابات على أنها حكمٌ على سياساته التجارية الصارمة تجاه الصين.

الهجرة

قالت الصحيفة البريطانية، حاولت مجموعة من أعضاء مجلس النواب الجمهوريين المعتدلين الاتحاد مع الديمقراطيين في وقت سابق من هذا العام لتمرير قانون يحمي المستفيدين من برنامج Dreamers، وهم المهاجرون الذين لا يحملون وثائق وقدموا إلى الولايات المتحدة في سن صغيرة. كان عدد هذه المجموعة قليلاً بدرجة لم تسمح بالمضي قدماً نحو الإصلاحات، ولكن من الممكن أن يكون حظهم أفضل في ظل مجلس نواب يسيطر عليه الديمقراطيون. غير أن مدى إمكانية توقيع ترمب في نهاية المطاف على تشريع كهذا تظل مسألة أخرى.

الاقتصاد

يمكن أن تؤدي العودة إلى حالة الجمود في الكونغرس إلى تصعيب الأمر على الحزب الجمهوري للمضي قدماً في إدخال إصلاحات ضريبية جديدة لتعزيز تشريع التخفيض الضريبي المقدر بـ ١,٥ تريليون دولار والذي خرج إلى

النور في ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٧“ ويشمل ذلك على سبيل المثال التدابير التي ستجعل الخفض الضريبي الفردي دائماً أو ستقلل من ضرائب أرباح رأس المال. يمكن أيضاً أن يؤدي انقسام السيطرة على الكونغرس بين الحزبين إلى تصعيب الأمور على الجمهوريين لتمرير إصلاحات على الإنفاق غير العسكري، وفق ما قالت صحيفة Financial Times البريطانية

السياسة الخارجية

يتوقع أن يدفع مجلس نواب يهيمن عليه الديمقراطيون نحو مزيد من التحقيقات في علاقة ترمب بروسيا، إضافة إلى مزيد من العقوبات. ويمكن أيضاً أن يجعل الديمقراطيون إدارة ترمب تمر بأوقات عصيبة فيما يتعلق بالعلاقات مع السعودية، مع عقد المزيد من جلسات الاستماع حول الإنفاق العسكري وتسليط تركيز أكبر على الجهود العالمية الداعية إلى مواجهة التغير المناخي.

الصحة

قد تكون النتيجة حالة جمود تشريعي، بالرغم من وجود بعض القضايا التي يمكن للحزبين أن يصوغا فيها توافقاً في الآراء، مثل خفض بعض الضرائب التي تُفرض بموجب قانون الرعاية الصحية الأمريكي (أوباما كير). ومن خلال الفوز بأغلبية مقاعد مجلس النواب، يمكن للديمقراطيين بدء تحقيقات في تطبيق الجمهوريين للإصلاحات التي أدخلت على «أوباما كير».

إذا احتفظ الجمهوريون بأغلبية مقاعد المجلسين:

التجارة

قالت صحيفة Financial Times البريطانية، أن الكونغرس لن يجد صعوبة في تمرير اتفاقية «يوسمكا» في ٢٠١٩، وسيزداد ترمب إقداماً بفعل دعم المصوتين لسياسته التجارية الحمائية. قد ينذر هذا بجولة جديدة من التعريفات الجمركية على الصين وفرض رسوم جمركية على السيارات، نظراً لأن الرئيس يضيّق الخناق على حلفاء الولايات المتحدة.

الهجرة

على النقيض مما ذكره ترمب علانية، لم تبدأ أي عملية تشييد فعلية للجدار الحدودي الذي طالما روج له. يمكن أن نتوقع أن الرئيس سوف يعيد إحياء المسألة مرة أخرى وسوف يتملق لحزبه لتبني بعض من مقترحاته المتشددة الأخرى حول الهجرة، مثل إلغاء حق الحصول على الجنسية للأطفال المولودين في الولايات المتحدة لأبوين غير أمريكيين. يمكن أن يواجه الرئيس معارضة في مواجهة هذه القضايا، ويمكن أن تكون هذه المعارضة من بعض الأعضاء في حزبه.

الاقتصاد

يمكن أن يسعى الحزب الجمهوري لتمديد مدة التخفيضات الضريبية، ويحتمل أن يضيف تخفيضات جديدة إلى الإصلاحات القائمة، من أجل تقديم مزيد من الدعم للعجز المنفلت في الميزانية. يمكن الحد من خطر تعطل عمل الحكومة، نظراً إلى أن مواعيد استحقاق التمويل تلوح في الأفق في ديسمبر/كانون الأول ومرة أخرى في العام الجديد. في عام ٢٠١٩، سوف يتوجب على الحكومة مرة أخرى تلبية الاحتياجات من أجل تعليق الدين المحلي أو رفع سقفه.

السياسة الخارجية

يمكن أن نتوقع استمرار ترمب في جهود تعزيز قوات الجيش «كما لم نشهده من قبل» - حسب كلماته- من أجل تشجيع الصقور على تمرير تدابير أكثر صرامة ضد إيران ومن أجل المُضي قدماً نحو عقد قمة ثانية مع زعيم كوريا الشمالية كيم جونج أون. يمكن أيضاً أن يزور الرئيس الروسي فلاديمير بوتين البيت الأبيض في ٢٠١٩.

الصحة

يمكن أن يستخدم الجمهوريون سيطرتهم على الكونغرس للدفع بمزيد من التغييرات على قانون الرعاية الصحية «أوباما كير»، مثل منح إعفاءات من بعض أجزاء القانون إلى ولايات فردية. بيد أنهم قد يضعون عائقاً أمام أحد أهداف ترمب“ وذلك من خلال فرض مزيد من التدابير الصارمة على شركات الأدوية لخفض أسعار الأدوية.

إذا فاز الديمقراطيون بأغلبية مقاعد مجلس النواب ومجلس الشيوخ

التجارة

Financial Times قالت، قد تنتظر ترمب مواجهة كبيرة أمام الكونغرس حول اتفاقية «يوسمكا»، نظراً إلى أن الديمقراطيين سيحاولون الحصول على تنازلات من رئيس ضعيف. قد يجد ترمب نفسه تحت ضغط من أجل الاعتدال في سياسته الحمائية المندفعة، بما في ذلك موقفه من الصين والاتحاد الأوروبي واليابان.

الهجرة

سوف نودع آنذاك الجدار الحدودي الذي روج له ترمب“ إذ إن مجلسين يهيمن عليهما الديمقراطيون يمكن أن يعني رفض تمرير أي ميزانية تتضمن تمويل بناء هذا الجدار، أو تمويل أغلب التدابير الأمنية الحدودية التي يريدها الرئيس. يمكن أن يبحث الديمقراطيون أيضاً عن حل تشريعي للمستفيدين من برنامج Dreamers، وأن يقودوا محادثات حول تشريع هجرة شامل، وهو ما يُرجح أن يعارضه الرئيس.

الاقتصاد

سوف يشكل اعتراض الرئيس عائقاً أمام الإصلاحات الجذرية التي سيسعى وراءها الديمقراطيون، ولكن ثمة مجالات يمكن أن ينجح الديمقراطيون في تمريرها. ولا سيما في ظل قول ترمب وقيادات الديمقراطيين إنهم يريدون دعم البنية التحتية. يمكن أن يظل للرئيس مطلق الحرية في المضي قدماً نحو أجندته الداعية لرفع القيود، نظراً إلى أن كثيراً مما تحويه هذه الأجندة يحدث خارج نطاق الكونغرس.

السياسة الخارجية

يمكن أن نتوقع ضغوطاً أشد بكثير ضد روسيا، ومطالبات بتشديد السيطرة على الإنفاق الدفاعي، ودعوات لإنهاء بيع الأسلحة إلى السعودية وإنهاء الحرب في اليمن. يمكن لقضايا التغير المناخي والمساعدات الخارجية أن توضع مرة أخرى على الأجندة، فضلاً عن السعي إلى تعزيز التواصل مع الحلفاء الأوروبيين المنزعجين من التصدعات التي شابت التحالفات بينهم وبين الولايات المتحدة.

الصحة

سوف يدفع الديمقراطيون بقوة في اتجاه إدخال إصلاحات على الرعاية الصحية، ومن الممكن أن يطلقوا تشريعاً جديداً لتوسعة النطاق الذي يشمل القانون. بالرغم من أن مثل هذه القوانين لن يمررها ترمب أبداً، فإنها من الممكن أن تشكل أداة ترويجية مفيدة للمعارضة في الانتخابات الرئاسية القادمة في ٢٠٢٠.

الأزمة الأخلاقية في المنطقة

* محمد هنيدي

"عربي ٢١": ٢٠١٨/١١/٦

من أهم الخلاصات التي يقر بها المختصون وغير المختصين اليوم في المنطقة هي التراجع الكبير للمنظومة الأخلاقية في الكثير من البلدان العربية. لا تتعلق المسألة فقط بالمنظومة الأخلاقية الفردية والسلوكيات الجماعية ككل بل تطال منظومة القيم في بعدها الأعمق وخاصة وجهها الثقافي والسياسي والحضاري العام.

تفسيرات متعددة

يرى كثيرون أن هذه الظاهرة هي نتاج طبيعي للوضع العربي المتردي والآخذ في الانحدار العميق، وهو ما يجعل من النسق الأخلاقي جزءاً من البنية العامة للأمة ينحدر بانحدارها ويرتفع بارتفاعها.

قراءة أخرى ترى العلاقة سببية بين انحدار الأمة من جهة وبين انحدار نسقها القيمي من جهة أخرى، أي أن المشهد الذي نرى اليوم سواء على المستوى الفردي أو الجماعي الحضاري إنما هو نتيجة لانهايار أخلاق الفرد والمجتمع الذي يسبقها ويتسبب فيها ولكنه ليس موازياً لها. الخلاف إذن ليس في الإقرار بوجود الظاهرة بل هو يتمحور أساساً حول تفسير الظاهرة وبيان أسبابها.

البعد الفردي هو أكثر المستويات ظهوراً بسبب طبيعته المباشرة المتعلقة بالسلوك اليومي للفرد وبمجملة التقاطعات التي يفرضها فعله المدني وحركته الاجتماعية بما هي قائمة على التبادل والتواصل والتقاطع والاختلاف وحتى على التصادم.

من جهة أخرى يمثل السلوك الفردي النواة الأصغر التي يتشكل منها سلوك المجموعة والمجموعات التي تحدد قيم المجتمع العامة وترسم حدودها. لكن لا بد من التسليم منهجياً بأنه لا يمكن فصل الفردي عن الجماعي تأثيراً وتأثراً ولا يمكن كذلك قراءة السلوك الجماعي بمعزل عن تطبيقاته الفردية وليس الفصل بينهما إلا فصلاً منهجياً نظرياً فحسب.

إن تفشي الجريمة والانحراف والعنف واستهلاك المخدرات والتحرش والانقطاع المبكر عن الدراسة وغيرها من المظاهر السلوكية الاجتماعية تؤشر على ارتفاع منسوب الانحراف الاجتماعي وتراجع الوازع الأخلاقي في المجتمعات العربية بشكل كبير جداً.

لا يمكن تحليلياً تتبع كل الأسباب الكامنة وراء انتشار هذه الظواهر السلوكية المرضية لكن لا شك أن للأسرة والمجتمع دوراً أساسياً في انتشارها أو في عجزها عن الحد منها على الأقل.

هذا الإقرار يتأتى من طبيعة الظواهر الإنسانية نفسها وتميزها بخاصية التركيب والتعدد حيث تدخل في تفسير الظاهرة الواحدة عوامل كثيرة معقدة وغير قابلة أحياناً للدراسة الكمية والتحليل العلمي الصرف ككل حقول العلوم الإنسانية.

جرائم صادمة

تسجل الجريمة مثلاً في المنطقة العربية مستويات مرتفعة، بل إن بعض أنواع الجرائم أصبحت تصيب المتابع بالصدمة بسبب بشاعتها ووحشيتها. شهدت تونس مثلاً في سنة ٢٠١٧ . ٢٠١٨ مجموعة من جرائم

القتل والاعتصام التي لم تعرفها البلاد طوال تاريخها الحديث، وهي جرائم لا تمثل حالات فردية نادرة كما كانت سابقا بل صارت تتكرر بشكل لافت وفي صمت تام من الدولة ومن المؤسسات الرقابية المسئولة عن قراءة جذور هذه الظواهر ومعالجتها.

لكن بعض المراقبين يرى في هذه الظاهرة سلوكا قديما لم يكن يحظى بالتغطية التي توفرها له اليوم مواقع التواصل الاجتماعي القادرة على خلق الشعور بالصدمة وتضخيم الحدث وتسهيل انتشاره أي أن التهويل من الجرائم الأخلاقية والانحرافات الاجتماعية إنما مرده إعلامي تواصلية وليس اجتماعيا قيميا بالضرورة. لكن كيف يمكن تفسير الإحصاءات الصادرة عن المؤسسات الرقابية أو تلك الصادرة عن المحاكم والدوائر القانونية في أكثر من قطر عربي؟

الفاعل السياسي

لا يمكن من جهة أخرى فصل الأزمة القيمية والأخلاقية العربية عن فاعل أساسي وهو الفاعل السياسي، حيث يتمثل دور السياسي في ترسخ ظاهرة الفساد والتسبب بها وتغذيتها حسب كثير من القراءات. إن الفساد السياسي وغياب القيم السياسية يشكل عنصرا أساسيا في تفسير الوضع القائم عربيا. لكن كيف يمكن تفسير دور السياسي في تخريب النسيج القيمي وماذا يستفيد من ذلك؟ لا يمكن للحكم الاستبدادي أن يقوم وأن يرسخ قدمه أو أن يدوم دون صناعة شروط بقائه وعلى رأسها المناخ الاجتماعي الخاص به والقابل به.

لا يمكن مثلا في دولة ديمقراطية مثل دولة " السويد " مثلا تغطية جرائم النهب والسرقة والسطو على المال العام وتشجيع الجريمة والانحراف مثلما يحدث في دولة مثل مصر أو مثل تونس أو غيرها من المنظومات الاستبدادية العربية.

يخلق النظام السياسي الفاسد شروط الفساد الملائمة له في المجتمع وعلى مستوى الأفراد ليخلق شروط القابلية للفساد.

لا يمكن لمنظومة الحكم الاستبدادي إلا أن تكون فاسدة ولا يمكن لها أن تعمل إلا في فضاء يوازئها في الفساد أو على أقل تقدير في القبول بالفساد وغمض النظر عنه.

الرشوة مثلا هي مثال صارخ على هذا النوع من الفساد الاقتصادي والاجتماعي التي تشارك فيها الدولة ويتورط فيها المجتمع ويمارسها الأفراد تحت ضغوط وإغراءات شتى وهي كذلك نموذج مصغر عن منطلق الرشاوى الكبرى التي يمارسها النظام نفسه عندما يتعلق الأمر بتبديد الثروة الوطنية أو إبرام الصفقات المشبوهة.

تحولات قادمة إلى الشرق الأوسط.. "أين أنتم؟"

*د.علي بن حمد الخشيبان

شبكة العين: ٢٠١٨/١١/٦

المنطقة تستعد لتحولات مهمة وخاصة في مسار الثقافة السياسية التي تحكمت في المنطقة لعقود طويلة، لا سيما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، ويجب التدقيق هنا وبشكل واضح أن تلك التحولات لن تطال البنى السياسية أو تركيبية دول الشرق الأوسط كما يحاول البعض الترويج، تغيير البنى السياسية للدول كما هو معروف ليس عملية سهلة يمكن تنفيذها بسهولة، فمتطلبات ذلك متعددة وكبيرة وذات ثمن مرتفع يصل إلى حد الحروب العسكرية.

السؤال هنا إذن: ما هي تلك التحولات التي تنتظرها المنطقة في مسار الثقافة السياسية والتعاطي مع الأفكار السياسية السائدة في المنطقة منذ عقود طويلة؟، في هذه المنطقة وخلال العقدين الماضيين نشأت ثقافة تميزت بالتعقيدات الكبرى، ولكن التحولات الاقتصادية والمشروعات التحولية أصبحت ظاهرة سائدة في كثير من دول المنطقة، وهذا ما أطلق عليه الخطط والرؤى الاستراتيجية طويلة المدى وقصيرة المدى التي نجدها في معظم دول المنطقة.

تحولات منطقة الشرق الأوسط القادمة سوف تختبر وبشكل مباشر الثقافة السياسية لشعوب وحكومات الشرق الأوسط، فالمتغيرات المتحركة المصاحبة لتحولات المنطقة سوف تكون قادرة على إزالة المتغيرات الثابتة في الثقافة السياسية التي اعتادتها المنطقة منذ زمن

سؤال آخر ومباشر يقول: هل يمكن أن تكون تلك التحولات القادمة والمحتملة في منطقة الشرق الأوسط سببا أو حتى نتيجة لبعض الاضطرابات الصامتة التي تتخمر بهدوء تحت أرضية الشعوب أو الدول الشرق أوسطية؟ هذا سؤال مهم، خاصة عندما يرتبط الأمر بالقضايا التاريخية لدول الشرق الأوسط.

من وجهة نظري البسيطة أن الثقافة السياسية لشعوب المنطقة سوف تنقسم بشكل حاد قد يصل إلى العداء من حيث القبول أو الرفض لتلك التحولات المحتملة في المنطقة، ولكن الأمر سوف ينتهي إلى مجرد التعبير الثقافي عن الرفض أو القبول ولا أعتقد أنه سوف يتجاوز هذه المرحلة" لأن معطيات التحول التي نشاهدها اليوم أكبر من أن تتوقف أمام التقاليد التاريخية.

هناك دول في الشرق الأوسط تبدي استعدادها الكبير والمبكر لهذا التحول، وهناك دول قد تنتظر المفاجآت، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه سياسيا (العلاج بالأزمة)، في الحقيقة التحركات الدولية حول المنطقة لم تعد خافية، ليس استهدافا للمنطقة كما يعتقد الكثيرون، ولكن لطبيعة المنطقة تاريخيا، منطقة الشرق الأوسط، ومنذ آلاف السنين، كانت ولا تزال وسوف تظل منطقة محتدمة" بسبب مكانتها الدينية وعمقها التاريخي، فهذه المنطقة ولدت قبل بقية مناطق العالم كلها بعشرات الآلاف من السنين.

التحولات في منطقة الشرق الأوسط معتادة ومحتملة عبر التاريخ، والمتغيرات الثابتة في المسار السياسي دائما ما تلعب دورا في نشوء بعض المواجهات التاريخية، بمعنى دقيق ومباشر ما تقتضيه مصالح المنطقة اليوم يأتي بشكل عكسي للثقافة السائدة في المنطقة، خاصة في القضايا المحورية مثل القضية الفلسطينية أو وحدة بعض الدول العربية التي تتعرض لأزمات وحروب أهلية.

فعلياً، فإن تحولات منطقة الشرق الأوسط القادمة سوف تختبر وبشكل مباشر الثقافة السياسية لشعوب وحكومات الشرق الأوسط، فالمتغيرات المتحركة المصاحبة لتحولات المنطقة سوف تكون قادرة على إزالة المتغيرات الثابتة في الثقافة السياسية التي اعتادتها المنطقة منذ زمن، أعتقد الرسالة واضحة "أين أنتم؟" كما يقول الإعلامي البحريني القدير محمد العرب.

في انفلات الاستبداد على رقاب العباد

*حسن العاصي

صحيفة (الثقف) : ٢٠١٨/١١/٦

محارق الفكر: طالما كان الفلاسفة والمفكرون والمبدعون والمثقفون والكتّاب المتنورون، هدفاً للتعنيف من قبل السلطتين السياسية والدينية، حيث تقومان بالتضييق بشتى السبل عليهم، وقد يتم الاعتقال والزج بهم في السجون، بل أبعد من ذلك إذ وصل الأمر إلى القتل الشنيع، بل أكثر كحرقهم وهم أحياء، والتمثيل بجثثهم، أو صلبهم فوق ألواح خشبية في أماكن عامة، وتعذيبهم وجلدهم وتركهم يموتون ببطء.

في تاريخنا الكثير من الصفحات التي دونت أساليباً متعددة في القتل، تعكس همجية موعلة في الوحشية إلى أبغض الحدود، وتستحضرنا عدة أسماء لأشخاص كان عندهم رؤى مختلفة عما هو سائد، وحاولوا تحريك المياه الآسنة، ودفع العامة لإعادة التفكير في المسلمات، وخض الأفكار والقناعات لدى الغوغاء الذين كان يجري توظيفهم من قبل السلطة الطاغية لمواجهة أي صوت حر يوخز ورم الجمود الجاثم على العقول والأفكار والبصيرة، على أمل الشفاء لتحريك الواقع وتغييره ولو قليلاً.

إعدام أول رجل بسبب أفكاره

لقد تعرض كثير من الفلاسفة على مر التاريخ للاضطهاد والقهر، وصل إلى حد القتل، وكان إعدام الفيلسوف اليوناني "سقراط" قد شكل واقعة غير مسبوقة في التاريخ البشري لإعدام إنسان بسبب أفكاره ومواقفه، وهي بذات الوقت أول موقف عدائي معلوم من الفلسفة، حيث تحالفت السلطتين السياسية والدينية لمحاربة التفكير الحر وعدم التسليم بما يقال، الذي كان يدعو له سقراط فتم قتله بتهمة إفساد عقول الشباب.

في العصور الوسطى تعرض العديد من الفلاسفة والعلماء للاستبداد والقهر والإذلال، وهذا ما حصل مع عالما الفلك البولندي "نيكولاس كوبرنيكوس" والإيطالي "جاليليو جاليلي" اللذان وضعوا حجر الأساس للفيزياء الحديثة، وأول من صاغ نظرية مركزية الشمس وكون الأرض جزءاً يدور في فلكها. ووصل الإرهاب الفكري حداً تم فيه حرق الفيلسوف والعالم "جوردانو برونو" حياً في ميدان روما على يد رجال الدين الكهنوت لأنه تبنى نظرية كوبرنيكوس وجاليليو. كذلك تعرض المكتشف "كريستوفر كولومبس" لانتقاد رجال الدين الذين حذروه إن ما وصل إلى حافة الأرض فسوف يسقط هو وبجارتة ويهلكون. لكنه مضى في رحلته التي أوصلته إلى اكتشاف القارة الأمريكية.

في التراث الإسلامي

في الخلافة الإسلامية نجد أمثلة شبيهة لعل أشهرها قيام الخليفة العباسي "أبي جعفر المنصور" بقتل "ابن المقفع" صاحب كتاب "كليلة ودمنة" بتقطيع أطرافه وإلقاءها في النار وهو حي، والتهمة هي قيام ابن المقفع بنشر الرسالة التي كان قد أرسلها إلى المنصور بهدف الإصلاح، وانتقد فيها موقف الفقهاء الذي يدعو الناس إلى الطاعة المطلقة للخليفة والولادة، الرسالة المعروفة "رسالة الصحابة"، وتم قتل صديقه صاحب البلاغة الشهير "عبد الحميد الكاتب" بوضع وعاء محمي من النحاس فوق رأسه حتى مات ببطء.

ومن الأمثلة الأخرى في التاريخ الإسلامي قيام "صلاح الدين الأيوبي" بأمر ولده الملك الظاهر بقتل الفيلسوف "شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله السهرودي" المعروف بالسهرودي، ولا يمكن لأي مثقف أن يغفر لصلاح الدين - مهما كانت عظمتة - هذا الفعل. السهرودي كان شيخاً وعالماً زاهداً محدثاً تم سجنه وتركه يموت جوعاً بسبب فتنة ومكيدة أعداه له فقهاء حلب الذين أفتوا في قتله بعد اتهامه بالزندقة.

في العصر العباسي تم أيضاً إعدام الشاعر والفيلسوف الصوفي "أبو المغيث الحسين بن منصور الحلاج" المعروف بالحلاج. حيث نشب خلاف بينه وبين أعلام الصوفية في عصره الذين كانوا يؤثرون العزلة عن الناس تاركين تدبير أمورهم إلى الله، لكن الحلاج تملكته نزعة إصلاحية حملته على الجهر بأفكاره لعامة الناس، وانتقاد الأوضاع السائدة، فتم الإيقاع به بمكيدة واتهامه بالزندقة والإلحاد، وسجن ثم صلب حياً حتى فاضت روحه بعد أن تم جلده بشدة، وبعد موته قطع رأسه وحرق جثمانه.

وكذلك قيام الخليفة العباسي "المهدي محمد بن المنصور" بقتل الشاعر والحكيم "أبو الفضل صالح بن عبد القدوس الأزدي" بتهمة الزندقة.

علماء يضطهدون علماء

لم يتوقف الأمر عند قيام السلطتين السياسية والدينية بممارسة الاضطهاد والجور للفلاسفة والعلماء، بل أن بعض الفقهاء والمؤرخين شاركوا بهذه الأفعال، حين كان يتم إلقاء تهمة الكفر والتجديف على كل من يخالفهم الفكر. على سبيل الذكر لا الحصر فإن المتصوف الأندلسي الإمام "محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي" المشهور بابن عربي اتهمه فقهاء عصره بالكفر والضلال، وهو الذي يعتبر شيخ الصوفية، وكان يميز بين المنهج العقلي الاستدلالي الذي يستعمله الفلاسفة، وبين منهج الصوفية في المعرفة الذي أسماه الذوق، وقال إن الأولين أصحاب فكر لا ذوق، والآخرين أصحاب أذواق وأحوال، لا أصحاب فكر واستدلال. أفكار ابن عربي وخاصة كتابه "ترجمان الأشواق" كانت سبباً في توجيه تهم توظيف الرمز لستر ما ينافي الدين. وقام كل من "ابن تيمية" و "ابن خلدون" بتكفيره، ثم انقسم الناس حوله فمنهم من كفره وبدعه وهم أكثر العلماء، ومنهم من عدّه الشيخ الأكبر وعده من كبار الأولياء وهم الصوفية، ومنهم من اعتقد ولايته وصلاحه ومع ذلك حرم النظر في كتبه.

وزارة الزندقة

في واقعة غريبة أخرى حصلت في القرن الثاني الهجري، فقد أنشأ أمير المؤمنين "المهدي محمد بن المنصور" وزارة من مهماتها ملاحقة الزنادقة، وسميت "ديوان الزنادقة"، اشتهر هذا الديوان بملاحقة من كان يعتبر زنديقاً لخروجه عن الثوابت والمقدسات، بل أن مهام هذا الديوان اتسعت بحيث نال كل من يخالف الأمراء والفقهاء العباسيين، وتحول الديوان إلى محكمة تفتيش. حيث تم إلقاء القبض على جميع الزنادقة وأمر الخليفة بقتلهم جميعاً وإحراق كتبهم. لكن تهمة الزندقة رفعت أيضاً في وجه الخصوم لأسباب سياسية. أذكر هنا في هذا السياق قيام الخليفة "أبو محمد موسى الهادي" المعروف بالهادي ابن الخليفة "أبي جعفر المنصور" بقتل "يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة" بتهمة الزندقة بناء على وصية من والده المنصور.

وبالرغم من أن الخليفة العباسي "عبدالله المأمون" ابن الخليفة "هارون الرشيد" كان مهتماً بالعلم والعلماء وبالبحث العلمي، وأسس جامعة بيت الحكمة في بغداد، وشهدت فترة حكمه ازدهاراً علمياً، واعتبرت فترة حكمه نقطة تحول في تاريخ الفلسفة الإسلامية من خلال انفتاحها على الفلسفة اليونانية، إلا أنه يعاب على المأمون غياب حرية الفكر الفلسفي في فترة حكمه، وتم في عصره امتحان الفقهاء ورجال الفكر بذريعة محاربة الزندقة، وقد كان يشارك بنفسه في مناقشة العلماء فيما سمي "محنة القرآن" وما تبع ذلك من قتل وسجن وأذية المخالفون لفكر الدولة.

الخليفة المعتصم "أبي إسحاق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور" ثامن الخلفاء العباسيين، المشهور عنه قصة وامعتصماه، اتهم "علي بن عبيدة الريحاني" بالزندقة، وهو أحد أهم البلغاء الفصحاء في عصره، حتى قيل إنه أهم من الجاحظ بلاغة.

الشاعر الشهير والضرير "بشار بن برد العقيلي" رغم أنه كان سليل اللسان، فقد ذهب كثيرون أن سبب قتله من قبل الخليفة المهدي ليس زندقته إنما هجائه للخليفة ببيتين قالهما، وأردهما هنا لمن لا يعرف الواقعة "خليفة يزني بعماته- يلعب بالدبوق والصولجان- أبدلنا الله به غيره- ودس موسى في حر الخيزران".

الحجاج بن يوسف الثقفي قام بقتل الشاعر "الأعشى الهمداني" لأنه كان من أنصار ثورة "ابن الأشعث" الفاشلة فضرب الحجاج عنقه بعد أن هجاه الأعشى.

الشاعر "طرفه بن العبد" قتله ملك الحيرة "عمر بن هند" بتقطيع قدميه ويديه ودفنه حياً، وكان طرفه ما زال شاباً صغيراً، لأنه قام بهجاء الملك.

الشاعر واللغوي والفيلسوف "أبي علاء المعري" رغم اختلاف الأقوال حوله، بين كونه متشككاً في عقيدته ومننداً بالخرافات، وبين من اعتبره يهاجم أصحاب الديانات وليس الديانات ذاتها، إنما وجهت له تهم الزندقة والتجديف. حيث

قال فيه "أبو الفرخ بن الجوزي" أن "زنادقة الإسلام ثلاثة، ابن الراوندي، وأبو حيان التوحيدي، وأبو علاء المعري، وأشدّهم على الإسلام أبو حيان، لأنهما صرّحا، وهو مجمع لم يصرح".

الإمام "أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي" الفقيه والعالم وأول الأئمة الأربعة، وصاحب المذهب الحنفي في الفقه الإسلامي، تعرض للاضطهاد حين ساند حركة "زيد بن علي" على الخليفة الأموي "هشام بن عبد الملك" وهرب على أثرها إلى مكة. وهو الذي شهد الخلافتين الأموية والعباسية. وتعرض لمحنة ثانية حين رفض عرض الخليفة المنصور بتولي القضاء والقيام بإفتاء ما يصدره الخليفة من أحكام، فأُنزل به المنصور السجن والعذاب.

كما أن الإمام "أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل" أحد فقهاء المسلمين، ورابع الأئمة عند أهل السنة وصاحب المذهب الحنبلي، قد عانى الأمرين أيضاً في محنة ما سمي "خلق القرآن" التي استمرت خمسة عشر عاماً، وقام الخليفة "المأمون" بسجن الإمام أحمد لمدة تزيد عن عامين. وسميت محنة خلق القرآن لأن المأمون سعى لفرض آرائه وأفكاره الفلسفية على العلماء، وكان يوجه إلى أشخاصاً بعينهم سؤالاً يتعلق فيما إذا كان القرآن مخلوقاً أم لا.

وفي ذات المحنة قام "خلد بن عبد الله القسري" والي الكوفة، بقتل "الجعد بن درهم" الذي قال إن القرآن مخلوق ومُحدث.

وهكذا بدءاً من عهد الخليفة المنصور مروراً بالخلفاء المهدي والهادي والمأمون والمعتمد، تمّ توظيف تهم الزندقة سياسياً إضافة إلى عمقها الفقهي الديني، وتمّ محاربة واضطهاد حركة الزنادقة التي تكونت من مفكرين وشعراء وأدباء وفلاسفة أصحاب التفكير الإسلامي الحر، تمت ملاحقتهم محاكمتهم وإدانتهن من طرف السلطة السياسية ومشاركة السلطة الدينية التي قمعت الفكر النقدي، وصنفت معظم الفلاسفة على أنهم ملحدون غايتهم إفساد العقيدة الإسلامية.

محارق الكتب

يعمد بعض المفكرين والكتّاب نتيجة الهلع الشديد من السلطة لإفراطها في التعذيب والتنكيل، إلى تقديم براءة ذمة إما بإخفاء إنتاجهم أو حرقه والتخلص منه، وهذا ما فعله الفيلسوف والأديب صاحب القول الشهير "لا كرامة لنبي في قومه" وهو "أبي حيان التوحيدي" الذي حرق مؤلفاته نتيجة الإجحاف الشديد الذي تعرض له من قومه والسلطة الحاكمة حينذاك.

ويحدث في العالمين الإسلامي والعربي أن تجد مفكراً أو كاتباً قد فقد نصف سنوات عمره في البحث والتحليل ومناقشة النظريات والأفكار، وفي الكتابة والتأليف، وتكون النتيجة أن يقابله عامة الناس من مجتمعه بالإهمال بل بالاستهزاء والسخرية، والمؤسسات الثقافية تدير ظهرها لإبداعاته بل وتنكرها خاصة إن كان كاتباً تنويرياً، وقد يقع في شر مؤلفاته إن رأت إحدى السلطتين السياسية أو الدينية خروجاً عما هو مألوفاً من أعراف وقواعد سائدة في كتاباته.

لو طالعت صفحات التاريخ لأصابك عسر الفهم ومسك العجب وأنت تتابع قيام الكثير من الكتّاب والأدباء والفلاسفة والمفكرين في إتلاف إنتاجهم الثقافي حرقاً أو رمياً في الأنهار أو دفناً في قاع التراب. كثيرة هي الأمثلة، ومنها قيام الواعظ الزاهد "يوسف بن أسباط بن واصل" المشهور بالشيباني، بدفن مخطوطاته في أحد الكهوف وأغلق عليها بصخرة.

وأما الصوفي "عبد الرحمن بن عطية" الملقب "أبي سليمان الدراني" نسبة إلى مسقط رأسه في داريا بغوطة دمشق، فقد أحرق مؤلفاته وهو يبكي ويقول ما حرقتك حتى كدت أحترق بك.

الاتهامات بالزندقة والكفر والإلحاد والخروج عن الجماعة، كانت دوماً حاضرة لوصم الفلاسفة والمفكرين والمبدعين المتنورين، واللائف وجود ثلثة من المتربصين كانت دوماً حاضرة تنبري للإيقاع بهؤلاء المفكرين، خاصة إن تعرضت مصالحها للنقد والمسائلة وإن تم كشف عورتهم.

في تاريخنا قام حوالي أربعين عالماً ومفكراً وأديباً بإتلاف مؤلفاتهم عمداً، بسبب الخشية من السلطان الجائر. بالرغم من وجود عدد من المفكرين أزهق مخطوطاته لأنه شعر بعدم جدوى ما يكتب أمام مفارقات واقعه وضمنكه، واللامبالاة

التي يلمسها من محيطه بسبب تراكم الجهل وإهمال المبدعين وعدم الالتفات لرؤيتهم وفلسفتهم. لكن أغلبية المفكرين تخلصوا من مؤلفاتهم خوفاً من السلطتين السياسية والدينية التي لم تتوانى عن اتهامهم بالكفر والانحراف، فقاموا بالتخلص من أوراقهم للحفاظ على حياتهم، وحتى لا تكون مؤلفاتهم وسيلة إدانة لهم من قبل أعداء التنوير والتجديد.

غيض من فيض

أورد هنا بعض الأمثلة على قيام علماء بأفعال غريبة عجيبة نادرة.

العالم الجليل "أبو عمرو بن العلاء بن عمار" الذي ولد في الكوفة عام ٧٠ هجرية وتوفي فيها عام ١٥٤، هو أحد القراء السبعة، كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر. رافق والده إلى الحجاز هرباً من الحجاج. يقال إنه عرف من النحو ما لا يستطيع الأعمش حمله. وكان من أشرف العرب ومدحه الفرزدق بشعره. قام هذا النحو الجليل بحرق مؤلفاته -وقيل طمرها في التراب- نتيجة الإهمال الذي لاقاه وسبب له اليأس.

أيضاً واحد من تلامذة الإمام "أبي حنيفة النعمان" وهو الفقيه الزاهد العابد "داود بن نصير الطائي" الشهير بأبو سليمان الكوفي. ولد العام ١٠٤ هجرية وتوفي عام ١٦٢. عن زهده قالوا إن داود ورث عن أمه أربع مئة درهم، اقتات بها طوال ثلاثين عاماً. قبل أن يتوفاه الله قام بجمع كتبه خلصة ورمها في أحد الأنهار.

من منا لا يعرف شيخ الإسلام "أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري" الشهير بسفيان الثوري، ولد عام ٩٧ هجري وتوفي العام ١٦١. كان زاهداً ورعاً، عالماً أشتهر بالفقه وشدة الحفظ. حكايته مع أبي جعفر المنصور معروفة لمعظم الناس، حين رفض سفيان تولي القضاء، وغضب أمير المؤمنين غضباً شديداً منه، وقد أوشك على حز عنقه، أمر بكتابة عهده على قضاء الكوفة على ألا يعترض عليه، فكتب ودفع إليه، فأخذه سفيان الثوري ورمى به في دجلة وهرب من أمير المؤمنين صوب اليمن، وعاش حياته متخفياً عن عيون الوالي. هذا الفقيه الإمام الخاشع التقي قام بتمزيق أكثر من ألف جزء من مؤلفاته، ورمها في الهواء وهو يقول: ليتني لم أكتب حرفاً واحداً.

شخصية أخرى هو "أبو سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان السيرافي"، كان نحوياً عالماً بالأدب، وصوفياً نزيهاً عفيفاً. كان السيرافي يدرّس ويولي القضاء من غير أن يأخذ على التدريس أو على الحكم مالا، لا يأكل إلا من كسب يده، ينسخ الكتب بالأجرة ويعيش منها. ولد العام ٢٨٤ هجرية وتوفي العام ٣٦٨. قبل وفاته أخبر ابنه وهو يختصر: يا بني لقد تركت لك كتباً، فإن رأيت أنها ستهلك فاحرقها وتخلص من أذيتها.

"محمد بن العلاء بن كريب الهمداني الكوفي" المعروف بكنيته أبي كريب، الإمام الحافظ، شيخ المحدثين، ولد عام ١٦١ هجرية وتوفي عام ٢٤٨. قال السلف ما بالعراق أكثر حديثاً من أبي كريب. هذا الشيخ الجليل أوصى بدفن كتبه معه حين يحين موته.

قام الخليفة المتوكل بجلد الفيلسوف العالم "يعقوب ابن اسحق الكندي" وأباح مكتبته الضخمة، لأن الوشاة شوها سمعة الكندي أمام الخليفة. ولم تشفع للكندي كافة إنجازاته في فروع العلم، وأهمها قيامه بترجمة أهم كتب الفلسفة اليونانية إلى العربية في عهد المأمون، إضافة إلى مساهماته المهمة في الطب والرياضيات والفنون وعلم المنطق والكيمياء. هذا ما يجيد فعله الحاكم بمعاونة حاشيته، مدفوعاً بالأطماع والمصالح التي تبتغي أن يظل الناس في قاع الجهل والتخدير العقلي وتغيب الوعي وفقدان الأمل بالأفضل والأرقى. هذا ما تفعله السلطة ماضياً وحاضراً، حين تنكس رأسها صوب الأرض، كي لا ترى ما يحصل من تقدم وتطور وتحضر وتنوير في هذا العالم. هكذا سيبقى الحاكم والسلطة ما دامت الشعوب تتصارع فيما بينها قبائلاً وطوائفاً ومذاهباً وأعرافاً، وتحكم لقوانين الجاهلية، تائهة في بداوة بدائية، تقتات على شوك صحراوي في وقت يشكو فيه الأبناء والشباب من جوع حضاري لا ينفع معه سوى تغيير بنيوي شامل كامل لكافة مفاصل أطراف هذه الأمة.

*كاتب وباحث فلسطيني مقيم في الدانمرك

الانتخابات الأمريكية.. الشيوخ للجمهوريين والنواب للديموقراطيين

الحررة نيوز؛ ٢٠١٨/١١/٧

فاز الديموقراطيون بالأغلبية في مجلس النواب الأمريكي وحصلوا على سلطة للتدقيق في سياسات إدارة الرئيس دونالد ترامب والمساعدة في تشكيل أجندة البلاد السياسية للسنتين القادمتين، في حين احتفظ الجمهوريون بالأغلبية في مجلس الشيوخ.

وبحسب النتائج المعلنة حتى فجر الأربعاء فقد حصل الديموقراطيون على ٢٢٢ مقعدا في مجلس النواب كاسرين قبضة الجمهوريين المستمرة منذ ثمانية أعوام والتي بدأت بتمرد الحركة المعروفة بحزب الشاي في عام ٢٠١٠. وكان للديموقراطيين قبل انتخابات الثلاثاء ١٩٥ مقعدا من مقاعد مجلس النواب الـ٤٣٥، بينما كان للجمهوريين ٢٤٠ مقعدا.

وفقد الجمهوريون الثلاثاء ٢٧ مقعدا لصالح الديموقراطيين الذين تمكنوا بفضلها من إنهاء احتكار الحزب الجمهوري للسلطة في واشنطن، وفتح حقبة جديدة من الحكومة المنقسمة. وحصل الجمهوريون حتى الآن على ١٩٩ مقعدا.

ولكي يسيطر حزب على الغالبية في مجلس النواب يحتاج إلى ٢١٨ مقعدا. وقلب المرشحون الديموقراطيون المقاعد في مجموعة من الضواحي خارج واشنطن ونيويورك وفيلادلفيا وميامي وشيكاغو ودنفر. كما حققوا تقدما في مناطق ريفية مؤيدة لترامب.

وفي مجلس الشيوخ، احتفظ الجمهوريون بسيطرتهم إذ حصلوا على ٥١ مقعدا مقابل ٤٥ للديموقراطيين لحد الآن. وكان للديموقراطيين ٤٩ مقعدا من مقاعد المجلس البالغ عددها ١٠٠. ولكي يسيطر حزب على الغالبية في مجلس الشيوخ يحتاج إلى ٥١ مقعدا.

وقال رئيس مجلس النواب بول راين إن التاريخ كرر نفسه حيث يبدو أن الجمهوريين يفقدون السيطرة على مجلس النواب بعد ثماني سنوات.

وأضاف راين الذي سيتقاعد من الكونغرس في بيان، إن حزب الرئيس "يواجه دائما احتمالات قاسية في أول انتخابات نصفية" وكثيرا ما يخسر عشرات المقاعد.

وعبر المشرع الجمهوري عن فخره بالحملة التي أدارها مرشحو حزبه "في بيئة سياسية صعبة"، وهنا الديموقراطيين على فوزهم بأغلبية في مجلس النواب. وامتدح من جهة أخرى الجمهوريين في مجلس الشيوخ لحفاظهم على السيطرة على الغرفة العليا للكونغرس.

ماذا يعني فوز الديموقراطيين بأغلبية مجلس النواب الأمريكي؟

اما هذا الانتصار الديموقراطي سيكبل عمل الرئيس الخامس والأربعين للولايات المتحدة في النصف الثاني من ولايته حتى العام ٢٠٢١. كما سيصعب مهمة الرئيس دونالد ترامب في العامين المقبلين من ولايته فيما يخص إقرار بعض التشريعات التي يسعى إليها في مجال الهجرة والرعاية الطبية.

فوز الديموقراطيين بأغلبية النواب وبحسب شبكة "سي،ان،ان" الأمريكية، سيخولهم بفرض رقابة مؤسسية على رئاسة ترامب، وهو الدور الذي اختار الجمهوريون عدم القيام به نظرا لسيطرته الكاملة على اليمين، وهو ما شأنه التأثير على أجندة البيت الأبيض في تمرير عدد من الملفات الأساسية بنظر ترامب.

سيلقي هذا الفوز الضوء على التكتيكات التي اتبعها الرئيس الأمريكي قبيل الانتخابات النصفية والتي استندت على مهاجمة الديموقراطيين واستخدام "لغة عنصرية" عند تناول مسائل مثل الهجرة عوضا عن الارتكاز على مسائل مثل الاقتصاد الأمريكي.

هل يبقى ترامب على نهجه رغم فشله بالانتخابات النصفية؟

وكالة ساسة بوست: ٢٠١٨/١١/٧

تكبد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، نكسة كبيرة مساء الثلاثاء، مع خسارة حزبه الجمهوري مجلس النواب لصالح خصومه الديمقراطيين.

ولطالما سخر ترامب من "الفاشليين"، إلا أنه في الانتخابات الأخيرة رغم سعيه الحثيث طوال الفترة الماضية، فقد فشل في إقناع الناخبين ليصوتوا لحزبه، ما بات يهدد بتكبير عمله بسبب الغالبية الديمقراطية في مجلس النواب. ويثير الأمر تساؤلات، إن كان فشل ترامب، سيدفعه لتغيير نهجه الذي فشل على أثره في الناخبين.

إلا أن الوكالة الفرنسية في تقريرها الأربعاء، استبعدت أن يقوم ترامب بتبديل نهجه، ولا سيما على ضوء تفاصيل النتائج المتشعبة. فترامب لم يظهر أي قدر ولو ضئيل من التواضع عند إعلان النتائج، بل بقي وفيًا لسلوكه واصفا الانتخابات بأنها "نجاح هائل".

وفي وقت بات فيه كل اهتمام ترامب مصبوبا على تاريخ واحد هو الثالث من تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٢٠، حين يتقدم لولاية ثانية، كتب في تغريدة موجهة إلى مؤيديه "شكرا للجميع!".

مجلس الشيوخ

والواقع أن نتائج هذه الانتخابات قد تمنحه جرعة دعم إضافية تدفعه إلى المضي أبعد في نهجه، وإعادة ترتيب فريقه وإسكات الأصوات النادرة المعارضة لمواقفه سواء في أوساطه أو في صفوف الحزب الجمهوري.

فقد أثبت الانتصار الملفت للجمهوريين في تكساس، حيث أعيد انتخاب تيد كروز في مجلس الشيوخ، وفلوريدا حيث انتخب رون دي سانتيس الذي يجاهر بتبنيه مواقف ترامب حاكما للولاية، أن "أسلوب ترامب" ما زال فاعلا في الحملات الانتخابية، وقد خاض الرئيس شخصا الحملة في هاتين الولايتين.

وتلك الأسابيع التي قضاها يجوب أمريكا ملقيا خطابات عالية النبرة على حشود من المؤيدين، جددت طاقة الرئيس.

وكان أنصاره المحتشدون في قاعات تغص بالقبعات الحمراء المطبوعة بشعاره "لنجعل أمريكا عظيمة من جديد"، يهتفون "أربع سنوات أخرى!".

وسيكون بوسعه الاستناد إلى الغالبية الجمهورية الموسعة في مجلس الشيوخ للاستمرار في تعيين قضاة محافظين. وأخيرا، فإن نتائج الانتخابات الثلاثاء، تضعه أمام خصم بات جليا، هو زعيمة الديمقراطيين في مجلس النواب نانسي بيلوسي.

ولن تكون النائبة عن سان فرانسيسكو البالغة من العمر ٧٨ عاما في أفضل موقع لمقاومة هجماته، في ظل الضغوط التي تمارس داخل حزبها من أجل التجديد.

هل يغير نهجه؟

غير أن البعض في واشنطن يطلق تكهناات بأن الرئيس السبعيني سيعدل نهجه إزاء هذا الوضع السياسي الجديد. وهو نفسه ألمح قبل ساعات من الانتخابات بإمكانية تلطيف نبرته والحد من أسلوبه الاستفزازي والساخري والعدواني.

فقال ردا على سؤال عشية الاقتراع إن كان يأسف على شيء منذ وصوله إلى الرئاسة: "بودي لو كانت نبرتي أكثر لطافة. أشعر أن لا خيار لي إلى حد ما. لكن قد يكون لي خيار في الواقع".

واتصل مساء الثلاثاء ببيلوسي عملا بالتقاليد، غير أن هذه اليد الممدودة قد لا تدوم طويلا.

وفي مطلق الأحوال، سارعت مستشارته كيليان كونواي إلى وضع النقاط على الحروف، فأكدت أن ترامب مدرك أنه سيتحتم عليه العمل مع الديمقراطيين في الكونغرس، قبل أن تلقي اللوم على الديمقراطيين الذين اتهمتهم بـ"إبداء إقبال ضئيل على العمل مع الرئيس".

أمريكا تحتاج إلى غير القوة العسكرية

*دانيال ل. ديفيس

موقع: < ذا ناشيونال إنترست > ٢٠١٨/١١/٧

تحتاج الولايات المتحدة إلى قادة حكماء يدركون أن الجيش ليس سوى أداة واحدة من بين أدوات متعددة في السياسة الخارجية، وأن من الأفضل استخدام هذه الأداة بشكل مقتصد.

عندما يتعلق الأمر بدول مثل كوريا الشمالية وإيران، وحتى القوتين النوويتين روسيا والصين، نجد كثيرين جداً في مؤسسة السياسة الخارجية الأمريكية من الذين يدعون إلى الاعتماد على الجيش، من أجل حل أي مشكلات دولية حقيقية أو متصورة. وفرط الاعتماد هذا على الأدوات العسكرية يثير مشكلة خطيرة تتعارض مع المنطق السليم: فبقدر ما تستخدم الولايات المتحدة هذه الأدوات أكثر، بقدر ما يزداد انعدام أمنها.

ويتفق معظم الأمريكيين على أن الرد العسكري كان ضرورياً من أجل الاقتصاص من مرتكبي اعتداءات ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١، ولكن بحلول منتصف ٢٠٠٢، كان تنظيم «القاعدة» وحركة طالبان، قد دمرا في أفغانستان.

وعند تلك اللحظة، كان يجب على الرئيس جورج بوش، أن يسحب القوات الأمريكية، ويعيد تركيز الجهود على إصلاح الثغرات الأمنية التي كشفتها تلك الاعتداءات، وأن يعمل لإعادة بناء أفغانستان أكثر قوة واستقراراً. ولكن بدلاً من ذلك، ضاعفت الولايات المتحدة أعمالها التي زادت من المخاطر على أمنها.

وهكذا شنت الولايات المتحدة في ٢٠٠٣ حرباً على عراق صدام حسين، الذي لم يكن آنذاك أكثر من مجرد إزعاج استراتيجي، فحولت البلد إلى مرتع للإرهاب. وفي ٢٠٠٥، واجهت قوات أمريكية كانت لا تزال محدودة العدد، تمرداً صغيراً في أفغانستان، وبدلاً من أن تترك ذلك البلد يحل مشكلاته بنفسه، فإنها وسعت وجودها العسكري ليبلغ ١٤٠ ألف جندي، من ضمنهم قوات من حلف الأطلسي. وفي سنوات أحدث عهداً، أخذت الولايات المتحدة تلجأ أكثر فأكثر إلى استخدام القوة العسكرية في بلدان مثل ليبيا، وسوريا، واليمن، وتشاد، والنيجر، والصومال. كما أن كل إدارة أمريكية منذ اعتداءات ١١ سبتمبر/أيلول، كانت تزيد نشر قوات عسكرية عبر العالم، وتوسع نطاق المناورات العسكرية من أجل مواجهة روسيا في أوروبا والصين في آسيا. هذه الاستراتيجية كلفت الكثير من دماء الأمريكيين (٦,٩٧١ قتلوا و٥٢,٦٨٢ جرحوا وفق أرقام البنتاجون). فكيف ضمننت هذه الاستراتيجية مصالح الأمن القومي الأمريكية؟.

لو أن الجواب هو أن هذه الاستراتيجية وضعت حداً لتهديد الإرهاب، وضمنت علاقات أكثر استقراراً مع روسيا والصين، وزادت من قوة الجيش الأمريكي، لكان من الممكن تماماً القول إن هذه النتائج تبرر الثمن الباهظ الذي دفع من أجلها. ولكن ما جنته أمريكا كان العكس تماماً.

ومن أجل وضع حد لهذا الإفراط في الاعتماد على القوة العسكرية، يتعين على الولايات المتحدة أن تدخل تغييرات عدة على استراتيجيتها العامة.

أولاً، يتعين على أمريكا أن تدرك أن قوتها العسكرية لن تحل مشكلات سياسية وعرقية ودينية. وثانياً، على القادة الأمريكيين أن يعترفوا بأن أمريكا لا يمكنها أن تحل كل مشكلة في العالم، ويجب ألا تحاول ذلك.

وعلى مدى السنوات الثلاثين الماضية، لم تستطع روسيا والصين بناء قوة عسكرية تضارع القوة الأمريكية. وكما استطاعت الولايات المتحدة ردع روسيا والصين، على مدى ٧٠ سنة، فإنها قادرة على ردع القوة النووية لكوريا الشمالية، والقوة العسكرية التقليدية لكوريا الشمالية وإيران.

إن الهدف الأولي للحكومة الأمريكية، هو ضمان أمن الأمريكيين، والدفاع عن حدودها ضد أي هجمات، وضمنان قدرتها على تحقيق ازدهار أمريكا. وبناء جيش قوي هو عامل مهم لتحقيق هذه الأهداف، ولكنه ليس العامل الوحيد.

وبفضل ما تمتلكه أمريكا من رادع نووي، وجيش تقليدي مهيم عالمياً، ومركزها باعتبارها أقوى محرك اقتصادي في العالم، فهي تستطيع أن تردع إلى ما لانهاية روسيا والصين وكوريا الشمالية وإيران، وأي دولة معادية عن مهاجمة الأراضي الأمريكية أو المواطنين الأمريكيين. القوة العسكرية الفتاكة يجب أن تستخدم بشكل مقتصد، و فقط عندما يتعرض أمريكيون أو ممتلكات أمريكية لهجمات (أو عندما يكون هناك خطر وشيك بتعرضهم لهجمات). وتبني مثل هذه الاستراتيجية ليس صحيحاً وأخلاقياً فحسب بل هو أيضاً أفضل وسيلة لضمان النجاح على المستوى الاستراتيجي.

*كبير الباحثين في مركز الدراسات الأمريكي «أولويات الدفاع» ومقدم متقاعد في الجيش الأمريكي ..

الزعيم وإعلامه

*حسين عبد الحسين

إعلام الزعيم، حالة مؤقتة، يصفق له المواطنون لخوفهم منه، فيما هم يتناقشون الحقيقة بالهمس والدعابة

الحرّة-شبكة الشرق الأوسط للإرسال (أم. بي. أن)؛ ٢٠١٨/١١/٧

في مسرحية "شاهد ما شافش حاجة" المصرية الكوميديّة الشهيرة، يتفاجأ بطلها سرحان عبدالبصير (عادل امام)، أثناء إطعامه الأرناب في حديقة الحيوانات، بأن القيمين على الحديقة قاموا بنقل أقفاص الأسود ووضعها إلى جانب أقفاص الأرناب. يقول سرحان: "أنا افكرته كلب، طلع أسد".

كجميع التلفزيونات العربية في ثمانينيات القرن الماضي، دأب "التلفزيون العربي السوري" على بث هذه المسرحية، وشقيقتها الكوميديّة الشهيرة "العيال كبرت"، خصوصاً في أيام عيدي الفطر والأضحى. لكن الرقابة السورية اقتطعت جزء "افكرته كلب، طلع أسد" حتى لا يرددها الناس، فيجمعون بذلك كلمة كلب، التي يستخدمها العرب عادة للدلالة على النذالة، مع كلمة أسد، أي اسم الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد.

ويوم زار الرئيس المصري السابق حسني مبارك نظيره الأسد في دمشق، أطلق السوريون دعابة مفادها أن الأسد رأى مبارك ينتعل حذاءً جديداً، فقدم له تهنئة بالقول بالعامية السورية "مبارك الصباط"، ليحييه مبارك أن زوجته كانت قالت له، بالعامية المصرية، "حافظ على جزمك" (أي حذاءك).

في العراق، كان صدام حسين يحصي أنفاس العراقيين، حتى كادت تبدو "سوريا الأسد" عرين الحرية. كانت استخبارات صدام تقرأ الرسائل من وإلى العراق، وتتنصت على الاتصالات، وتتفحص المجلات والكتب الواردة. حتى المطبوعات التي كان يحملها المسافرون القادمون إلى العراق، كانت الاستخبارات تتصفحها بتمحيص، وتنزع أي صفحة فيها عبارة قد تبدو وكأنها تستهدف صدام، وإن بشكل غير مباشر على طراز "افكرته كلب، طلع أسد".

لكن العراقيين، كالسوريين والمصريين والليبيين وسائر "الأشقاء العرب"، كانوا يدركون أن كل نشرة أخبار يبثها التلفزيون الرسمي عن الغارات التي كانت المقاتلات العراقية تشنها ضد إيران، وتعود دائماً إلى قواعدها سالمة، هي دعاية زائفة. وأن العراق تلقى هزيمة مذلة أمام التحالف الدولي الذي حرر الكويت، بما في ذلك قيام "أسد السنة" صدام حسين بتسديد تعويضات مالية لإسرائيل عن الأضرار التي تسببت بها صواريخ سكود، التي رماها عليها أثناء "حرب الخليج" الأولى.

ومثل السوريين، لجأ العراقيون إلى الدعابة. فحولوا شعار صدام عن انتصاره الوهمي في "أم المعارك" والقائل "محلّى (ما أجمل) النصر بعون الله" إلى "محلّى النصر بهولندا"، للدلالة أن العراقيين هربوا من صدام وانتصاراته الوهمية، إلى المهجر، بالملايين.

هكذا كان شكل السجن العربي الكبير، من المحيط إلى الخليج: إعلام رسمي دعائي باهت وتافه، ومواطنون نجباء يدركون الحقيقة ويتناقشونها على شكل دعابة، وأحياناً عن طريق الروايات والقصص والمسرحيات، مثل في روايات السوريين نهاد قلعي ودريد لحام، يوم كان الأخير يردد كلمات العملاق محمد الماغوط، وقبل أن ينقلب

لحام إلى الابتذال وعشق ديكتاتورية الأسد التي يعيش في ظلها الوارف. حتى أن قلعي تعرض لهجوم من شبيحة الأسد أدى إلى شلل في إحدى ذراعيه.

لكن على رغم الدعاية الزائفة، والرقابة، وكتم الأنفاس، والتماثيل على أنواعها، والصور على الجدران وعلى كراسات الدراسة، يتذكر غالبية السوريين الأسد الأب اليوم بعبارة "يلعن روحك يا حافظ".

الإعلام العربي اليوم أكثر جاذبية تقنيا. فيه جميلات يقرآن الأخبار، بدلا من رجال الاستخبارات وشواربهم المرعبة. إيقاع الاعلام العربي اليوم أكثر سرعة، والصورة أكثر نقاء، والألوان أبهى، والموسيقى التصويرية أكثر إيقاعا. لكن فحوى الكلام تشبه ما كان عليه في الثمانينيات: دعاية تتبجح بالزعيم وإنجازاته، وتهاجم الخصوم.

يتم انتقاء ضيوف البرامج الحوارية، عرب وأجانب، وفقا لمواقفهم المعروفة مسبقا. الرأي الآخر، إن صدف أن تمت دعوته، فيتكفل المقدمون والضيوف بمهاجمته، ومقاطعة كلامه، وإبداء الازدراء تجاهه. أما الآراء المستقلة، والتي قد تثني على بعض أفعال الزعيم وتنتقد بعضها الآخر، فلا حاجة لها.

لماذا يخلق الزعماء واقعا بديلا؟ وهل يتوقعون أن يصدق الناس؟ حتى الخليفة العباسي المأمون (حكم بين ٨١٠ و٨٣٣ ميلادية)، قام بتزوير النقش في مبنى قبة الصخرة باستبدال اسم بانيتها، الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان (حكم بين ٦٩٥ و٧٠٥ ميلادية)، باسمه. لكن بدلا من أن يصدق العامة المأمون، ابتكروا "كليلة ودمنة"، ونقلوا الواقع على أسنة حيوانات روائية، ولم ينظر عليهم خداع الدعاية العباسية، ولا تزوير التاريخ.

الغالب أن الزعيم نفسه هو من يصدق الحقيقة الزائفة التي يخلقها هو وإعلامه ويعيشون فيها، ومن يقرأ كتاب خليل الدليمي، محامي صدام حسين، يرى أن الرئيس العراقي الراحل غرق في الكذبة التي اختلقها. وإن صح ما كتبه الدليمي، عن اعتقاد صدام أن الأمريكيين يسعون للضغط عليه للتفاوض معه وإعادته إلى الحكم، وأن صدام أراد إدارة عملية هربه من سجنه، يدرك أن الرئيس العراقي كان انفصل عن الحقيقة، وهو ما يفسر مفاجأته لدى سماعه اسم مقتدى الصدر، في اللحظات التي سبقت إعدامه الوحشي المريع.

ومثل صدام، فقد الأسد الابن المقدرة على التمييز بين الحقيقة ودعايته، فزال أن بإمكانه تهديد وقتل كل اللبنانيين، وبعدهم كل السوريين، بما في ذلك بالسلاح الكيميائي، بلا عقاب.

في التاريخ المعاصر، ينذر أن نجح زعيم في تحوير الحقيقة وفرض الوهم الذي يريده كحقيقة بديلة، على الرغم من كل المحاولات الدعائية التي يقوم بها. فالتاريخ لا يرى في جوزف ستالين إلا طاغية روسيا، والتاريخ يسخر من خزعبلات ديكتاتور الصين ماو تسي تونغ وثوراته الدموية التي أسماها ثقافية.

ومثل ستالين وماو، لن يتذكر التاريخ صدام والأسد والقذافي وغيرهم إلا كديكتاتوريين، أيديهم مخضبة بدماء خصومهم، وشعوبهم. أما إعلام الزعيم، فهو حالة مؤقتة، يصفق له المواطنون لخوفهم منه، فيما هم يتناقلون الحقيقة بالهمس والدعاية.

تقويض معاهدات ضبط التسليح النووي وتعقيدات إعادة تشكيل النظام الدولي

*بشير عبد الفتاح

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/١١/٧

لما كانت اتفاقات ضبط التسليح النووي عالمياً، أبت إلا أن تكرر الحظر الأفقي لانتشار أسلحة استراتيجية وأدوات إيصالها، باستثناء الدول الخمس الكبرى" لم تتورع كل من موسكو وواشنطن عن الزعم أن ولعهما هذه الأيام بتطوير أسلحة نووية تكتيكية يظل بمأمن من ملاحقة تلك الاتفاقات.

هكذا، يبدو الأمر وكأنه صراع على إعادة تحديد ملامح النظام الدولي ما بين نظام متعدد الأقطاب تصبو إليه كل من روسيا والصين، أو أحادي القطبية تتوخى واشنطن احتكار الهيمنة على قمته. فمن جهتها، ترجع موسكو تهديد ترامب بالانسحاب من معاهدة الصواريخ المتوسطة المدى، كما سائر معاهدات الحد من التسليح، إلى قلقه المتنامي من معاودة موسكو مساعيها الحثيثة لمزاحمة واشنطن على قمة النظام الدولي، الذي يسعى ترامب الى تكريس قطبيته الأحادية، من خلال تأييد التفوق العسكري الأمريكي الكاسح في مجالي الأسلحة الاستراتيجية والتكتيكية على السواء، وتوسيع الفجوة بين واشنطن وكل من موسكو وبكين، ومنعهما من التحالف أو تطوير قدراتهما الاستراتيجية لتضييق تلك الفجوة توطئة لبناء نظام دولي متعدد الأقطاب. وبينما كانت واشنطن في السابق تسعى إلى نزع فتيل التوتر العالمي من خلال اقتراح معاهدات للحد من التسليح، إذا بها اليوم تنسحب من تلك المعاهدات تبعاً، كما رفضت الانضمام إلى المعاهدة الجديدة التي حاولت الجمعية العامة للأمم المتحدة إقرارها في أيلول (سبتمبر) ٢٠١٧ لحظر انتشار الأسلحة النووية عالمياً. وتحت وطأة التنافس المتنامي والمواكب لتعاظم أهمية الأسلحة النووية التكتيكية في الاستراتيجية العالمية، بدأت موسكو وواشنطن تتحولان من تبادل الاتهامات بانتهاك معاهدات ضبط التسليح إلى التنصل من القيود الصارمة التي وضعتها على استخدام السلاح النووي عقب استخدامه للمرة الأولى ضد اليابان عام ١٩٤٥، حيث طفق بوتن وترامب يتحدثان عن إمكان الرد بأسلحة نووية تكتيكية على أي هجوم مباغت ومكثف بالأسلحة التقليدية. فعلاوة على ما يملك الروس من غضب عارم جراء وصف الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما بلادهم بأنها مجرد قوة إقليمية متوسطة، ما أجاج مساعيهم لاستعادة مكانة روسيا قوة عظمى عبر تطوير قدراتها التسليحية النوعية، أفضت خشية موسكو من هزيمة سريعة حال اندلاع حرب تقليدية مع الغرب بسبب فارق القوة التقليدية لغير مصلحتها، إلى تبني روسيا عقيدة «تصعيد ونزع فتيل التصعيد» التي تتيح لها اللجوء إلى استخدام السلاح النووي حينئذ لتعويض ذلك الخلل الاستراتيجي، فيما هدد الكرملين بأن موسكو سترد بالمثل عبر المطارات السوفياتية السابقة ومطارات بلدان حلف وارسو حالة ما إذا نشرت واشنطن طائرات أمريكية محملة برؤوس نووية تكتيكية في قواعد داخل أوروبا الشرقية وقواعد الناتو في دول البلطيق في سياق ما يُسمى «المهمات النووية المشتركة»، فيما هدد بوتن خلال خطابه الرابع عشر مطلع العام الجاري بأن بلاده ستعتبر أي هجوم نووي على حلفائها هجوماً عليها يستدعي رداً فورياً.

أما واشنطن، فتبنت استراتيجية نووية جديدة تنزع لتطوير نوع جديد من الصواريخ النووية التكتيكية المضادة للأنظمة الروسية المضادة للصواريخ والطائرات الحربية، والتي تطلق من الغواصات ولا تحتاج إلى التخزين على أراضي دول حليفة، لتحل محل الأسلحة النووية التقليدية، بما يتيح لواشنطن تقليص قيود استخدام السلاح النووي من دون أن تكون البادئة، مع مواصلة التزام معاهدات الحد من التسلح الاستراتيجي. فبينما يرى جون بولتون، مستشار الأمن القومي الأمريكي، أن اتفاقيات الحد من التسلح تقيد رغبة واشنطن في إنتاج تكنولوجيا عسكرية متفوقة تخولها حسم المعارك لمصلحتها ومنع روسيا من استعادة مكانتها كقوة عظمى مناوئة، تنحو استراتيجية الدفاع الوطني الأمريكية للعام ٢٠١٨ إلى تحرير الولايات المتحدة من أية قيود تكبل مساعيها لتطوير قدراتها التسليحية بما يجهز مساعي موسكو وبكين للتحويل إلى قوى كونية منافسة.

وفي رسالة ذات دلالة لروسيا، استضافت النرويج أضخم مناورات عسكرية للحلف الأطلسي منذ نهاية الحرب الباردة، تحمل اسم «الرمح الثلاثي ١٨»، شارك فيها بالإضافة إلى الدول ٢٩ الأعضاء في الحلف، كل من السويد وفنلندا، وتضمنت التدريبات التي تستمر حتى ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) مشاركة نحو ٥٠ ألف جندي و١٠ آلاف مركبة و٦٥ بارجة و٢٥٠ طائرة. وعلى رغم تأكيد قيادة الحلف أن المناورات تهدف إلى تدريب قواته على الدفاع عن دولة عضو تتعرض لاعتداء، فضلاً عن التأكيد على وحدة الحلف وتماسكه، ترى السفارة الروسية في أوسلو أن هذه المناورات موجهة ضد روسيا التي تتشارك مع النرويج حدوداً بطول ١٩٨ كيلومتراً. وفي الأثناء، وخلال كلمته أمام «حوار المناامة» الأمني السنوي، شدد وزير الدفاع الأمريكي جيم ماتيس على أن روسيا، التي تعزز نفوذها في سورية لا يمكن أن تحل محل الالتزام الطويل والدائم والشفاف للولايات المتحدة حيال الشرق الأوسط. وبينما استنكر ميخائيل غورباتشوف، آخر زعماء الاتحاد السوفياتي السابق، قرار واشنطن الانسحاب من معاهدة حظر استخدام الصواريخ النووية المتوسطة المدى للعام ١٩٨٧، التي وقعها مع نظيره الأمريكي في حينها رونالد ريغان، معتبراً إياها أحد عوامل إنهاء الحرب الباردة، ومحذراً من إشعاله لسباق تسلح جديد ومواجهة نووية، اعتبر الكرملين ذلك الانسحاب ثاني ضربة قوية تتلقاها ركائز منظومة الاستقرار الاستراتيجي العالمي، بعد انسحاب واشنطن عام ٢٠٠١ من معاهدة الصواريخ الباليستية (أي بي أم) للعام ١٩٧٢. ولا تبدو روسيا مستعدة عملياً للتصعيد مع واشنطن في هذا الصدد، إذ أبدى الكرملين استعداداً لتبني إجراءات بناء ثقة تكفل تبديد هواجس الغرب بشأن نيات روسيا التسليحية، في وقت قدمت الأخيرة إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة مشروع قرار يستند إلى سلسلة قرارات تتبناها بهدف إلزام موسكو وواشنطن باستبقاء معاهدة الأسلحة النووية المتوسطة المدى.

وبعدما أجهضت واشنطن مشروع القرار الروسي خلال اجتماع عقده لجنة نزع السلاح والأمن الدولي التابعة للأمم المتحدة، يبقى الأمل معقوداً على القمة الأمريكية الروسية التي ستستضيفها باريس يوم ١١ تشرين الثاني (نوفمبر). فعلاوة على وجود مهلة زمنية مدتها ستة أشهر أمام واشنطن لإتمام إجراءات الانسحاب من المعاهدة بعد تقديمها إخطاراً رسمياً بهذا الخصوص، وهو ما لم تفعله حتى الآن، دانت المفاوضات الأوروبية قرار ترامب المثير، الذي يعتبره الأوروبيون مؤججاً سباق تسلح نووي يفاقم خطورة اندلاع حرب، ولو بطريق الخطأ، إذا عاودت موسكو وواشنطن نشر صواريخ نووية متوسطة المدى على الأراضي الأوروبية، بالتزامن مع غياب إجراءات بناء الثقة وتقليص زمن التحذير المسبق بين الجانبين.

خارطة تحالفات جديدة في المنطقة تضرب الاستقرار

مجلة "فورين أفييرز" الأمريكية: ٢٠١٨/١١/٧

رأى الباحثان كولين كلارك وأريان طبطبائي أن الاستراتيجية الأمريكية الجديدة إزاء سوريا والتي تهدف إلى احتواء إيران، لا محاربة داعش فحسب، تواجه تحدياً حاسماً نتيجة التحولات المتقلبة في المنطقة التي تصاعدت بعد مقتل الصحافي جمال خاشقجي.

على الولايات المتحدة التصدي للتحولات المتسارعة في المشهد الجيوسياسي الذي تبدو فيه روسيا وإيران وتركيا كتلة متماسكة ذات مصالح مشتركة في سوريا ويشير الباحثان، في مقال بمجلة "فورين أفييرز" الأمريكية، إلى أن أبرز تطورات التحالفات بين القوى الإقليمية المتنافسة في المنطقة يتمثل في ابتعاد تركيا عن الولايات المتحدة وحلف الناتو واتجاهها إلى التحالف مع روسيا وإيران.

أردوغان .. سلطان العصر الحديث

ويوضح الباحثان أن هناك العديد من الأسباب لتوافق أنقرة مع موسكو وطهران" وفي مقدمتها صعود رجب طيب أردوغان إلى الرئاسة التركية في عام ٢٠١٤، وهي بمثابة خطوة لتوطيد سلطته بعد قضاء أكثر من عقد من الزمن كرئيس للوزراء. وعمد أردوغان إلى تمكين الفصائل الدينية والابتعاد عن العلمانية التي أسسها كمال أتاتورك في تركيا في أوائل القرن العشرين.

وتلتقي رؤية أردوغان للعالم مع موسكو وطهران في العديد من المبادئ، وباتت أنقرة الآن معادية للغرب أكثر من أي وقت مضى، ويعني هذا أن تركيا تنحرف بعيداً عن حلف الناتو من أجل التقارب مع القوى الرجعية.

ويقول الباحثان: "تشكل معتقدات أردوغان تصوره عن النظام الإقليمي" إذ يبدو أن الرئيس التركي يعتبر نفسه سلطان العصر الحديث والوريث الشرعي للقيادة السننية، لدرجة أنه يدعى أن بلاده هي الدولة الوحيدة القادرة على قيادة العالم الإسلامي، ولذلك باتت السعودية بالنسبة لأردوغان منافساً أكثر منه حليفاً".

المصالح التركية مع قطر

ويعتبر مقال "فورين أفييرز" أن قضية خاشقجي هي أحدث حلقة في سلسلة التطورات الناجمة عن التوترات المتفاقمة بين تركيا والسعودية" بسبب انضمام أنقرة إلى طهران في دعم الدوحة رغم مقاطعة الرباعي العربي للدوحة التي ترتبط بها تركيا بعلاقات اقتصادية مهمة، ووقعت معها بروتوكولاً سكرياً وافتتحت أول قاعدة عسكرية لها في المنطقة عام ٢٠١٥. وفي الوقت نفسه، وقعت تركيا في الآونة الأخيرة صفقة لشراء أنظمة صواريخ روسية الصنع من طراز S-400 مما دفع وزير الدفاع الأمريكي جيمس ماتيس إلى تحذير تركيا لإعادة النظر في هذه الصفقة لأن هذا الأمر يمثل خرقاً لمنظومة دفاع حلف الناتو.

ويوضح الباحثان أن هذه التطورات حدثت على خلفية الصراع السوري، حيث تمسكت الولايات المتحدة بتحالف طويل الأمد مع السعودية في مقابل إيران، ويبدو التقارب مع روسيا وإيران أكثر ملاءمة من الناتو بالنسبة إلى تركيا المنشغلة باستقرار سوريا حتى لو كان ذلك يعني بقاء الرئيس السوري بشار الأسد في

السلطة، ويتوافق ذلك مع أهداف روسيا وإيران“ إذ تعاوننا معاً بشكل وثيق لتأمين قبضة الأسد على السلطة من خلال توفير الغطاء الجوي والقوات البرية.

داعش .. ذريعة البقاء العسكري

ويلفت مقال المجلة الأمريكية إلى أن الكرد يمثلون مصدر قلق بالنسبة لتركيا أكبر من داعش، وينطبق الأمر ذاته على روسيا وإيران، وبخاصة لأن الأخيرة تشعر بالتهديد (مثل تركيا) من انفصال كردي من شأنه أن يشجع السكان الكرد في تركيا وإيران على الاستقلال مما يهدد سلامة ووحدة الأراضي التركية والإيرانية. وفي الوقت نفسه، يمنح وجود بقايا داعش للتحالف بين أنقرة وطهران وموسكو ودمشق ذريعة لإبقاء قوات عسكرية بسوريا، وهذا بالطبع لا يعني أن هذه الدول لا تعتبر داعش تهديداً، لكنها ترى في ضعف تنظيم داعش، وخسارته للأراضي التي استولى عليها، فرصة لتبرير وجوده العسكري المستمر والعدوانية في بعض الأحيان. وعلى سبيل المثال يعمد أردوغان إلى توطيد علاقات وثيقة مع هيئة تحرير الشام (جماعة إرهابية ترتبط بتنظيم القاعدة وتضم قرابة عشرة آلاف مقاتل)، وهو يعتقد أن بإمكانه توجيه هذه الميليشيات ضد وحدات حماية الشعب الكردية المدعومة من الولايات المتحدة.

ومع ذلك، لاتزال الثقة ضعيفة بين إيران وروسيا وتركيا، فالتنافس بينها متأصل في التاريخ وبلغ حد الدخول في حروب مدمرة بين الأطراف الثلاث من أجل التنافس على السلطة في المنطقة، ولكن الاهتمامات والمصالح المشتركة الراهنة أسفرت عن تعاون وثيق بينها في العديد من المجالات، بما في ذلك المجالات العسكرية والاقتصادية.

مستنقع جيوسياسي

ويضيف الباحثان: "في المستنقع الجيوسياسي للشرق الأوسط، تبدو تركيا الرابع الأكبر" حيث تستفيد من التحولات الراهنة لتحسين صورتها في العالم الإسلامي، وتلعب على الجانبين في الصراع السوري" إذ تحاول تعظيم نفوذها في المفاوضات المستقبلية، ولأن نجاح سياسة الولايات المتحدة إزاء سوريا يعتمد جزئياً على تركيا، فإنه ينبغي أن تدرك الولايات المتحدة الأهداف الإقليمية الرئيسية لتركيا وأن تحدد قدرة حليفها في الناتو على القيام بتحول غير مرغوب فيه بميزان القوى الإقليمي".

ويختتم الباحثان بحض الولايات المتحدة على الاضطلاع بدور فعال في عملية استقرار سوريا، وبدلاً من التركيز على إزاحة الأسد عن السلطة، على إدارة ترامب النظر بشكل أوسع لتأمين المصالح الأمريكية في المنطقة وتجنب بقاء سوريا ملاذاً آمناً للجماعات الإرهابية التي تخطط هجماتها في جميع أنحاء العالم، فضلاً عن التصدي للتحولات المتسارعة في المشهد الجيوسياسي الذي تبدو فيه روسيا وإيران وتركيا كتلة متماسكة ذات مصالح مشتركة في سوريا، وربما يقود هذا التحالف الجديد إلى تحولات جوهرية للسلطة في جميع أنحاء المنطقة، ينتج عنها تداعيات طويلة الأمد بالنسبة لنفوذ الولايات المتحدة.

الانتعاش الاقتصادي لم يمنع تمدد الشعبوية في أوروبا

صحيفة (العرب) اللندنية: ٢٠١٨/١١/٧

قاد دعم المستشار الألمانية أنجيلا ميركل لقضايا المهاجرين منذ عام ٢٠١٥ إلى إنهاء مشوارها السياسي، حيث أعلنت ميركل التي توصف بزعيمة العالم الحر عن تخليها عن منصب المستشارية في نهاية ولايتها الرابعة والأخيرة في العام ٢٠٢١ على أن تتخلى عن رئاسة الحزب في ديسمبر القادم. ولم تصمد القيم الليبرالية التي تمثلها ميركل، التي سبق وأن طمأنت العالم بأن أوروبا مازالت منفتحة وتقبل الآخر باختلافه الديني أو العرقي، أمام رواج الأفكار القومية المحافظة بالغرب منذ صعود دونالد ترامب إلى الحكم واستغلال اليمين المتطرف العداء للأجانب وإثارته لقضايا الهوية لاستقطاب الناخبين وتحقيق مكاسب سياسية.

ورغم ما تعيشه ألمانيا من ظروف اقتصادية وسياسية مغايرة بوصول البطالة إلى أدنى معدلاتها بنسبة ٣,٤ بالمئة وقدرة الحكومة على تجاوز الصعوبات المالية، إلا أن ميركل أعلنت عن تخليها عن منصب المستشارية في نهاية ولايتها الرابعة والأخيرة في العام ٢٠٢١ على أن تتخلى عن رئاسة الحزب في ديسمبر القادم، سعياً إلى تخفيف وطأة الأزمات السياسية التي يعاني منها ائتلافها الحكومي.

وفي خطوة حاسمة باتجاه إنهاء مسيرتها السياسية، قالت المستشارية التي قادت بلادها طيلة ١٣ عاماً، إنها تأمل أن ينهي رحيلها الخلافات المريرة داخل الائتلاف لكي يتم التركيز على مهمة حكم أكبر اقتصاد أوروبي. وقالت ميركل (٦٤ عاماً) للصحافيين في مقر حزبها الاتحاد المسيحي الديمقراطي المحافظ "حان وقت فتح صفحة جديدة"، معلنة أنها لن تختار خلفاً لها على رأس الحزب.

نهاية رحلة ميركل

لا يقف الاقتصاد وراء قرار ميركل خاصة أن المؤشرات الأخيرة تكشف استعادة تعافيه، حيث أظهرت بيانات الثلاثاء الماضي تراجع أعداد العاطلين عن العمل بألمانيا خلال أكتوبر الماضي في حين سجل التوظيف مستوى قياسياً مرتفعاً في سبتمبر، ما يبرز قوة سوق العمل الذي يدعم النمو الذي يقوده المستهلكون في أكبر اقتصاد في أوروبا.

وفي مؤشر إيجابي آخر أظهرت بيانات منفصلة صادرة عن مكتب الإحصاءات الاتحادي أن معدل التوظيف المعدل في ضوء العوامل الموسمية بحسب معايير منظمة العمل الدولية صعد بواقع ٥٥٧ ألفاً ليجعل مستوى قياسياً عند ٤٥ مليوناً في سبتمبر على أساس سنوي.

وأمام هذه المؤشرات الإيجابية يكشف إعلان ميركل لهذا الخبر أن وراءه أسباب أخرى وتحديداً بسبب دعمها للاجئين، وقد ألقى عليها عدد متزايد من الناخبين الألمان اللوم عليها منذ أن أخبرتهم في أواخر صيف عام ٢٠١٥ بأنه "يمكننا القيام بذلك". في حين يريد العديد من هؤلاء الناخبين أن يستردوا ما اعتبروه فجأة هوية مهددة بالانقراض.

وفي الواقع كل شيء تغير منذ صيف ٢٠١٥، حين اتخذت ميركل قراراً تاريخياً بفتح بلادها أمام مئات الآلاف من طالبي اللجوء السوريين والعراقيين والأفغان الذين عبروا أوروبا سيرا بعد المجازفة برحلات خطيرة في البحر. ورغم القلق المحيط بذلك، وعدت بدمجهم في المجتمع الألماني وحمايتهم. وحتى ذلك الحين لم تكن ميركل الحائزة على إجازة دكتوراه في الكيمياء تواجه مخاطر سياسية، مستفيدة من الازدهار الذي تحقق جراء إصلاحات غير شعبية قام بها سلفها الاشتراكي الديمقراطي جيرهارد شرودر.

وفي معرض تفسيرها لقرارها حول المهاجرين الذي اتخذته دون التشاور فعلياً مع شركائها الأوروبيين، تتحدث ميركل باستمرار عن "القيم المسيحية". وهذا مرده أنها بنت قس نشأت خلف الستار الحديدي وعرفت التقشف في ألمانيا الشرقية، بعدما قرر والدها الانتقال من الغرب إلى الشطر الشرقي من البلاد للمساهمة في نشر التعاليم المسيحية في الدولة الشيوعية.

وفي نهاية ٢٠١٥ أثارت ميركل المشاعر عبر التقاطها صور السلفي برفقة مهاجرين ممتنين لها. وتحولت ميركل التي وصفت بالنازية بسبب سياستها المالية المتصلبة إزاء اليونان المديونة، إلى "ماما ميركل" لدى اللاجئين.

لكن بعد سنة، وإثر الزلزال الذي أحدثه وصول دونالد ترامب إلى الرئاسة الأمريكية، أطلق عليها سياسيون ووسائل إعلام أخرى لقب "زعيمة العالم الحر". وتغيرت الأمور في ألمانيا حيث أصبح المهاجرون يثيرون القلق وتزايدت المخاوف حيال الإسلام والاعتداءات وتحول قسم من قاعدتها الناجبة المحافظة إلى تشكيل حزب يميني متطرف هو "البديل لألمانيا".

وفي سبتمبر ٢٠١٧ سجل هذا الحزب صاحب شعار "ميركل يجب أن ترحل"، دخولا تاريخيا إلى البرلمان وكسر بذلك محرمات كانت سائدة في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. وبسبب مهاجمته اللاحقين أصبح حزب البديل لألمانيا المناهض للهجرة أكبر حزب معارض في البرلمان، وبعد نتائج قوية في مقاطعة هسن، أصبحت له مقاعد في جميع برلمانات المقاطعات الألمانية.

وفي الوقت ذاته فقد دفع بروز حزب البديل لألمانيا بحليف ميركل المحافظ الاتحاد المسيحي الاجتماعي إلى تبني سياسات متشددة بشأن الهجرة، وهو ما دفع الناخبين المعتدلين إلى اختيار حزب الخضر اليسار الوسط. كما تلقت ميركل ضربة إضافية في ديسمبر حين تبين أنها لم تقدم أبدا تعازيها لعائلات ضحايا الاعتداء دهسا بشاحنة في نهاية ذلك العام في برلين. ومنفذ الهجوم باسم تنظيم الدولة الإسلامية كان أحد طالبي اللجوء.

وفي أوروبا أيضا، أدت سياسة الهجرة التي اعتمدها ميركل إلى إضعافها. فكما أنها ترفض مشاركة أعباء الديون، رفض تحالف شركائها مشاركة أعباء المهاجرين الذين أدخلتهم إلى البلاد. وكانت ميركل تنجح في كل مرة في النهوض من كل ضربة قوية لتحقيق في نهاية المطاف أهدافها.

لكن ميركل التي توصف كثيرا بأنها أقوى امرأة وقائدة أوروبا الفعلية لم تصمد أكثر، وبدأت قوتها تضعف منذ قرارها فتح حدود بلادها في ذروة أزمة الهجرة في أوروبا والسماح لأكثر من مليون لاجئ بدخول البلاد. وأدى ذلك إلى حالة استقطاب في ألمانيا، وزيادة ظهور اليمين المتطرف، ولم ينقذ الانتعاش الاقتصادي برلين من تمدد الشعبوية وانحسار القيم الليبرالية بسبب قضية المهاجرين وهاجس إسلاموفوبيا.

يعتقد الكاتب الأمريكي جيمس تروب في تقريره في مجلة فورين بوليس الأمريكية أن الافتراضات المادية لليبرالية الغربية لم تعد تعكس واقع السياسة والثقافة الغربية إذ أنه في طبيعة الليبرالية، العقيدة التي تقوم على العقلانية والعلمانية والحساب النفعي، أن يتم اعتبار المصالح المادية حقيقة وأن القيم الأخلاقية ذاهبة إلى زوال. وهذا هو السبب في أن ما يمكن أن يقوله توماس فرانك، في كتابه "واتس ذا ماترويد كنساس؟"، هو أن الجمهوريين قد خدعوا أمريكيين من الطبقة العاملة في التصويت ضد مصالحهم الحقيقية عن طريق إغوائهم بقيم تقليدية.

وبطبيعة الحال، ليس من قبيل الصدفة أن موجة القومية الشعبوية التي تجتاح الغرب الآن بدأت في أعقاب الأزمة الاقتصادية عام ٢٠٠٨، عندما فقد الملايين من الناخبين من الطبقة العاملة والطبقة المتوسطة مدخراتهم ووظائفهم وأحلامهم المستقبلية، لكن موجة الشعبوية اجتاحت السياسة الليبرالية حتى في الوقت الذي بقيت فيه الأعمدة الاقتصادية سليمة. وكانت بولندا هي المحرك الاقتصادي لأوروبا الشرقية، عندما هزم حزب القانون والعدالة البولندي اليميني النظام المدني الليبرالي الكلاسيكي في عام ٢٠١٥.

وقد وصف رئيس الوزراء المدني دونالد تاسك منصبه بأنه للحفاظ على "المياه الدافئة في الصنبور". ويروي جيمس تروب حين كان في وارسو في العام التالي، كيف قال له كونستانتين جيبرت، وهو كاتب عمود وزعيم سابق في منظمة التضامن إنه "كان يعتقد ذلك كافيا، لكنه كان على خطأ. أراد الناس التاريخ، أرادوا المجد، أرادوا المعنى، الذي رأوه في حزب القانون والعدالة البولندي اليميني. كان شعارهم 'سنجعل بولندا عظيمة مرة أخرى'".

ما أرادته البولنديون قبل كل شيء هو الهوية التقليدية التي كانوا يتمتعون بها، أو تخيلوا أنهم كانوا يملكونها، في الأيام التي سبقت انضمامهم إلى السوق الغربية العلمانية والتقدمية الحرة. وقد لاقى هذه الأفكار انتشارا ملحوظا في الدول الغنية في شمال أوروبا. فالسياسة الهولندية، مثل السياسة الألمانية، كانت متذبذبة منذ فترة طويلة بين الأحزاب ذات التوجهات الاقتصادية اليسارية واليمينية. وظل الاقتصاد الهولندي قويا، لكن ارتفاع معدلات الهجرة، التي جعلت من الأقلية بين سكان أكبر أربع مدن في البلاد، أغلبية، أثار سياسة جديدة تماما للهوية الهولندية.

وفي انتخابات عام ٢٠١٧، اجتنب الليبراليون اليمينيون تحديا واجهه حزب اليمين المتطرف "حزب من أجل الحرية" المعادي للأجانب، فقط من خلال ضم سياسة الهوية. لذلك راجت هذه السياسات في السويد والنمسا وغيرهما من الدول الأخرى.

وليس من قبيل المصادفة أيضا أن العداوة للمهاجرين واللاجئين تزداد حدة في شرق ألمانيا عنها في الغرب الأكثر ثراء والأكثر انفتاحا، لكن خلال عدة زيارات إلى مدينة دريسدن، بالقرب من الحدود الشرقية للبلاد، وجد جيمس تروود أن الاقتصاد لم يكن في أعلى مكانة في أذهان المسؤولين في حزب "البديل من أجل ألمانيا" الذين التقيت بهم ولا حتى بين المتظاهرين المنتمين للحركة السياسية "بيغيدا" (أو وطنيون أوروبيون ضد أسلمة الغرب).

كان معظم المتظاهرين من قاطني المدن الصغيرة الذين شاهدوا بعض اللاجئين المسلمين قليلي العدد وشعروا بأن عالمهم وقوميتهم أصبحت تحت الحصار. ومن ثم بدأت الروح القومية في الانتشار غربا: ففي انتخابات هذا الشهر في بافاريا، فاز حزب "البديل من أجل ألمانيا" بأكثر من ١٠ بالمئة من الأصوات ودخل البرلمان هناك لأول مرة، بينما خسرت أحزاب يمين الوسط، وأحزاب يسار الوسط، واستفادت كل من الأحزاب المتطرفة.

لم يستهدف دونالد ترامب الاقتصاد أو سوق الأوراق المالية، لكنه ركز في البداية على سياساته الانعزالية تحت شعار أمريكا أولا لاستهداف المهاجرين، وروج الرئيس الأمريكي منذ اعتلائه سدة الحكم أن قضية الأمهات والأطفال الذين يلتمسون اللجوء من العنف والفقر في أمريكا بمثابة تهديد للأمن القومي والهوية الوطنية.

وقد أشار ستيف بانون المستشار السابق لترامب إلى أن الناخبين الأمريكيين ينقسمون بين "القوميين" و"المنفتحين"، وهو ما يوافق عليه ترامب. ووجد استطلاع عام ٢٠١٧ أن "المخاوف بشأن المهاجرين والتهميش الثقافي كانت عاملا أكثر قوة من المخاوف الاقتصادية في التنبؤ بدعم ترامب بين ناخبي الطبقة العاملة ذوي البشرة البيضاء". ووافق نصف الناخبين تقريبا على نتائج هذا الاستطلاع. ويعلق تروود بقوله "تغيرت الأمور إلى حد كبير لدرجة أنني أشعر وكأنني شخص غريب في بلدي".

هذه الكلمات هي صدى عنوان دراسة أربي راسل هوكشيلد، للطبقة العاملة في لويزيانا ذوي البشرة البيضاء، والتي تحمل عنوان "الغرباء على أرضهم". وتلاحظ هوكشيلد أن موضوعاتها الخاصة بهذه الطبقة العاملة في لويزيانا لا يمكن اختزالها بالكامل للعنصرية وكرهية الأجانب، حتى وإن كانت تحتوي على عناصر من الاثنين معا.

ما يعنيه هذا لليبراليين هو أن برنامج العدالة الاقتصادية لن يكون كافيا لاسترضاء البيض المنعزلين. وهذا يعني أيضا أن سياسة الهوية التي تؤكد على خصوصية كل مجموعة وكل فئة، ستؤدي إلى المزيد من التوق لاستعادة الهوية البيضاء فقط. لذلك يجب على الليبراليين إيجاد لغة قومية تتحدث عن هوية وطنية وشاملة.

وقد سعى الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بشكل واع إلى وضع نفسه في تقليد شارل ديغول كوطني وتجسيد لفكرة فرنسا الداعمة للقيم الأوروبية الحرة، ولا بد من الاعتراف بأن ماكرون قد اكتسب سمعة عظيمة ديغول أكثر من نجاعة سياسته الوطنية ومثل انتصاره في الانتخابات بمثابة انتصار للقيم الليبرالية أمام تمدد الشعبوية في أنحاء أوروبا، ومع ذلك تبقى الفجوة عميقة والأعراق والأجناس الجديدة وأكبر من أن يتم سدها.

ويميل الليبراليون إلى اعتبار أن قيمهم الخاصة عالمية وواضحة ومنفتحة على الآخر، على عكس ما يسمى بالقيم الذاتية المقيدة بالدين أو التقاليد. وفي الواقع، كلاهما تعتبر تفضيلات شخصية، على الرغم من أنها عميقة للغاية وتقسّم بشكل حاد أولئك الذين يعتنقونها.

ويستنتج جيمس تروود أن عولمة البشر والسلع والوظائف والأفكار عملت على زيادة هذا الاختلاف بشكل حاد، وبالتالي أعادت صياغة سياسات الغرب تجاه شعوبهم وتجاه مصالحهم القومية والخارجية.

ويخلص تروود إلى أن الليبراليين لا يستطيعون التخلي عن قيمهم الخاصة، لكن في المقابل يجب أن يأخذوا بجديّة وجهات نظر أولئك الذين لا يتشاركون معهم نفس القيم.

أمريكا والعالم بعد رسوخ الترامبية

*د. خطار أبودياب

موسوعة عربي ٢١: ١٠/١١/٢٠١٨

بعدها قادت واشنطن العولمة والثورة الرقمية، يقودها تصدع العولمة والانكماش نحو الهويات إلى رسوخ الترامبية مع تصدع رئيسها ما يشبه النادي المغلق لرؤساء شعبيين من روسيا إلى تركيا والبرازيل.

"إعادة عظمة أمريكا"

لم تتمكن "الموجة الزرقاء" للديمقراطيين من إلحاق هزيمة بالرئيس دونالد ترامب في انتخابات نصف الولاية، مما دفعه للقول إنه حقق "نجاحاً هاملاً". لكن بعيداً عن الدعاية والتقييم الذاتي، تمكن الحزب الديمقراطي من انتزاع الأكثرية في مجلس النواب على غرار السوابق في استحقاقات مماثلة، لكن تحسين الجمهوريين لأكثريةهم داخل مجلس الشيوخ وبين حكام الولايات أتاح لترامب تلطيف خسارته في انتخابات تحولت لاستفتاء على شخصه ونهجه. في الحصيلة النهائية، انتهت حقبة سنتين من السيطرة المطلقة للجمهوريين على السلطتين التنفيذية والتشريعية، وسنشهد نوعاً من السلطة المضادة خاصة في السياسة الداخلية. لكن الصلاحيات الواسعة لسيد البيت الأبيض في النظام الرئاسي وأكثرية النسبية ستدفعان ليس للاستمرارية في السياسة الخارجية في النصف الثاني من الولاية فحسب، بل سيكون هناك تركيز أكثر على إنجازات في الخارج لتأثير ذلك على الداخل وعلى تصويت الأمريكيين في انتخابات الرئاسة القادمة في ٢٠٢٠.

تبين القراءة المتمعنة لنتائج الانتخابات أن الولايات المتحدة الأمريكية منقسمة إلى نصفين أكثر من أي وقت مضى، وأن زيادة نسبة المشاركة بسبب إقبال النساء والشباب والأقليات الملونة (١١٤ مليون مشارك مقابل ٨٣ مليون شخص في ٢٠١٤) تدلل على استقطاب كبير وكذلك على ثقة بالممارسة الديمقراطية، بالرغم من العنف في الحملات وتضخم إنفاق المرشحين الذي وصل إلى تسعة مليارات دولار ذهب خمسها لحملات الدعاية عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

ومن الدروس الأخرى المستقاة التحول في الحزب الديمقراطي مع وصول جيل جديد من المنتخبين بينهم نسبة كبيرة من النساء لا سابق لها ومجموعة من ممثلي الأقليات بينهم مسلمتان. ومع عدم حصول المد الديمقراطي تحول الحزب الجمهوري إلى حزب ترامبي، وظهر جلياً سقوط رهان البعض على أن ظاهرة الرئيس دونالد ترامب، الآتي من خارج السياق المعتاد للنخب الحاكمة، هي مجرد ظاهرة عابرة.

على العكس من ذلك شهدنا ترسخ أو رسوخ الظاهرة الترامبية سواء من خلال خطاب الترويع واللعب مع الحقائق كما يقول معارضو ترامب، أو من خلال نظرة معينة لمحاكاة التاريخ الوطني مع شعاري "أمريكا أولاً" و"إعادة عظمة أمريكا"، وأثر ذلك على قاعدة انتخابية غالبيتها من بروليتاريا بيضاء تتخوف من التعددية والخارج. لكن بالرغم من حملته على إرث سلفه باراك أوباما خاصة لجهة الضمان الصحي نجحت خطط ترامب و"حروبه التجارية" في تسجيل حصاد جيد للاقتصاد الأمريكي مع أقل نسبة بطالة منذ خمسين سنة. ومع أن بعض الخبراء الاقتصاديين يتوقعون تراجعاً في تحسن الأداء الاقتصادي في العامين القادمين، لكن ترامب يمكن أن يعيد ذلك لتغير الأكثرية في مجلس النواب وعرقلتها له.

لا يعني كل ما تقدم أن درب ترامب معبد تماماً كي يجدد ولايته في ٢٠٢٠، وبدل توزيع الأدوار ضمن سلطات أكثر توازناً ستطغى استراتيجية الانقسام الحاد لتكون الحياة السياسية أكثر صخباً وأكثر توتراً. ومن خلال المؤتمر الصحافي الأول له بعد الانتخابات تبدو هذه هي اللعبة المفضلة للرئيس الذي سرعان ما تخلص من وزير العدل المتردد جيف سيشنز (مع المحقق روبرت مولر) في ملف التدخل الروسي المزعوم في انتخابات ٢٠١٦، وسرعان ما

هدد الديمقراطيين بتحقيقات عن تاريخهم إذا تجرؤوا وبدؤوا بفتح الملفات. واللافت أن الرئيس دونالد ترامب مع مهرجاناته الانتخابية السبعة والثلاثين بدا وكأنه في حملة انتخابية دائمة وأن الأولوية الدائمة لتنفيذ وعوده الانتخابية مما يمنحه مصداقية كبيرة عند قاعدة وطنية شعبية ومعبئة تماماً مع حصول أحداث مثل قافلة المهاجرين غير الشرعيين الآتية من أمريكا الجنوبية أو صعود أشباه ترامب من إيطاليا إلى البرازيل.

في تناقض مع تفاؤل الريغانية التي سيطرت على الحزب الجمهوري منتصف الثمانينات بان دفاعها الليبرالي وكسب الحرب الباردة لاحقاً مع الجمهوري الآخر جورج بوش الأب، وعلى عكس تنظير المحافظين الجدد لحقبة جورج بوش الابن وتصور الأحادية الأمريكية كنهاية للتاريخ، تبدو الترامبية الراسخة حذرة ومتشائمة تجاهه كل الآخرين للحفاظ على المكاسب مع مخاطر الانعزال على دور الولايات المتحدة القيادي في العالم وممارستها كقوة عظمى وحيدة حتى إشعار آخر.

والهامش الواسع للمناورة عند دونالد ترامب يرتبط بالخلفية الأيديولوجية التي تسكنه ولطبيعة تركيبة قاعدته المكونة من ثلاثة عناصر أساسية: القوميون البيض الذين يلامسون العنصرية في مواجهة "الغزو" و"الإجرام" في بلد انتشار السلاح المرخص. الإنجلييون الذين يشكلون على الأقل ربع القاعدة الانتخابية والذين تم تلبية مطلبهم "التبشيري" بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس وتعيين القضاة المحافظين في المحكمة العليا، وأخيراً الليبراليون الجدد الذي جاراهم رجل الأعمال الملياردير في خفض ضرائب الأغنياء وغيرها من صفاتهم.

إزاء هذه الوقائع سيراهن الديمقراطيون على كبح اندفاع ترامب في التغييرات الداخلية في العديد من المواضيع وأبرزها الحماية الصحية وحصانة القضاء ومكافحة التغيير المناخي والمساواة العرقية ومكانة المرأة.

لكن على صعيد السياسة الخارجية ليس هناك من توقع بحصول تغيير ملموس. ففي ملف العلاقة مع الصين والملفات الآسيوية الأخرى وأبرزها الأزمة الكورية ليس هناك من تناقضات كبيرة بين الحزبين، أما بالنسبة للصلة مع روسيا والتوتر الملموس بين قوتي الحرب الباردة السابقتين، سيكون الرئيس دونالد ترامب ضحية التشكيك الدائم وسيبقى ملف "روسبا غيت" سيفاً مسلطاً من الكونغرس يمنعه من حرية الحركة لترتيب صفقات مع الرئيس فلاديمير بوتين، ولهذا ستكون اللعبة بيد المؤسسات الأمريكية وعلى الأرجح سيسود التوتر وانعدام الثقة بين الجانبين مما سينعكس جموداً على الكثير من الملفات العالمية ومنها الملف الأوكراني، أو يعطي القوى الإقليمية حركة أوسع في الملف السوري مثلاً.

وفي ما يخص العلاقات مع الأوروبيين وباقي الحلفاء، يمكن للديمقراطيين أن يضغطوا في الكونغرس باتجاه إصلاح أضرار السنتين السابقتين. وفي الملفين الإيراني، والفلسطيني - الإسرائيلي لن يكون هناك من تغيير يذكر على نهج ترامب الحالي الذي ربما يشهد تعديلات طفيفة للتأقلم مع المتغيرات لا أكثر.

وتبقى الصلة المستقبلية مع المملكة العربية السعودية خاضعة لتعاون أو تجاذب ما بين البيت الأبيض والكونغرس من دون الاعتقاد أن هناك توجهاً أمريكياً لإعادة النظر بطابعها الحيوي لمصلحة الجانبين. ويمكن للبعض في الكونغرس أن يحاول تخفيف المساعدات عن مصر أو الضغط على السعودية، لكن وجود روسيا والصين في الميدان الإقليمي يمكن أن يردع هذا التوجه، ناهيك عن تداخل ذلك مع الصراع الإسرائيلي - الإيراني.

تتغير الولايات المتحدة الأمريكية وتتغير العالم. بعدما قادت واشنطن العولمة والثورة الرقمية، يقودها تصدع العولمة غير الإنسانية والانكماش نحو الهويات إلى رسوخ الترامبية مع تصدّر رئيسها ما أخذ يشبه النادي المغلق لرؤساء شعبيين من روسيا إلى تركيا والبرازيل وغيرها، وذلك في مواجهة ديمقراطيات تزداد هشاشتها وتتساقط مثالاتها ومنظومات قيمها.

واشنطن على صفيح ساخن.. "القتال السياسي قادم"

صحيفة (واشنطن بوست) : ٢٠١٨/١١/١٠

تحت عنوان "واشنطن في قلب المعركة" وصفت صحيفة "واشنطن بوست"، العاصمة السياسية الأمريكية، مشيرة إلى أنها في حرب، في أعقاب قرار منقسم من جانب الناخبين الأمريكيين في انتخابات التجديد النصفى لانتخابات الكونغرس الأمريكي، بشقيه النواب والشيوخ.

ما إن خرجت النتائج إلى العلن حتى أطاح الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، بوزير العدل، وهدد بالانتقام ممن أسماهم "المسابر الديمقراطية"، إذا قاموا بإجراء تحقيقات في سلوكه الشخصي، والفساد المحتمل في إدارته الحالية للبيت الأبيض.

وبحسب ما ذكرت الصحيفة، فإن هذا التحول السريع يشير إلى مراكز المعركة، وهي إدارة ترامب وتحقيق مولر، والديمقراطيين، وهو ما ينذر ببداية عامين من "القتال السياسي" المتواصل.

الرئيس الأمريكي، سيسعى إلى رص الصفوف بما يدعم ترشيحه لولاية ثانية بقيادة الجمهوريين، لكنه للمرة الأولى، سيضطر إلى السيطرة على الحكومة المنقسمة، حيث يتعهد الديمقراطيون، الذين فازوا في مجلس النواب، بأن يفرضوا الرقابة على سلطة الرئيس ترامب، وهو ليس خياراً بل إجباراً لما يواجهونه من ضغوطات من قاعدتهم الليبرالية التي حصدت لهم الغالبية من مقاعد مجلس النواب في انتخابات التجديد النصفية.

ترامب ليس بهذه الحماسة

الرئيس الأمريكي "ليس أحق"، كما قالت "واشنطن بوست"، حيث أشارت إلى أن الرئيس خلال أول ظهور بعد نتائج الانتخابات، رفض إظهار الندم أو تحمل مسؤولية ما وصف "بغزو حزبه في العديد من مناطقه" حيث رفض بعض الناخبين الذين كانوا يؤيدون الجمهوريين في السابق سياسة الرئيس المتشددة.

ونقلت الصحيفة عن رئيسة الأقلية في مجلس النواب، نانسي بيلوسي، والتي من المتوقع أن تصبح رئيسة الأغلبية في مجلس النواب، خلال حديثها في تجمعها الانتخابي في كاليفورنيا، قولها إن "المجموعة الحزبية سوف تستخدم سلطة الاستدعاء الخاصة بها لمتابعة الإشراف الشامل على إدارة ترامب".

وقالت بيلوسي للصحفيين: "سنتحمل مسؤولية احترام دورنا الرقابي وهذا هو المسار الذي سنتبعه". لكنها أضافت أن الديمقراطيين سيفعلون ذلك لمصلحة "محاولة توحيد بلادنا" في إشارة إلى رغبتها في التعاون مع الجمهوريين.

زعيم الأقلية في مجلس الشيوخ، تشارلز إي. شومر، الذي خسر حزبه مقاعد في المجلس الأعلى، فرح بانتصار مجلس النواب وقال: "هناك الآن رقابة على دونالد ترامب، وهذا خبر عظيم لأمريكا".

وفي أعقاب الانتخابات النصفية التي جرت، الثلاثاء، قال بعض الحلفاء، إن "ترامب كان أكثر جرأة، لأنه اعتقد أنه ساعد في توسيع الأغلبية الجمهورية في مجلس الشيوخ وهو متخوف، لأنه لم يعد قادراً على ثني الكونغرس بالكامل عن إرادته".

وقال ترامب في مؤتمر صحفي عقب يوم الانتخابات إن أي أمل في عقد صفقتين من الحزبين سيتبدد إذا استخدم الديمقراطيون في مجلس النواب، سلطتهم الجديدة للتحقيق معه أو إدارته. وقال محللون أن مثل هذه الجهود، كما قالها ترامب بصراحة من شأنها أن تجعل الموقف "يشبه الحرب".

من جانبهم، قال الديمقراطيون في مجلس النواب إنهم "يخططون لبدء سلسلة من التحقيقات حول الرئيس، منها إصدار أمر استدعاء لإقراراته الضريبية". وقال ترامب إنه "سيجيب عن طريق استخدام مجلس الشيوخ الذي يسيطر عليه الجمهوريون على أن "هذا الأمر محض هراء"، ويوجه تعليمات لطفائه هناك بالتحقيق، في سوء تصرف مزعوم من قبل الديمقراطيين"، وفي هذه الحالة ترتهن الولايات المتحدة لتجاذبات سياسة دستورية لا تغني ولا تسمن من جوع.

وقال ترامب: "يمكنهم لعب هذه اللعبة، لكن يمكننا لعبها بشكل أفضل، لأن لدينا شيئاً يسمى مجلس الشيوخ الأمريكي"، "يمكن أن ينظروا إلينا، ثم نتمكن من النظر إليهم، وسوف نظل ذهاباً وإياباً. وقد يكون ذلك جيداً جداً بالنسبة لي سياسياً... لأنني أعتقد أنني أفضل في هذه اللعبة مما هي عليه في الواقع".

تجنب زعيم الأغلبية بمجلس الشيوخ ميتش ماكونيل، الأربعاء، سؤال المراسل حول ما سيفعله الجمهوريون في مجلس الشيوخ، إذا حاول ديمقراطيو مجلس النواب التحقيق في ترامب.

وقال ماكونيل للصحفيين: "سيحدد الديمقراطيون في مجلس النواب ما يعتقدون أنه استراتيجية جيدة". وأضاف "لست متأكداً من أنها ستعمل من أجلهم"، مشيراً إلى أن التحقيقات التي أجراها الجمهوريون في عهد الرئيس بيل كلينتون، وأخر تسعينات القرن الماضي كانت لها نتائج عكسية.

يحاول ماكونيل، وضع مجلس الشيوخ كجبهة مستقرة للحكم المحافظ والابتعاد عن الصراع السياسي بين ترامب وديمقراطي البيت، وفقاً لمستشاريه.

خلافات الديمقراطيين

أخبر الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب المستشارين في البيت الأبيض، أنه ينوي استغلال الانقسامات بين الديمقراطيين في مجلس النواب، وفقاً لمسؤول كبير في البيت الأبيض، ومن المعتقد أن بإمكانه أن يقحم الزعيمة الديمقراطية المقبلة، نانسي بيلوسي، وآخرين مهتمين بعقد صفقات معه بشأن سياسات مثل "الإنفاق على البنية التحتية" ضد أولئك الذين قاموا بما وصفه بإعاقة جدول أعماله وبدء إجراءات المساءلة.

وجادل حلفاء الرئيس بأن الديمقراطيين يببالغون في تقدير تفويضهم من الانتخابات، وأشار آخرون إلى أن الديمقراطيين سوف يظهرون كـ "حالة سياسية" مفيدة لترامب، بينما يسعى الأخير لإعادة انتخابه.

ثقة ترامب في قدرته على اجتذاب العقبات الكثيرة التي تواجهه ستختبر قريباً، ووفقاً للجمهوريين من الإدارات السابقة الذين يتذكرون أن الديمقراطيين في الكونغرس قد فازوا بالسلطة، "طوفان التدقيق القانوني ومذكرات الاستدعاء الخاصة بالكونغرس قد تهدد جدول أعمال الرئيس".

٨٦ دقيقة

وخلال المؤتمر الصحافي الذي عقد في البيت الأبيض، الأربعاء، أجاب الرئيس ترامب على أسئلة الصحفيين لمدة ٨٦ دقيقة، شهد مشادة بين صحافيين وترامب خلال رد الأخير على أسئلتهم، كما خفف ترامب انتقاداته لبعض الجمهوريين في مجلس النواب.

وقال ترامب للصحفيين إنه يعتقد أن فرصه إبرام الصفقات، مثل تمويل مشاريع البناء، وتخفيض أسعار العقاقير التي تستلزم وصفة طبية، وسياسات التجارة التقليدية، ستكون أكبر مع الكونغرس المنقسم، وقال إنه "يتطلع للعمل مع بيلوسي حول الوضع الجميل من الحزبين".

قرار الإطاحة

ترامب أعلن دعوته "للوحدة بين الحزبين" خلال ساعات من النتيجة، من خلال الإعلان عبر تويتر عن الإطاحة المفاجئة بجيف سيسيز، الذي قال في خطاب استقالته إن "الرئيس أمره بالاستقالة".

الديمقراطيون عادوا.. وهم مستعدون لتحدي ترامب

*ديفيد أ. غراهام

مجلة (الأتلانتيك) : ٢٠١٨/١١/١٠

يستطيع الحزب الديمقراطي أن يتحول إلى أغلبية بعشرين مقعداً في مجلس النواب بعد حصوله على عشرات المقاعد في المدن والضواحي، وحتى في المناطق الريفية الأمريكية.

* * *

استعاد الديمقراطيون السيطرة على مجلس النواب يوم الثلاثاء، منهنين بذلك ثماني سنوات من السيطرة الجمهورية، ودافعين الرئيس دونالد ترامب إلى موقف محرج.

مع ظهور معظم النتائج، تبين أن مرشحي الديمقراطيين إما فازوا في السباقات أو أنهم كانوا في المقدمة في ما يكفي من المقاطعات والمناطق للفوز بالمقاعد الثلاثة والعشرين اللازمة للاستيلاء على المجلس، ثم التمتع بتفوق في المقاعد -ربما ينتهي إلى ما يصل إلى ٢٠ مقعداً. والسؤال المطروح الآن هو كم سيكون حجم التفوق الديمقراطي عندما تصل النتائج النهائية من كافة السباقات. وتنسجم هذه النتيجة مع التنبؤات المبكرة، ولو أن العوائد المبكرة يوم الثلاثاء أشارت إلى أن حجم الانتصارات الديمقراطية ربما يكون أصغر من المتوقع، وأن الأمل الذي أعرب عنه بعض المعلقين بقوم موجة زرقاء قد توفي. ومع ذلك، وعلى الرغم من الخسارات القاسية التي مني بها الديمقراطيون في مجلس الشيوخ وسباقات حكام الولايات، فقد تشكل مجلس النواب بنفس الطريقة التي كان الحزب قد أملها تقريباً.

سوف يعيد استيلاء الديمقراطيين على مجلس النواب تشكيل المشهد في واشنطن، ويوفر ثقلًا موازنًا حقيقياً للرئيس ترامب لأول مرة خلال رئاسته، وسوف يكسر السيطرة الجمهورية الموحدة على مجلس النواب، ومجلس الشيوخ، والبيت الأبيض. وفي حين أنه سيكون من المستحيل على الديمقراطيين أن يتمكنوا من سن أي من أولوياتهم فعلياً في قانون، فإن السيطرة على مجلس النواب تضعهم في موقف يمكنهم من ممارسة رقابة صارمة على إدارة ترامب، والتسبب بالمزيد من الصعوبات لرئاسة متصلة وخالية من المرونة مسبقاً.

وقالت النائبة نانسي بيلوسي، المرشحة الأبرز لشغل منصب الرئيس التالي لمجلس النواب، للديمقراطيين في حفل في واشنطن: "سوف يكون غداً يوماً جديداً في أمريكا. يتعلق اليوم بما هو أكثر من الديمقراطيين والجمهوريين. إنه يتعلق باستعادة سلطة الدستور وضوابطه على إدارة ترامب. إنه يتعلق بإيقاف هجمات الحزب الجمهوري وميتش ماكونيل على قانون الرعاية الطبية، وبرامج المعونة الطبية، وقانون الرعاية الصحية بأسعار معقولة، وصحة نحو ١٣٠ مليون أمريكي".

جاءت انتصارات الديمقراطيين يوم الثلاثاء في كل أنحاء البلاد في المناطق الديمقراطية تقليدياً وفي مناطق كان ترامب قد فاز فيها في العام ٢٠١٦. وتحققت الانتصارات في المدن والضواحي، وحتى في بعض المناطق الريفية. وجاءت في الولايات التقدمية تقليدياً، وإنما أيضاً في مناطق أصبح فيها الديمقراطيون أنواعاً نادرة غريبة في العصر الحديث، مثل كنساس وأوكلاهوما. كما أظهر الديمقراطيون أيضاً قوتهم في مناطق الضواحي، موسعين هيمنتهم من المناطق الحضرية امتداداً إلى دوائر انتخابية معزولة كان الجمهوريون يحتفظون فيها بالسيطرة.

تظهر ثلاثة انتصارات حققها الديمقراطيون في فرجينيا عودة ظهور "أم الرؤساء" كولاية ديمقراطية صلبة. فبالإضافة إلى فوز تيم كاين السهل في سباق مجلس الشيوخ الأمريكي، شهد أول مقعد تغير شاغله في ليلة الانتخابات جنيفر ويسكتون وهي تلحق هزيمة كبيرة بباربرا كومستوك في الدائرة العاشرة في شمال فرجينيا. وكومستوك جندية جمهورية قديمة، وقد أنفق الحزب الجمهوري ملايين الدولارات في السباق، لكنه لم يتمكن من إنقاذ نائبته التي خدمت في المجلس دورتين. كما هزمت إيلين لوريا أيضاً سكوت تيلور في الدائرة الحادية عشرة. لكن النتيجة الأكثر إدهاشاً جاءت في الدائرة السابعة، حيث ألحق عميل وكالة المخابرات المركزية السابق، أبيغيل سبانبرغر، الهزيمة بديف برات في مقاطعة محافظة بشدة. وكان برات، وهو جمهوري محافظ متشدد، قد دخل الكونغرس في العام ٢٠١٤، بعد هزيمة زعيم الأغلبية الجمهورية، إيريك كانتور، في الانتخابات التمهيدية للحزب الجمهوري. والآن أصبح المقعد في أيدي الديمقراطيين.

وشكلت بنسلفانيا بقعة مضيئة أخرى. وكان الديمقراطيون قد توقعوا كسب الولاية في العام ١٩١٦، غير أنها خيبت توقعاتهم وفضلت ترامب. لكن المحكمة العليا في الولاية أمرت في وقت سابق من هذا العام بإقرار دوائر جديدة لانتخابات مجلسي الكونغرس، وقالت أن الخرائط القديمة تعرض غشا حزبياً غير دستوري. وكانت الخرائط الجديدة أكثر تفضيلاً بكثير للديمقراطيين، وهو ما بنوا عليه يوم الثلاثاء، ليحصدوا ثلاثة مقاعد جديدة في الولاية.

حصل الديمقراطيون على مقعدين في فلوريدا، بما فيهما مقعد الدائرة السابعة والعشرين، حيث نجت وزيرة الصحة والخدمات الإنسانية السابقة، دونا شلالا، من فزع متأخر من الخسارة. وفي شرق أيوا، تغلبت الديمقراطية الشابة المتمتعة بالشعبية، أبي فينكناور، على الجمهوري المخضرم رود بلوم. كما تم طرد المرشحين الديمقراطيين، بيتر روسكام وراندي هولتغرين في إلينوي أيضاً. وفاز الديمقراطيون بمقعدين في ميسسوتا، وبثلاثة مقاعد في نيو جيرسي، وبثلاثة في نيويورك، بما فيها منطقة ستاتين أيلاند، وهي معقل تقليدي للحزب الجمهوري في مدينة نيويورك عميقة الزرقة.

في بعض الحالات، كسب الديمقراطيون المقاعد حيث نادراً ما كان لهم الكثير من الحظ في الدورات الانتخابية الأخيرة. ففي دائرة كنساس الثالثة، تغلبت شاريس ديفيدز على كيفن يودر. وألحقت كيندرا هورن الهزيمة باستيف روسيل في الدائرة الخامسة في أوكلاهوما. وخسر الجمهوري المخضرم من تكساس، بيت سيسيونز، لصالح كولين ألدريد في دائرة دالاس-إيرا، واختطفت ليزي فليتشر مقعد جون كبرستون في دائرة انتخابية ظل الجمهوريون يسيطرون عليها منذ أن فاز جورج بوش الأب بها في العام ١٩٦٦. كما صنعت رشيدة طالب في ميتشيغان وإلهام عمر في ميسسوتا التاريخ كأول امرأتين مسلمتين يتم انتخابهما لمجلس النواب الأمريكي.

في المجموع، أصبح الديمقراطيون في موقف يؤهلهم للحصول على ما بين ٣٠ و ٣٥ مقعداً. وكان يمكن أن تكون النتيجة أكثر قتامة بالنسبة للجمهوريين. ومن المتوقع أن يفوز الديمقراطيون بالأصوات الشعبية في مجلس النواب بنحو ٩ في المائة، لكن الولايات المفضلة للمرشحين الجمهوريين تعطيهم تفوقاً بنويماً في مجلس النواب. وكان الديمقراطيون قد أملوا أيضاً في تحقيق اكتساح شامل في المناطق الانتخابية الجمهورية بشدة، لكنهم شهدوا "الموجة الزرقاء" وهي تغمر الدوائر مثل الدائرة السادسة في كنتاكي، حيث تمكن أندي بار من إيقاف تحديثه، آمي ماكغارش. كما نجا العديد من الجمهوريين المثيرين للجدل أيضاً. وظهر دونكان هانتر من كاليفورنيا، وكريس كولينز من نيويورك، اللذين يواجهان كلاهما قرارات اتهام جرمية، وهما يسيران على الطريق إلى الانتصار، مثلما كان حال ستيف كينغ من أيوا، الذي كانت تعليقاته وأعماله العنصرية قد دفعت اللجنة الجمهورية للكونغرس إلى سحب دعمها المالي له في وقت متأخر من الحملة.

مع ذلك، وفي ليلة من الخسائر الموجهة للديمقراطيين في مجلس الشيوخ، وحقيبة مختلطة في سباقات حكام الولايات، جاء مرشحو مجلس النواب لنجدتهم.

تأتي خسائر الجمهوريين في هذه الانتخابات منسجمة مع كل من السوابق التاريخية ومع معظم التوقعات أيضاً. فبشكل نمطي، عادة ما يخسر حزب الرئيس المقاعد خلال انتخابات منتصف المدة -ولو أن ترامب كان قد تحدث بجرأة عن كسر هذا النمط- كما أظهر الناخبون الديمقراطيون قوة مفاجئة في الانتخابات الخاصة منذ العام ٢٠١٦. وبحلول عشية يوم التصويت، توقع كل المحللين البارزين تفوقاً ديمقراطياً. لكن السؤال كان يدور فقط حول حجم هذا التفوق.

في حين أن لكل سباق ظروفه الخاصة، لا مجال لتفويت العامل الرئيسي في الانتصار الديمقراطي: دونالد ترامب. وكان الرئيس قد قال أنه يضع نفسه على قائمة الاقتراع، ويبدو أن الناخبين قد وافقوا، وفقاً لاستطلاعات الرأي. وفي حين أن الديمقراطيين كافحوا مع مسألة كيفية الحديث عنه في قطار الحملة وفي الإعلانات، فإن تأثيره مرئي بوضوح في النتائج. وقد تنافس الديمقراطيون في دوائر كان ترامب قد فاز فيها بسهولة بالغة في العام ٢٠١٦، بما فيه "حزام الصدأ"، بل وحتى ولاية تكساس الزرقاء بعمق. وتظهر البيانات الأولية أن نسبة المشاركة كانت عالية بشكل استثنائي بين الأقليات والناخبين الشباب مقارنة بالانتخابات النصفية الأخيرة. وفي بعض الحالات، كانت شخصية ترامب وأسلوبه عاملاً. وفي حالات أخرى، برهنت سياساته، وخاصة محاولاته لتفكيك نظام الرعاية الصحية بأسعار معقولة، كونها قضية قوية وحاسمة بالنسبة للمرشحين الديمقراطيين. كما تمتع الديمقراطيون أيضاً بجمع أموال وتبرعات قوية بطريقة استثنائية في هذه الانتخابات.

خلال صيف العام ٢٠١٨، توقع ترامب قدوم "موجة حمراء"، في تعارض مع التنبؤات بـ "موجة زرقاء"، ولو أنه تراجع عن ذلك التوقع مع اقتراب "يوم الانتخابات"، وقال لوكالة الأسوشييتد برس في تشرين الأول (أكتوبر) أنه لن يقبل بتلقي اللوم إذا ما خسر الجمهوريون مجلس النواب، وقال هذا الأسبوع أنه كان يركز على الاحتفاظ بتفوق الحزب الجمهوري في مجلس الشيوخ، معترفاً باحتمالات خسارة مجلس النواب.

وعندما أصبحت النتائج واضحة ليلة الثلاثاء، غرد ترامب على تويتر: "نجاح هائل الليلة. شكراً لكم جميعاً!" كما اتصل الرئيس أيضاً ببيلوسي لتهنئتها. ومع ذلك، وعلى الرغم من جهوده لإخفاء خيبة الأمل من النتائج، فقد كانت ليلة سيئة لترامب. وفي حين سجل الجمهوريون انتصارات كبيرة في مجلس الشيوخ وفي العديد من السباقات على مناصب حكام الولايات التي شهدت تنافساً شديداً، فمن المرجح أن يكون مجلس نواب ديمقراطي مصدر توتر خاص للرئيس نفسه.

يضع الانتصار الديمقراطي نهاية لفترة وجيزة من السيطرة الجمهورية الموحدة على فروع الحكومة، بما فيها البيت الأبيض، ومجلس النواب، ومجلس الشيوخ، وكذلك المحكمة العليا من الناحية الفعلية. وكان مجلس النواب في أيدي الجمهوريين منذ صعود موجة "حزب الشاي" في العام ٢٠١٠. وكما تلاحظ صحيفة "الواشنطن بوست"، فإن هذه هي المرة الثالثة التي تتغير فيها السيطرة على المجلس في السنوات الاثنتي عشرة الأخيرة، في نوع من التذبذب الذي لم نشهد له مثيلاً منذ الحقبة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية مباشرة.

يسلم الجمهوريون مطرقة المجلس بسجل مختلط بلا ريب. فقد تمكن الجمهوريون من إيقاف الكثير من بنود أجندة الرئيس باراك أوباما من العام ٢٠١١ بنجاح، لكنهم فشلوا إلى حد كبير في الدفع بالأولويات المحافظة. فما يزال الإنفاق الفيدرالي يواصل النمو ولم يتم تخفيض الاستحقاقات وما يزال مشروع أوباما للرعاية الصحية، "أوباما كير"، قائماً، ولو أنه تم تقليصه وبعد أن هدفوا إلى إجراء إصلاح شامل للضرائب، فإنهم اضطروا إلى القبول بتخفيضات ضريبية المؤقتة. وقد غادر الكثيرون من أعضاء تلك الدورة في العام ٢٠١٠ مجلس النواب أو أنهم سيغادرون هذا العام، كما أن الحزب يفقد رئيسه أيضاً. وكان قد تم وضع باول ريان، من ويسكينسن، الذي يُحتفى به كواحد من ألمع مفكري الحزب الشباب، بصعوبة في منصب رئيس المجلس، لكنه اختار أن يتقاعد هذا العام، وقد سئم على ما يبدو من وجوده عالماً بين رئيس دائم الغضب ولا يمكن التنبؤ به، وبين كتلة سياسية متصلبة وعنيدة. من المحتمل أن يكون الرئيس الديمقراطي لمجلس النواب، في البداية على الأقل، وجهاً مألوفاً: رئيسة مجلس النواب السابقة نانسي بيلوسي. وعلى الرغم من أن عدداً متزايداً من الديمقراطيين أعربوا عن ضيقهم من قيادتها، وأن البعض كسبوا الانتخابات هذا العام مع الوعد بعدم التصويت لصالحها، فإنها تبقى الوجه المفضل بقوة لاستعادة المطرقة - في البداية على الأقل. وكانت بيلوسي تواقّة إلى استعادة منصب رئيس المجلس بعد أن خدمت فيه من العام ٢٠٠٧ وحتى العام ٢٠١١، لكنها قالت أن من الممكن أن تكون رئيسة "انتقالية"، والتي تمهد الطريق لرئيس ديمقراطي جديد للمجلس في المستقبل القريب.

بالنظر إلى سيطرة الجمهوريين على مجلس الشيوخ والبيت الأبيض، ستكون للديمقراطيين فرصة ضئيلة للدفع بأولويات سياستهم. وسيكون المجال الذي يمكن أن يكون لهم فيه أكبر تأثير هو الإشراف على البيت الأبيض. ويعني امتلاك الأغلبية أن مقاعد الديمقراطيين في اللجنة ستحصل على سلطة الاستدعاء، ومن المرجح أن تُغرق إدارة ترامب بالطلبات لتزويدها بالوثائق ولتقديم الشهادات حول طيف كبير من القضايا. ويمكن أن تطلب اللجنة رؤية إقرارات الرئيس الضريبية. بل إن الديمقراطيين قد يحاولون عزله.

بالنسبة لترامب، لن تنتهي مواطن الإحباط هناك. فهو لم يستمتع مطلقاً بالعمل مع الكونغرس، وكثيراً ما عبر عن إحباطه من الإيقاع البطيء لعمل كلا المجلسين. وسوف يصنع وجود حزب المعارضة في موقع السيطرة على مجلس النواب المزيد من الجمود. وإذا كان ثمة جانب مشرق للرئيس، مع ذلك، فهو أن مجلساً يسيطر عليه الديمقراطيون سوف يصنع له نوعاً من المغايرة بينما يترشح لإعادة انتخابه في العام ٢٠٢٠.

* كاتب في مجلة "الأتلانتيك"، حيث يغطي السياسة الأمريكية والأخبار العالمية.

مرحلة إعادة ترتيب الشرق الأوسط

*غازي دحمان

صحيفة (العرب) اللندنية: ٢٠١٨/١١/١٠

يشي الزخم الدبلوماسي والسياسي الذي تشهده المنطقة، وكذلك التحركات العسكرية المتسارعة، وشبكة التفاهات الهائلة التي تبنيها القوى الفاعلة، بأن الأمور تسير باتجاه إعادة ترتيب المنطقة التي دخلت في وضع فوضوي منذ بداية العقد الحالي، نتيجة الثورات والثورات المضادة، والخلافات والتوترات السياسية، إلى أن وصلت الأوضاع إلى مرحلة بات فيها الجميع في حالة إنهاك، بعد استنزاف مديد.

لا خطة واضحة، حتى اللحظة، لترتيب المنطقة، والسبب أن القوى الفاعلة ليست على اتفاق بعد في هذا الخصوص، بل إن طابع العلاقات بينها تنافسي صراعي، لا يتيح المجال لها للتوافق على مشروع بحجم ترتيب هذه المنطقة المغرقة في الفوضى، وإنما تنطلق عملية الترتيب من تحديد حصة كل طرف، وطبيعة التزاماته والأدوار الموكل له القيام بها.

في المشهد المصغر لهذه العملية، تبدو سورية بمثابة البؤرة التي يدور حولها النشاط الإقليمي والدولي، الهادف إلى إعادة ترتيب المنطقة، وتوجد لهذا الخصوص ورشتان، ورشة أستانة المتشكلة من روسيا وتركيا وإيران، ورشة المجموعة المصغرة، أمريكا ودول أوروبا الغربية، وقد سعت المجموعتان إلى استكشاف سبل البحث عن خيارات جديدة، عبر قمة إسطنبول التي جمعت اثنين من كل مجموعة.

وثمة تقديرات تشير إلى احتمالية تأسيس ورشة ثالثة، ومسار جديد، عبر اجتماع جماعة أستانة مع المجموعة المصغرة، والذي بدأت تباشيره في قمة إسطنبول الرباعية، لكن هذا الأمر يشترط حصول توافقات وتفاهات حول قضايا كثيرة لا تزال محل خلاف بين الطرفين، وتحتاج تالياً إلى أفكار من خارج صندوق التعاطي الحالي، حتى يكون ممكناً الدفع بهذا المسار.

وثمة ورشة أخرى، في مسقط، تعمل بهدوء، ولكن بإمكانات استخباراتية ودبلوماسية كبيرة، وغالباً ما يجري تنشيط هذه القناة عندما تكون هناك إرادة مشتركة للأطراف المتصارعة في الرغبة بالوصول إلى حل ما، وقد أظهرت هذه القناة فعاليتها في أثناء التفاوض الأمريكي - الإيراني بشأن الملف النووي، وتشفي زيارة رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، إلى مسقط بوجود ترتيب معين في سياق الترتيبات التي تشهدها المنطقة.

وبالتوازي مع هذه الترتيبات، تجري محاولات بناء تحالف عسكري عربي، تحت مسمى "الناطو العربي"، والهدف الظاهر له إعداد قوة إقليمية تستطيع تحمل عبء المحافظة على الاستقرار وحماية الأمن في بعض المناطق العربية، وتخفيف العبء عن الطرف الذي طالما تولى القيام بهذه المهمة، وهو الولايات المتحدة

الأمريكية، غير أن بناء هيكل هذه القوة ربما يتأخر إلى حين تبلور صورة الهيكل التي ستبدو عليها المنطقة، والهيكل التي ستتشكل في إطارها.

لكن، لماذا نفترض وجود مثل هذا الترتيب الآن في الشرق الأوسط، وخصوصاً أنه سبق أن جرى الحديث، قبل سنوات، عن ترتيبات لم يتسنّ تظهيرها وإبرازها للوجود، من نوع "الشرق الأوسط الجديد" و"الشرق الأوسط الكبير" و"الهلال الشيعي" و"الفوضى الخلاقة"، وسواها من طروحات ومشاريع أراد أصحابها من خلالها أيضاً إعادة ترتيب الشرق الأوسط. تُرى، ألا يعتبر الوضع الحالي للمنطقة، وعلى الرغم من طابعه الفوضوي أكثر فائدة للقوى الخارجية التي تديره، ألا تحمل فكرة إعادة الترتيب مخاطرة لهذه القوى؟

تدل المؤشرات الصادرة عن صراعات المنطقة أن هامش المناورة الذي استفاد منه اللاعبون الكبار "الإقليميون والدوليون" في الفترة السابقة استنفذ تماماً، إما بسبب إنهاك الوكلاء وعدم مقدرتهم على الاستمرار بممارسة أداء أدوارهم القديمة، أو أن الأمور وصلت إلى مرحلة تتطلب إعلان اللاعبين الكبار توضيح حدود مصالحهم وخطوطهم الحمر والهوامش القابلة للتفاوض والمساومة. وهذا يتطلب كشف خرائط المشاريع الجيوسياسية بوضوح، بما يستلزم ذلك من إعادة ترتيب للفوضى، وضبط للجغرافيا، ولملمة اللاعبين الصغار المتسكّعين على مفارق خرائط الصراع.

وإذ يبدو أن الدولة، الكيانات السياسية، قد نجت، في هذه المرحلة، من مصير التشظي الذي لامسها مرات عديدة، فذلك ليس بسبب قوتها وديناميكيته، بل لاكتشاف اللاعبين الخارجيين أن ثمة مهام ما زال مطلوباً إنجازها في هذه المرحلة لصالحهم، لكن المؤكّد أن ثمة تغييرات كبيرة ستطاول هياكل الدول في منطقتنا، ولن يتوقف الأمر عند حد البنى والمؤسسات الإدارية والسياسية، بل سيتعداها إلى البنى الاجتماعية والثقافية.

إلى أين ستفضي هذه الترتيبات، ذلك ما لا أحد يعرفه. الجميع يشارك بطريقة أو أخرى في ورش بناء ترتيبات الشرق الأوسط. الجزء الواضح والمعلن عنه حتى اللحظة طرفان: إيران المطلوب تشذيبها وإعادتها قوة داخل حدودها وإنهاء مرحلة تفلتها، والتنظيمات واللاعبون من غير الدول بعد انفلاشها بكثافة، وعلى مستوى الإقليم برمتها، ذلك أن وجودها بات يهدّد استثمارات اللاعبين الكبار في المنطقة، كما يهدّد خطتها وبرامجها المستقبلية.

على أن ذلك لا يعني أن جهاتٍ أخرى قد تنجو من هذا الترتيب، وخصوصاً النخب الحاكمة في المنطقة، وحتى الدول نفسها، وإذا كان التركيز، في هذه المرحلة، يقتصر على إيران والمنظمات المختلفة، فلأنه ضرورة للتعاطي مع ملفاتٍ أخرى في مرحلة ثانية. وينطلق ذلك كله من قاعدة أن المنطقة فقدت قرارها وقدرتها على تسيير أمورها، تماماً مثلما فقدت مجتمعاتها القدرة على مواصلة العيش المشترك بدون صيغ وترتيبات جديدة.

العولمة والشعبويات

*حسن شامي

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/١١/١٠

لم تعد البورصة أيقونة الاقتصاد المالي فحسب. فهي تمددت ولا تزال إلى حقول أخرى مثل السياسة والثقافة والإعلام والرياضة. يجوز هنا الكلام عن إمبريالية البورصة بغض النظر عن طبيعة اللاعبين الكبار وهوية المتنفذين وأصحاب الأسهم فيها. لا يعني هذا بالضرورة أن التطابق بين حقول النشاط البشري بات ثابتاً ومحكماً. هناك من يستعجل تثبيت هذه الفرضية. يمكننا في المقابل، أن نرفض مقولات فقهاء النيوليبرالية وإصرارهم على أن الأمور ما زالت على حالها الموروثة عن عهد الليبرالية الكلاسيكية مع تعديل في طريقة اشتغالها وتوازن عناصرها. يمكننا بالتالي، أن نفترض أن السياسة في زمن النيوليبرالية المعولمة أخذت تفقد أبرز وجوه صلتها بفلسفة القيم والحقوق حتى في أدبيات الليبرالية الكلاسيكية. وفي السياق ذاته، تقلصت وجوه التمايز والاستقلالية النسبية بين المدارات أو الحقول التي تحتضن النشاطات الإنسانية المتنوعة. لا يمكننا، ولا يجوز أصلاً، أن نقرأ نتاج حقل بأدوات وأجهزة مفهومية تنتمي، أو يجدر بها أن تنتمي، إلى حقل آخر. هذا أبرز ما دشنته الحداثة.

لدينا إذاً خلطة عجيبة من الشخصيات تتمرأى اليوم في مرآة السياسة. وعليه، لا نعود نعلم ما إذا كان رئيس البلد أو نجمه الصاعد هو سياسي أو مقاول أو عارض تعبيرات وهويات جاهزة مثله مثل عارض الأزياء. أحسب أن هذا الخليط من الانطباعات يعصف بكل من يحاول أن يفهم ظاهرة سياسية شعبية مثل دونالد ترامب ومن هم على شاكلته، وقد لا يكون آخرهم جاير بولسونارو الفائز قبل أيام بالرئاسة البرازيلية. لتأكيد التزامه نهج ترامب، أعلن بولسونارو عن نيته نقل السفارة البرازيلية من تل أبيب إلى القدس. يجدر القول إن ترامب ليس الأول وليس ريادة في هذا الباب. فقد سبقه، تحت سموات أخرى، نجوم في السياسة والمقالة والفرجوية مثل سيلفيو بيرلوسكوني. وليس صعود الشعبويات المصحوب بتسخين الهويات القومية والاثنية وما كان يعرف بالهوية الأصلية في أدبيات القرن التاسع عشر سوى التتمة المنطقية لسيرورة بدأت قبل أربعة عقود، مع ثاتشر وريغان. هذه السيرورة استندت إلى تاكل الأيديولوجيات والنظم التي حضنت، أو زعمت، تقديم نماذج مضادة ونقيض، كما هي حال الاتحاد السوفياتي ومنظومته الاشتراكية، فقامت هذه السيرورة بترجيح كفة البورصة وهندسة الربح المالي والمصرفي على كفة المصنع والإنتاج الفعلي. وقد نجحت في فرض نفسها على العالم كله.

لقد قيل الكثير عن مفاعيل هذه السيرورة لجهة توحيد، بالأحرى تأحيد، نمط العيش والذوق والاستهلاك والسلوك والنجومية وتضخم الاتصالات بفضل التسهيلات والمبتكرات التقنية، وما يقابلها من تفتيت وخلخلة لأسس المجتمعات وتوازاناتها الموروثة تاريخياً. وقيل الكثير أيضاً عن القطاعات الاجتماعية العريضة التي ألقته سياسات العولمة على قارعة الطريق، فيما استقرت الصورة الوردية للعولمة على نخب ازدادت نخبوية بفعل الهرمية المستجدة في عملية إعادة تشكيل التراتب الاجتماعي القائم على تذرير الوحدات الاجتماعية، فيما يترك لشبكات المصالح والنفوذ ودوائر المال والمضاربة أن تلعب دوراً يفوق بكثير دورها السابق في توجيه السياسة والتأثير فيها. ما يقوله الشعبويون، في هذا السياق، هو إجمالاً كلام حق يراد به باطل.

قد يكون الاضطراب الكبير الذي طاول غير بلد عربي في ما يعرف دعائياً بالربيع العربي، تعبيراً فاقعاً عن مفاعيل سيرورة تقود إلى التخبط في لعبة الالتحاق بالسيرورة المعولمة. هناك بالطبع فارق بين الالتحاق الطوعي والالتحاق القسري. لكن من المستحسن عدم المبالغة في تشخيص الفارق. ولا يتعلق الأمر هذه المرة بمقولة «تسريع التاريخ» التي فرضها الاحتكاك الأوروبي واقتصاده التوسعي على مجتمعات استأنست بجمود نشاطاتها وثبات مكوناتها على أطر انتماء جماعي ضيق من كل نوع وسابق على الهوية الوطنية في معناها السياسي والحقوقى الحديث. بل يتعلق بعملية تشذيب لبنى سلطوية متخشة واستثنائية تُطابق بين هامشها السيادي وبين مصالح فئوية للنخبة النافذة، وتفتقد بالتالي إلى مرونة التكيف مع بورصة السياسة.

النخب والأزمات العربية: رهانات المستقبل

*إبراهيم غرابية

صحيفة (الغد) الأردنية: ٢٠١٨/١١/١٠

قدم الدكتور محمد بن عيسى الأمين العام لمنتدى أصيلة ووزير الخارجية المغربي الأسبق في منتدى عبد الحميد شومان مقاربات تحتاج إلى جدل حول النخب والأزمات العربية ورهانات المستقبل، عرف بن عيسى النخب بأنها القيادات الاجتماعية والسياسية التي تعكس وعي المجتمعات لذاتها، وقال إنها (النخب) تواجه اليوم أزمات متفاقمة بسبب الربيع العربي ومتوالياته المتسعة في حداثها وصعوبتها. وقد حدد هذه الأزمات بانهييار أو فشل أو ضعف وتراجع الدولة الوطنية، وعجز النظام الإقليمي العربي، والدور المتنامي لتركيا وإيران في المنطقة العربية، وتوقف مسار التسوية السلمية للصراع الفلسطيني العربي - الإسرائيلي، وصعود التطرف الديني العنيف والكراهية والغلو والتشدد، وما تقود إليه من تدمير المجتمعات وتقويض علاقة المسلمين بالعالم.

يعتقد بن عيسى أن الدولة الوطنية المركزية الناهضة هي مبتدأ الحل في مواجهة الأزمات كما أنها القاعدة الصلبة المحركة للوحدة أو التعاون العربي وإعادة تنظيم العلاقات والأدوار الإقليمية والوصول إلى تسوية سلمية عادلة للقضية الفلسطينية، وبالطبع فإن مقاربة بن عيسى تعكس "وعي" معظم إن لم يكن جميع النخب/القيادات السياسية العربية القائمة، التي تقيم الأحداث السياسية والاجتماعية وكأنها مجرد قرارات أو اتجاهات يمكن تغييرها أو مراجعتها، والتي على نحو ما تعتقد أنها تمثل وعي المجتمعات لذاتها، وفي ذلك فإن النخب العربية تزيد الأزمات، بل تتحول هي إلى جزء من الأزمة.

وفي تقديري فإنها مقاربة تنطوي برغم صحة ونزاهة ما تدعو إليه وأهمية الأهداف والنتائج التي تتطلع إليها" على خلل خطير في فهم الأزمة وتقدير مسارها ومستقبلها. فالنخب العربية بما هي القيادات السياسية والاجتماعية لم تعد تعكس وعي المجتمعات لذاتها، وتتحول إلى طبقات فوق المجتمعات وخارجها، وهي لا تختلف في موقعها من المجتمعات وفي نظرتها إليها عن الطبقات الأخرى الخارجة من المجتمعات أو الخارجة عليها، وهذا ما لا تريد ملاحظته القيادات السياسية والاجتماعية العربية.

إن تقييم الربيع العربي بأنها حركات سياسية واجتماعية مستقلة عن التحولات الكبرى والعميقة في الموارد والأعمال والوعي وأدوات التأثير والتفكير الجديدة التي بدأت تتشكل وتؤثر على نحو عميق في الأسواق والمجتمعات يعكس عزلة وغيوبية الطبقات السياسية المهيمنة في عالم العرب، ولم يعد ينطبق عليها مفهوم غرامشي للمثقف العضوي الذي يعبر عن قضايا مجتمعه، وبالطبع فإن هذه العزلة تمتد بالمفهوم الغرامشي إلى فئات أخرى واسعة من أهل الفكر والكتابة والفن والذين لم يعودوا يصوغون مشاعر وتطلعات ورؤى الأجيال والطبقات.

والحال أن الربيع العربي كان خروجاً ثقافياً واجتماعياً للطبقات الوسطى على الانسداد والهيمنة في دورة النخب والموارد والتأثير" ويستخدم الشبكية المتاحة وأدواتها الجديدة في التأثير والتواصل، ولشديد الأسف فإن النخب العربية لم تتوصل بعد إلى ضرورة بناء شراكات جديدة منسجمة مع الفرص والتحديات التي نشأت حول الشبكية، ولا تريد أيضاً الاندماج في منظومة القيم الجديدة المتشكلة والقائمة على الثقة والإتقان والتشاركية، وما زالت تؤمن بالاحتكار والوصاية، بل وتعتقد أنها تمارس حقاً طبيعياً وإلهياً، وأن الاتجاهات الجديدة في التواصل والأعمال والموارد ليست سوى خروج على شرعيتها، شرعية الاحتكار والهيمنة والوصاية والخوف، يمتد ذلك من التأثير والوصول إلى المعلومات والمعرفة وتداولها إلى تدفق السلع والخدمات وتنظيمها، ومن الغريب جداً أن النخب تستخدم الشبكية والتقنيات الجديدة بمهارة وذكاء في تطوير مصالحها والاستغناء عن العاملين لديها، لكنها تقاوم بشراسة الفرص الممكنة للطبقات الاجتماعية والتي تتيحها الشبكية في الأعمال والموارد كما التأثير والمعرفة والتعلم.

النخب العربية تلعب في الوقت الضائع، وهي المسؤولة عن انهيار الدول الوطنية، وليست الطبقات الاجتماعية الواسعة والتي تبحث عن فرص لتحسين حياتها من غير احتكار ولا وصاية!

في مئوية الحرب الكبرى

*مصطفى زين

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/١١/١٠

مئة عام مرت على انتهاء الحرب العالمية الأولى. أو حرب تفكيك الإمبراطوريات النمساوية والألمانية والسلطنة العثمانية وتوسع أخرى، وإعادة رسم الخريطة الجيوسياسية الأوروبية، ثم بروز الإمبراطوريتين السوفياتية والأمريكية اللتين قسمتا العالم إلى قسمين.

قيل في تلك الحرب إنها ستكون نهاية الحروب في أوروبا لكن التنافس على المستعمرات كان السبب الرئيسي في نشوب الثانية وهي اشد هولاً وأكثر تدميراً بسبب التقدم في صناعة الأسلحة والحاجة إلى المزيد من الأموال لتشغيل مصانعها، تماماً كما هو حاصل الآن فسباق التسلح يستهلك معظم الموارد البشرية، ولم يعد مقتصراً على أوروبا، بل عم الدول الأكثر فقراً التي تغرق في حروب أهلية تغذيها أطماع الإمبراطوريات السابقة التي تحتكر هذه الصناعة وتطورها كل يوم، وتتكتل ضد أي دولة تحاول المنافسة.

ومن نتائج الحرب الكبرى أنها أعادت رسم الخريطة الأوروبية وخريطة البلدان التي كانت خاضعة للإمبراطورية العثمانية وتقاسمها بين بريطانيا وفرنسا اللتين خاضتا الحرب الثانية، مستخدمتين أبناء المستعمرات وقوداً لها، فكان الإفريقي يقتل الإفريقي والعربي يقتل العربي والمسيحي يقتل المسيحي والمسلم يقتل المسلم باسم السيد الذي يدعي حمايته وتعليمه الحرية والديموقراطية ويدفعه إلى القتل في الوقت ذاته.

ومن نتائج التنافس على المستعمرات أيضاً بروز الإمبراطورية الأمريكية التي ورثت فرنسا وبريطانيا وشكلت معهما حلفاً ضد أعدائهما في أوروبا وفي المستعمرات، ودافعت عنهما في مواجهة الإتحاد السوفياتي. أي أنها حدثت، بما لديها من قوة ونفوذ، النهج الإستعماري فكانت الإمبريالية التي نعرفها اليوم، وحل الإستعمار الإقتصادي محل الإستعمار المباشر. ولم تنته الحروب، بل زادت وتيرتها، خصوصاً في الشرق الأوسط وإفريقيا حيث مصادر الطاقة.

بعد مئة سنة على الحرب الكبرى هل انتهت الحروب؟ كل الدلائل تشير إلى عكس ذلك. سباق التسلح ما زال قائماً. التنافس على المستعمرات القديمة «المستقلة» ما زال كما كان. الأيديولوجيا الإستعمارية هي ذاتها. المملكة المتحدة ما زالت تدعي ملكيتها جزر الفوكلاند قرب الأرجنتين. فرنسا ما زالت متمسكة بتاريخها وترفض الاعتذار إلى الجزائر.

الولايات المتحدة تهدد أي دولة أو شخص يعارض سياساتها وتفرض العقوبات يميناً ويساراً على من يخالفها ويعارض إسرائيل. روسيا التي كانت حليفة خلال الحربين العالميتين أصبحت عدواً.

الشرق الأوسط نموذج للحروب المتناسلة منذ اقتسام «أملاك» السلطنة العثمانية إلى اليوم. ومنذ وعد بلفور لليهود وإنشاء إسرائيل بعد الحرب الثانية لتكون قاعدة عسكرية متقدمة تحمي المصالح الإستعمارية. يحيي القادة الأوروبيون غداً ذكرى نهاية الحرب العالمية الأولى ويتحدثون عن السلام والحرية وتقديس الحياة ولدى كل منهم خطة لمزيد من الحروب، فمصانع الأسلحة في حاجة إلى من يستهلك إنتاجها وهناك من هو مستعد لشرائها. كما أن الجيوش جاهزة للتحرك ومساعدة «الحلفاء» والأصدقاء».

الفاشية التركية تدافع عن تراث أجدادها

*صالح مسلم

كل قارئ لتاريخ الشرق الأوسط يعرف كيف توسعت الإمبراطورية العثمانية إلى المساحات التي يتغنى بها السلطان الجديد عندما يقول: كنا نملك عشرين مليون كم مربع من الأرض، فكيف سنرضى بسبعمئة ألف كم مربع؟ أي أنه يتطلع إلى التوسع إلى ما كان يملكه أجداده، كما يجب ملاحظة الشعار الذي رفعه داعش "دولة الخلافة باقية وتتمدد" وهو الشعار الذي يرفعه السلطان أيضاً.

لقد توسع العثمانيون بالسيف "أي بقطف الجماجم والسلب والنهب والسبي على يد جيشهم الإنكشاري بطليعة وحدات خاصة تسمى "الشباب المجنون" التي كانت تمارس التدمير والحرق والقتل من دون حدود تمهيداً لدخول الجيش الإنكشاري إلى المدينة أو المنطقة المستهدفة، وبات ذلك أمراً تقليدياً للعثمانيين في كل مكان توسعوا إليه، والتاريخ يذكر أن هؤلاء ذبحوا ثمانية آلاف شخص في يوم واحد عند غزوه للقاهرة بعد معركة الريدانية ١٥١٧، وفعلوها قبل ذلك في مرج دابق ١٥١٦، وتجدر ملاحظة أن مجلة داعش سميت "دابق" كدلالة تاريخية على أهدافهم.

وعندما تحولت الإمبراطورية إلى رجل مريض وسعت القوى العالمية المهيمنة إلى اقتسام تركتها "أبت العثمانية أن تزول إلا بعد وضع بصمتها الدموية على التاريخ مرة أخرى، فكانت الإبادة العرقية الأرمنية التي راح ضحيتها مليون ونصف المليون من أبناء الشعب الأرمني، والبقية الباقية من الأرمن ما زالوا في الشتات يحلمون بالعودة إلى أرض الآباء والأجداد، والعثمانيون الجدد لهم بالمرصاد يمنعون أن تقوم لهم قائمة بشتى الوسائل والأساليب، وكذلك الشعب السرياني الذي تعرض لإبادة "سيفو" وراح ضحيتها سبعمئة ألف، والبقية الباقية تشتتت في الدول المجاورة وكل أصقاع الأرض. كانت هناك شعوب تاريخية عاشت في المنطقة مثل البونتوس واللاز في سواحل البحر الأسود ولكنها تعرضت للإنقراض على يد العثمانيين، فهل هناك من سمع بتلك الشعوب والأقوام؟، وكذلك الروم الذين كانوا يقطنون في غرب تركيا الراهنة لم يبق منهم سوى الذين لجأوا إلى اليونان أو إلى الأصقاع الأخرى من المعمورة. أما قصة العثمانيين مع أبناء الشعب الكردي، فهي مختلفة إلى درجة ما، وما زالت فصولها متواصلة، فالعثمانيون لجأوا إلى المكائد التي اشتهروا بها عبر تاريخهم، أي المكيدة أولاً ثم الإبادة، وهذا ما يشهد التاريخ عليه منذ أيام إدريس البدليسي، حيث استطاعوا شدّ الكرد إلى جانبهم من خلال الوعود والمال بهدف استخدامهم ضد الشعوب الأخرى وضد الكرد الآخرين من بني قومهم، وذبح الذين يرفضون القبول بأن يكونوا أدوات لهم، هذا ما نشهده في تاريخهم مع البدرخانين ومع عبيدالله النهري والآخرين الذين لم يلحقوا بالركب العثماني الدموي" كما أن الكرد الذين لحقوا بالركب العثماني لم يخلصوا من الشتات والزوال" لقد رمى العثمانيون بهم إلى كافة أصقاع الأرض فنرى بقاياهم في اليمن وفي الشمال الأفريقي وفي ألبانيا وكل مكان وصل إليه الجيش العثماني الإنكشاري.

زالت الإمبراطورية العثمانية ولكن تراثها في القتل والتنكيل بقي لدى الجمهوريين الذين استبدلوا العمامة العثمانية بالقبعة الغربية، فكانت العديد من المجازر في كوجكيري، وبالو وأغري وديرسيم وما زال الحبل على الجرار، ومع التطور البشري تطورت الوسائل والأساليب العثمانية أيضاً، وآخر تلك الابتكارات كان داعش الذي أحيا التراث العثماني مرة أخرى، ولا يمكن فهم دوافع وعقيدة داعش إلا بالنظر إلى ما جرى ويجري من خلال مرآة التاريخ العثماني ومكائد قصور السلاطين العثمانيين. فالإمبراطورية تبقى ما دامت الحروب والفتوحات مستمرة، وعندما تنتهي الغزوات والفتوحات والحروب تنتهي الإمبراطورية أيضاً، وهذا ما نشهده اليوم، فلننظر إلى جبهات القتال التي تخوضها دولة السلطان الجديد!! هناك حرب جارية ضد الكرد داخل الدولة التركية ضحاياها بالعشرات كل يوم، وهناك غارات جوية يومية ومعارك دائمة في جنوب كردستان وضحاياها بالعشرات يومياً أيضاً، وتُسّر الدولة التركية على الخسائر ليعني نفي الحرب الدائرة في داخل تركيا، بالإضافة إلى ما يجري في إدلب وعفرين وشمال وشرق سوريا.

السلطان الجديد يدرك تماماً حقيقة أن السلام سيقضي على أحلامه في التوسع والتمدد، ولهذا يعرقل كل جهود السلام في سوريا وفي العراق وحتى في داخل تركيا، وشعوب المنطقة عامة والشعب الكردي بشكل خاص يدفع الثمن.

٢٠١٨/١١/١٠: PYD

الدعوة إلى الحفاظ على نظام تعددي في مئوية الحرب العالمية الأولى

الرئيس الفرنسي: الشرور القديمة والأيدولوجيات الحديثة تهدد السلام والتعايش

اعداد: الانصات المركزي : ٢٠١٨/١١/١٢

تجمع نحو ٧٠ من زعماء العالم تحت سماء ملبدة بالغيوم عند قوس النصر في باريس الأحد، لإحياء الذكرى المئوية لانتهاة الحرب العالمية الأولى. وانضم الرئيس الأمريكي دونالد ترامب والرئيس الروسي فلاديمير بوتين والمستشارة الألمانية أنجيلا ميركل والعشرات من الملوك والرؤساء ورؤساء الحكومات من أوروبا وأفريقيا والشرق الأوسط ومناطق أخرى للرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون لإحياء لحظة توقف نيران البنادق في مختلف أرجاء أوروبا قبل مئة عام.

وشارك الزعماء في مراسم مهيبية عند قبر الجندي المجهول، وهو رمز لتضحية الملايين الذين لقوا حتفهم في الفترة بين ١٩١٤ و١٩١٨.

والمراسم التي شهدتها باريس هي محور فعاليات عالمية لتكريم نحو عشرة ملايين جندي قتلوا خلال الحرب. وتأتي إحياء لذكرى لحظة دخول الهدنة التي جرى توقيعها في شمال شرق فرنسا حيز التنفيذ في الساعة الحادية عشرة صباحا من يوم الحادي عشر من الشهر الحادي عشر من عام ١٩١٨ بين فرنسا وألمانيا.

ووقف زعماء العالم تحت مظلة زجاجية كبيرة عند قوس النصر الذي بناه الإمبراطور نابوليون عام ١٨٠٦ لحضور المراسم. ووقف ماكرون في وضع انتباه في حين عزفت الفرقة الموسيقية العسكرية النشيد الوطني الفرنسي قبل أن يسير تحت المطر لتفقد الجنود، ثم احتل مكانه تحت قوس النصر في حين أدى عازف التشيلو يو-يو ما جزءا من إحدى سيمفونيات باخ.

انتقاد قومية ترامب

ناشد الرئيس الفرنسي الأحد، قادة نحو ٦٥ دولة بالحفاظ على السلام والتعاون، ودعا إلى نبذ "الانطواء والعنف والهيمنة" وخوض "المعركة من أجل السلام".

وقال ماكرون في الكلمة التي ألقاها بمناسبة ذكرى توقيع الهدنة في ١١ نوفمبر ١٩١٨ "دعونا نوحّد آمالنا بدل أن نضع مخاوفنا في مواجهة بعضها". وقال أمام حشد شمل الرئيسين الأمريكي والروسي "بإمكاننا معا التصدي لهذه التهديدات المتمثلة في شبّح الاحتباس الحراري وتدمير البيئة والفقر والجوع والمرض وعدم المساواة والجهل".

وانتقد النزعة القومية التي أعلن ترامب اعتناقها مرارا في الأسابيع الأخيرة، وقال إن "الوطنية هي نقيض القومية تماما. القومية هي خيانة" الوطنية.

وماكرون من كبار المدافعين عن النهج التعددي الذي تقوم عليه العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، في وقت يندد به عدد متزايد من القادة والناخبين في العالم باسم الدفاع عن المصالح الوطنية.

ودعا ماكرون نظراءه باسم الوفاء لذكرى "القافلة الهائلة من المقاتلين الذين قدموا من أنحاء العالم بأسره لأن فرنسا كانت تمثل بنظرهم جميعا كل ما في العالم من جمال"، إلى نبذ "الافتتان بالانطواء والعنف والهيمنة".

وبعدما قضى أسبوعا يجول على ساحات المعارك في شمال فرنسا، خاطب ماكرون قادة العالم قائلا "دعونا نتذكر! يجب ألا ننسى بعد مئة عام على مذبحه لا تزال آثارها مرئية على وجه العالم".

وقال "خلال تلك السنوات الأربع، كادت أوروبا تنتحر" مشيدا بـ"الرجاء الذي حمل جيلا كاملا من الشباب على القبول بالموت، الأمل بعالم يعمه السلام من جديد أخيرا"، مختتما كلمته بالإشادة بالمؤسسات الدولية وأوروبا اليوم والأمم المتحدة.

وحذر ماكرون من أن "الشُرور القديمة" و"الأيديولوجيات الحديثة" تهدد السلام والتعايش، مطالبًا الحضور بالعمل معا "من أجل إبعاد أطياف التغير المناخي والفقر والجوع والمرض، وجميع التفاوتات والجهل". وأشار ماكرون في مقابلة مع قناة "سي أن أن" الأمريكية الأحد، إلى أنه على أوروبا أن "تبني استقلالية" دفاعها بدلا من شراء الأسلحة من الولايات المتحدة. وأوضح بقوله "لا أريد رؤية الدول الأوروبية ترفع من ميزانيات الدفاع لشراء أسلحة أمريكية أو أخرى أو معدات من إنتاج صناعتكم"، مضيفا أنه "إذا زدنا ميزانيتنا، فالغرض بناء استقلاليتنا". ونظّم ماكرون منتدى دوليا للدفاع عن التعددية، وهي الركيزة الأيديولوجية التي تؤطر العلاقات الدولية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وينتهكها بعض رؤساء الدول بشدة، وضمنهم ترامب.

أوروبا موحدة

اتسقت آراء ماكرون مع رأي بابا الفاتيكان فرنسيس الذي اعتبر أن ذكرى الحرب العالمية الأولى تحفز كل شخص على "رفض ثقافة القتل والسعي إلى كل السبل المشروعة" لإنهاء الصراعات الراهنة. أما الرئيس النمساوي ألكسندر فان دير بيلين، حيث يمثل الدولة التي أصدرت أول إعلان للحرب ولكنها تعرضت للهزيمة عام ١٩١٨، فرأى أنه من المهم أن نتذكر ما أدت إليه النعرة القومية في الثلاثينات.

وأضاف فان دير بيلين أن الهدنة بين الحلفاء المنتصرين وألمانيا أنهت القتال، ولكن الأعوام العشرين التي أعقبتها حتى الحرب العالمية الثانية شهدت كل أنواع الانشقاق، التي نجمت أيضا عن مفاوضات السلام سيئة التوجيه، لافتا إلى أن أوروبا الغربية تعلمت الدرس فقط عقب الحرب العالمية الثانية، عندما أسست الاتحاد الأوروبي. في تعبير نادر لعواطف الزعماء، تشابكت أيدي ماكرون وميركل السبت خلال مراسم مؤثرة لإحياء ذكرى توقيع الألمان والفرنسيين على اتفاق الهدنة الذي أنهى الحرب.

وتفقد ماكرون وميركل قوات من فرقة فرنسية ألمانية مشتركة قبل إزاحة الستار عن لوحة تعبر عن الصلح والصداقة المتجددة بين الدولتين اللتين كانتا عدوين في حربين عالميتين.

ووقع وفد ألماني اتفاق الهدنة في الحادي عشر من نوفمبر عام ١٩١٨ في قطار خاص بقائد القوات الفرنسية فرديناند فوش كان يقف على شريط للسكة الحديدية يمر في غابة كومبانيه فوريست. وبعد ذلك بساعات، وفي الساعة الحادية عشرة صباحا، انتهت الحرب.

وقال ماكرون مخاطبا عددا من الشباب وقد وقفت ميركل إلى جانبه "أوروبا تعيش في سلام منذ ٧٣ عاما لأن ألمانيا وفرنسا تريدان السلام".

وكان ماكرون يشير إلى الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية التي انتهت في عام ١٩٤٥. وقالت ميركل إنها تأثرت بالاحتفال. ووصفت دعوة ماكرون لها لحضوره بأنها "بادرة لها معنى كبير".

وفي استعراض قوي للوحدة جلس ماكرون وميركل داخل عربة القطار التي أعيد بناؤها والمبطنة بالخشب والتي وقع فيها ميثاق السلام ثم نظرا في كتاب للذكرى. وبعد أن وقع كل منهما على الكتاب تشابكت أيديهما للمرة الثانية.

أهم المحطات الكبرى للحرب العالمية الأولى

في ما يأتي الحرب العالمية الأولى في عشر محطات، من اعتداء ساراييفو في ٢٨ حزيران/يونيو ١٩١٤ إلى الهدنة التي وقعت في ١١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٨.

هذا النزاع الذي أسفر عن مقتل عشرة ملايين مقاتل وملايين الضحايا الآخرين من المدنيين، غير خارطة أوروبا وأسقط ثلاث امبراطوريات وأدى إلى الثورة السوفياتية وحمل في طياته بذور الحرب العالمية الثانية.

اعتداء ساراييفو

في ٢٨ حزيران/يونيو ١٩١٤، كان ولي عهد امبراطورية النمسا-المجر الأرشيدوق فرانتس فرديناند دي هابسبورغ وزوجته صوفي يزوران ساراييفو، عاصمة البوسنة. وكانت النمسا-المجر ضمت في ١٩٠٨ هذه الولاية التي كانت تابعة للامبراطورية العثمانية. وكانت صربيا القريبة من روسيا، المنافس الكبرى في البلقان لامبراطورية النمسا-المجر.

قام الطالب غافريلو برانسيب وهو قومي من صرب البوسنة، بقتل الأرشيدوق وزوجته. حملت النمسا صربيا مسؤولية عملية الاغتيال وبدأت بذلك الآلية التي أفضت إلى اندلاع الحرب بعد شهر من الحادثة.

إعلان الحرب

في ٢٨ تموز/يوليو، أعلنت النمسا الحرب على صربيا وقصفت بلغراد بعدما وجهت إليها إنذارا في ٢٣ تموز/يوليو. في ٣٠ تموز/يوليو، أعلنت روسيا التعبئة العامة لترهيب النمسا. في الأول من آب/أغسطس أعلنت ألمانيا حليفة النمسا، وفرنسا حليفة روسيا التعبئة العامة أيضا. في اليوم نفسه أعلنت برلين الحرب على روسيا. في ٠٣ آب/أغسطس، أعلنت ألمانيا الحرب على فرنسا واجتاحت القوات الألمانية بلجيكا. في اليوم التالي، أعلنت بريطانيا حليفة فرنسا وروسيا، الحرب على ألمانيا لانتهاكها حياد بلجيكا.

معركة المارن

في الأيام الأولى من أيلول/سبتمبر ١٩١٤، وبعد شهر على هجوم خاطف في بلجيكا وشمال شرق فرنسا، وصلت القوات الألمانية إلى مواقع تبعد بضع عشرات من الكيلومترات عن باريس. وانكفأت الحكومة الفرنسية إلى بوردو. في السادس من أيلول/سبتمبر، شنت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال جوزف جوفر، ومعها البريطانيون هجوما مضادا لتجري معركة المارن.

وبما أن شبكة سكة الحديد حول باريس تعاني من سوء التنظيم، لجأ الجنرال جوزف غاليني حاكم باريس العسكري، إلى استخدام حوالي ٧٠٠ سيارة أجرة لنقل بين خمسة آلاف وستة آلاف مقاتل بسرعة إلى الجبهة. وكانت هذه أول عملية نقل باليات لجنود في التاريخ، لكنها لم تلعب سوى دورا هامشيا.

جرت المعركة الكبرى التي كانت عنيفة جدا من السادس إلى التاسع من أيلول/سبتمبر. تراجعت القوات الألمانية. كانت الخسائر هائلة في المعسكرين وبلغت نحو مئة ألف قتيل في صفوف كل منهما، وضعف هذا العدد من الجرحى. في ١٧ تشرين الثاني/نوفمبر، استقرت الجبهة الغربية عند خط يمتد من بحر الشمال إلى سويسرا، بينما كان النزاع الذي كان الطرفان يتوقعان أن يكون قصيرا، يزداد اتساعا.

الدردنيل

في ٢٥ نيسان/أبريل ١٩١٥، قامت القوات البريطانية والفرنسية بإنزال في غاليبولي في مضيق الدردنيل التركي الذي يتحكم بالوصول إلى القسطنطينية (اسطنبول اليوم) والبحر الأسود وكانت تركيا أغلقت في بداية الحرب. كانت العملية التي دافع عنها خصوصا وينستون تشرشل قائد البحرية البريطانية حينذاك، تهدف إلى الالتفاف على ألمانيا والنمسا وإقامة خط ارتباط مع روسيا.

لكن الإنزال باء بالفشل وسقط ١٨٠ ألف قتيل في صفوف الحلفاء الذين قاموا بسحب قواتهم في كانون الثاني/يناير ١٩١٦.

ويحيي الاستراليون والنيوزيلنديون الذين قاتلوا للمرة الأولى تحت علمهم الوطني، اليوم معركة غاليبولي كواحد من الأحداث المؤسسة لبلديهم.

فردان

في ٢٥ شباط/فبراير ١٩١٦، شن الألمان الذين يريدون "استنزاف" الجيش الفرنسي "حتى آخر نقطة دم" ودفع باريس إلى طلب السلم، هجوما كبيرا في شمال فردان.

واعتبارا من حزيران/يونيو، تم احتواء تقدم الألمان. واستعاد الفرنسيون تحصينات دوومون في تشرين الأول/أكتوبر وكانون الأول/ديسمبر وكذلك معظم الأراضي التي خسروها في بداية المعركة.

مع انتهاء المعركة في كانون الأول/ديسمبر ١٩١٦، تبين أن خطوط الجبهة لم تتغير إلا بشكل طفيف عما كانت عليه، ما يعكس عبثية هذا النزاع.

كانت الخسائر البشرية المتساوية تقريبا بين المعسكرين، هائلة وبلغت ٧٧٠ ألف شخص بينهم أكثر من ٣٠٠ ألف قتيل.

معركة السوم

في معركة السوم سقط العدد الأكبر من الضحايا، إذ أخرجت ١,٢ مليون جندي من المعركة بما فيهم أكثر من ٤٠٠ ألف قتيل أو مفقود. جرت المعركة بين الألمان والحلفاء -- معظمهم بريطانيون -- في شمال فرنسا بين تموز/يوليو وتشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٦.

بادر الحلفاء في الأول من تموز/يوليو إلى الهجوم في هذه المعركة التي تبقى في التاريخ البريطاني الأكثر دموية. فقد سقط فيها ٢٠ ألف شخص بين قتيل ومفقود معظمهم من بدايتها، وأربعين ألف جريح. وبعد خمسة أشهر من القتال، لم يطرأ تغيير كبير على الأرض.

الولايات المتحدة تدخل الحرب

في كانون الثاني/يناير ١٩١٧، وكسر الحصار البحري البريطاني الذي يخنقها، أطلقت ألمانيا حرب الغواصات على أمل إنهاء النزاع وخنق المملكة المتحدة اقتصاديا.

لكن هذه الاستراتيجية جاءت بنتائج عكسية، إذ إن الولايات المتحدة التي حرصت على الحياد في النزاع على الرغم من إصابة عدد من سفنها -- بينها في ١٩١٥ "لوزيتانيا" التي كانت تقل أمريكيين مدنيين --، أعلنت الحرب على ألمانيا.

في ٢٦ حزيران/يونيو، وصلت أول قافلة أمريكية إلى سان نازير في فرنسا. كانت هذه القوة تضم مليون رجل في صيف ١٩١٨ ومليونين في نهاية النزاع.

في المجموع، قتل حوالي ١١٧ ألف جندي أمريكي خلال الحرب.

"شومان دي دام"

في ١٦ نيسان/أبريل ٢٠١٧، أطلق الجيش الفرنسي بأمر من الجنرال روبير نيفيل، في منطقة بيكاردي هجوما بمشاركة مليون رجل على طريق صغير كانت تسلكه "سيدات فرنسا" -- بنات الملك لويس الخامس عشر -- ويسمى "درب السيدات" (شومان دي دام).

لكن الهجوم اصطدم بمقاومة ألمانية. وحتى مطلع أيار/مايو لم تتعد المكاسب بضع مئات من الأمتار بينما وصل عدد القتلى في صفوف الفرنسيين حوالى مئة ألف خلال أسابيع.

في ١٥ أيار/مايو عين الجنرال فيليب بيتان في مكان نييفيل الذي تمت إقالته. وقرر بيتان وقف الهجمات الكبرى لكن كان عليه أولا معالجة حركات العصيان.

فقد شارك بين ثلاثين وأربعين ألف رجل في حركات تمرد حدثت في أغلب الأحيان في الصفوف الخلفية للجيش داخل القوات التي تستريح بعدما جازفت بحياتها من أجل تقدم شبه معدوم وملزمة للعودة إلى الجبهة بسرعة.

وقمع حركات العصيان الذي يحتل مكانة كبيرة في الذاكرة الجماعية للفرنسيين، شكل فيلم أخرجه الأمريكي ستانلي كوبريك "بات أوف غلوري" (دروب المجد) وعرض في ١٩٥٧ (عرض في فرنسا في ١٩٧٥). وقد حكم على ٥٥٤ متمردا في "شومان دي دام" بالإعدام ونفذت الأحكام في ٩٦ منهم بينهم صدر عفو على الباقيين.

الثورة الروسية

بين ١٩١٤ و١٩١٧، خسرت روسيا في المعارك أكثر من مليوني جندي وضابط خصوصا بسبب نقص الأسلحة. في آذار/مارس ١٩١٧، أدت ثورة أولى إلى تخلي القيصر نيكولاس الثاني عن العرش وتشكيل حكومة مؤقتة، لكنها لم تكن تسيطر على شيء ولم تفكر في الانسحاب من النزاع الذي بات يثير غضبا شعبيا في البلاد.

في تشرين الثاني/نوفمبر (تشرين الأول/أكتوبر حسب التقويم الأرثوذكسي الذي كان معتمدا حينذاك)، استولى البلاشفة على السلطة وكان أول قرار لهم أن يعرضوا على الدول التي تحارب روسيا وقف الأعمال العدائية.

وقع لينين مع الألمان في بريست ليتوفسك (بييلاروس) في ١٥ كانون الأول/ديسمبر اتفاق هدنة أنهى المعارك، ثم في ٠٣ آذار/مارس ١٩١٨ معاهدة خسرت بموجبها روسيا جزءا كبيرا من أراضيها الغربية لمصلحة ألمانيا (خصوصا بولندا ودول البلطيق وفنلندا) وأكثر من ثلاثين بالمئة من سكانها.

بذلك أصبح بإمكان ألمانيا توجيه جزء من قواتها إلى الجبهة الغربية.

ريتوند

بعدها واجهت في الربيع أربعة هجمات من قبل الألمان الذين نجحوا في نهاية المطاف في اختراق الجبهة، شن الحلفاء تعزيزهم أولى القوات الأمريكية، في الصيف من منطقة المارن هجوما مضادا شاملا استخدموا فيه للمرة الأولى دبابات.

سمح هذا الهجوم الذي أعد له الجنرال فرديناند فوش قائد قوات الحلفاء، بقلب مسار الحرب نهائيا وأدى إلى تراجع ألماني على كل الجبهات.

انهاء حلفاء ألمانيا الواحد تلو الآخر. فقد وقعت بلغاريا هدنة في ٢٩ أيلول/سبتمبر، وهزم الإيطاليون بقيادة فيتوريو فينيتو النمسا في معركة دامت من ٢٤ إلى ٢٧ تشرين الأول/أكتوبر، بينما اضطرت تركيا لتوقيع هدنة مودروس في ٣٠ تشرين الأول/أكتوبر.

في ألمانيا، أدت حركة ثورية إلى تنازل الامبراطور غليوم الثاني عن العرش في التاسع من تشرين الثاني/نوفمبر وإعلان الجمهورية.

في ١١ تشرين الثاني/نوفمبر وعند الساعة ٠٥,٢٠ في فسحة ريتوند في الغابة (بالقرب من كومبيين بشمال باريس) وفي عربة قطار الجنرال فوش، وقع وفد ألماني بموافقة الحكومة الجديدة في برلين، الهدنة.

قبل الألمان بتسليم كميات كبيرة من المواد الحربية وعربات القطار والقاطرات، وأفرجوا بدون مقابل عن الأسرى ووافقوا على الانسحاب خلال ١٥ يوما من الأراضي التي اجتاحتها في الغرب ومنطقة الألزاس واللورين.

عند الساعة ١١,٠٠ تماما دخل وقف إطلاق النار حيز التنفيذ وانتهت الحرب العالمية الأولى.

الأيام الأخيرة من الحرب العالمية الأولى والفرج بالهدنة

في الساعة الحادية عشرة من اليوم الحادي عشر من الشهر الحادي عشر من العام ١٩١٨، أطلقت آلاف الأبواق ايذاً بوقف إطلاق النار في الحرب العالمية الأولى.

في مطلع نوفمبر ١٩١٨، انكفأت قوات الامبراطور غليوم الثاني دي هوهنتسولرن على كل الجبهات. ومن الرابع من أكتوبر، أبرق المستشار الألماني الأمير ماكس فون بادن، إلى الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون ليؤكد أن بلده مستعد لبدء مفاوضات. وردا على ذلك، طالب الحلفاء باستسلام وبرحيل الامبراطور.

خلفا لرأي الرئيس ريمون بوانكاريه وقائد الجيش فيليب بيتان، قرر قائد القوات الحليفة على الجبهة الغربية فردينان فوش ورئيس الحكومة جورج كليمانصو وقف المعارك وعدم مواصلة المعارك حتى ألمانيا.

في الخامس من نوفمبر وبعد يومين على استسلام امبراطورية النمسا المجر تسارعت الأمور. وصدرت الأوامر للسماح للموفدين الألمان بقيادة وزير الدولة ماتياس ارتسبرغر والدبلوماسي ألفريد فون اوبرندورف بعبور خطوط الحلفاء.

حوالي الساعة ٢٠,٣٠ من السابع من نوفمبر بالقرب من لا كابيل (شمال) أعلن وقف إطلاق النار الأول منذ أيلول/سبتمبر ٢٠١٤ لیتاح مرور القافلة البرية للوفد الألماني. وقد تمت مواكبتها حتى محطة القطارات في تيرنييه حيث صعد الوفد في قطار متوجه إلى ريتوند في كومبيين (منطقة وان) في وسط الغابة حيث تم وضع سكتي حديد للمدفعية الثقيلة.

استسلام الامبراطور

كان قطار فوش من مقر القيادة في سينليس، في انتظارهم هناك. في ٠٨ نوفمبر، استقبل الجنرال الوفد في عربته، وسألهم "هل تريدون الهدنة؟".

تلا الجنرال مكسيم ويغاند نص الشروط التي وضعها الحلفاء في اجتماع عقده في الرابع من نوفمبر في فرساي. طلب الألمان توجيه رسالة إلى سبا في بلجيكا، حيث مقر قائد الجيش المارشال بول فون هندنبروغ. وقد وصلت في ٠٩ نوفمبر وأعلن الامبراطور تنازله عن العرش وأعلنت الجمهورية الألمانية. ووصلت الموافقة على التوقيع في العاشر من الشهر نفسه إلى ريتوند.

ليل العاشر إلى الحادي عشر من نوفمبر ناقش المندوبون الألمان المواد الـ٣٤ من اتفاقية الهدنة التي تليت بعد ذلك ثم ترجمت. وفي الساعة ٠٥,٢٠ من ١١ نوفمبر وقعت الهدنة لتدخل حيز التنفيذ عند الساعة ١١,٠٠.

عند الساعة ١٠,٥٥ قتل الجندي اوغست تريوشون من كتيبة المشاة الـ٤١٥ على ضفاف نهر لاموز. كان هذا على الأرجح آخر فرنسي يقتل على الجبهة الغربية. عند الساعة ١١,٠٠ تماما وفي المكان نفسه عمليا قام الجندي أوكتاف دولوك عازف البوق الذي ينتمي للكتيبة نفسها، بإطلاق مقطوعة الهدنة.

ومن بحر الشمال إلى فردان اطلقت أبواق الحلفاء والألمان لتعزف اللحن المنتظر منذ فترة طويلة. وشيئا فشيئا خرج الجنود من خنادقهم.

احتفالات

في باريس حيا مئات من المارة جورج كليمنصو الذي كان يسير في جادة سان جرمان ليتلقى في البرلمان تكريم مجلس النواب.

عند الساعة ١٦,٠٠ تلا الرجل الذي يلقب بـ"النمر" شروط الهدنة وسط صمت. وبموجب الاتفاق على الألمان التخلي عن الجزء الأكبر من أسلحتهم واخلأ الضفة اليسرى من نهر الراين خلال ثلاثين يوما.

في البلدات الفرنسية الـ٣٦ ألفا أو على الأقل تلك التي لم تدمر في المعارك، أطلقت الأجراس. لكن آلاف من الأرامل والأيتام لم يشاركوا في مظاهر الفرحة هذه.

في سان نازير وبريست وهافر، مر المشاة الأمريكيون الذين كانوا قد وصلوا أخيراً وينتظرون أمر رحيلهم مثل مليونين غيرهم يقاتلون منذ أشهر وطلبوا بعد تحقيق النصر إعادتهم إلى بلدتهم.

في عواصم الدول الحليفة، اجتاح المدنيون الفرحة والشوارع، من ساحة بيكاديلي في لندن إلى الجادة الخامسة في نيويورك وساحة فينيتسيا في روما. في ألمانيا التي لم تتأثر بالنزاع، رافق الاترياح شعور بالإهانة.

قاتل الجيش الألماني بشكل منتظم حتى الأيام الأخيرة على الأراضي البلجيكية والفرنسية. لكن في الصفوف الخلفية امتد عصيان بحارة كيل الذي بدأ في ٠٣ نوفمبر إلى المدن حيث سحقت هذه الثورة بقسوة في ما بعد.

ونسب الجنرالات إيريش لوندورف وبول فون هندنبورغ الهزيمة العسكرية إلى "طعنة في الظهر" من قبل السياسيين و"برجوازيين متنوعين". هذه العبارة استخدمتها في ما بعد الأحزاب القومية المتشددة بما فيه الحزب النازي.

خارطة جديدة لأوروبا والشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الأولى

أدت الحرب العالمية الأولى إلى سقوط الإمبراطوريات النمساوية المجرية والروسية والسلطنة العثمانية، وقيام العديد من الدول فضلا عن إعادة تشكيل كبرى للشرق الأوسط.

الثورة البلشفية

انزلت الحرب حكم الإعدام في الإمبراطورية الروسية التي كانت في وضع صعب ويسودها عدم الاستقرار. فقد لحقت بها هزائم بشكل متكرر، كما ان الإنفاق العسكري المدمر والمجاعة والغضب الشعبي بمواجهة حمام الدم أدت إلى تشكيل تربة خصبة لنشوء الثورة البلشفية عام ١٩١٧.

في آذار/مارس ١٩١٧، أسفرت الثورة الأولى عن تنازل القيصر نيقولا الثاني عن العرش وتشكيل حكومة لا تسيطر على أي شيء تقريبا. في تشرين الثاني/نوفمبر، استولى البلاشفة على السلطة وكان قرارهم الأول الاقتراح على البلدان التي تخوض حرباً مع روسيا وضع حد للقتال.

في ٣ آذار/مارس ١٩١٨، توصل لينين إلى اتفاق سلام مع ألمانيا وحلفائها في بريست ليتوفسك.

نهاية حكم عائلة هابسبورغ

كانت الإمبراطورية النمساوية المجرية التي حكمتها عائلة هابسبورغ القوة المهيمنة في أوروبا الوسطى طوال خمسة قرون. وقد امتدت عام ١٩١٤ من سويسرا إلى أوكرانيا جامعة ١٢ قومية.

لكن المشاعر الوطنية ستقوض وحدة الإمبراطورية التي بدأت بالتفكك من الداخل اعتباراً من خريف عام ١٩١٨. في ٢٨ تشرين الأول/أكتوبر، ولدت تشيكوسلوفاكيا. في اليوم التالي، قام السلاف الجنوبيون بتأسيس يوغسلافيا، في حين بدأ التمرد في العاصمة المجرية بودابست في الأول من تشرين الثاني/نوفمبر.

بعد ذلك بيومين، تم حل الامبراطورية رسمياً خلال التوقيع على الهدنة بين النمسا-المجر والقوى المنتصرة، أي الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا. في ١٢ تشرين الثاني/نوفمبر، أعلن عن قيام جمهورية النمسا.

أوروبا جديدة

وكانت نتيجة انهيار الإمبراطوريتين تقسيم أوروبا الوسطى إلى عدة دول. بالإضافة إلى تشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا، اشرف انتهاء الحرب عن ولادة بولندا، التي كانت مقسمة سابقا بين النمسا وروسيا وبروسيا، وأربع دول جديدة تشكلت من الأراضي الروسية هي فنلندا واستونيا وليتوانيا ولاتفيا. كما خسرت المجر ثلثي أراضيها. واستولت إيطاليا على جزء من اقليم التيرول اما "الباقى"، وفقاً لتعبير رئيس الحكومة الفرنسية جورج كليمنصو، فقد اصبح النمسا المعاصرة.

تفكيك السلطنة العثمانية

عندما أعلن السلطان محمد الخامس "الجهاد" ضد فرنسا وبريطانيا وروسيا في ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٤، كانت السلطنة خسرت معظم الأراضي الخاضعة لها في أوروبا. وشكلت النكسات التي واجهتها عام ١٩١٥ على الجبهة الروسية ذريعة ضد الأقلية الأرمنية. وتتراوح التقديرات بين ١,٢ مليون و ١,٥ مليون أرمني قتلوا خلال الحرب. وترفض تركيا مصطلح الإبادة الجماعية التي تعترف بها نحو ٣٠ دولة فضلا عن المؤرخين، لكنها تقر بمقتل بين ٣٠٠ و ٥٠٠ الف أرمني وعدد مماثل من الأتراك بسبب الحرب والمجاعة. وانتهت هزيمة السلطنة العثمانية عام ١٩١٨ بتقطيعها. وتم رفض أول معاهدة وقعت في سيفر عام ١٩٢٠، من قبل الأتراك الذين تجمعوا حول مصطفى كمال "أتاتورك" الذي واصل القتال ضد الأرمن واليونانيين والفرنسيين، وأطاح بالسلطان. وأصبحت تركيا جمهورية وفرضت معاهدة جديدة على الحلفاء وقعت في لوزان عام ١٩٢٣، تحتفظ بموجبها بمنطقة الأناضول والمضائق لكنها فقدت كل المناطق العربية التي كانت تحت سيطرتها.

الإحباط العربي

في بلاد ما بين النهرين وفلسطين، تمكن البريطانيون من الحاق الهزيمة بالعثمانيين بفضل انتفاضة القبائل العربية التي وعدوها بالاستقلال. وكان تحرك لورنس العرب، عالم الآثار البريطاني الذي أصبح ضابط ارتباط، حاسما في هذا الصدد. لكن البريطانيين اتفقوا سرا مع الفرنسيين في وقت مبكر من ايار/مايو ١٩١٦ لاقتسام الشرق الأوسط بموجب اتفاقات سايكس بيكو: لبنان وسوريا لفرنسا، والأردن والعراق لبريطانيا. وادى هذا التقسيم الى اصابة العرب بالاحباط. وقد زاد "إعلان بلفور" الشهير عام ١٩١٧ من حالة الارتباك. فمن خلال دعم "اقامة وطن قومي يهودي في فلسطين بعد الحرب"، وضع وزير الخارجية البريطاني آرثر بلفور الأساس لقيام دولة إسرائيل بعد ٣٠ عاما غارسا بذلك بذور نزاع ما يزال يواصل تمزيق المنطقة حتى اليوم.

معاهدات السلام أعادت رسم خريطة أوروبا والشرق الأوسط كارثة الحرب العالمية الأولى صاغت القرن العشرين

وكالة فرانس برس : ٢٠١٨/١١/١٢

يلخص المفهوم الفرنسي في معاهدة فرساي بأن "ألمانيا ستدفع الثمن" أوهاام المنتصرين في أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى، متجاهلاً الانهيار السياسي والاقتصادي والمعنوي في قارة مارست هيمنتها على العالم طوال قرون. كانت شعوب أوروبا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى منهكة ادمتها المعارك، وبدا الإغراء الثوري المستوحى من المثال الروسي ينتشر عام ١٩١٩ خصوصاً في ألمانيا والمجر. لكن هذه المحاولات قمعت بشدة، وكذلك الإضرابات في فرنسا وإيطاليا. لكن في المدى المنظور، فإن معاهدة فرساي التي وقعت في ٢٨ يونيو ١٩١٩ كانت محفوفة بالعواقب من خلال استهداف ألمانيا أخلاقياً واقتصادياً. وقد حدد مؤتمر لندن عام ١٩٢١ مبلغ ١٣٢ مليار مارك من الذهب حجم "التعويضات" المستحقة للحلفاء، وبشكل رئيسي فرنسا. وندد الألمان بما وصفوه بأنه "إملاءات" واكتشفوا أنهم غير قادرين على الوفاء بالتزاماتهم. وبغية إجبارهم على القيام بذلك، احتلت القوات الفرنسية منطقة الرور عام ١٩٢٣ فانزلت ألمانيا إلى مزيد من الفوضى الاقتصادية والتضخم المفرط وعم الاستياء والحقد بشكل واسع. في غضون ذلك، سيجد أحد المحرضين واسمه أدولف هتلر أرضاً خصبة للتحرك للوصول إلى السلطة بعد عشر سنوات، قبل أن يدفع أوروبا مرة أخرى إلى الوقوع في النار والدم. على الجانب الآخر من جبال الألب، يقود الفاشي بينيتو موسوليني إيطاليا باتجاه نفس الأحلام القاتلة من التآر والعظمة. وخلافاً لذلك، كانت الحرب ونتائجها رسخت في فرنسا وبريطانيا تياراً سلمياً من شأنه أن يفسر شلل الديمقراطيات الأوروبية بمواجهة هتلر.

وبعيداً عن ألمانيا، أعادت معاهدات السلام رسم خريطة أوروبا والشرق الأوسط بالكامل عبر تقطيع الإمبراطوريات المهزومة، ما أدى إلى نشوء العديد من النزاعات المستقبلية والحدود والامم الجديدة، من دول البلطيق إلى تركيا مروراً بيوغوسلافيا أو تشيكوسلوفاكيا.

كما تم تفكيك السلطنة العثمانية التي كانت تعاني سكرات الموت منذ القرن التاسع عشر لصالح المنتصرين، في حين أسفرت الوعود البريطانية المتضاربة للعرب واليهود عن زرع بذور النزاع الإسرائيلي الفلسطيني. إذا كانت المكانة السياسية للمنتصرين الرئيسيين فرنسا وبريطانيا في ذروتها عام ١٩١٩، فإنها بالكاد كانت تخفي التوسع الدولي للولايات المتحدة التي ستثبت نفسها القوة الرئيسية، اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً ضمن المعسكر الغربي طوال العقود التالية. على الصعيد الديموغرافي أيضاً، خرجت أوروبا منهكة: فقد قتل ما لا يقل عن ١٠ ملايين جندي وجرح ٢٠ مليوناً كما قضى عشرات الملايين من المدنيين بسبب المذابح والجوع والمرض ناهيك عن الأنفلونزا الإسبانية عامي ١٩١٨ و ١٩١٩.

ومن نتائج الحرب أيضاً، ملايين المعوقين والأرامل والأيتام في جميع أنحاء القارة القديمة. لعبت النساء في كل مكان دوراً حيوياً في المجهود الحربي، عبر الحلول مكان الرجال في المصانع وفي الحقول. واكتشف العديد منهن في هذه المناسبة نكهة الانعتاق أو التحرر. ورغم عودتهن إلى الأعمال المنزلية أثر تسريح الرجال، فقد حصلن على حق التصويت في العديد من البلدان مثل ألمانيا أو النمسا أو بريطانيا. لكن تعين على الفرنسيات الانتظار حتى اقتراب انتهاء الحرب التالية للحصول على حق التصويت عام ١٩٤٤. ساهمت مجازر سنوات الحرب في طبع حياة الفنانين والمثقفين إلى الأبد نظراً لمعاينتهم الفظائع التي تخللتها. فقد نشأت حركة الدادائيين، خلال الحرب كما ان السريالية انتشرت في الشعر والرسم التشكيلي والادب وخصوصاً في فرنسا وبلجيكا وألمانيا، باعتبارها خشبة الخلاص من الرعب.

في الوقت نفسه، استحوذت على شباب المدن قابلية هائلة للحياة والاحتجاج. إنه وقت "السنوات المجنونة" في باريس، في حين كان الرسامون والكتاب في برلين يحاولون نسيان الحزن في حفلات ليلية تستمر حتى الفجر.

نتائج الحرب العالمية الأولى قائمة حتى اليوم !

*سمير عواد

صحيفة (عمان) العمانية : ٢٠١٨/١١/١٢

يُعتبر يوم الحادي عشر من نوفمبر عطلة رسمية في كل من فرنسا وبريطانيا، فبينما يُسمى «أرميستيك» في فرنسا فإنه «ريممبارينس داي» في بريطانيا، والمعنى بالعربية، ذكرى وقف إطلاق النار، الذي كان ساري المفعول بتاريخ الحادي عشر من نوفمبر عام ١٩١٨. ويسميه البريطانيون أيضا «بوبي داي»، نسبة إلى وضع البريطانيين على صدورهم زهرة الخشخاش الحمراء اللون تعبيراً عن تخليد ضحايا الحرب، وتباع هذه الزهرة إن كانت طبيعية أو مصنعة من الحرير، لجمع الربيع لقدامى المحاربين الذين بدأوا ينقرضون. ويعود سرها إلى أن هذه الزهرة نبتت على قبور بعض الجنود الذين سقطوا باللونين الأبيض والأحمر وقيل أن هذه التقلية انتقلت إلى فرنسا عبر سيدة فرنسية أعجبت بالفكرة.

لكن يوم الحادي عشر من نوفمبر ليس يوم عطلة في ألمانيا، فالألمان لا يحبون تخليد ذكرى الهزائم، رغم إصرار الرئيس الألماني الراحل ريتشارد فون فايتسيكر على أن تاريخ الثامن من مايو ١٩٤٥ كان يوم إنقاذ الشعب الألماني من هتلر، عندما أعلنت ألمانيا النازية استسلامها للحلفاء الأربعة (الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي)، والرئيس الألماني الحالي فرانك فالتر فون فايتسيكر الذي قال أمام البرلمان أن هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية كانت بداية للديمقراطية الألمانية. وكانت هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى هزيمة أحبطت عزائم الألمان خلال النصف الأول من القرن العشرين، استناداً إلى المؤرخ الألماني أندرياس رودر. وما زالت نتائج هذه الحرب قائمة بكل انعكاساتها السياسية والجغرافية. فقد كلفت هذه الحرب ثمانية عشر مليون قتيل وتمزقت مناطق ودول ونشأت دويلات مصنعة، خاصة في منطقة الشرق الأوسط وكذلك في أوروبا.

وبحسب البروفيسور «رودر» فإن الحرب العالمية الأولى اندلعت في أوروبا، لكن كان لها تأثيرات على مناطق عديدة في العالم. وأضاف إنه من نتائجها كانت نهاية عهد أسرة «هابسبورج» الإقطاعية التي كان أمراؤها منتشرون في الدول الأوروبية وكذلك نشأة مجموعة دول البلقان التي دارت بينها حروب دامية في عقد التسعينيات من القرن العشرين».

وكانت منطقة البلقان برميل بارود أوروبا قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى. وظهرت مملكة يوغسلافيا الجديدة بعد عام ١٩١٨ أي بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، بعد أن تم تقسيم أراضيها. وقال رودر: إن صربيا كانت القوة المهيمنة على المنطقة ودخلت في نزاع حامي الوطيس في عام ١٩١٤ مع أسرة

«هابسبورج» التي كان يخضع إليها كل من كرواتيا وسلوفينيا والبوسنة، التي كانت عبارة عن عرقيات مختلفة في منطقة واحدة لكن أنظمتها السياسية كانت مختلفة تماما ولم تكن على وئام فيما بينها.

ويُشير رودر إلى مثال آخر يُشكل أهمية بالنسبة للعالم العربي، وهو أن نتائج الحرب العالمية الأولى ما زالت تنعكس سلباً على منطقة الشرق الأوسط لأن الحرب حينها أسفرت عن نهاية الإمبراطورية العثمانية مما أدى إلى نشوء نظام جديد وتم تقسيم دول المنطقة.

ففي الحرب العالمية الأولى قاتل جنود الرايخ الألماني والإمبراطورية العثمانية جنبا إلى جنب. وبعد نهاية الحرب انهارت الإمبراطورية العثمانية التي وصلت يوماً حدود النمسا. وأكد البروفيسور رودر، أن ما نشهده اليوم من نزاعات مسلحة في العراق وسوريا ولبنان، له علاقة مع نتائج الحرب العالمية الأولى. وأضاف: إن انهيار نظام الدول في منطقة الشرق الأوسط له علاقة مباشرة بانهيار الإمبراطورية العثمانية ونشوء نظام جديد في أوروبا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

والحدود الجديدة التي ظهرت بعد نهاية الحرب العالمية الأولى في إطار ما يُسمى «لعبة الأمم» نسبة لأن للتقسيم وإنشاء دويلات وكيانات في منطقة الشرق الأوسط تنفيذاً لما يُعرف باتفاقية «سايكس - بيكو» نسبة إلى وزير خارجية بريطانيا وفرنسا اللتين كانتا من أكبر الدول المسيطرة في الشرق الأوسط، مهدت لقيام نظام جديد في المنطقة، حيث أبقّت بريطانيا وفرنسا على نفوذهما وبالذات لعبتا لاحقاً دوراً مهماً في قيام إسرائيل على أرض فلسطين في عام ١٩٤٨ وما زال النزاع الفلسطيني / الإسرائيلي حتى اليوم هو النزاع الرئيسي في المنطقة. وفي هذه الأثناء ازدادت النزاعات فيها مقابل تراجع اهتمام الأمم الغربية التي تسببت في قيام نظام ضعيف، كما أن النظام الذي نشأ في أوروبا لم يكن أفضل.

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية حيث منيت ألمانيا بهزيمة ثقيلة ثانية كانت هذه المرة قاضية حيث أنهت عهد الرايخ الألماني الذي كان على وشك فرض هيمنته على أوروبا ومناطق أخرى في العالم، ظهر نظام عالمي جديد، حيث انضمت دول أوروبية مع اليابان إلى مظلة واشنطن ودول أوروبا الشرقية إلى مظلة موسكو ودام انقسام أوروبا أربعة عقود انتهت في ٩ نوفمبر عام ١٩٨٩ بانهيار سور برلين.

لكن نتائج «لعبة الأمم» ما زالت قائمة حتى اليوم، تدفع الشعوب في فلسطين والعراق وسوريا ولبنان ثمنها باهظاً، كما تدفع الدول المصنعة في أوروبا ثمنها ولاسيما في منطقة البلقان. أما الدول الكبرى التي تذكر جنودها الذين قضوا في الحربين العالميتين الأولى والثانية، فإنها غير قادرة اليوم، أكثر من أي وقت سبق، على تحقيق السلام الحقيقي في الشرق الأوسط وأوروبا على حد سواء.

ذكرى نهاية «العالمية الأولى»

(واشنطن بوست) و(بلومبيرك نيوز سيرفز): ٢٠١٨/١١/١٢

إيشيان ثارور: انضم الرئيس دونالد ترامب إلى مجموعة تضم ما يربو على ٦٠ من رؤساء وقادة الدول في فرنسا أمس، من أجل الاحتفال بالذكرى المئوية لنهاية الحرب العالمية الأولى. ولا تزال الحرب تعيش في المخيلة الغربية كصراع شنيع (ويزعم البعض أنه كان بلا داعي)، أدى إلى قتل الملايين، وحول أراضي أوروبا إلى أماكن مقفرة، ودمر إمبراطوريات ومهد الطريق أمام حرب أكثر دموية بعد جيل لاحق. ولا تزال ذكرى ذلك الصراع وإرثه تقدمان دروساً مهمة حتى الآن. وفي إطار استضافته لمراسم الاحتفال، يأمل الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في إحراز نقطة سياسية. فالعالمية الأولى كانت صراعاً بين عواطف قوميين عنيفين، أذكت نيرانها زمرة من النخب المتعطشة للسلطة. والآن، توجد موجة قومية متصاعدة في أوروبا، مع تحدي قادة يمينيين متطرفين في أوروبا الغربية وسياسيون غير ليبراليين في دول مثل المجر للممثل الليبرالية للاتحاد الأوروبي والتعاون والتعددية التي شكلت فيما مضى ضماناً لازدهاره. لذا، يرغب ماكرون أن تكون قصة «الأحادية والصراع» رسالة تحذير للأجيال المعاصرة، وأشار مؤخراً إلى أن «نهج البقاء للأنساب» لا يحمي أي فئة من الناس ضد أي نوع من التهديد.

وبحسب «مارجريت ماكميلان» المؤرخة في جامعة «أكسفورد»، نحن في الغرب على وجه الخصوص، حالفنا الحظ، فقد عشنا لفترة طويلة جداً من السلام، والخشية من أننا نتعامل مع السلام على أنه أضحي شيئاً مضموناً، ونعتقد أنه الحالة الطبيعية للأمور. وأضافت: «لا بد أن نفكر أن الحروب تحدث أحياناً، ولأسباب ليست منطقية تماماً». لكن من المستبعد أن تجد هذه الرسالة طريقها إلى الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، فسياسته تجاه الأصدقاء أدى إلى توتر العلاقات بين الدول على ضفتي الأطلسي، وشجّع القوى المناهضة للنخب الحاكمة في أنحاء أوروبا. وتركيزه المعلن على البعد القومي وتبنيه للحمائية، بحسب النقاد، قوّض القيادة الأمريكية للعالم، وتسبباً في شكوك حول مستقبل النظام الدولي الذي أرست الولايات المتحدة دعائمه بعد الحرب العالمية الثانية.

ويرى «آيفو دالدر»، السفير الأمريكي الأسبق لدى «الناو»، أنه في حين احتفى ترامب ونظرائه بنهاية ما يعرف بـ«الحرب الكبرى»، عليهم أن يفكروا أيضاً في «خطأ أمريكا الأكبر». وهذا الخطأ، من وجهة نظره، هو التخلي عن «مبدأ العالمية» الذي تبناه الرئيس الأمريكي آنذاك «وودرو ويلسون» لصالح «الانعزالية» التي تبناها خلفاؤه ممن خاضوا الحرب. وأجندة «أمريكا أولاً»، التي يتبناها ترامب، تميل كذلك إلى العودة إلى الانسحاب التاريخي، عندما خيمت الشكوك حول التشابكات الأجنبية والخوف من المهاجرين، والتي حددت السياسات المحلية في الداخل والخارج. وقد كان للربط بين هذه الأمور المتشابكة تداعيات جيوسياسية خطيرة.

ومثلما أوضح «بيتر بينارت» في مقال له نشرته دورية «ذي أتلانتيك» في بداية العام الجاري: «في عشرينيات القرن الماضي، رفض الرؤساء راين هاردينج وكالفين كوليدج وهيربرت هوفر حشد التحالفات ومبدأ أن أمريكا ينبغي أن تقدم تضحيات اقتصادية للحفاظ على النظام الجيوسياسي»، مضيفاً: «إن أولئك الرؤساء لم يجدوا فرقاً بين بريطانيا وفرنسا، الديمقراطيتين، وألمانيا، التي كانت استبدادية، وأصروا على أن تظل أمريكا مستقلة عنها جميعاً، وعارضوا حلم وودرو ويلسون بأن تساعد أمريكا الدول الأوروبية، المهددة بالعدوان، من خلال عصبة الأمم». وفي عامي ١٩١٩ و١٩٢٠، رفض مجلس الشيوخ الأمريكي توقيع معاهدة «فيرساي» والانضمام إلى عصبة الأمم، المنظمة الدولية الجديدة التي كانت تهدف إلى الحيلولة دون وقوع الكوارث الدموية في المستقبل، وأدى الغياب الأمريكي إلى وفاة المشروع في المهدي. ويعتقد «دالدر» أن السياسة الخارجية المتهورة للإدارة الأمريكية الراهنة تُسرّع الدخول إلى عصر جديد من «الاضطرابات» أو ربما «العودة إلى عالم نهاية القرن التاسع عشر». تلك الحقبة التي فجّرت الحرب العالمية الأولى. ويقول «دالدر»: «أخشى ما أخشاه أن العودة إلى القومية والحمائية ستعمقان على الأرجح الانقسامات بين الدول، وتقوضان المبادئ والمعايير السلوكية، وتقضيان على جوهر التعاون الذي كان ركيزة أساسية للأمن والازدهار في الولايات المتحدة»، مضيفاً: «نحن نعرف كيف يبدو التنافس بين القوى الكبرى، وإلى أي شيء يؤدي!».

الأسانيد القانونية لاعتبار (محافظة حلبجة) ضمن محافظات إقليم كردستان في مشروع قانون الموازنة العامة الاتحادية لسنة ٢٠١٩

١. تم إستحداث محافظة حلبجة بموجب قرار برلمان كردستان- العراق الرقم (١١) بتاريخ ١٩٩٩/٩/٢٢.
وان الدستور العراقي وفي المادة ١٤١ منه نص على الاستمرار بالقوانين التي تم تشريعها في إقليم كردستان منذ ١٩٩٢ وعدّ القرارات المتخذة من حكومة الاقليم منذ ١٩٩٢ نافذة المفعول.
٢. تمت المصادقة على إستحداث محافظة حلبجة بقرار مجلس الوزراء الإتحادي الرقم (٥٦٨) في ٢٠١٣/١٢/٣١ المتخذ في الجلسة الإعتيادية الرقم (٤٥)، وبناء على إقتراح حكومة إقليم كردستان بكتابها المرقم (١٢٠٣٤) في ٢٠١٣/١٢/٢٤.
٣. إن مجلس النواب العراقي سبق أن إعترف تشريعيًا بـ(حلبجة) كمحافظة إستناداً الى أحكام المادة (٥١) من القانون الإتحادي الرقم (٢) لسنة ٢٠١٥ الخاص بـ(الموازنة العامة الإتحادية لجمهورية العراق للسنة المالية ٢٠١٥)، والمادة (٥٠) من القانون الإتحادي الرقم (١) لسنة ٢٠١٦ الخاص بـ(الموازنة العامة الإتحادية لجمهورية العراق للسنة المالية ٢٠١٦).
٤. أصدر برلمان كردستان-العراق (قانون إدارة محافظة حلبجة في إقليم كردستان-العراق الرقم (١) لسنة ٢٠١٥).
٥. تم تعيين محافظ حلبجة بموجب مرسوم إقليمي وإكتملت تشكيلات إدارة المحافظة، وتم إستحداث مديريات عامة للوزارات والجهات غير المرتبطة بوزارة في محافظة حلبجة أسوة بباقي المحافظات الأخرى في الإقليم، إضافة الى إستحداث مديريةية الخزينة وفصلها عن خزينة محافظة السليمانية، وأصبح لها إستقلال مالي وإداري عن محافظة السليمانية.
٦. إن وزارة الداخلية الإتحادية فاتحت حلبجة كمحافظة رسمياً في مناسبات عدة، كما وافقت هذه الوزارة بموجب كتبها المرقمة (٢٢٩١٨) في ٢٠١٨/٤/١٩، و(٣٩٦٧٢) في ٢٠١٨/٨/٦، و(٤٠٢٨١) في ٢٠١٨/٨/٩، و(٤٠٥٢٨) في ٢٠١٨/٨/٩، على إستحداث مديريات تابعة للحكومة الإتحادية في محافظة حلبجة أسوة بالمحافظات الأخرى وهي مديريات (الجوازات، الجنسية، مكتب المعلومات) وتنظيم لوحات سيارات خاصة باسم محافظة حلبجة بموجب كتاب وزارة الداخلية الإتحادية الرقم (٤٠٥٢٨) في ٢٠١٨/٨/٩.

* نقلا عن صفحة الدكتور أمانج رحيم على الفيسبوك

مأزق النظام العربي الرسمي في ظل قمع الأنظمة وانسداد أفق الإصلاح

*د. شفيق ناظم الغبرا

"يبدو أن مقياس الديكتاتوريات العربية ليس النجاح والإنجاز، بل البقاء في الحكم وبناء المجد الشخصي"

موقع قنطرة الألماني: ٢٠١٨/١١/١٣

قبل عقد أو عقدين كان جزء من النظام العربي أكثر رحمة مع معارضيه ونقاده، بينما اليوم أصبح الواقع العربي ضيق الأفق والصدر بكل ما يحيط به.

في بعض الدول العربية يصبح كل نشاط للمجتمع المدني خطراً على أصحابه، وفي حالات كثيرة فإن أدنى تعبير سياسي أو نقد تجاه الحكومة وأفرادها يواجه بإعصار من الغضب الرسمي والتهديد.

في دول بلا سياسة وبلا فضاء سياسي وفي ظل أنظمة قمعية فقدت الثقة بنفسها تتدفق شلالات الخوف لتشمل كل الناس، ففي مجتمعات يسودها الظلم ستقع الاحتجاجات المفاجأة وستفشل الدول في ممارسة وظائفها.

فمنذ ثورات وحراكات الربيع العربي ٢٠١١ يفترق النظام العربي للإنجاز كما وللحكمة كما ويفترق لقصص النجاح والرحمة.

إن القطار العربي الراهن الذي تتشكل منه الدول العربية سائر نحو هاوية في واد بلا قاع. في كل يوم تمتحن مقدرة الشعوب العربية على الصبر على حالة القمع والإهانة. الشعوب تعيش في كل يوم مع سياسات تنتج الفشل وراء الفشل.

لكن صبر الشعوب وعدم تحركها للدفاع عن مصالحها لن ينتج الاستقرار أو انتصار الاستبداد، بل سيخضع مزيد من الدول العربية للانهييار والفشل الذاتي (دول فاشلة) وهذا بدوره سيفتح الباب للاحتلال الاجنبي.

لكن في المقابل يقال دائماً أليست الصين ودول كثيرة تشبهها في آسيا خالية من الحريات ومن المجتمع المدني؟ فلماذا تنتقد دولنا بينما يتم غض النظر عن دول ديكتاتورية أخرى في آسيا وغيرها؟

وبينما الصين و الدول ذات المنحى السلطوي تتعرض للنقد كل يوم ولديها معارضون في الداخل والخارج، إلا أن ما يشفع للصين حتى الآن مرتبط بمقدرتها الفذة على الإنجاز ومواجهة الفساد.

في الصين ارتبط النجاح بوجود نخبة صينية ملتزمة بتنمية البلاد وتقديمها. بل يمكن القول بأن الصين ودول عديدة ناجحة في المضمار الاقتصادي والتنموي أكثر تركيزاً على نمو الطبقة الوسطى، بل أكثر ذكاءً وتوازناً في الفعل وردود الفعل من الكثير من الأنظمة العربية.

فالأولوية للديكتاتورية العربية هي للمصالح الضيقة والامتيازات الشخصية والمنافع المالية المباشرة التي تتحول لنفوذ سياسي لكسب الأنصار. إن بعض النخب العربية الديكتاتورية مستعدة للتحالف مع أكثر القوى فسادا في مجتمعها وذلك لحماية البقاء في السلطة وتعظيم السلطة الشخصية للحاكم الفرد وسيطرته.

لهذا لا نستطيع ان نعتبر بأن المأزق العربي يقتصر على كونه مأزق ديكتاتورية وحريات كما هو حال الصين، بل إنه نتاج واضح لمأزق أعمق منه نجده في وسائل القيادة من حيث سرعة الانفعال وضيق الصدر وقلة الحكمة ودرجة الإنغماس في الذاتية المطلقة.

ومن أهم تعبيرات هذا النمط من القادة الفشل في بناء مؤسسات فاعلة والفشل في التعليم والفشل الأهم في التعامل الصائب مع المواطن بما يحمي كرامته وحقوقه على كل صعيد.

ولو اخذنا تركيا على سبيل المثال سنجد عبرها ومن خلالها نموذجاً أفضل لطموح التنمية ونموذج لحكم المدنيين على حساب العسكريين، ونموذج لعدد من قيم الديمقراطية والانتخابات وبناء المؤسسات التي تخدم المواطنين.

وبالرغم من اهتزاز القيم الديمقراطية وصعود المركزية ونزعات السلطوية التي تميز تجربة اردوغان، تبقى التجربة التركية متقدمة بمراحل عن التجارب العربية، لهذا فتركيا مصدر الهام للشعوب العربية من حيث امكانية التزاوج بين قيم الحرية والديمقراطية وقيم التنمية والإسلام.

ورغم كل ما تعاني منه تركيا من تراجع لليرة التركية ومن ضغوط أمريكية لكسر عنفوانها إلا أنها خطت خطوات جبارة في السنوات العشر الماضية. سيكون من الصعب ايقاف صعود تركيا في ظل مجتمع تركي يتمتع بالديناميكية والحركة.

إن الحد الأدنى للخروج من محنة العرب الراهنة تتطلب مساومات بين القوى السياسية التي يتشكل منها النظام العربي وخاصة تلك القوى السياسية التي تم إستثنائها من قبل نظام الحكم. كما أن السعي لتصفية كل تيار مختلف ومعارض لمجرد إنه ينتمي لرؤية نقدية تجاه النظام هي جزء لا يتجزأ من استمرار انحدار الوضع العربي الراهن.

لنأخذ على سبيل المثال التيار الإسلامي خاصة الاخوان المسلمين في مصر. فبالرغم من كل ما وقع حتى الآن ورغم ضربات واسعة تلقاها التنظيم من الجيش ورغم أخطاء التيار المختلفة في كل المراحل، إلا أن التيار لم يفقد قدرته على التأثير على نسبة تصل لثلث المواطنين.

إن حدة الغضب بين أنصار التيار عالية وهي تنتظر لحظة تاريخية تعود عبرها للحياة السياسية. لذلك فإن حل الازمة السياسية في مصر مثلاً لا يمكن ان يقع بلا إنفتاح سياسي وتحضير لانتخابات حرة تنافسية ومرحلة انتقالية تشارك فيها كل القوى والشخصيات الوطنية. من دون هذا التوجه سيكون الانحدار هو سيد الموقف، وستأتي لحظة الحقيقة في المدى المنظور.

الحالة العربية تبحث عن نموذج تسير على هديه، وتبحث عن ما يساعدها على إنهاء حالة الظلم المنتشرة في كل أبعاد ومربعات الفضاء العربي، لهذا لازال العرب في بحث عن بناء دول أكثر مناعة، دول تمتلك مصير نفسها ومصير قراراتها كما هو حال تركيا.

الحالة العربية تبحث عن نموذج ونماذج تزواج بين الدولة والمدنية وبين الانفتاح وبين الديمقراطية والإسلام وبين العلمنة واحترام التنوع والحقوق.

* شفيق ناظم شفيق الغبرا هو أستاذ العلوم السياسية في جامعة الكويت ومحلل سياسي عربي معروف.

الانتخابات النصفية.. ماذا تعني لسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط؟

دورية (نوب لوغ): ٢٠١٨/١١/١٣

ميتشيل بلينتيك: يبدو أنه كان هناك ما يكفي من الاشمئزاز من "ترامب" والجمهوريين في الكونغرس لتحويل نحو ٣٠ مقعدا في مجلس النواب إلى الديمقراطيين خلال انتخابات الأسبوع الماضي. وتخلق السيطرة الديمقراطية على مجلس النواب رقابة أكبر على أسوأ تجاوزات "ترامب"، على الأقل محليا.

وفي السياسة الخارجية، ستكون المكاسب أقل، وأكثر صعوبة في القياس. وسيحاول الديمقراطيون في مجلس النواب الضغط على "ترامب" لإصلاح العلاقات مع الحلفاء القدماء في أوروبا وكندا، وسوف يدفعون باتجاه موقف أكثر إثارة وجدية تجاه روسيا. وفي كل هذه الساعات، لديهم فرصة جيدة للنجاح، خاصة وأنهم قد يحصلون على دعم جمهوري ملحوظ حول تلك القضايا.

ولكن في الشرق الأوسط، فإن احتمالات حدوث "مكاسب ديمقراطية" تؤدي إلى تغيير جوهري في المسار تعد أقل تأكيدا. وفي بعض المناطق، هناك بعض الإمكانيات الحقيقية والهامة للتغيير.

وفي حالات أخرى، هناك بعض الاحتمالات لتخفيف بعض سياسات "ترامب" الأكثر قسوة، لكن لا توجد فرصة على الإطلاق لإجراء تغيير جوهري.

اليمن:

وفي اليمن، يمكن للديمقراطيين أن يقودوا نداء من أجل التغيير، ويمكنهم أن يحظوا بعض الدعم الجمهوري. وقد سلط التراجع الحاد في صورة الولايات المتحدة بسبب دعمها لولي العهد الأمير "محمد بن سلمان"، الضوء على الكارثة الإنسانية المدمرة في اليمن.

وفي وقت سابق من هذا العام، خسر مشروع قانون مدعوم من الحزبين لوقف تمويل الحرب السعودية على اليمن في مجلس الشيوخ، بأغلبية ٥٥ صوتا مقابل ٤٤، وهو ما لا يمثل رفضا كبيرا للفكرة" وقد يكون إنهاء الحرب في اليمن مقايضة أيضا للتغطية على فضيحة مقتل الصحفي "جمال خاشقجي". ولكن بعد التصريحات المفاجئة في هذا الاتجاه من كل من وزير الخارجية "مايك بومبيو" ووزير الدفاع "جيم ماتيس"، فإن الموعد المستهدف لبدء محادثات السلام قد تم تأجيله بالفعل من نهاية هذا الشهر إلى نهاية العام.

وفي هذه الأثناء، سيستمر القتال، وسيكون مدمرا بشكل خاص حول ميناء "الحديدة"، وهو نقطة الدخول لكثير من الأغذية والأدوية وغيرها من المساعدات والسلع التجارية التي تلح الحاجة إليها في اليمن.

ويمكن للديمقراطيين تجديد الجهد لوقف تمويل جهود المساعدة العسكرية للسعودية. لكن للأسف، بحلول الوقت الذي يصلون فيه إلى السلطة في يناير/كانون الثاني، قد يكون اليمن أسوأ بكثير مما هو عليه اليوم.

ومع هذه الخلفية، فإن الدعوة إلى قطع الدعم اللوجيستي، وتعليق مبيعات الأسلحة للسعودية حتى انتهاء الحرب في اليمن، تمثل فرصة جيدة للغاية لمجلسي الكونغرس.

النااتو العربي

تعد هذه الفكرة الخطيرة جدا لـ "ترامب" مساحة أخرى قد يرغب الديمقراطيون في تحديها في السياسة الخارجية. وكان "ترامب" قد اقترح تحالفا سنيا ضد إيران تسلحه الولايات المتحدة، لكن ذلك سيقبل من الحاجة إلى انتشار عسكري أمريكي فعلي.

وفي أفضل الأحوال، يعد هذا الاقتراح وصفة لعدم الاستقرار بشكل مدمر. وكانت دول الخليج تشتري الأسلحة الأمريكية لعقود عديدة، لكن حتى وقت قريب، نادرا ما كانت تستخدمها. وأصبحت المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة أكثر عدوانية في الأعوام الأخيرة، ولم تنجح أسلحتهما المتفوقة، وتمويلهما الكبير، في تحقيق مكاسب ملموسة أو إيجاد شرق أوسط أكثر استقرارا وسلاما. والآن يريد "ترامب" رفع حجم هذا الدعم، وإحضار بقية دول الخليج بالإضافة إلى مصر لهذا التحالف. ومن الطبيعي أن تستجيب إيران بموقف دفاعي أكثر حزما. وهنا تتزايد احتمالات نشوب حرب إقليمية غير مسبوقة.

بخلاف ذلك، تواجه فكرة "النااتو العربي" العديد من العقبات. فقد أساء "ترامب" لنفسه عبر تشجيع "بن سلمان" لبدء "حرب باردة" ضد قطر. لكن تلك الدولة، وستواجه الدوحة، وكذلك عُمان، بعض الصعوبة في الانضمام إلى تحالف عسكري صريح ضد إيران. كما أن البحرين ستكون مهددة بالمزيد من التوترات الداخلية وقد يتم دفع العراق ليصبح أقرب إلى إيران من خلال هذا الاتحاد.

ولم يكن هناك الكثير من المناقشات العامة حول فكرة "ترامب"، على الرغم من تداعياتها الإقليمية. ولن يتراجع الديمقراطيون بشكل كبير عن مواجهة إيران، لكنهم يستطيعون بكل تأكيد مقاومة هذه الطريقة في التعامل معها. وقد يكون العثور على حلفاء جمهوريين حول هذه المسألة أصعب، ولكن ليس مستحيلا بالتأكيد، إذا ما قرر الديمقراطيون بدء مثل هذا النقاش.

عقوبات إيران

وكان الانتهاك أحادي الجانب من جانب "ترامب" للاتفاق النووي الإيراني، والانسحاب منه، قرارا غير شعبي. ومع ذلك، حتى مع وجود الديمقراطيين في البيت الأبيض، كان هناك قدر كبير من عدم الارتياح بين الديمقراطيين في الكونغرس حول نهج الرئيس "بارك أوباما" تجاه إيران. ولن يريد هؤلاء الديمقراطيون أن يظهروا لينين الآن مع إيران.

ومع ذلك، لم ينظر معظم الأمريكيين إلى معالجة إدارة "ترامب" لهذه القضية بشكل إيجابي. ولا يمكن دفع "ترامب" إلى إعادة الدخول في الاتفاق، لكن الديمقراطيين قد يصدرُوا ضجيجا كافيا حول طريقة تعامله الخرقاء مع القضية، لإبطاء مسيرة الإدارة إلى الحرب مع الجمهورية الإسلامية.

ومن المرجح أن يكون لدى الديمقراطيين حلفاء إذا استطاعوا حشد الإرادة السياسية للتعامل مع القضية. وفي الوقت الذي يتحدث فيه "ترامب"، ومستشار الأمن القومي "جون بولتون"، و"بومبيو"، وغيرهم من المؤيدين لهذا النهج عن الضرر الذي يلحقونه بالاقتصاد الإيراني ويبدوون بدموع التماسيح على الشعب الإيراني، يعاني الإيرانيون الأبرياء من العقوبات، ويكتسب المتشددون الإيرانيون القوة. ويمكن للديموقراطيين أن يوبخوا "ترامب" بشدة على غباء هذا القرار.

عملية السلام المتعثرة

قد يرى البعض نتائج الانتخابات انتكاسة كبرى لرئيس الوزراء الإسرائيلي "بنيامين نتنياهو" لكن هذا يعد تقييماً خاطئاً بشكل كبير. نعم، جعل "نتنياهو" (إسرائيل) قضية جمهورية، وأظهر ازدياد هائلاً للأمريكيين الليبراليين، اليهود وغير اليهود، الذين دعموا (إسرائيل) لعقود، والذين يسعون لوضع نهاية لاحتلالها المروع واستيطانها لأراضي الشعب الفلسطيني.

لكن الحزب الديمقراطي ليس لديه نقص في المناصرين المتشددين الموالين لـ(إسرائيل)، وبعضهم سيكون في مناصب رئيسية في المستقبل. ومن المحتمل أن يرأس "إليوت إنجل" و"نيتا لوي"، وهما ديمقراطيان من نيويورك لا يضايهما الكثير من الجمهوريين في دعمهما الشامل للسياسات الإسرائيلية، لجنتي الشؤون الخارجية والاعتمادات على التوالي. ولا شك في أنهما سيحثان "ترامب" على عدم اتخاذ خطوات "من شأنها الإضرار بعملية السلام"، متجاهلين أن مثل هذه العملية كانت مجرد خدعة منذ أعوام. لكنهما لن يضغطا من أجل تغييرات كبيرة في السياسة الأمريكية أو الإسرائيلية.

لكن الصورة ليست قاتمة تماماً. فحتى الديمقراطيين المتشددون سيدفعون بقوة من أجل تجنب بعض الكوارث الإنسانية مثل قطع المساعدات عن الأوتروا، وكالة الأمم المتحدة التي تخدم اللاجئين الفلسطينيين. وهذا أمر سهل الحدوث، حيث إن استعادة المساعدات الإنسانية للفلسطينيين يحظى بتأييد كبير في الحكومة الإسرائيلية، بل وأكثر من ذلك في الجيش الإسرائيلي والاستخبارات.

لكن القيادة الديمقراطية ستواصل التقارب مع "نتنياهو" الذي ربما تقنعه الانتخابات النصفية بأنه من غير الحكمة وضع كل بيضه في سلة الجمهوريين. ومن المحتمل أن يرمي للديموقراطيين بمغازلات قليلة، ربما في شكل حديث أكثر عن حل الدولتين، مع حقوق للفلسطينيين لا ترقى للموافقة على دولة لهم، أو بعض الإيماءات الأخرى التي نادراً ما يشعر بأنه مضطر لمنحها بموجب وجود "ترامب" والسيطرة الكاملة للجمهوريين في الكونغرس.

الموجة الديموقراطية التقدمية

ومن السابق لأوانه التطلع إلى أعضاء الكونغرس الشباب والتقدميين الجدد من أجل التغيير. وإذا حاول القادمون الجدد من أمثال "الكسندريا أوكاسيو" و"إلهان عمر" و"رشيدة طليب" و"أيانا بريسلي" أن يقاتلوا في معارك شاقة على السياسة الخارجية، فسوف يتم عزلهم من قبل مؤيدي (إسرائيل). وستكون المهمة الأكثر أهمية لمؤيدي الحقوق الفلسطينية في الكونغرس هي بناء الدعم الشعبي الهام بالفعل في الحزب لمثل هذه المواقف.

وبدلاً من التركيز على مشاريع القوانين أو المبادرات التي لا يمكن أن تنجح في مجلس النواب، يجب العمل من أجل تعديل الخطاب الحزبي الداخلي وزيادة الانتقادات الاستراتيجية للأفعال الإسرائيلية، وهما سيؤدي إلى فتح المجال أمام التقدميين، الذين بقوا بعيداً عن هذه القضية لفترة طويلة. وإلى أن تتوحد القاعدة الشعبية للحزب الديمقراطي حول الحقوق الفلسطينية، وحول جعل الحقوق المتساوية أساس حل النزاع الإسرائيلي الفلسطيني، سوف يستمر تهميش التقدميين الذين يدافعون عن هذه الحقوق.

لكن هؤلاء التقدميين لديهم حليف مفاجئ وهو "نتنياهو" نفسه. وبما أن الإجراءات والسياسات الإسرائيلية تجعل من الصعب على الليبراليين أن يعضوا النظر، فإن الأخلاقيين والتقدميين سيكسبون المزيد والمزيد من الجاذبية. لكن يجب أن يكونوا قادرين على الدفاع عن مقاعدهم ضد جهود إلحاق الهزيمة بهم، خاصة في الانتخابات التمهيدية. ويمكن للتقدميين الجدد المحافظة على هذه المقاعد آمنة، وأن يدفعوا باتجاه تغيير الموقف الديمقراطي في هذا الأمر والعديد من القضايا التقدمية الأخرى، الخارجية والداخلية منها، عبر التركيز على إعادة بناء الجناح التقدمي للحزب إلى النقطة التي يمكنه الدفاع عن نفسه حال اتخاذ أي موقف جدي.

عصر الحروب الدائمة

* محمد علي فرحات

العربي الجديد: ٢٠١٨/١١/١٣

«منتدى باريس للسلام» محطة «فكرية» تلي المحطة «الاحتفالية» لمناسبة مرور مئة عام على نهاية الحرب العالمية الأولى، بمشاركة ٧٠ رئيساً وقفوا متأمليين في الذكرى الى جانب مضيفهم الفرنسي في جادة الشانزليزيه. ويشهد المنتدى بدءاً من أمس تبادل أفكار حول وضع أو تطوير نهج تعددي للأمن والحكم في عالم يشهد أزمات متلاحقة، تلهث الدول الكبرى والمؤسسات الدولية للوصول الى حلول لها وقلماً توفيق.

أكثر من عشرة ملايين قتيل بين عامي ١٩١٤ و ١٩١٨ في حرب عالمية أولى، فضلاً عن خراب مدن وقرى وانهيار في الأفكار وولادة سريعة او متسارعة لأفكار بديلة. وكان لا بد من حرب عالمية ثانية لتتكسر الأفكار الجديدة التي لا تزال حاضرة اليوم، مترهلة تعجز عن حل مشاكل محلية ودولية، فهل يتطلب الأمر حرباً عالمية ثالثة؟ الواقع أن هذه الحرب تحدث بالتقسيم لا دفعة واحدة. انظر الى نكبة الهند (تقسيمها الى دولتين) عام ١٩٤٧ ونكبة فلسطين (إقامة دولة إسرائيل على معظم أرضها، وقد امتدت لاحقاً لتبتلع الأرض كلها مع جزء من سورية) وما أعقب ذلك من حرب في كوريا أدت الى تقسيمها وحرب في فيتنام أوجعت الولايات المتحدة فلم تبق الدولة البعيدة التي ترسل جنودها لانقاذ الديموقراطية ثم ينسحبون.

حرب عالمية بالتقسيم لا يمكن الاحتفال بنهاية أي محطة منها، فهي حين تبدأ في مكان ما تستمر بأشكال مختلفة من العنف «الناعم» والعنف «القاسي». من هنا صراع الثقافات وضحايا الجهل والجوع والتعصب الأعمى، ومن هنا أيضاً الحروب الإلكترونية والحروب «الخفية»، فضلاً عن مشكلة المناخ التي تهدد البشرية ولا تلقى اهتماماً من بعض القيادات الفاعلة مثل الرئيس الأمريكي دونالد ترامب. للعالم مشكلاته، منذ بدء الخليقة، لكنها تتعدّد مع تكاثر البشر بأفكارهم وأهوائهم وعقائدهم الدينية وشبه الدينية. وتظهر المشكلات بوضوح، وغالباً بفوضى وتناقض، مع تطور تكنولوجيا المعلومات. من هنا يرى كثيرون أن آليات التغيير تتباطأ في فترات السلام وتتسارع الى حدّ خطير في فترات الحروب، كأن الخراب ضروري لإعادة البناء، وكأن مبدأ الإصلاح والتطوير يتراجع لمصلحة تدمير ما هو قائم والبناء من الصفر، وصولاً الى الانسان نفسه الذي يحمل أفكاراً مطلوب إعدامها. الحرب العالمية زلزال عالمي، ونحن اليوم نعيش هزات محلية هنا وهناك، مع الفارق أن الحرب العالمية لها بداية ونهاية، أما الحروب المحلية فتبدأ ولا تنتهي، وإذا أتيح للحكومات البقاء تتحول الى شاهد صامت على الحرب يعجز عن إيقافها. هنا تتكاثر النداءات الى مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة ولسائر المؤسسات الدولية الجامعة في نيويورك وجنيف، وأيضاً الصرخات الموجهة الى الدول الكبرى تطلب النجدة ولا من ينجدها. وإذا كانت الحرب العالمية تؤدي الى تغيير في أحوال المهزوم كما أحوال المنتصر، وهو تغيير إيجابي في المحصلة الأخيرة (ألمانيا واليابان المهزومتان في الحرب العالمية الثانية تحولتا الى أكبر قوتين اقتصاديتين، كل في محيطها)، لكن الحروب المحلية الدائمة تحمل الخسارات المتتابة وتصبح اطرافها عالة على الدول القادرة التي تزودها بالغذاء لحفظ ما بقي من السكان.

وصارت موجة الشعارات التي تنسب الحروب القبائلية والطائفية والقومية الى الاستعمار ومطامعه. أسباب الحروب موجودة في المتحاربين أنفسهم، في ثقافتهم، ومدى وعيهم بأن الوطن، كبيرة أو صغيرة، تقوم على التعدد أو لا تقوم. الحرب العالمية الأولى حملت نتائج كثيرة، أولها عالمياً تبوّؤ الولايات المتحدة قيادة الغرب وتضاول شأن فرنسا وبريطانيا، وأولها عربياً نشوء الدول الحديثة وفشل معظمها في الادارة السياسية والاقتصادية والثقافية، واستيلاء دولة إسرائيل التي تعتبر المشكلة الأبرز في منطقتنا والذريعة الحاضرة لأخطاء هيئات حاكمة في إدارة أوطانها. أنظر الى تجارب مصر وسورية والعراق في هذا الشأن. الاحتفال في فرنسا كان ينبغي أن تترافق معه احتفالات في بلاد عدة، شكلت الحرب العالمية الأولى مفترقاً سلبياً أو ايجابياً لها، بل نفتقد احتفالات بالضحايا الغرباء الذين حاربوا تحت أعلام بلاد لا ينتمون اليها.

السلام الليبي

*فيدريكا موغيريني

بروجيكت سنديكيت : ٢٠١٨/١١/١٣

الهدف الذي نشترك فيه جميعا هو ان تنعم ليبيا بالسلام والامن والديموقراطية. وهذه مصلحة استراتيجية واضحة لجيران ليبيا، لأوروبا وأفريقيا وللعالم العربي. ولكن أولا وقبل كل شيء، هو مخطط مشروع لجميع ابناء الشعب الليبي، المحاصرين بمرحلة إنتقالية مؤلمة ولا نهاية لها، وبحالة عدم استقرار تستفيد منه الجماعات الإرهابية والإجرامية فقط. يمثل مؤتمر باليرمو حول ليبيا هذا الأسبوع إمكانية لدى جميع الأطراف لوضع خلافاتهم جانبا واتخاذ خطوات ملموسة نحو ليبيا التي تنعم بالاستقرار وتشمل الجميع.

يريد الشعب الليبي أن تنتهي المرحلة الانتقالية. وهذا لن يحدث إلا إذا شارك جميع الليبيين في تشكيل مستقبل البلاد: الطريق نحو الاستقرار والديموقراطية يجب أن يكون شاملا قدر الإمكان. والسلام المستدام يتطلب إحساسا جديدا بالانتماء المشترك من المجتمعات والفصائل الليبية كلها، وهذا في حاجة إلى دعم المجتمع الدولي بأكمله. وقد عمل الممثل الخاص للأمم المتحدة في ليبيا، غسان سلامة، على وجه الخصوص ومن دون كلل، على تهيئة الظروف الملائمة لعملية سياسية شاملة. تشاطر دول الاتحاد الأوروبي الأعضاء رغبة الحكومة الإيطالية في تسهيل عمل الممثل الخاص سلامة نحو إجراء حوار حقيقي يشمل الجميع. وفي باليرمو، سنجد دعمنا الكامل لخطة عمل الممثل الخاص المتجددة التي تفضي الى إنهاء المراحل الإنتقالية واتخاذ الخطوات اللازمة لإجراء الانتخابات.

الاتحاد الأوروبي دعم جهود الأمم المتحدة الدبلوماسية منذ اليوم الأول: سياسيا واقتصاديا ولوجستيا. ووقفنا إلى جانب الشعب الليبي طوال الوقت، لتوفير احتياجاتهم الفورية ومساعدتهم في تحقيق طموحاتهم وتمويل مشاريع بمئات الآلاف من اليوروات.

الشعب الليبي يريد ويستحق الديمقراطية التي تشمل الجميع. تسجل مليونان ونصف مليون ليبي للتصويت في الانتخابات، مبدئين رغبتهم في طي صفحة النزاع التي امتدت لسنوات. ونظمت اجتماعات مفتوحة في أنحاء البلاد، على رغم الظروف الأمنية الصعبة. وقمنا نحن، الاتحاد الأوروبي، بتمويل هذه العملية حتى الآن، وسوف نستمر في مرافقة الشعب الليبي خلال لقاءاتهنفي اجتماع المؤتمر الوطني ومرحلة الانتخابات التي سيختارون من خلالها مستقبل بلدهم. الليبيون يستحقون الأمن والمؤسسات القوية. وكانت البلديات الليبية في المقدمة، من حيث تقديم الخدمات الأساسية، بدءاً من المياه إلى إدارة النفايات: لقد رافقنا عملهم بالدعم المالي والخبرة الفنية. ونقوم، من خلال مهمتنا المدنية إلى ليبيا، بتدريب الشرطة القضائية الليبية وإدارة التحقيقات الجنائية، ونساعد القوات الأمنية الليبية في إدارة حدودها لمنع تهريب الأسلحة والمخدرات. ومن خلال عملياتنا البحرية (أصوفيا)، نقوم بإعتقال المهربين وننقذ الأرواح ونقوم أيضاً بتدريب خفر السواحل الليبي على إنقاذ الأرواح واحترام حقوق المهاجرين.

الشعب الليبي يستحق أيضاً إدارة أفضل لتدفقات الهجرة. فليبيا ليست مجرد بلد عبور نحو أوروبا، بل هي أيضاً وجهة للكثير من المهاجرين. لقد عملنا مع دول جوار ليبيا على إنقاذ الأرواح في الصحراء، وعملنا أيضاً على توفير البديل لهؤلاء الأشخاص المتوجهين إلى ليبيا: فقد تم اختيار الآلاف لتمكينهم من العودة إلى بلدانهم الأصلية، وقمنا بمساعدتهم بالدعم الاقتصادي لبدء حياة جديدة. وساعدنا في تحرير الآلاف من الرجال والنساء من مراكز الاحتجاز في ليبيا، في تعاون غير مسبق مع الاتحاد الأفريقي والأمم المتحدة. ونحن أكبر مزود للمساعدات الإنسانية للنازحين داخليا في ليبيا.

ليبيا بلد غني يتمتع بإمكانات اقتصادية وبشرية هائلة. والشعب الليبي يستحق وظائف جيدة وتعليماً جيداً والمهارات المناسبة لمتابعة تطلعاته. ساهم الاتحاد الأوروبي في إعادة بناء المدارس والجامعات الليبية، نحن نمول التدريب المهني ونساعد رواد الأعمال عندما يبدأون أعمالاً جديدة أو عند توسيعهم نطاق أنشطتهم.

الليبيون يستحقون حياة طبيعية. وتقع على عاتق أوروبا مسؤولية البقاء موحدة وأن تكون الشريك القوي الذي تحتاجه ليبيا في هذا المسار. والمجتمع الدولي ككل يتحمل مسؤولية دعم الأمم المتحدة في عملها نحو عملية سياسية شاملة في ليبيا. لكن، في نهاية المطاف، الأمر متروك للأطراف الليبية لوقف العنف وإتمام المرحلة الانتقالية وإعادة بناء دولة قوية وديموقراطية. مستقبل ليبيا لليبيين، لهم وحدهم. وفي باليرمو، سنقدم لهم كل الدعم لتحقيق هذا الهدف - حتى يتمكن الشعب الليبي من أخذ مصير بلده بيديه.

* مسؤولية السياسة الخارجية والأمن في الاتحاد الأوروبي.

عن كذب.. الغرب يريد وضع حد لحرب اليمن.. فهل ستنتهي؟

وكالة رويترز: ٢٠١٨/١١/١٣

زودت القوى الغربية التحالف الذي يشن بقيادة السعودية حربا على متمردي الحوثى في اليمن منذ أكثر من ثلاث سنوات بالسلح والاسلخبارا وذلك رعم انتقادات الجماعات الحقوقية ونوابها.
والآن تطالب هذه القوى بوضع نهاية للحرب التي سقط فيها أكثر من عشرة آلاف قتيل ودفعت اليمن إلى شفا المجاعة. ويزور وزير الخارجية البريطاني جيريمي هانت قادة التحالف في السعودية والإمارات هذا الأسبوع للمطالبة بإنهاء العمليات العسكرية.

ويقول المحللون إن الرياض وأبوظبي تريدان إنهاء هذه الحرب المكلفة لكن يتعين أن تتغلب أي مساع تبذل لتحقيق السلام على ارتياب عميق لدى كل الأطراف في حين ربما يرى الحوثيون فرصة للاستفادة من أي ضغوط على الجانب السعودي.

* لماذا الآن؟

شدد الغرب موقفه بعد مقتل الصحفي السعودي جمال خاشقجي صاحب الصوت المعارض للسياسة السعودية وذلك في قنصلية المملكة في اسطنبول في الثاني من أكتوبر تشرين الأول.
فقد أثار مقتل خاشقجي استنكارا عالميا وسلط الضوء على تضيق السعودية على المعارضة وسياستها الخارجية على الصعيد العسكري.

وعرض ذلك الرياض لاحتمال فرض عقوبات عليها ولطخ صورة ولي العهد الأمير محمد بن سلمان الذي أطلق شرارة حرب اليمن.

وفي مواجهة مخاوف سياسية داخلية طالبت الولايات المتحدة بوقف إطلاق النار وأوقفت دعمها المتمثل في تزويد طائرات التحالف الحربية بالوقود في الجو.

كما علقت ألمانيا والنرويج صادرات الأسلحة للرياض.

وقالت بريطانيا إنها ستعمل على استصدار قرار من مجلس الأمن في إطار مساعي الأمم المتحدة لإنقاذ محادثات السلام.

* هل سينجح الضغط الغربي؟

كثف التحالف هجماته على الحوثيين المتحالفين مع إيران بهدف إضعافهم وذلك بالتركيز على ميناء الحديدة المطل على البحر الأحمر والذي يعد مصدر الإمدادات الرئيسي لجماعة الحوثى.

غير أن المحللين يقولون إن الضغط الغربي على الرياض ربما يتيح للحوثيين حافزا للتشبث بموقفهم. وتسيطر جماعة الحوثى على مناطق المرتفعات وعلى العاصمة صنعاء حيث الكثافة السكانية.

وبعد السيطرة على ميناء عدن الجنوبي في ٢٠١٥ لم يحقق التحالف تقدما يذكر. ورغم أنه يتمتع بالتفوق الجوي فقد أثبت الحوثيون تفوقهم في حرب العصابات.

وعدل التحالف عن الهجوم على الحديدة الذي يمثل شريان حياة للملايين في يونيو حزيران وسط تحذيرات أطلقتها الأمم المتحدة من كارثة إنسانية.

وترفض السعودية الخروج دون تنازلات كبيرة من الحوثيين الذين شنوا هجمات صاروخية على مدنها.

وتريد الرياض وأبوظبي احتواء إيران. غير أن الإمارات أبرمت تحالفات خاصة بها في اليمن للتصدي للإسلاميين بعضها بتأييد سعودي الأمر الذي ييسر لأبوظبي الخروج والاحتفاظ في الوقت نفسه بالنفوذ.

وحققت قوات تساندها الإمارات المكاسب الوحيدة للتحالف وأصبحت تسيطر على سلسلة من الموانئ من

بينها عدن حيث المقر المؤقت للحكومة المعترف بها دوليا للرئيس عبد ربه منصور هادي.

* ما الذي حققته مساعي الأمم المتحدة لإقرار السلام؟

يحاول مبعوث الأمم المتحدة الخاص مارتن جريفيث جمع الأطراف اليمنية في جولة محادثات جديدة قبل نهاية العام للاتفاق على إطار عمل للتوصل إلى السلام في ظل هيئة للحكم الانتقالي.

ولم يشارك الحوثيون في المشاورات التي جرت في جنيف في سبتمبر أيلول وكانت أول محادثات منذ عام ٢٠١٦. وقد انهارت مبادرات سابقة بعد أن رفضوا شروطا مسبقة تلزمهم بالانسحاب من العاصمة والمدن الأخرى التي سيطروا عليها بعد ٢٠١٤.

وتشمل البنود الرئيسية الآن نقل بعض الجرحى إلى سلطنة عمان للعلاج دون تفتيش.

وإذا أجريت المفاوضات فسيتعين أن يشارك فيها حزب المؤتمر الشعبي العام الذي كان يتزعمه الرئيس السابق المغتال علي عبد الله صالح والذي يحظى بتأييد واسع في اليمن.

ويريد انفصاليون تدعمهم الإمارات في الجنوب ويعملون على إضعاف الرئيس هادي وحلفائه الإسلاميين في الجنوب أن يكون صوتهم مسموعا أيضا.

* لماذا انقسم اليمن؟

يشهد الانقسام في اليمن منذ سنوات. وكان شطرا اليمن الشمالي والجنوبي قد اتحدا في دولة واحدة عام ١٩٩٠ غير أن الانفصاليين الجنوبيين حاولوا الانفصال عن الشمال المؤيد للوحدة في ١٩٩٤.

وبعد هزيمتهم تدفقت الموارد على صنعاء في الشمال.

وحكم صالح الشطر الشمالي من اليمن منذ ١٩٧٨ ثم الدولة الموحدة بعد ١٩٩٠. وسيطر أقاربه على القطاعات الأساسية في الجيش والاقتصاد واستشرى الفساد.

وانزعج بعض أفراد الطائفة الزيدية الشيعية التي حكمت اليمن الشمالي حتى عام ١٩٦٢ لانتشار الفقر في مناطقهم. وفي أواخر التسعينات شكل هؤلاء جماعة الحوثي وحاربوا الجيش اليمني وكونوا علاقات مع إيران.

واكتسب الإخوان المسلمون وغيرهم من الجماعات الإسلامية السنية قوة رغم تحالفهم مع صالح. وأنشأ جهاديون جناحا لتنظيم القاعدة وبدأوا شن هجمات.

* لماذا دخلت الرياض الحرب؟

عندما تفجرت احتجاجات شعبية في ٢٠١١ انقلب بعض حلفاء صالح السابقين عليه. وانقسم الجيش. وحقق الحوثيون مكاسب على الأرض.

وبعد عام أقنعت دول الخليج صالح بالتنحي عن منصبه.

وتم انتخاب نائبه هادي رئيسا لمدة عامين للإشراف على الانتقال الديمقراطي الذي قوضه الفساد وحلفاء صالح. وفي العام ٢٠١٤ سيطر الحوثيون على صنعاء بمساعدة الموالين لصالح وأجبروا هادي على اقتسام السلطة.

غير أنه عندما طرح اقتراح دستور اتحادي من خلال الحوار الوطني رفضه الحوثيون والانفصاليون الجنوبيون.

واحتجز الحوثيون هادي في ٢٠١٥ غير أنه تمكن من الهرب إلى عدن. ودخلت الرياض الحرب يدعمها التحالف تأييدا لهادي ونقلته إلى الرياض.

وتم طرد الحوثيين وقوات صالح من عدن في ٢٠١٥. وأعقب ذلك جمود الوضع العسكري. وتخلّى صالح عن

الحوثيين في ٢٠١٧ على أمل التمكن من إبرام اتفاق لكن تم قتله.

وانقلب أنصاره على الحوثيين ووضعوا ميناء الحديدة نصب أعينهم.

(حقائق): مساعي السلام برعاية الأمم المتحدة في اليمن

تعمل الأمم المتحدة على تجديد مساعيها لوضع نهاية لحرب اليمن بموجب خطة سلام تدعو لوقف إطلاق النار بين التحالف الذي تقوده السعودية وجماعة الحوثي المتحالفة مع إيران والتوصل إلى اتفاق على الحكم الانتقالي.

وعلى طرفي الصراع الدائر منذ ما يقرب من أربع سنوات يقف الحوثيون الذين سيطروا على العاصمة صنعاء في ٢٠١٤ في مواجهة القوات المدعومة من التحالف الذي يضم دولا سنية ويحاول إعادة حكومة الرئيس عبد ربه منصور هادي المعترف بها دوليا.

ويقول مبعوث الأمم المتحدة الخاص مارتن جريفيث الذي اختير لهذا المنصب في فبراير شباط الماضي إنه يأمل أن يتمكن من جمع الأطراف المتحاربة لإجراء مباحثات قبل نهاية العام. وقد رعت الأمم المتحدة سلسلة من محادثات السلام بهدف إنهاء الصراع الذي سقط فيه أكثر من عشرة آلاف قتيل ودفع بالبلاد إلى شفا المجاعة.

وفيما يلي استعراض للمحادثات التي رعتها الأمم المتحدة وقامت رويترز بتغطيتها إخباريا:

* ٨ سبتمبر أيلول ٢٠١٨، جنيف

- انفضت المحادثات بعد انتظار وفد الحوثيين ثلاثة أيام دون أن يظهر. واتهمت جماعة الحوثي التحالف بقيادة السعودية والإمارات بمنع وفدها من السفر.

- كان الحوثيون يريدون السفر على طائرة زودتها بهم سلطنة عمان دون الخضوع لتفتيش التحالف ونقل بعض الجرحى إلى مسقط للعلاج. وتقول الحكومة اليمنية إن الحوثيين يحاولون تخريب المحادثات.

- جريفيث يبحث إجراءات لبناء الثقة مع وفد هادي بما في ذلك تبادل الأسرى وزيادة التدابير الخاصة بالمساعدات الانسانية وإعادة فتح مطار صنعاء.

* ٢١ أبريل نيسان ٢٠١٦، الكويت

- المحادثات تجمع بين الحوثيين وحلفائهم في المؤتمر الشعبي العام وبين حكومة هادي.

- الحكومة اليمنية توقف المحادثات في الأول من مايو أيار بعد استيلاء الحوثيين على قاعدة عسكرية شمالي صنعاء. واستئناف المحادثات في الرابع من مايو أيار.

- الحكومة اليمنية توقف المحادثات في ١٧ مايو أيار إذ طالبت الحوثيين بالالتزام أولا بالانسحاب من المدن التي سيطروا عليها وتسليم أسلحتهم. واستئناف المحادثات في ٢١ مايو أيار.

- توقف المحادثات في الأول من أغسطس آب بعد أن انسحبت الحكومة اليمنية عندما رفض الحوثيون اقتراح مبعوث الأمم المتحدة إسماعيل ولد شيخ أحمد الذي طالب الجماعة بالانسحاب من ثلاث مدن رئيسية من بينها صنعاء قبل المحادثات الخاصة بتشكيل حكومة يشارك فيها الحوثيون.

- مبعوث الأمم المتحدة يقرر رفع الجلسات في السادس من أغسطس آب.

* ١٤ يناير كانون الثاني ٢٠١٦

- الترتيب لإجراء محادثات غير أنها تأجلت عدة مرات بسبب التوتر بين السعودية وإيران التي تخوض حربا بالوكالة في اليمن وبسبب الخلاف على ضرورة وقف إطلاق النار لإجراء جولة مباحثات جديدة.

* ١٥ ديسمبر كانون الأول ٢٠١٥، جنيف

- مبعوث الأمم المتحدة الخاص شيخ أحمد يبدأ مباحثات مباشرة بين الطرفين. وتعليق المباحثات في اليوم التالي بعد أن رفض الحوثيون مطالب الحكومة بالإفراج عن مسؤولين كبار.

- انتهاء المحادثات غير المباشرة بين الجانبين في ٢٠ ديسمبر كانون الأول.

- استقالة جمال بن عمر مبعوث الأمم المتحدة لليمن بعد ثلاثة أسابيع من تدخل التحالف بقيادة السعودية في اليمن. السعودية والإمارات تتهمان المبعوث بالإفراط في الاستجابة لمطالب الحوثيين.

(حقائق) من هم أطراف الحرب المفجعة في اليمن؟

لكل من أطراف الحرب الأهلية الدائرة في اليمن أهدافه الخاصة الأمر الذي يزيد من صعوبة تسوية الصراع. وفيما يلي استعراض لبعض الجماعات والأهداف التي تسعى لتحقيقها:
في أواخر التسعينيات شكلت عائلة الحوثي في أقصى شمال اليمن حركة إحيائية دينية للطائفة الزيدية الشيعية التي حكمت اليمن في وقت من الأوقات لكن منطقة قلب نفوذها في الشمال تعرضت للتهميش.
ومع تزايد الاحتكاكات مع الحكومة خاض الحوثيون سلسلة من الحروب على غرار حرب العصابات مع الجيش الوطني كما خاضوا حرباً حدودية قصيرة مع السعودية. وكون الحوثيون علاقات مع إيران لكن لم يتضح مدى عمق تلك العلاقة.
ومنذ السيطرة على العاصمة صنعاء في ٢٠١٤ اعتمد الحوثيون على قطاعات في الجهاز الإداري القائم في الحكم. أما استراتيجيتهم في الأمد البعيد فغير واضحة.

* أنصار الرئيس الراحل صالح

تولى علي عبد الله صالح السلطة في اليمن الشمالي عام ١٩٧٨ وظل رئيساً للدولة بعد توحيد شطري اليمن الشمالي والجنوبي في ١٩٩٠.
وهيمن صالح مع أصحاب النفوذ القبلي على البلاد وعين أفراد عشيرته في مناصب قيادية في الجيش والاقتصاد الأمر الذي أدى إلى اتهامات بالفساد.
وعندما هجره حلفاؤه السابقون خلال احتجاجات الربيع العربي مما اضطره للتخلي عن السلطة انضم إلى الحوثيين خصومه السابقين وساعدهم في الاستيلاء على العاصمة صنعاء.
ورغم خلافات الطرفين فقد حكما قطاعاً كبيراً من اليمن حتى العام الماضي. ثم رأى صالح فرصة لاستعادة السلطة لعائلته بالانقلاب على جماعة الحوثي لكنه قتل أثناء محاولته الهرب.
وحينما بدل صالح ولاءه انضم إليه بعض القادة والجنود الموالين له. ويقاوم هؤلاء الآن قوات الحوثيين تحت قيادة طارق ابن شقيق الرئيس الراحل وهو ضابط كبير بالجيش تربطه صلات بالإمارات العربية المتحدة.

* حكومة الرئيس هادي

كان عبد ربه منصور هادي ضابطاً في اليمن الجنوبي قبل توحيد البلدين ثم انضم إلى صالح خلال الحرب الأهلية القصيرة التي شهدتها البلاد في ١٩٩٤. وبعد هزيمة الانفصاليين عينه صالح نائباً له.
وعندما أرغم صالح على التخلي عن السلطة تم انتخاب هادي لفترة عامين في ٢٠١٢ للإشراف على فترة انتقالية بدستور جديد وانتخابات جديدة كان من المقرر إجراؤها في ٢٠١٤.
كان هادي على خلاف مع الإمارات الحليف الأساسي للسعودية بسبب تحالفه مع حزب الإصلاح الإسلامي. ويرى البعض أن الحزب منبثق عن جماعة الإخوان المسلمين التي اعتبرتها الرياض وأبوظبي تنظيمًا إرهابيًا.
وتنافس قوات هادي على السيطرة على ميناء عدن الجنوبي المقر المؤقت للحكومة حيث نما نفوذ الانفصاليين الجنوبيين الذين يحظون بدعم الإمارات.

*** الانفصاليون الجنوبيون ***

بعد الاستقلال عن بريطانيا أصبح اليمن الجنوبي الدولة الشيوعية الوحيدة في الشرق الأوسط لكنه عانى من خلافات داخلية متواصلة. وبفعل الضعف الذي أصابه من جراء هذه الخلافات وانهيار الاتحاد السوفيتي تم توحيد الشطر الجنوبي مع اليمن الشمالي تحت قيادة صالح في ١٩٩٠. ومع اتضاح أن معظم السلطات في أيدي الشماليين حاولت القيادة الجنوبية الانفصال في العام ١٩٩٤ غير أن جيش صالح حقق انتصارا سريعا ونهب عدن. وشكا كثيرون في الجنوب من زيادة التهميش الاقتصادي والسياسي. وتحت قيادة عيديروس الزبيدي الذي كان يعمل انطلاقا من دبي استولى الانفصاليون على ميناءي المكلا من تنظيم القاعدة وعدن من الحوثيين في ٢٠١٥. وللانفصاليين أكثر من ٥٠ ألف مقاتل تتولى الإمارات تسليحهم وتدريبهم.

*** تنظيم القاعدة في جزيرة العرب ***

أسس أعضاء في تنظيم القاعدة فرعه في شبه الجزيرة العربية بعد هروبهم من السجن في اليمن مع زملاء لهم هربوا من السعودية ليصبح تنظيم القاعدة في جزيرة العرب واحدا من أقوى فروع التنظيم. واستغل التنظيم الفوضى التي أثارها احتجاجات الربيع العربي في إقامة دويلات في مناطق نائية بشرق البلاد وشن العديد من الهجمات الدموية التي أضعفت حكومة هادي الانتقالية. وخلال الحرب الأهلية نفذ التنظيم هجمات على الجانبين. وسيتيح طول أمد الفوضى في اليمن للتنظيم المجال لتعزيز وضعه والتخطيط لشن هجمات في الخارج.

*** السعودية والإمارات والتحالف العربي ***

تعتبر السعودية الحوثيين وكلاء لإيران ألد خصومها في المنطقة وتريد منع طهران من اكتساب نفوذ في اليمن. وقد تم نشر قوات المملكة على امتداد حدودها وفي بعض المحافظات اليمنية لكنها اعتمدت في الأغلب على الضربات الجوية الموجهة للمناطق الخاضعة لسيطرة الحوثي. كما وفرت المملكة قاعدة في المنفى لهادي والدعم اللوجستي للقتال البري في شمال اليمن. أما الإمارات التي أيدت الخطة الانتقالية عام ٢٠١٢ فهي الشريك الرئيسي الآخر في التحالف. وهي تريد منع التشدد الإسلامي من التنامي في اليمن وتعتبر موانئ البلاد ذات أهمية استراتيجية. ونشرت الإمارات بعض القوات البرية ومنيت بخسائر بشرية في الماضي. وقد ركزت في كسب النفوذ على تسليح وتدريب عشرات الآلاف من اليمنيين أغلبهم من المحافظات الجنوبية. أما الدول الأخرى الأعضاء في التحالف فدورها أقل حجما وذلك رغم أن السودان يشارك ببعض القوات على الأرض.

*** إيران وحلفاؤها الإقليميون ***

تناصر إيران الحوثيين باعتبارهم جزءا من "محور المقاومة" الإقليمي كما أن جماعة الحوثي تبنت عناصر من عقيدة طهران الثورية. غير أن مدى العلاقة مع المملكة محل خلاف كما أن طهران تنفي تهريب السلاح إلى اليمن وذلك رغم أن السعودية وحلفاءها يتهمون إيران بتسليح الحوثيين وتدريبهم.

«أولاد البسة» و «أولاد الكلب»

*داود الشريان

تشتهر «البسس» أو القطط بأنها لا تهتم بمشاعر أولادها، أو رفاهيتهم، وتكتفي في تعاملها معهم بالحفاظ على الجانب الأمني. فإذا أحسّت أنهم في خطر، سرعان ما تنقلهم إلى مكان آخر، لا يهّمها أن يكون بارداً أو دافئاً، قذراً أو نظيفاً، المهم أن يكون آمناً. لذلك صار بعض الناس يقول «هل نحن أولاد بسة»، إذا أحسّوا أنهم يعاملون بطريقة متدنية، أو يخاطبون بطريقة غير لائقة.

على عكس القطط، تتصرّف الكلاب مع أولادها بطريقة راقية، وتراعي مسألة الدعة والنظافة والأناقة في أماكن صغارها. وإذا أردنا أن نستخدم لغة السياسة في هذا السياق، نقول إن الكلاب تضع أولادها في فنادق خمس نجوم، والقطط تضع أولادها في موتيلات شعبية. من هنا صار الناس يقولون فلان «ابن كلب»، كناية عن القدرة والعز، وغير ذلك من الأوصاف الخمس نجوم.

السياسة استعارت هذين المصطلحين. هناك دول تعامل شعوبها على طريقة القطط، وأخرى تعاملها على طريقة الكلاب. فإذا قيل لك هذه دولة متخلّفة، فاعرف فوراً أنها تتصرف مع مواطنيها على طريقة القطط، وإن كانت دولة متقدمة فإنها تتصرف مع مواطنيها على طريقة الكلاب. الدول المتخلّفة تهتم بالأمن وتفرط بسواه، تماماً مثلما تفعل القطط، والدول المتقدمة تهتم بتفاصيل حياة مواطنيها، وتجمّل هذه التفاصيل بتعبير يقال له الرفاهية. من هنا نجد أن «أولاد الكلب» يتمتعون بصحة جيدة وأجسام كبيرة، و «أولاد القطة» يتسمون بالهزال وصغر الحجم، ويحصلون على قوتهم بالخداع والفهلوة، فضلاً عن الخنوع، والعيش عالة على الناس، في حين يعيش «أولاد الكلب» بكرامة، وتتم رعايتهم في المنازل، ويُنفق عليهم بسخاء.

وعلى رغم أن هذين الوصفين «أولاد البسة» و «أولاد الكلب»، غير مطروحين في شكل علمي في الدراسات الاجتماعية والسياسية في الغرب، إلا أنهما لم يغيبا عن أذهان خبراء السياسة الغربيين. وحين يراقب الإنسان أساليب تعامل الدول الغربية مع شعوب العالم الثالث، سيدرك معرفة الغربيين مفهوم «أولاد البسة» و «أولاد الكلب». الدول الغربية تدرك أن شعوب العالم الثالث اعتادت المعاملة بأساليب القطط، وشعوبها اعتادت الحياة على طريقة الكلاب، فضلاً عن أن الغربيين وجدوا أن هذه الشعوب تحب القطط وتتعاطف معها، لأنها تعيش على طريقته، وتكره الكلاب وتحرم تربيتها في المنازل. وحين قرأ الغربيون تاريخ العلاقة بين الكلاب والقطط عند بعض شعوب العالم الثالث، اكتشفوا أن هذه الشعوب تحمل كراهية تاريخية للكلاب، ممتدة منذ أيام سفينة نوح عليه السلام، وأن لا مجال عندها لمناقشة مبدأ السلام والتعايش بين القطط والكلاب.

وعلى هذا الأساس، رسم الغربيون منهجاً للتعامل السياسي مع شعوب العالم الثالث، اتفقوا على تسميته «منهج أولاد البسة»، وفي مقتضاه يتم إشغالها بهاجس الأمن، وتضخيمه في حياتها، باعتبار ذلك الشيء الوحيد الذي ينبغي أن تسعى إلى تحقيقه. ولكي يتحقق لها هذا الهاجس - المطلب، عليها أن تضحي، في سبيله، بكل ما سواه.

* نشرت هذا المقال في مجلة شهرية قبل أكثر من ٢١ سنة، وأعيد نشره لأن ما ذكر فيه تحقّق اليوم على نحو مخيف.

ترميم المجتمع

*داني رودريك

بروجيكت سنديكيت؛ ٢٠١٨/١١/١٨

نحن في احتياج إلى قدر كبير من التجريب على السياسات المختلفة حتى يتسنى لنا تحقيق تقدم ملموس، لكن ضرورة التحرك العاجل تؤكدنا حقيقة مفادها أن الاتجاهات التكنولوجية الجارية تهدد بزيادة المشاكل التي تواجهها المجتمعات حاليا تعقيدا على تعقيد.

تنبئنا علوم الاقتصاد بأن كم السلع التي يستطيع المرء أن يستهلكها ومدى تنوعها يُعد مقياسا للرفاهية الفردية، وبالتالي فإن احتمالات الاستهلاك تتعاظم بفعل تزويد الشركات بالحرية التي تحتاج إليها للاستفادة من التكنولوجيات الجديدة، وتقسيم العمل، واقتصادات الحجم الكبير، والقدرة على التنقل. الاستهلاك هو الغاية إذاً والإنتاج هو الوسيلة لتحقيق هذه الغاية. أي أن الأسواق، وليست المجتمعات، هي وحدة وموضوع التحليل.

لا أحد يستطيع أن ينكر أن هذه الرؤية التي تركز على المستهلك والسوق للاقتصاد أنتجت الكثير من الثمار، فما كان لأحد أن يتخيل حتى هذه المجموعة المبهرة من السلع الاستهلاكية المتاحة في المتاجر الكبرى أو منافذ شركة أبل في أي مدينة كبرى في العالم قبل جيل واحد مضى.

ولكن من الواضح أن شيئا ما انحرف عن مساره في الوقت ذاته، فقد استفزت الانقسامات الاقتصادية والاجتماعية داخل مجتمعاتنا ردود فعل عكسية واسعة النطاق في مجموعة واسعة من النطاقات، من الولايات المتحدة وإيطاليا وألمانيا في العالم المتقدم إلى دول نامية مثل الفلبين والبرازيل، وتشير هذه الاضطرابات السياسية إلى أن أولويات أهل الاقتصاد ربما لم تكن مناسبة تماما.

أستشهد هنا بكتابين، الأول كتاب مرتقب من تأليف راغورام راجان والثاني نُشر هذا الشهر للكاتب أورين كاس، وكلا الكتابين يعيد النظر في رؤيتنا الاقتصادية للعالم ويزعم أننا ينبغي لنا أن نضع بدلا من ذلك صحة مجتمعاتنا المحلية على رأس أولوياتنا، فالأسر المستقرة، والوظائف المجزية، والمساحات العامة الوفيرة والأمن، والافتخار بالثقافة المحلية والتاريخ، كلها عناصر أساسية للمجتمعات المزدهرة. ولا تستطيع الأسواق العالمية ولا الدولة القومية توفير المدد الكافي من هذه العناصر، بل إن الأسواق والدول تعمل على تقويضها في بعض الأحيان.

يتبنى كل من المؤلفين وجهة نظر مختلفة، فأولا، راجان خبير اقتصادي من جامعة شيكاغو وهو محافظ سابق لبنك الاحتياطي الهندي، أما كاس فهو باحث ينتمي إلى يمين الوسط من معهد مانهاتن للبحوث السياسية، وكان مديرا للسياسة الداخلية لحملة المرشح الرئاسي الجمهوري ميت رومني، ولا يتوقع المرء بالضرورة من خبير اقتصادي من شيكاغو أو جمهوري معتدل أن يتعامل مع الأسواق والعولمة المفرطة بأي قدر من التشكك، بيد أن كلا منهما يشعر بالانزعاج الشديد إزاء ما يعتبره تأثيرا ضارا على المجتمعات.

يرى راجان في المجتمع "ركيزة الثالثة" للازدهار، ولا يقل أهمية عن الركيزتين الأخريين: الدولة والسوق. يقول راجان إن العولمة غير الخاضعة لأي سيطرة أو ضوابط تنظيمية لا تقل قدرة عن الدولة التي تقوم على المركزية المفرطة على تمزيق نسيج المجتمعات المحلية، وكان كاس صريحا في اعتقاده بأن السياسات التي تتعامل مع التجارة والهجرة في الولايات المتحدة الأمريكية لا بد أن تركز على العمال الأمريكيين أولا وقبل كل شيء. وهذا يعني ضمان صحة أسواق العمل المحلية ووفرة الوظائف الجيدة بأجور لائقة، ويؤكد كلا المؤلفين على المكاسب المترتبة على التجارة ويرفض سياسات الحماية التي ينتهجها الرئيس الأمريكي دونالد ترمب، لكنهما يزعمان أننا ربما أفرطنا في الاعتماد على العولمة ولم نهتم بالقدر الكافي بالتكاليف التي قد تتكبدها المجتمعات.

فعندما يغلق مصنع محلي أبوابه لأن إحدى الشركات قررت توكيل موردين خارجيين عبر الحدود، فإن الخسارة تتجاوز مئات (أو آلاف) الوظائف التي تنتقل إلى الخارج. ويتضاعف الأثر بفعل تقلص الإنفاق على السلع والخدمات المحلية، مما يعني أن العمال وأرباب العمل في مختلف قطاعات الاقتصاد المحلي يستشعرون الصدمة، كما تنخفض عائدات الحكومات المحلية من الضرائب، فنتناقص بالتالي الأموال المتاحة للإنفاق على التعليم والمنافع العامة الأخرى، وغالبا ما يعقب هذا تفكك البنية الاجتماعية، وانهيار الأسر، وإدمان المواد المخدرة، وغير ذلك من الأمراض الاجتماعية.

يتلخص الحل المعتاد الذي يقدمه أهل الاقتصاد في الدعوة إلى "المزيد من مرونة سوق العمل": ينبغي للعمال ببساطة أن يتركوا المناطق الكاسدة وأن يبحثوا عن وظائف جديدة في أماكن أخرى، ولكن كما يذكرنا كاس، لا بد أن يقترن التنقل الجغرافي بتوافر "فرصة البقاء". فحتى في أوقات الهجرات الضخمة، كان القسم الأعظم من السكان المحليين يبقون في أماكنهم فيصبحون في احتياج إلى وظائف جيدة ومجتمعات متماسكة.

ربما يوصي أهل الاقتصاد بدلا من ذلك بتعويض الخاسرين نتيجة للتغيرات الاقتصادية، من خلال التحويلات الاجتماعية وغير ذلك من الفوائد، ولكن بصرف النظر عن إمكانية إجراء مثل هذه التحويلات، فمن المشكوك فيه أن تكون هي الحل، فمن شأن البطالة أن تعمل على تقويض رفاهية الأفراد والمجتمعات حتى لو ارتفعت مستويات الاستهلاك بفعل المنح النقدية.

في نهاية المطاف، من غير الممكن أن تكتسب المجتمعات القدر اللازم من الحيوية إلا من خلال خلق وتوسيع نطاق الوظائف المجزية، ويقترح كاس تشجيع تشغيل العمالة من خلال إعانات دعم الأجور، في حين يؤكد راجان على دور القادة المحليين الذين يمكنهم تعبئة أصول المجتمع، وتوليد المشاركة الاجتماعية من جانب السكان المحليين، وخلق صورة جديدة، وكل هذا في سياق سياسات الدولة الأكثر دعما والعولمة المنضبطة.

ويدعو خبراء اقتصاد آخرون إلى تطبيق برامج تصنيع إضافية موجهة إقليميا، وتعزيز الشراكات بين أرباب العمل المحليين والجامعات، بيد أن آخرين يوصون بالإنفاق العام المحلي على برامج التدريب على الوظائف لمصلحة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الحجم على سبيل المثال.

ليس لدينا دراسة جيدة لأفضل الحلول، ونحن في احتياج إلى قدر كبير من التجريب على السياسات المختلفة حتى يتسنى لنا تحقيق تقدم ملموس، لكن ضرورة التحرك العاجل تؤكدنا حقيقة مفادها أن الاتجاهات التكنولوجية الجارية تهدد بزيادة المشاكل التي تواجهها المجتمعات حاليا تعقيدا على تعقيد. فالآن تميل التكنولوجيات الرقمية إلى التأكيد على أهمية الاقتصادات الكبيرة الحجم وتأثيرات الشبكة، والتي تقود إلى تركيز الإنتاج لا توطينه، فبدلا من نشر المكاسب على نطاق واسع، تعمل على خلق أسواق يستأثر فيها الفائزون بكل شيء، وتساهم عولمة شبكات الإنتاج في تضخيم هذه التأثيرات.

الواقع أن الكيفية التي نعمل بها على إيجاد التوازن بين هذه القوى واحتياجات المجتمعات لن تشكل ثروتنا الاقتصادية فحسب، بل أيضا بيئتنا الاجتماعية والسياسية، وكما يثبت كاس وراجان، فإنها مشكلة لا يجوز لأهل الاقتصاد أن يتجاهلوها بعد الآن.

* أستاذ الاقتصاد السياسي الدولي في كلية جون كينيدي في جامعة هارفارد، وهو مؤلف كتاب "حديث صريح حول التجارة: أفكار من أجل اقتصاد عالمي عاقل".

حين يفتقد الانتقال الديمقراطي حاضنته الشعبية

*المهدي مبروك

العربي الجديد: ٢٠١٨/١١/١٨

مع أداء حكومة يوسف الشاهد الثانية في تونس اليمين الدستورية أمام رئيس الجمهورية، يبدو أن الأزمة السياسية قد خف احتقانها، وخصوصاً أن التونسيين باتوا شبه متأكدين أنها لن تفعل شيئاً فيما يتعلق بالمعضلات المستفحلة في بلدهم، خصوصاً الاجتماعية والاقتصادية. فعلاء المعيشة والبطالة وتفشي الجريمة الاجتماعية أصبحت ظواهر ملازمة لحياة التونسيين. وأصبحت الصحف اليومية التي تتربح من أنباء القتل الشنيع والاعتصام والانتحار تتنافس في اختلاق العناوين المثيرة، في مجتمع اختارت للأسف بعض نخبة الفنية والإعلامية اللعب بالإثارة، ولو كان لعباً مدمراً.

لا حاجة للتذكير بالانتقالات الديمقراطية ومبادئها التي استقرت على تعدد نماذجها واختلاف سياقاتها. ولعل أهمها المشاركة والثقافة السياسية الحاضرة لهذا الانتقال، غير أن الصراعات التي شلت أجهزة البلاد حقيقة جرّاء الصراع الذي شجّ رأس السلطة التنفيذية إلى خصمين لم تعد تعني المواطن العادي الذي فقد الحماس لمتابعة مسلسل طويل في من يحكمه الشاهد أو حافظ قائد السبسي، أو أن يتحالف زيد مع فلان.. القرف من السياسي، بعد أن نجح الإعلام في ترذيل السياسة والسياسيين عامة، بما فعل بعضهم، حين تحولت أستوديوهات التلفزيونات المحلية إلى صراع ديكة، فاقدة الحد الأدنى من الأخلاق، ما نفّر الناس من متابعة الشأن العام. وقد تكرّرت، في الأسابيع الأخيرة، مشاهد التلاسن الحاد، حتى وصل إلى تبادل الشتائم والكلام النابي بين وزراء ومسؤولين كبار، ولم ينجح البرلمان أخيراً من هذا الكلام النابي والفاحش، ما جعل أعرق جمعية نسائية في البلاد التونسية (جمعية النساء الديمقراطيات) تصدر بياناً تدين فيه ما صدر من نائب يساري من تجريح بزميلته، والتعرّض لحياتها الخاصة.. إلخ.

الانتقال الديمقراطي. لدينا في تونس إحساس أن هذا الانتقال يمتطي قافلة، يركبها منحرفون ولصوص وبلطجية ومحترفو اللغو وسلطة اللسان ولوبيات كثيرة، وأن الدولة العميقة على شاكلة المحافل الماسونية هي التي تقودها، وأنها وهي تعبر من محطات تتحول الاستراحات فيها إلى أسواق كبيرة، فيها كل أشكال البيع والشراء، يعرض فيها الشرف والجاه والمناصب والمغانم، وكل شيء يُباع ويُشترى.

تسمّر التونسيون إبان الثورة أياماً وأشهرًا، يتابعون المشهد السياسي، ويتعلمون قاموساً ومفردات، ويكتشفون حقائق لم يكونوا يعرفونها. كانت بيداغوجيا مبهرة، حين كان لنا جبال من الأحلام. أما الآن، فالجمهور العريض يعرف كل شيء، ولم يعد يحتاج إلى أن يسمع صراخ السياسيين، فقد فقد الثقة. ما إن

يفتح المواطن العادي التلفاز، إن استطاب ذلك، حتى يسارع إلى البحث عن برنامج آخر بديل، عندما يجد ساسة يتكلمون، هذا البديل المنشود هو إعلام النفايات وثقافة "الكيّتش" اللتين تنتشران بسرعة فائقة، وتجدان رواجاً كبيراً في أوساط الشباب عامة.

يفرّ التونسيون إلى بلاطوهات الألعاب السخيفة والحوارات الماجنة التي تفوح منها لغة لزجة قدّت من إحياءات جنسية ورداءات وخنث وسخافات. ثمّة موجة من الإقبال الجماهيري على هذه البرامج، ما يترجم عجز النخب السياسية بيداغوجيا عن أن يكون الانتقال الديمقراطي جاذباً قادراً على أن يشكل ثقافة تهم الناس. يفقد الانتقال الديمقراطي حاضنته الشعبية بشكل تدريجي، فتضيق دوائر المشاركة السياسية وحتى المواطنة التي يفترض فيها، حسب أدبيات الانتقال الديمقراطي، أن توسع من دائرته، وتضبط شعائر جديدة للسياسة.

فرضيات عديدة في تفسير هذا الانفضاض من حول الانتقال الديمقراطي في تونس، وانحسار حاضنته وتبرّم الناس منه. عجز الثورة عن أن تغيّر واقع الناس، وتحسّن معيشتهم. للديموقراطية جملة من الوظائف خارج مهام توسيع حقوق الناس وحرّياتهم. إنها المنافع التي يجنونها منها، إشباع حاجات الناس. حين يتفاقم الفقر، ويتضاعف التهميش، وتتآكل الطبقة الوسطى، حاضنة الانتقالات الديمقراطية، تتحوّل الديمقراطيات إلى مجرد إجراءات شكلية لا روح لها. تتداول النخب الضيقة والمحترفة مهمة الحكم التي لا تعني أوسع الفئات الاجتماعية، ويحدث واسع انجرافٍ في القاعدة الانتخابية السياسية، ما يهدّد أن تتحول اللعبة السياسية إلى مبارزةٍ محصورةٍ في خصمين، وجمهورٍ عريضٍ واسع يشاهدها، إما بلامبالاة أو ببرودة أو برغبةٍ كثيرةٍ في انهزام الجميع. يؤكد مختصو الانتقال الديمقراطي على أهمية المنافع التي تجلبها الديمقراطية لعامة المواطنين، أما اختزالها في مجرد حقوق، فإنه مدمرٌ للديموقراطية ذاتها، فحينما تنقلص منافع الديمقراطية تنقلص المشاركة، وتتحول فئات عريضة خصوماً لها.

يثير عديدون ممن زاروا تونس من الأشقاء العرب والأجانب، وهم يلتقون بالناس البسطاء من سواقي التاكسي، الباعة، عمّال الفنادق وصغار التجار، ذلك الشعور العام بالإحباط والخيبة واليأس، والترحم على زمن بن علي الذي كانت فيه الأسعار أرخص، والأمن مستتباً، والدولة مهابة. ويقيني أن صناعة الحنين لعبة أتقنتها غرفٌ خاصة اشتغلت على هذا منذ الثورة، ونجحت للأسف، حين جعلت عصر الاستبداد والرصاص ذهبياً لأجيالٍ بأكملها. ولكن، ماذا فعلنا لمواجهة هذا الأمر؟ طلبنا منهم التضحية وضحوًا، وتعاقبت سبع حكوماتٍ عجاف، ولم يتغيّر الأمر، بل ساءت أحوال الناس في معاشهم أكثر. سبع سنوات أقلعت فيها أمم. ثمّة تداركٌ ضروري قبل الخيبة القاتلة.

من مغالطات فهم الديمقراطية في ديارنا

*عبدالفتاح ماضي

الجزيرة/المعرفة: ٢٠١٨/١١/١٨

ساهمت عدة أمور في تأزيم مسارات الانتقال نحو الديمقراطية في أعقاب ثورات ٢٠١١، ومن هذه الأمور تصور البعض أن هذا الانتقال لابد أن يكون إلى شكل معين من أشكال الديمقراطية، هو الديمقراطية الإجرائية القائمة في الغرب حسب ما يعتقد هؤلاء.

قام بهذا العمل الكثير من الباحثين الغربيين ومراكز البحوث الغربية، وذلك باعتبار أن الديمقراطية الغربية هي النظام السياسي الوحيد الصالح لكل البشرية، وأنه يمكن تصديرها كوصفة جاهزة. وتبع هؤلاء للأسف الكثير من الباحثين والممارسين العرب تأثرا بما هو شائع.

هذا الأمر مليء بالألغام والمغالطات ويستهدف هذا المقال إيضاح بعض التدايعات التي ترتبت على هذه المغالطات استعدادا لجولات قادمة لمسارات الانتقال، عندما تستعيد الثورات العربية عافيتها.

معالم الديمقراطية وتفاصيلها

أضاعت محاولات تصدير الديمقراطية كوصفة جاهزة على الناس التفكير وإعمال العقل عند بناء النظام الديمقراطي، لأن الكثير منهم تصوروا أن هناك صندوقا به كل التفاصيل، بينما الحقيقة هي أن التفاصيل يصنعها بناء كل نظام استنادا إلى ما يفرضه واقعهم من تحديات، وما يريده الناس من مطالب مع الاستفادة بلا شك من إنجازات الآخرين.

لا يوجد تعريف جامع مانع للنظام الديمقراطي، أي تعريف يضم كافة تفاصيله " لكن هناك تعريف عام للمعالم الرئيسية له، والتي بدونها لا يمكن وصف نظام سياسي ما بأنه ديمقراطي، أما التفاصيل فتتغير بتغير الدول وأوضاعها والتحديات التي يواجهها كل مجتمع.

لا تعني المعالم الرئيسية العامة حكم الأغلبية وإقرار الحقوق والحريات في الدساتير فقط، فهذا تعريف ناقص ومجتزئ " بل تضم المعالم الرئيسية للديمقراطية -كنظام للحكم- أربعة أمور على الأقل، أولها "سيادة المؤسسات المنتخبة على غيرها من المؤسسات غير المنتخبة، باعتبار أن المؤسسات المنتخبة تعبر عن إرادة الشعب الذي اختارها"، ومن هنا جاءت فكرة "سيادة الشعب".

وهذه الفكرة الأخيرة لا علاقة لها بفكرة "سيادة الله" كما كتبنا من قبل "فكرة "سيادة الله" تعني باختصار شديد أن الله -عز وجل- هو خالق الكون كله ومدبره، أما فكرة سيادة الشعب فتعني باختصار أيضا أن الحكام يأتون ويستمررون برضا المحكومين، وليس غصبا أو قهرا أو وراثة، وأن هناك تعاقدًا مقيدا بضرورة التزام الحكام بالدستور والقانون.

ولهذا فالمعلم الثاني هو أن سيادة الشعب والمؤسسات المنتخبة ليست سيادة مطلقة، لأن هناك مبدأ "حكم القانون" الذي تجسده الدساتير والقوانين المستمدة أساسا من المرجعية العليا، التي تتمثل بدورها في القيم العليا والمبادئ الأساسية للشعب، والتي تشكل هويته الجامعة ولا يمكن لا للدستور ولا القانون أن يخرقها.

وتلعب هيئات مستقلة (هي القضاء) دور الحكم إذا ما رُفعت دعاوى ترى أن قرارا ما قد خرق القانون، أو أن قانونا ما قد خرق الدستور، أو أن تعديلا دستوريا ما قد يخرق مرجعية الدستور والقانون.

وعادة ما تنص الدساتير - في ديباجاتها أو في موادها المختلفة - على تلك القيم والمبادئ التي تمثل المرجعية العليا، ففي الدساتير الغربية إشارات عدة إلى الأفكار الكبرى للمذهب الليبرالي المستمدة من فلسفات القرنين ١٧ و١٨ الميلاديين، وفي الصين وكوريا الشمالية هناك الماركسية كأيدولوجيا رسمية، وفي إيران هناك الفكر الشيوعي... وهكذا.

وعبر التاريخ تشكلت كل أنظمة الحكم من مرجعيات وأفكار ومن مؤسسات وإجراءات، منذ الحضارات القديمة الفرعونية والسومرية والإغريقية والرومانية، مروراً بالإقطاع والملوكيات المطلقة في العصور الوسطى، وانتهاءً بزماننا هذا.

ثم يأتي بعد هذا المعلمان الثالث والرابع، وهما فكرة المواطنة ومساواة الجميع أفراداً وجماعات في التمتع بالحقوق والحريات والالتزام بالواجبات، دون تمييز على أسس عرقية أو دينية أو مناطقية أو لغوية. وفكرة تمكين المجتمع والشعب من المشاركة السياسية والعمل العام عبر سبل مختلفة دون قيود، عدا تلك التي ترد في الدستور والقانون لتنظيم المشاركة وليس تقييدها.

هذه هي المعالم الرئيسية، أما التفاصيل وكيفية تنظيم كل بند منها فمتروك لكل مجتمع حسب أوضاعه الداخلية، ولهذا اختلفت طرق تنظيم السلطتين التشريعية والتنفيذية وظهرت أنظمة مختلفة (البرلماني والرئاسي والمختلط)، واختلفت بنية البرلمان (برلمان بغرفة واحدة أو غرفتين)، واختلفت الأنظمة الانتخابية، وتعددت طرق تنظيم الأحزاب.

بل اختلفت طرق تنظيم كيان الدولة ذاتها (الدولة البسيطة المركزية ذات مركز السلطة الواحد، والدولة البسيطة اللامركزية التي بها سلطات بلدية، والدولة الاتحادية (الفدرالية) التي ينظم دستورها ممارسة السلطة بين سلطة فدرالية بالعاصمة وسلطات بمكونات الاتحاد من ولايات و كانتونات ومقاطعات). وبالإجمال لا يوجد نظامان متطابقان، فالنظام البرلماني في الهند يختلف في تفاصيل كثيرة عن نظيره البرلماني في إسبانيا... وهكذا.

الديمقراطية ومرجعياتها

محاولات تصدير الديمقراطية ربطت أيضاً بين الديمقراطية والفلسفة الليبرالية، وهذا الربط أحدث بدوره توترات جمة بين مختلف التيارات السياسية في دولنا العربية، بسبب عدم فهم الكثيرين لدلالات المصطلحات المختلفة، وغاب عن هؤلاء الكثير من الأمور. فالكثير من القيم الليبرالية الكبرى هي - في حقيقتها - قيم إنسانية عامة، كقيمة الحرية ذاتها.

كما إن هناك جذوراً للديمقراطية خارج الحضارة الغربية المعاصرة، فحكم القانون مورس في الدولة الإسلامية الأولى قبل أن يكتب عنه فلاسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر بألف سنة على الأقل، والمشاورة والتداول في القرارات عرفته حضارات كثيرة في العصور القديمة والوسيطة.

والجانب المهم في الحضارة الغربية المعاصرة يكمن في الإضافة إلى تلك الأفكار القديمة، ثم في تقنين وتنظيم العديد من الممارسات السياسية، كتنظيم الانتخابات والبرلمانات والهيئات القضائية وتنظيم العلاقات بينها وغير ذلك.

وكما كتبنا سابقاً، فإن الديمقراطية ليست مذهباً سياسياً، وليس ضرورياً ربطها بأيدولوجيا محددة. نعم ارتبطت الديمقراطية بالليبرالية في الغرب، بيد أن هناك أشكالاً متعددة للديمقراطية خارج العالم الغربي الليبرالي، وهناك تبادل تأثير وتأثر بين ديمقراطيات اليابان والهند مثلاً والديمقراطيات الغربية، وهناك ديمقراطيات اجتماعية تُعلي قيم العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص.

هذا فضلا عن أن انتشار الديمقراطية -بعد موجات التحول الأخيرة- أثبت أنها قادرة على التعايش مع ثقافات لا تستند إلى الفكر الليبرالي فقط، كتجارب الديمقراطية بالهند واليابان وأمريكا اللاتينية وغيرها. وفي الإجمال "تثير مسألة مدى تأقلم الديمقراطية مع أيديولوجيات وثقافات أخرى -غير الليبرالية الغربية- الكثير من القضايا البحثية، وقد عولجت في عشرات الكتب ومئات البحوث والدراسات، واختلف بشأنها العشرات من الباحثين.

الديمقراطية ونتائجها

من التوترات الأخرى خلط البعض بين النظام الديمقراطي ونتائجه المتوقعة أو المتخيلة. لقد اهتم العديد من القوى السياسية بما يريدون تحقيقه من غايات، بدلا من الاهتمام بمبادئ وتفصيل النظام السياسي الذي يمكن أن يحقق هذه الغايات.

فعلى سبيل المثال "كان من أوجه إخفاق القوى الاحتجاجية الشبابية التي قادت عمليات التعبئة في ثورات ٢٠١١ الاكتفاء بمطالبة الآخرين بتنفيذ مطالب الثورات من حرية وكرامة وعدالة اجتماعية، وعدم اهتمامها بامتلاك القدرات الفكرية والتنظيمية للوصول إلى السلطة أو المشاركة فيها أثناء إدارة المراحل الانتقالية.

أما بعض القوى الإسلامية فكان اهتمامها الأساسي مستمدا من خوفها من أي نتائج محتملة لبرلمان حر قد يقنن ما يخالف الشريعة. وهناك قوى خافت من أن تؤدي سيطرة أحزاب معينة على البرلمان إلى اقتصاد نيوليبرالي يعمل لصالح الأقلية ويسحق غالبية فئات المجتمع.

أما القوى الإقليمية والدولية فقد خافت هي الأخرى من أن أي ديمقراطية حقيقية ستقيم دولة الشريعة الإسلامية من وجهة نظرها، وخافت أيضا من اتحاد دول المنطقة وتغيير المعادلة القائمة على هيمنة الغرب وضمان أمن الدولة الصهيونية.

وكان طبيعيا أن ينتج عن التوترات السابقة شعور قوي من التشكك وعدم الثقة -على مستوى النخب وال جماهير العربية- تجاه أي حديث خارجي، وخاصة من الغرب لصالح دعم الديمقراطية وحقوق الإنسان.

وهناك دوما شكوك في الدوافع الخفية للسياسات الغربية، وهي شكوك لا ترتبط بالماضي الاستعماري البغيض فحسب، وإنما أيضا بأمور أخرى كسياسات الهيمنة الغربية، ودعم دولة الأبارتيد العنصري بفلسطين المحتلة.

هذا إلى جانب أزمات الديمقراطية ذاتها في عقر دارها، كتصاعد نفوذ المال السياسي الموجه في الانتخابات، وتعاضم الأدوار التي تقوم بها جماعات الضغط واللوبيات والأجهزة الأمنية وغير ذلك.

ومن الأمور المهمة أيضا الربط بين برامج الإصلاح السياسي والانتقال الديمقراطي وبين التدخل الخارجي والأجندة الاستعمارية من قبل بعض النخب الحاكمة والقوى المتحالفة معها، ومن ثم تعبئة مواقف شعبية معادية للديمقراطية باعتبارها شكلا من أشكال التدخل الخارجي.

هذا بلا شك يختلف عن التدخل الغربي في مناطق أخرى كشرق أوروبا، وبعض جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق، لصالح الانتقال الديمقراطي الذي تم استقباله بترحاب، الأمر الذي سهّل عمليات الانتقال.

أخيرا، لا مفر أمام قوانا ونخبنا الحية في عالمنا العربي من الاستمرار في مناقشة كل هذه الأمور، حتى يمكن الوصول إلى "إجماع وطني عام" على نظام الحكم البديل والمطلوب والممكن تحقيقه في هذه اللحظة التاريخية، بمرجعياته العليا ومؤسساته وضماناته المختلفة، بجانب طريقة الوصول إليه.

في مئوية الحرب العالمية الأولى..

عالم منقسم.. وتحالفات في مهب الريح

مركز الأهرام للدراسات: ٢٠١٨/١١/١٨

رسالة لندن: منال لطفي: وسط الأمطار الغزيرة وتحت المظلات السوداء الكبيرة، شارك أكثر من ثمانين قائدا ومسئولا دوليا في مسيرة حزينه في شارع الشانزليزيه، وسط باريس، لإحياء ذكرى مرور مائة عام على اتفاقية الهدنة التي أنهت الحرب العالمية الأولى التي راح ضحيتها ١٦ مليون شخص.

التجمع الدولي الكبير كان هدفه التعبير عن «وحدة العالم» لمنع أي حروب كونية مماثلة تؤدي بحياة هذا العدد الهائل من الضحايا، و«تجنب أشباح الماضي» و«التعلم من درس التاريخ».

لكن المفارقة أنه لم يكشف تجمع دولي في الآونة الأخيرة، بما في ذلك القمة المتوترة لحلف شمال الأطلسي (ناتو) في يوليو الماضي التي شهدت خلافات أمريكية -أوروبية عميقة، عن هذا الكم من الانقسامات والتباينات بين القوى الكبرى في العالم أكثر من احتفال مئوية الحرب العالمية الأولى هذا الأسبوع.

وحتى قبل أن يحط الرئيس الأمريكي دونالد ترامب رحاله في فرنسا، تراشق ترامب مع الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون حول تصريحات ماكرون الخاصة بتشكيل جيش أوروبي موحد يحمي الأوروبيين من روسيا والصين وأمريكا أيضا، وهي التصريحات التي رد عليها ترامب بتغريدة على «توتير» يصف فيها الدعوة الفرنسية بـ «مهينة جدا».

وخلال إقامته لمدة ٤٨ ساعة في فرنسا، لم يظهر ترامب أي علامة على أن مزاجه تحسن بأي درجة. فقد جاء في موكب فردي، متأخرا على مسيرة للرؤساء والملوك والمسؤولين تحت المطر إلى «قوس النصر» تمهيدا لاحتفال استمر نحو الساعتين، وجلس ممتعضا لم تظهر على وجهه أي ابتسامة إلا عندما ظهر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، الذي جاء للاحتفال متأخرا أكثر حتى من ترامب نفسه.

وخلال الغداء الذي تلى الاحتفال تحت «قوس النصر» لم يتمكن ترامب من إجراء أي حوار مع بوتين، فقد تعمد مسئولو البروتوكول الفرنسيون، بتوجيهات من الرئاسة الفرنسية، أن يكون مقعد ترامب على مائدة الغداء بعيدا عن مقعد بوتين، وتم إجلاس ترامب بين الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش، ورئيس المفوضية الأوروبية جان كلود يونكر، وهما مؤسستان لم يظهر ترامب أي حرص عليهما وكال لهما الاتهامات المرة تلو الأخرى.

وقبل ذلك بيوم ألغى الرئيس الأمريكي زيارة، قام بها من قبله كل الرؤساء الأمريكيين بدءا من وودورد ويلسون إلى باراك أوباما، إلى مقبرة «آيسن مارن» الأمريكية، على بعد خمسين ميلا خارج باريس، والمدفون فيها آلاف الجنود الأمريكيين، بحجة الأمطار ما أثار استياء وغضبا في أمريكا وأوروبا على حد السواء. لم يقتصر الأمر على تأخر ترامب وعدم مشاركته في مسيرة الزعماء في الشانزليزيه إلى «قوس النصر»، ففي اليوم، نفسه الأحد، وبدلا من أن يحضر «منتدى السلام» في باريس برعاية ماكرون، توجه ترامب لزيارة مقبرة أخرى للجنود الأمريكيين حيث ألقى كلمة موجزة لم تلفت اهتمام أحد في أوروبا قبل أن يغادر مباشرة إلى أمريكا.

أوروبا لا تدري بالضبط كيف تتعامل مع ترامب. وهناك مسافة تنمو بشكل مضطرب بين حلفاء الماضي. فالرئيس الأمريكي بخطابه القومي المنغلق الحمائي المعادي للأجانب والهجرة، يقف على النقيض من المؤسسات التي ولدت من رحم الحرب العالمية الأولى والثانية، والتي تحاول أوروبا أن تحميها، وعلى رأسها الاتحاد الأوروبي، ومنظمة التجارة العالمية، والأمم المتحدة، واتفاقيات منع الانتشار النووي. لكن المزاج العام في أوروبا عكسه ماكرون وهو أن «أوروبا يجب أن تحمي نفسها من عودة أشباح الماضي»، فهي القارة التي دفعت الثمن الأثمن خلال الحربين العالميتين.

وعمليا كان هناك نهج أوروبي جديد ظهر خلال احتفالات باريس. فلم تعد أوروبا ترضي باحتواء نزوات ترامب وتصريحاته الصادمة، كما فعلت خلال الـ١٨ شهرا الأولى من ولايته. وقد أظهر القادة الأوروبيون، وعلى رأسهم ماكرون، أنهم مستعدون لـ«تطويق» و«تهميش» ترامب والرد عليه إذا لزم الأمر، وحرمانه من الاهتمام الذي يتوق إليه.

وبينما كان ترامب في طريقه لواشنطن، كان ماكرون والمستشارة الألمانية أنجيلا ميركل يحذران في «منتدى باريس»، الذي يهدف إلى تعزيز العمل الدولي الجماعي، من مخاطر الانغلاق والقومية على الأمن العالمي. وتسائل ماكرون في كلمته: «هل سيكون اليوم رمزا للسلام الدائم أم اللحظة الأخيرة للوحدة قبل أن يقع العالم في المزيد من الفوضى؟»، موضحا: «يعتمد الأمر علينا فقط». فيما حذرت ميركل: «إذا لم تكن العزلة هي الحل قبل مائة عام، فكيف يمكن أن تكون اليوم؟».

وفي خطابه تحت «قوس النصر» تذكروا ماكرون كيف أنه مع الحرب العالمية الأولى «أقدمت أوروبا على الانتحار»، محذرا من «أن أشباح الماضي تتصاعد من جديد وكان التاريخ يهدد بتكرار نفسه، ويهدد تاريخ أوروبا في السلام».

ثم شجب ماكرون «أنانية الدول التي لا تنظر إلا إلى مصالحها الخاصة». وقال إن «الوطنية هي النقيض التام للقومية... القومية هي خيانة للوطنية. فعندما نقول: مصالحنا أولا والآخرين غير مهمين، نمحو ما هو أثنى لأي أمة وما يجعلها حية.. وهو قيمها الأخلاقية».

هذه الكلمات كان من المستحيل سماعها بدون أن يرد إلى الذهن فورا ان ترامب هو المعني من ورائها. وقبل ذلك وفي مقابلة مع محطة «سي إن إن» الأمريكية، المحطة التي يكن لها ترامب كراهية عميقة، قال ماكرون إن أوروبا بحاجة إلى جيش أوروبي موحد، لأنه لم يعد بإمكانها الاعتماد على الولايات المتحدة كشريك. كما تحدث ماكرون عن الحاجة إلى تعزيز وضع اليورو كعملة مرجعية عالمية، ليس كتحد للدولار الأمريكي ولكن كبديل لأغراض استقرار الاقتصاد الدولي على حد تعبيره. ودعا إلى مزيد من التضامن بين دول الاتحاد الأوروبي أمام تنامي التيارات الشعبوية اليمينية. عزلة ترامب على المسرح الدولي عززها اختيار رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماي زيارة باريس ولقاء ماكرون قبل يوم من الاحتفالات الرسمية الدولية، وذلك لحضور احتفالات مماثلة في لندن يوم الأحد بمشاركة الملكة اليزابيث. وبغياب تيريزا ماي، لم يجد ترامب من يعطيه أذانا صاغية، كما تفعل رئيسة الوزراء البريطانية أحيانا بسبب احتياج بريطانيا لأمريكا بعد البريكست.

وبالنسبة لماي كان عدم حضورها الاحتفالات الجماعية يوم الأحد في باريس «ترتيب موفق ومناسب» بحسب تعبير دبلوماسي غربي تحدث لـ«الأهرام»، موضحا: «بعدم مشاركتها في تجمع باريس لم تكن ماي مضطرة للتقرب من ترامب وإغضاب الأوربيين. وبكل صدق لندن اليوم تحتاج قادة أوروبا أكثر كثيرا مما تحتاج إدارة ترامب. وماي تدرك هذا».

فبريطانيا، وهي أحد الأضلاع الثلاثة للتحالف الذي انتصر في الحريين العالميتين الأولى والثانية إلى جانب فرنسا وأمريكا، تجد نفسها اليوم «معزولة» أيضا على غرار عزلة ترامب وعلاقتها مع حلفاء الماضي القريب تتغير بشكل جذري. لكن ماي لديها ميزة ليست لدى ترامب، وهي أنها ليست مكروهة.

فالمنامح العام في أوروبا معاد للرئيس الأمريكي على نحو متزايد ولا عجب أن يكون العنوان الرئيسي لصحيفة «جورنال دو ديماناش» الفرنسية في يوم احتفالية «قوس النصر» هو: «لماذا يهددنا ترامب؟».

وهو سؤال مفتوح ومعقد ويشمل طائفة واسعة من القضايا التي تهدد أوروبا والعالم. فالرئيس الأمريكي يأخذ مواقف مختلفة عن أوروبا فيما يتعلق بالعلاقات مع روسيا، وكوريا الشمالية، وإيران، وحرية التجارة العالمية، واتفاقية باريس للمناخ، ودور الأمم المتحدة. وكانت آخر قراراته السياسية قبل التوجه إلى أوروبا هذا الأسبوع هو إعلانه من جانب واحد الانسحاب من معاهدة وقف انتشار الأسلحة النووية متوسطة المدى مع روسيا، التي تمنع تطوير القاذفات التي يتراوح مداها بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ كيلومتر. وبرغم أن الانسحاب يبدو موجها ضد روسيا، إلا أنه في حقيقة الأمر «ضربة» ضد الأمن الأوروبي، فالمعاهدة تعمل في المقام الأول على حماية أوروبا من الصواريخ النووية الروسية متوسطة المدى.

لغة الجسد تكشف كل شيء.

ترامب لا يريد أن يكون في أوروبا. هو لا يشعر بالارتياح هناك، ويشعر انه مصدر سخريه وأن الأوربيين لا يحاولون الآن حتى إخفاء الامتعاض منه.

وفي الداخل الأمريكي، حاول مسئولون في الإدارة ونواب جمهوريون في الكونغرس الأمريكي التقليل من الآثار الكارثية لـ٤٨ ساعة التي قضاها ترامب في فرنسا. وقال السيناتور الجمهوري البارز ليندساي غراهام: «دائما ما كانت علاقات الرؤساء الجمهوريين مع أوروبا معقدة». لكن القضية أخطر من هذا. فواقع الحال أن ترامب همش دور أمريكا على المسرح الدولي. وفي حالة «فجوة القيادة»، هناك الكثير من الراغبين في ملء الفراغ.

وماكرون لم يدخر وسعا لتأكيد أن أوروبا بقيادته (في ضوء تعثر ميركل في ألمانيا وخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي) قادرة على ملء فراغ القيادة العالمية. هذه رسالة أوصلها ماكرون لترامب بكل الطرق الممكنة خلال هذا الأسبوع. ولا عجب أن ينعكس ذلك في مزاج ترامب السيئ. فهو يحتاج العالم أكثر من أي وقت مضى. فخسارته لمجلس النواب الأسبوع الماضي تعني أن قدرته على تطبيق أجندته للقضايا الداخلية خلال العامين المقبلين ستتعرض كثيرا. ولتحسين فرص إعادة انتخابه، سيحتاج ترامب إلى أي اختراقات على المسرح الدولي، وسيحتاج بالتالي إلى علاقات أوروبية ودولية أفضل وهذا مراد غير متاح اليوم.

دول الخليج الصغيرة تكافح ضد الهيمنة السعودية الإماراتية

ستراتفور: ٢٠١٨/١١/١٨

طوال عقود، قامت الولايات المتحدة بحماية الدول الصغيرة في الخليج من سلسلة من التهديدات منها السوفييت، والثورة الإيرانية، و"صدام حسين". لكن بعد الربيع العربي، برز تحدٍ جديد لاستقلال هذه الدول من جانب جارتها، السعودية والإمارات. وباستخدام غطاء الاستراتيجية الأمريكية المعادية لإيران، تهدف الرياض وأبوظبي إلى جعل بقية دول مجلس التعاون الخليجي مجرد أتباع. وانضمت البحرين منذ فترة طويلة إلى الأتباع، لكن قطر أبت أن تكون كذلك، وهي حقيقة أدت، إلى جانب أسباب أخرى، إلى فرض حصار على الدوحة التي رفضت اتخاذ إجراءات صارمة ضد معارضي السعودية والإمارات. وفي الوقت نفسه، تتطلع السعودية والإمارات أيضا إلى الكويت وعمان حيث تنظران إلى سياستهما المستقلة كتهديد لهما.

لكن المفتاح لنجاح هذه الاستراتيجية هو الضامن الأمني للمنطقة الولايات المتحدة. ولفترة وجيزة، اعتقد السعوديون والإماراتيون أن الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" أصبح "في جيوبهم" عندما دعم الأخير حصارهم لقطر بشكل مؤقت الصيف الماضي. غير أن هذا الإجراء شجع الدوحة فقط على تذكير واشنطن بقوة بقيمتها كشريك استراتيجي، في حين بدأت الكويت ومسقط أيضا أخذ الحذر باتخاذ طريق مستقل إلى البيت الأبيض، خشية أن يتعرضا أيضا لتبعات غضب الرياض وأبوظبي. وتعد هذه الإجراءات جزءاً من استراتيجية "دول الخليج الصغيرة" الطويلة، وهي الاعتماد على قوة خارجية للحفاظ على التوازن، وبالتالي ضمان صمود الدول الأصغر في مواجهة العدوان من القوى الأكبر في المنطقة. وهي استراتيجية مجربة ومختبرة، وبالنسبة للكويت وقطر وعمان، فهي تجدي الآن مرة أخرى.

الحفاظ على الاستقلال

ولطالما أغفلت القوى الإقليمية في كثير من الأحيان، أو تجاهلت، الحافة الشرقية للجزيرة العربية، حيث لم تلاحظ فائدة تذكر في السيطرة على مواقع صيد اللؤلؤ المتناثر والصيد على السواحل. وفي بعض الأحيان، سعت القوى الإقليمية في إيران وبلاد ما بين النهرين أو الأناضول إلى توسيع السيطرة على المنطقة فقط لمنع أي جهة أخرى في المنطقة من السيطرة عليها. واستمرت هذه العملية لقرون، من الإمبراطورية الأخمينية في بلاد فارس إلى الحروب العديدة بين العثمانيين والصفويين.

لكن ميزان القوة هذا انتهى عام ١٨٢٠، عندما دخل البريطانيون الخليج العربي لتأمين طرق التجارة المربحة في المنطقة، وما وراء ذلك، للسيطرة على جوهرة تاج الإمبراطورية، الهند. وتبنت المملكة المتحدة استراتيجية مختلفة في إدارة الخليج، وأقامت المحميات بدلا من المستعمرات، وأعطت مساحة محلية للنخب لبناء مؤسساتها الخاصة، واعتماد التقاليد القبلية المحلية، مع الاعتماد على القوى الخارجية للحفاظ على سلامتهم.

وبعد فترة وجيزة من بداية القرن العشرين، اختفت الإمبراطوريات الصفوية والعثمانية، مما سمح للسعودية الجديدة بالظهور، وتوسيع سيطرتها على معظم شبه الجزيرة العربية. وبدون تدخل خارجي، كان من المرجح أن تحتل هذه القوة المتنامية جيرانها الصغار، الكويت والبحرين وقطر والإمارات وسلطنة عمان. لكن حكام الحافة الشرقية للجزيرة العربية، اقتربوا من بريطانيا العظمى للحفاظ على استقلالهم. وظهرت أهمية هذه القوة الحمايية خلال أزمة "البريمي" عام ١٩٥٢، عندما حاولت المملكة انتزاع السيطرة على بقعة تعد الآن ولاية من ولايات سلطنة عمان. وحينها، أثارت أبوظبي وعمان شبح تدخل عسكري بريطاني محتمل لإقناع السعوديين بالانسحاب قبل بدء الأعمال العدائية" ما أدى إلى بقاء المنطقة خارج السيطرة السعودية.

واستمرت هذه الاستراتيجية بعد انسحاب المملكة المتحدة من المنطقة عام ١٩٧١، وترك موقعها للولايات المتحدة، التي رغبت في الحفاظ على إمدادات الطاقة وإبعاد الاتحاد السوفييتي عن الخليج. ومنذ وصول الولايات المتحدة إلى المنطقة، أبرزت كل من قطر والكويت وعمان قيمتها لواشنطن من خلال تقديم نفسها كشريك دبلوماسي أو اقتصادي أو سياسي. ولعبت الكويت دور الوسيط خلال حرب اليمن والنزاعات داخل مجلس التعاون الخليجي، في حين عرضت قطر ثقلها الاقتصادي في غزة، وعملت مع الولايات المتحدة للإطاحة بـ "معمر القذافي" في ليبيا ودعم المعارضين المناهضين للحكومة في سوريا. واستضافت عُمان المفاوضات النووية بين إيران والولايات المتحدة التي أسفرت في النهاية عن خطة العمل المشتركة الشاملة التي أجهزها "ترامب" لاحقاً.

لكن بعد أن بدأ الحصار ضد الدوحة عام ٢٠١٧، أدركت كل من الكويت وسلطنة عمان أن التهديد لا يزال ممكناً من قبل جيرانهما الأكبر حجماً، إذا لم تتدخل الولايات المتحدة. ونتيجة لذلك، انتقلت الدول الثلاثة إلى إيجاد طرق لعرض قدراتهم الفريدة من نوعها التي تناسب المصالح الأمريكية للحفاظ على استقلالها الخاص.

محاولات التريكة

وبدلاً من التوسع الإقليمي، تسعى الرياض وأبوظبي في نهاية المطاف إلى تحقيق الأمن السياسي "خوفاً من أن تؤدي الحركات المعارضة القائمة في الدول المجاورة إلى الإضرار بالنظام في البلدين. وبناءً على ذلك، قامت الدولتان بتشديد حربهما بشكل متزايد على جماعة الإخوان المسلمين في منطقة الخليج، في الوقت الذي ترغبان فيه أيضاً في جعل مجلس التعاون الخليجي أكثر اتحاداً وتماسكاً.

ومباشرة بعد فرض الحصار على قطر، ضغطت الدوحة على إدارة "ترامب" لتقويض الادعاءات السعودية الإماراتية بأنها تدعم الإرهاب. وعلى هذا الصعيد، كانت الروابط العسكرية والدبلوماسية لقطر مع الولايات المتحدة، والمتمثلة بألاف الجنود الأمريكيين المتمركزين في قاعدة العُديد الجوية في الخليج، مفيدة. لكن قطر قضت عام ٢٠١٧ ومعظم عام ٢٠١٨ في وضع نفسها كموزع مفيد للمساعدات في الأماكن التي لم تعد الولايات المتحدة ترغب في دفع فاتورتها. وبعد اندلاع الاحتجاجات في الأردن، الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة، حول مشروع قانون ضريبة الدخل المدفوع بحملة التقشف، دخلت قطر بسرعة باستثماراتها للمساعدة في استقرار ميزانية الأردن. ووفرت بسهولة الأموال التي تحتاجها غزة للحفاظ على الوضع الاقتصادي هناك للحد الذي يمنع حرب جديدة بين حماس و(إسرائيل). وفي كلتا الحالتين، عززت السيولة القطرية في النهاية مصالح الولايات المتحدة.

وكان الحصار يمثل ضغوطاً مباشرة أقل ضد الكويت، لكن البلاد ما زالت تواجه اتهامات سعودية وإماراتية بأن برلمانها يسمح للإخوان المسلمين بمزيد من المناورة. وقد استاءت الرياض كثيراً من عجز أمير الكويت عن قمع الإسلام السياسي بسبب دستور البلاد وبرلمانها، وبسبب عدم تمكنه من قطع جميع العلاقات مع طهران بسبب الروابط بين العديد من النخب الشيعية في الكويت وإيران. وبعد أن فشلت السعودية والكويت في حل نزاع طويل الأمد حول حقول النفط في المنطقة المحايدة بين البلدين، أطلقت الرياض حملة قصيرة على تويتر ضد جارتها الصغيرة.

لكن على غرار قطر، عززت الكويت أيضاً من خطوطها المالية مع الأردن خلال أزمته الاقتصادية الصيفية، وبذلك استعرضت قوة مساعداتها لتذكير واشنطن بأنها أيضاً حليف مهم في تخفيف الأعباء الاستراتيجية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط.

كما بدأت عمان في إدراك الجهود السعودية والإماراتية للحد من استقلاليتها، خاصة بعد أن شرعت أبوظبي، الشريك التجاري الرئيسي لعمان، في تشديد الرقابة على الحدود ومضايقة الشركات العمانية العاملة في الإمارات. وبسبب افتقارها إلى السيولة النقدية مقارنة بقطر أو الكويت، لعبت مسقط بدلا من ذلك بورقة دبلوماسية هائلة الشهر الماضي بدعوة رئيس الوزراء الإسرائيلي "بنيامين نتنياهو" إلى السلطنة لمناقشة أحداثات السلام الفلسطينية. وربما لم تسفر المحادثات عن تقدم دبلوماسي كبير، لكنها أظهرت السلطان في العلن، وكذلك في وسائل الإعلام الرسمية العمانية، مع رئيس وزراء إسرائيلي قريب من البيت الأبيض الحالي. والأكثر من ذلك، أعلنت سلطنة عُمان أنها ترحب بقاعدة عسكرية بريطانية جديدة، وهي الأولى منذ عام ١٩٧١، في أوائل نوفمبر/تشرين الثاني، لتثبت مرة أخرى قيمتها الاستراتيجية للولايات المتحدة، التي تسعى إلى شركاء لتخفيف مسؤولياتها الأمنية. وأثبتت عمان مدى ملاءمتها كمكان دبلوماسي ومركز عسكري لكل من الولايات المتحدة وحلفائها، وهو سبب كاف لأن ترغب أمريكا في استمرار استقلالها.

تحالفان أمريكيان

وفي نهاية المطاف، سيؤدي هذا الموقف إلى تبني الولايات المتحدة مقاربة ذات مستويين مع دول مجلس التعاون الخليجي. من ناحية، ستطلب الدعم من المحور السعودي الإماراتي الحازم في معارضة إيران. ومعا، ستجذب الدول الثلاث الدعم من (إسرائيل) التي تستفيد من تهديد إيران بزيادة التقارب مع السعودية والإمارات. ولكن مع سعي السعوديين والإماراتيين لتحقيق أهدافهما الإقليمية ضد الدول السنية الأصغر، الكويت وقطر وعمان، فإن الثلاثي الأخير سيعمل على إبراز القوة الناعمة في الأماكن التي توجد فيها مصالح أمريكية، والتي لا تستطيع الولايات المتحدة ممارسة نشاطها فيها بقوة.

وعليه، يمكن للولايات المتحدة الاستعانة بجهود هذا المحور غير الرسمي. وعلى سبيل المثال، فإن لبنان، البلد التي يواجه اقتصاده أزمة ديون، والذي قد يعاني من آثار العقوبات التي تفرضها واشنطن على حزب الله، يعتبر نقطة اشتعال قد تكون فيها الأموال الكويتية أو القطرية مفيدة. والأمر مماثل في الأردن، حيث من شبه المؤكد أن تعود الأزمة الاقتصادية. وهناك دور للكويت وقطر وعمان في الأراضي الفلسطينية، حيث تسعى الولايات المتحدة إلى منع نشوب حرب بين حماس و(إسرائيل)، وإبقاء اقتصاد غزة واقفا على قدميه، وإحلال بعض الحياة في عملية السلام المحتضرة. وفي أماكن أخرى، يمكن لإعادة إعمار العراق، فضلا عن اليمن التي خربتها الحرب، خاصة مع اكتساب الأزمة الإنسانية مكاسب سياسية في الكونغرس الأمريكي، الحصول على بعض المساعدات من هذه الدول. وأخيرا، يمكن أن تلعب أيا من الدول الثلاث دورا في المحادثات الإيرانية الأمريكية، وإذا حدث مثل هذا فسيعد إنجازا دبلوماسيا، حتى لو كانت مثل هذه النتيجة تبدو غير محتملة إلى حد بعيد في ظل الإدارة الحالية.

وسيبدل اللاعبون الكبار في الخليج قصارى جهدهم لجذب جيرانهم الأكثر استقلالية إلي مدارهم. لكن مع صغر حجم الكويت وقطر وعمان، فإن استراتيجيتهم المثمرة في تقديم خدمة لا تقدر بثمن للقوى الخارجية ستحافظ على استقلاليتهم. وفي النهاية، من المرجح أن يقاوم الخليجيون المحايدون التدخل السعودي والإماراتي بنجاح مرة أخرى.

الرئيس العراقي في الرياض

عبدالرحمن الراشد

بين العاصمتين تتأرجح التطلعات بين أقصى نقطة في التعاون الشامل، وأدناها بالاكْتفاء بالدبلوماسية التقليدية. لهذا" يجيء للرياض الرئيس العراقي الجديد، الدكتور برهم صالح، في وقت تنتظر العلاقات تنشيطها، انسجاماً مع تحرك الأوضاع الإقليمية، وحتى العراقية الداخلية. هذه إطلالته الأولى منذ انتخابه من قبل البرلمان العراقي. الرياض مسك ختام جولته، مع أن أحد مساعديه قال كانت الرياض المحطة الأولى لولا أن الزيارات الملكية لمناطق المملكة كانت قد برمجت. لهذا" فهو يصل إلى السعودية ولديه اطلاع مباشر على مواقف الدول في محيط العراق. الرئاسة العراقية تبدأ عهداً والوقت يدعو للتفاؤل لإكمال رحلة عبور الجسر فوق الهاوية، التي نجحت الرئاسة السابقة في تفادي السقوط فيها، حيث ألغام إيران وسوريا والإرهاب. الرئيس برهم صالح ينشد تضامن دول الجوار مع بلاده، واحترام الجميع لسيادتها وسلامة أراضيها، ولا تكون ممراً للجيوش، ولا ساحة للاحتراب الإقليمي. وأزمات الصيف المنصرم بينت تنوع التحديات التي تواجه حكومة بغداد الجديدة، عدا عن ميليشيات إيران العابرة للحدود، والعراقية الممولة من إيران، وبقياً تنظيم داعش المنكسر، وفلوله الهاربة من حرب سوريا... عدا عن كل هذه القضايا الخطيرة فقد عصفت بالحكومة السابقة أزمات لا تقل خطورة، انفجر الغضب الشعبي بسبب تلوث المياه وانقطاع الكهرباء. الحكومة الجديدة تواجه الأزمات نفسها" العلاقات الملوثة مع طهران مع المياه الملوثة، وستحتاج إلى جهد سياسي كبير لتأمين الأمن والاستقرار والخدمات المعيشية، والبداية في التنمية. السعودية، بين الدول الست المجاورة، أقدر على مساعدة السلطات العراقية في أن تتحول نحو التنمية الاقتصادية. وقد سمى ولي العهد الأمير محمد بن سلمان، في كلمته في مؤتمر الاستثمار الأخير، العراق بين الدول التي تنبأ لها بالنجاح الاقتصادي الإقليمي.

على الأرض وعلى الخريطة، العراق بين جارين متنافسين" السعودية وإيران. والعلاقة الثلاثية بين الرياض وبغداد وطهران متشابكة ومعقدة. ويبقى الخيار للمسؤولين في العراق، في أن يقرروا كيف يريدون ترتيبها والتعامل مع الحكومتين. السعودية وإيران، كلتاها تعتبر العراق امتدادها الجغرافي السياسي، وخطها الدفاعي الأول، ويمكن أن يكون مصدر الاستقرار مثلما يمكن أن يكون مصدر الاضطراب. ورغم التشابه في الرؤى تبقى الفوارق واضحة في تناقض الممارسات. السعودية تريد العراق ممراً إلى سوريا وتركيا ووسط آسيا، تعبر منه حافلات الحجاج والمعتمرين والشاحنات الغذائية والمنتجات الصناعية. أما إيران فتريد استخدام العراق طريقاً سريعة لنقل المقاتلين والسلاح وتمويل حروبها في المنطقة. الرياض تريد العراق بلداً مستقراً وناجماً مثلما ترى مصر، تستطيع أن تتكى عليه لتأمين حدودها، وتزدهر التجارة معه. أما نظام إيران فيريد أن يبقى على العراق بقرة حلوباً لتحدي الحصار الاقتصادي الغربي، وتمويل نشاطات «فيلق القدس» و«حزب الله» وغيرهما في سوريا ولبنان. هذه ممارسات نظام المرشد الأعلى في أفغانستان وباكستان، يصدر إليهما الفوضى والمقاتلين والسلاح.

تستطيع السعودية أن تكون شريكاً اقتصادياً كبيراً، وتساهم في نهضته، وتعزز استقرار سلطته المركزية حتى لا تكون تحت إدارة جنرالات الحرب في إيران. والعراق لاحقاً ربما يستطيع أن يلعب دوراً في مرحلة ما بعد العقوبات الاقتصادية الأمريكية، بدفع طهران نحو الاعتدال وليس فتح الحدود لها للتخريب وشن الحروب.

الرئيس برهم صالح تجربة سياسية وحكومية مميزة، عرفناه رمز العراق الموحد، والعراق الحديث. عاش حياته السياسية نظيفاً بعيداً عن الصراعات الطائفية والعرقية، معظم أفكاره تحولت إلى مشروعات على الأرض في التنمية والتعليم والتعاش. فقد تشرفت بالعمل معه عن قرب، في مجلس أمناء الجامعة الأمريكية في كردستان التي فتحت أبوابها لكل العراقيين، أسست ومارست نشاطاتها في أوج مراحل الإرهاب والتنازع المحلي.

*عن صحيفة (الشرق الأوسط)

البيان الختامي لمؤتمر أزمة المدنية والطريق نحو الحداثة الديمقراطية في الشرق الأوسط

وكالات متعددة: ٢٠١٨/١١/١٩

أكد البيان الختامي لمؤتمر أزمة المدنية والطريق نحو الحداثة الديمقراطية في الشرق الأوسط في العاصمة اللبنانية، أن الشرق الأوسط بحاجة إلى منظومة فكرية جديدة تتبنى مشروع الأمة الديمقراطية المرتكزة على التعايش المشترك والسلمي بدلاً من التعصب القومي، وإلى احترام العقائد والأديان بدلاً من التعصب الديني، وإلى الفكر المتحرر جندياً بدلاً من النظرة الدونية للمرأة.

انتهت مساء الأحد، فعاليات مؤتمر "أزمة المدنية والطريق نحو الحداثة الديمقراطية في الشرق الأوسط" المنعقد في العاصمة اللبنانية بيروت بقراءة البيان الختامي للمؤتمر.

وبعد يومين من فعاليات المؤتمر الذي استمر خلال ١٧-١٨ تشرين الثاني الجاري والذي ضم ٦ جلسات، اختتم المؤتمر الأحد، بقراءة البيان الختامي والذي قرئ من قبل حامل الماجستير في النقد الفني وعضو المجلس المصري للجنة الحوار الكردي العربي، رجائي فايد، جاء فيه:

بدعوة من رابطة نوروز الثقافية الاجتماعية، ومركز ماينرز للدراسات والأبحاث، والمجلس الوطني للأرمن الغربيين، والمؤتمر الدائم للفدرالية، وحزب الاتحاد السرياني العالمي عقد مؤتمر "أزمة المدنية والطريق نحو الحداثة الديمقراطية في الشرق الأوسط" في العاصمة اللبنانية بيروت بتاريخ ١٧-١٨ تشرين الثاني ٢٠١٨، وذلك بحضور ومشاركة ساسة وأكاديميين و مثقفين ومنظمات نسائية وشبابية وممثلين عن الأحزاب السياسية من لبنان وسوريا والعراق ومصر وتركيا وإيران وأوروبا، فشكّل ذلك نموذجاً مصغراً عن التعددية الأثنية والقومية والدينية والمذهبية التي تحتضنها منطقة الشرق الأوسط، وكان تتمة للمؤتمر الأول من هذا السياق، والذي انعقد في مدينة السليمانية عام ٢٠١٦ تحت عنوان "السلام والاستقرار في الشرق الأوسط في فكر عبد الله أوجلان".

وبهذه المناسبة نشكر بداية السلطات اللبنانية، وعلى رأسها فخامة رئيس الجمهورية، على استضافة المؤتمر وتيسير انعقاده وعلى تعاونها معنا في إنجاز مؤتمرا.

وخلال هذا المؤتمر الذي دام يومين، تمت مناقشة عدة محاور أساسية ركزت في البداية على تداول أسباب الأزمات التي تعيشها منطقتنا تاريخياً وراهناً، لأجل التمكن من مناقشة سبل الحل وكيفية تمكينه على أرض الواقع. إذ حفلت جلسات المؤتمر بمناقشات ديمقراطية هامة بين الحضور على مختلف توجهاتهم، مما أغنى محاور المؤتمر.

وعلى هذا الأساس وصل المؤتمر إلى رؤية مشتركة حول العديد من المواضيع المعنية بالمؤتمر من حيث أسباب وطرق حل القضايا العالقة في المنطقة، ونوجز فيما يلي ذلك:

إننا أصحاب إرث تاريخي كبير، ولكننا نفتقد إلى رؤية سليمة لتاريخنا تمكّنا من إدراك واقعنا الحالي المتأزم. وعليه فنحن بحاجة ماسة إلى التحلي بالوعي التاريخي السديد وإلى قراءة عادلة وحيادية ونقدية للتاريخ.

خاضت القوى والشعوب المظلومة مقاومات عظيمة على مر السنين ضد الظلم والقمع والتهميش، ولم يكن التاريخ يوماً مسرحاً للأسياد والقوى المهيمنة فقط، بل إنه تاريخ المقاومات العريقة التي أكسبت البشرية قيماً معنوية ومادية كبيرة في هذا المجال.

الدولة القومية كانت وما تزال تُشكّل السبب والنتيجة للتشتت والدمار الذي تعيشه المنطقة، بسبب إقصائها للهويات القومية والعقائدية والأثنية والثقافية والاجتماعية الأخرى.

حرية المرأة هي قضية أساسية ينبغي معالجتها بروية استراتيجية جذرية في سبيل بناء مجتمع ديمقراطي حر في منطقة الشرق الأوسط.

أثبت الواقع إفلاس الدولة المركزية في الشرق الأوسط، وعليه، فإن الشعوب والقوى الفاعلة بحاجة ماسة إلى نظام سياسي بديل يتناغم مع التعددية ويضمن الحقوق والحريات الأساسية لكافة الأثنيات والثقافات والشعوب والهويات في المنطقة، وينطلق من حقها في إدارة نفسها بنفسها بصورة ديمقراطية وعادلة وتقدمية ومدنية.

إن منطقتنا بحاجة إلى منظومة فكرية جديدة تتبنى مشروع الأمة الديمقراطية المرتكزة على التعايش المشترك والسلمي بدلاً من التعصب القومي، وإلى احترام العقائد والأديان بدلاً من التعصب الديني، وإلى الفكر المتحرر جندياً بدلاً من النظرة الدونية للمرأة.

وبالإضافة إلى هذه المحاور، أكد المؤتمر على أنه ثمة حرب إبادة تطال الشعب الفلسطيني على يد إسرائيل، وتطال الشعب الكردي على يد الدولة التركية التي لا تنكر فقط وجود الكرد، بل وتنكر هويات الشعوب الأخرى كالشعب الأشوري-السرياني والأرمن والعرب، وتنفذ بذهنيته الفاشية القومية مجازر سياسية وجسدية تضرب عرض الحائط بكل المواثيق الدولية المعنية بحقوق الإنسان، بل وترتقي إلى مصاف جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية ما يحتم علينا مناخضة هذه الممارسات العدائية الممنهجة.

كما ركز المؤتمر على وضع القائد والمفكر الحر في سجنه، القائد عبدالله أوجلان، وأكدوا على أنه مناضل ومفكر شرق أوسطي في نفس الوقت، وأن اعتقاله من قبل الدولة التركية في السجن الانفرادي منذ مدة تناهز العشرين عاماً، وفرض العزلة المشددة عليه في السجن، ومنع أفراد عائلته ومحاميه من التواصل معه، هو انتهاك صارخ لحقوق الإنسان وأمر منافٍ لكل المواثيق والمعاهدات الدولية المعنية بحقوق الإنسان عموماً وبحقوق السجناء السياسيين خصوصاً.

من هذا المنطلق دعا المؤتمر منظمة العفو الدولية ومنظمات حقوق الإنسان وجميع المؤسسات الدولية المعنية إلى الضغط على السلطات التركية لرفع حالة العزلة المشددة المفروضة على القائد والمفكر عبدالله أوجلان باعتباره يمثل شعباً وقضية، وأكدوا على مطالبتهم بحرية أوجلان وحرية كافة السجناء السياسيين، وكذلك على أهمية العمل المشترك لفك أسرهم كوظيفة إنسانية وأخلاقية ووجدانية تقع على عاتق كل من يدعم ويدعو إلى الفكر الحر والديمقراطية والعدالة الاجتماعية.

وفي هذا السياق دعا المؤتمر إلى التشبث بالمصالحة ومد اليد لأجل إنهاء المشاكل عبر الحوار وإحلال السلام في المنطقة، ورحبوا بالحوار حول مشروع الأمة الديمقراطية والعمل على تطويره وإنضاجه وتكييفه مع خصوصيات كل مكون وبلد.

وأخيراً توصل المؤتمر إلى رؤية مشتركة مفادها أننا جميعاً بحاجة ماسة إلى عقد هكذا مؤتمرات بنحو دوري في مختلف بلدان الشرق الأوسط، لما لها من أهمية بارزة في تمكين التلاقي والتقارب بين مختلف جهات النظر والرؤى على أساس الحوار المتبادل الهادف إلى رسم مسار الحل الممكن، ولتعزيز الأسس الفكرية والعملية المشتركة الهادفة إلى بناء شرق أوسط ديمقراطي.

وعلى هذا الأساس تم الإقرار بتشكيل لجنة متابعة لمتابعة مخرجات المؤتمر، على أن تعمل اللجنة على توسيع دائرتها كي تشمل أكبر عدد ممكن من جميع القوى الاجتماعية في المنطقة بما فيها المثقفون والأكاديميون والسياسيون بهدف تبني فكرة التعايش المشترك وثقافة التسامح وقبول الآخرين مختلف شعوب وأثنيات وهويات المنطقة، والتمكن بذلك من إفراغ كل المخططات والسياسات والممارسات التي تعمل على تأجيج الفتن والنحرات وتستهدف مستقبل شعوبنا. وستقوم اللجنة المنظمة لهذا المؤتمر بتسمية أعضاء لجنة المتابعة.

وفي النهاية أكد الحضور على أن اللجوء إلى الحرب والقمع والاستغلال والاستعمار والاحتلال لم يكن حلاً في أي وقت من الأوقات، وأن الحوار والعمل المشترك على صياغة الحلول السياسية المنطلقة من الإرادات المحلية الفاعلة هو أفضل طريق لحل القضايا، وأننا نمتلك من المقومات المشتركة والإرث التاريخي الوفير ما يُمكننا من رسم رؤية استراتيجية مشتركة عبر الحوارات حول نظرية الأمة الديمقراطية المرتكزة على التعايش المشترك بين مختلف الشعوب والثقافات والأثنيات والهويات، وأن مستوى كفاحننا من أجل تكريس ذلك هو الذي سيحدد نتائج الفوضى الحالية، وسيرسوم معالم النظام العالمي الجديد وسيقرر مصير المنطقة اعتماداً على ميراث الشعوب في مقاومة الظلم وتصديها لكل ما يسعى إلى تحجيم إرادتها والتحكم بها.

بهذا انتهى مؤتمرنا الذي استمر ليومين بنجاح وبشكل مثمر.

عاشت أخوة الشعوب

عاش الشرق الأوسط الديمقراطي.

الحرب العظمى القادمة

*غراهام أليسون

صحيفة (واشنطن بوست) : ٢٠١٨/١١/١٩

ترجمة: علاء الدين أبو زينة: يوم الأحد، توقف العالم قليلاً لإحياء الذكرى المائة لليوم الأخير من حرب هائلة كانت مدمرة إلى حد أنها تطلبت من المؤرخين ابتكار تصنيف جديد تماماً لها: "الحرب العالمية". وفي الساعة الحادية عشرة، من اليوم الحادي عشر، من الشهر الحادي عشر من العام ١٩١٨، صممت مدافع الحرب العالمية الأولى - وكان نحو ٢٠ مليون إنسان قد لقوا حتفهم.

هل يمكن أن يحدث مثل هذا الصراع اليوم؟ بعد أكثر من سبعة عقود مرت من دون حرب تضمنت إطلاق النار بين القوى العظمى، يجد العديد من الأمريكيين فكرة أن تقوم الولايات المتحدة وخصم رئيسي، مثل الصين، بقتل الملايين من مواطني بعضهما البعض، غير قابلة للتصور فعلياً.

ولكن، عندما نقول أن شيئاً ما "لا يمكن تصوره"، فإن علينا أن نتذكر ما يلي: أن مملكة الممكن لا ترتبط بما يمكن أن نتخيله عقولنا المحدودة. في العام ١٩١٨، وفي مشهد وصفته رائعة باربارا توخمان، "بناقد آب"، استجاب المستشار الألماني ثيوبالد فون بيتمان-هولويغ بذلك الرد الشهير على زميل طلب معرفة كيف أمكن أن تندلع الحرب: "آه، لو أننا كنا نعرف فقط!"

يتعقب السبب البنيوي الأعماق للحرب العالمية الأولى نمطاً تاريخياً مألوفاً: قوة صاعدة متنامية بسرعة، ألمانيا، والتي تتحدى أسبقية دولة راسخة، بريطانيا العظمى، التي حكمت العالم لمدة قرن. وقد التقط والد ومؤسس التاريخ، ثوسيديديس، هذا النمط في تحليله للحرب التي دمرت الدولتين الرئيسيتين في اليونان الكلاسيكية: "كان صعود أثينا والخوف الذي غرسه هذا الصعود في إسبارطة هو الذي جعل الحرب حتمية". وفي السنوات الخمسمائة الماضية، شهد العالم ١٦ حالة هدأت فيها قوة صاعدة بالحلول محل قوة حاكمة. وقد انتهت ١٢ منها إلى الحرب، وكانت ٤ فقط هي التي لم تفعل.

في هذه الدينامية الخطرة - فخر ثوسيديديس - يصبح كلا المتنافسين مكشوفين بشدة أمام استفزازات طرف ثالث، أو حتى أمام الحوادث التي تثير سلسلة من ردود الفعل، والتي يجدان نفسيهما في نهايتها وقد أصبحا في حرب لا يريدانها. في اليونان القديمة، كان الذي فجر الحرب صراعاً بين حليف مشاكل لإسبارطة، وبين مدينة-دولة كانت تسعى إلى التحالف مع أثينا. وفي العام ١٩١٤، كان الذي فجر الصراع هو اغتيال مسؤول ثانوي، الأرشيدوق فرانز فرديناند من النمسا. وبدا مقتله في حزيران (يونيو) غير مهم على الإطلاق بالنسبة للقادة في بريطانيا العظمى وألمانيا، لدرجة أن أياً منهم لم يكلف نفسه عناء قطع إجازته. ومع ذلك، وبعد خمسة أسابيع فقط، أدت هذه الشرارة إلى اندلاع حريق أفضى في النهاية إلى تدمير جميع الدول الكبرى في أوروبا.

واليوم، يمكن أن تؤدي المنافسة التي تزداد كثافة بين الصين الصاعدة والولايات المتحدة الحاكمة إلى حرب لا يريدانها أي من الطرفين، والتي يعرف كلاهما أنها ستكون أكثر كارثية بكثير من الحرب العالمية الأولى. لكنها منافسة من النوع المألوف، والتي يمكن أن نتطلع فيها إلى التاريخ لاستخلاص بعض الدروس. وكما هو واقع الحال، فإنها ليست لدى قادة الأمن القومي في أي من البلدين أي خبرة مباشرة في التعامل مع حرب ساخنة بين قوتين عظميين. ولذلك، يجب عليهم دراسة سلوك رجال الدولة السابقين الذين واجهوا تحديات مماثلة.

في صيف العام ١٩٦٢، قبل أشهر قليلة فقط من نشوب أزمة الصواريخ الكوبية، وجد جون ف. كينيدي، الذي كان من حسن حظه أنه قرأ كتاب توكممان، نفسه مطارداً بكلمات بيتمان هولويغ. وهكذا، طبق كينيدي، في إدارة أخطر أزمة نووية شهدها العالم على الإطلاق، دروساً استخلصها بوضوح مما فعله رجال الدولة - وما فشلوا في فعله - في الحرب العالمية الأولى.

ما هي تلك الدروس لقادة اليوم في بكين وواشنطن؟ ثمة ثلاثة دروس تعتلي رأس القائمة: إدراك واقعي للمخاطر المتأصلة في المنافسة الثوسيدية الحالية" والمبادرات التعاونية لنزع فتيل أو منع نشوب أخطر الأزمات المحتملة" والتحضير لإدارة الأزمات التي لا بد أن تحدث مع ذلك.

لتعظيم فرص إضافة المنافسة بين الولايات المتحدة والصين إلى القائمة المختصرة للحروب التي تم تجنبها، يجب أن تركز المبادرات المشتركة لمنع الأزمات على السيناريوهات التي من المرجح أن تؤدي إلى تصعيد غير مرغوب فيه. وفي هذا الإطار، يُعتبر التعاون الحالي بين الولايات المتحدة والصين ضد التقدم النووي لكوريا الشمالية أمراً مشجعاً. ولكن، في حال فشل هذا الجهد -وهو ما يراهن معظم الخبراء على أن سيفعل- واستأنفت كوريا الشمالية اختبار الصواريخ الباليستية العابرة للقارات والرؤوس النووية التي يمكن أن تضرب الوطن الأمريكي، فإن هذه الصورة المضيئة يمكن أن تُعتم بسرعة. فقد يشعر الرئيس ترامب عندئذ بأنه مضطر إلى مهاجمة كوريا الشمالية لمنعها من الحصول على مثل هذه القدرة. وإذا قامت الولايات المتحدة بمهاجمة كوريا الشمالية، فإن معظم الخبراء يتوقعون نشوب حرب كورية ثانية -والتي تضع الأمريكيين، كما فعلت الحرب الأولى في مواجهة الصينيين.

كما تشكل تايوان نقطة اشتعال أخرى أيضاً. وبالنسبة للصين، تشكل تايوان "مصلحة جوهريّة" -وتعتبر جزءاً من الصين بقدر ما هي الأسكا جزء من الولايات المتحدة. ويمكن أن تصبح أي محاولة تبذلها تايوان لأن تصبح دولة مستقلة حجة للحرب بسهولة. وفي العام ١٩٩٦، عندما اتخذت الحكومة التايوانية خطوات أولية نحو الاستقلال، أجرت الصين اختبارات صاروخية شاملة وأحاطت بالجزيرة لتجبرها على التوقف. ومنذ ذلك الحين، تقوم الصين ببناء قدرات عسكرية معينة -مثل الصواريخ المضادة لحاملات الطائرات- لضمان أن لا تحتاج إلى التنازل مرة أخرى أبداً. وإذا تم إغراق حاملة أمريكية واحدة في مواجهة مماثلة اليوم، فإن مقتل ٥,٠٠٠ أمريكي يمكن أن يضع المواجهة بين الولايات المتحدة والصين على سلم تصاعدي ليست له نقطة توقف واضحة.

يتطلب الإعداد لإدارة هذه الأزمات المحتملة اتخاذ مجموعة كاملة من الاحتياطات. ويبدأ ذلك بتحديد الأزمات المحتملة، وإجراء التمارين بإدارة نقاشات حول الطاولة لتستكشف الاستجابات" وخلق قواطع الدارات الكهربائية التي تمنع التصعيد التلقائي، والأهم من ذلك، إقامة قنوات اتصال قوية. وفي العلاقات الحالية بين الولايات المتحدة والصين، لا يشمل هذا مجرد التواصل المنتظم بين الرئيسين، وإنما يشمل أيضاً الخط الساخن الذي أنشئ مؤخراً بين وزارتي الدفاع والاتصالات في مستويات القيادة الأدنى في البلدين.

ولكن، هل ستكون هذه الخطوات الوقائية والتخفيفية كافية للسماح للولايات المتحدة والصين بالإفلات من فخ ثوسيديديس؟ أشك في ذلك. وما لم يفشل الرئيس شي جين بينغ في تحقيق هدفه المتمثل في "جعل الصين عظيمة مرة أخرى"، فستواصل الصين تحديها للولايات المتحدة -وفي العديد من المجالات، إزاحة الولايات المتحدة من موقعها المعتاد على قمة النظام العالمي والحلول محلها.

إن ما نحن في حاجة إليه اليوم لا يقل عن وضع مفهوم ستراتيغي جديد يعيد تعريف جوهر هذه العلاقة. وللحصول على الإلهام واستخلاص القرائن، يجب أن ننظر في الطريقة التي أعاد جيه. أف. كنيدي بها تأطير المنافسة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. وفي خطابه الاحتفالي الشهير الذي ألقاه في الجامعة الأمريكية قبل أشهر قليلة من اغتياله، اقترح كنيدي الانتقال إلى ما بعد الحرب الباردة غير المحدودة، في اتجاه بناء "عالم آمن للتنوع". ومع قناعته الراسخة التي لا يشوبها الشك بأن عالماً حراً بقيادة الولايات المتحدة سيكون أفضل من واحد تقوده الإمبراطورية الشيوعية، فقد اقترح مع ذلك أن تجد الولايات المتحدة طريقة للعيش مع خصم قاتل يدافع عن قيم يملكها كنيدي نفسه.

هل يمكن أن تجد الولايات المتحدة والصين طريقهما إلى دينامية تتنافس من خلالها بسلام؟ هل يمكننا أن نبتكر مفهوماً جديداً يجمع بين المنافسة القاسية في بعض المجالات وبين التعاون العميق في مجالات أخرى؟ ينبغي لإحياء ذكرى الدمار الذي لا معنى له والذي وصل إلى نهايته قبل ١٠٠ عام، أن يدفع إلى زيادة في الخيال الاستراتيجي للتصدي للتحدي الرئيسي الكامن الذي يواجهه هذا القرن.

* المدير السابق لمركز بيلفر للعلوم والشؤون الدولية في جامعة هارفارد، وأستاذ دوغلاس ديبلون للحكم في كلية كنيدي في جامعة هارفارد.

إعادة الاعتبار للإعلام التقليدي

*أ.د. حسني نصر

صحيفة (عمان) العمانية : ٢٠١٨/١١/١٩

تؤكد الأحداث الأخيرة التي شهدها ويشهدها العالم أن وسائل الإعلام التقليدية ما زالت، رغم المنافسة الشديدة التي تلقاها من الوسائل الجديدة وشبكات التواصل الاجتماعي - تلعب دورا كبيرا، ليس فقط في تغطية الأحداث المهمة وتشكيل الرأي العام العالمي تجاهها، ولكن أيضا في تشكيل السياسات والمواقف العالمية منها. ولعل هذا ما دفع بعض اللاعبين السياسيين الرئيسيين في أحداث عالمية كثيرة إلى الإشارة - أحيانا بالاسم - إلى صحف وقنوات تلفزيونية عالمية كان لها إسهام واضح في كشف غموض وأسرار بعض الأحداث والقضايا ومتابعتها، وصولا إلى نتائج محددة وصلت إلى دفع الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون إلى الاستقالة في سبعينات القرن الماضي على سبيل المثال.

ولعل من آخر الأحداث التي يمكن القول إنها أعادت الاعتبار لوسائل الإعلام التقليدية، تلك المشادة التي وقعت بين الرئيس الأمريكي دونالد ترامب وبين جيم اكوستا مراسل شبكة سي إن إن في البيت الأبيض خلال مؤتمر صحفي عقد قبل أسبوعين، وانتهت بطرد الصحفي وسحب ترخيصه ومنعه من دخول البيت الأبيض، وما ترتب على ذلك من قيام الشبكة بمقاضاة البيت الأبيض وإصدار قاض بالعاصمة واشنطن أمرا وقتيا بإعادة المراسل إلى عمله بالبيت الأبيض لحين الحكم في القضية.

هذه الأحداث وغيرها تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن الصحف والقنوات التلفزيونية التقليدية ما زالت الوسائل الأساسية التي تشكل معارف ومدركات الجمهور عن الأحداث، بل إنها تسهم بشكل فاعل في تشكيل السياسات وتوجيه التحركات العالمية المتصلة بالصراعات المحلية والدولية.

والواقع أن وسائل الإعلام التقليدية تقوم بهذا الدور من خلال نشر المعلومات التي يحرص البعض على التعتيم عليها، ووضع أجندة الاهتمامات والأولويات العالمية بالأحداث والقضايا، بالإضافة إلى تأطير الأخبار باختيار نشر معلومات واستبعاد معلومات أخرى والتركيز على تكرار معلومات محددة، بما يؤدي في النهاية إلى التأثير في الرأي العام وتوجيهه ثم التأثير في القرار السياسي. ولعل هذه الأدوار المؤثرة والمعقدة في الوقت نفسه هي ما حفظت لهذه الوسائل قدرتها على الاستمرار في مناخ اتصالي عالي التنافسية من جانب، ومكنها من مواجهة رغبة الأنظمة السياسية، بما فيها الديمقراطية منها، في كبت صوتها وإفقادها ثقة الجماهير فيها، ثم إخراجها من المعادلة الاتصالية، باستخدام مزاعم بعضها صحيح مثل سيطرة الشبكات الاجتماعية على اهتمامات الناس، وبعضها مشكوك في صحته مثل اتهامات الرئيس الأمريكي المتكررة للصحافة الأمريكية بنشر الأخبار الزائفة.

ومع الإقرار بأن وسائل الإعلام التقليدية قد استعادت دورها كجزء رئيس في العملية الديمقراطية في المجتمعات المعاصرة، فقد أصبح لهذه الوسائل تأثير متزايد في صنع السياسة الخارجية للدول. ويولي صناع هذه السياسة، كما يتضح في أكثر من حدث عالمي، مزيدا من الاهتمام للقصص والأخبار والتقارير والمقالات التي تنشرها الصحف ووسائل الإعلام، ويتابعون من خلالها الأحداث التي تتجاوز القنوات الدبلوماسية الطبيعية، ويؤسسون رؤيتهم للعالم على الرؤى التي تقدمها، ثم تأتي غالبية قراراتهم متوافقة إلى حد كبير مع التحليلات والتقويمات التي

تقدمها. ونتيجة لذلك فإن الطريقة التي تعالج بها وسائل الإعلام الأحداث والآراء ربما تقلل الخيارات السياسية المتاحة أمام المسؤولين، وتدفعهم أحيانا إلى اتخاذ مواقف والإعلان عنها، رغم أنهم ربما كانوا يفضلون عدم إعلانها. وكثيرا ما تسبغ وسائل الإعلام الشرعية على القرارات الحكومية أو تنزعها عنها.

وتكتسب وسائل الإعلام التقليدية أهمية خاصة في سياق الصراعات الدولية، بسبب أدوارها الحاسمة – أحيانا – في الترويج للسلام وحل الصراعات، وذلك عندما تتحول إلى وكالات يفوق دورها دور وكالات الأمم المتحدة المعنية في تقديم ودعم خطط السلام وإجبار الأطراف المتصارعة على القبول بها، أو في المقابل زيادة التوتر وتعميق الصراع عندما تتحول إلى وكالات لهدم العملية السلمية من أساسها واستمرار الصراع وتجيده. وتشير الصراعات الدولية السياسية سواء في اليمن أو في غزة أو في سوريا، وكذلك صراع العقوبات بين الولايات المتحدة الأمريكية من جانب وإيران والاتحاد الأوروبي من جانب آخر، والصراعات الاقتصادية التي خلقها الرئيس الأمريكي ترامب منذ قدومه للسلطة مع الصين والاتحاد الأوروبي، إلى أدوار متعددة لعبتها وسائل الإعلام التقليدية في الدفع باتجاه السلام أو في الدفع باتجاه زيادة الصراع.

إذا عدنا قليلا إلى الوراء فإن من المؤكد أن وسائل الإعلام التقليدية لعبت دورا كبيرا في تشكيل السياسات المتصلة بالصراعات الوطنية والدولية، وكانت في هذه الصراعات ساحة مركزية للصراع. وقد بدا ذلك واضحا في الصراعات التاريخية بدءاً من الصراع في فيتنام في ستينيات القرن الماضي، مروراً بالصراعات في البوسنة، والصومال، والعراق، وأفغانستان، وكشمير، وصولاً إلى الصراع العربي – الإسرائيلي، وحروب الخليج. وهو ما جعل هذه الوسائل محط اهتمام صناع السياسة والصحفيين وعلماء الاجتماع وغيرهم.

من الضروري أن ندرك هنا أن الصورة التي تعكسها وسائل الإعلام للصراع تتأثر بعوامل كثيرة، كون هذه الوسائل لا تعمل في فراغ أو بشكل منعزل عن السياقات السياسية والاقتصادية والثقافية في الدولة التي تعمل فيها. وعلى هذا الأساس فإن تحليل دور وسائل الإعلام في الصراعات التي يعج بها العالم حالياً يستوجب وضع عوامل مثل الأسس الأيديولوجية وطبيعة ملكية وسائل الإعلام وما إذا كانت مملوكة للحكومات أم لأحزاب سياسية أم لأفراد وشركات، في الاعتبار. ففي بعض الحالات عندما تعجز وسائل الإعلام عن الوصول لمصادر الأخبار وتعتمد اعتماداً كلياً على المصادر الحكومية فإن دورها في الصراع يكون سلبياً وتتجه إلى دعم الرؤية الحكومية للصراع. ويمكن القول إن هذا ما حدث في تغطية وسائل الإعلام الأمريكية لصراعات ما بعد حرب فيتنام، بعد أن وضع الجيش الأمريكي قيوداً على حركة مراسلي وسائل الإعلام في الحروب التي دخلها، في جرينادا، وبنما، وليبيا، والكويت والعراق، والصومال، وهاييتي. وترجع دراسات علمية عديدة تأييد الأمريكيين الواسع لقرار غزو العراق في العام ٢٠٠٣ إلى الرؤية التي قدمتها وسائل الإعلام الأمريكية في الأيام السابقة على الغزو، والتي أظهرت المعارضين لهذا الغزو على أنهم غير وطنيين.

لقد أدت تغطية شبكة سي إن إن لحرب الخليج الأولى في العام ١٩٩١ وما تلاها من صراعات دولية أخرى إلى ظهور مصطلح «تأثير السي إن إن» للإشارة إلى الدور المهم الذي تلعبه وسائل الإعلام في تقرير السياسة الخارجية للدول، وذهب البعض إلى تشبيه هذا الدور بدور الدول دائمي العضوية في مجلس الأمن الدولي، وإطلاق مسمى العضو السادس الذي له حق الفيتو في المجلس على الشبكة التلفزيونية. فهل أصبحنا بعد الأحداث الأخيرة أمام ظهور مصطلح جديد عن «تأثير الجزيرة» أو «تأثير الواشنطن بوست»، يعيد الاعتبار لوسائل الإعلام التقليدية؟ اعتقد ذلك.

خطاب التعصب وهزائم التنوير

*كرم الحلو

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/١١/١٩

لعل أهم إنجازات التنوير الاعتراف بالآخر أياً كان لونه أو دينه أو قوميته. ما أسس لتجاوز المنحى الأصولي الإلغائي الذي رأى إلى الآخر بوصفه ضالاً أو مبتدعاً أو عدواً يجب نفيه أو استئصاله. فيما الحق والحقيقة والصواب من سمات «الذات» التي أسبغت عليها العصمة والقدسية واحتكار الحقيقة. فالإيمان القويم وفق هذا المنحى هو ما نؤمن به. والحزب الطليعي هو الذي ننتسب إليه و «الفرقة الناجية» هي فرقتنا. والرؤية الصائبة هي رؤيتنا. والعرق المصطفى هو عرقنا. عليه، لا معنى ولا مشروعية للحوار لأنه ليس لدى الآخر ما يبدل قناعاتنا أو يضيف جديداً إلى تفكيرنا وتصوراتنا طالما أننا استحوذنا على المعرفة الكلية والحقيقة المطلقة.

جاء فكر التنوير ليضع حداً لهذه الرؤية الأصولية وهذا المنحى المدمر السلام الإنساني والعلاقات الودية والتضامنية بين البشر، فقال بالمساواة التامة بين الناس وبالنسبية والتعددية في الرؤى والتصورات والمعتقدات. نادى بالوحدة القومية. وبالأهمية الإنسانية وتوحيد البشر إن بمقتضى الطبيعة أو بمقتضى العناية الإلهية. فجرى تبعاً لهذه الرؤية توحيد قبائل وإثنيات وأعراق وعشائر في أمم وأوطان، ثم في اتحادات إقليمية أو قارية، فيما ظل التطلع إلى الوحدة الكونية قائماً، إن من منظور إيماني أو من منظور طبقي أو إنساني.

تأسيساً على فكر التنوير، أبدى نهضويونا العرب إعجابهم بحدائث الغرب ونظمه السياسية والاجتماعية القائمة على المساواة والانفتاح على الآخر والتطلع إلى الوحدة الوطنية والقومية على أسس علمانية. كتب الطهطاوي في «تخليص الإبريز في تلخيص باريز»: «الغالب على أهل باريس البشاشة في وجوه الغريباء. ومراعاة خاطرهم. ولو اختلف الدين فالتعبد بسائر الأديان مباح عندهم. لا يعارض مسلم في بناءه مسجداً. ولا يهودي في بناءه صومعة».

ولاحظ فارس الشدياق أن «من يأت إلى بلاد الإنكليز لا يسأل عن جواز ولا إجازة. ولا يهمله إن كان جاره قاضي القضاة أو شرطياً أو جلوازاً. لأن كل الناس في الحقوق البشرية عندهم متساوون». في الإطار ذاته دعا بطرس البستاني وفرح أنطون إلى الفصل بين الدين والسياسة. ونادى فرنسيس المراس ب «المحبة الوطنية المنزهة عن أغراض الدين»، ونجيب العازوري وأمين الريحاني بالوحدة الوطنية القومية العربية.

إلا أن ما يجري في هذه الحقبة من تاريخنا، يمثل بارتداده عن تلك المثل والتطلعات. هزائم قاسية للتنوير. وخيبة كبرى لرهانه على تجاوز التفتت القبلي والعشائري. إن في العالم العربي أو في الغرب معقل الحدائث ومنطلق التنوير. فآفة التعصب ورفض الآخر باتت تهدد الغرب الليبرالي.

ومن قلب أوروبا بالذات. مهد الحرية والتسامح والقبول بالمختلف. ولم يعد في وسع الأوروبيين الاعتداد بالذات في هذا الخصوص.

فبعد قرون على ليبرالية الغرب وأفكاره التنويرية، نجد لدى هولندا التي كانت شديدة التسامح. نسختها من القبلية العنصرية. حيث إن مجرد ذكر كلمة «مسلم» تحرّض على حملة شعواء من الاحتجاجات. وفي سويسرا العريقة في الديمقراطية، صوتت الأكثرية ضد تشييد مآذن في البلاد.

وفيما قررت بريطانيا الانسحاب من الاتحاد الأوروبي تنجلي الانتخابات في فرنسا وألمانيا والنمسا والسويد، عن تقدم لافت للاتجاهات الشعبوية الراضة الآخر، حتى إن الولايات المتحدة، وفق عالم الاجتماع الأمريكي ريتشارد سينيت، تحولت إلى مجتمع قبلي يعارض الناس فيه التعايش مع من يختلف عنهم. وقد بات التماسك الاجتماعي حالياً، إن في المجتمع الأمريكي أو في المجتمعات الأوروبية أقل مما كان عليه قبل ثلاثين سنة.

فمن خلال بحث ميداني في سبعينات القرن الماضي في بوسطن، تبين أن العمال كانوا يبذون قدراً كبيراً من التضامن والتعاون في ما بينهم، حتى إنهم كانوا يؤدون عمل غيرهم في حال حصول خطب طارئ. أما اليوم، بعد أربعين سنة على هذا البحث، فقد عبر العمال عن ثقة سطحية بزملائهم، وعن هشاشة التعاون في ما بينهم. فضلاً عن إحساسهم بالمرارة بسبب الروابط الاجتماعية الضحلة مع زملاء العمل. أصل الإشكال في رأينا، أن حركة التاريخ الإنساني حملت نقائص أعادت الإنسان المعاصر إلى أنانيته. ردت إلى جماعته - طائفته، قوميته - قبيلته، احتماً من آخر يهدده وجماعته بالهيمنة أو النفي والإلغاء. فالتطور خلق الثروة المفرطة وخلق معها الفقر المدقع، أوجد القوة والتكنولوجيا وأوجد معها الهيمنة. أبداع وسائل التواصل المذهلة فيما عزل الفرد وراء هذه الوسائل ليقبع في غربته عن المجتمع والحوار الحي والمباشر مع الآخر.

وقد مهد ذلك كله لعالم يسوده تنازع البقاء وشرعية القوة بدل التواصل الودي والتعاون البناء بين الناس من أجل عالم أفضل وأكثر وداً وسلاماً.

لقد دفع التوحش الرأسمالي المتعطش إلى الثروة والقوة والسيطرة عالمنا إلى حافة الهاوية غير مرة في تاريخنا الحديث.

وهو ينذر الآن بأخطار غير مسبوقه على النوع الإنساني ونوعية الحياة وشكل العلائق الإنسانية إذا استمر التطور في الاتجاه المربك إياه.

وليس إلا العودة إلى إرث التنوير ومقولاته الرائدة في النسبية والتعددية وقبول الآخر سبيلاً إلى إسقاط خطاب التعصب وأطروحاته البائسة.

محاكمة الوزراء

القاضي عامر حسن شنتة

يتمتع الوزراء بمناسبة أداء أعمالهم الوظيفية، بسلطات واسعة خولهم إياها القانون، بهدف انتظام سير المؤسسات التي يديرونها، وتحقيق سياسات الدولة وخططها في التنمية. ويحدث أن ينحرف البعض منهم عن تلك الغايات، ويعمد إلى إساءة استعمال السلطات المخولة له، ويتجاوز حدود وظيفته بشتى الطرق. خاصة في البلدان التي تغيب فيها الرقابة أو تضعف عن أداء دورها في سد مسارب الفساد ومعاقبة مرتكبيه. فإذا ما ارتكب أحد الوزراء ما يخالف واجباته الوظيفية، سواء أكان ذلك هدرا للمال العام أو رشوة أو اختلاساً أو غير ذلك، فمن هي المحكمة المختصة بالتحقيق معه ومحاكمته؟ هل يختص القضاء العادي بذلك انسجاماً مع ولايته العامة على الأشخاص، أم أن هناك محاكم متخصصة بمحاكمة الوزراء؟

اختلفت الدساتير والنظم القانونية في ذلك. فقد جعلها البعض للمحاكم الجزائية الاعتيادية، في حين ذهب أغلب التشريعات إلى اناطة تلك المهمة بالمحاكم العليا فيها. ربما لخصوصية المنصب الوزاري والذي يعده الكثيرون منصباً سياسياً لا وظيفياً.

ففي مصر نظم قانون محاكمة الوزراء في الاقليمين المصري والسوري رقم ٧٩ لسنة ١٩٥٨ (النافذ)، آلية التحقيق مع الوزراء ومحاكمتهم، حين نص على تشكيل محكمة عليا مؤلفة من اثني عشر عضواً، ستة منهم يتم اختيارهم من مجلس الأمة والستة الآخرون يتم اختيارهم من أعضاء محكمة النقض. أما الدستور اللبناني فقد نص في المادة (٨٠) منه، على اختصاص (المجلس الأعلى) بتلك المهمة والذي يتألف من سبعة نواب ينتخبهم مجلس النواب، وثمانية من أعلى القضاة اللبنانيين رتبة. وكذلك فعلت فرنسا حين نصت في المادة (٢/٦٨) من دستورها الصادر في عام ١٩٥٨ على اختصاص (محكمة الجمهورية) بمحاكمة الوزراء، والمؤلفة من خمسة عشر عضواً منهم اثنا عشر برلمانياً، وثلاثة من قضاة محكمة النقض. ومن تلك الدول أيضاً اليمن، والكويت التي أصدرت قانون محاكمة الوزراء الرقم ٨٨ لسنة ١٩٩٥ المعدل بالقانون رقم ٢٩ لسنة ٢٠١٤. والسعودية التي أصدرت نظام محاكمة الوزراء الصادر عن مجلس الوزراء في عام ١٣٨٠هـجري، وغير ذلك كثير.

أما في العراق فقد نصت المادة (٩٣/سادساً) من الدستور على اختصاص المحكمة الاتحادية العليا بالفصل في الاتهامات الموجهة إلى رئيس الجمهورية، ورئيس مجلس الوزراء والوزراء. وعلقت الأمر على إصدار قانون ينظم الكيفية التي يجري فيها التحقيق والمحاكمة، وفي الوقت الحاضر فإن المحاكم الجزائية على اختلاف أنواعها ودرجاتها تختص بالفصل في تلك الاتهامات. ولا بد من التنويه إلى أن العراق سبق الدساتير والتشريعات كافة في إناطة اختصاص محاكمة الوزراء بالمحاكم العليا، إذ نصت المادة (الحادية والثمانون) من القانون الأساسي العراقي الصادر عام ١٩٢٥، على اختصاص محكمة عليا مؤلفة من ثمانية أعضاء عدا الرئيس، ينتخبهم مجلس الأعيان من بين أعضائه، وأربعة من كبار الحكام (القضاة).

يتضح مما سبق أن الجهات التي تتولى محاكمة الوزراء قد تكون جهات قضائية خالصة تارة، وقد تكون جهات مختلطة مع المجالس التشريعية تارة أخرى، ويرى البعض أن إشراك أعضاء المجالس التشريعية في محاكم تمارس عملاً قضائياً صرفاً، لن يزيد المشاكل إلا إعضالاً. حيث ستفعل الإرادة السياسية فعلها في تعطيل محاسبة ومعاقبة الوزير، الذي قد يكون من حزبها أو طيفها السياسي.

وقد حسم المشرع العراقي أمره حين أناط الأمر بالمحكمة الاتحادية العليا (المؤلفة من قضاة وخبراء الفقه الإسلامي وفقهاء القانون) وفق مانص عليه الدستور. ولم يبق سوى أن يُشرع قانوناً المحكمة الاتحادية ومحاكمة الوزراء، من قبل مجلس النواب العراقي، وعلى وفق آليات واضحة ومحددة، وان تتم الاستفادة عند تشريع قانون محاكمة الوزراء من تجارب الدول التي سبقتنا في هذا الميدان.

انتصار شبكات التواصل الاجتماعي على إنك المستبدين

*عمرو حمزاوي

القدس العربي: ٢٠/١١/٢٠١٨

من بين عناصر أخرى، اضطلعت شبكات التواصل الاجتماعي بدور أساسي في تشكيل رأي عام عربي وعالمي رافض لجريمة القتل البشعة التي أسقطت الصحافي السعودي جمال خاشقجي ومصر على المطالبة بالحقيقة والعدالة. لم تفلح اللجان الإلكترونية التابعة للحكومة السعودية ولطفائها الإقليميين في السيطرة على «مسألة خاشقجي» في الفضاء الافتراضي، لم تفلح لا في مرحلة الإنكار السعودي لجريمة القتل ولا بعد أن بدأت الاعترافات الرسمية المبتورة تتواتر.

لم تنتصر الأخبار الزائفة ولا أنصاف الحقائق في مواجهة رأي عام عربي وعالمي يدرك أن بشاعة الجريمة وداعشية تفاصيلها لا يتناسب معها غير تداول المعلومات الصحيحة والإسناد عليها للمضغط من أجل إدانة المسؤولين الفعليين عن القتل (أي من أمر به).

أخفق خدمة السلاطين في السعودية وفي بلاط الحكومات الإقليمية المتحالفة معها في الترويج لإفك إنكار جريمة القتل وفرض جدار من الصمت حولها، أخفقوا في ذلك أولا ثم أخفقوا ثانيا في إسباغ شيء من المصدقية على الاعترافات المبتورة وكان تقلبهم من الإنكار حين أنكرت الحكومات إلى الاعتراف المبتور حين اعترف ولاة الأمور مدعاة للسخرية العادلة منهم، وأخفقوا ثالثا في صرف الناس والمتعاملين على شبكات التواصل الاجتماعي عن الاهتمام «بمسألة خاشقجي» عبر توظيف الحياة الشخصية لخاشقجي وماضي ولاءاته السياسية لتجريده الإجرامي من الحق في الحياة وللتبرير غير المباشر لقتله.

أخفقوا في كل ذلك لأن الجريمة الداعشية التي أنزلت بشخص تداولت المواقع وجهه وعرفت بالخلفيات الإنسانية لذهابه إلى القنصلية السعودية في إسطنبول حيث غدر به يبدو أنها تجاوزت في الصدمة التي أحدثتها للضمان المقادير التي اعتاد عليها الناس فيما خص الممارسات الإنكارية للحكومات العربية، والإفك الذي يروجه خدمة السلاطين لتبرير جرائمها.

في المقابل، لم يرتب القتل المتواصل للأطفال والمدنيين في اليمن بسبب الحرب السعودية-الإماراتية عليه وبسبب استباحة الحكومتين لأرضه لمواجهة النفوذ الإيراني ردة فعل مشابهة في الفضاء الافتراضي ولم يدفع إلى بلورة رأي عام عربي وعالمي يصر على إنهاء الحرب الظالمة. ضحايا حرب اليمن هم أيضا أناس لهم حق في الحياة الآمنة، وجرائم المتورطين في الحرب لا تقل بشاعة عن قتل خاشقجي، بل أن وحشية ما ينزل بأهل اليمن له طبيعة جماعية ينبغي أن تفرع كل الضمان الحية.

وللاختلاف على شبكات التواصل الاجتماعي بين إصرار على الحقيقة والعدالة في «مسألة خاشقجي» وبين ردة فعل هادئة تجاه الحرب على اليمن على الرغم من تطابق المسؤول عن القتل هنا وعن الحرب هناك، لهذا الاختلاف أسباب متنوعة تستحق الرصد.

أولاً، يبدو أن المتعاملين على شبكات التواصل الاجتماعي حين يهتمون بانتهاكات حقوق الإنسان يتعاطفون بصورة أسرع وينتقلون بإصرار بين مراحل البحث عن المعلومات الصحيحة وتداولها وبناء الرأي وتبني الموقف الواضح والإدانة القاطعة والمطالبة بمحاسبة المتورطين حين يتعلق الانتهاك المعني بفرد واحد أو مجموعة محدودة العدد من الأفراد يسهل تقنيا نشر صورهم وسرد حكاياتهم وتفاصيل الظلم الذي وقعوا ضحايا له بكلمات قليلة. أما عندما يكون الضحية شعباً بأكمله، إن في اليمن أو في سوريا حيث يمارس نظام الأسد إبادة الممنهجة، فيغيب التعاطف السريع لكثرة الوجوه والتفاصيل وتداخلها.

ثانياً، يبدو أن سقوط فرد أو مجموعة محدودة العدد من الأفراد ضحايا لانتهاكات حقوق الإنسان يحفز المتعاملين على شبكات التواصل الاجتماعي على المطالبة بالعدالة للضحايا تأسيساً على القناعة بإمكانية تحقيقها في الجرائم الفردية مقارنةً بشبه استحالتها في حالة الجرائم الجماعية التي اعتاد الرأي العام العربي والعالم على إزاحتها إلى الهيئات الدولية وتركها هناك حتى يخرس العجز الأصوات التي تدعو إلى العدالة إن للشعب اليمني أو السوري أو الفلسطيني أو غيرهم من شعوب الأرض المقهورة.

ثالثاً، يسهل نسبياً على المتعاملين على شبكات التواصل الاجتماعي دحض ممارسات الحكومات العربية الإنكارية وتفنيدها المبتورة عندما تتسم تلك الممارسات والاعترافات بمنافاة المنطق والعقل وتنضح كافة تفاصيلها بالتسييس وبأغراض خدمة السلاطين، وعندما تقف في مقارعتها معلومات وحقائق واضحة تنشرها مصادر إعلامية موثوقة في موضوعيتها وغياب التسييس عنها.

ذلك تحديداً هو الدور الذي لعبته كبريات الصحف الأمريكية والأوروبية في «مسألة خاشقجي» منذ وقعت وإلى اليوم ولم تضطلع به فيما خص مأساة الأطفال والمدنيين اليمنيين ولا فيما خص الشعب السوري سوى لفترات جد محدودة زمنياً ومع استعداد دائم لإخراجها بعيداً عن دائرة «التغطية» حين تتغير أجندة الأحداث السياسية.

رابعاً، يظل تنوع وتعدد الأصوات في الفضاء الافتراضي، ومهما كثر تواجد اللجان الإلكترونية (أو الذباب الإلكتروني كما يسميه البعض) ومهما أقرت حكومات المستبدين من قوانين قمعية للقضاء على حرية التعبير عن الرأي، مقرباً لشبكات التواصل الاجتماعي وللمتعاملين عليها من احتمالية تداول المعلومات الصحيحة والحقائق الموثقة حين تتوافر إذا ما قورن الأمر بوسائل الإعلام التقليدي التي تدجنها في بلاد العرب الحكومات المستبدة وأموال النخب المتحالفة معها.

*كاتب من مصر

الثقافة المعرفية وأهميتها في الحوار والتطور الفكري

*د. محمد العباسي

منبر الحرية: ٢٠/١١/٢٠١٨

الثقافة.. كلمة أو تعبير يردده الكثيرون، ولكل شخص مفهوم مختلف لماهية "الثقافة".. فالكلمة لم تعد تعني للجميع ذات المعنى.. بل تكاد تكون من أكثر المصطلحات استخداماً في الحياة المعاصرة، لكنها من أكثر المفاهيم صعوبة على التعريف.. في حين يشير المصدر اللغوي والمفهوم المتبادل للذهن والمنتشر بين الناس إلى حالة الفرد العلمية الرفيعة المستوى، أي المستوى المعرفي، أي كقياس للمستوى العلمي، أو حتى مستوى القدرة على الدخول في المناقشات والسجال والولوج في حيثيات شتى المواضيع المتنوعة بثقة ومنطق سليم.

في مقابل ذلك نجد البعض يحدد استخدام هذا المصطلح كمقابل لمصطلح (Culture) في اللغات الأوروبية.. وهي تعني حالة اجتماعية شعبية، أكثر منها حالة فردية.. فوفق المعنى الغربي للثقافة: "تكون الثقافة مجموعة العادات والقيم والتقاليد والتراث والفلكلور وحتى القوانين المجتمعية التي تعيش وفقها جماعة أو مجتمع بشري، بغض النظر عن مدى تطور العلوم لديه أو مستوى حضارته وعمرانه." (موقع: المعرفة)

وأنا هنا أود أن أركز على مفهوم الثقافة المعرفية.. ولا أعني بذلك المستوى العلمي بالضرورة، وإن كان في أحيان كثيرة أثر واضح للتعليم على تكوين مستوى أرفع لدى عامة الناس ثقافياً.. فلا يمكننا أن ننكر أن المتعلم يكتسب الثقافة بشكل عام من خلال سنوات الدراسة والقراءة والإحتكاك بأقرانه من المتعلمين، لذا يتبادلون في نقاشاتهم المتخصصة والعامة شتى النظريات والأفكار والتحليلات التي بطبيعة الحال تؤدي إلى المزيد من وجهات النظر وتفتح أطر جديدة لرؤية الأمور من زوايا شتى.

البعض قد يحصر الثقافة في الجوانب الأدبية والفنية.. فتصبح الثقافة مرادفة للقدرة الإبداعية والكتابية من شعر ونثر ومقالات ودراسات.. وقد تكون هذه الرؤية صائبة في هذا التحليل، بالذات لأننا في أوطاننا نجد وزارات وهيئات للثقافة، تُعنى بهذه الجوانب الإبداعية من فنون الكتابة والأنشطة الموسيقية وإقامة المنتديات والمعارض والاستعراضات، بما فيها معارض الكتب والفنون الجميلة. غير أن هذه الاهتمامات لا تدل بالضرورة على المستوى الثقافي المعرفي لدى كل المشاركين من منطلق محدد، بل تعكس قدرات فنية ومواهب واهتمامات متخصصة.. وليس شرطاً أن يكون المتخصص في مجال ما ذو ثقافة معرفية عامة.

أنا شخصياً أرى الثقافية كونها حالة "روحية" أكثر منها "مادية".. أرى أنها تعكس المستوى الفكري أكثر من المستوى العلمي أو التخصصي.. وأرى أن الثقافة تعكس أمراً وجدانياً ورؤية منفتحة لشتى المعارف الإنسانية وقدرة ايجابية للتحليل المنطقي للأمور بعيداً عن التعصب لأفكار محددة، بالذات تلك المتعلقة بالمواضيع الدينية والمذهبية والطائفية والقبلية التي تحصر الفكر في أطر ضيقة قد تحُد من حرية التفكير وتقبل الآخرين والإستئناس بالأفكار المختلفة.. فبينما يحدد البعض مفهوم الثقافة على مجال المعاني والقيم، ويعتبر أن الحضارة نتاجاً للتقدم العلمي والتقني وربما حتى العمراني، أرى أن المفهوم الثقافي هو عكس ذلك.. فهي المعاني والقيم التي يضفيها الإنسان على الجانب المادي من مظاهر التطور، أو أنها التأويل الإنساني في صورة معانٍ وقيم، في الفلسفة وحرية الفكر وعدم التقيد في الأطر الضيقة للقواعد المجتمعية والعقائدية.. أو كما يقول المفكر الألماني "ماكس فيبر": "الثقافة هي عملية تراكمية تُعزى أساساً للطبيعة أكثر من عزوها للإنسان".

قد يفسر البعض الثقافة الإنسانية بأنها عملية تتكون وتتطور في أحضان المجتمع من زاوية مفهومها التقني، وتتضمن سمات للسلوك المعيشي أو التعايشي الدنيوي اللازم للحياة اليومية مثل اللباقة الاجتماعية (الإتيكيت)، وطباع وعادات الأكل واللباس وأصول الضيافة وقواعد التعامل بين الناس والإحترام المتبادل، وما إلى ذلك من فنون المجتمع المهذبة.. ومن هذا المنطلق نجد من يحكم على كل من يتبع عادات مخالفة بأنهم يفتقرون للثقافة أو بأنهم من الهمج الغير مهذبين.. وغير ذلك من صفات سلبية.. بينما الأوجب علينا أن نتذكر ونعترف بوجود كم من المعرفة لا تشترك فيه كل المجتمعات الإنسانية في أي وقت ولا يشترك فيه كل الأفراد في أي مجتمع، أي أن هذا الكم المعرفي يكون مقصوراً على أفراد معينين في أوساط إجتماعية معينة وبالتالي فهم في أغلب الأحيان يشكلون كماً ضئيلاً في مجموعهم، إلا أنهم رغم التفاوت جزء من الثقافة الإنسانية.

ويقول الأستاذ الدكتور "سعید إبراهيم عبدالواحد" أن الثقافة نسبية.. فالعادات والسلوك التي تعتبر خطأً في ثقافة ما، قد تكون مقبولة كلياً أو ربما مُمتدحة ومُحبة في ثقافة أخرى.. وأن غالبية علماء الأنثروبولوجيا ينظرون إلى الثقافة الإنسانية نظرة نسبية (كل شيء في الدنيا نسبي وليس هناك شيئاً مطلقاً).. وأن المفهوم بأن كل الثقافات هي نُظم مرتبة ومن خلالها تكون التقاليد الإجتماعية والمؤسسات منطقية في معانيها الخاصة.. وبهذا يمكن رؤية إيمان الهندوس مثلاً بعدم أكل لحوم البقر وضمان معاملة خاصة للأبقار، يمكن رؤيتها على أنها وظيفية ومنطقية.. وهذا ليس فقط في إطار التقاليد الدينية للأبقار المقدسة، ولكن أيضاً في سياق الفائدة المرجوة من البقرة كحيوان جر للعرات والمحاريث وكمصدر للروث من أجل التسميد والوقود.. ويضيف بأن غالبية علماء الإنسان يقرون كذلك بأن الثقافات البشرية تتضمن في بعض الأحيان عادات وقيم مضادة للرفاهية الإنسانية.

ويشرح موقع (شبكة فلسطين للحوار) مفهوم الثقافة على أنها مجمل المعارف التي تتأثر وتتأثر في عقيدة البشر وسلوكه.. وقد يسميها البعض بمصطلح "الفلسفة" ويختصرها في مجالات علم النفس والإقتصاد والإجتماع وتفسير التاريخ والآداب، وأن كل ما يتأثر بالرأي أو النقل فهي ثقافة.. لأنها تؤثر في تكوين النفسية البشرية. بينما يمكن إعتبار العلوم الأخرى كالطب والهندسة والفيزياء والرياضيات مثلاً على أنها مجالات متخصصة وذات أدوار محددة، وقد لا تفتح المجال واسعاً لعامة الناس بالمشاركة الوجدانية في أغوارها ومناقشتها والإدلاء بدلونها في حثياتها.

ويشرح الدكتور "طارق عبد الرؤف عامر": "لقد أصبح موضوع الثقافة محل اهتمام كثير من المهتمين في العلوم الإنسانية وهناك من يرى أن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفنون والقيم والعادات التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع.. وهناك من يرى أن الثقافة عبارة عن تنظيم يشمل مظاهر لأفعال وأفكار ومشاعر يعبر عنها الإنسان عن طريق الرموز أو اللغة التي يتعامل معها.. وبهذا المعنى تكون الثقافة عبارة عن تاريخ الإنسان المتراكم عبر الأجيال.. وهناك نظرات أخرى كثيرة منها من يرى أن الثقافة صفة مكتسبة أو أنها كيان مستقل عن الأفراد والجماعات.. على أن تلك المفاهيم جميعها تدور حول معنى واحد، وهو أن الثقافة كل مركب من مجموعة مختلفة من ألوان السلوك وأسلوب التفكير والتكامل والتوافق في الحياة التي اصطلح أفراد مجتمع ما على قبولها فأصبحوا يتميزون بها عن غيرهم من باقي المجتمعات ويدخل في ذلك بالطبع المهارات والاتجاهات التي يكتسبها أفراد المجتمع وتتناقضها في صور وأشكال مختلفة أجيال بعد أخرى عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعي وعن طريق نقل تلك الخبرات من جيل إلى جيل وقد يتناقضونها كما هي أو يعدلون فيها وفق تغير الظروف وحاجتهم ولكن الجوهر يبقى كما هو". (موقع: آفاق علمية وتربوية)

أما علماء الدراسات اللغوية فينادون بضرورة اكتساب لغات أخرى إلى جانب اللغات الأم لفتح أبواب التبادل المعرفي والثقافي بين البشر.. فكسب الثقافة بحاجة على الاطلاع على الثقافات الأخرى.. ومن منطلق تخصصي في مجال "سيكولوجية تعلم اللغات"، أرى أن نماء الثقافة عند البشر لا بد له من تطوير القدرة على الولوج في عوالم أصحاب اللغات الأخرى والتعرف على أفكار وحضارات الآخرين.. هذا لا يعني بتاتا أن من يتقنون لغة واحدة يفترقون للثقافة، ولكن لإتمام التحصيل الثقافي لا بد لنا من الاطلاع على الثقافات المتنوعة.. وجددير بالذكر هنا أن من دلائل الثقافة لدي أرقى المثقفين هو تمكنهم من تحصيل عدة لغات.. مما يفتح أمامهم مجالات النقاش والحوار والتحصيل من أكثر من ثقافة، فبالتالي يثرون علمهم ومعارفهم ونقاشاتهم المستقاة من شتى المصادر.

وإذا عدنا لمفهوم الثقافة على أنها قدرات معرفية وذهنية، سنرى المنطق في هذا الطرح.. فالثقافة هي عبارة عن مكتسبات معرفية متنوعة يكتسب المثقف من خلالها المعارف التي تعطيه تلك الصفة المتميزة في جل حواراته ونقاشاته.. ولا بد للمثقف أن يتميز بالوعي والاطلاع وسعة الأفق ليكون مُقنعاً في أقواله وأفعاله.. وهذا أمر لا يتأتى إلا عبر وفرة الاطلاع والانفتاح وتقبل الاختلاف والثراء المعرفي.. فتعدد الثقافات تعني الانفتاح العام لتقبل ثقافات الغير.. وأحد أهم مصادر إثراء الثقافة هو الإلمام بلغات أخرى والاختلاط بالآخرين للتعرف على الحضارات الإنسانية المختلفة وعاداتهم وتقاليدهم وحتى معتقداتهم مهما اختلفت.. فالثقافة تتميز بكونها مشاركة وجدانية بعيدة كل البعد عن التعصب الفكري ولا تنسجم مع من هم ضد الانفتاح على الآخرين.. فالمثقف لا يكون مثقفاً بتخصصه في علمه فقط أو تعصبه لمعتقده.. ولا أتصور مثقفاً تنحصر أفكاره في زوايا ضيقة عند كل نقاش.

*د. محمد العباسي - أكاديمي بحريني

عندما يبطش الاستبداد بالفلسفة

*حسن العاصي

موسوعة المثقف : ٢٠/١١/٢٠١٨

سؤال الحرية عربياً: أهمية الفلسفة تظهر أكثر لكل باحث في مسببات تقدم وتطور الأمم وعوامل حضارتها، إذ سجد خلف هذه الإنجازات فلسفة وتفكير حر ومستقل. وهو تماماً ما يفسر أن كلا الحضارتين الرومانية واليونانية كانتا مسبوقتين بالفكر الفلسفي المهم، ولاحقاً أدى تراجع الفلسفة والتفكير العقلي والفكر الحر إلى سقوطهما في القرن الخامس للميلاد.

الفلسفة ساهمت كذلك بفعالية في بروز الحضارة الإسلامية، خاصة في مرحلة الخلافة العباسية التي شكلت شعاعاً علمياً وفكرياً لكافة البشرية. وكان للخلفاء والولاة وعدد من الوزراء وخواص القوم دوراً هاماً في توجيه ورعاية الفكر والعلوم والآداب وتنشيطها وتطويرها. إذ كانت تعقد مجالس فكرية وأدبية وعلمية في القصور والأواوين، يتم خلالها التداول بالأدب والنقاش بالعلوم والسجال بالأفكار. وكان الأمراء والوزراء يغدقون الأموال والهبات على الشعراء والعلماء والفلاسفة. وقد اشتهر كثير من هذه المجالس لعل أبرزها مجلس الوزير "يحيى بن خالد البرمكي" حيث شهدت سجلات وحوارات حول قضايا فقهية وسياسية وعلمية واجتماعية، شارك فيها مفكرين وأدباء وأئمة. من أبرز القضايا التي تم نقاشها في مجالس العلم قضية "خلق القرآن"، وكانت سبباً في اشتداد الخلاف بين المتحاورين الذين كانوا منقسمين إلى اتجاهين متعارضين، هما المعتزلة وأهل السنة والمحدثين. احتد الشقاق بين الجانبين وتجاوز معيار الجدل والمناظرة والنقاش إلى وضع تم فيه استعمال القهر والقمع والسجن والتصفية الجسدية.

وما إن أخذت المؤسسة السياسية والسلطة الدينية في التضييق على الفلاسفة واضطهادهم، حتى انزلت الدولة الإسلامية نحو قاع الصراعات التي أدت إلى انهيارها، وما تلا هذا الانهيار من تراجع وارتداد فكري فلسفي علمي مرعب، حيث غاب نور العقل والفكر وسادت العتمة والجهالة وانتشر الهراء لغاية اللحظة.

الفلسفة بثياب عربية

الإهمال المتعمد عربياً للفلسفة والإجحاف الذي لحق بها وبتفاعلاتها، أصاب التفكير الفلسفي في الراهن العربي بضربة قاضية أدت به إلى الموت الدماغي، في حالة عربية تشهد في مجملها انكساراً وفشلاً وتعثراً في كافة الميادين والمستويات، مما أوجد جدراناً مرتفعة تحول بيننا كأمة ما زالت تتلمس وتبحث عن مشروعها النهضوي، وبرنامجها الإصلاحي، وتحديد رؤيتها الاستراتيجية من جهة، وبين التحديث والتطور والتقدم العلمي والصناعي والإنساني من جهة أخرى، وتحولنا بالكامل إلى قطاعان تستهلك الإنتاج الحضاري للآخرين، بدءاً من أبسط الأشياء إلى أكثرها تعقيداً.

فالعرب يتعاملون مع الفلسفة على أنها ترف فكري لا يمكنها معالجة مشكلات التنمية، ولا أن تطعم البطون الفارغة، ولا تقضي على الأمراض، ولا توفر مسكناً لمتشرد. ويقولون باستهجان إذا كان الفلاسفة أنفسهم مختلفين بشدة فيما بينهم على تعريف موحد للفلسفة ومختلفين في مذاهبها، فكيف يستطيعون مساعدة الناس في مواجهة متاعب الحياة.

ويضيف آخرون متسائلين بسطحية مفزعة عن أهمية أن يطلع الإنسان المعاصر على نظريات سقراط وافلاطون وأرسطو، وماذا يحقق إن قرأ أعمال هيجل وكانط وديكارت.

قديمًا كان ينظر للفلسفة على أنها أم العلوم، ثم أدى زيادة الاهتمام بدراسة الوقائع المادية نتيجة تراكم المعلومات، وضرورات تعمق البحوث كان لا بد من ظهور المنهاج التجريبي الذي يدرس الأجزاء وصولاً للكل، وهذا بطبيعة الحال يناقض المنهاج الفلسفي، لذلك استقلت العلوم عن الفلسفة. ولكن التقدم العلمي الكبير والتطور الحضاري والقفزات التقنية التي حققها العالم، كشفت الحاجة للفلسفة مرة أخرى على اعتبارها عاملاً محرضاً للعقل وتنقيته من الأوهام والخرافات، وكذلك حاجة العلوم إلى دور الفلسفة لإجراء مقاربات أخلاقية للاكتشافات العلمية، والأهم ترشيد التطور العلمي وتوظيفه لخدمة المجتمعات البشرية.

بهذا المعنى هل يوجد مشروع فلسفي عربي فاعل؟ هل توجد في الأصل فلسفة عربية وإنتاج فلسفي؟ الجواب بظني لا كبيرة، فمادامت الفلسفة في الواقع العربي كاصطلاح نظري أو كمنهاج أو كقيمة، معزولة عن بقية المكونات التفاعلية المجتمعية، ومادامت السلطة السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية تحظر التفكير الفلسفي المستقل، وتعتقل حرية العقل، وتحجر عليه لمنعه من ممارسة نقداً فلسفياً، فلا يمكن الحديث لا عن إنتاج فلسفي عربي ولا عن أي مشروع فلسفي. الأدهى انتشار ثقافة سطحية تعتقد أن الفلسفة هي ممارسة قديمة لا يحتاجها عصر التقنيات. إضافة إلى نظرة البعض للفلسفة والتي يشوبها بعض السخرية والتهكم. إنهم أصحاب مفاهيم مبتذلة لا تكتثر بالفكر العلمي، ولا تجد نفسها معنية بحالة التخلف الحضاري للأمة العربية. ولا شك أن لبعض الأنظمة وبعض القوى مصلحة كبرى في تعميم الظاهرة الظلامية في الواقع العربي لتواصل انتفاعها من احتكار السلطة والثروة.

وفي العالم العربي سلطة كهنوتية معطوبة تأخذ شكلاً ثيوقراطياً، تدعي العصمة والتوكيلية، والتفرد بامتلاك الحقيقة والمعرفة، وهي الأخرى لها مصلحة في المحافظة على الوضع الثقافي السقيم والسطحي القائم، خاصة فيما يرتبط بالفلسفة على اعتبارها ضرباً من ديباجات نظيرية ضالة، وقد يصل البعض لإطلاق اتهامات بالجنون والزندقة على الفلسفة والفلاسفة.

سؤال الحرية فلسفياً

هل للحرية من بداية ونهاية؟ هل للحرية من معنى خارج الحرية ذاتها؟ هل للحرية معنى معين، وجهة محددة؟ هل يمكن الكتابة عن الحرية دون تحدي مواجهة ومقاربة هذه الأسئلة وغيرها؟ هل هي أسئلة تخص الفلسفة أم الفكر؟ من يصنع الحرية ومن ينتج بذارها؟ هل يمكن للفكر الفلسفي مقاربة هذه الأسئلة وما شاكلها دون التعمق في مفهوم الحرية ذاتها؟ كل هذه الأسئلة تضع نفسها أمام الفيلسوف والمفكر والمثقف على حد سواء، وتضعهم جميعاً في تحدي استفزازي، فإن عجزوا عن القيام بهذه المواجهة، لن يكون للحرية من معنى.

هل تختلف فعلاً الحرية التي ينشدها المواطن العربي البسيط عن الحرية التي يفاخر بها الإنسان في الغرب؟ بالطبع لا، لكن ما يريده العرب أصبح سؤالاً إشكالياً متعباً ويتسبب بالإرباك والاختلاط لدى الباحثين. إذ لا إجماع عند العرب على تعريف مصطلح "الحرية".

ولأن العرب أهملوا الفلسفة وأسقطوها من حساباتهم، لم يتمكن لآن أحد منهم شعوباً وأنظمة، من إجراء مقاربات حقيقية فلسفية لأهم أسئلة الحرية: لماذا ينبغي على الإنسان -مطلق إنسان- أن يقوم بإطاعة إنسان آخر؟ لماذا لا يعيش الناس كما يريدون؟ هل الطاعة واجبة عليهم؟ من يطيعون وكيف؟ ما الغاية من الطاعة؟ هل يستطيع أحد ما أن يفرض الطاعة على أحد آخر؟ كيف يتم فرض الطاعة، بأي وجه، لأي هدف، لأي درجة؟

ماذا يعني أن أكون حراً؟ ما الذي تتطلبه حريتي؟ ماذا يحول بيني وبينها؟ من يحدد تصرفاتي؟ هل اتصرف وافعل ما اشاء بالطريقة التي أختارها أنا، أم أنا خاضع لجهة ما أو شخص ما يشكل مصدر السيطرة علي والتحكم بأفعالي؟ من يقرر كيف أفكر وماذا افعل، هل هي أسرتي، أم مدرستي، أم رجال الدين، أم الأجهزة البوليسية؟ هل أنا أخضع لأنظمة وقوانين دولة مؤسسات، أم لنظام استبدادي، نظام رأسمالي، اشتراكي، ليبرالي، ديمقراطي، ملكي، جمهوري؟ هل أنا اقرر مصيري وقدري وواقعي ومستقبلي أم أحد آخر؟ من يمنعني من تحديد خيارتي وما أريد وما لا أريد؟ هل يمتلك قوة زجر يستخدمها ضدي، وما مقدار هذه القوة؟

سؤال الحرية العربي

في قواميس اللغة فإن الحرية هي حالة يكون عليها الكائن الحي الذي لا يخضع لقهر أو غلبة، ويتصرف طبقاً لإرادته وطبيعته، خلافاً لعبوديته. وهي القدرة على التصرف بملء الإرادة والاختيار، وهي حرية التعليم أو طلب العلم أو مناقشة بصراحة دون قيود أو تدخل.

لقد اتخذ جيل الرواد المفكرين والإصلاحيين العرب بكافة تياراتهم الليبرالية والعلمانية والسلفية موقفاً من الفكر الغربي وحدثته وحريته، تراوحت بين القبول المطلق أو الرفض المطلق وبروز تيار توفيقوي. وأجرى عدد من

المفكرين مقاربات مطابقة بين مصطلحي الديمقراطية الغربي والشورى الإسلامي، وبين نواب الشعب في البرلمان ومجلس العقد والحل، وبين المساواة الغربية والعدل القرآني.

ما يعيننا هنا هو الموقف من الحرية كمصطلح ومفهوم لها سياقها التاريخي والفلسفي في المسارين الغربي والعربي الإسلامي.

إن "جمال الدين الأفغاني" عارض الحرية كمصطلح، ورفض المفهوم الغربي للحرية، حيث اعتبره كمفهوم ليبرالي يدعو للحرية الدينية والفردية، مصطلحاً وشعاراً يسعى الغرب من خلفه إلى النيل من وحدة الأمة الإسلامية. واعتبر أن الحرية تقوض الوحدة الدينية التي هي أساس الوحدة السياسية، التي من شأنها مقاومة التهديد والأطماع الغربية.

لكن تلميذه "محمد عبده" وإن كان قد التزم بموقف أستاذه، إلا أنه سار في درب مختلف، حيث دافع في كتاباته عن مكانة الحرية في الإسلام، واستشهد بتسامح الإسلام والمسلمين مع غيرهم من أهل الديانات الأخرى، وتعايش المسلمين مع غيرهم من اليهود والمسيحيين في مختلف المراحل التاريخية منذ نشأة الدين الإسلامي. وأن الإسلام قد منح غير المسلمين حرية ممارسة الشعائر الدينية. وكان محمد عبده يعتبر أن الإسلام قدر الفلاسفة أكثر من بقية الأديان، حيث ذكر أن مؤسس المذهب البروتستانتي "مارتن لوثر" كان يعتبر الفيلسوف اليوناني "أرسطو" أنه دنسا وكاذبا، بينما كان علماء المسلمين يلقبون هذا الفيلسوف بالمعلم الأول، كيف لا وهو تلميذ الفيلسوف الشهير "أفلاطون" ومعلم الاسكندر الأكبر. وهذه الرؤية تبناها معظم السلفيين الإصلاحيين التنويريين من جيل محمد عبده، إذ اتسم هذا الجيل بحرصه على الهوية الإسلامية، وعدم القطيعة مع الغرب وتنويره، وهذا ما حاول بعضهم فعله من خلال مد جسور بين الفكرين والثقافتين والهويتين والمرجعيتين العربية الإسلامية والغربية.

أبرز من حاول وصل الضفتين هو الشيخ المعلم الفقيه "رفاعة الطهطاوي" أحد رموز الحداثة في عصر النهضة، الذي وظف مفهوم الاجتهاد في الدين الإسلامي لتطوير حرية التفكير، وقام بتجسيد مفهوم الحرية عبر انفتاحه على الفكر الغربي وثقافته، وكان يدعو للاقتباس من الفكر الليبرالي، حيث اعتبر ألا تعارض بينهما في المفاهيم الأساسية.

وفيما يرتبط بالمفكرين الليبراليين العرب من عصر النهضة ورؤيتهم للحريات، فقد جاهر المفكر اللبناني "فرح أنطون" بدعوته فصل الدين عن الدنيا، حيث اعتبر أن ذلك العصر هو زمن العلم والفلسفة، ويجب على كل طرف احترام مواقف وآراء ومعتقدات الطرف الآخر. وكان فرح أنطون مؤمناً أن الأديان بصفة عامة لا تقبل بالحرية ولا تعترف بها، باعتبار أن الأديان تمتلك الحقيقة، وما سواها لا يتعدى كونه ضلالاً وكفراً. من الملاحظ أن انتشار هذه المفاهيم كانت في أوساط المسيحيين العرب، الذين اعتبروا أن الحريات واحترامها لا تتم إلا استئثينا الدين من الشؤون الدنيوية والسياسية، كما فعلت أوروبا.

يمكننا القول إن المفكرين السلفيين العرب من عصر النهضة، كانوا مجتهدين وتأثروا بعض الشيء بالمفاهيم الليبرالية، لكنهم لم يهتموا بالمصطلحات الفلسفية، ولم يقوموا بإجراء مقاربات فلسفية لقيم الحرية، بل توقفوا عند حدود عدم تعارض هذه القيم الليبرالية مع الإسلام، لكنهم رفضوا أية مقاربة للحريات مع الدين، إذ ظلت الحرية بالنسبة لهم خارج الدين، فإن كانت الحرية تعني الانسلاخ عن الإسلام فهي مرفوضة.

لكن التيار الليبرالي العربي كان أكثر جرأة في معالجة الحرية بما فيها حرية الفرد في الاعتقاد بأي دين يريد، وحرية في عدم الانتساب إلى أي دين.

فهل أسهم هؤلاء الرواد وأفكارهم الإصلاحية في تأسيس مفهوم الحرية في الفكر العربي أو الإسلامي في علاقاته مع قضايا العقيدة والتعدد الديني والتعايش بين الأديان والمذاهب والأيدولوجيات في العالم العربي؟ هل استطاعت الفلسفة أن تساعد العرب على بناء مجتمع مدني ديمقراطي يقبل بالاختلافات ويحترم التعدد والتنوع الديني والثقافي والسياسي؟ الإجابة بظني لا.

الحرية عند العرب المعاصرين

اهتم المفكرين والمثقفين العرب بالحرية، وانشغلوا كتابةً وبحثاً في أصلها وكيف نشأت، وما علاقتها بالفلسفة، وما هي مكانتها في القيم الفلسفية الحضارية. وفي سياق المقاربات النظرية انقسم المفكرون العرب، حيث انحاز قسم

منهم إلى الفكر الغربي والثقافة الغربية وقيمتها باعتبارها طريق الرقي والتقدم، فيما رفضها القسم الآخر من المفكرين الذين اعتبروا الحرية الغربية ما هي إلا نزوع الفرد تجاه غرائزه التي تتسبب في انحداره وبالتالي انحدار المجتمع برمته. وانبرى بعض المفكرين التوفيقيين ليجتهدوا في مزاجية بين الفكرين الغربي والشرقي العربي الإسلامي.

المفكر الفلسطيني "ادوارد سعيد" تطرق كثيراً في كتبه لقضية الحرية ومفاعيلها الفلسفية، وعلاقتها بالثقافة والمثقفين الذين كتب عن دورهم الكثير، واعتبر أن الانحياز إلى الفكر التنويري لا يعني فقط أن تكون منحازاً إلى القيم والأفكار الفلسفية التنويرية، بل يعني أيضاً وهو الأهم أن تكون منتماً إلى حرية الفرد، فكل النظريات لا تتخذ من الإنسان موضوعاً دراسياً لها إلا بهدف خدمة الفرد وقضاياه وحرية.

بالنسبة للمؤرخ المغربي "عبد الله العروي" فإن مفهوم الحرية قد غاب عن الفكر العربي، وجاء في كتابه "مفهوم الحرية" الصادر عام ١٩٨٣ أن محور الحرية الغربية هو الفرد المشارك اجتماعياً، وهو مفهوم غير موجود في الفكر الإسلامي. ويميز عبد الله العروي بين حرية الروح والنفس في الفكر الإسلامي، وبين الحرية السياسية والاجتماعية في الفكر الليبرالي الغربي. ويضيف أنه رغم غياب مفهوم الحرية فلسفياً في الفكر العربي، إلا أنه موجود في الوعي والإدراك للإنسان العربي. ثم أجرى العروي مقارنة بين أقوال الفلاسفة الغربيين مثل "جون ستيوارت ميل" و "جون جاك روسو" والفلاسفة الإسلاميين مثل "الطهطاوي" و "الغزالي"، حيث توقف أمام ما قاله الفيلسوف البريطاني جون ستيوارت ميل، الذي اعتبر أن المجتمعات الإسلامية غير ليبرالية، لأن نظام الحكم فيها فردي واستبدادي، ولأنها تحرم النقد والنقاش الحر.

المفكر اللبناني "ناصر" دعا إلى أهمية استئناف مشروع النهضة العربية، واعتبر أن الحرية هي المدخل الأساسي للنهضة، ويميز ناصر بين الليبرالية والعولمة، وبين الحرية والأمركة، لأن سؤال الحرية سؤالاً كونياً يهم الإنسانية.

أما المفكر المصري "محمد عمارة" حذر في كتابه "المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية" الصادر عام ١٩٨٨ من السلفية وما أسماه النصوصية التي تنكر العقل والتفكير العقلي وتقصد النصوص، واعتبر ذلك أنه ينتج التخلف ويوهن تطلعات الأمة.

أما المغربي "علال الفاسي" أحد أعلام الحركة الإسلامية الحديثة، فقد ربط بين المسؤولية والحرية وبينها وبين حرية التفكير التي تتعلق بمقدار قيمة النقد، ومدى الإيمان بالاختلاف والتعدد.

المفكر الجزائري "محمد أركون" نظر للعلاقة بين الحرية والعلمانية التي باعتقاده لا تقضي على الدين، إنما العلمانية تقضي على الأفكار العقائدية في المجتمع.

وقال المفكر المغربي "محمد عابد الجابري" أن لا حرية للإنسان خارج وجوده، ان يكون الإنسان حراً هذا يعني أن يختار، وإذا لم يفعل لخوف أو قصور فهو غير حر.

في تخطي الأزمة

فشلت الفلسفة بثوبها العربي في مواجهتها التاريخية مع الأفكار الظلامية، فتراجعت حرية التفكير الفلسفي، وقتلت الحقيقة، وانتشر الاستبداد، وشاع الوهم، وحل التقليد مكان الخلق والإبداع. إن تاريخ العلم والحرية هو مواجهة بين العقل واللاعقل، بين اللاهوت والعلوم، بين منهج العلم وأدواته النقدية ومنهج الأجوبة النهائية. ولأن الفلسفة بنكهتها العربية لم تتحرر من وصاية السلطة التي حجرت عليها، فكانت النتيجة ابتعاد الفكر العربي عن مسيرة الفكر الإنساني وتطوره.

ولأنه لا منفعة في مجتمعات لا يعيش فيها الناس أحراراً، مهما بلغ شأن هذه المجتمعات، فإن معركة الحرية في العالم العربي محتدمة دون توقف منذ منتصف القرن الثامن عشر، ولم تكن معركة بين سياسية فقط، بل انتدت جبهاتها إلى كافة مفاصل الحياة الفكرية والاجتماعية والثقافية والدينية والأكاديمية. المفرز في الأمر أنه رغم الجهود والتضحيات التي قدمها - ولا يزال - المفكرون والمثقفون، والأهم تضحيات الشعوب العربية، فإن الأزمة ما تزال

جاثمة فوق تطلعات البشر، وأرى أنها في تفاقم مستمر، والدليل فقط أنظر حولك كعربي أينما كنت تعيش، في مشرق المنطقة العربية أو مغربها، لترى أن بلادنا مثقلة باليؤس والشقاء وانعدام الحرية. ولا يمكن للعرب تجاوز هذه الأزمة دون معالجة أسبابها من خلال تفكيك الأيديولوجيات السائدة، وهز الأفكار المعرفية وشحذ الإرادة، نحتاج ليس فقط إلى فكر تنويري بل إلى ثورة فكرية تنقلب على ما هو سائد ونمطي في الراهن العربي، تبدأ في الانتقال بالخطاب الفكري والسياسي والديني والاجتماعي والثقافي من ثوبه الحالي، نحو خطاب أكثر تحديداً ووضوحاً، ولا يخشى المغامرة ولا تنقصه الجرأة في الطرق على كافة مفاصل المجتمع، خطاب لا يقفز فوق الأسئلة الكامنة والأفكار المكبوتة ولا يتجاهلها، خطاب يجلب الأسئلة من قاع القمع والتحرير إلى سطح التعبير والعلنية والإفصاح عنها، ووضعها تحت ضوء النقاش والتحليل. نحتاج إلى ذلك النوع من الخطابات التي تستبدل أدوات التحريم والتجريم والاتهامات، بأدوات الفكر والمعرفة، أدوات النور بدلاً عن أدوات الظلام، العلم بدل الجهل، استخدام العقل بدلاً عن الأوهام، الخلق والإبداع بدلاً عن النقل والاستكانة والتقليد، نحتاج إلى خطاب يحرض ويستفز العقل ليجعل منه عقلاً مفكراً حراً مستقلاً متسانلاً، لا عقلاً مذعناً خاضعاً، عقلاً قادراً على الابتكار والإنتاج الفكري والمعرفي، لا العقل الذي يستهلك ويردد.

نحتاج إلى روح ثورية في المجتمعات العربية تناهض النظم السياسية القائمة، وتدفعها للسير في درب الديمقراطية. نحتاج إلى مفكرين ومثقفين وسياسيين ورجال دين وشباب لديهم روح خلاقية تستحدث أدوات للتعامل مع مجتمعات عربية فيها نظم معقدة للغاية بطبيعتها، نظم تضع سلامة المجتمع ووحده واستقراره فوق كل اعتبار، مما يعقد مهمة التغيير، ويضع المزيد من العراقيل والصعوبات في طريق القوى التي تسعى للتحديث، خاصة في دول تبدي حرصاً في المحافظة على كيان الدولة بصفقتها حاضنة للنظام الذي لا يمكن إيجاده إلا في مسار دولة كتعبير سياسي عن مجتمع عربي مكتظ بالتعقيدات المتعددة.

معركة الحرية تتطلب أيضاً فيما تتطلبه، ثورة في بعض القيم الاجتماعية التي تدعو أطفالنا إلى الامتثال والطاعة، واستبدالها بقيم تدفعهم للتشكيك وطرح الأسئلة، وتعليمهم على النقاش والحوار واحترام قناعاتهم منذ الصغر. استبدال مناهج ووسائل وأدوات التعليم التي تعتمد الحفظ والتلقين الغبي، بمناهج تستخدم البحث والحض على المعرفة.

ولكي نبني مجتمعاً حراً لا بد من إنشاء المزيد من مراكز البحث العلمي، وتوفير أقصى درجات الحرية الإبداعية في هذه المراكز، حتى يتمكن المبدع والباحث والمفكر والمثقف من التفكير باستقلالية، دون الخشية من عقاب السلطة السياسية أو الدينية.

لاشك أن معركة الحرية ليست سهلة حين يكون ميدانها مجتمعات لا يزال بعض مثقفها يقفون مع الطغاة ضد الشعوب، وبعض رجال الدين فيها يقصدون الزعيم أكثر من النص الديني. مجتمعات مثقلة بالأمية والفقر والبطالة، منقسمة إلى طوائف وقبائل متناحرة متصارعة، تحارب مبدعيها ومفكريها وتقتلهم، تصدر أدمغتها وتستورد طعامها، مجتمعات لا تنتج سوى اليؤس والشقاء.

وأنت ماذا تفعل؟

في القرن الحادي والعشرين، عادت معركة الحريات بقوة إلى الواجهة في المنطقة العربية. حيث مالت الشعوب العربية -الأكثر والاسبق وعياً من نخبها- لفطرتها، وسعت للانعتاق من استبداد النظم السياسية، عبر معركة صعبة تخشاها الأنظمة، لكنها ليست مستحيلة، ولن تتأخر بطني كما حصل في أوروبا، هذا لأن التقدم الذي حصل في قطاع الاتصالات وثورة المعلومات، أدت إلى ظهور جيل عربي بمهارات معرفية متعددة، حيث أصبحت كافة العلوم ومصادر المعرفة بين يديه، وهو جيل أخذ في التملص من كافة أشكال السلطة.

أنت أيضاً أيها القارئ ربما تخشى الحرية، لأنها ستضعك في الضوء، وتجعل الآخرين يرونك ويسمعوك ويقيموك. الحرية سوف تكون امتحاناً حقيقياً لك ولجميع المثقفين، لأفكاركم ومواقفكم ومعتقداتكم. أم أنك تريد أن يخوض غيرك معركة حريتك؟ بتأخرك عن فعل شيء تجعل ثمن الحرية مرتفعاً.

*كاتب وباحث فلسطيني مقيم في الدانمارك

بعد مائة عام

*د. وحيد عبد المجيد

الأهرام: ٢٠١٨/١١/٢٠

إذا كانت عبارة أهون سبب تصلح للدلالة على عامل مباشر أدى إلى حدث مهول، فهو نشوب الحرب العالمية الأولى التي تُحيى دولا أوروبية عدة، وغيرها، هذه الأيام نذكرى مرور مائة عام على انتهائها. عملية اغتيال وقعت في ٢٨ يونيو ١٩١٤ تسببت في اندلاع تلك الحرب. اغتيال ولي عهد النمسا، الأرشيدوق فرانز فرديناند، خلال زيارته سراييفو. اغتاله شاب صربي كان يعيش في البوسنة. كان هذا الاغتيال بمنزلة عود ثقاب ألقى على كم كبير من زيت تراكم في السنوات السابقة لتلك الحرب، نتيجة تنامي صراعات أوروبية عدة من بينها الصراع بين العناصر السلافية، والعناصر المجرية والألمانية، في إمبراطورية كانت تشمل النمسا والمجر في ذلك الوقت. اندلعت حربان في منطقة البلقان خلال العامين السابقين على تلك الحرب الكبرى. كانت الحرب البلقانية الأولى في أكتوبر ونوفمبر ١٩١٢ في ذروة الانتفاضات ضد العثمانيين في بعض مناطق البلقان. فقد أعلنت إمارة الجبل الأسود الحرب على الدولة العثمانية، وانضمت إليها صربيا وبلغاريا واليونان. وكانت نتائج تلك الحرب نذير شر لإمبراطورية النمسا والمجر، التي سعت إلى الحد من تأثير انتصار القوميات في البلقان على العناصر السلافية داخلها. وتمكنت الدول الكبرى في أوروبا، بعد جهود مضنية، من إبرام تسوية في مؤتمر لندن في مايو ١٩١٣. لكنها كانت تسوية هشة لم تمنع نشوب حرب ثانية بعد أقل من شهرين. وبدأت تلك الحرب بلقانية بالأساس (بين صربيا وبلغاريا واليونان) ثم توسعت وشملت الدولة العثمانية، ورومانيا. وخسرت بلغاريا الكثير مما حققته في الحرب السابقة، وربحت صربيا الكثير من الأراضي، وتنامي الشعور بالخطر في إمبراطورية النمسا والمجر في ظل تصاعد حالة التمرد في أوساط سكانها السلافيين. لكن أهم ما ترتب عليها كان توسع الهوة بين التكتلين الرئيسيين في أوروبا، فأخذت نذر حرب كبرت تقترب إلى أن جاء اغتيال ولي عهد النمسا فأشعلها. وإن يستذكر العالم الآن تلك الحرب، يظهر واضحا مدى التغيير الذي يجعل نشوب حروب كبرى صعبا، ويؤدي إلى التوسع في نمط الحرب بالوكالة الذي أخذ في الانتشار عقب الحرب العالمية الثانية.

المحكمة الأوروبية تدين اعتقال ديميرتاش وتطالب بالإفراج عنه

*وكالة رويترز

أدانت المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، الثلاثاء، تركيا لاعتقالها صلاح الدين ديميرتاش الرئيس المشترك السابق لحزب الشعوب الديمقراطي، والمرشح الرئاسي السابق.

وطالبت المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان تركيا بإطلاق سراح صلاح الدين ديميرتاش الرئيس المشترك السابق لحزب الشعوب الديمقراطي، مشددة على أن اعتقاله أمر مرفوض ويهدف إلى "خنق التعددية".

وأكدت المحكمة الأوروبية أن تركيا انتهكت الحق في محاكمة سريعة للسياسي الكردي صلاح الدين ديميرتاش. وصدر حكم على ديميرتاش، أحد أشهر الساسة الأتراك، بالسجن لأكثر من أربع سنوات في سبتمبر أيلول الماضي لاتهامات تتعلق بالإرهاب بعد أن أمضى قرابة عامين في السجن أثناء محاكمته.

وقالت المحكمة ومقرها ستراسبورغ في بيان "المحكمة خلصت إلى أن السلطات القضائية مدت اعتقال السيد ديميرتاش على أسس لا يمكن اعتبارها 'كافية' لتبرير المدة".

وانتقدت المحكمة كذلك السلطات التركية لإبقاء ديميرتاش قيد الاعتقال أثناء اقتراعين سياسيين هما استفتاء العام الماضي على تعديل الدستور والانتقال للنظام الرئاسي والانتخابات الرئاسية هذا العام.

وقالت "مد فترة اعتقال السيد ديميرتاش، خاصة خلال حملتين مهمتين... كان القصد منه الغاية الخفية السائدة لتقييد التعددية والحد من حرية النقاش السياسي".

وقضت المحكمة بحصوله على عشرة آلاف يورو كتعويض إضافة إلى ١٥ ألف يورو لتغطية التكاليف لكنها أصدرت أحكاما ضد عدد من الدعاوى الأخرى التي رفعها وأبدت قبولها لاعتقاله وسجنه بناء على "اشتباه معقول" في ارتكابه مخالفات جنائية.

وقبل شهرين قضت محكمة تركية بسجن ديميرتاش لأكثر من أربعة أعوام في اتهامات بالإرهاب تتعلق بكلمة أدلى بها في عام ٢٠١٣. وهو يواجه عدة اتهامات أخرى تتعلق بالإرهاب وإجمالي أحكام قد يصل إلى السجن ١٤٢ عاما إذا إدين.

من جهته علق وزير العدل التركي عبدالحميد غول على مطالبة المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان بإطلاق سراح الرئيس السابق لحزب الشعوب الديمقراطي صلاح الدين ديميرتاش، بالقول: "النرى حيثيات قرار المحكمة الأوروبية، فالسلطة التي تقاضي ديميرتاش هي التي ستقرر ما يجب فعله".

وأوضح غول في تصريح للصحفيين بمقر البرلمان التركي في العاصمة أنقرة الثلاثاء، أنه من غير الصحيح، الإدلاء بتصريحات في هذا الشأن قبل الاطلاع على حيثيات قرار المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان.

أمريكا أولاً! العالم مكان خطير للغاية!

بيان من الرئيس دونالد ج. ترامب حول الموقف من المملكة العربية السعودية

البيت الأبيض / مكتب السكرتير الصحفي: ٢٤/١١/٢٠١٨

إن دولة إيران، على سبيل المثال، هي المسؤولة عن حرب دموية بالوكالة ضد المملكة العربية السعودية في اليمن وتحاول زعزعة استقرار التجربة الديمقراطية الهشة في العراق وكذلك تدعم منظمة حزب الله الإرهابية في لبنان وتدعم الدكتاتور بشار الأسد في سوريا (الذي قتل الملايين من مواطنيه) وأكثر من ذلك بكثير. وأن الإيرانيين بالمثل قتلوا العديد من الأمريكيين وغيرهم من الأبرياء في جميع أنحاء الشرق الأوسط. كما أن الإيرانيين يصرحون علنا وبقوة "الموت لأمريكا" وكذلك "الموت لإسرائيل" في الوقت الذي تُعتبر إيران "الراعي الرئيسي للإرهاب".

كما إن المملكة العربية السعودية، من ناحية أخرى، كانت ستسحب بكل رحابة من اليمن إذا وافق الإيرانيون على المغادرة. وسيقدمون على الفور المساعدة الإنسانية إلى من هم بحاجة ماسة لها. كما وافقت المملكة العربية السعودية على إنفاق مليارات الدولارات في قيادة الحرب ضد الإرهاب الإسلامي المتطرف.

وأن المملكة العربية السعودية، بعد رحلتي إلى المملكة لإجراء المفاوضات الواسعة النطاق في العام الماضي، قد وافقت على إنفاق واستثمار ٤٥٠ مليار دولار في الولايات المتحدة. وهذا مبلغ مالي قياسي. وأنه سيخلق مئات الآلاف من فرص العمل وتنمية اقتصادية هائلة وكذلك ثروة إضافية كبيرة للولايات المتحدة. وسيتم إنفاق ١١٠ مليار دولار من أصل مبلغ ٤٥٠ مليار على شراء معدات عسكرية من شركة بوينغ وشركة لوكهيد مارتن وشركة رايتون والعديد من كبار مقاولي الدفاع الأمريكيين. وإذا قمنا بإلغاء هذه العقود بحماقة، فإن روسيا والصين ستكونان المستفيدتين من ذلك استفادة هائلة وستكونان سعيدتان للغاية في الحصول على جميع هذه الأعمال الجديدة. كما سيكون هذا الأمر هدية رائعة ومباشرة من الولايات المتحدة!

إن الجريمة المرتكبة ضد جمال خاشقجي كانت رهيبه وهي جريمة لا تتغاضى بلادنا عنها. وقد اتخذنا إجراءات شديدة ضد أولئك الذين تم التعرف مسبقا بمشاركتهم في جريمة القتل. كما أننا وبعد إجراء بحث كبير ومستقل تعرفنا في الوقت الحالي على الكثير من التفاصيل حول هذه الجريمة الرهيبة. وقمنا فعلا بفرض عقوبات على ١٧ سعوديا تم التعرف على تورطهم في قتل السيد خاشقجي والتخلص من جثته.

وعلى الرغم من أن ممثلو المملكة العربية السعودية يقولون أن جمال خاشقجي كان "عدوا للدولة" وأنه عضو في جماعة الإخوان المسلمين، لكن قراري لا يستند باي حال إلى ذلك وهي جريمة غير مقبولة وفظيعة. كما ينفي الملك سلمان وولي العهد محمد بن سلمان بشدة أي علم بالتخطيط أو تنفيذ جريمة قتل السيد خاشقجي. وبينما تواصل وكالتنا الاستخبارية تقييم جميع المعلومات، فإنه من المحتمل أن يكون ولي العهد على علم بهذا الحدث المأساوي- ربما قام به وربما لم يقم به! ومع ذلك، وقد لا نعرف أبداً جميع الحقائق المتعلقة بمقتل السيد جمال خاشقجي. وأن علاقتنا، على أي حال، هي مع المملكة العربية السعودية. وإنها كانت ومازالت حليفا كبيرا في حربنا المهمة ضد إيران. وتنوي الولايات المتحدة البقاء كشريك ثابت مع المملكة العربية السعودية لضمان مصالح بلادنا ومصالح إسرائيل وجميع الشركاء الآخرين في المنطقة. إذ أن هدفنا الأسمى هو القضاء التام على تهديد الإرهاب في جميع أنحاء العالم!

كما أعلم أن هناك أعضاء في الكونغرس يرغبون، لأسباب سياسية أو غيرها، في سلوك اتجاه مختلف، وهم أحرار في فعل ذلك. وسأنظر في أي أفكار تقدم لي، ولكن فقط إذا كانت متفقة مع الأمن والسلامة المطلقين لأمريكا. فالمملكة العربية السعودية هي أكبر دولة منتجة للنفط في العالم بعد الولايات المتحدة. وقد عملوا معنا بشكل وثيق وكانوا متجاوبين للغاية مع طلباتي بالحفاظ على أسعار النفط عند مستويات معقولة، وهو أمر في غاية الأهمية بالنسبة للعالم. وأعتزم بصفتي رئيسا للولايات المتحدة أن اضمن لأمريكا أن تعزز مصالحها القومية، في وسط عالم خطير للغاية، وتنافس بشدة مع البلدان التي تسعى للأضرار بنا. وهذا ببساطة ما يطلق عليه أمريكا أولاً!

دونالد ج ترامب

٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر، ٢٠١٨

حقائق... تصريحات وزير الخارجية مايكل ر. بومبيو

وزارة الخارجية الامريكية/ مكتب المتحدث الرسمي : ٢٤/١١/٢٠١٨

الوزير بومبيو: مساء الخير للجميع. وعيد شكر سعيد.

أريد أن أتطرق إلى خمسة مواضيع اليوم. أولاً، فرضت الولايات المتحدة اليوم عقوبات على شبكة دولية يستخدمها النظام الإيراني وروسيا لتوفير ملايين البراميل من النفط لنظام الأسد، مقابل نقل مئات الملايين من الدولارات إلى قوات فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني. هذه الأموال يعاد تمريرها إلى منظمات إرهابية مثل حزب الله وحماس. الولايات المتحدة في جهودها المستمرة لن تسمح لهذه المعاملات القذرة بالازدهار. لن يُسمح لإيران باستغلال النظام المالي الدولي لإخفاء تيارات الدخل التي تستخدمها لتمويل النشاط الإرهابي، أو دعم الميليشيات الطائفية، أو استغلال السكان المدنيين، أو لزعة استقرار المنطقة.

ثانياً، كما رأيتم الإنتربول، وهي منظمة مهمة جداً، ستنتخب رئيساً جديداً، ونحن نؤيد كيم جونج يانغ، الذي يشغل منصب القائم بأعمال الإنتربول حالياً. وإننا نشجع جميع الدول والمنظمات التي هي جزء من الإنتربول والتي تحترم سيادة القانون على اختيار قائد يتمتع بالمصداقية والنزاهة ويعكس واحدة من أهم هيئات إنفاذ القانون في العالم. ونعتقد أن السيد كيم سيكون ذلك بالضبط.

ثالثاً، عاد ممثلنا الخاص للمصالحة في أفغانستان زلماي خليل زاده لتوه من رحلته إلى أفغانستان والإمارات وقطر. وكانت المحطة الأولى والأخيرة التي توقف فيها السفير خليل زاده هي كابول، حيث التقى بالرئيس أشرف غني، ورئيس الهيئة التنفيذية عبد الله، وغيرهم من الأطراف المعنية في أفغانستان، وذلك لتسهيل عملية السلام بين حكومة أفغانستان وطالبان. خلال هذه الزيارة إلى كابول، التقى السفير خليل زاده بالناشطين والناشطات في المجتمع المدني الأفغاني وفي الجهود من أجل السلام، وأعضاء وسائل الإعلام، وغيرها من المنظمات الحكومية وغير الحكومية. في كل اجتماع من اجتماعاته، شدّد السفير خليل زاده على أن كل الأفغان يجب أن يكون لهم رأي في خلق سلام مستدام لأفغانستان. وسنواصل العمل مع جميع الأطراف المعنية لدعم وتسهيل عملية سلام شاملة.

رابعاً، يجتمع ممثلنا الخاص لكوريا الشمالية ستيف بيغون اليوم مع نظيره في جمهورية كوريا لتعزيز تنسيقنا الوثيق فيما يتعلق بالجهود الرامية إلى تحقيق هدفنا المشترك المتمثل في نزع السلاح النووي النهائي القابل للتحقق بشكل كامل على النحو الذي وافق عليه الرئيس كيم. هذه المناقشات اليوم مع جمهورية كوريا مهمة للغاية، وهي تناقش الجهود الدبلوماسية المستمرة واستمرار تطبيق عقوبات الأمم المتحدة والتعاون بين الكوريتين.

وأخيراً، لقد خرجت لتوي من اجتماع مع وزير الخارجية التركي جاويش أوغلو اليوم. لقد رحبت بالزخم الإيجابي في علاقتنا بعد إطلاق سراح القس برونسون وطالبت بإعادة فتح قنوات إضافية لمعالجة القضايا ذات الاهتمام المشترك. إننا لا نزال نشعر بالقلق الشديد إزاء استمرار احتجاج تركيا غير العادل للموظفين والمواطنين الأمريكيين العاملين محلياً، بما في ذلك عالم الفضاء ناسا سيركان غولج. كما ناقشنا أيضاً قضية خاشقجي، والحاجة إلى العمل معا لتهدئة الصراع في سوريا ودعم إعادة تنشيط عملية السلام التي تقودها الأمم المتحدة وتحقيق حل سلمي دائم للصراع السوري. وبهذا يسعدني تلقي بعض الأسئلة.

سؤال: بالتأكيد. السيد الوزير، أحد الأشياء التي يشير إليها الرئيس في بيانه هو مبادرة للأسلحة بقيمة ١١٠ مليارات دولار. لكن من خلال سجل وزارة الخارجية الخاص في تشرين الأول/أكتوبر، لم يصل سوى مبلغ ١٤,٥ مليار فقط. متى تتوقع أن ترى بقية الأموال من اتفاقية الأسلحة تلك؟

الوزير بومبيو: بعض هذه العقود، العقود الدفاعية على وجه الخصوص، هي نتيجة مفاوضات معقدة وطويلة الأجل. نحن نعمل باجتهاد على ما تبقى من هذه الأموال. ونأمل في الواقع أن تزيد هذه الأرقام في نهاية المطاف. لا أستطع أن أخبركم متى ستختتم هذه المفاوضات، لكننا نأمل أن يتم الانتهاء من كل تلك الالتزامات التي قدمتها المملكة العربية السعودية إلى الولايات المتحدة لشراء المعدات في الوقت المناسب.

سؤال: نعم، شكراً جزيلاً. السيد الوزير، استناداً إلى بيان الرئيس والمضي قدماً، فإن العلاقات مع المملكة العربية السعودية لن تتأثر بقتل جمال خاشقجي؟ وكيف يمكنكم التمييز بين المملكة وولي العهد؟

الوزير بومبيو: نعم. إنه عالم شرير، في الشرق الأوسط على وجه الخصوص. هناك مصالح أمريكية مهمة، للحفاظ على سلامة الشعب الأمريكي، لحماية الأمريكيين - ليس فقط الأمريكيين الموجودين هنا، ولكن الأمريكيين الذين

يسافرون ويعملون، ويمارسون أعمالهم في الشرق الأوسط. إن التزام الرئيس - بل واجب وزارة الخارجية أيضا - هو ضمان أننا نعد السياسات التي تعزز الأمن القومي لأمريكا.

وكما قال الرئيس اليوم، ستستمر الولايات المتحدة في إقامة علاقة مع المملكة العربية السعودية. هم شريك مهم لنا. سنعمل ذلك مع المملكة العربية السعودية وشعبها. هذا هو الالتزام الذي قدمه الرئيس اليوم. هذا بسيط. بالمناسبة، هذا التزام قديم وتاريخي، وهو التزام حيوي لأن أمريكا القومي. نحن مصممون على ضمان استمرارنا في التأكد من أننا نضع نصب أعيننا الشعب الأمريكي في جميع القرارات الاستراتيجية التي نتخذها بشأن مع من نعمل حول العالم.

سؤال: إذن، متابعة سريعة واحدة لذلك، ثم سؤال حول إيران. هل تعني أجندة "أمريكا أولاً" وضع المصالح التجارية الأمريكية قبل الاهتمام بحقوق الإنسان؟ ثم حول إيران، هل فكرتم في أي إجراءات محددة، عقوبات محددة، للضغط على إيران للإفراج عن المواطنين الأمريكيين المحتجزين هناك؟

الوزير بومبيو: إننا نشرك كل يوم، بالمعنى الحرفي للكلمة، في العمل على إعادة كل مواطن أمريكي معتقل بشكل خاطئ أو رهينة في كل مكان ما حول العالم. ومن المؤكد أن هذا يشمل بوب ليفنسون وكل أولئك الذين يحتجزهم النظام الإيراني. نحن مصممون على إعادتهم للوطن. وكما أوضح الرئيس ترامب، فإننا لن ندفع ثمناً مقابل عودتهم، لكننا مستعدون للعمل مع جميع أولئك الذين يمكنهم مساعدتنا في إعادة هؤلاء الأمريكيين إلى عائلاتهم والعودة إلى بلدنا. وفيما يتعلق بسؤالك الآخر، من الأفضل الإجابة عنه بالتحديث عما قمنا به بالفعل. لقد كان هناك جهد كبير فيما يتعلق بتقصي الحقائق عن وفاة جمال خاشقجي، وقد تم تخصيص الكثير من موارد الولايات المتحدة لتحديد الحقائق بأفضل ما لدينا من قدرة على تحديد ما حدث هناك بدقة.

لقد اتخذت الولايات المتحدة رداً قويا جدا. لقد فرضنا عقوبات على ١٧ شخصاً له صلة بهذا التحقيق. نحن ملتزمون في الوقت نفسه بالتأكد من أننا نضع مصالح الأمن القومي لأمريكا وجميع الإجراءات التي تتم في سياق القيام بالشيء الصحيح للتأكد من أن أمريكا تواصل ازدهارها وتنميتها. وعندما نفعل ذلك، فإن العالم سيكون أفضل حالاً أيضاً، كما أن الشرق الأوسط أفضل حالاً أيضاً.

سؤال: نعم، لقد ذكرت اجتماع ستيف بيغون مع نظيره الكوري الجنوبي. أردت فقط أن أسأل: ما هي الرسالة التي سيرسلها بيغون بشأن ما تود حكومة الولايات المتحدة أن ترى حكومة كوريا الجنوبية تفعله فيما يتعلق بتنسيق جهودها بين الكوريتين وجهود نزع السلاح النووي؟

الوزير بومبيو: إذن أعتقد أن هناك اتفاقاً تاماً بين الكوريين الجنوبيين وبيننا فيما يتعلق بكيفية المضي قدماً. لدينا الآن مجموعة عمل تضيء الطابع الرسمي على تلك العمليات بحيث يمكننا التأكد من أننا لا نتجاوز بعضنا بعضاً في الحديث، وأننا لا نتخذ إجراءً كما لا يتخذ الكوريون الجنوبيون إجراءً يكون الطرف الآخر غير مدرك له أو لم تتح له الفرصة للتعليق أو تقديم أفكاره حوله. وهذا هو الغرض من مجموعة العمل التي يقودها من طرفنا ستيفن بيغون. لقد أوضحنا لجمهورية كوريا أننا نريد التأكد من أن السلام في شبه الجزيرة ونزع السلاح النووي في كوريا الشمالية لن يؤثر على مسرة تحسن العلاقة المتبادلة بين الكوريتين، فنحن نرى الجانبين مترادفين، بينما نتحرك سوية، نعتبرها عمليات متوازنة وعلى القدر نفسه من الأهمية، وقد تم تصميم مجموعة العمل هذه للتأكد من استمرارها في البقاء على هذا النحو.

سؤال: مرحباً. الوزير بومبيو، لقد ذكرتم أنكم تجمعون كل هذه الحقائق. هل يعني تصريح الرئيس اليوم أن الجزء المتعلق بكشف الحقائق قد انتهى، وهل رأيتم التقييم الذي يتوقع أن يحصل عليه اليوم؟

الوزير بومبيو: لا يمكنني التعليق على مسائل الاستخبارات. أفضل أن أحيلك إلى مدير الأمن القومي كوتس أو إلى الـ CIA للتحدث عن مشكلات استخبارات معينة. من الواضح أن الحقائق سوف تستمر في الظهور. أنا واثق من ذلك. إنها الطريقة التي يعمل بها العالم.

سؤال: وبينما تظهر هذه الحقائق، هل ستمضون في اتخاذ إجراءات أخرى ضد أي شخص، حتى لو أظهر ذلك مسؤولية - الوزير بومبيو: لقد كنا واضحين فيما يتعلق بكيفية تعاملنا مع مجموعة البيانات التي تمكنا من الحصول عليها. عندما تمتلك أمريكا المعلومات التي تحتاجها، فإنها بالطبع ستقوم بالشيء الصحيح لحماية المصالح الأمريكية. ولقد قمنا بذلك في كل مرة.

نظام عالمي غير متناسق.. إلى أين يمضي؟

*إميل أمين

صحيفة (عمان) العمانية/ قضايا وآراء: ٢٤/١١/٢٠١٨

على مشارف نهاية عام يبدو العالم على شفا أكثر من حفرة والوقوع بات يسيرا جدا سيما وأن الملفات الخلافية والشقاقية أكثر من نظيرتها الوفاقية، ويصبح التساؤل إلى أين يمضي عالمنا؟ وما هي أبعاد المخاطر التي تتهدده؟ وكيف ستؤثر على حياة البشر في العقود القادمة؟ ولماذا انفك حبل الوصال الأممي في العقود الأخيرة بنوع خاص ومنذ بدايات الألفية الجديدة؟

يمكن القطع بأن أولئك الذين فرحوا بسقوط الاتحاد السوفييتي السابق، ربما أدركوا الآن أن رهاناتهم لم تكن صائبة، فالحياة جبلت على الثنائية الخلاقة منذ البداية، الليل والنهار، الشمس والقمر، الخير والشر.

والأمر نفسه انسحب منذ الأباء الأوائل على الممالك والامبراطوريات والتجمعات البشرية، فكانت هناك حضارات متباينة ولم يكن شرطا أن تتصارع فيما بينها، بل عرفت غالبيتها أنواعا عديدة من التعاون، منها ما قصته علينا كتب التاريخ وغيرها. وحين تبلورت الدول في شكلها النموذجي قبل ألفي عام تقريبا وجدت الامبراطورية الفارسية، وفي مواجهتها نظيرتها الرومانية، وامتدت سياقات المواجهات إلى أن بلغت الامبراطورية الفرنسية ومعها الانجليزية، ووصل الحال بالعالم إلى حلفي الناتو ووارسو بعد الحرب العالمية الثانية، الأمر الذي فرض نوعا من التوازن وأرسى علامات واضحة من التعاملات الدولية لم يقدر لاحدهما أن يخرقها انطلاقا من إدراكه للند المواجه له.

هذا النموذج الدولي تغير وبت العالم اليوم في حالة سيولة جيوسياسية، ولم تعد المظلة الأممية المعروفة باسم الأمم المتحدة قادرة أدبيا على الأقل أن ترفع من صوتها في مواجهة الخروقات التي تقوم بها القوى الدولية الكبرى، ولهذا لم يكن غريبا أو عجيبا أن يتساءل البعض هل المشهد الحالي يقودنا إلى القول إن نظام وشرعية الغاب قد عادا أو هما على الأرجح في طريق العودة مرة جديدة. ولعل السؤال الحقيقي بنا طرحه هل العالم على موعد مع تغير جذري في الأنظمة والمعارف والقوى المؤسساتية الحاكمة بعد نحو خمسة قرون من سيطرة الغرب بنوع خاص؟

الشاهد انه لا يمكننا ان نقدم جوابا شافيا وافيا على علامة الاستفهام المتقدمة ما لم نقف على المميزات التي قيضت للمعسكر الغربي انتصاراته الكثيرة، وربما في المقدمة منها المرونة الكبرى في أنماط إنتاج المعرفة، وإقامة الجسور المفتوحة من الثقافات العالمية والثقافة الشعبية أي بين ثقافة العوام وثقافة النخبة.

كما ان هناك ثمة إجماع على أن أساس تميز الغرب العمراني الجديد هو تقدمه العلمي والتكنولوجي القائم على نمط جديد من الوعي والتنظيم الاجتماعي، وقد أدى إعجاب غير الغربيين بهذه التجربة الفذة إلى محاولات التعرف عليها عن كثب كما فعل اثنان من الأمميين إن جاز التعبير الذين حاولوا التماهي مع التجربة الغربية.

أما الأول فهو الإمبراطور الياباني «ميج» في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي الذي أرسل الخبراء للتعلم من أوروبا.

فيما الثاني فهو والي مصر محمد علي باشا والذي قام بإرسال بعثات علمية إلى الدول الأوروبية أيضا وكان السبب في نهضة مصر الحديثة، فالكل كان يبحث عن سر نجاح الغرب وعن أساس هذا الإنجاز.

لم يكن العلم والتقدم الغربيين كما يشير إلى ذلك الدكتور السيد أمين شلبي في مؤلفه الشيق «رؤى عالمية»، ليحدث من دون أحد اهم المرتكزات في قيام ونشوء وارتقاء الأمم وهو الربح، وليس صدفة أن يعود أصل كلمة الربح Profit في اللغات الغربية إلى فعل Proficere باللغة اللاتينية الذي يعني التقدم، فكرة الربح مرتبطة عضويا في الذهنية الغربية بفكرة التقدم الاقتصادي والاجتماعي على حد سواء.

نجحت الدول الأوروبية التي كانت قلب التجربة الغربية الأممية وقبل ظهور الولايات المتحدة الأمريكية في الحصول على ثروات العالم القديم عبر استعمار مباشر، وراكمت ثروات غير مسبوقه مكنت لها من السيادة والريادة إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، غير انه لم يدر بخلد الغربيين ان الأيام دول كما يقال، وأن هناك خطوبا في الطريق لابد أن تجري بها المقادير، وأن يتحول قلب العالم من الغرب إلى الشرق.

السؤال المهم: ما الذي يدعونا إلى هذه القراءة القديمة الجديدة مرة أخرى وفي هذه الأوقات الملتهبة على الصعيد العالمي؟ خلال الأيام القليلة الماضية خرجت علينا وزارة الدفاع الأمريكية بأخبار ترتيبات لسحب نحو ٢٥٪ من القوات الخاصة بها المكلفة محاربة الإرهاب في القارة الإفريقية والمعروفة باسم قيادة أفريكوم، عطفًا على البدء في سحب عدد من جنودها المنتشرين في القارة السمراء ويبلغ عددهم نحو ٧٢٠٠ جندي خلال الأعوام الثلاثة القادمة أيضا.

ما الذي يجعل أمريكا تسحب جنودها على هذا النحو؟ وهل هي بداية الانعزالية التي خيل للعالم أن الرئيس دونالد ترامب هو من يقودها عبر سياسته التي ترفع شعار «أمريكا أولاً»، أم العكس هو الصحيح؟.

ربما يستدعي الأمر تذكير القارئ بان الرئيس الأمريكي، أي رئيس هو في واقع الحال ليس اكثر من منفذ لسياسات الدولة العميقة الأمريكية المكونة من أصحاب المصالح على اختلاف أسمائها، ولهذا فان السياسة التي تطفو على السطح لكل رئيس إنما تتساقق ولا شك مع خطوط طول وعرض تلك السياسات.

أمريكا منذ تسعينات القرن الماضي اتفقت فيما بينها على أن تتسيد العالم وأن يضحى القرن الحادي والعشرين قرنا أمريكيا بامتياز، غير ان تقديراتها ربما لم تأخذ في الحسبان عودة روسيا وصحوة الصين مرة جديدة، الأمر الذي يعيد التذكير بتحذيرات نابليون بوناپرت من عودة الصين إلى سماء الحياة الأمامية. انسحاب القوات الأمريكية من إفريقيا يبين لنا حالة الاضطراب الدولية، والسبب تقرير قام عليه اثنا عشر من كبار الشخصيات الأمريكية النافذة من ديمقراطيين وجمهوريين، أعد بطلب عاجل من الكونجرس الأمريكي عن وضع الامبراطورية الأمريكية في العقود التالية.

مفاجآت عدة كشفها التقرير في المقدمة منها ان واشنطن ربما تخسر حربا اذا واجهت روسيا أو الصين أو الاثنين معا، بل الأسوأ هو أنها لم تعد قادرة على خوض حربين في وقت واحد حول العالم بخلاف الأوضاع عندما سقط الاتحاد السوفيتي.

أما عن حديث الأرقام فيخبرنا به المعهد الدولي لأبحاث السلام في ستكهولم «سييري»، وفيه نجد انعكاسا لحالة العالم الذي عاد مرة جديدة إلى دائرة الصراع المسلح كأداة نهائية لفض النزاعات العالمية، وبصورة أسوأ مما كان عليه المشهد في زمن الحرب الباردة. تشير الأرقام إلى ان الموازنة السنوية للقوات المسلحة الأمريكية تبلغ ٧٦٠ مليار دولار، فيما موازنة الصين تصل إلى ٢٢٨ مليار دولار، وتبقى موازنة روسيا هي الأقل ٦٦ مليار دولار.

الأرقام المتقدمة حال فك شيفراتها تخبرنا بكلام كثير وقراءات مستقبلية عديدة، بمعنى انه وان كانت أمريكا حتى الساعة هي صاحبة الموازنة الأعلى إلا ان الصين التي باتت تهدد أمريكا وكما أشرنا مرات سابقة بتوازن الردع النقدي، تتسارع خطواتها وستلحق بأمريكا خلال العقد القادم وتتجاوزها في العقد الذي يليه، وبخاصة ان الرقم الحالي للإنفاق العسكري أعلى ثلاثين مرة مما كان عليه قبل عشر سنوات.

الصين هنا تعيد نجاحات أوروبا في القرون الوسطى حين نجحت في الحصول على موارد العالم الفقير والمستعمر بالقوة، والأمر المختلف ان الصين لا تباشر حروبا أو غزوات بقوة السلاح، وإنما بقوة منتجاتها التي غزت العالم وتسبب وجعا كبيرا في رأس الرئيس الأمريكي ترامب ولهذا فرض عليها جمارك تقدر بنحو ٦٠ مليار دولار وهو يدرك في قرارة نفسه انه ما من قوة تستطيع ان تكسر إرادة شعب أراد الحياة والانطلاق.

أما عن روسيا فحدث ولا حرج، فهي على الرغم من ضالة موازنتها العسكرية تجاه موازنة أمريكا التي تتجاوزها عشر مرات وأكثر، لا تزال مهددا كبيرا بترسانة صواريخها النووية القادرة على إبادة مناطق بأكملها حول العالم وتهديد الأمن والسلم الدوليين، عطفًا على تغير كفي في التفكير الروسي فقد باتت روسيا مرحبا بها في كثير من بقاع وأصقاع العالم من دون أيديولوجية شرسة لها مخالف وأنياب، كما أن أسلحتها الحديثة سيما الفرط صوتية منها بجانب المستحدثة جدا مثل الصاروخ سارامات جميعها تؤكد على أن روسيا عائدة بقوة إلى السماوات العالمية القطبية.

لن تقف أمريكا ساكنة وهي ترى العالم يتحرك على هذا النحو، ولهذا فإغلب الظن أننا مقبلون على عسكرة أمريكية بشكل غير اعتيادي سيما وان اللجنة المشار إليها سترفع إلى الكونجرس الأمريكي توصيات عريضة بشأن زيادة حجم الإنفاق العسكري، ذاك الذي سوف يستخدم في زيادة عدد الغواصات والقدرات الاستطلاعية للطيران، وعدد المقاتلات القاذفة، والأشباح بعيدة المدى، والمزيد من الدروع والصواريخ الدقيقة. أما عن الترسانة النووية الأمريكية فيوصي التقرير بالاهتمام بها وتحديثها لتضحي أصغر حجما وأكثر فاعلية، عطفًا على هذا كله فان هناك حديث عن برنامج القدرات الفضائية الأمريكية وهي قصة يطول شرحها وتحتاج إلى قراءة قائمة بذاتها.

هل أهملنا في هذه القراءة النظر إلى بؤرتين مهمتين للغاية حول العالم؟

بلا شك لا بد من العودة إلى أوروبا وموضعها وموقعها في هذا العالم غير المتناسق من جهة، واليابان التي سئمت من أن تكون تابعا للولايات المتحدة الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية من جهة أخرى.

والسؤال قبل الانصراف هل يعي العالم العربي والشرق أوسطي تحديدا أبعاد ما يدور من حولنا أم أن الكارثة الكبرى هي أننا وتقليديا كالأيتام على موائد اللئام إلا ما رحم ربك؟

*كاتب مصري

"الربيع العربي" يهاجر إلى أوروبا الديمقراطية

السترات الصفراء.. أيقونة الاحتجاج

صحيفة (العرب) اللندنية: ٢٤/١١/٢٠١٨

تصطدم تحركات الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون الطامح منذ اعتلائه سدة الحكم في الإليزيه إلى صناعة ما عجز عنه أجداده نابليون بونابرت وشارل ديغول في أن يكون الحارس الأوحده لأوروبا بعد توحيدها، بتفشي التحركات الاحتجاجية التي تقودها حركة السترات الصفراء في فرنسا لتشمل جنوب بلجيكا.

باريس - انطلقت الشراشات الأولى لما يعرف بحركة السترات الصفراء تحت يافطة الاحتجاج على زيادة أسعار الوقود في مناطق فرنسية محدودة، إلا أنها سرعان ما اجتاحت أنحاء فرنسا وجارتها بلجيكا ليتوسع نطاق المطالب للتنديد بالنظام الضريبي بصفة عامة وبترجع القدرة الشرائية للفرنسيين منذ بداية حكم ماكرون.

ورغم أن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون حاول تهدئة الوضع بدعوته من بلجيكا حيث يقوم بزيارة دولة إلى "الحوار" في محاولة لإقناع المتظاهرين ضد زيادة الرسوم على المحروقات لوضع حد لاحتجاجاتهم التي تشل حركة السير على الطرقات العامة وتمنع الوصول إلى مستودعات النفط، إلا أن ذلك لم يمنع العديد من المراقبين من الحديث عن وضع ربما مشابه إلى حد بعيد لما حصل من احتجاجات في دول الربيع العربي قبل ٨ سنوات خاصة مع وقوع المئات من الجرحى ووفاة متظاهر.

ولئن اعتبر ماكرون أنه من الطبيعي أن تجري احتجاجات، بتعمده مرة أخرى توضيح أن استراتيجية الحكومة الفرنسية هي "من جهة فرض المزيد من الضرائب على الطاقات الأحفورية، ومن جهة ثانية تقديم المزيد من الدعم للمعوزين"، فإن ذلك لم يمنع من توسع رقعة الاحتجاجات التي وصلت الأربعاء إلى جنوب بلجيكا ما دفع بوزير الداخلية البلجيكي جان جانبون إلى القول "لن نقبل بقطع الطرق السريعة أو بحصول تجاوزات".

مارين لوبان: لا ينبغي أن تخاف الحكومة من شعب خرج للتعبير عن غضبه بطريقة سلمية مارين لوبان: لا ينبغي أن تخاف الحكومة من شعب خرج للتعبير عن غضبه بطريقة سلمية

وتقدم حركة السترات الصفراء نفسها على أنها حركة شعبية مناهضة للفقراء، إلا أن بعض الأطراف السياسية في فرنسا وفي مقدمتها الحزب اليميني المتطرف والشعبوي الذي تقوده مارين لوبان توظف وفق الملاحظين الحراك الاجتماعي الاحتجاجي الذي تمدد في وقت قياسي بعدما أظهر آخر استطلاع للرأي أن ٧٠ بالمئة من الفرنسيين أعلنوا رغبتهم في تراجع الحكومة عن قرار الرفع الأخير لأسعار الوقود لإريك ماكرون وحركته "الجمهورية إلى الأمام". وبالتزامن مع ما تظهره استطلاعات الرأي المحلية والدولية من مخاطر الأحزاب الشعبوية على أوروبا، اقتنصت مارين لوبان زعيمة اليمين المتشدد، التي هُزمت على يد ماكرون في الجولة الثانية من الانتخابات الرئاسية الفرنسية، الفرصة لتؤكد على وقوفها اللامتناهي ودعمها لحركة السترات الصفراء، حيث قالت "لا ينبغي أن تخاف الحكومة من شعب فرنسا الذي خرج للتعبير عن غضبه بطريقة سلمية".

وبات استغلال الشعبويين لهذه التحركات الاحتجاجية، يجرج ماكرون وحزبه حيث ظهر رئيس الوزراء الفرنسي إدوار فيليب أمام نواب الحزب الحاكم "الجمهورية إلى الأمام" في محاولة لطمأنتهم بقوله "سننتصر بتماسكنا وثباتنا وتصميمنا".

وعلاوة على ما أظهره استطلاع للرأي الأحد أجرته مؤسسة "إيفوب بين يومي" من أن شعبية ماكرون تراجعت في الأسابيع القليلة الماضية مع استمرار الاحتجاجات في مختلف أنحاء البلاد في أحدث مؤشر على الاستياء من الإصلاحات الاقتصادية التي يقوم بها، فإن الرئيس الفرنسي المحارب للنزعات الشعبوية يجد نفسه أيضا أمام حقيقة أخرى أظهرها استطلاع رأي آخر أجرته صحيفة الغارديان، بالتعاون مع أكثر من ٣٠ من كبار علماء السياسة، تحدث عن كيفية تضاعف أصوات الشعبويين ثلاث مرات في أوروبا على مدى العقدين الماضيين.

ويشير نفس استطلاع الرأي إلى أن واحدا من بين أربعة أوروبيين صوت لصالح الشعبويين أي أن أكثر من ربع الأوروبيين صوتوا للشعبويين في الانتخابات الأخيرة بعدما تضاعف دور الأحزاب الشعبوية أكثر من ثلاث مرات في أوروبا خلال العشرين سنة الماضية، حيث حصلت هذه الأحزاب على ما يكفي من الأصوات لوضع قاداتها في مناصب حكومية في ١١ دولة وتحدي النظام السياسي القائم في جميع أنحاء القارة.

ويراهن الرئيس الفرنسي على إصلاح السياسة الأوروبية بتجنبيها المزيد من تفشي حكم الشعبويين، إلا أنه ظل وفق مراقبون غير قادر على تغيير الصورة النمطية للرئيس الذي لا يصغي لمتطلبات شعبه عبر تجاهله منذ توليه السلطة قبل ١٨ شهرا تنفيذ وعوده بتغيير صورة الاقتصاد وإصلاح المؤسسات، أو الدفع نحو القيام بسلسلة إصلاحات من بينها تخفيف قوانين التعيين والفصل من الوظائف، علاوة على تعنته بعدم الاعتراف بتقلص شعبيته في فرنسا وفي أوروبا.

ومن بين الدلالات اللافقة التي أفصح عنها استطلاع رأي الغارديان هو ذلك النمو المطرد في دعم الأحزاب الأوروبية الشعبوية، في ٣١ دولة أوروبية على مدار عقدين من الزمن.

ويقول ماس مود، أستاذ في جامعة جورجيا، "من المتوقع أن تبقى الأحزاب الشعبوية على هذا القدر من التقدم، رغم أنها ستكون أكثر تطرفا بشكل واضح، متسائلا: كيف تستجيب الأحزاب غير الشعبوية؟"

ورغم تكتيف الرئيس الفرنسي لسلسلة جولاته لدول الاتحاد الأوروبي، حيث زار ١٩ عضوا من بلدان الاتحاد الأوروبي في أقل من سنة ونصف إلا أن كل التطورات تسير بعكس تصورات الرامية لتخليص دول الاتحاد من كابوس الأحزاب الشعبوية.

ويتكهن العديد من المتابعين للشأن الأوروبي بأن ماكرون قد يفشل حتى بعد نجاحه في ضم المستشارية الألمانية أنجيلا ميركل إلى جبهته المتعددة الإبعاد أوروبيا ودوليا للوقوف أمام تصريحات الرئيس الأمريكي دونالد ترامب المستنزة لدول الاتحاد على تقديم شيء يذكر في انتخابات البرلمان الأوروبي القادمة عام ٢٠١٩.

ويعتبر ماتثيوس روجين، باحث في العلوم السياسية في جامعة أمستردام، أن "الشعبوية مثيرة وأن نجمها شهد صعودا منذ عام ٢٠١٦ عام استفتاء البريكست في بريطانيا وأن انتخاب دونالد ترامب ساهم في ذلك، مؤكدا أن صحيفة الغارديان نشرت حوالي ٣٠٠ مقالة تضمنت مصطلحات 'الشعبوية' وأنه في عام ٢٠١٥، تم استخدام هذه المصطلحات في حوالي ١٠٠٠ مقالة، وبعد عام واحد تضاعف هذا الرقم إلى ٢٠٠٠".

ومع تزايد استفهات الأروبيين عن دواعي صعود الأحزاب الشعبوية ودقهم لناقوس الخطر، يجيب روجين عن ذلك بتأكيد أن الدراسات الأكاديمية الحديثة أظهرت أن المواقف الشعبوية واسعة الانتشار في جميع أنحاء العالم الغربي وأن الناس يعتبرون أن المواطنين العاديين قد تعرضوا للخيانة أو الإهمال أو الاستغلال من قبل نخبة سياسية فاسدة.

لكنه يستدرك بقوله إن المواطنين ذوي المواقف القوية الشعبية لا يصوتون بالضرورة لحزب شعبي (في الواقع، فإن الكثير منهم لا يفعلون ذلك)، وأن هناك ظروف مختلفة تزيد من احتمال قيامهم بذلك.

حديث خليجي عن نظام جديد في العالم العربي!

*هدى الحسيني

صحيفة (الشرق الاوسط) : ٢٤/١١/٢٠١٨

اجتمع العالم كله تقريباً الأسبوع الماضي ولمدة يومين في «ملتقى أبوظبي الاستراتيجي» الخامس. هذا المنتدى الذي تترأسه سيدة ذات ثقافة عميقة وشاملة، وتملك الإصرار والمثابرة الدكتوراة ابتسام الكتبي، يزداد ثراءً عاماً بعد عام، ويضيف الكثير بحواراته الموسعة والجريئة إلى العالم العربي، وأصبح ينافس المنتديات الدولية. افتتحه أنور قرقاش، وزير الدولة للشؤون الخارجية، بالقول: إن هناك نظاماً جديداً والتغييرات في منطقتنا سريعة، وهناك بروز الصين والهند ودول الخليج. أصر على بناء مركز عربي معتدل مع دعم القوة العسكرية مرحباً بتحالف استراتيجي عربي، أما الدكتوراة الكتبي التي أنهت المؤتمر بوضع رؤى للمستقبل وسيناريوهات ببناء، فعندما سُئلت عن العسكرة في دولة أبوظبي، أجابت بأنها للدفاع عن أمنها القومي وعن القوة الناعمة، «لقد شاركت الإمارات في كل تحالف دولي قادته أمريكا باستثناء غزو العراق».

في الحلقة حول أمريكا تبين أن الانتخابات النصفية قد تضبط تحولات الرئيس الأمريكي دونالد ترمب نحو الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، وفيها قالت دانييل بليتك، من «معهد المشروع الأمريكي»: نحن مهتمون بالحد من تأثيرات إيران على الحوثيين، دعونا ننس السعودية، فإذا كان الكونغرس مهتماً بإنهاء الحرب في اليمن فيجب أن نتعامل مع العناصر التي أدت إلى هذه الحرب.

في الحلقة عن روسيا قال أندريه كورتونوف، من «المجلس الروسي للشؤون الدولية»، إن روسيا تعرف نقاط ضعفها وقوتها، هي تهدف إلى تغيير سياسة أمريكا في المنطقة. باستثمار ضئيل جداً أدت دوراً كبيراً في سوريا. هي الآن تفكر بـ استراتيجية الخروج فليديها مشكلات داخلية. إن عنوان اللعبة في روسيا سيكون الأمن بدل الرخاء والبقاء على قيد الحياة وليس التنمية. قال كورتونوف: لا أظن أن هناك شراكة استراتيجية بين إيران وروسيا. إيران مهمة بصفتها شريكاً في أفغانستان وبصفتها لاعباً محافظاً ومسؤولاً في آسيا الوسطى ولاعباً في قزوين. روسيا ستكون لاعباً في المنطقة وليس اللاعب.

وفي النقاش حول الصين وعمما إذا كانت قوة عالمية أم إقليمية، اعترف المتحاورون بأن الدولار هو العملة الأقوى في العالم، إنما الصين تتشارك حدودياً مع ١٤ دولة أبرزها روسيا، الحدود مستقرة إنما هناك «تعقيدات الجزر»، ولفهم مشروع «الطريق والحزام» يجب النظر إليه اقتصادياً مع بعد استراتيجي. العسكرة الصينية زادت في العشرين سنة الماضية، إنما القيادة في الصين تعرف أن صراعاً عسكرياً مع أمريكا سيكون كارثياً، لكن ستكون هناك منافسة بين الاثنين.

ووصلنا إلى صفقة القرن، قال دنيس روس، من «معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى»: إنه لا يعرف من أين أتت، ترمب قال عنها إنها الصفقة القصوى. عندما جاءت إدارة ترمب كان هناك تفهم في واشنطن بأن استراتيجية جديدة بدأت في المنطقة، لقد كان أوباما يعتبر أن إيران جزء من الحل وليست جزءاً من المشكلة. وأضاف روس، من أجل دفع العرب لتقبل الخطة يجب أن يكون فيها مصداقية وتحقيق للتطلعات الفلسطينية: ماذا فيها عن القدس وعن الدولة وليس عن اللاجئين. لا أحد يمكن أن يتحدث عن الخطة لأن أحداً لم يطلع عليها.

عمرو موسى قال في الندوة إن حل الوضع في الشرق الأوسط لا ينتهي بتغيير تصرفات إيران أو تركيا إذا لم تحل القضية الفلسطينية، إن أموراً كثيرة تجري على حسابنا. عندما سمعت ترمب يتحدث عن حل جذري تذكرت السياسات السابقة وكان فيها دنيس روس، كلها كانت تعمل على إدارة الأزمة وليس على الحل. هذه الصفقة فيها ٩٩ في المائة لصالح طرف واحد في المائة للطرف الآخر، نهايتها استبعاد القدس من أي حل وهذا خطأ بارز. إنها ستأتي مرة أخرى بالخيار الأردني على الطاولة أو تخلق خياراً مصريةً. على ذلك رد روس، عملت مع عمرو لسنوات ولم نتفق، واليوم ليس استثناءً. المحاولات السابقة لم تكن إدارة الصراع، الرئيس بيل كلينتون قدم حلاً. لا شك لديّ أنه لا يمكن إبعاد القضية الفلسطينية. إن قرار نقل السفارة الأمريكية إلى القدس جعل الكثيرين يعتقدون أنها الصفقة. الرئيس ترمب قال: إننا لا نحدد حدود الدولة. جاريد كوشنر وجيسون غرينبلات قالا هذه صفقة سيقبل كل طرف قسماً منها، وسيرفض قسماً آخر، ثم قبل تقديم الصفقة لا تستطيع أن ترفضها. يجب أن تُقدم مكتوبة حتى يقول العرب، مصر، والسعودية، والإمارات، والمغرب رأيهم. إذا رأوا فيها أنها توفر عاصمة في القدس الشرقية للفلسطينيين وقدمت حلاً عادلاً ومعتدلاً للفلسطينيين، سيكون فيها إذن شيء ما. الناس ينتقدون ما لا يعرفون.

رد عمرو موسى بأن «الصفقة يجب أن تقدم أيضاً للرأي العام العربي، وعلينا أن نتحضر للأسوأ». نحن الخبراء الذين يعرفون كيف يصوغون مسودة لخطة نحتاج إلى طاولة مستديرة تضم ١٢ شخصاً يكتبون ويضعون خطة ويدورون فيها على العالم. أماننا مسؤولية لوضع أفكار. هل تقبل يا دنيس بهذا الاقتراح؟ رد الأخير: أنا أعتقد أن الناس الذين لديهم خبرة يجب أن يلتقوا بهدوء. هناك قيمة في ذلك، إنما علينا أن نعطي فرصة لترمب، سيأتي بخطة. أعتقد أن الإدارة تنتظر موعد الانتخابات الإسرائيلية، فإذا تأخرت ستقدم الخطة. ثم أضاف: أما الشارع العربي ففي كل استفتاء يجري يقول يريدون المجيء إلى دولة الإمارات العربية المتحدة بحثاً عن عمل. الوضع الاقتصادي مهم. إذا كانت الخطة صحيحة فإنه سيكون لها فرصة.

ثم كان نقاش حول العالم العربي: المشي على الماء، حيث قال خالد بحاح، نائب رئيس الجمهورية اليمنية: ما زالت قضيتنا هي الدولة الوطنية. وقال محمود جبريل، رئيس الوزراء الليبي السابق: المفهوم للقوة أصبح مشكلة. أنا في ليبيا سميت قوة الضعف فيها الكثير من عناصر القوة. أما نبيل فهمي، فقال: إن الصحوات منذ ٢٠١٠ كان لها سلبيات وإيجابيات بدأت كتحرك لعمل وطني ثم أسوء استعمالها.

ثم كانت الندوة حول تركيا، حيث تبين أنه منذ صدمة رجب طيب إردوغان الرئيس التركي بعدم فوز الإخوان المسلمين في مصر اكتشف محدودية دور تركيا. ثم اكتشف أن كرد سوريا صاروا أفضل حلفاء لأمريكا في الحرب ضد «داعش». ربح الانتخابات، لكنه يشعر بمرارة لم تتحقق أحلامه لا في مصر ولا في سوريا. عندما انفجر الربيع العربي شعرت تركيا بأن حزاماً من الدول يحكمها الإخوان المسلمون سينشأ، ويمكن بالتالي لتركيا أن تقود هذا الحزام. لكنها كانت على خطأ. «في المدرسة تعلمنا أن العثمانيين جلبوا الاستقرار إلى الشرق الأوسط والبلقان، لكننا اكتشفنا في دول عربية كسفراء أن ما يتذكره الناس مختلف جداً عما تعتقده تركيا». إردوغان يعرف أهمية تحويل السياسة الخارجية إلى مكاسب داخلية «لا يعتبر نفسه ديكتاتوراً في حين يرى الديكتاتورية في مصر بعد مرسي». هو يصر على مزج الإخوان المسلمين في السلطة ولا يفهم كيف أن الغرب لا يستوعب أهمية الإخوان. الآن تحالف مع روسيا والصين على الطريق. ثم يقول أحد المشاركين: أحب أن أطمئن العرب أن العثمانيين انتهوا وليسوا بعائدين مهما هدد إردوغان.

في النهاية، كل الشكر لجهود الدكتورة ابتسام الكتبي، يمكن وصفها بالمرأة الجبارة. لقد أصبح «ملتقى أبوظبي الاستراتيجي» علامة مضيئة في عالمنا العربي. كان الغرب يعيب علينا أنه ليس لدينا منطديات سياسية تؤثر في سياسات العالم، اليوم صار الغربيون يتسابقون للمشاركة في مركز الإمارات للسياسات.

المرأة الحرة في مواجهة سلب الإرادة

*آلدار خليل

روناهي: ٢٥/١١/٢٠١٨

بالرغم من أن المرأة تمثل الجزء الأهم في المجتمع وكونها الأساس إلا إنها لم تحصل بعد على حريتها الحقيقية التي تضاهي دورها الهام والريادي في المجتمع، لقد حولتها الرأسمالية بحداتها المستهدفة لهويتها ووجودها إلى أداة وسلعة وباتت مقصداً للتجارة“ ما يُعيد إلى الأذهان بأن التطورات الشكلية التي يتم الحديث عنها في كل مناسبة أمام حقوق المرأة تظهر بأنها باطلة كون هناك دائماً ما يظهر للحفاظ على ما ورد من إجحاف بحق المرأة منذ قرون، فالإجراءات والعمليات المذكورة دامت بوجود سياسات الهيمنة من قبل الرأسمالية ومن يترجم رؤيتها وإن كان الظهور يدعي إنه حضاري ومتطور في بعض المواقع.

لا شك بأن جوهر الثورة الديمقراطية وإجراءات البحث عن تحقيق حرية المجتمع والعدالة فيه والتوجه الذي لازمه شعبنا طيلة عقود مضت ركزت بكل ما تملك من قوة ولا تزال على ضرورة تحقيق حرية المرأة“ كون المرأة بحالتها المقيدة وما يتم فرضه من ممارسات لا تتناسب مع حجم الدعوة من جهة، ومن جهة أخرى لا يمكن الحديث عن أي مجتمع حر، عادل، ديمقراطي مع وجود ما يعتم دور المرأة وحجم الدور الكبير لها في عملية البناء والتنظيم“ بمعنى لا يمكن أن يكون هناك أي مجتمع حر دون وجود المرأة الحرة. لكن“ من هي المرأة الحرة!؟

حرية المرأة تكمن في بناء دورها واستعادة كل ما تم حياكته ضدها من ممارسات التشويه والإنكار، الحرية الحقيقية تكمن في الاستقلالية بمعنى أن تتخذ المرأة ما تراه لنفسها بأنه الضروري والهام لكي تبقى وتحافظ على هويتها ووجودها بشكل قوي وليس الحرية في أن تكون المرأة مقلدة ومتقمصة للأدوار التي تم خداع المجتمعات بها على إنها حضارة وتقدم، وفي الوقت ذاته يتم سلب دور المرأة ووجودها تحت تلك التصنيفات، الفرق بين ما يسعى إليه شعبنا وبين كل النظريات التي تتحدث عن المرأة هو أن شعبنا في نضاله يسعى أن يُعيد للمرأة دورها وتأثيرها لا أن يتبع إجراءات مرسومة تجعلها سلعة ومادة لا أكثر.

تناول الديمقراطية بأبعاد كثيرة ومن ثم القيام بأمر متناقضة تحت المصطلح المذكور لا يفيد بالوصول أو تحقيق الديمقراطية الحقيقية التي يتم البحث عنها، الذهنية الذكورية وقوانينها المفروضة على المجتمعات جعلتها تتبنى طقوس وعادات تطورت في بعض الأماكن إلى أن تحولت المرأة بفعل ذلك إلى عنصر غريب في حال لم تواكب ذلك مع العلم إنه في المواقف تتجرد المرأة عن حقيقتها وبذلك تضيع وهذا جزء كبير من المخططات التي تم التطرق إليها.

في إسقاط واقعي على حال مجتمعنا اليوم تم التركيز على جوانب من دافع التأثر وترك ما هو هام والمؤدي لتحقيق حرية المرأة عامل سلبي ومعيق لمسيرتها نحو الحرية" بمعنى في الواقع الذي تعيشه المرأة وحينما يكون ذلك الواقع مليء بحالات العزل والتعامل على أساس الحاجة والنظر إلى المرأة على إنها ذات وظيفة محددة ومختصرة في البيت والإنجاب" فإننا نحتاج لأن نبحث عن سبل التحرر وليس التشابه أو تقليد أحد في الجوانب التي هم يسمونها على إنها تطور" فالتشخيص هنا هو المهم وليس التقليد.

في حادثة مضت تناول البعض ما تم إطلاقه من نقد على الأسلوب أو الأداء الذي روجّه البعض على إنه جهد في إنقاذ المرأة، حيث ربط البعض الأمور بزوايا واختلافات لا تنم عن المعالجة وإنما عن الضعف الحقيقي لفهم واقعنا الموجود، حينما نفهم الواقع علينا أن نبدع في معالجة المشكلات لا أن نستورد حلول أو تجارب ونظهرها من خلال أدائنا على أننا نعالج العوائق" في الواقع الذي تكون الهوية فيه مستهدفة الأذى على سبيل المثال ليست طريقاً للمقاومة وخاصة حينما يتم الخلط فيه بين التراث والهوية . المستهدفين . وبين مواكبة التطور المصنوع لأجل غايات شتى، المثال ذاته بالنسبة للدفاع عن المرأة بتبني نظريات تسويقية للجمال" كيف يمكن الحديث عن الجمال وهناك من يفرض التشويه؟!.

في كل المواقع والأماكن تبقى الشريعة المثقفة، الواعية، المتطلعة نحو تطوير مجتمعاتها محط احترام وتقدير" كون الشريعة المذكورة الأكثر قدرة على تشخيص حاجة ونواتج المجتمع.

لذا" حينما يكون هناك فارق وهامش بين الشريعة المثقفة أو لنقل البعض منهم وبين المجتمع" فإن التشخيص حينها يكون سلبياً كون الابتعاد عن الواقع يزيد احتمالات التأثر لا التأثير. نحن نؤمن بأن المرأة يجب أن تكون حرة ومن حقها أن تكون كما تشاء.

ولكن" بالمشيئة التي لا تصبح فيها سلعة أو متاعاً لكل من يُريد استيراد تجارب التجارة بالمرأة في مجتمعنا، لماذا لا يسمي أحد تحرير آلاف النساء من بطش داعش بأنه خطوة لإحقاق حقوق المرأة، لا بل الدفاع حتى الموت عنها؟! أليس التحرير آنذاك والآن هو بحد ذاته إنقاذ لجمال المرأة لتبقى؟ لماذا لم ير أحد آلاف النساء المكتظة بالمنازل وخلف الجدران بأنه إهانة؟ اليوم على عكس ذلك وبضعف العدد المذكور هناك منهن من تدافع، تعمل، تدير، تؤسس وتعلم الأجيال.

لذا" وبكل بساطة الفرق بين أن تكون المرأة سلعة وأن تكون حرة مسافة كبيرة يفهما من يفهم مجتمعه ويتجاهلها من لم يفهم حقيقة مجتمعه بعد، الدفاع عن المرأة يكون بإيجاد دورها في مجتمعها وليس في عرضها على إنها مادة للعرض لتصبح بدون هوية أو حتى بهوية مزيفة.

سلطنة عُمان: محاولات للفهم

*مالك العثامنة

الحررة/ شبكة الشرق الأوسط للإرسال (أم. بي. أن): ٢٥/١١/٢٠١٨

ليس من السهل على أي كاتب أو باحث يهدف إلى البحث عن مفاتيح فهم لسلطنة عُمان أن يجد المادة بترف وافر على مواقع البحث باللغة العربية. عُمان عصية على الفهم بقدر ما هي مفتوحة وبسيطة" وهو ما يذكرني بمقولة بوشكين عن روسيا والتي تنطبق على عُمان حين قال: ذلك لغزها الغامض، غموض ليس فيه أسرار. نافذتان سخيستان كانتا على الدوام عندي الوحيدتين، للإطالة على عُمان، تلفزيونها الوطني الذي عادة ما يبث آخر الليل سمفونيات عالمية بأداء رفيع تقدمه الأوركسترا العمانية! ومجلة "نزوى" التي كانت ولا تزال من المجالات الثقافية والأدبية الرصينة والملتزمة ويترأس تحريرها الشاعر العماني الأشهر خارج السلطنة، سيف الرحبي. سيف الرحبي نفسه الذي باح ذات لقاء صحافي معه، بأن المشكلة الأساسية في عُمان، أن تراثها الكلاسيكي والحديث تراث خلاق، لم يقرأه العرب جيدا!

رسخت السلطنة طوال سنوات طويلة فكرة أنها وسيط وليس طرفا، في أي أزمة إقليمية أو دولية وهذا صحيح.. فعُمان المفتوحة على العالم بإطلالتها المحيطية "الهادئة"، هي ذاتها عُمان التي تطل على داخل العالم العربي بعين "عالمية" حذرة، ولعل تلك الرؤية هي التي استطاعت أن تنأى بالسلطنة العربية (بتراثها العربي القح) عن التيه في أزمات العالم العربي وتعقيداته.

وعُمان أيضا بتاريخها الحديث، خارجة عن سياق التاريخ العربي الحديث بنسخته الكلاسيكية المتعلقة بالتححر من الاستعمار وتداعيات هذا التححر الذي أنتج فيما أنتج أنظمة "تقدمية ثورية" لم تتقدم ولم تشر إلا على شعوبها" فعُمان التي كانت تحت الاحتلال البرتغالي تخلصت منه بحرب وطنية شاملة عام ١٦٥٠، وعاشت استقلالها من كل احتلال أجنبي منذ ذلك الوقت وقد تخلصت من عقدة "المستعمر الغاشم" بل وكانت تبني علاقات دولية رسمية وضمن أصول البروتوكول الدبلوماسي مع أول نشأة الولايات المتحدة الأمريكية.

هذا ما تيسر لي تكثيفه من مفاتيح فهم، بالإضافة إلى مخزون ثقافي كامن في العقل الباطن، كانت زوادته الأخبار وكثير من قصص بطولية عن مقاومة الاحتلال البرتغالي أذكرها من مناهج الدراسة في ثمانينيات القرن الماضي في مدارس دولة الإمارات العربية المتحدة. ولطالما لفتت انتباهي الأخبار من عُمان . على قلتها . خصوصا حين تظهر من حيث لا يتوقع أحد في مفصل أزمة إقليمية أو دولية، ظهورا دبلوماسيا مفاجئا وهادئا، وتختفي كما ظهرت بكل هدوء.



من هنا، يمكن تنظيف المشهد من الصيد العكر في إطلالة عُمان الأخيرة على المشهد السياسي الإقليمي، حين استقبلت مسقط بسلطانها الهادئ ذي الصمت البليغ، رئيس وزراء إسرائيل، بنيامين نتانياهو، وكانت صور اللقاء توحى ببساطة وعفوية لا تتردد مسقط في بثها بلا تحفظات، خصوصا صور السلطان الذي كان بصحة جيدة وهو يرافق ضيفه الإسرائيلي وزوجته في ردهات القصر السلطاني ويتفحصان خارطة على الحائط. تلك صور لها دلالات متعددة، وبرقيات تتقن السلطنة صناعتها، والمشكلة دوما في نوايا المتلقي.

سلطنة عمان في يومها الوطني الـ٤٨.. تحركات سياسية لإحلال السلام

وكالات متعددة: ٢٥/١١/٢٠١٨

مع ذكرى اليوم الوطني العُماني الـ٤٨ في الـ١٨ من نوفمبر/تشرين الثاني من كل عام، تبرز التحركات السياسية العُمانية الرامية إلى إحلال السلام والحفاظ على استقرار منطقة الشرق الأوسط، من خلال اتصالات وزيارات على أرفع المستويات وما تبذله من مساع حميدة من أجل الإسهام في حل المشكلات والصراعات الجارية في المنطقة عبر الحوار والطرق السلمية. وبهذه المناسبة سلطت وكالة الأنباء العُمانية الضوء على جهود السلطان قابوس ورؤيته المستنيرة وقراءته الواعية لما يحدث في العالم وعمله على تهيئة أفضل نظام للسلام وحل المشكلات في المنطقة عبر الحوار، وبناء أفضل العلاقات بين دولها وشعوبها في إطار قواعد القانون والشرعية الدولية ومبادئ حسن الجوار، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية وعدم اللجوء إلى القوة أو التهديد بها لحل الخلافات والنزاعات الدولية.

وقالت إن عُمان القوية بقيادتها وأبنائها كانت وستظل صمام أمان وركيزة للأمن والاستقرار والسلام في الخليج والمنطقة العربية والشرق الأوسط من حولها، وإن ما شهدته وتشهده السلطنة من تحركات واتصالات وزيارات على أرفع المستويات، وما تبذله من مساع حميدة من أجل الإسهام في حل المشكلات والصراعات الجارية في المنطقة عبر الحوار والطرق السلمية ينطوي على دلالات بالغة أهمها ما يتمتع به السلطان قابوس من تقدير ومكانة رفيعة على كل المستويات الرسمية والشعبية، وحرص كثيرين في المنطقة والعالم على الاستماع إلى تقييمه ورؤيته لمختلف التطورات والاستفادة من حكمته لدفع مسارات السلام. وأضافت أن السلام الذي تتطلع إليه شعوب المنطقة وتستعجل السير في مساراته اليوم قبل الغد ليس فقط بالنسبة للقضية الفلسطينية وضرورة التوصل إلى حل عادل وشامل لها في إطار عمل الدولتين، ولكن أيضاً بالنسبة لمختلف المشكلات والأزمات الراهنة في المنطقة التي عانت وتعاني منها شعوبها. وأوضحت أن الإيمان العميق للسلطان قابوس بأهمية وضرورة العمل على تحقيق السلام والأمن والاستقرار لدول وشعوب المنطقة، كسبيل لتمكينها من بناء حاضرها ومستقبلها وصنع التقدم والرخاء لأبنائها وأجيالها المقبلة، قد أسهم في بلورة هذه الرؤية، سواء على صعيد تحقيق التنمية المستدامة لعُمان الدولة والمجتمع والمواطن وإسعاده، أو على صعيد بناء علاقات عمان ومواقفها حيال مختلف التطورات الخليجية والإقليمية والدولية. وما له دلالة في هذا المجال أنه في الوقت الذي تشهد فيه السلطنة زخماً كبيراً في تحركاتها السياسية وتطوير علاقاتها مع الدول الأخرى شقيقة وصديقة، تم الإعلان عن الشراكة الاستراتيجية بين السلطنة وجمهورية الصين الشعبية الصديقة في ٢٥ مايو/أيار ٢٠١٨ بمناسبة الاحتفال بمرور ٤٠ عاماً على العلاقات الدبلوماسية بين البلدين. وذكرت الوكالة أنه من بين التحركات السياسية المهمة زيارة الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي "زيارة دولة" للسلطنة في ٤ فبراير/شباط ٢٠١٨، وزيارة الرئيس الفلسطيني محمود عباس في ٢١ أكتوبر/تشرين الأول الماضي، وزيارة ناريندرا مودي رئيس وزراء الهند في ١١ فبراير/شباط الماضي، إضافة إلى زيارة بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل للسلطنة في ٢٥ أكتوبر الماضي/تشرين الأول.

ومن الناحية الأمنية والعسكرية، نوهت الوكالة العمانية بالتمارين الوطني "الشموخ ٢" والتمارين المشتركة العمانية البريطانية "السيف السريع ٣" بين قوات السلطان المسلحة والقوات المسلحة الملكية البريطانية، خلال شهر أكتوبر/تشرين الأول الماضي. كما ذكرت أن التمرين الوطني "الشموخ ٢" الذي شاركت فيه وحدات من قوات السلطان المسلحة والحرس السلطاني العُماني وشرطة عُمان السلطانية والجهات العسكرية والأمنية والمدنية الأخرى جاهزية كل مؤسسات الدولة العسكرية والأمنية والمدنية وقدرتها على العمل والتعاون الوثيق قيادة واحدة لمواجهة أي تطورات، كما أكد التمرين العُماني البريطاني المشترك "السيف السريع ٣" الكفاءة القتالية العالية لقوات السلطان المسلحة وكفاءة التخطيط والتنفيذ والانضباط التام للجنود، كما أكد القدرة على العمل بتناغم وتعاون وثيق مع القوات المسلحة البريطانية الصديقة. واختتمت تقريرها الذي تضمن أيضاً جوانب وإنجازات اقتصادية واجتماعية، بالتأكيد على أن مناسبة الاحتفال بالعيد الوطني الثامن والأربعين تعد فرصة مناسبة ليجدد أبناء الشعب العُماني فيها الولاء والعرفان للسلطان قابوس الذي يواصل مسيرة النهضة العمانية الحديثة بقوة وثقة نحو مستقبل مشرق لعُمان والمجتمع والمواطن ولصالح السلام والاستقرار في المنطقة وتطوير علاقاتها على نحو يحقق المصالح المشتركة والمتبادلة مع الدول الأخرى ولصالح المنطقة.

تحالفات وتشابكات المنطقة تتغير..

بعد انتقادات طويلة لسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، أوجز الرئيس دونالد ترامب الخطوط العريضة لنهج جديد للمنطقة. وفي الشهر الماضي، كشفت إدارته عن استراتيجيتها الجديدة في سوريا، في إشارة إلى خروجها عن مهمة ركزت على مواجهة الدولة الإسلامية (أو داعش) إلى هدف يعمل على احتواء إيران. لكن هذه الخطط الجديدة لا تعتبر تحدياً حاسماً: التحولات المتغيرة في المنطقة، اشتدت بعد مقتل الصحفي السعودي جمال خاشقجي في القنصلية السعودية في إسطنبول.

منذ فترة طويلة تحولت عمليات التوفيق في الشرق الأوسط إلى صفائح تكتونية. على مدى عقود، تنافست القوى الإقليمية -ولا سيما إيران والعراق وإسرائيل والمملكة العربية السعودية وتركيا- لتحقيق أقصى قدر من السلطة على خلفية تدخلات روسيا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة فيما بعد. حتى وقت قريب، كانت الولايات المتحدة وحلفاؤها الإقليميون -إسرائيل، أغلبية دول الخليج العربية وتركيا- قد انحازوا ضد إيران. في أعقاب الاتفاق النووي الإيراني لعام ٢٠١٥، بدا من المؤكد أن هذه القوى الإقليمية المدعومة من واشنطن، ستنتج في عزل نظام الماللي، لكن عوامل محلية وإقليمية ودولية لا تعد ولا تحصى قد تضارفت لتفادي هذا الوضع القائم منذ زمن طويل. وكانت النتيجة الأكثر أهمية لهذه التطورات هي انجراف تركيا بعيداً عن الولايات المتحدة وبتجاه إيران وروسيا.

هناك عدة أسباب لتوافق أنقرة الناشئ مع طهران وموسكو. أولاً، صعود رجب طيب أردوغان إلى الرئاسة التركية في عام ٢٠١٤ -وهي خطوة شكلت توطيد سلطته بعد أكثر من عقد من الزمن كرئيس للوزراء - أشار إلى تحول في سياسة البلاد. قام "أردوغان" بتمكين الفصائل الدينية وحرك البلاد بعيداً عن العلمانية في أنقرة، والتي يعود تاريخها إلى مؤسسها كمال أتاتورك، في أوائل القرن العشرين. تشترك رؤية "أردوغان" للعالم في العديد من المبادئ مع تلك الخاصة بالجمهورية الإيرانية وروسيا. ومثل موسكو وطهران، أصبحت أنقرة الآن معادية للغرب أكثر من أي وقت مضى في الذاكرة الحديثة. وبهذا المعنى، فإن تركيا تنحرف عن منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو) وتجاه القوتين الأخرتين.

تشكل معتقدات "أردوغان" تصوره عن النظام الإقليمي. يبدو أن الرئيس التركي ينظر إلى نفسه على أنه سلطان العصر الحديث، والوريث الشرعي للقيادة السنية. لقد ذهب إلى حد الادعاء بأن "تركيا هي البلد الوحيد القادر على قيادة العالم الإسلامي". وهذا يجعل بيت آل سعود أقل قابلية لأن يكون حليفاً لتركيا، بل وأكثر منافساً. إن مقتل "خاشقجي" هو الأحدث في سلسلة من التطورات التي فاقمت التوترات بين تركيا والمملكة العربية السعودية. والواقع أن جريمة خاشقجي ليست سوى أحدث حلقة في سلسلة من التطورات التي فاقمت التوترات بين تركيا والسعودية. في الصدد المستمر في الخليج العربي، حيث قطعت المملكة العربية السعودية وحلفاؤها علاقاتها مع قطر (ظاهرياً بسبب السياسة الخارجية الحازمة والمستقلة في قطر، ولكن في الواقع بسبب التوترات المتزايدة الناجمة عن النهج السعودي تجاه إيران والحرب في اليمن)، انضمت أنقرة إلى طهران في دعم الدوحة. بالنسبة لتركيا، كانت الدولة الخليجية حليفاً هاماً تتوافق نظرتها الإقليمية مع نظرتها الخاصة. كما كانت العلاقات الاقتصادية بين البلدين مهمة لأنقرة. حتى قبل الأزمة، كانت تركيا قد وقعت على بروتوكول عسكري مع قطر وفتحت أول قاعدة عسكرية لها في المنطقة في عام ٢٠١٥. وفي الآونة الأخيرة، وقعت تركيا صفقة لشراء أنظمة الصواريخ S-400 الروسية الصنع، مما دفع وزير الدفاع الأمريكي جيمس ماتيس إلى تحذير تركيا من أنه يجب إعادة النظر في هذه الخطوة، لأن حلف الناتو لن يكون قادراً على دمج هذه الأسلحة في صفوف أعضائه.

لقد حدثت هذه التطورات على خلفية الصراع السوري، حيث ظلت الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية متحدة من خلال شراكة طويلة الأمد، عداوة كل منهما لإيران، والحرب المستمرة في اليمن. بالنسبة لتركيا، يبدو الارتباط بين إيران وروسيا الآن أكثر ملاءمة من حلف الناتو. انقرة مشغولة باستقرار سوريا، حتى لو كان ذلك يعني بقاء الرئيس بشار الأسد في السلطة. هذا الهدف يتوافق مع الأهداف الإيرانية والروسية. لقد عملت موسكو وطهران معاً في سوريا بشكل وثيق -حيث قدمت روسيا غطاءً جويًا للقوات البرية الإيرانية- لتأمين قبضة الأسد على السلطة ووضعها الإقليمي. إن كلا من تركيا وإيران لهما مصلحة في الحفاظ على وحدة أراضي سوريا، الأمر الذي يمكن أن يساعدهما على تفادي التشرذم الإقليمي المحتمل وفشل الدولة الذي يمكن أن ينتشر ويهدد بقاءهما.

كما يبدو أن تركيا أكثر قلقاً بشأن الكرد من قلقها إزاء داعش، وهو عامل آخر يجعل تركيا أكثر توازياً مع إيران وروسيا منه مع الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية. ربما تكون إيران في وضع أفضل من الولايات المتحدة وحلف الناتو للمساعدة في تهدئة المخاوف التركية بشأن مستقبل الكرد. وعلى الرغم من عدم رغبة أي حزب في رؤية الكرد منقسمين عن دولته، يبدو أن إيران -مثل تركيا- تشعر بأنها مهددة بشكل كبير من قبل السكان الكرد الذين يتمتعون بالسلطة. بالنسبة لكل من إيران وتركيا، فإن تمزق سوريا والانفصال الكردي عن البلاد، قد يؤدي إلى منحدر زلق يشجع سكانها الكرد ويهدد سلامة أراضيهم ووحدتهم الوطنية.

وفي الوقت نفسه، يوفر وجود "داعش" المتبقي لرباعي أنقرة وطهران وموسكو ودمشق ذريعة لإبقاء قواتها نشطة على الأرض. هذا لا يعني أن هذه العواصم لا تعتبر بشكل ما مشروع "داعش" تهديداً. بدلاً من ذلك، يرون فرصة في وجود تنظيم داعش ضعيف يتم تقليل سيطرته وقدراته الإقليمية إلى حد كبير، مما يسمح لهم بتبرير جهودهم العسكرية المستمرة والعدوانية في بعض الأحيان. في الواقع، يطور "أردوغان" علاقات أوثق مع جبهة تحرير الشام وهي فرع تنظيم القاعدة. الجماعة الإرهابية المرتبطة بشكل رئيسي في سوريا ويبلغ عدد مقاتليها حوالي ١٠ آلاف مقاتل. ويعتقد أن المجموعة، بحسب ما يعتقد أردوغان، يمكن أن توجه ضد وحدات حماية الشعب (YPG)، وهي قوة كردية يرى الأتراك أنها مدعومة بالجهود الأمريكية والسعودية في سوريا.

من المؤكد أن إيران وروسيا وتركيا لا تزالان تعانين من عدم ثقة بعضها ببعض. وانعدام الثقة هذا متأصل في تاريخ من التنافس. فبعد كل شيء، حاربت الدول الثلاث بعضها البعض في حروب مدمرة وتنافست على السلطة في المنطقة. في الوقت نفسه، لديهم حالياً عدد من الاهتمامات المشتركة ومفاهيم التهديد المشترك، مما يؤدي بهم إلى العمل معاً بشكل وثيق في العديد من المجالات، بما في ذلك في المجالات العسكرية والاقتصادية.

في مستنقع السياسة الجيوسياسية في الشرق الأوسط، يبدو أن تركيا هي الراح الأكبر، وتستفيد من هذا الوضع لتحسين صورتها في العالم الإسلامي كدولة قائدة مستعدة للوقوف في وجه المملكة العربية السعودية -التي ترتبط علاقتها الوثيقة مع إسرائيل ودورها الرائد في العالم العربي- بحرب كارثية في اليمن شوّهت سمعتها. يبدو أن أنقرة تلعب على جانبي الصراع السوري، ربما في محاولة لتعظيم نفوذها في المفاوضات المستقبلية. في الواقع، يعتمد نجاح سياسة الولايات المتحدة في سوريا جزئياً على تركيا. ونتيجة لذلك، يجب أن تفهم واشنطن الأهداف الإقليمية الرئيسية لتركيا وأن تقيم قدرة حلف الناتو على إحباط تحول غير مرغوب فيه في ميزان القوى الإقليمي.

من المرجح أن تؤثر إعادة تنظيم تركيا المزعومة لتوجهاتها على الحملة الأمريكية الجديدة في سوريا واستمرار سياسة واشنطن في الشرق الأوسط ككل. رداً على هذا التطور، ينبغي على الولايات المتحدة أن تفكر في استخدام مقعدها على الطاولة لإظهار أن لديها الوسائل والإرادة السياسية على حد سواء للمساهمة في استقرار سوريا. يجب أن يشير ذلك إلى أنه يمكنها أن تكون وسيطاً نزيهاً -على الرغم من أنه من المحتمل أن يكون هذا صعباً في تقبله، نظراً لأن أي اتفاق سلام قابل للتطبيق تقريباً سيتربك "الأسد" في مكانه. لقد ارتكب "الأسد" فظائع لا حصر لها، بما في ذلك استخدام الأسلحة الكيميائية ضد شعبه، لكن احتمالات قيام الولايات المتحدة بإزاحته من السلطة أصبحت قائمة بشكل متزايد. بدلاً من التركيز على الإطاحة بـ "الأسد"، يجب على إدارة ترامب النظر إلى الصورة الأكبر وتأمين المصالح الأمريكية في المنطقة. لا يمكن لسوريا أن تبقى ملاذاً آمناً للجماعات الإرهابية الدولية للتخطيط لهجمات في جميع أنحاء العالم -كما فعلوا مؤخراً من خلال مؤامرات تم إحباطها استهدفت ألمانيا وهولندا.

مع تزايد التقارير عن الأحداث المحيطة بوفاة خاشقجي، قدمت السعودية ١٠٠ مليون دولار إلى الولايات المتحدة للمساعدة في استقرار سوريا. لكن يبدو أن الرياض لن تكون قادرة على شق طريقها للخروج من هذا الوضع. قد يكون هذا المال كافياً لإطالة العلاقات بين الولايات المتحدة والسعودية لفترة أطول. لكنها لن تفعل الكثير لإيقاف زخم المشهد الجيوسياسي المتحول بسرعة، حيث تظهر إيران وروسيا وتركيا كتكتلة متماسكة. يمكن أن تتسق هذه الدول الثلاث -المتجذرة في المصالح المشتركة في سوريا- في هذا المسرح المحدد وتؤدي إلى إعادة تنظيم أكثر جوهرية للسلطة والتحالفات في جميع أنحاء المنطقة، مع آثار طويلة الأجل بالنسبة للولايات المتحدة.

*ترجمة: المركز الكردي للدراسات

رئيس المفوضية يعتبره "مأساة"

الأوروبيون يصادقون على اتفاق انفصال بريطانيا

ماي: إنه اتفاق لمستقبل أكثر إشراقاً يُتيح لنا اغتنام الفرص أمامنا

اعداد: الانصات المركزي: ٢٥/١١/٢٠١٨

صادق قادة الدول الأوروبية في بروكسل الأحد، على اتفاق تاريخي حول انسحاب المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي، الامر الذي وصفه رئيس المفوضية الأوروبية جان كلود يونكر بأنه "مأساة" بعد علاقات مضطربة استمرت أكثر من أربعين عاما.

وبعد نصف ساعة فقط من بدء القمة الاستثنائية، أعلن رئيس المجلس الأوروبي في تغريدة على تويتر أن الدول الـ ٢٧ "أقرت اتفاق الانسحاب والإعلان السياسي حول العلاقات المستقبلية" بين الجانبين. وحددت هذه العلاقة الخاصة في "إعلان سياسي" منفصل عن اتفاق خروج بريطانيا صادق عليه المجلس الأوروبي أيضا ويؤكد أن الاتحاد سيعمل على إرساء "أقرب علاقة ممكنة" مع لندن بعد بريكست. وقال يونكر "إنه يوم حزين. خروج بريطانيا أو أي دولة أخرى من الاتحاد الأوروبي لا يدعو للاحتفال ولا للاحتفال، إنها لحظة حزينة، إنها مأساة".

من جهته، أكد كبير المفاوضين الأوروبيين في ملف بريكست ميشال بارنييه الأحد أن الاتحاد الأوروبي سيبقى "شريكا وصديقا" للمملكة المتحدة بعد بريكست. وقال إنه عمل خلال المفاوضات "الشديدة الصعوبة والتعقيد (... مع المملكة المتحدة (ولم يعمل) إطلاقا ضدها"، داعيا "الجميع الى الاضطلاع بمسؤولياتهم". وكانت رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماي التي وصلت إلى بروكسل مساء السبت، أكدت في "رسالة إلى الأمة" الأحد أنه "اتفاق من أجل مستقبل أفضل يسمح لنا بانتهاز الفرص التي تنتظرنا". وصرح رئيس الوزراء الهولندي مارك روتي "أعتقد أن تيريزا ماي بذلت جهودا كبيرة من أجل اتفاق جيد وبالنسبة للاتحاد الأوروبي إنها نتيجة مقبولة".

"ضعف" الاتحاد الأوروبي

شكر قادة الدول الـ ٢٧ كبير المفاوضين بارنييه "على الجهود المضنية" وعلى "مساهمته في الحفاظ على الوحدة بين الدول الـ ٢٧ الأعضاء طوال فترة المفاوضات" مع لندن. ورأى الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون أن بريكست يشكل دليلا على أن الاتحاد الأوروبي بحاجة إلى "إعادة تأسيس". وقال "إنها لحظة حرجة للاتحاد الأوروبي" الذي يحتاج إلى "إعادة تأسيس". وأضاف "هذا يكشف أن الاتحاد الأوروبي "يعاني ضعفا" لكنه "قابل للتحسين"، واصفا الاتفاق مع لندن بـ "الجيد".

وكان توسك قال في رسالة الدعوة إلى القمة "لم يكن أحد يريد إلحاق الهزيمة بأحد، بل كنا جميعا نبحث عن اتفاق عادل. أعتقد أننا توصلنا في نهاية الأمر إلى أفضل تسوية ممكنة"، معربا عن ارتياحه لأن الدول الـ ٢٧ "اجتازت بنجاح اختبار الوحدة والتضامن".

لكن هذه الوحدة تصدعت في الأيام الأخيرة عندما هددت اسبانيا بالتسبب بإلغاء القمة إذا لم تحصل على ضمانات مكتوبة حول مصير جبل طارق. وبعد مفاوضات شاقة، أكد رئيس الوزراء الإسباني بيدرو سانشيز بعد ظهر السبت أنه تمت تلبية طلبه.

وبين الوثائق الملحقة بالاتفاق رسائل من ممثل بريطانيا في المجلس الأوروبي ومن رئيس المفوضية الأوروبية جان كلود يونكر ومن رئيس المجلس الأوروبي دونالد توسك إلى رئيس الوزراء الإسباني بيدرو سانشيز. وتتضمن هذه الرسائل تأكيدات لاسبانيا بشأن دورها في المفاوضات حول العلاقة المستقبلية بين الاتحاد الأوروبي وجبل طارق بعدما كاد خلاف حولها يطيح بالقمة الأوروبية. وأكدت إسبانيا السبت أنها تلقت ضمانا كافيا من السلطات البريطانية ألا تشمل اتفاقات لندن المقبلة مع الاتحاد الأوروبي جبل طارق في شكل تلقائي. إلا أن ماي أكدت السبت أنها "فخورة بأن جبل طارق بريطانية وسأبقى دائما إلى جانب جبل طارق"، مشددة على أن موقف المملكة المتحدة بشأن السيادة على هذه المنطقة "لم ولن يتغير".

الصيد "أولوية"

عبرت دول أخرى أعضاء في الاتحاد في نهاية المفاوضات عن قلقها وطلبت ضمانات في مجالات أخرى مثل حقوق صيد السمك في المياه الإقليمية البريطانية في المستقبل. وهذه القضية العزيزة على قلب فرنسا وإسبانيا خصوصا لم تحل في اتفاق الانسحاب الذي ينص على ضرورة التوصل إلى تفاهم بشأنها بحلول منتصف ٢٠٢٠. ويؤكد إعلان الحق بمحضر القمة من جديد أن اتفاقا حول صيد السمك يشكل "أولوية" ويجب التفاوض بشأنه مع المملكة المتحدة "قبل انتهاء المرحلة الانتقالية" في نهاية ديسمبر ٢٠٢٠. وهذا الإعلان يتضمن قضايا أخرى تتعهد فيها الدول الـ٢٧ التزام "الحذر" حيال لندن في تطبيق الاتفاقات المتعلقة بها، مثل "المنافسة النزيهة" في المجال الاقتصادي. وأمام الاتحاد الأوروبي والمملكة المتحدة ١٧ شهرا للتفاهم حول "اتفاق الانسحاب" و"الإعلان السياسي" الذي يحدد أطر العلاقات في مرحلة ما بعد بريكست، خصوصا على الصعيد التجاري. ويحل اتفاق الانسحاب خصوصا قضية الفاتورة التي يفترض أن تدفعها لندن للاتحاد الأوروبي بدون أرقام، وينص على حل مثير للجدل لتجنب العودة إلى حدود فعلية بين جمهورية إيرلندا ومقاطعة إيرلندا الشمالية البريطانية.

يونكر: إنه يوم حزين

هذا ووصف رئيس المفوضية الأوروبية جان كلود يونكر خروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي بـ"المأساة"، وذلك لدى وصوله إلى بروكسل للمشاركة في قمة أوروبية يفترض أن تصادق على اتفاق ينظم خروج بريطانيا من التكتل. وقال يونكر "إنه يوم حزين. خروج بريطانيا، أو أي دولة أخرى، من الاتحاد الأوروبي لا يدعو للابتهاج ولا للاحتفال، إنها لحظة حزينة إنها مأساة". من جانبه، أعلن كبير المفاوضين الأوروبيين في ملف بريكست الأحد أن الاتحاد الأوروبي سيبقى "شريكا وصديقا" للمملكة المتحدة بعد بريكست. وأكد ميشال بارنييه أنه وخلال المفاوضات "الشديدة الصعوبة والتعقيد"، عمل "مع المملكة المتحدة (ولم يعمل) إطلاقا ضدها"، داعيا "الجميع إلى الاضطلاع بمسؤولياتهم"، في وقت لا يزال إقرار البرلمان البريطاني للاتفاق المنظم لبريكست غير محسوم. من جانبه، اعتبر الرئيس الفرنسي أن بريكست يشكل دليلا على أن الاتحاد الأوروبي بحاجة إلى "إعادة تأسيس".

وقال إيمانويل ماكرون "إنها لحظة حرجة للاتحاد الأوروبي"، الذي يحتاج في رأيه إلى "إعادة تأسيس". وأضاف "هذا يبيّن أن الاتحاد الأوروبي يعاني ضعفاً"، لكنه "قابل للتحسين"، واصفاً الاتفاق مع لندن بأنه "جيد". وأضاف أن العلاقات المستقبلية مع لندن "لا تزال تتطلب تحديداً"، متابعاً "من الواضح أن المملكة المتحدة ستواصل الاضطلاع بدور مهم يمكن أن يتطور".

وجعل ماكرون من إعادة اطلاق المشروع الاوروبي أحد عناوين ولايته، لكنه يجد صعوبة في اقناع شركائه الاوروبيين.

ويدعو في هذا الاطار الى موازنة مستقلة لمنطقة اليورو دعماً للاستثمار، وإلى إنشاء "جيش اوروبي" على صعيد الدفاع المشترك.

تيريزا ماي توجه "رسالة إلى الأمة"

من جهتها وجهت رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماي الأحد "رسالة إلى الأمة" وعدت فيها بأن تعمل "بكل ما أوتيت من قوة" من أجل اتفاقها المتعلق ببريكست، وذلك بمجرد أن يُوافق عليه قادة الاتحاد الأوروبي الأحد.

وماي التي تأمل في توقيع اتفاق الطلاق وتحديد مستقبل العلاقات مع أوروبا خلال قمة بروكسل الأحد، تواجه تحدياً يتمثل في الحصول بعد ذلك على دعم البرلمان البريطاني.

وفي رسالتها المفتوحة التي نُشرت في صحف بريطانية عدة تصدر الأحد، كتبت ماي أن الاتفاق الذي تمّ التوصل إليه "سيحترم نتيجة" استفتاء العام ٢٠١٦، والذي اختار ٥٢٪ من المشاركين فيه أن يخرجوا من الاتحاد الأوروبي.

وقالت إن الاتفاق سيُتيح "لحظة من التجدد والمصالحة"، معتبرة أنه "سيكون اتفاقاً في صالحنا الوطني، يعمل من أجل كامل بلادنا وجميع سكانها، سواء صوّتم للخروج أو البقاء" في الاتحاد.

وأضافت ماي "إنه اتفاق لمستقبل أكثر إشراقاً يُتيح لنا اغتنام الفرص أمامنا".

وذكرت رئيسة الوزراء بأن المملكة المتحدة ستخرج من الاتحاد الأوروبي في التاسع والعشرين من مارس المقبل،

حاضرة البريطانيين على دعم هذا الاتفاق، وقائلة إن "البرلمان ستكون لديه الفرصة لفعل ذلك خلال بضعة أسابيع من خلال تصويت مهم". وتابعت "سأقوم بحملة بكل ما أتيت من قوة للفوز بهذا التصويت (...). من أجل صالح المملكة المتحدة وشعبنا بكامله".

وتسعى ماي إلى التأكيد من حصولها على دعم نواب حزبها المحافظ وحلفائها في الحزب الموحدوي الديموقراطي الإيرلندي الشمالي. أما أحزاب المعارضة، فكانت أعلنت كلها أنها ستصوّت ضدّ هذا الاتفاق.

اتفاق نهائي

ويؤكد الاتحاد الأوروبي أن الاتفاق نهائي ولا يتوقع إعادة النظر فيه أو مراجعته إذا رفضه البرلمان البريطاني. وسيصوت البرلمان الأوروبي على الاتفاقية في يناير القادم.

وقال رئيس المفوضية الأوروبية، جان كلود يونكر أن خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي (بريكست) يمثل لحظة "حزن شديد"، فيما أعرب عن ثقته بأن البرلمان البريطاني سيصوت لصالح اتفاق الخروج.

وقال يونكر للصحفيين قبل قمة خاصة بشأن خروج بريطانيا من التكتل "إنني حزين، نظراً لأن رؤية المملكة المتحدة، تنسحب من الاتحاد الأوروبي ليست لحظة فرح لكن لحظة حزن شديد".

وبسؤاله عن نصيحته للمشرعين البريطانيين، قال يونكر "سأصوت لصالح ذلك الاتفاق نظراً لأنه أفضل اتفاق محتمل لبريطانيا". ورفض تأييد احتمال رفض الاتفاق.

كلام هنت

وإلى ذلك، قال وزير الخارجية البريطاني جيريمي هنت إن حسابات البرلمان للموافقة على خطة رئيسة الوزراء تيريزا ماي للخروج من الاتحاد الأوروبي تبدو "عويصة" لكن رفض الاتفاق سيؤدي إلى "مخاطر كبيرة للغاية" للبلاد.

وأضاف لهيئة الإذاعة البريطانية (بي.بي.سي) يوم الأحد "الحسابات تبدو عويصة في الوقت الحالي لكن من الممكن أن تتغير الكثير من الأمور خلال الأسبوعين المقبلين".

العلاقات بين بريطانيا والاتحاد الاوروبي في ١٥ محطة

المحطات الرئيسية في تاريخ العلاقات بين بريطانيا والاتحاد الأوروبي اللذين سيرمان الأحد اتفاق الانفصال بينهما في قمة استثنائية في بروكسل.

٠٩ أغسطس ١٩٦١

رئيس الوزراء البريطاني المحافظ هارولد ماكميلان يتقدم بأول ترشيح لبلده للانضمام إلى المجموعة الاقتصادية الأوروبية، التي سبقت الاتحاد الأوروبي.

١٤ يناير ١٩٦٣

اعتراض أول من قبل الرئيس الفرنسي الجنرال شارل ديغول على دخول المملكة المتحدة إلى المجموعة الاقتصادية الأوروبية. وضع فيتو جديد على ذلك في ٢٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٧.

٠١ من يناير ١٩٧٣

المملكة المتحدة تنضم إلى المجموعة الاقتصادية الأوروبية بالتزامن مع أيرلندا والدنمارك.

٠٥ يونيو ١٩٧٥

٦٧ بالمئة من البريطانيين يؤيدون في استفتاء بقاء المملكة المتحدة في المجموعة الاقتصادية الأوروبية.

٣٠ نوفمبر ١٩٧٩

رئيسة الوزراء المحافظة مارغريت تاتشر التي اشتهرت بإعلانها "أريد استعادة أموالني"، تطالب بحسم مقابل مشاركة بلادها في الموازنة الأوروبية. لب الأوروبيون طلبها في ١٩٨٤.

٢٠ سبتمبر ١٩٨٨

في خطاب في مدينة بروج في بلجيكا، تاتشر تعارض فيه باتجاه فدرالية في عملية البناء الأوروبي.

٠٧ فبراير ١٩٩٢

توقيع معاهدة ماستريخت، المحطة الأساسية الثانية في البناء الأوروبي بعد معاهدة روما التي وقعت في ١٩٥٧. منحت بريطانيا بندا استثنائيا (اوبت آوت بالانكليزية) يسمح لها بعدم الانضمام إلى العملة الموحدة.

٢٣ يوليو ١٩٩٣

رئيس الوزراء البريطاني المحافظ جون مييجور ينتزع من البرلمان مصادقة على معاهدة ماستريخت بعدما هدد بالاستقالة. في اليوم نفسه، وصف ثلاثة من وزرائه المشككين بأوروبا بـ "الجبنة".

٢٠ أبريل ٢٠٠٤

رئيس الوزراء العمالي المؤيد لأوروبا توني بلير يعلن نيته تنظيم استفتاء حول الدستور الأوروبي لم ينظم، بعد رفضه في اقتراعين أجريا في فرنسا والدنمارك.

٢٣ يناير ٢٠١٣

في خطاب، تعهد رئيس الوزراء المحافظ ديفيد كاميرون اجراء استفتاء حول عضوية البلاد في الاتحاد الأوروبي في حال فاز حزبه في الانتخابات التشريعية في ٢٠١٥.

٢٢ مايو ٢٠١٤

تصدر حزب الاستقلال البريطاني المشكك بأوروبا والمعادي للهجرة نتائج الانتخابات الأوروبية بعد حصوله على أكثر من ٢٦ بالمئة من الاصوات ليشغل ٢٤ مقعدا في البرلمان الأوروبي.

٠٧ مايو ٢٠١٥

حزب المحافظين يفوز في الانتخابات التشريعية في بريطانيا. وقبل عيد الميلاد تماما، تم تبني القانون الذي ينص على تنظيم استفتاء قبل نهاية ٢٠١٧.

٢٣ يونيو ٢٠١٦

الناخبون البريطانيون يصوتون من اجل خروج بلادهم من الاتحاد الأوروبي. عبر ٥١,٩ بالمئة من الناخبين عن تأييدهم للخروج من الاتحاد.

٢٩ مارس ٢٠١٧

رئيس المجلس الأوروبي دونالد توسك يتسلم رسالة من رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماي تفعل المادة ٥٠ من اتفاقية لشبونة لتبدأ بذلك عملية خروج المملكة المتحدة من الاتحاد (بريكست). يفترض أن تستمر هذه العملية سنتين وتنجز عند الساعة ٢٣,٠٠ من التاسع والعشرين من مارس ٢٠١٩.

٢٢ نوفمبر ٢٠١٨

توصل الاتحاد الأوروبي والمملكة المتحدة إلى اتفاق مؤقت حول العلاقات بينهما بعد بريكست، بعد أسبوع على تفاهمهما على "اتفاق انسحاب" بريطانيا. هذان الاتفاقان يفترض أن يقرهما القادة الأوروبيون في قمة استثنائية في بروكسل الأحد.

ماذا بعد اتفاق بريطانيا مع الاتحاد الأوروبي على مفاوضات الخروج؟

مركز ستراثفور الاستخباراتي: ٢٠١٨/١١/٢٥

ترجمة وتحريير: نون بوست: بعد حوالي سنتين من المفاوضات، توصل الاتحاد الأوروبي والمملكة المتحدة أخيراً إلى اتفاق بشأن البنود الخاصة بالخروج من الاتحاد الأوروبي. وفي حال وقع تنفيذ هذا الاتفاق، سيتطلب الأمر المرور بعملية انتقالية طويلة الأمد للسماح للشركات والعائلات في الاتحاد الأوروبي والمملكة المتحدة بالتأقلم مع الواقع الجديد. ولكن، يعد هذا الاتفاق مثيراً للجدل بشكل كبير في المملكة المتحدة، في حين أن موقف الحكومة البريطانية ضعيف ويتسم بالهشاشة، مما يعني أن إمكانية عدم التوصل لاتفاق نهائي بشأن خروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي لا يزال أمراً وارداً.

في حقيقة الأمر، توصل الاتحاد الأوروبي والمملكة المتحدة إلى اتفاق بشأن وثيقتين غاية في الأهمية فيما يتعلق بخروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي. في المقام الأول، نجد اتفاق الانسحاب، الذي يحدد بنود خروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي. وثانياً، أصدر بيان سياسي الذي يحدد الخطوط العريضة للإطار الذي ستنظم وفقه العلاقات المستقبلية بين الجانبين.

ما هو مضمون اتفاق الانسحاب؟

يشمل اتفاق الانسحاب جل بنود خروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي، كما يضم أحكام خاصة تنص على السماح للحدود الأيرلندية بالبقاء مفتوحة. وفيما يأتي أبرز النقاط الواردة في هذه الوثيقة:

- سيعقب خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي مرحلة انتقالية: بعد خروج المملكة من الاتحاد الأوروبي في أيار / مايو من سنة ٢٠١٩، ستبقى في السوق الأوروبية الموحدة والاتحاد الجمركي إلى حدود كانون الأول / ديسمبر من سنة ٢٠٢٠، ولكنها لن تشارك في عملية اتخاذ القرار من قبل الكتلة الأوروبية. خلال المرحلة الانتقالية، سيتوجب على المملكة المتحدة الامتثال لجميع قوانين وقرارات الاتحاد الأوروبي فيما يتعلق بالسياسة الداخلية والخارجية. كما ستبقى جزءاً من المعاهدات الدولية (على غرار اتفاقيات التجارة الحرة)، التي تلتزم بها الكتلة. وورد في هذه الوثيقة أن الاتحاد الأوروبي والمملكة المتحدة يستطيعان التفاوض مجدداً بشأن تمديد الفترة الانتقالية بحلول سنة ٢٠٢٠.

- سيقع حماية حقوق المواطنين في الإقامة: سيسمح لقرابة ٣ مليون مواطن من الاتحاد الأوروبي الذين يعيشون في المملكة المتحدة ونحو مليون مواطن بريطاني، الذين يعيشون في الاتحاد الأوروبي بالبقاء في دول الإقامة.

- سيقع التعاطي مع المشاكل المنجزة عن اتفاق الانسحاب من قبل لجنة مشتركة: سيتم حل أي مشاكل مرتبطة باتفاق الانسحاب، بما في ذلك أي خلافات بشأن طرق تأويلها، من قبل لجنة مشتركة تضم مسؤولين من الاتحاد الأوروبي والمملكة المتحدة. في حال فشلت هذه اللجنة المشتركة في التوصل إلى حل بشأن الخلاف القائم، يمكن أن تدعو إلى تشكيل هيئة تحكيمية، التي يتوجب عليها استشارة محكمة العدل الأوروبية.

- ستظل المملكة المتحدة جزءاً من "اتفاق جمركي" مع الاتحاد الأوروبي إلى حدود إيجاد حل أفضل: عقب انتهاء الفترة الانتقالية في سنة ٢٠٢٠، أو في تاريخ لاحق في حال وقع تمديد الفترة، ستظل المملكة المتحدة جزءاً من "اتفاق جمركي" مع الاتحاد الأوروبي إلى حدود إيجاد حل أفضل بشأن إبقاء الحدود الأيرلندية مفتوحة. نتيجة لذلك، لن يكون هناك حاجة إلى التعريفات الجمركية أو حصص التوريد أو التحقق من قواعد المنشأ بين الاتحاد الأوروبي والمملكة المتحدة. لكن الغذاء والمنتجات الزراعية الأخرى ستطلب عمليات تحقق، لكن ذلك سيتم في ظل الحرص على "عدم التدخل بشكل كبير"، (على سبيل المثال في الموائج). في الأثناء، ستطبق المملكة المتحدة التعريفات الجمركية الخارجية المشتركة، ولن يسمح لها بالانخراط في اتفاقيات التجارة الحرة مع الدول خارج الاتحاد الأوروبي. في الوقت نفسه، ستحافظ أيرلندا الشمالية على الالتزام ببعض القواعد المرتبطة بالسوق الأوروبية الموحدة، لضمان أنه لن يكون هناك حاجة إلى مراقبة الحدود مع جمهورية أيرلندا. لن تشمل هذه الاتفاقيات الجمركية المسامك.

- يمكن إعادة النظر في الاتفاقيات الجمركية: لن يسمح للمملكة المتحدة أن تعتمد على الانسحاب من طرف واحد من الاتفاقيات الجمركية. في الواقع، سيستدعي إنهاء هذه الاتفاقيات اتخاذ قرار مشترك من قبل لندن وبروكسل.

ماذا بشأن البيان الذي يتعاطى مع مسألة مستقبل العلاقات بين الاتحاد الأوروبي والمملكة المتحدة؟

بالإضافة إلى اتفاق الانسحاب، توصل الاتحاد الأوروبي والمملكة المتحدة إلى وثيقة أقصر بكثير التي تصف بشكل عام للغاية المعايير المحددة لطبيعة علاقتهما المستقبلية. بشكل أساسي، تعد الوثيقة بمثابة خطاب نوايا، نظرا لأن الطرفين سيتفاوضان بخصوص المزيد من التفاصيل في الأشهر والسنوات المقبلة. وفيما يلي أبرز النقاط الواردة في هذه الوثيقة:

- سيتفاوض الاتحاد الأوروبي والمملكة المتحدة بشأن اتفاق في مجال التجارة الحرة: تعهد كل من الاتحاد الأوروبي والمملكة المتحدة أن يتفاوضا بخصوص اتفاق يهدف إلى التخلص من كل الحواجز في مجال تجارة البضائع. كما تعهدا بأن يتفاوضا بشأن "تحرير" التجارة في الخدمات.

- سيقع التعامل مع تجارة الخدمات المالية من خلال هياكل متكافئة: عقب انتهاء الفترة الانتقالية، سيتوجب على شركات الخدمات المالية في المملكة المتحدة التي ترغب في بيع خدماتها للسوق الأوروبية الموحدة، أن تقوم بذلك من خلال هياكل في الاتحاد الأوروبي متكافئة معها. سيسمح هذا النظام للشركات من الدول التي تفرض لوائح تنظيمية مماثلة للاتحاد الأوروبي بالولوج للسوق المالية التابعة للاتحاد الأوروبي. لكن هذا الهيكل يتسم بقدر من النقائص، فعلى سبيل المثال، لا يتضمن المصارف التجارية، في حين يحق للكتلة الأوروبية أن تلغي إمكانية ولوج الشركات الأجنبية بعد ٣٠ يوما من توجيه إشعار لها.

- سيتعاون الطرفان على مستوى الأمن والدفاع: تعهد كل من الاتحاد الأوروبي والمملكة المتحدة بأن يتعاونوا وأن يستشيرا بعضهما البعض فيما يتعلق بالمشاكل على مستوى السياسة الخارجية والأمن والدفاع. كما وعد كلا الطرفين بأن يقوموا بتبادل المعلومات وإعلام المملكة المتحدة بأي خطوات يتخذها الاتحاد الأوروبي ذات صلة بهذه المشاكل.

- سيعمل الطرفان للتوصل إلى اتفاق في أسرع الأجل: تعهد كل من الاتحاد الأوروبي والمملكة المتحدة بأن يتفاوضا بشأن التوصل إلى اتفاق بشكل سريع، بحيث ستتضح الرؤية بشأن علاقتهما المستقبلية مع نهاية الفترة الانتقالية في أواخر سنة ٢٠٢٠. ولتحقيق ذلك، سينظم الطرفان "مؤتمرات رفيعة المستوى" على الأقل كل ستة أشهر.

ماذا سيحدث بعد ذلك؟

في الوقت الراهن، وإثر التوصل لاتفاق انسحاب، سيعمد الاتحاد الأوروبي، على الأرجح، إلى تنظيم قمة في ٢٥ من تشرين الثاني / نوفمبر لتوقيع الاتفاق بشكل رسمي. عقب ذلك، سيعرض الاتفاق على البرلمان البريطاني للتصويت عليه، وذلك في الغالب في شهر كانون الأول / ديسمبر. في المقابل سيكون ذلك بمثابة العائق الأكبر في وجه الاتفاق، حيث أن معظم المشرعين من المعارضة وعدد مهم من المشرعين الذين ينتمون إلى حزب المحافظين الحاكم يقفون ضد هذا الاتفاق. ويجادل المنتقدون للاتفاق أنه يجبر المملكة المتحدة على مواصلة الالتزام بقواعد وقوانين الاتحاد الأوروبي لأجل غير محددة، في حين لن يكون من حق لندن الانسحاب من طرف واحد من الاتفاق.

علاوة على ذلك، قد يترتب عن حالة عدم الاستقرار في المملكة المتحدة، التصويت بحجب الثقة عن رئيسة الوزراء تيريزا ماي، حتى قبل أن يقع التصويت على الاتفاق في مجلس العموم البريطاني. وفي حال نجح بعض منافسي ماي في صلب حزب المحافظين في الإطاحة بها، سيقع تعويضها من قبل أحد أعضاء الحزب، أو قد يصل الأمر إلى تنظيم انتخابات مبكرة. ومما لا شك فيه أنه في حال صوت مجلس العموم البريطاني ضد الاتفاق، في الوقت الذي خلقت ماي الأرضية المناسبة حتى يدعو المشرعون بشكل متشدد إلى إجراء انتخابات مبكرة، ستزداد فرص عدم التوصل إلى اتفاق نهائي بشأن خروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي، بشكل كبير.

المواطنة.. ومفاتيح الاستقرار

*عبدالله بشارة

صحيفة (القبس) الكويتية : ٢٦/١١/٢٠١٨

شهدت مدينة أبوظبي ١٤ نوفمبر الجاري، مؤتمراً عنوانه «المواطنة.. معانيها وحصادها»، فمن تملك المواطنة استولى على مفاتيح الاستقرار وأمن الانسجام الجماعي، وضمن الوحدة الوطنية، وعاش مطمئناً لقناعة الوطن بكل أطيافه، بصيغة الحكم، التي تعتمد على سيادة القانون وحقوق المساواة واحترام انسانية الفرد واحتضان آماله والإيمان بمواهبه.

تستقوي الدولة مع متانة المواطنة، وتضمن الدولة تكاتف شعبها عندما يقتنع كل فرد فيها بأن حقه مصون وأن قوله مسموع وأن للمذهبية كل الاحترام، مع حق المجتمع في ممارسة شعائر كل الأديان بلا تمييز. ومن هذا الوضع ترتفع أحاسيس المواطنة بالعباءة وبالتضحية والفداء ووضع الوطن بالأولوية المستحقة في منزلة الولاء.

ويمكن القول بشيء من الاطمئنان إن دول الخليج تتمتع بولاء وطني راسخ، فمن تجربتي في مجلس التعاون كانت أكبر المعضلات في مسيرة الاندماج هي عقبة المبالغة في الحس الوطني، ومن إفرزات المبالغة هي التخوف من إضعاف عاطفة الالتزام الوطني، هذا الواقع، ورغم مرور الوقت، ما زال فعلاً في بنية المجتمع الخليجي. كانت كثافة الانتماء الوطني تتواجد لدى كل الوفود، وحاضرة في كل اللقاءات، وكانت منبع المجادلة. وبصراحة فقد كنت أشعر بكثير من الارتياح لغزارة الغيرة الوطنية، وأعرف أنها تؤخر المسار الجماعي، لكنها في ظروف دول الخليج تصبح العامل المؤثر الأكبر في إفشال التسلات الأيديولوجية التي تحمل معها أديبات غريبة على المجتمع الخليجي، لم يتألف معها التراث ولا وجود لها في الفلوكلور السياسي الخليجي المتوارث، وغير مرغوبة في المنتديات السياسية والأدبية المحلية.

حقائق الدول العربية في حوض الشام جاءت من انتاج مؤتمر الصلح في فرساي في عام ١٩٢١، الذي وضع النظام الاقليمي العربي المشرقي، فقد كان العراق يتكون من ثلاث ساحات: الكردية، الوسط، والجنوب الشيعي، وضمت بريطانيا الثلاث، ومنها جاءت الدولة العراقية بنفس قومي عربي قوي، بوحى من النخبة العربية التي قاومت الدولة العثمانية، وساهمت في استقلال الدول، سوريا والعراق ولبنان والأردن، ومن تركتها الفكرية تسيد الشأن القومي العربي العام توجهات الدولة العربية الجديدة، في كل من الشام والعراق.

لم يتولد في سوريا الحس الوطني السوري بالحجم الذي نلمسه في الدولة الوطنية الأوروبية، وينطبق ذلك على العراق، وعلى مختلف مناطق حوض الشام.

فلا توجد جذور تاريخية للهوية الوطنية في هذه المناطق، فولادة دولة العراق وكيان سوريا هي من قرارات خريطة فرساي ولم تكن حصيلة تطور لهوية وطنية تاريخية واحدة.

بينما تتمتع المنطقة الخليجية بخصائص جاءت من تطور تاريخي للمجتمعات الخليجية بدأت مع تجمعات بشرية نزحت نحو الخليج في مآمن جغرافي من اضطرابات شمالية أو جنوبية، واستقرت في المنطقة مع بحث لتأمين المعيشة لهذه الجموع المتواجدة.

فالحالة الكويتية لا تختلف عن الحالات في المناطق الخليجية الأخرى، تجمعات بشرية بأعداد سهلة تواجدت حول الكويت، استخرجت منها وسائل العيش في البقاء، وكبرت مع التطور واختارت نظاماً اجتماعياً ينسق في ما بينها عند الاحتكام، وتنمو الكويت لتتحول إلى دولة، ليس من انتاج مؤتمر فرساي ولا من وزارة المستعمرات البريطانية، فيسجل تاريخ الكويت بأن بريطانيا في عام ١٨٤١ وجدت كياناً بحرياً كويتياً اتفقت معه على محاربة القرصنة في الخليج، حيث كانت سفن بريطانيا، وسفن الكويت هدفاً سهلاً للقرصنة، وكان ذلك في عهد الشيخ جابر بن عبدالله الحاكم الثالث، كان ذلك أول تعارف بين الطرفين.

خلال اجتماعات الجامعة العربية التي كنت أحضرها في الستينات كان وزراء سوريا والعراق وإلى حد ما الأردن يتحدثون بالمفردات القومية والمصطلحات الحزبية العقائدية، عن الوطن العربي، وعن شأن الأمة، في تجاوز تام عن الحس الوطني السوري الذي لم يتواجد في الهيكل السياسي السوري ولا في مثيله في العراق.. وتشكل ظاهرة الالتصاق القومي في كل من سوريا والعراق العامل الأبرز في توجهات هذه الدول نحو الوحدة مع مصر، كما دونت أحداث التاريخ عن الوحدة المصرية - السورية، وإعلان الاتفاق الثلاثي المصري - السوري - العراقي في عام ١٩٦٣ الذي لم ير النور.

وأعتقد أن حزب البعث وغيره من التجمعات الأيديولوجية العربية أخفقت في فهم الحقائق الخليجية، فتصور قادة حزب البعث العراقي أن واقع الكويت ضعيف وكرتوني سهل الاقتلاع، وكما كنا نسمع المفردات القومية عن دول الخليج بأنها كيانات بلدية وليست دولة بالمعنى الأوروبي المعروف. وبهذه العبثية الفكرية جاءت كارثة الغزو العراقي درساً للعراق وللآخرين المستخفين بالكيان التاريخي الخليجي. كما لم تؤسس الدول العربية مرتكزات وطنية ترسخ الوحدة الوطنية وتجسر التباعد بين طوائفها، وتنشر فضيلة سيادة القانون وأحكامه واستقلال القضاء كحماية للهوية الفردية الشخصية مع تعميق الانفتاح بين الفئات واحترام العقائد والديانات والمساواة بين أبناء المجتمع، لم يكن هذا الإصلاح الداخلي والتطور الحضاري من أولويات الحكم في العراق أو سوريا، ولهذا غاب التجاوب الوطني الشعبي مع أنظمة الحكم فيها وتحول البقاء بالافتقار إلى البقاء بالإذعان لمؤذيات السوط والسيوف.

وهذا السرد الإيجابي نحو المنطقة الخليجية لا يعني الاسترخاء بالرضا وبالموجود، وإنما المقصود تأييد حكم القانون والمطالبة بالتطور السلمي المدني بضوابط تعمق التنمية السياسية والاجتماعية بحيث يؤمن كل مواطن بأن له نصيباً في هذا التطور بصوت مسموع وبمسار آمن وبمستقبل مضمون.

تجربة الخليج في الحس الوطني غير قابلة للتصدير، لأنها جاءت من تراكم التجارب وتطور الصيغة القبلية التي أنبتتها، ولهذا ستبقى في مأمن من المغامرات الخارجية، ومحصنة داخلياً بالولاء الجماعي المقتنع بأسلوب التدرج في مراحل التجديد.

تجارب العراق وسوريا، ولدت الدمار والانقسام الشعبي، الذي يحتاج إلى قيادة وطنية قادرة على توظيف الامكانيات لبناء وطن قانع خال من متاهات الأيديولوجية الحاملة.

تدني معيار الديمقراطية في المنطقة والعالم

الحرّة-شبكة الشرق الأوسط للإرسال (أم. بي. أن)؛ ٢٦/١١/٢٠١٨

منى فياض؛ يصدر المؤشر العربي منذ العام ٢٠١١ عن المركز العربي للدراسات في قطر، وهو استطلاع سنوي يهدف للوقوف على اتجاهات الرأي العام العربي نحو مجموعة مواضيع اقتصادية واجتماعية وسياسية، بما في ذلك اتجاهات الرأي العام نحو قضايا الديمقراطية، ويتضمن تقييم المواطنين لأوضاعهم العامة والأوضاع العامة لبلدانهم.

حاول القائمون على المؤشر في تعليقاتهم إظهار بعض الجوانب المشرقة في مجتمعاتنا لجهة تحسن الموقف من الديمقراطية والمؤسسات والانتخابات والتدين والحرية وغيرها.

لكن عندما نقارن نتائج هذا المؤشر مع نتائج مؤشر الفساد الذي يصدر عن منظمة الشفافية العالمية والمؤشر العالمي للحرية الذي يصدر عن "فريدوم هاوس"، سنجد أن الوضع في المنطقة لا يزال في منتهى السوء، بالرغم من التقدم الطفيف في اتجاهات المواطنين.

يظهر مؤشر الفساد أن غالبية دول العالم لم تحرز أي تقدم على الإطلاق لإنهاء الفساد عدا إحراز بعضها تقدما ضئيلا.

ومن اللافت أن مؤشر الحرية في تراجع مستمر وهو ما يشير إلى تراجع الحرية حول العالم، نتيجة صعود القوميين والشعبيين في الدول الديمقراطية، الذين يمثلون تهديدا للديمقراطية العالمية، بالإضافة إلى الانتهاكات التي تمارسها الأنظمة القمعية. من دون أن ننسى التجاوزات التي تقع في الحروب دون تحميل المسؤولية لأي جهة ومركزها الشرق الأوسط.

فيما يتعلق بالفساد، اعتمد المؤشر العربي على مدى انتشار الفساد المالي والإداري في البلاد، بوصفه أحد المؤشرات المعيارية التي يمكن أن تساهم في تفسير العلاقة بين المواطنين والدولة وفي تقييمهم لأداء دولهم. ولقد أجمع حوالي ٩١ في المئة، على أن الفساد منتشر بدرجات متفاوتة في بلدانهم.

ومن الملاحظ وجود نوع من التوازي العام بين ارتفاع معدلات الفساد وانخفاض الحريات. جميع الدول العربية تعاني من الفساد، إذ حصلت جميعها على علامة أقل من ٥٠ درجة على مؤشر الفساد (ما عدا دولتين: الإمارات وقطر نالتا علامة فاقت الخمسين درجة) هذا يعني أن الدول العربية تعيش في ظل نسب فساد عالية.

في المقابل، أفاد مؤشر الحرية أن الدولة الوحيدة التي صنفت كدولة حرة في العالم العربي (٢٢ دولة) هي تونس مع درجة إجمالية بلغت ٧٨ من ١٠٠ (المئة تعني بلدا يتمتع بالحرية التامة). فيما صنفت خمس الدول العربية تحت خانة "حرة جزئيا"، وهي: جزر القمر ولبنان والمغرب والأردن والكويت. أما بقية الدول العربية البالغ عددها ١٤ فصنفت كدول "غير حرة".

تساوت مصر مع قطر وجيبوتي في مؤشر الحرية في عدد النقاط بحصولها على درجة إجمالية متوسطة بلغت ٢٦، فيما نالت السعودية ١٠ درجات وتذيّلت سوريا الترتيب بحصولها على درجة إجمالية متوسطة بلغت ناقص ١.

يتماشى هذا مع ما يكشفه التحليل المفصل لنتائج المؤشر لجهة أن معظم البلدان التي تتدنى فيها مستويات حماية الصحافة والمنظمات غير الحكومية هي التي تنصدر أعلى معدلات الفساد، فالفساد يساهم في التضيق على المجتمع المدني الذي يعبر وجوده عن مستوى الديمقراطية في البلد المأخوذ بعين الاعتبار. ما يعني وجود ارتباط سلبي بين الفساد ومستوى الحريات العامة.

تمتعت البلدان ذات الأنظمة الديمقراطية عموما بمعدلات جيدة نسبيا على المؤشرين معا تفوق كثيرا البلدان الأخرى ذات الأنظمة غير الديمقراطية. وتصدرت كل من فنلندا والنرويج والسويد مؤشر الحرية.

السؤال الذي يشغلنا هو إلى أي مدى يتلمس المواطن العربي هذه العلاقة بين الفساد ومستوى الحريات العامة؟ وهل يمكنه أن يقيم مستوى الديمقراطية أو تدهور الحريات في بلدانه.

إذا دققنا في نتائج المؤشر العربي سوف نجد أن الشكوى العارمة من الفساد لا ترافقها شكوى موازية من غياب الحريات.

يعتمد مؤشر الحرية العالمي في تصنيفه على معيارين أساسيين، هما: الحقوق السياسية والحريات المدنية، ثم بحسب درجة إجمالية من صفر إلى ١٠٠ لكل دولة محل الدراسة.

فكيف قيّم المواطن العربي مستوى الديمقراطية في بلاده؟
سنجد الترتيب على الشكل التالي:

السعودية ٧,٥

الكويت ٦,٩

الأردن ٦,٢

موريتانيا ٥,٩

لبنان ٥,٨

مصر ٥,٦

تونس ٥,٢

المغرب ٥,١

العراق ٤,٩

فلسطين ٤,٧

السودان ٣,٧

المعدل ٥,٥

المعدل العام ٥,٥ وهو يعني أن التقييم العام للديمقراطية فوق المتوسط بقليل، فيما تصدرت السعودية مع درجة ٧,٥ رأس اللائحة.

ووجد ٥٥ في المئة من المستطلعين أن الحريات مضمونة بالكامل أو مضمونة إلى حد ما في بلدانهم، و٣٩ في المئة رأوا أنها غير مضمونة إلى حد ما أو غير مضمونة على الإطلاق. وهذا يتعارض مع نتائج مؤشر الحرية الذي أفاد بأن معظم الدول تغيب عنها الحرية أو أنها منقوصة. إذن تفيد النتائج بأن تقييم الرأي العام العربي لحرياته أعلى مما هي عليه في الواقع بشكل عام.

ففي حين جاءت تونس في صدارة الدول العربية كدولة حرة مع درجة ٧٠ وهي تساوي ١٠ أضعاف درجة المملكة العربية السعودية. كان تقييم التونسيين للديمقراطية في بلدهم ٥,٢ وهو ليس فقط أقل من تقييم السعوديين، بل واللبنانيين أيضا الذين تبين أن بلدهم هو دولة "حرة جزئيا" ويقدرّون الديمقراطية بـ ٥,٨.

هذا يعني أن الحصول على الحرية يدعم الديمقراطية، وكلما كان النظام أكثر ديمقراطية، كلما تمتع المواطن بحس نقدي يساعده على التقييم الأقرب إلى الواقع. والعكس صحيح، كلما تعرض المواطن للقمع يصبح أكثر ميلا للقبول بالأوضاع السيئة واعتبارها مقبولة.

وليس أدل على ذلك ما أظهره التقرير من أن أكثرية المستجيبين أفادوا بأن المواطنين غير قادرين على انتقاد الحكومة دون خوف، بالرغم من تقييمهم الإيجابي لمستوى الديمقراطية. فكيف تكون إذن الحريات مضمونة؟ فسر التقرير هذه النتيجة بأنها تعود إلى كونه موضوعا عمليا بينما تقييم ضمان الحريات يكون مختلطا بين العملي والمجرد.

وهذا يعني أن المواطن العربي لا يمتلك الشروط الأساسية كي يتمكن من تقييم أوضاعه بشكل دقيق " الأمر الذي يتطلب اعتماد وسائل قياس إضافية موضوعية لتقدير مدى توافق تقييم المواطن النظري لوضعه مع الواقع الحقيقي أو العملي.

استنتج المؤشر العربي أن مواطني المنطقة العربية يفهمون الديمقراطية، على أساس سياسي قائم على ضمان الحريات السياسية والمدنية، ونظام حكم يحترم التعددية وتداول السلطة. أو من خلال مفهوم سياسي يعتمد على نظام حكم يحقق العدل والمساواة بين المواطنين.

ولقد أظهر المؤشر أن المواطن العربي يشكو من تردي الأوضاع الاقتصادية وأن قطاعا واسعا من الأسر العربية يعيش في حالة "عوز" أو على حافة الحاجة الدائمة. وهذا ما جعل المواطنين يعتقدون أن الديمقراطية تساهم في تحسين الوضع الاقتصادي والأمان. مع أن هذين العاملين قد يتوفران في أكثر الأنظمة قمعا (نموذج الصين أو عراق صدام أو سوريا الأسد) كما يمكن لبلد ما أن يتمتع بالديمقراطية وهو فقير (نموذج كوستاريكا).

تفضح الرغبة العارمة، لدى ٢٦ في المئة من المواطنين في البلدان العربية، بالهجرة خارج بلدانهم، لأسباب اقتصادية أو سياسية أو بحثا عن الأمن، درجة البؤس التي يعيشونها إلى حد رمي أنفسهم في البحار.

السياسة في مجتمعات الحرب

* د. السيد ولد أباه

صحيفة (الاتحاد) الإماراتية : ٢٦/١١/٢٠١٨

سألت مؤخراً شخصية سياسية سورية معروفة هل تتوقع بعد تسوية ملف إدلب عودة الدولة السورية التي انهارت في السنوات الأخيرة؟ فردت عليّ بالقول إن الأمر يتوقف على ماذا تعنيه بالدولة، فقد تعود سيطرة الأجهزة العسكرية والإدارية الرسمية على المدن التي انفصلت عن حكومة دمشق، لكن الدولة من حيث هي فكرة جامعة ومؤسسات مشتركة انتهت عملياً، ومن الصعب إحيائها.

في العراق يحاول رئيس الحكومة الجديد عادل عبد المهدي إحياء الدولة في مواجهة ضغط وتأثير مراكز القوة الطائفية والمليشيات المسلحة والحركات الانفصالية. في ليبيا، صرح مبعوث الأمم المتحدة وزير الثقافة اللبناني الأسبق غسان سلامة أن الصراع لا يمكن اختزاله في صراع تنظيمات وأحزاب، بل هو صراع مجتمعي معقد، ومن هنا صعوبة حسمه بمنطق التفاوض السياسي.

المشكل الأكبر في منطق التسويات السياسية المطروح لحل مختلف هذه الأزمات السياسية والحروب الأهلية هو صدوره عن نموذج وحيد هو نموذج الدولة الوطنية الذي هو الإطار الأوسع للشرعية السياسية داخلياً وخارجياً في عالم اليوم، أن هذا التصور ينطلق من مصادرة معيارية قانونية تتمثل في كون الدولة الوطنية هي الحالة الطبيعية لصياغة العلاقات المجتمعية المنظمة في العصور الحديثة، ومن ثم يتعين تصديرها من ساحة تشكلها الأصلي في أوروبا إلى بقية العالم.

ولقد استطاع بالفعل هذا النموذج الذي ورثته بلدان المنطقة عن القوى الاستعمارية من تحقيق ثلاث مهمات كبرى هي: تأمين السلم الأهلي الداخلي، ودفع ديناميكية التحديث الاجتماعي، وقيادة عملية التنمية الاقتصادية المندمجة في منظومة السوق العالمية.

بيد أن الذين راهنوا على قوة واستمرارية الدولة الوطنية لم يدركوا أنها لا تشكل حالة اجتماعية طبيعية، بل هي كما أثبتت الدراسات التاريخية السوسولوجية نتيجة عاملين عرضيين هما: تشكيل متخيل سياسي جمعي هو ما تعبر عنه الأمة بمفهومها المدني القانوني الحديث، وبروز مشروع سياسي اندماجي تقوده نخبة قيادية مؤثرة وفاعلة في سياق دولي ملائم. لا توجد إذن كيانات سياسية مبنية على هوية وطنية طبيعية حتى لو ترجمت هذه الانتماءات السياسية المصطنعة بلغة قومية أو دينية، كما أن القول بأن الدول الوطنية في منطقتنا من آثار المخططات الاستعمارية التي جزأت الإقليم الشرق أوسطي لا معنى له فالغالبية المطلقة من دول العالم هي نتيجة هندسة خارجية.

السبب الرئيسي إذن لتفكك الدولة الوطنية في البلدان العربية التي شهدت أزمات الانتقال السياسي ليس «اللاشرعية الأصلية» لهذه الدولة ولا غياب نسيج وطني مستند إلى ذاكرة وطنية جامعة، بل هو عجز النخب التي قادت مشروع بناء الدولة في إنتاج هذه الهوية المتخيلة الصلبة والقصور في ترجمتها إلى هياكل مؤسسية فاعلة.

لقد بين المفكر السياسي الفرنسي «برتراند بادي» في كتابه الأخير «عندما يعيد الجنوب اختراع العالم»، أن مجتمعات الحرب التي نشأت على أنقاض الدولة الوطنية طورت آليات اندماج اجتماعي فاعلة وشبكة مصالح اقتصادية قوية لا عن طريق الهياكل المؤسسية (مثل الدول الوطنية)، بل من خلال تطبيع وتنظيم العنف المتبادل، بما أفضى إلى قيام منظومات سلطة مستقرة يتحكم فيها أمراء الحرب، وأدى إلى بروز اقتصاد حرب مثمر مفتوح على الخارج، ومن هنا صعوبة تسوية هذه الحروب الأهلية إلا بإضفاء الشرعية المؤسسية على الوضع القائم، كما كان الشأن في لبنان الذي لم يستعد عملياً وحدته الوطنية بعد أكثر من عقدين من إعلان نهاية الحرب الأهلية.

في مثل هذه الوضع يفقد المفهوم المركزيان في الفكر السياسي دلالاتهما: مفهوم الحرب ومفهوم السلم، ذلك أن الدولة لم تعد في هذه السياقات حالة مدنية ضامنة للسلم الأهلي بل تتعايش مع الصراعات الأهلية وتعكسها في مراكز التمثيل الانتخابي والسلطة التنفيذية، كما أن مقاربات التسوية السلمية التي ترعاها الدول الكبرى والمؤسسات الدولية، وعمليات التدخل وحفظ السلم هي في غالب أوجهها استمرار للحرب بأشكال أخرى.

لقد كان الفيلسوف الألماني «كارل شميت» يقول إن الفكر الليبرالي الحديث عاجز عن التفكير في الحرب التي يعتبرها حالة استثنائية غير مشروعة لا في منظورها الداخلي الأهلي ولا الخارجي ذي الصلة بالعلاقات الدولية، ولذا تحولت السياسة في الغرب الحديث إلى نظام قانوني صرف.

المشكل المطروح هنا هو أن الحرب كما أثبتت دروس التاريخ هي «قابلية الدول وصناعة التاريخ» بالمصطلحات الهيجلية، حتى لو كان السلم هو أفق السياسة والقانون ومقتضى الدين والأخلاق.

أزمة الديمقراطية الغربية في ظل الشعبوية والإرهاب

*د. قحطان السيوفي

٢٠١٨/١١/٢٦: alwatan.sy

هل يمكن أن تموت الديمقراطية في الغرب عموماً وفي الولايات المتحدة تحديداً؟ هل هناك موجة جديدة من الاستبدادية آخذة في اجتياح العالم مع تزايد ظاهرة الشعبوية؟ خاصة تزايد الهجرة وتهديدات الإرهاب التكفيري؟ هذه الأسئلة كانت تبدو غير واقعية حتى وقت قريب، إلا أنها باتت الآن موضوع النقاش في التيار السياسي السائد، والنظام الديمقراطي في أمريكا معرض للتهديد وهو جزء من أزمة عالمية أوسع نطاقاً.

أستاذ العلوم السياسية في جامعة هارفارد، ياشا مونك، نشر كتاباً بعنوان «الشعب ضد الديمقراطية» مع عنوان فرعي «لماذا تتعرض حريتنا للخطر» جاء فيه: «للمرة الأولى في تاريخها، انتخبت أقدم وأقوى ديمقراطية في العالم رئيساً يزدرى بشكل علني الأعراف الدستورية الأساسية. سلطوا ليتقلد أعلى منصب في الدولة، هي نذير شؤم سيئ جداً».

بدوره أستاذ التاريخ في جامعة ييل، تيموثي سنايدر، في كتابه «الطريق إلى انعدام الحرية» يحذر بأن «الديمقراطية الأمريكية سوف تنتهي يوماً ما» ما لم تتمكن من حل التوترات الاقتصادية والعرقية، التي يرى أنها عملت على دفع ظهور دونالد ترامب وأدى إحصار الشعبوية السياسية الى زعزعة الغرب، فصوتت بريطانيا لمغادرة الاتحاد الأوروبي، وصوتت أمريكا لمصلحة ترامب، وفي ألمانيا، حزب البديل لألمانيا الشعبوي فاز بـ١٣ في المئة في الانتخابات، والمشهد يشير لتباعد بطيء بين الليبرالية والديمقراطية».

الدافع وراء الشعبوية في الغرب هو نزعة تؤكد الحقوق الديمقراطية للأغلبية، لكنها لا تولي اهتماماً يذكر لحقوق الأقليات التي هي من أساس الليبرالية.

الإحباط الكبير الذي يشعر به ترامب متجذر في عدم قدرته على تفهم مهامه كرئيس، وشعبويته الجامحة التي لم تحقق كامل أهدافها، فلم يتم بعد بناء الجدار على طول الحدود المكسيكية، ولم يبلغ كامل برنامج الرعاية الصحية الذي أوجده الرئيس السابق أوباما، ولا تزال القوات الأمريكية موجودة في أفغانستان، والتخفيض الضريبي بنسبة ٣٥ في المئة أصبح لمصلحة الشركات الكبرى والطبقة الثرية، وتخلى البيت الأبيض عن خطط لفرض حظر شامل على المهاجرين المسلمين، ومن خلال انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاقيات الدولية، والتشكيك في الالتزامات طويلة الأمد مع الحلفاء، عمل ترامب على التسبب في تراجع النفوذ الأمريكي في مختلف أنحاء العالم، وأدت الانتخابات النصفية لعودة الديمقراطيين كأغلبية في مجلس النواب.

ثمة سؤال: هل يُمكن إنقاذ الديمقراطية من براثن الشعبوية؟ خطة الترحيل الجماعي للمهاجرين غير الشرعيين، التي دعا إليها أنصار ترامب المتحمسين، من شأنها أن تتطلب وحشية ينفر منها معظم الليبراليين.

عندما تتبع حكومة ديمقراطية فعلاً الغرائز الشعبوية فيما يتعلق باللاجئين، يمكن أن ينتهي بها الحال في مكان يندر بالخطر، من جهة أخرى الساسة الأوروبيون يتصبون عرقاً لمقاومة استفحال الشعبوية.

في أوروبا موجة اجتياح الأحزاب الوطنية المتعصبة، التي تتغذى على مخاوف التعددية الثقافية والعولمة قد يستحيل وقفها، وتواصل الأفكار القومية المتعصبة، التسلل إلى تيار السياسة العامة في القارة العجوز، ويحذر بعض المحللين من أن وحدة الاتحاد الأوروبي مهددة، مع تزايد المهاجرين.

بالمقابل المشاعر المناهضة للهجرة تتزايد، ثلثا مواطني الاتحاد الأوروبي يرون أن الهجرة لها أثر سلبي في بلادهم، وذلك وفقا لدراسة نشرتها «فوندابول» وهي مؤسسة أبحاث ليبرالية مقرها باريس.

يقول المؤرخ الفرنسي جان جاريج: «الشعبوية لا تتغذى على انعدام الأمن الاقتصادي فحسب، بل أيضا على الاشتباكات الثقافية»، وهي الأبعاد التي لا ينتبه إليها كثيرون، وفي وقت تعيش الديمقراطية الليبرالية في أزمة يتساءل مارتن وولف في «الفينانشال تايمز»: كيف يمكن للديمقراطية الليبرالية، وهي تركيبة هشّة من الحرية الشخصية والعمل المدني، استعادة التوازن بين هذين العنصرين؟

جادل دياموند من جامعة ستانفورد، بأن الديمقراطية الليبرالية لديها أربعة عناصر ضرورية وكافية: انتخابات حرة ونزيهة، ومشاركة فعالة من الناس، باعتبارهم مواطنين، وحماية الحقوق المدنية وحقوق الإنسان لجميع المواطنين، وسيادة القانون التي تربط جميع المواطنين بالتساوي.

في تقريرها لعام ٢٠١٨ قالت منظمة «فريدوم هاوس» الامريكية غير الربحية التي تمولها الحكومة الفيدرالية: «الديمقراطية في أزمة، القيم التي تجسدها وحرية التعبير وسيادة القانون، تتعرض للهجوم وتشهد تراجعاً على الصعيد العالمي»، هذا «الركود الديمقراطي»، كما وصفه البروفيسور دياموند بالقول: إن الالتزام بمعايير الديمقراطية الليبرالية، يشهد تراجعاً حتى في الولايات المتحدة.

في كتاب صدر أخيراً، بعنوان «الشعب مقابل الديمقراطية»، يجادل، مونك، من جامعة هارفارد، بأن كلا من «الليبرالية غير الديمقراطية» و«الديمقراطية غير الليبرالية» تهددان الديمقراطية الليبرالية، بموجب الأولى، الديمقراطية ضعيفة فوق الحد: يتم التضحية بالروابط الاجتماعية والأمن الاقتصادي على مذبح الحرية الفردية. الليبرالية غير الديمقراطية تنتهي إلى حكم النخبة. والديمقراطية غير الليبرالية تنتهي إلى الحكم الاستبدادي.

الاقتصاد الليبرالي لم يحقق ما كان يرجى منه، والصحيح هو أن الليبرالية الاقتصادية ذات الإدارة السيئة ساعدت في زعزعة استقرار السياسة. هذا يساعد في تفسير رد الفعل القومي الشعبوي في البلدان المتقدمة اقتصادياً، ومن المستحيل بالنسبة للديمقراطيات أن تتجاهل الغضب العام والقلق المنتشرين على نطاق واسع، وسياسة الباب المفتوح التي انتهجتها ميركل عملت على إشعال فتيل رد فعل شعبي عنيف داخل ألمانيا، والرئيس الأمريكي دونالد ترامب ينضم إلى جوقة الشعبويين الألمان ويصف سياسات الهجرة التي تنتهجها المستشار الألمانية بأنها «مجنونة».

يسلط صعود النزعة الشعبوية الضوء في ألمانيا مثلاً على الحقيقة التي مفادها أن كثيراً من الألمان يشعرون بالفزع من أن حزب البديل لألمانيا لديه كل هذه المشاعر العنيفة المعادية للأجانب، فيطالب بهدم المآذن ويقول إن ألمانيا ينبغي أن تتوقف عن الاعتذار عن النازيين، مُدعياً أن الوافدين المسلمين إرهابيين، وقد يسعون لطمس الهوية الوطنية.

فوز حزب البديل لألمانيا يثير جدلاً حاداً لمواضيع منها الإرهاب، والإرهاب التكفيري الذي ساهم الغرب في صناعته ودعمه في سورية والعراق ارتد على الغرب ليشكل خطراً على أمريكا، وأوروبا، وأصبح مع تدفق اللاجئين من الأسباب التي ساهمت في تأجيج النزعة الشعبوية المتطرفة في الغرب.

هل يمكن إنقاذ الديمقراطية من براثن الشعبوية وكيف يمكن للغرب مواجهة الإرهاب الذي سبق وساهم بإيجاده ودعمه؟ إنها أزمة الديمقراطية الغربية في ظل الشعبوية والإرهاب.

احذر.. «الشعبيون» يملؤون المكان !

*علي سعادة

يتلاعبون بعواطف الناس وأفكارهم لغايات سياسية ويعتبرون أنفسهم هم الصوت الوطني الأصيل وممثلي المواطنين العاديين و« الطبقات المنسية »

يظهرون في الانتخابات والريضة وفي المهرجانات وفي الأزمات السياسية والوطنية، يستخدمون لغة عاطفية فجّة ورخيصة، ويقدمون للعامة معلومات خاطئة وغير دقيقة، يعتمدون على التخويف والتخوين للوصول إلى أهدافهم

يعتمد بعض المسؤولين على « الشعبوية » لكسب تأييد الناس والمجتمعات لما ينفذونه أو يعلنونه من سياسات

صحيفة (السبيل) الاردنية : ٢٧/١١/٢٠١٨

الشعبيون يملؤون المكان، تجدهم في كل زاوية، على مواقع التواصل الاجتماعي، وفي المجالس النيابية، وفي الحكومات، وفي الأحزاب السياسية، وفي الصحافة وفي وسائل الإعلام، وحتى في ملاعب كرة القدم. لو نظرت وتمعنّت قليلاً ربما تجدهم في درج مكتبك أو تحت سريرك في غرفة النوم، وربما في جيوبك ومحفظة نقودك.

لم يأتوا مع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، أو مارين لوبان زعيمة اليمين المتطرف في فرنسا، أو مع ظهور جيرت فيلدرز رئيس «حزب الحرية» في هولندا، أو مع المتشدد فيكتور أوربان رئيس وزراء المجر. كانوا موجودين دائماً بيننا، حتى في الحضارات القديمة.

يظهرون في الانتخابات والريضة وفي المهرجانات وفي الأزمات السياسية والوطنية، يستخدمون لغة عاطفية فجّة ورخيصة، يخاطبون القلوب والعواطف، ويقدمون للعامة معلومات خاطئة وغير دقيقة، يعتمدون على التخويف والتخوين للوصول إلى أهدافهم.

«الشعبوية» كأيدولوجية، أو فلسفة سياسية، هي نوع من الخطاب السياسي الذي يستخدم «الديماغوجية» وإثارة عواطف الجماهير لتحديد القوى العكسية والمنافسة لهم.

حيث يعتمد بعض المسؤولين على «الشعبوية» لكسب تأييد الناس والمجتمعات لما ينفذونه أو يعلنونه من سياسات، وللحفاظ على نسبة جماهيرية معينة تعطيهم مصداقية وشرعية.

وعكس «الشعبوية» هو تقديم المعلومات، الأرقام والبيانات بمخاطبة عقل الناخب لا عواطفه، لذلك عادة ما يتم وصف «الشعبيين» بأنهم يتبعون معاداة الفكر أو يمارسون عبادة الجهل.

ومن أكبر النتائج الكارثية «للشعبوية» هو قدرتها على اقناع عدد كبير من الشعب وغالبا ما يشكلون الأكثرية للقبول بالسلطة المطلقة للفرد أو لمجموعة من الزعماء.

وفي منطقة الشرق الأوسط أخذ «الشعب» دور «الرعية/الموطن» وممارسة طقوس الطاعة والخضوع بإذعان مطلق للراعي/الحاكم/ ولي الأمر، الذي يسعى بدوره إلى تعزيز تسلط نظام الحكم عبر استغلال البنى التقليدية كالعشيرة والقبيلة، والإبقاء على الجهل في صفوف «الشعب».

واعتماد الكثير من المؤرخين على وصف «الشعب» بـ«الرعا» أو «السوقة» أو «العوام» أو «الدون» وغيرها من نعوت الازدراء التي توضع في مقابل «النخب» من أهل الرياسة والسلطان والعلم والحل والعقد.

ومنذ أن استحكمت السياسات «الشعبوية» الجاذبة للجماهير في العالم العربي منذ أواخر الأربعينيات ومنتصف الخمسينيات مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، بقي الإنسان العربي أسير «الشعبيين» الذين واصلوا تقديم خطاب وسياسيات «شعبوية» متفاوتة حتى اليوم.

ولا يكاد يخلو أي نقاش سياسي أو عملية انتخابية مؤخرا من مصطلح «الشعبوية».

إذ تم تداوله خلال الانتخابات الرئاسية الأمريكية، وقبل ذلك تكرر في النقاشات التي رافقت عملية خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي.

الخطاب «الشعبي» الذي يتسم بالتبسيط الشديد لقضايا المجتمع المعقدة، يحمله عادة سياسيون يحظون بكاريزما عبر التغريد في موقع «تويتر» مثلا، ويبحثون عن دعم شعبي مباشر بتحديثهم المؤسسات التقليدية الديمقراطية في بلدهم، فيتلاعبون بعواطف الناس وأفكارهم لغايات سياسية، ويعتبرون أنفسهم هم الصوت الوطني الأصيل وممثلي المواطنين العاديين أو من يسمونهم «الطبقات المنسية».

وهم بذلك يوصفون بأنهم ذوو نزعة في التفكير السياسي رافضة فكرة التنوع المجتمعي، وجانحة للغوغائية والفوضوية المتوسلة بدور «الشعب»، والقائمة على التوظيف السياسي لمشاعر الغضب عند عامة الناس، خاصة في أوقات الكوارث والأزمات الاقتصادية والاضطرابات السياسية.

ومع أن «الشعبوية» ارتبطت أصلا في نشأتها بأوساط التيارات اليسارية، فإنها أصبحت أيضا تغزو اليمين واليسار الليبرالي الذي صار يشكل أكبر كتلة سياسية بالغرب، وربما توجد في صفوفهما بصورة تفوق أحيانا وجودها في اليسار خاصة في أوروبا.

أي شخص يريد حاليا أن يظهر ليس عليه سوى تبني خطاب «شعبي» حتى تحمله العامة على اكتافها وتوصله إلى سدة الحكم.

احتجاجات باريس: انتفاضة ثورية أم مجرد حراك شعبي؟

*عثمان تزغارت

صحيفة (العرب) اللندنية: ٢٧/١١/٢٠١٨

المواجهات التي شابت احتجاجات «السترات الصفراء» في باريس، حيث نُصبت المتاريس على جادة الشانزليزيه، واقتُلت حجارة الطرق لرشق قوات «مكافحة الشغب»، أعادت إلى الأذهان صور انتفاضة مايو/ أيار ١٩٦٨ الطلابية التي عصفت بأركان الحكم «الديغولي». لكن الآراء والتحليلات لا تزال متضاربة بخصوص خلفيات هذا الحراك وجذوره ومآلاته المحتملة.

هل نحن أمام لحظة تُنذر بأن التاريخ (الفرنسي) يعيد نفسه، بعد نصف قرن، من خلال انتفاضة ثورية جديدة لن تلبث عدواها أن تنتشر إلى باقي الدول الأوروبية التي تواجه الأوضاع المعيشية المتأزمة ذاتها التي أشعلت حراك «السترات الصفراء» في فرنسا؟

أم هل هذا الحراك مجرد رجع صدى لاحتجاجات «حَمَلَة شوكات المزارع» في إيطاليا، عام ٢٠١٣، التي بدأت كـ«حركة مواطنة» ضد سياسات التقشف التي أثقلت كاهل الإيطاليين بالأعباء الضريبية، ولم تلبث أن تمخضت عن حركة «خمسة نجوم» الشعبوية التي لم تتورع خلال الصيف الماضي، عن الائتلاف مع «الرابطة» (التسمية المخففة لـ«رابطة الشمال» الفاشستية سابقاً) لتشكيل الحكومة اليمينية المتطرفة الحالية، برئاسة جوسيبى كونتي.

إننا، إذاً، حيال مآلين متضادين يمكن أن تتمخض عنهما احتجاجات «السترات الصفراء»: انتفاضة ثورية كفيلة بأن تقلب الطاولة على «الاستبلشمنت» السياسي والاقتصادي (والإعلامي) المهيمن، أو منزلق شعبي من شأنه أن يشرع أبواب السلطة أمام التيارات القومية واليمينية المتطرفة.

خصوم «الاستبلشمنت» الفرنسي ومنتقدوه، من أقطاب التيارات الراديكالية، على أقصى اليسار وأقصى اليمين، يأملون أن يؤسس حراك «السترات الصفراء» لانتفاضة شعبية بحجم انتفاضة مايو ١٩٦٨، بما من شأنه أن يشق الطريق لإقامة جمهورية فرنسية سادسة كفيلة بإعادة تحصين مؤسسات الدولة ضد «الشطط الرئاسي» الذي نشأ مع ساركوزي وتفاقم مع ماكرون، بحيث باتت كل مراكز القرار مرتكزة في قصر الإليزيه، بيد «سوبر رئيس» بلغ به جبروت القوة أن قارن نفسه بالإله «جوبيتر» الذي كانت الأساطير الرومانية القديمة تعدّه «حاكم السماوات والأرض، وكل ما بينهما من كائنات، بمن فيهم جميع الآلهة الآخرين»!

هذا الشطط الرئاسي لم يتورع عن دوس صلاحيات جميع الهيئات التمثيلية (المنتخبة منها أو الرمزية) التي تمثل مركز ثقل وتوازن أي مجتمع أو نظام سياسي غير استبدادي، كالبرلمان والمجالس الجهوية والمحلية والنقابات ووسائل الإعلام.

من هذا المنظور، تربط بين انتفاضة مايو ١٩٦٨ وحراك «السترات الصفراء» أوجه مقارنة لافتة.

الآمال التي يضعها السواد الأعظم من الفرنسيين في الحراك تشوبها الكثير من المنغصات

حين أقدمت حكومة جورج بومبيدو، في آب ١٩٦٧، على سنّ حزمة من المراسيم الحكومية الهادفة إلى تعديل قوانين العمل والضمان الاجتماعي، كانت تحظى بالأغلبية في البرلمان، لكنها - نزولاً عند الرغبات المستعجلة لجمعية أرباب العمل - لم تشأ تضييع الوقت في «النقاشات البرلمانية العقيمة»، ولم تكبّد نفسها مشقة الاستماع إلى النقابات أو التفاوض معها، بل تحيَّنت نهاية آب، فيما الناس على البحر، لإمرار «إصلاحاتها» عبر سلاح المراسيم الحكومية غير القابلة للنقض أو النقاش.

فما إن حلّ أيلول حتى عمّت الاحتجاجات والإضرابات البلاد. لكن الجنرال العجوز ورئيس حكومته أشاحا بوجهيهما عنها استخفافاً إلى أن تفاقمت ككرة الثلج، وأفضت إلى إعصار مايو ١٩٦٨ العاصف. بدوره، خرج نزيل «الإليزيه» الحالي فائزاً بالأغلبية المطلقة في الانتخابات البرلمانية التي أقيمت بعد انتخابه رئيساً في مايو ٢٠١٧.

لكن «جوبيتر» المتعجل رأى، مثل بومبيدو، في النقاش البرلماني مضيعة للوقت. وإذا به يشهر، هو الآخر، سلاح المراسيم لإصلاح قوانين العمل، صاماً أذنيه عن سلسلة طويلة من الإضرابات والاحتجاجات النقابية، غير متورع عن وصف نقابي «المركزية العامة للعمل CGT» العريقة بـ«الإرهابيين»، ووصم عموم شعبه بـ«الكسالى ذوي الطباع المناهضة لأي إصلاح»... إلى أن فوجئ بهدير «السترات الصفراء» يصل إلى أعتاب قصره الرئاسي!

لكن الآمال الواسعة التي يضعها السواد الأعظم من الفرنسيين في حراك «السترات الصفراء» تشوبها الكثير من المنغصات. فقد تخللت موجة الاحتجاجات، خلال الأسبوعين الماضيين، الكثير من مظاهر الشطط اللفظي والجسدي، ذي الطابع الشعبوي، المعادي لـ«النخب» الإعلامية والحزبية والنقابية.

وإذا أدت جولات الاحتجاج إلى تكريس هذا التوجه في تخوين «النخب» و«الهيئات التمثيلية»، باعتبارها جزءاً من «الاستبلشمنت»، لحساب الوهم المبشّر بـ«يوتوبيا» «الديموقراطية المباشرة»، فإن «السترات الصفراء» ستقع سريعاً في الفخ الشعبوي ذاته الذي انجرّ إليه «حملة شوكات المزارع» الإيطاليون، قبل خمسة أعوام.

منزلق شعبوي يُخشى أن تنسحب بموجبه، على ما يحدث الآن في موطن ديكرت، مقولة ماركس الشهيرة المحدّرة من أن التاريخ إذ يكرر نفسه يأتي في المرة الأولى تراجيدياً ليتحوّل في المرة الثانية إلى مهزلة!

العلمانية والأخلاق

*سعيد ناشيد

مركز ناشيد التنويري: ٢٧/١١/٢٠١٨

هناك اعتقاد رائج في بعض الأوساط يعتبر العلمانية أسلوب حياة لا أخلاقي، وهناك من يذهب به الظن إلى أن الأخلاق تعكس درجة التدين لدى الأفراد والمجتمع، من يصدق هذا؟
عموما فإن ربط العلمانية باللا أخلاق مجرد شائعة أساءت للفكر والثقافة والفن، وشوهت سمعة مفكرين ومبدعين أغنوا الخزانة العربية بمئات المؤلفات والترجمات والمراجعات النقدية، بكل ما يتطلبه ذلك من حياة يغلب عليها الزهد، وتندر فيها أحيانا أبسط وسائل التسلية والترفيه، هذا في الوقت الذي غابت فيه أي تعبئة أخلاقية ضد التعصب الديني الذي تغول في الأخير على حساب الجميع.
حسبنا أن نوضح الواضح، العلمانية ليست فقط تتناسب مع الأخلاق، لكنّها الشرط التأسيسي للأخلاق، وهي ليست ضد أي أحد، بل هي مشروع حياة من أجل الجميع. وكل ما في الأمر أن العلمانية خسرت حرب الشائعات التي لا تحسن خوضها، ما يُحسب لها، لكنها لم تحصن نفسها من آثار تلك الحرب القذرة بما يكفي من قدرات تواصلية مع عامّة الناس، وهذا ما يحسب عليها.

ولنبداً بتجربة بسيطة، إذا أنت سألت أيّ إنسان مسلم عن موقفه الأخلاقي من المجتمعات الغربية اليوم، ستلاحظ في إجابته -أو إجابته- نوعاً من الازدواجية: بقدر ما يمثل الغرب ذروة الأخلاق الحميدة لجهة المسؤولية والالتزام والصدق والشفافية إلخ، فإنه يمثل في المقابل حضيض الانحطاط الأخلاقي لجهة العري والرّقص والإباحية إلخ. هذا يعني أنّ الأمر يتعلق بحكم أخلاقي متناقض حول نفس الظاهرة. فهل ثمة مشكلة في منهج الرؤية؟ بلى، تكمن المشكلة في غياب معايير واضحة للحكم الأخلاقي. والحال أنّ معاييرنا الأخلاقية بالية ومتقادمة، بحيث أنها لا تزال متعلقة بمفاهيم الطاعة والجماعة وسترة العورة وما إلى ذلك، وهي مفاهيم لا تسعفنا في استيعاب أخلاقيات التقدم العلمي والتواصل التقني والتضامن الإنساني والسلوك المدني.

أمامنا سؤال واضح، كيف تُبنى معايير الحكم الأخلاقي؟ للإجابة، هناك تصوران:

أولاً، التصور الطبيعي الذي يعتبر بأنّ معايير الحكم الأخلاقي موجودة داخل عقل كل إنسان، شريطة أن يستعمل المرء عقله بكل حرية وتلقائية وأريحية وبأقل ما يمكن من الانفعالات. هذا التصور يقول به العلمانيون، لكن قال به أيضاً الكثير من القدامى (النظام، العلاف، القاضي عبد الجبار، الجاحظ...). وهو تصور يؤيده البعض من وجهة نظر دينية تنطلق من سلامة الفطرة الإنسانية، ومن أن العقل مناط التكليف.

ثانياً، التصور الغيبي، وهو تصور يعتبر بأنّ معايير الحكم الأخلاقي تتجاوز العقل البشري، ومصدرها بالتالي خارج عقل الإنسان، بمعنى الوحي، ما يعني بكل بساطة، أنّ لولا الوحي الإلهي لكان معظم الناس يقتل ويعتبر القتل عادياً، يسرق ويعتبر السرقة عادياً، يقترب زنا المحارم ويعتبر ذلك عادياً.

هذا التصور يأخذ به معظم الفقهاء، ويخترق موروثنا الفقهي، وهو الذي رسم رؤيتنا للأمور، لكننا إذا لم نقصر النظر على الفقه، وإذا وسعنا الدائرة قليلاً لتشمل علم الكلام والفلسفة والتصوف ستبدو نسبة كبيرة من المسلمين

لا تؤمن بهذا الطرح الذي يناقض صريح الحديث "إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق". والمستفاد من هكذا حديث أن الوحي ليس مصدرا للأخلاق لكنه متم لها، وما يعني، بالواضح، أن هناك مصدرا آخر للأخلاق، وأن هذا المصدر ليس سوى عقل الإنسان. وهذه الفرضية هي منطلق عصر التنوير الأوروبي. تُعلمنا فلسفات العلوم اليوم بأن الفرضية تكون أكثر ملاءمة حين تفسر لنا أكبر قدر ممكن من الظواهر، والحال أن الفرضية التي تقول إن العقل هو مصدر معايير الحكم الأخلاقي، تفسر لنا ظاهرتين هامتين:

أولاً، تتطور معايير الحكم الأخلاقي مع تطور التاريخ البشري. مثلاً، فقد كان الناس في العصور الغابرة، وتقريباً في كل المجتمعات، أكثر تقبلاً لتزويج الصغيرات وانخراط الأطفال في الحروب، كانوا أكثر تساهلاً مع سبي النساء في الحروب باعتبارهنّ جزءاً من الممتلكات، إلخ، والأمير يختلف اليوم بفعل تطور العقل الأخلاقي. هذا التطور قد شمل في الأخير كافة المجتمعات الإنسانية وإن بدرجات متفاوتة.

ثانياً، يتجه تطور المعايير الأخلاقية باستمرار من الإطار المحلي (الطائفة، العشيرة، العرق، المذهب) إلى رحاب الكونية، إنها صيرورة لم تكتمل بعد وقد لا تكتمل قريباً، لكنها صيرورة متواصلة، وتتجلى في العديد من المكتسبات الهامة، ضمنها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، متبوعاً بكل الاتفاقيات والمواثيق التفصيلية، وصولاً إلى الجيل الأخير من حقوق الإنسان، فضلاً عن صيرورة عولمة معايير العدالة. والآن، أمامنا سؤال حاسم، من أجل تطوير العقل الأخلاقي المعطل هل يمكننا التعويل على "إحياء" الدين كما يردد البعض؟

إذا صدقنا الدعوى وعدنا إلى قراءة الدين لأجل تطوير عقلنا الأخلاقي، فهذا يعني أننا سنقرأ الدين بعقل متخلف، وستكون النتيجة فهماً متخلفاً للدين. وهنا تكمن الحلقة المفرغة لأنصار "الصحة الدينية" والتي يتعذر الخروج منها بدون تغيير المنطلقات. وبلا شك فإن الفظائع التي تقترفها المنظمات المتطرفة تظل ثمرة قراءة متخلفة للدين. إذ أن المستوى الأخلاقي للعقل ينعكس مباشرة على فهمنا للدين. وهنا مربط الفرس في سؤال الإصلاح الديني.

مثال توضيحي، لم يكن المستوى الأخلاقي للفقهاء القدماء يسعفهم لكي يستنبطوا من الآية (لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك) أي حكم شرعي، رغم أنهم استنبطوا من آيات السيف مئات الأحكام. وفي المقابل فنحن اليوم بسبب تطور موقفنا الأخلاقي من مسائل العنف والثأر والانتقام، أصبحنا ندرك أهمية تلك الآية. مثال آخر، مارس الرسول (ص) الزواج الأحادي مع خديجة، والتي لم يتزوج عليها طيلة حياتها، وبقي على تلك الحال عامين بعد وفاتها. وهذا المعطى لم يلتفت إليه موروثنا الفقهي ولم يستنبط منه أي حكم بقدر ما ركز انتباهه على مرحلة التعدد، حيث اختلطت الوقائع باستيهامات الرواة. وإن كنا اليوم نلتفت إلى ما لم يلتفت إليه موروثنا الفقهي، فالسبب يعود إلى أن عقلنا الأخلاقي، رغم انغلاقه، تجرع قطرات من الحداثة.

إذن، يجب أن يتطور عقلنا الأخلاقي أولاً. ولا يتم هذا إلا من خلال الاستعمال المتواصل للعقل في كل المسائل والنوازل. فالعقل مثل سائر الأعضاء إذا لم يعمل سيموت.

علينا أن نستعمل عقولنا باستقلال عن أي وصاية، أكانت وصاية باسم الدين أم غيره، علينا أن نستعملها بنحو حر ومستمر، وبذلك فقط بذلك تطور عقولنا أولاً. ثم لنستعمل عقولنا في فهم الدين، وبذلك فقط بذلك تطور فهمنا للدين. وهكذا نخرج من الحلقة المفرغة.

الشرق الأوسط.. على عتبة التصعيد أم احتواء الحرائق؟

*ناصيف حتي

صحيفة (الشرق) المصرية: ٢٧/١١/٢٠١٨

في خضم اشتداد المواجهة الأمريكية الإيرانية بعد دخول المرحلة الثانية من العقوبات الأمريكية على إيران حيز التنفيذ، يعود التركيز بقوة على سوريا وهي مسرح استراتيجي أساسي إن لم يكن الأساسي في هذه المواجهة القائمة بأشكال وصور مختلفة بين واشنطن وطهران. جملة من العناصر والمؤشرات تدفع بهذا الاتجاه:

أولاً:

المعلومات التي نقلتها بعض وسائل الإعلام الإسرائيلي عن أن رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو قد أبلغ لجنة الشؤون الخارجية والأمن في الكنيست عن مقترح روسي قوامه تخفيف العقوبات عن إيران مقابل انسحاب القوات الإيرانية من سوريا، الأمر الذي يبقى هدفاً أمريكياً إسرائيلياً أساسياً، وهو بالطبع ما سارع إليه نقيب نائب وزير الخارجية الروسي سيرجي ريبكوف. المثير للاهتمام أن المبعوث الأمريكي الجديد إلى سوريا جيمس جيفري صرح بحصول تفاهم أمريكي روسي خلال زيارة جون بولتون لموسكو في شهر أكتوبر في هذا الاتجاه، ولا يعني ذلك أن السلطات السورية ستقوم بهذا الأمر ضمن مشروع صفقة قد يجري التحضير لها أو إنها قادرة على ذلك.

فالمبعوث الأمريكي يصرح أيضاً بما هو يعتبر أنه تحول واضح هذه المرة بموقف واشنطن من الأزمة السورية أن بلاده لا تريد تغيير النظام بل تريد تغيير سلوك الدولة السورية والمعني بذلك إخراج الإيرانيين وحلفائهم من سوريا وهو الهدف الثاني للولايات المتحدة الذي يكرره المسئولون الأمريكيون إلى جانب هدف هزيمة داعش. إنها عملية جس نبض لمفاوضات لاحقة، ما زال من المبكر الحديث عنها مع إيران ضمن ما يمكن أن يكون صفقة شاملة لتنازلات متبادلة منها بالطبع ما تطالب به واشنطن من تغيير في «سلوكيات إيرانية في المنطقة».

ثانياً:

تحول خليجي ولو بسيط حامل رسائل عديدة فيما يتعلق بالنظر إلى الأزمة السورية: التركيز على الحل السياسي دون ربطه بشروط مسبقة كإسقاط النظام، إلى مقابلة صحفية للرئيس السوري في صحيفة خليجية إلى حديث عن عودة سفارة لعمها الطبيعي في دمشق إلى «مصافحة وزارية»، يأتي ذلك في إطار الحديث عن «عدم ترك سوريا لإيران» وعن ضرورة الانخراط مع السلطات السورية ولو بتحفظ وبشكل تدريجي لإحداث توازن مع الدور الإيراني واحتوائه وإضعافه وربما إبعاده لاحقاً: إنه تحول بطيء في سياسة المواجهة التي

أثبتت فشلها مع الغياب العربي شبه الكلي عن التأثير في «الملف السوري» مقارنة مع وزن الأطراف الدولية والإقليمية في هذا الملف، نحو سياسة انخراط من البوابة الدبلوماسية وليس المواجهة الكلية خاصة في ظل التحولات الحاصلة على الأرض في ميزان القوى لمصلحة النظام دون أن يعني ذلك بالطبع العودة إلى الوضع الذي كان سائدا قبل الحرب.

ثالثا:

في السياق ذاته التأكيد على إطلاق عملية التسوية السياسية في سوريا عبر مدخل اللجنة الدستورية والدعوة لتشكيلها قبل نهاية هذا العام وبالطبع مواكبة الفاعلين الدوليين والإقليميين لهذه العملية غير السهلة ولكنها كمدخل واقعي وحيد للتسوية السياسية للصراع في سوريا.

رابعا:

غداة فرض العقوبات على إيران تبدو الصورة شديدة التعقيد من حيث استمرار دور غربي أوروبي تشوبه بعض علاقات التوتر مع واشنطن في شأن إبقاء صلات التواصل مع إيران تحت عنوان الحفاظ على الاتفاق النووي من خلال العمل على إنقاذه عبر البحث عن عناصر توافقية ترضي واشنطن ولا ترفضها إيران. إنه أمر صعب دون شك ولكنه غير مستحيل والحديث عن صفقة في سوريا يدخل تحت هذا العنوان دون أن يعني أنه يمكن تحقيق هذه الصفقة كما هو مطروح ولكنه رسالة قوامها أن خطوط التفاوض غير المباشرة تبقى مفتوحة.

خامسا:

مؤشر غير مباشر داعم لتوجه احتواء الحرائق المشتعلة في المنطقة والخوف من تمددها مما يصيب مصالح الجميع ولو بأشكال مختلفة يكمن في التحول الأمريكي ومعه الغربي لنقل الأزمة اليمنية من المواجهة المفتوحة على الأرض إلى طاولة المفاوضات في مطلع العام القادم في السويد. ويدرج البعض هذا التحول في العمل على إفقاد إيران إحدى أوراقها المهمة في المواجهة في المنطقة ولكنه يدل أيضا على انسداد أفق الحل العسكري وعلى التداعيات الخطيرة يمينيا وإقليميا لاستمرار الحرب المفتوحة.

فهل حانت لحظة التعب عند الجميع والبحث عن الحلول السياسية عبر لعبة جس النبض والرسائل المبكرة وشبه الغامضة، ولو أنه لا يوجد بعد تصور موحد لهذه الحلول لكن هذا التصور يمكن أن يولد على طاولة المفاوضات ولو بصعوبة كما علمتنا تجارب دولية عديدة.

* كاتب سياسي لبناني

مستقبل السعودية في ضوء تنازع الإرادات الدولية حول مقتل خاشقجي

*إحسان الفقيه

القدس العربي : ٢٧/١١/٢٠١٨

بدأت الإدارة الأمريكية أكثر اهتماما بقضية مقتل جمال خاشقجي، الصحافي السعودي المقيم في الولايات المتحدة والكاتب في جريدة "واشنطن بوست" من قضايا "اختفاء" مماثلة إلى حد ما رغم تداعياتها على الشراكة مع السعودية في الحرب على الإرهاب في المنطقة واليمن والقرصنة في البحر الأحمر، والتصدي للتهديدات الإيرانية والدور الإقليمي السعودي في مبادرة السلام في الشرق الأوسط، إلى جانب العلاقات الاقتصادية في مجال صفقات التسليح والطاقة التي تلعب السعودية دور المتحكم في استقرار أسعار النفط في السوق العالمية.

حوادث مماثلة لمقتل خاشقجي قادت إلى تصور جديد يؤشر لانهايار واضح في الأعراف الدولية والعلاقات بين دول العالم واحترام المواثيق المتفق عليها" اعتقلت الصين بشكل غامض مواطنها مسؤول الشرطة الدولية "الإنتربول" ونفذت إيران محاولات اغتيال في باريس والدنمارك ضد معارضين لها.

كما أن روسيا الدولة العضو في مجلس الأمن الدولي، أقدمت على تسميم أحد موظفي استخباراتها السابقين الفار من روسيا إلى بريطانيا، وحوادث أخرى لم يلتفت إليها المجتمع الدولي بشكل جاد قد تكون حفزت المسؤولين السعوديين على المباشرة بجريمة قتل جمال خاشقجي.

رغم التاريخ الطويل في سلوك الولايات المتحدة غير المكترث بانتهاكات حقوق الإنسان من قبل الأنظمة الاستبدادية طالما أنها أنظمة حليفة أو شريكة، أو ترتبط معها بمصالح ذات أهمية للاقتصاد والأمن القومي الأمريكيين" إلا أن أصواتا في الإدارة الأمريكية تحاول استثمار مقتل خاشقجي لاستعادة الأسس التي قامت عليها الولايات المتحدة في رعاية حقوق الإنسان حول العالم والتبشير بالديمقراطية.

لا يبدو هناك الكثير من الأصوات داخل الإدارة الأمريكية راغبة في فرض عقوبات على الدولة السعودية، إنما الاقتصاد على معاقبة أفراد متهمين بالمسؤولية عن مقتل خاشقجي الذين أعلنت الولايات المتحدة عن عقوبات شملت ١٧ شخصا سعوديا، ليس بينهم نائب رئيس الاستخبارات السعودية اللواء أحمد عسيري.

في آخر بيان للنيابة العامة السعودية أعلنت أنها وجهت التهم لـ ١١ شخصا من الموقوفين في قضية مقتل خاشقجي من أصل ٢١ موقوفا يخضعون للتحقيق، مع مطالبة المحكمة الجزائية التي تنظر بالقضية بإصدار أحكام الإعدام على من أمر وبأشرف بالجريمة وعددهم خمسة أشخاص، وإيقاع العقوبات "الشرعية" بالبقية.

ثابت في السياسة الخارجية الأمريكية ازدواجية المعايير وانتقائية التعامل في ملف حقوق الإنسان حول العالم" وكثيرا ما استخدمت الولايات المتحدة انتهاكات حقوق الإنسان من قبل بعض النظم الاستبدادية كوسيلة ضغط على هذه الأنظمة لتحقيق مصالح خاصة لها.

تتباين التصريحات التي أطلقها وزير الخارجية السعودي، عادل الجبير، لصحيفة "الشرق الأوسط"، الثلاثاء ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر مع مجمل ما صدر عن مسؤولين أترك وأمريكيين أشارت ضمنا إلى مسؤولية مباشرة لولي العهد السعودي، محمد بن سلمان، بجريمة مقتل جمال خاشقجي، وضرورة محاسبته.

الوزير السعودي كشف عن أن السلطات التركية أكدت للرياض رداً على استفسارات "على أعلى المستويات"، أن ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان، ليس هو المقصود بالتصريحات التركية التي تتهم "شخصية رفيعة" بإصدار الأمر بتصفية المواطن السعودي جمال خاشقجي.

ودعا أنقرة إلى تقديم ما لديها من أدلة في القضية إلى النيابة العامة في المملكة" للمساعدة في الوصول إلى الحقائق كافة.

هناك إرادة دولية للالتفاف على تحميل محمد بن سلمان مسؤولية مقتل خاشقجي بأمر مباشر منه تدل عليه معطيات كثيرة، أبرزها أن قرارا كهذا يتخذه مقربون منه، المستشار السابق سعود القحطاني، أو نائب رئيس الاستخبارات السابق احمد عسيري أو غيرهما، دون استئذان أو علم بن سلمان شخصيا“ وهذا وفق أدنى فهم للتراتبية في تلقي الأوامر وتنفيذها.

لكن، الوزير عادل الجبير اعتبر ما يتم تداوله في الصحف الأمريكية نقلا عن مصادر تحدثت عن “استنتاج” توصلت إليه وكالة المخابرات الأمريكية أفادت بأن ولي العهد “أمر” بقتل خاشقجي، اعتبر أنها مزاعم “لا أساس لها من الصحة تماما ونرفضها بشكل قطعي” الجبير عدّ “الاستنتاج” مجرد “تسريبات لم يعلن عنها بشكل رسمي”، وهي “مبنية على تقييم، وليس أدلة قطعية”.

تعدد المصادر وتنوع التسريبات وعدم نسبتها لمسؤولين بعينهم، أثار حالة من الضبابية في فهم المواقف الحقيقية للأطراف المعنية بأزمة مقتل خاشقجي.

نقلا عن “مصدر” في البيت الأبيض، نشر موقع Axios الأمريكي أن دونالد ترامب اعترف خلال جلسة استشارية مع مساعديه قبيل خطابه الأخير، أن “قضية خاشقجي أخذت أكبر من حجمها، وأنها أثارت الرأي العام العالمي بشكل كبير، وهي بالتالي لا تستأهل كل هذا الضجيج الإعلامي حولها”.

وحسب المصدر، الذي نقل كلامه الموقع الأمريكي، إن ترامب تساءل حول الاهتمام الزائد للإدارة الأمريكية بالموضوع طالما أن خاشقجي “ليس مواطنا أمريكيا”.

قد لا تقتصر تداعيات مقتل خاشقجي على العلاقات السعودية الأمريكية أو السعودية التركية، بل تتعدى ذلك إلى الداخل السعودي ومستقبل ولي العهد، الذي لا تزال إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، تدفع باتجاه عدم اتهامه بالمسؤولية المباشرة عن مقتل خاشقجي على الرغم من أصوات عالية في الكونغرس الأمريكي تطالب بحزمة عقوبات تطال المسؤولين عن الجريمة، من بينهم ولي العهد.

التصريحات الرسمية التركية تسير باتجاه إثبات تورط محمد بن سلمان بشكل مباشر بجريمة مقتل خاشقجي، حيث كرر مسؤولون أتراك، منهم الرئيس رجب طيب اردوغان، القول بأن القتل كان “مدبرا، وأن الأمر صدر من أعلى مستوى للسلطات السعودية” من دون الإفصاح عن اسم أي مسؤول في الوقت الذي “لا يعتقد” الرئيس التركي أن “للأمر علاقة بالعاهل السعودي الملك سلمان بن عبد العزيز”.

في السياق، وفي تصريحات وزير الخارجية السعودي، الاثنين، أشار إلى أن “تركيا أكدت لنا بشكل قطعي أن ولي العهد ليس هو المقصود” بالتصريحات التركية التي تؤكد مرارا على أن المسؤول عن قتل خاشقجي هو من “أعلى مستوى للسلطات السعودية”.

على الصعيد الداخلي لا تبدو انعكاسات قضية مقتل جمال خاشقجي جلية بما يتعلق بمستقبل ولي العهد محمد بن سلمان. إلا أن تقارير نقلتها وكالات أنباء عالمية هذه الأيام، منها “رويترز”، وفقا لثلاثة مصادر مقربة من القصر الملكي، تحدثت عن أن ولي العهد “يواجه موجة غضب متزايد من بعض أفراد العائلة الحاكمة بسبب سياساته، والتقارير التي تشير إلى احتمال تورطه في قضية مقتل خاشقجي”.

المصادر الثلاثة “استبعدت” أي احتمال لأن ينقلب الأب سلمان بن عبد العزيز على ابنه محمد بن سلمان، لكنها تحدثت عن “رغبة” في أوساط عشرات الأمراء من أبناء عمومة ولي العهد لتغييره وإعادة صياغة ما يتعلق بآليات انتقال الحكم التي حددتها هيئة البيعة “المعطلة” عن العمل منذ إقصاء ولي العهد السابق محمد بن نايف وتولية محمد بن سلمان وبقاء منصب ولي ولي العهد شاغرا.

وهناك ميل داخل العائلة الحاكمة لتمكين الأمير أحمد بن عبد العزيز، شقيق الملك سلمان، من خلافته بعد وفاته لقطع الطريق أمام وصول محمد بن سلمان للحكم، والذي لا يمكن إقصاؤه طالما الملك سلمان على قيد الحياة، وفقا للمصادر نفسها التي تحدثت لوكالة “رويترز”.

دلالات التصعيد الروسي الأوكراني: أبعاد سياسية بلا حرب متكاملة

العربي الجديد: ٢٧/١١/٢٠١٨

موسكو- رامي القليوبي: هيمنت واقعة الاشتباك بين العسكريين الروس والأوكرانيين في مضيق كيرتش على عناوين الصحافة الروسية الصادرة اليوم الثلاثاء، إذ شكلت الحادثة سابقة لصدام مباشر بين عسكريي البلدين لأول مرة منذ اندلاع الأزمة الأوكرانية وإقدام روسيا على ضم شبه جزيرة القرم عام ٢٠١٤، وسط ترجيحات أن يظل التصعيد ذا طابع سياسي دون التطور إلى حرب مفتوحة.

وفي مقال بعنوان "ليست هناك حرب، ولكن تتوفر ذريعة"، ذكرت صحيفة "فيدوموستي" أن حادثة، مساء الأحد، ناجمة عن "تباين الرؤى لمكان الحدود البحرية بين البلدين في عام ٢٠١٨"، موضحة أن إعلان الرئيس الأوكراني، بيترو بوروشينكو، حالة الحرب لمدة ٣٠ يوماً يشكل سابقة أيضاً، إذ لم يتم فرضها لا بعد ضم القرم ولا أثناء المراحل الأكثر حدة من النزاع في منطقة دونباس التي تضم مقاطعتي دونيتسك ولوغانسك المواليين لروسيا شرق أوكرانيا.

وأشارت الصحيفة إلى أن بوروشينكو فرض حالة الحرب وسط تراجع شعبيته، مقللة في الوقت نفسه من واقعية أن يساعده ذلك في تعبئة الناخبين حوله بصفته القائد الأعلى، كون ذلك ليس أول نزاع منذ بدء ولايته الرئاسية عام ٢٠١٤. وخلصت إلى أن "احتجاز السفن بلا ضحايا لا يبدو ذريعة بديهية لبدء حرب متكاملة"، معتبرة أن "ذلك قد يكون ثمناً مبالغاً فيه حتى بالنسبة إلى بوروشينكو مقابل إعادة انتخابه" في الاستحقاق الرئاسي في العام المقبل.

ولما كانت حالة الحرب تتيح تأجيل الانتخابات الرئاسية في أوكرانيا، تساءلت صحيفة "فرغلياد" هي الأخرى عن علاقة التصعيد الروسي الأوكراني مع الانتخابات المرتقبة، مرجحة أن "الاستفزاز بمشاركة سفن بحرية في مضيق كيرتش، قد يساعد الرئيس الأوكراني في مخالفة مواعيد الانتخابات الرئاسية في ربيع عام ٢٠١٩ وسط تراجع شعبيته إلى أدنى مستوى".

ونقلت الصحيفة عن عضو لجنة الدفاع والأمن بمجلس الاتحاد (الشيوخ) الروسي فرانتس كلينتسيفيتش، قوله: "إذا تعاملنا وفقاً للقوانين الروسية تماماً، فإن هذه السفن دخلت إلى أراضينا الإقليمية وتم إصدار أوامرها بالتوقف، ولكنها لم تستجب لها، وكان يجب قتل من كانوا موجودين على متنها رمية بالرصاص. من خطط لكل ذلك، كان يعول على مثل هذا الرد، دون النظر إلى حياة هؤلاء الشباب".

أما صحيفة "نيزافيسيمايا غازيتا"، فأشارت في مقال بعنوان "من يستفيد من تصاعد النزاع بين موسكو وكيف؟" إلى أن روسيا وأوكرانيا كلتيهما تدركان جيداً أن "من يسيطر على الأجندة ويحددها، هو من يفوز في السياسة"، ملخصة منطق البلدين في مبدأ "لا تغيير للقادة أثناء الحرب".

وأضافت الصحيفة أن "العقوبات وضغط الغرب أمر يزعمج روسيا، ولكنه يتيح للسلطات الروسية إبعاد الأنظار عن المشكلات الاقتصادية أو تفسير حتميتها وتبريرها".

وحول استفادة السلطات الأوكرانية من الواقعة، تابعت: "تصاعد النزاع مع موسكو لن يحسن الأوضاع داخل أوكرانيا بأي شكل من الأشكال. إلا أن صورة "العدو على الأبواب" وأهمية مواجهته، توفران للسلطات في كيف فرصة لتأجيل حل المشكلات الداخلية".

بدوره، قلل الصحافي الروسي المعارض، أوليغ كاشين، من احتمال نشوب حرب متكاملة بين روسيا وأوكرانيا، معتبراً أن بحر آزوف "هو المكان الأنسب للمواجهة السياسية المثيرة"، كونه يتبع لروسيا وأوكرانيا فقط دون المساس بمصالح أي طرف ثالث حتى لو "اشتعل سطحه بالكامل"، على حد تعبيره.

وفي مقال بعنوان "هذه ليست حرباً. لماذا إطلاق النار بجوار جسر القرم يجب ألا يثير مخاوف أحد؟" نشر بصحيفة "ريبابليك" الإلكترونية، ذكر كاشين أن "بحر آزوف حوض صغير جداً بمقاييس المحيط العالمي"، معتبراً أن "الإمكانات اللوجستية والسياحية لبحر آزوف محدودة جداً مقارنة بإمكاناته السياسية".

وكانت ثلاث سفن تابعة للقوات البحرية الأوكرانية، قد عبرت مساء الأحد الماضي ما تعتبر روسيا أنه بات حدوداً بحرية جديدة لها بعد ضم القرم، فأطلقت النار عليها، كما احتجز جهاز الأمن الفدرالي الروسي السفن "المخالفة" والبحارة الذين كانوا موجودين على متنها، مما تسبب في موجة جديدة من التصعيد بين موسكو وكيف اللتين سارعتا لتبادل الاتهامات.

وكما هو حال الأزمة الأوكرانية منذ اندلاعها، تجاوزت الواقعة حدود التصعيد بين موسكو وكيف، بل انتقلت لمواجهة إلى مجلس الأمن الدولي، حيث اعتبرت المندوبة الأمريكية لدى الأمم المتحدة، نيكي هيلي، أن "السفن الأوكرانية كانت متجهة من ميناء أوكراني إلى آخر، إلا أن قوات حرس الحدود الروسي عرقلتها"، مؤكدة بذلك تمسك بلادها بعدم الاعتراف بانضمام القرم إلى روسيا.

مقتطفات من الإيجاز الصحفي للمتحدثة باسم وزارة الخارجية هيدز نويرت

وزارة الخارجية الأمريكية / مكتب المتحدث الرسمي : ٢٠١٨/١١/٢٨

السيدة نويرت: طاب يومكم جميعا. أحضرت معي اليوم ضيفة. يسعدني أن أراكم بالمناسبة. ديبورا بيركس حاضرة هنا معنا. تعرفونها جميعا على ما أظن بالنظر إلى اهتمامها بعملها على مر السنوات في خطة الرئيس الطارئة للإغاثة من الإيدز (بييفار). إذن السفيرة بيركس هي المنسقة العامة لشؤون الإيدز الدولية والممثلة الخاصة للدبلوماسية الصحية الدولية وهي معنا اليوم للإجابة على بعض الأسئلة والتحدث معكم قليلا عن التقدم المحرز في خطة الرئيس الطارئة للإغاثة من الإيدز (بييفار) العام الماضي. سأترك الكلام للسفيرة بيركس. ستجيب على بعض الأسئلة ثم نتابع الإيجاز بعد ذلك.

تفضل يا حضرة السفيرة.

السفيرة بيركس: طاب يومكم. أمل أنكم تدركون أن هذا العام يصادف الذكرى الثلاثين ليوم الإيدز العالمي وطبعا الذكرى الخامسة عشر لإطلاق خطة بييفار. لذلك يسعدني فعلا أن أتواجد هنا. افتتح الوزير صباح اليوم فعالية في وزارة الخارجية حول إشراك المجتمعات الدينية بحق في الاستجابة لوباء فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز بطريقة متزايدة وواسعة النطاق أكثر لتلبية احتياجات الشباب والشابات الذين لم يتمكن من تحديد أماكنهم ومن هم بخير ويحتاجون إلى تشخيص إصابتهم.

أعلن الوزير أيضا عن النتائج التي حققناها ونحن نعلن في كل عام النتائج في يوم الإيدز العالمي. النتائج مثيرة للإعجاب هذا العام إذ ثمة ١٤,٦ مليون رجل وامرأة وطفل يتلقون العلاج في البلدان التي تعمل فيها خطة بييفار. لقد حققنا ما يقرب من ٦,٨ مليون برنامج للأطفال والأيتام والأطفال الضعفاء وولد ٢,٤ مليون طفل بدون إصابة بفيروس نقص المناعة البشرية. إذن ثمة ١٧ مليون شخص على قيد الحياة اليوم بفضل سخاء الشعب الأمريكي. نواصل التركيز على الوقاية أيضا، سواء للشباب أو للشابات. قمنا حتى الآن بـ ١٨,٩ مليون عملية ختان. وينبغي الإشارة إلى أن عمليات الختان أشبه باللقاح، باستثناء من ناحية أن إجرائها مرة يكفي لمدى الحياة. وبالتالي قلت نسبة الإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية بنسبة ٦٠ إلى ٧٠٪. وبلغ العدد الآن ما يصل إلى ١٩ مليوناً، وهو في أفريقيا جنوب الصحراء على وجه الخصوص.

ولكن يمكن الاطلاع على نتائج مبادرة "دريمز" على الموقع الإلكتروني اليوم. تشير أحرف كلمة "دريمز" إلى الشابات المصمات والمرنات والممكنات وغير المصابات بالإيدز والأمنات واللواتي يتلقين الإرشاد. يمكننا الآن أن نعلن أن ٨٥٪ من مقاطعاتنا الـ ٦٣ التي تعمل فيها مبادرة "دريمز" تظهر انخفاضا متزايدا في الإصابات الجديدة بين الشابات بفضل هذا البرنامج. نحن متحمسون جدا لهذه النتائج. وتمثل هذه المبادرة تدخلا هيكليا شاملا يركز بحق على حياة الشابات ويضمن أننا نلبي احتياجاتهن في مجتمعاتهن. إذن نحن متحمسون جدا لهذه النتائج.

أظن أنكم ستلاحظون أيضا أننا أظهرنا في دراستنا في إثيوبيا ونظهر الآن في دراستنا في نيجيريا أن إثيوبيا تحقق بالفعل سيطرة على الإيدز وسيطرة ومكافحة لوباء فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز مع انخفاض كبير في الإصابات، ونحن متحمسون جدا بشأن البيانات الجديدة التي ستظهر في بداية السنة من نيجيريا والتي ستظهر أن الوباء ليس منتشرًا فيها كما توقعنا من قبل وأن الناس يتحسنون ويتابعون تناول مضادات الفيروسات القهقرية ويقمعون الفيروس... يتحسنون من أجل أنفسهم ويضمنون عدم نقل الفيروسات إلى الآخرين.

لذلك أعتقد أننا تمكنا فعلا أن نظهر أنه يمكن السيطرة على هذا الوباء بالعمل على كل بلد وكل مجتمع محلي وكل مقاطعة عند تركيز الموارد بطريقة قابلة للمحاسبة وتحول أموال دافعي الضرائب الأمريكيين فعلا إلى برنامج فعال تتم مراقبته بشكل نشط بطريقة تمكنا من تحسين أدائها باستمرار ومراقبة نتائج المخرجات وتأثير البرنامج.

نحن نقدم بالفعل مساعدات خارجية برأينا ونحقق رغبة الشعب الأمريكي ونقدم المساعدة أيضا لقارة أفريقيا وآسيا ومنطقة البحر الكاريبي وأمريكا الوسطى حيث نعمل مع برامج بيبفار.

تم إنشاء بيبفار كطريقة جديدة لتقديم المساعدة الخارجية، شأنها شأن مؤسسة تحدي الألفية. وعملت إدارة الغذاء والدواء الأمريكية منذ البداية مع شركات الأدوية لإعداد وثائق التنازلات، وبالتالي، كافة الأدوية التي نستخدمها هي أدوية مكافئة. إذن لدينا أدوية تكلف حوالي ٧٥ دولارا سنويا تبقي الناس على قيد الحياة لمدة عام كامل. إذن توفر بيبفار منذ البداية ومن خلال إدارة الغذاء والدواء الأمريكية أدوية خاضعة لمراقبة الجودة ولكن يتم تسليمها ضمن ظروف محدودة الموارد بكلفة تتراوح بين ٧٥ و ٨٠ دولارا في السنة.

ما زلنا نعمل في كافة البلدان كما لاحظتم ونحظى بدعم كامل من هذه الإدارة ومن الكونغرس. أعتقد أن النتائج تتحدث عن نفسها. أدرك تماما أن خطة بيبفار قد أنشئت كخطة طارئة. أنشئت لتحقيق تأثيرا ولنحقق النجاح فيخفض التمويل بالتالي في السنوات التالية. انتقلت إثيوبيا وحدها من تلقي ٤٠٠ مليون دولار سنويا إلى ١٠٠ مليون دولار سنويا بسبب نجاح ذلك البرنامج. لذا علينا الآن أن نحافظ على استمرارية هذا البرنامج بمستوى يتيح الحفاظ على نجاحنا الذي حققناه بالشراكة مع البلد والمجتمعات.

أعتقد أنه من المذهل بالفعل أن نتمكن من إظهار أنه ينبغي أن يكون للمساعدة الخارجية بداية وحالة وسطى ونهاية. يجب أن يكون لها نهاية لأننا نجحنا في بناء القدرات بطريقة مستدامة وسيطرنا أيضا على الوباء بطريقة جعلت المتطلبات المالية أقل عاما بعد عام.

تستطيعون أن تكونوا جميعا جزءا من هذا الحل لتحقيق الرضا عن الذات، فجزء من هذا الرضا يأتي من الشعب الأمريكي أو الآخرين حول العالم والذين لا يطلعون على أي تقارير عن فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز. إذا سألتهم قادة البلدان لقالوا إن "هذه المسألة كانت منتشرة في تسعينيات القرن الماضي ولم تعد تمثل مشكلة اليوم." لذا أعتقد أن إسلاط الضوء على هذا الوباء هنا في الولايات المتحدة وعلى التقدم الذي أحرزناه وما زال ينبغي القيام به وإيضاح... مجرد أنني أتحدث عن الدول التي... كنت واضحة بشأن إثيوبيا. ولكن مقابل كل بلد مثل إثيوبيا، ثمة بلد مثل ساحل العاج حيث لم نسيطر على الوباء بعد.

على الرغم من أن لدينا خارطة طريق، يتطلب الأمر إرادة سياسية حقيقية لتقوم كل دولة بالسياسات وتغييرات السياسة التي تضمن حصول كل شخص على هذه الخدمات الحيوية. إذا كنت فقيرا وثمة رسوم للحصول على الخدمات، لن تتمكن من الدخول إلى العيادة، بغض النظر عن مجانية اختبار فيروس نقص المناعة البشرية. إذن ثمة شراكة مؤكدة وقيادة مطلوبة في كل من هذه الدول. البلدان التي حققت نجاحا كبيرا هي التي جمعت بين الإرادة السياسية والسياسات والمشاركة المجتمعية. ولكننا سنشعر بالرضا عن الذات إذا لم يتحدث الناس في مختلف أنحاء العالم عن هذه الأوبئة الرهيبة، تماما مثلما أننا لا نتحدث عنها هنا في الولايات المتحدة. لا يعرف الشباب اليوم أنه ثمة خطر الإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز في المجتمعات.

إذن تستطيعون مساعدتنا من خلال الحديث عن يوم الإيدز العالمي وعن التقدم المحرز وحثنا على إبقاء هذه المسألة في الطليعة بالنسبة إلى الجميع. ولهذا السبب أنا سعيدة جدا لأن هيدر سمحت لي بالمجيء اليوم والتحدث إليكم لأنني أحب نشر هذه الأخبار الجيدة وتوجيه إشعار لكم جميعا. يمكنكم أن تكونوا بالفعل جزءا من الحل ولذلك أشكركم.

السيدة نويرت: وصل وكيل وزارة الخارجية للشؤون السياسية ديفيد هايل إلى جنيف اليوم لترأس الوفد الأمريكي الذي يحضر مؤتمر جنيف الوزاري حول أفغانستان. وسيراجع المجتمع الدولي في هذا المؤتمر الجهود الرامية إلى تحقيق سلام وازدهار دائم للشعب الأفغاني.

اجتمع وكيل وزارة الخارجية هايل منذ ساعات قليلة بالرئيس الأفغاني أشرف غني والرئيس التنفيذي الدكتور عبد الله عبد الله لمناقشة مجموعة واسعة من القضايا الثنائية، بما في ذلك جهود الإصلاح الحكومي والاستعدادات للانتخابات الرئاسية العام المقبل وعملية السلام. وقد رافق وكيل الوزارة هايل إلى جنيف كل من النائبة الرئيسية لمساعد وزير الخارجية أليس ويلز والسفير جون باس وهو سفيرنا إلى أفغانستان، وينضم إليهم أيضا المجتمع الدولي لإعادة تأكيد دعمنا لمستقبل ملؤه السلام والتنمية الاقتصادية لشعب أفغانستان. ويمثل مؤتمر جنيف فرصة هامة لاستعراض التقدم الذي أحرزه الأفغان وبدء التخطيط لهذا المستقبل.

السؤال: زار مسعود بارزاني بغداد والنجف الأسبوع الماضي وبدأت هذه الزيارة خطوة كبيرة إلى الأمام في تحسين العلاقات بين أربيل وبغداد. هل شاركتهم في هذه المسألة وما تعليقكم عليها؟

السيدة نويرت: لم نشارك في هذه المسألة على حد علمي. لطالما شجعنا الحكومة الكردية والحكومة العراقية على الاجتماع والجلوس واجراء محادثات. نحن نشجع الحوار البناء. ولكن لا، لم يكن لدينا أي علاقة بذلك على حد علمي.

السؤال: بدأ العراق بتصدير النفط عبر خط أنابيب كركوك والكمية ضئيلة الآن، ولكن حكومة إقليم كردستان زادت من طاقة خط الأنابيب إلى مليون برميل يوميا. يستطيعون تصدير مليون برميل في اليوم وأنتم تطبقون العقوبات على إيران وتركيا من أكبر مستوردي النفط الإيراني، فهل ستشجعون زيادة كمية النفط التي يتم تصديرها من كركوك عبر خط الأنابيب هذا؟

السيدة نويرت: أعتقد أن العراق هو بالفعل ويستطيع أن يكون لاعبا أهم في أسواق النفط العالمية لذا سنتابع هذا الموضوع بدون أدنى شك. أما من حيث الأرقام والإحصائيات التي عرضتها للتو، فنحن لا نستطيع تأكيدها. لا يمكننا أن نؤكدنا وسنحملك إلى الحكومة العراقية للمزيد عن هذا الموضوع.

السؤال: مرحبا. يقول أعضاء مجلس الشيوخ إن الوزير بومبيو والوزير ماتيس سيقدمان إيجازا لكامل مجلس الشيوخ بشأن السياسة تجاه السعودية أو التطورات السعودية غدا. هل يمكنك تأكيد أن ذلك سيحصل أولا؟ لم يتم الإعلان عنه رسميا.

وثانيا، سيطرح مشروع قانون السيناتور ساندرز الذي يطالب بسحب الدعم الأمريكي للحرب في اليمن للتصويت هذا الأسبوع أو في وقت قريب جدا. عند طرح هذا المشروع للمرة الأولى في شهر آذار/مارس، وجه الوزير ماتيس رسالة تحث على عدم دعمه ولكن الآن بالنظر إلى أن الوزير ماتيس والوزير بومبيو قد وجها دعوة إلى وقف إطلاق النار وأوقفا عن إعادة تزويد الطائرات بالوقود، هل تتخذ وزارة الخارجية أي موقف أو تقدم أي نصيحة بأي شكل من الأشكال فيما يتعلق بمشروع القانون هذا؟ وهل سيطرح الموضوع في الإيجاز الذي سيقدمه السيد بومبيو يوم الأربعاء؟

السيدة نويرت: لا أعرف ما إذا كان أعضاء مجلس الشيوخ سيطرحون الموضوع. أستطيع أن أؤكد أن الوزير بومبيو والوزير ماتيس سيكونان في الكابيتول هيل غدا وسيقدمان شهادة ضمن إعداد سري. سيجري هذا الإيجاز لكامل أعضاء مجلس الشيوخ عند الساعة الحادية عشرة غدا. أستطيع أن أؤكد حدوث ذلك. أما فيما يتعلق بمشروع القانون الذي قد يتم وضعه وتناوله وعرضه أم لا، لا أعلق على المواضيع المماثلة على أي حال ولن أستبق الأمور أيضا.

السؤال: للعودة سريعا إلى مجموعة العشرين، هل يخطط الوزير لاحتمال الاجتماع بولي العهد السعودي؟

السيدة نويرت: لا، لا تطلق العنان للتحليل. قلت لك إن الوزير سيشترك في الاجتماعات مع الرئيس. لم تتم جدولة أي اجتماعات إضافية ولسنا ننوي جدولة أي اجتماعات إضافية في هذه المرحلة. سأعلمكم إذا ما تغير أي شيء.

السؤال: مرحبا يا هيلن. اجتمع الرئيس الأسبوع الماضي بالوزير بومبيو ومستشار الأمن القومي بولتون وفريقه للسلام غرينبلات وكوشنر والسفير فريدمان. هل يمكن أن تشاركينا أي نتيجة أو تقويم أو جدول زمني بشأن خطة السلام أو إطلاق خطة السلام هذه؟

السيدة نويرت: نعم، سيقدمونها متى تصبح جاهزة للتقديم. أعلم أن هذه ليست بإجابة مرضية. ينتظر الكثيرون، بمن فيهم أنت، عرض خطة السلام وسنقوم بذلك ما أن يصبحوا مستعدين. لقد عقدوا اجتماعا جيدا الأسبوع الماضي مع السيد كوشنر والسيد غرينبلات. حضر الوزير الاجتماع أيضا مع نائب الرئيس والسفير بولتون، وناقشوا رؤية الرئيس لسلام شامل بين الإسرائيليين والفلسطينيين. ما زلنا ملتزمين بمشاركة رؤيتنا للسلام مع إسرائيل والفلسطينيين وغيرهم من أصحاب المصلحة الإقليميين والدوليين. سنشارك هذه المعلومات في أقرب وقت ممكن.

السؤال: لدي متابعة سريعة للقضية الفلسطينية. أصدر الإسرائيليون اليوم أمرا بهدم ١٦ منزلا في شعفاط وهو حي في القدس. وجرت عشرات الاعتقالات بين صفوف المسؤولين الفلسطينيين في القدس... مسؤولين دريتموهم على الأمن وما إلى ذلك في الواقع. هل تحظى إسرائيل بالضوء الأخضر أم أنتم تفضون النظر بينما تستمر كل هذه الأمور؟ لا أريد أن أذكر كل ما يحصل على أساس يومي، ولكننا نشهد المزيد من التشدد إذا صح التعبير في تصرف الاحتلال الإسرائيلي تجاه الفلسطينيين. أتساءل عما إذا كان لديكم تطبيق على ذلك.

السيدة نويرت: نعم. هذا هو ما نقوله عادة عن حالات مماثلة، ولا يمكنني تأكيد هذه الحالات بالتحديد ولا الأفراد الذين ذكرتهم والذين قلت إنهم متورطين في ذلك. لا نستطيع الرد على كل تقرير إخباري حول مسألة معقدة جدا ومشحونة بالعواطف وحساسة. أعلم أن هذه الإجابة لا ترضيك ولكننا نشجع الطرفين على خلق بيئة مواتية، ليس للمفاوضات فحسب، ولكن أيضا لتحقيق سلام شامل ودائم. بالعودة إلى خطة السلام، نحن نتطلع إلى تقديمها في أقرب وقت ممكن.

السؤال: بشأن اليمن، يبدو أنه نمة جهد متجدد لإنهاء الحرب في اليمن. ما مدى مشاركة الولايات المتحدة في ذلك ولماذا قد تحظى هذه الجولة الجديدة من المحادثات في السويد بفرصة أفضل للنجاح من الجولات السابقة؟

السيدة نويرت: أعتقد أن الشيء المهم الذي تركز عليه حكومة الولايات المتحدة وحكومات أخرى الآن هو دعم مبعوث الأمم المتحدة الخاص مارتن غريفيث. لا شك في أن الوضع الذي يتكشف في اليمن منذ فترة طويلة صعب ومعقد جدا ومأساوي ونحن مهتمون جدا به. نحن نركز... لا أريد أن أقول أن هذا أكثر ما نركز عليه الآن ولكنه أحد أهم الأمور التي نركز عليها، ألا وهو دعم العمل الذي يقوم به مارتن غريفيث هناك. لديه عملية قائمة ونعتقد أنه يحرز تقدما. لديه بعض الالتزامات، ليس من الحكومة اليمنية فحسب ولكن من المتمردين الحوثيين أيضا، وأعني هنا التزامات بالجلوس واجراء محادثات ونحن نعتقد أن هذا مكان مناسب للبدء. يتم إحراز تقدم بمجرد أن يجلس معا طرفان يتقاتلان بضراوة طويلة هذا الوقت. نحن نعتقد أن هذا أمر بالغ الأهمية ونحن نركز على ذلك ونتطلع قدما إلى تقديم أي معلومات جديدة لكم.

السؤال: بالنظر إلى آخر تصريح لوزير الخارجية بومبيو حول قضية خاشقجي، هل سيؤثر الحادث على ما إذا كانت الولايات المتحدة تريد من السعودية أن تساعد في صياغة اتفاق سلام بين إسرائيل والفلسطينيين؟

السيدة نويرت: اتخذت المملكة العربية السعودية خطوات في الاتجاه الصحيح في عدد غير قليل من المجالات الرئيسية. أسلطنا الضوء منذ فترة ليست بطويلة على كيفية اتخاذ المملكة العربية السعودية خطوات لزيادة تمكين المرأة. هل يتعين عليهم القيام بالمزيد؟ طبعاً. لقد اتخذوا أيضا خطوات في الاتجاه الصحيح في المحادثات مع مصر وإسرائيل. لن أتحدث باسم أي من هاتين الحكومتين ولكنني سأدرج ذلك بين الخطوات في الاتجاه الصحيح.

الربيع العربي المقبل.. انهيار السلطوية في الشرق الأوسط

مجلة (فورين أفيرز) الأمريكية؛ ٢٨/١١/٢٠١٨

مروان مشير: ضربت عاصفتان كاملتان العالم العربي في العقد الماضي. في عام ٢٠١١، في ما كان يسمى في بادئ الأمر "الربيع العربي"، أدت الانتفاضات الشعبية إلى الإطاحة بالحكام المستبدين في جميع أنحاء المنطقة. تعالت الآمال إلى درجة أن هذه الحركات الاحتجاجية السلمية كانت تنذر بانطلاق عصر جديد من الديمقراطية في الشرق الأوسط. لكن باستثناء تونس، انتهى الأمر إلى اضطرابات أو حروب أهلية مميتة. ثم في عام ٢٠١٤، تعرض قادة المنطقة لضربة أخرى عندما هبط سعر النفط، مما هدد النموذج الأساسي للحكم الذي استندت إليه قوتهم. ومنذ ذلك الحين، جعلت أسعار النفط المنخفضة من الصعب على الأنظمة تمويل الميزانيات المنتفخة، وشراء النخب، وأجبرتهم على إجراء إصلاحات طال تأجيلها. هذا ليس انحرافاً مؤقتاً: من غير المرجح أن يرتفع سعر النفط مرة أخرى إلى مستوياته قبل عام ٢٠١٤.

على السطح، يبدو أن العديد من الدول العربية قد نجت من هاتين العاصمتين -على الرغم من هزات تعرضت لها، لكن المؤكد أن هناك المزيد من الاضطراب في المستقبل. كانت الصدمات التي وقعت في عامي ٢٠١١ و٢٠١٤ مجرد أعراض أولية للتحوّل الأكثر عمقاً في المنطقة: فالعقد الأساسية التي تعزز الاستقرار في دول الشرق الأوسط تتراجع، وما لم يتحرك القادة الإقليميون بسرعة لإبرام صفقات جديدة مع مواطنيهم، فإن العواصف آتية لا محالة. منذ أكثر من نصف قرن، استخدمت حكومات الشرق الأوسط الثروة النفطية لتمويل نظام للرعاية الاقتصادية. تعرف هذه الحكومات المعروفة باسم "الدول المستأجرة/الريعية"، بجزء كبير من عائداتها من بيع الموارد الوطنية أو المساومة للحصول على دعم أجنبي بدلاً من جمع الضرائب من المواطنين. في بعض البلدان، مثل المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، جاءت الإيرادات من بيع الموارد النفطية المحلية وفي بلدان أخرى مثل مصر والأردن، جاءت في شكل تحويلات من رعاة المنطقة الذين يتمتعون بثروة نفطية. في جميع أنحاء الشرق الأوسط، استخدمت الحكومات موارد النفط لتمويل وظائف مستقرة والتعليم والرعاية الصحية، وفي المقابل، حصل القادة على الخضوع السياسي من جانب المواطنين. ولكن مع استمرار انخفاض أسعار النفط وتحوّل التركيبة السكانية للمنطقة، بدأت هذه المقايضة الأساسية تبدو غير مستدامة. وبدون العوائد اللازمة لمواصلة تغذية الأنظمة المتضخمة غير الكفوءة، فإن الحكومات تكافح من أجل الالتزام بجانبها في الصفقة، ولكن مصدرها الرئيسي للمشرعية السياسية ينزلق بعيداً.

إذا استجابوا لهذه الثروات المتغيرة من خلال تشديد قبضتهم على السلطة وفشلوا في تنفيذ إصلاحات ذات مغزى، فإن حكومات الشرق الأوسط تخاطر بإطلاق العنان للاضطرابات الاجتماعية على نطاق أبعد من أي شيء رأوه من قبل. الطريقة الوحيدة للتعامل مع مثل هذا الاضطراب يجب أن تشمل إصلاحات اقتصادية وسياسية تخلق عقداً اجتماعياً جديداً في الشرق الأوسط، يتم التفاوض عليه من الأسفل إلى الأعلى. دون نموذج ريعي يتم اللجوء إليه، يجب على الحكومات بناء اقتصادات منتجة تستند إلى الجدارة وليس الولاء ويهيمن عليها القطاع الخاص بدلاً من الدولة. ولأن مثل هذه التغييرات الهيكلية الكبيرة ستخلق رد فعل ومشاكل خاصة بهم، فسيكون من المستحيل تطبيقها دون موافقة الجمهور. لن تنجح التعديلات الاقتصادية بدون تغييرات سياسية هائلة على الأقل. إذا تبنت حكومات الشرق الأوسط الإصلاحات الاقتصادية بالاقتران مع المزيد من المساءلة والمشاركة السياسية، فقد يكون

لديها فرصة للقتال من أجا الاستقرار على المدى الطويل. إذا لم يفعلوا ذلك، فإن العاصفة الأكبر القادمة ستصل قريباً.

عقد اجتماعي منهاج

عادة ما يتم فرض العقود الاجتماعية الملزمة لحكومات الشرق الأوسط ومواطنيها من الأعلى إلى الأسفل. هذه المساومات الاستبدادية، التي يؤمن فيها الحكام الشرعية والدعم من خلال الإنفاق العام بدلاً من العمليات السياسية التشاركية، كانت مبنية على نظام ريعي. باستخدام الثروة النفطية، فإن الحكومات ستوفر الرعاية الاقتصادية وتعمل كمؤسسة رئيسية للوظائف والإعانات والرعاية الصحية الأساسية والتعليم. استخدمت الدول المنتجة للنفط الجزائر والبحرين وإيران والعراق والكويت وليبيا وعمان وقطر والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة. إيراداتها من بيع نفطها الخاص. تعتمد الدول المستوردة للنفط - مصر والأردن والمغرب وتونس - على منح كبيرة من جيرانها المنتجين للنفط وتحويلاتهم من مواطنيهم العاملين في الخارج في صناعة النفط. دعمت دول الخليج الدول المستوردة للنفط، مصر والأردن بشكل خاص، لأسباب سياسية (لضمان أن مواقف هذه الدول تتماشى إلى حد كبير مع مواقفها) ولأسباب اقتصادية كذلك (قدمت مصر والأردن عمالة رخيصة ومتعلمة). بحلول مطلع القرن، مثلت المنح والتحويلات في المتوسط أكثر من عشرة بالمائة من إجمالي الناتج المحلي لمصر والأردن. اتخذت عملية الاستئجار أشكالاً مختلفة في ولايات مختلفة، ولكن بطريقة أو بأخرى، سمحت عائدات النفط منذ فترة طويلة للعديد من دول الشرق الأوسط المستوردة للنفط أن تعيش خارج نطاق إمكانياتها.

في مقابل رعايتهم، توقعت الدول ترك المواطنين الحكم إلى نخبة صغيرة، والتي أصبحت مع مرور الوقت أكثر عزلة عن عامة السكان. في هذه الأثناء، ساعدت إيجارات النفط الأنظمة في دعم نفسها بالأوساط السياسية والاقتصادية والبيروقراطية التي تم ضمان ولائها والتي كانت مصالحتها مرتبطة بمصالحها. كلما زادت الوظائف والإعانات التي يمكن أن تقدمها الحكومات، كان ذلك أفضل. ولكن بدلاً من خلق وظائف من خلال أنظمة إنتاجية تستند إلى الجدارة وقادها القطاع الخاص، وجدوا أن توفير وظائف في القطاع العام، سواء كانت مفيدة أو غير مفيدة، هي أفضل وسيلة لضمان الولاء وتخمين المطالب بالمساءلة. كانت نسبة وظائف القطاع العام إلى وظائف القطاع الخاص في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا هي الأعلى في العالم.

كانت العقود الاجتماعية القائمة على الرعيات تعمل طوال النصف الثاني من القرن العشرين - أي طالما اعتبر المواطنون أن الخدمات المقدمة في مقابل موافقتهم مرضية على الأقل. لكن في التسعينيات، بدأت الظروف التي تحتاجها للالتزام بالصفقة تختفي. ومع نمو الحكومات، احتاجوا إلى بقاء أسعار النفط مرتفعة من أجل تمويل البيروقراطيات المتزايدة واحتياجات النخب. امتدت الدول بشكل يفوق إمكانياتها. ففي الأردن، على سبيل المثال، استخدمت الحكومة والجيش نسبة هائلة بلغت ٤٢ في المائة من القوة العاملة في السنوات الأولى من هذا القرن. وبلغت إعانات الطاقة المقدمة من الحكومة للمواطنين ١١ في المائة من الناتج المحلي الإجمالي في مصر، و ١٠ في المائة في المملكة العربية السعودية، و ٩ في المائة في ليبيا، و ٨ في المائة ونصف في البحرين والإمارات العربية المتحدة، و ٨ في المائة في الكويت.

وبمجرد أن بدأ حجم البيروقراطيات في هذه الدول يتفوق على ارتفاع أسعار النفط في مطلع القرن، كان لا بد من تقديم شيء ما. ولم تعد الحكومات قادرة على تحمل تكاليف توظيف المزيد من الأشخاص أو دفع إعانات مالية على

السلع مثل الخبز والبنزين. بلغت معدلات البطالة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ١١ في المائة في المتوسط في عام ٢٠٠٠" بين الشباب، كان المتوسط ٣٠ في المئة. بينما تنازلت الحكومات من أجل الحفاظ على الإنفاق المتضخم، بدأت جودة الخدمات الصحية والتعليمية في الانخفاض. ولكن بدلاً من تقديم مزيد من التمثيل السياسي للمواطنين للمساعدة في تخفيف الضربة، واصلت الحكومات الإصرار على أن المواطنين يؤيدون دورهم في الصفقة الاستبدادية بالامتناع عن المطالبة بنفوذ أكبر، حتى مع اختلاف رغبات القادة عن رغباتهم.

موجة الصدمة

حاولت العديد من حكومات الشرق الأوسط معالجة مشكلة تشويه العقد الاجتماعي القديم من خلال إدخال إصلاحات اقتصادية دون أن تترافق مع التغييرات السياسية. على الرغم من أن هذه الإصلاحات كانت تهدف بشكل كبير إلى مساعدة الأنظمة على الحفاظ على قبضتها على السلطة، إلا أن بعضها إذا تم تنفيذه بشكل جيد، كان يمكن أن يفيد المواطنين أيضاً. ولكن من دون أنظمة الضوابط والتوازنات اللازمة للإشراف على التحولات الاقتصادية، حتى الجهود التي تم تصميمها بشكل جيد - خصخصة الصناعات التي تديرها الدولة وتحرير أنظمة التجارة والاندماج في الاقتصاد العالمي - انتهى بها الأمر إلى استفادة النخب بدلاً من الشريحة الأوسع من المواطنين.

من دون هيئات مراقبة مناسبة، ارتفع الفساد بشكل كبير. بات معظم شعوب الشرق الأوسط يربطون الإصلاحات الاقتصادية في بداية هذا القرن بإثراء النخبة الذاتية بدلاً من تحسين أوضاعهم. انخفض ترتيب العديد من دول الشرق الأوسط في مؤشر مدركات الفساد لمنظمة الشفافية الدولية بشكل كبير. وانخفض الأردن من المرتبة ٤٣ (من ١٣٣ دولة) في عام ٢٠٠٣ إلى ٥٠ (من أصل ١٧٨) في عام ٢٠١٠. وخلال نفس الفترة، انخفض ترتيب مصر من ٧٠ إلى ٩٨، وتونس من ٣٩ إلى ٥٩.

في بعض الحالات، كان كسر العقد الاجتماعي القديم أكثر مما ينبغي على المجتمعات أن تتحمله. على الرغم من أنه لم يكن بأي حال من الأحوال العامل الوحيد الذي أدى إلى الانتفاضات العربية في عام ٢٠١١، إلا أنه ساهم في انهيار العديد من الأنظمة، لا سيما في البلدان التي كانت المؤسسات فيها ضعيفة بالفعل. وكان الرئيس التونسي زين العابدين بن علي والرئيس المصري حسني مبارك أول من سقطا. في ليبيا وسوريا واليمن، حيث لم تكن أنظمة الحكم أبداً مهتمة ببناء مؤسسات راسخة، احتجت الشوارع على الدول الضعيفة وأدت إلى انهيار النظام القائم، وفي نهاية المطاف الحرب الأهلية. في البحرين، أفسحت المظاهرات المناهضة للحكومة المجال للتمرد المتدني المستمر الذي أثار غضب النظام الملكي لكنه لم يهدده بجديّة. وواجهت الملكيات في الأردن والمغرب احتجاجات متواصلة، لكنها نجت من الاضطرابات نسبياً سالماً.

في دول الخليج، كان لدى الأنظمة حل في متناول اليد، على المدى القصير على الأقل: قم بضخ الأموال إلى المشكلة من أجل تهدئة الرأي العام. ووعد العاهل السعودي الملك عبدالله بتقديم حزمة مساعدات بقيمة ١٣٠ مليار دولار تشمل رواتب أعلى ومزيداً من المساعدات السكنية للمواطنين السعوديين. وقدمت حكومات أخرى في الخليج عروضاً مماثلة، وكلها أصبحت ممكنة بفضل ارتفاع أسعار النفط. في شباط/فبراير ٢٠١١، منحت الحكومة الكويتية لكل مواطن ١٠٠٠ دينار كويتي (حوالي ٣٥٦٠ دولار) وأطعمة أساسية مجانية لأكثر من عام. في عمان، مولت الحكومة ٣٠،٠٠٠ وظيفة إضافية و٤٠ بالمائة من المنح الجامعية. في الأردن،

رد الملك عبدالله على الاحتجاجات من خلال إدخال إجراءات إصلاحية فورية ساهمت بشكل مؤقت من أجل درء الاستياء. وساعدت حزمة مساعدات بقيمة خمسة مليارات دولار جمعت بين مختلف دول الخليج البلاد على تحمل

الضغط من الشارع. ولكن حتى هذا لم يكن سوى ما يكفي لقمع المعارضة حتى ضرب العاصفة القادمة، في عام ٢٠١٤.

كان ينبغي أن تكون انتفاضات عام ٢٠١١ قد علّمت حكومات الشرق الأوسط أن الاهتمام الجاد بالحوكمة - وليس فقط الإصلاحات الاقتصادية - كان قد فات موعده منذ وقت طويل. ولكن بمجرد أن ينحسر الضغط الأولي، عادت الحكومات الباقية إلى عاداتها القديمة على الفور. لقد عززوا دورهم في العودة إلى الاستبداد بسبب العنف والمعاناة الإنسانية الهائلة التي تتكشف في ليبيا وسوريا واليمن، وكذلك صعود الإسلاميين في مصر، الأمر الذي أدى إلى عدم تشجيع المواطنين في أماكن أخرى من مواصلة مواجهات أخرى مع الدولة.

ثم جاءت الصدمة التالية. في أغسطس ٢٠١٤، انخفض سعر النفط الذي وصل إلى أكثر من ١٤٠ دولاراً للبرميل في عام ٢٠٠٨، إلى أقل من ١٠٠ دولار للبرميل. ووصل إلى مستوى منخفض بلغ ٣٠ دولاراً للبرميل في عام ٢٠١٦ قبل أن يرتد إلى حوالي ٧٠ دولاراً للبرميل، حيث لا يزال على هذا السعر اليوم. بالنسبة للمملكة العربية السعودية، التي تحتاج إلى بقاء سعر النفط فوق مستوى ٨٥ - ٨٧ دولار للبرميل للحفاظ على ميزانية متوازنة وتمويل المساعدات السخية لحكومات إقليمية أخرى، فإن هذا الانخفاض يعني أن الحكومة اضطرت إلى تغيير عاداتها في الإنفاق بشكل كبير لتجنب الدخول في أزمة، كما اضطرت الإمارات العربية المتحدة إلى تقليص مساعداتها الإقليمية. في جميع أنحاء الشرق الأوسط، لم يعد بوسع منتجي النفط تحمل تكاليف العمل كدول رفاة، ولم يعد بإمكان الدول المستوردة للنفط الاعتماد على المنح التي تمنحها الدول المنتجة للنفط أو التحويلات المالية من مواطنيها العاملين في تلك الدول لتمويلهم.

أدت نهاية عصر ارتفاع أسعار النفط إلى موجة جديدة من الاحتجاجات. في عام ٢٠١٨، تصاعدت مطالب التغيير في المملكة العربية السعودية، بما في ذلك كبار الدعاة والنساء والنشطاء السياسيين، وشهد الأردن الاحتجاجات في الشوارع لأول مرة منذ الربيع العربي. يوضح هذان البلدان بشكل خاص تداعيات نهاية الربيع في المنطقة. الأول، المملكة العربية السعودية، هو مثال على بلد منتج للنفط لم يعد بإمكانه أن يعمل كدولة رفاة. والثاني، الأردن، مثال على بلد مستورد للنفط لم يعد يعتمد على أموال النفط من الخارج لتغذية نظام اقتصادي وسياسي غير فعال.

دائرة جديدة

في المملكة العربية السعودية، تزامنت نهاية أسعار النفط المرتفعة مع تمرير السلطة إلى جيل جديد من القادة - أبرزهم ولي العهد محمد بن سلمان، المعروف أيضاً باسم MBS. كانت الوضع الاقتصادي للمملكة العربية السعودية بشكل جيد قبل ظهور MBS، الذي هو في أوائل الثلاثينيات من عمره. بداية من عام ٢٠١٥، كان العجز الكبير يعني أن المملكة العربية السعودية لم تعد قادرة على تحمل دعمها الداخلي والخارجي السخي. في عام ٢٠١٧، بلغ عجز الميزانية ٦١ مليار دولار، أو ٩,٢ في المائة من الناتج المحلي الإجمالي. تتوقع البلاد أن تعاني من عجز حتى عام ٢٠٢٣ على الأقل. ونتيجة لذلك، خفضت الحكومة السعودية الدعم وسمحت لأسعار الخدمات بالارتفاع. وقد أدت تدخلات المملكة العربية السعودية الإقليمية في سوريا واليمن وغيرها إلى مزيد من التوتر في اقتصادها المتعثر. يقدر أن الحرب اليمنية وحدها تكلف الحكومة السعودية ما بين ٦ و ٧ مليارات دولار كل شهر.

لقد استجابت الحكومة السعودية لهذا الواقع الجديد بمجموعة ضعيفة من الإصلاحات التي من غير المرجح أن تعالج التحديات بالكامل. وفي محاولة لتعزيز اقتصاد البلد الراكد، أعلنت الحكومة عن ميزانية توسعية جذرية لعام ٢٠١٨، ولكنها لم تقدم أي وسيلة لكيفية تمويلها. أوقفت الحكومة السعودية مساعدتها التقليدية للأردن لمدة ثلاث سنوات ولم تعد قادرة على دعم نظام عبدالفتاح السيسي في مصر بالمساعدات التي كانت تصل إلى عشرات

المليارات من الدولارات كل عام، وهو برنامج بدأه السعوديون بعد عزل الإخوان في مصر. كما شرعت في تنفيذ برنامج إصلاح اجتماعي مثير للإعجاب، بما في ذلك السماح للنساء بقيادة السيارات، وإعادة فتح دور السينما، والحد من سلطات قوة الشرطة الإسلامية (شرطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، في ما قد يكون محاولة لاسترضاء الجيل الجديد وتحويل الانتباه عن مطالب للإصلاح السياسي.

أكسبت هذه الإصلاحات الاجتماعية MBS شعبية كبيرة بين الشباب السعودي. إلا أن بطالة الشباب في المملكة لا تزال مذهلة: فقد بلغت ٣٥ في المائة تقريباً في عام ٢٠١٧. هل سيقبل الجيل الجديد التقشف وفقدان الامتيازات والإعانات دون أن يكون له صوت أكثر في إدارة بلدهم في مقابل ذلك؟ إذا كانت ثورات ٢٠١١ تقدم أي دليل، فمن المرجح أن تكون الإجابة "لا". ويشير المثال الأردني على وجه الخصوص، إلى أن استمرار التقشف الاقتصادي مقترناً بأكثر من ٣٠ بالمائة من بطالة الشباب، من المرجح أن يدفع بالجيل الجديد للمطالبة بصوت أكبر. هذه المطالب قد تشمل حتى الدعوة إلى تشكيل برلمان منتخب، والذي سيكون الأول في تاريخ السعودية.

السعودية ليست البلد الخليجي الوحيد الذي يواجه التحدي المتمثل في انخفاض أسعار النفط. واجهت الكويت، التي لديها بالفعل برلمان منتخب، انخفاضاً في عائداتها النفطية بنحو ١٥ مليار دولار في عام ٢٠١٤ ومرة أخرى في عام ٢٠١٥. وكما هو الحال في الحالة السعودية، اعتمدت الكويت في بادئ الأمر على احتياطاتها المالية الضخمة (التي تقدر بأكثر من ٦٠٠ مليار دولار)، ولكنها الآن بدأت في إدخال تخفيضات في الدعم وخطة متوسطة الأجل للإصلاحات الاقتصادية التي ستبدأ توجيه الاقتصاد الكويتي بعيداً عن اعتمادها على النفط. وقد تفاعلت عمان بشكل مماثل مع انخفاض أسعار النفط: خفض الدعم، وخفض المنافع لعمال القطاع العام، وفرض الضرائب.

سلام محتمل

في الأردن، أدى تناقص الدعم المالي من البلدان المنتجة للنفط المجاورة وانخفاض التحويلات المالية إلى تحدي قدرة الحكومة على مواصلة تمويل نظام للرعاية الاقتصادية. على الرغم من أن الأردن يحكمها نظام ملكي يقبله جزء كبير من المجتمع على أنه شرعي، إلا أن موجات الاحتجاج الأخيرة تشير إلى أن النظام أكثر ضعفاً مما يعتقدونه الكثيرون. وقد استجاب النظام الملكي تقليدياً لمطالب الإصلاح عن طريق تنفيذ تدابير مخصصة تهدئة الرأي العام ولكن لم ينتج عنها مشاركة حقيقية للسلطة مع الفروع التشريعية والقضائية للحكومة. ومن الأمور الأساسية لمثل هذه التدابير تقديم مساعدات مالية سخية من دول الخليج (والقوى الأخرى، بما في ذلك الولايات المتحدة)، الأمر الذي سمح للحكومة الأردنية بالحفاظ على نظام سياسي واقتصادي غير فعال يعتمد على المحسوبية. لقد استخدمت الحكومة المال لمواصلة شراء دعم النخبة وتمويل البيروقراطية المتضخمة في نظام يعطي الأولوية للرعاية على الجدارة.

في عامي ٢٠١١ و ٢٠١٢، اندلعت احتجاجات واسعة النطاق في جميع أنحاء الأردن استجابة للمظالم الاقتصادية والسياسية، لكنها تراجعت بعد قيام الملك عبدالله بسلسلة من الإصلاحات السياسية، كما أن عدم الاستقرار الإقليمي وجه الانتباه إلى أماكن أخرى. لكن تصرفات الملك عبدالله -عزل رؤساء الوزراء وإصلاح الدستور واستبدال الحكومة ثلاث مرات خلال ١٨ شهراً- كانت إصلاحات سريعة تهدف إلى تهدئة المتظاهرين بدلاً من الإصلاحات الدائمة الجديدة. بحلول عام ٢٠١٦، كانت النخبة السياسية في الأردن واثقة من أنها تمكنت من المرور خلال الانتفاضات العربية دون أن تصاب بأذى لأنها عدلت الدستور لإعطاء الملك سلطات إضافية وزيادة تعزيز قبضة السلطة التنفيذية على السلطة.

لكن الاستقرار الظاهر أخفى مشاكل أعمق. يقع الأردن في قبضة أزمة اقتصادية تتطور ببطء، مدفوعة بالديون العامة المرتفعة، التي تصل الآن إلى ٩٥ في المائة من الناتج المحلي الإجمالي" نمو منخفض يبلغ الآن حوالي اثنين في المئة، ونسبة بطالة عالية تبلغ الآن ١٨,٥٪ وأكثر من ٣٠٪ بين الشباب. إن الانخفاض الحاد في الدعم المالي من الدول المنتجة للنفط يعني أن البلاد لم تعد قادرة على الاعتماد على تلك المساعدات لإبقاء ديونها تحت السيطرة وتمويل العجز العام فيها. وضعت المملكة العربية السعودية، التي ترأس مبادرة خليجية قدمت الأردن بقيمة ٥ مليارات دولار بعد احتجاجات عام ٢٠١١، تجميداً لمدة ثلاثة أعوام على الدعم المالي للأردن اعتباراً من عام ٢٠١٥. (بعد المزيد من الاحتجاجات الأخيرة، أعلنت الكويت والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة عن حزمة مساعدات جديدة بقيمة ٢,٥ مليار دولار للأردن، معظمها على شكل ضمانات لدفع قروض البلاد، لكن بالكاد حلت محل المساعدات المفقودة).

تعاملت الحكومات الأردنية المتعاقبة مع مثل هذه التحديات باعتبارها مشاكل فنية بحتة. مع ذلك، بين الجمهور تصاعدت مطالب تتجاوز الحاجة إلى التغييرات الاقتصادية. في مايو ٢٠١٨، اندلعت الاحتجاجات في جميع أنحاء الأردن، لا سيما في الأحياء الغنية في غرب عمان، بقيادة الطبقة الوسطى (الإسلاميون الذين قادوا الاحتجاجات في عامي ٢٠١١ و٢٠١٢ كانوا غائبين بشكل واضح). بالإضافة إلى الدعوة إلى سحب قانون ضريبة الدخل المثير للجدل، طالب المتظاهرون بحل البرلمان وتغيير الحكومة. من الواضح أن إصلاحات الملك عبدالله السريعة في عامي ٢٠١١ و٢٠١٢ فشلت في معالجة جذور الاضطرابات: فبدون الربيع الضروري للحفاظ على تمويل نظام الرعاية، انهار العقد الاجتماعي في الأردن. ستتطلب الحلول الدائمة لمطالب المحتجين عقداً اجتماعياً جديداً، وليس إصلاحاً رمزياً.

لا تزال مصر تعاني من الآثار الاقتصادية لثورتها ومن انخفاض المساعدة الهائلة التي كانت تحصل عليها من المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة. في عام ٢٠١٦، بعد عامين من تراجع المساعدات الخليجية، حررت مصر عملتها واضطرت إلى الاعتماد على قرض بقيمة ١٢ مليار دولار من صندوق النقد الدولي لمساعدتها في استعادة الاستقرار الاقتصادي.

الاستثناء الوحيد الملحوظ للحالة الراهنة في الشرق الأوسط هو تونس. بعد ثورتها في عام ٢٠١١، ربما لم تحل تونس قضاياها السياسية والاقتصادية والأمنية، لكن قادتها فهموا الحاجة إلى عقد اجتماعي جديد. على مدى ثلاث سنوات صعبة، تفاوضت جمعية تأسيسية منتخبة ووافقت في النهاية على دستور جديد أيد مبدأ التنابؤ السلمي للسلطة، وأعطت النساء حقوقاً كاملة تقريباً وأكدن التزامهن بالمجتمع، وبالحقوق الفردية لجميع أجزاء المجتمع التونسي. تونس ليست بأي حال من الأحوال خارج الغابة، لكنها حققت أرضية صلبة من أجل الاستقرار والازدهار في المستقبل.

عقد اجتماعي جديد

إذا كانت الرسالة القادمة من الشارع العربي قد فُقدت على قادة المنطقة في عام ٢٠١١، ويرجع ذلك جزئياً إلى فشل الاحتجاجات في إطلاق شرارة جهود جادة لبناء مؤسسات جديدة (فيما عدا في تونس)، فإن نهاية الربيع تعطي حكومات الشرق الأوسط فرصة أخرى لإدراك ذلك. يجب أن تكون الإصلاحات الاقتصادية مصحوبة بإصلاحات سياسية تعطي الناس رأياً مفيداً في إدارة بلادهم.

من المؤكد أن الانتقال إلى اقتصادات أكثر كفاءة سيكون بطيئاً وصحرياً ويواجه كبحاً كبيراً من القوى التي تستفيد من الوضع الراهن. لقد خلقت الأنظمة الريعية منذ عقود، مصالح راسخة مع رغبة ضئيلة في الدخول في هياكل تستند إلى الجدارة والتي قد تسلبها امتيازاتها.

ستكون هناك حاجة إلى الإرادة السياسية في القمة لوضع عمليات تدريجية وجدية وتشاركية يمكن للجمهور أن يؤمن بها. وسوف تتطلب الإصلاحات الضرورية فترة من الصعوبات المادية. سيقبل المواطنون في الشرق الأوسط التضحيات قصيرة الأجل باسم التغيير الذي طال الحاجة إليه على المدى الطويل - ولكن فقط إذا تم تضمينهم في العملية وتوجيههم من خلال القيادة التي يمكنهم الوثوق بها.

يجب على حكومات الشرق الأوسط أن تبدأ هذه العملية من خلال بذل المزيد من الجهود لتمكين النساء. ومشاركة المرأة في القوى العاملة في المنطقة هي الأدنى في العالم (٣٢ في المائة، مقارنة بمتوسط عالمي يبلغ ٥٨ في المائة، وفقا لتقرير صادر عن البنك الدولي في عام ٢٠٠٩). يجب على الحكومات أيضاً استغلال التكنولوجيا بشكل أفضل لرفع الإنتاجية وتوجيه جهودها نحو اقتصاد قائم على المعرفة. يجب عليهم تنويع مصادرهم من النفط بعيداً عن طريق تمكين القطاع الخاص وتشجيع الشراكات بين القطاعين العام والخاص. ويجب عليهم تعزيز حكم القانون وثقافة المساواة بين جميع المواطنين، مما يساعد على تعزيز الابتكار. وهذا يتطلب إنهاء التمييز القانوني ضد النساء ومجموعات الأقليات.

بشكل حاسم، لا يمكن للحكومات أن تظل أصحاب العمل الأساسيين في دول الشرق الأوسط. إن تعزيز البيئات القانونية والمالية المناسبة لتعزيز القطاع الخاص، وخاصة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الحجم، سيساعد الشركات على توسيع وظائف القطاع العام واستبدالها. هذا قول أسهل من فعله: الأنظمة التعليمية القديمة والخدمات الصحية غير الكافية تركت أجزاء كبيرة من السكان في معظم دول الشرق الأوسط غير مجهزة للعمل في القطاع الخاص. من أجل تقليل البطالة والمصاعب، يجب أن تشمل التحولات إلى الاقتصادات التي يهيمن عليها القطاع الخاص تغييرات كبيرة في أنظمة التعليم والرعاية الصحية. على وجه الخصوص، تحتاج المدارس والجامعات إلى التحول من تعزيز التعلم عن ظهر قلب للحقائق المطلقة نحو تشجيع التفكير الناقد، والابتكار، وقبول وجهات النظر المتنوعة.

وحتى لو بدأت الحكومات الآن، فإن هذه التغييرات سوف تتطلب جيلاً أو اثنين من التنفيذ الكامل. لكن الانتفاضات في عام ٢٠١١ كان يجب أن تكون قد علمت قادة الشرق الأوسط بالفعل أن وقتهم أقصر ما يمكن. يجب عليهم اتخاذ قرارات اقتصادية مؤلمة الآن لتجنب معاناة أسوأ على الطريق. وسواء كان القادة أمثالهم أم لا، فإن موافقة المحكومين ستكون عاملاً حاسماً في نجاح التحولات من الاقتصادات الريعية إلى الأنظمة الإنتاجية. سيتعين على المواطنين والقادة الاتفاق على عقد اجتماعي جديد. هذه المرة، بدلاً من فرض الحكومات للعقود من الأعلى إلى الأسفل، يجب السماح للمجتمعات المتنوعة عرقياً وثقافياً ودينياً التي تشكل دول الشرق الأوسط بالتفاوض عليها من الأسفل إلى الأعلى.

إن صياغة هذا العقد الاجتماعي الجديد سيتطلب قادة متبصرين لديهم الإرادة للوقوف في صفوة بلدهم، الذين يدركون أن طريقة الاحتفاظ بالسلطة هي المشاركة فيها، ومن يستطيع إقناع الناس بأنهم قادرين على توجيهها إلى مستقبل أفضل. للأسف، لا يوجد الكثير من هؤلاء القادة اليوم. (إنهم نادرون في كل مكان، ليس فقط في الشرق الأوسط). لكن ليس لدى حكومات الشرق الأوسط أي خيار. إذا استمروا في تجاهل الحاجة إلى التغيير، فإن الفوضى في المستقبل ستحدث التغيير من تلقاء نفسها.

*ترجمة: المركز الكردي للدراسات

الصراع العالمي في عصر جديد من السياسات المتطرفة

*شلمو بن عامي

بروجيكت سنديكيت، ٢٨/١١/٢٠١٨

تل أبيب- وصف المؤرخ الراحل إيريك هوبسباوم القرن العشرين بـ"عصر السياسات المتطرفة" حيث أدت اشتراكية الدولة إلى الحكم بالأشغال الشاقة على مرتكبي الجرائم، وأدت الرأسمالية الحرة إلى كساد اقتصادي دوري وأدت القومية إلى حربين عالميتين. ثم تنبأ بأن المستقبل سيكون امتداداً للماضي والحاضر، وسيتمس بانتهاج "سياسات عنيفة وتغيرات سياسية عنيفة" و"بالتوزيع الاجتماعي، وليس بالنمو".

وقد لا يعيد التاريخ نفسه، لكنه كثيراً ما يتوافق معه. ومن المؤكد أن تصريح رئيسة وزراء بريطانيا سابقاً بأنه "لا وجود لشيء اسمه مجتمع"، بل فقط "أفراد من الرجال والنساء"، يتوافق مع وجهة نظر العالم المسببة للخلاف، وسلوك خدمة المصالح الشخصية الذي يتسم به الدهماء الشعبويون الحاليون.

اليوم، وعلى غرار القرن العشرين، تمزق القومية المجتمعات إلى أشلاء، وتقسّم بين من كانوا حلفاء في وقت سابق عن طريق إشعال فتنة العداء اتجاه "الأخر"، وتبرير إقامة الحواجز المادية والقانونية الحمائية. وتستعد القوى العالمية العظمى من جديد لخوض حرب باردة على نطاق واسع، فتتهيئ نفسها نفسياً، إذا لم نقل عسكرياً، للمواجهة.

كما تنبأ هوبسباوم، كان الارتفاع الصاروخي لعدم المساواة في الدخل هو السبب الرئيسي في تصاعد النزعة القومية والمشاعر المعادية للعولمة، بل وحتى في التحول نحو السلطوية. وتأكيداً على العلاقة بين الاقتصاد السيئ والتطرف السياسي - التي أشار إليها جون ماينارد كينيز بعد الحرب العالمية الأولى - فقد أضعف عقد من التقشف في أوروبا مؤسسات الدولة المرفهة، ورمت بالعديد من الناخبين في أحضان الشعبويين.

المفارقة هي أن السبب الرئيسي الذي يجعل السياسيين الحاليين يعملون بانسجام أكثر فأكثر مع تطورات القرن العشرين هو الخوف من تكرار الكساد الكبير - وهو خوف بدأ بعد الأزمة المالية للعام ٢٠٠٨، والذي يبدو أنه ظهر على خلفية أزمة أسواق الأسهم للعام ١٩٢٩. فألمانيا مثلاً، أصبحت مهووسة بسياسة التقشف، لضمان أن تضخماً خارجاً عن السيطرة لن يؤدي إلى الديكتاتورية كما حدث في عشرينيات القرن الماضي.

لكن التقشف وصل إلى أبعد مدى، مكن من خلاله السياسيين المناهضين لمبادئ المجتمع من استغلال الصعوبات الاقتصادية (فضلاً عن الخوف من الأجانب وكرهية النساء) للحصول على الدعم. ومن أجل المنافسة في الانتخابات، انسحبت العديد من الأحزاب السائدة من الوسط، مما أدى إلى انقسام الساحة السياسية بأكملها إلى أقطاب بشكل متزايد.

ويمكن ملاحظة هذه السياسة الجديدة في الولايات المتحدة الأمريكية حيث، تحت قيادة رئيسها دونالد ترامب، أصبح الحزب الجمهوري بشكل خاص مجرداً من أصوات معتدلة. ويمكن ملاحظتها أيضاً في المملكة المتحدة حيث يواجه حزب العمال الأكثر راديكالية بقيادة جيريمي كوربين، حزبا محافظا يتحكم فيه المتطرفون المؤيدون للبريكسيت.

وفي إيطاليا، اتحدت حركة النجوم الخمس وحزب العصابة القومي في تحالف حاكم غير مسؤول، بعد فشل القوى السياسية السائدة في البلاد في الانتخابات. وعندما قال رئيس وزراء إيطاليا، غيسبي كونتي، لفلاديمير بوتين أن روسيا "شريك استراتيجي" لإيطاليا، أصبح واضحاً أن إيطاليا، التي تعد عضواً رئيسياً في الاتحاد الأوروبي وفي حلف الناتو، أصبحت قوة يمكنها أن تتسبب في عدم الاستقرار.

وفي إسبانيا، أصبح حزب الشعب قومياً بشكل منفتح تحت قيادة بابلو كاسادو المتعصب. ويعكس حزب العمال الاشتراكي الإسباني بقيادة رئيس الوزراء بيدرو سانشيز، حزب الشعب، حيث تخلى عن سياسة الوسطية لفيليب غونزاليس، من أجل التنافس مع شعبوي أقصى اليسار في حزب بوديموس.

وفي ألمانيا، تخلى العديد من الناخبين في بافاريا وهيس عن حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي اليميني المعتدل للمستشارة الألمانية أنجيلا ميركل وعن حزب الاتحاد الاجتماعي المسيحي. وحصل حزب الخضر على أصوات من الحزب الديمقراطي الاجتماعي الأكثر اعتدالا، وحصل حزب البديل من أجل ألمانيا على نفس نعدل الأصوات. ونظرا لاستياء الوسط، أصبحت قدرة ألمانيا على حماية وحدة أوروبا في خطر. وحتى فكرة أن ألمانيا قد يتزعمها يوما ما شخص فاشي ورايخكالي من جديد لم تعد احتمالا صعب الحدوث.

وبما أن السياسات الديمقراطية تتخلى عن الاعتدال، أصبح استعمال السلطة التعسفي يتزايد، وأصبحت الوثيرة الاجتماعية والسياسية ترتفع. ففي الولايات المتحدة الأمريكية، يحاول ترمب بشكل يومي إعطاء صورة سلبية للمعارضين، وتجريد المجموعات المهمشة من صفاتهم الإنسانية^١ وخلال العام الأول الذي قضاها في المكتب، تضاعفت الجرائم المرتكبة بدوافع سياسية وبشكل أساسي من طرف أشخاص ذوي البشرة البيضاء وذوي النزعة العنصرية. وفي الآونة الأخيرة، أرسلت القنابل الأنبوبية إلى العديد من الديمقراطيين البارزين ومؤيدي الأحزاب.

ولا تنحصر مخاطر هذه التطورات في المناطق المعنية فقط. إذ يعتمد الحفاظ على سلم عالمي نسبي - أو على الأقل تفادي حروب كبرى بين الدول - على تحالفات قوية، وعلى وعي الزعماء بالدمار الذي يمكن لأسلحتهم التسبب فيه. ولكن في وقت يكتسب فيه أشخاص يتسمون بقصر النظر و الراديكالية وانعدام التجربة السلطة، تم إضعاف هذين الخيارين اللذين من شأنهما الحيلولة دون نشوب حرب ما.

في واقع الأمر، يرجع تأطير السلم العالمي إلى الضغوطات المتزايدة. وبسبب سياسة "استرداد ما ضاع" العنيدة لفلاديمير بوتين، أصبحت الحدود بين روسيا وحلف الشمال الأطلسي تشهد ارتفاعاً في الأنشطة العسكرية الأكثر شمولاً منذ الحرب الباردة.

وما يزيد الأمور سوءاً، هو أن ترامب سحب الولايات المتحدة الأمريكية من عضوية معاهدة الصواريخ النووية متوسطة المدى، ضارباً بذلك عرض الحائط بعقود من التطور بشأن التحكم في الأسلحة النووية لتصبح سدى. ويبدو أنه يطمح إلى إجبار روسيا والصين على عقد صفقة جديدة، عن طريق التهديد بـ "تطوير الأسلحة". لكن نجاحه في ذلك مستبعد. وبينما كان رونالد ريغان يتفاوض مع ميخائيل غورباتشوف ذي التوجهات الإصلاحية، سيواجه ترامب بوتين المتعطش للسلطة.

تُضاف إلى المخاطر التي يواجهها العالم التكنولوجيا الجديدة - ناقصة التنظيم. فحرب الإنترنت واقع يومي^٢ ويمكن في أي لحظة شن هجوم بواسطة الإنترنت على دول الناتو، مما سيكون من شأنه أن يضمن الدفاع المتبادل للتحالف. كما أن الأمم المتحدة فشلت حتى الآن في التصدي لمعارضة تنظيم استعمال الأسلحة المستقلة المميتة التي تعتمد على الذكاء الاصطناعي.

سوف يستمر خطر حدوث نزاع عنيف في التصاعد بسبب تزايد حدة تأثيرات تغير المناخ. ومن بين الأسباب الأخرى، قد يتسبب تحول الأراضي إلى صحارى على نطاق شامل في الشرق الأوسط وأفريقيا في حدوث مجاعة أخطر من تلك التي وقعت في القرن العشرين. وستشهد الهجرة ارتفاعاً سريعاً، وسيشتد النزاع حول الموارد. وعلى الرغم من الجهود المبذولة لتأمين تعاون متعدد الأطراف، في عالمنا الذي تحدث عنه هوبزباوم، يبدو أنه لا يمكن الحيلولة دون الانزلاق نحو فوضى مناخية.

لم يكن من الممكن تصور التحديات التي يواجهها العالم اليوم في القرن العشرين. لكن الديناميكيات السياسية الحقيقية كلها مألوفة للغاية. وقد حان الوقت للتفكير ملياً في ما تنبئ به هذه الديناميكيات، وأخذ الدروس التي تحتفظ بها الذاكرة التاريخية على محمل الجد.

*وزير خارجية إسرائيل الأسبق، هو نائب رئيس مركز توليدو الدولي للسلام. وهو مؤلف كتاب "ندوب الحرب وجراح السلام:

المأساة العربية الإسرائيلية".

الربع الاخير ديسمبر 2018

الديموقراطية والصحافة الحرة

*د. شفيق الغبرا

موقع قنطرة الألماني: ٢٠١٨/١٢/١

تختلف نماذج النظام السياسي في العالم عن بعضها البعض، فمنها الديكتاتوري ومنها الديمقراطي. وفي كل دولة ديمقراطية نواقص عديدة، كما وفي كل ديكتاتورية قد يتوفر بعض من المناخ الذي يسمح ببعض المساحة.

لكن هذه المساحة قلما تستمر مع أدنى تغير في رؤية النظام. كيفما قيمنا الأنظمة السياسية سنكتشف بأن غياب الديمقراطية يقترن دائما مع غياب الصحافة الحرة وعدم مساءلة صناع القرار مهما بالغوا في أخطائهم. بل ويقترن غياب الديمقراطية بنفس الوقت مع ضعف القدرة على تحدي الظلم وتحييده.

بل ليس غريبا، من جهة أخرى، انه مع الديكتاتورية تنمو مدرسة تأليه الحاكم (عبادة الفرد) وجمود السياسة وسيطرة فئة صغيرة من النخبة على مجريات الحياة العامة والاقتصاد والثقافة والأمن. في الديكتاتورية تهمش كل السلطات، وتبقى السلطة غير المساءلة في ظل توغل الأجهزة الأمنية.

ورغم الهجوم على الديمقراطية في الكثير من دول العالم في السنوات القليلة الماضية بما فيها عدد من الدول الديمقراطية، تكتشف الناس والمجتمعات الحاجة لاستعادتها والتمسك بقيمتها.

فالديمقراطية تنطلق بالأساس من أن السلطة المطلقة بطبيعتها آيلة للفساد وللظلم، وانه يجب بناء آلية لوضع قيود على السلطة المطلقة. لقد تطورت الديمقراطية على مدى القرون بهدف أنسنة الحكومة والدولة وجعلها أقل قدرة على ممارسة الظلم بحق الناس والمجتمع.

ففي الديمقراطية توازن بين صلاحيات سلطة الحكومة من جهة وسلطة البرلمان في جانب آخر، ثم سلطة القضاء في جانب ثالث وسلطة الإعلام في البعد الرابع. لتنجح هذه السلطات في ازدهار الديمقراطية لا بد لها من أن توازن بعضها البعض. لكن الديمقراطية لا تتطور إلا في ظل ضمانات واضحة لحرية التعبير واستقلال الإعلام.

في الديمقراطية لا بديل عن انتخابات تقرر من هو الرئيس ومن هو رئيس الوزراء، بل يتضح بأنه (خاصة في الأنظمة الملكية) ضرورة أن يكون رئيس الوزراء قائدا فعليا يستمد قوته وبرنامجته وصلاحياته من برلمان منتخب وفق قانون يسمح لكل القوى السياسية والشعبية بالمشاركة والتنافس.

ويكتشف الناس بالممارسة بأن التداول على السلطة أفضل بمرات ومرات من تهميش الشعب والنخب المتعلمة والطبقة الوسطى ثم رهن الدولة والمجتمع لفرد وأقلية سياسية وبالنهاية لقوى خارجية.

الديمقراطية كنظام أقدر على خلق الثروة والنمو الاقتصادي على المدى البعيد. إن سبب هذا النجاح مرتبط بإيمانها بحرية المعرفة وحرية انتقال المعلومات وحرية النقد والشفافية في الحكم. بل إن الديمقراطية أقدر على النمو الاقتصادي بسبب قدرتها على تبسيط وأنسنة الاقتصاد وإيقاف الاحتكار مما يدعم قدرة الأجيال الشابة على المشاركة في الاقتصاد النامي. وفي الديمقراطية تزدهر صناعة الكتاب والمسرح والأدب

والرواية والشعر والموسيقى وكل ما يرمز للقوة الناعمة وذلك بفضل مساحة الحرية والتعبير وعدم وجود قوانين مكبلة كتلك التي تفرضها الديكتاتورية.

الديمقراطية معرضة للانتكاسة، لكن بقاء آلياتها الأساسية يجعل إصلاح حالها أمرا ممكنا. الديمقراطية الأمريكية نموذج لما أقصد. فقد انخرقت عن مسارها بانتخاب الرئيس ترامب في ٢٠١٦، وذلك لأنه من أقل الرؤساء الأمريكيين ديمقراطية وأقلهم التزاما بدولة القانون. لكن وفي المقابل، عندما أعاد الأمريكيون تقييم خياراتهم الانتخابية انتخبوا مجلسا للنواب في الخامس من تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٨ هدفه إعادة التوازن للنظام الأمريكي.

كما وقد يشعر الناس في ظل الديمقراطية بالحرمان الاقتصادي والظلم، ومن الطبيعي أن ينتشر الفساد في ظل الديمقراطية، لكن هذا لن يمنع المجتمع من السعي للتغيير ضمن آليات للاحتجاج يجيزها بل يشجع عليها القانون الديمقراطي، وان لم تنجح آليات المؤسسات الانتخابية كالبرلمان والقضاء والإعلام في إنصاف الناس والمهمشين، تتحرك الناس نحو الشارع كما يقع اليوم في فرنسا.

وقد تخرج الأمور عن السيطرة، لكن بنفس الوقت نجد في كل الحالات بأن آليات النظام السياسي الديمقراطي الأكثر انفتاحا ورسوخا قادرة على استيعاب الشارع وذلك من خلال التعامل مع المطالب والعمل على التغيير. كلما تطورت المؤسسات الديمقراطية نجدها لا تدخل بصراع مفتوح وطويل مع الشعب كما يقع في النظام الديكتاتوري الفاقد للرؤية والتسامح.

في الديمقراطية لا يستطيع الحاكم حل المؤسسات ولا يستطيع جعل الجيش يقتل المئات في ظل زج الألوف في السجون. وعندما تهتز الدولة الديمقراطية بسبب أخطاء صاحب السلطة مهما كان موقعه تقع الاستقالة.

إن قادة الديمقراطيات لديهم ضمانات (غير متوفرة في الديكتاتورية) تسمح لهم بالاستقالة مقابل العفو والخضوع لقضاء نزيه. وتقع الاستقالة عندما يصبح وجود الرئيس وصاحب السلطة عبئا على المواطن والدولة والشعب.

في المجتمعات العربية تنمو في مخيلة الناس كما وفي قناعاتهم السياسية الحاجة للديمقراطية بكل أبعادها. واهم من يعتقد بأن الحلم العربي بحياة ديمقراطية سيخبو ويختفي في المدى المنظور. حق الناس باختيار من يقرر شؤونها كما وحق الناس في حياة كريمة خالية من الإرهاب النظامي يزداد عمقا في الوعي العربي.

إن ماضي العرب قلما احتوى على الديمقراطية، لكن مستقبلهم لن يخرج عن السياق الديمقراطي بصفته تطورا طبيعيا لواقعهم المأزوم وحياتهم السياسية وحقوقهم. لازال الطموح بنيل الحرية والعدالة والخبز والحياة الكريمة هدف للعرب، هذا الهدف لن يتحقق بلا ديمقراطيات عربية تحمي حقوق المواطن وتمثل الشعوب وتستوعب تنوعها.

احتفال بذكرى الحرب العالمية الأولى واستعداد للثالثة؟

*سعيد الحاج

موسوعة عربي ٢١: ٢٠١٨/١٢/١

قبل أيام، استضافت العاصمة الفرنسية احتفالاً بذكرى إعلان الهدنة في نهاية الحرب العالمية الأولى " حضره حوالي ٧٠ رئيساً من مختلف دول العالم. الشعار الذي يرفع عادة في هكذا مناسبات احتفالية هو استخلاص دروس الحرب، والتأكيد على أهمية السلم الدولي، والتعاون بين مكونات المجموعة الدولية، لكن المضمّر والمفهوم ضمناً هو احتفال المنتصرين بانتصارهم" الذي أهّلهم بطبيعة الحال ليكونوا دولا "عظمى" في النظام الدولي المتشكل. الطريف واللافت في آنٍ معا" أن الاحتفال والاحتفاء بنهاية الحرب العالمية الأولى يأتيان في وقت تزداد فيه نقاشات النظام الدولي وأزماته من جهة، واحتمالات نشوب حرب عالمية ثالثة من جهة أخرى. قد يبدو ذلك من باب المبالغات أو التلاعب بالألفاظ لا أكثر، لكن الحال ليست كذلك أبداً، ولها شواهدا، خصوصا إذا ما أخذنا السياق التاريخي بعين الاعتبار.

نظام جديد حقا؟

كانت الحرب العالمية الأولى إرهاباً مهماً للنظام الدولي الذي تشكل في أعقاب الحرب العالمية الثانية، بحيث انهارت معها إمبراطوريات وترسخت فكرة الدولة القومية الحديثة، وكانت الدول المنتصرة فيها الأقوى على الساحة الدولية حتى الحرب الثانية" التي تشكل في نهاياتها نظام ثنائي القطبية، مع تفوق ملحوظ للكتلة الغربية. مع انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة في تسعينيات القرن الماضي، تبدت ملامح نظام دولي جديد تقوده الولايات المتحدة، وأداته الأهم حلف شمال الأطلسي (الناطو)، وهو نظام اعتبر انتصاراً نهائياً للنموذج الليبرالي الديمقراطي (الغربي)، أي ما اعتبره فرانسيس فوكوياما "نهاية التاريخ". في ذلك الوقت، كان القيادة للولايات المتحدة بلا منازع، والتنسيق بين طرفي الأطلسي (أي الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي) في ذروتها، وكادت الأمم المتحدة أن تغيب وتدخل تحت جناح حلف الناتو الذي لعب دورها في أكثر من أزمة، حين كانت روسيا والصين أبعد ما تكونان عن المنافسة والحق بالركب.

اليوم، يبدو أن هناك متغيرات جذرية على هذا النموذج الذي لم يصمد كثيراً على أي حال، وبات جلياً للكثيرين أن الحديث عن نظام أحادي القطبية حمل الكثير من التسرع وشيئاً من المبالغة، ولعل من المفارقات الواضحة أن أهم المتغيرات الضارة بهذا النظام اليوم أتت على يد من يفترض أنه يقوده، أي الرئيس الأمريكي.

لا يكتفي دونالد ترامب، رجل الأعمال والإعلام الذي دخل البيت الأبيض دون المرور في دهاليز السياسة، باستهداف أسس النظام الدولي، لكنه يمعن في نقض عرى التحالف الأمريكي - الأوروبي الذي ساد واستمر منذ الحرب العالمية الثانية. فتحت شعار "أمريكا أولاً"، قدم ترامب رؤيته الانعزالية التي تتخطى ما يسمى "القيم الأمريكية" التي أرادت لها واشنطن أن تكون منظومة عالمية، فضلاً عن العقوبات الاقتصادية ورفع الرسوم على عدد من الدول، في مقدمتها الصين، والتي اعتبرت "حرباً اقتصادية" على نطاق واسع، إضافة إلى السياسات الاقتصادية والسياسية الحمائية التي انتهجها ترامب. فإذا ما أضيف لها الانسحاب من اتفاق الشراكة عبر الهادئ وتراجع واشنطن عن عدد كبير من التزاماتها الدولية للانكفاء على الداخل، يكون لصورة زعماء منظمة G7 الشهيرة في مواجهة ترامب "مدلولات هامة".

مخاطر الحرب

أكثر من ذلك، فقد قدم الرجل خطاباً ودعمه بسياسات وقرارات تصب في اتجاه تراجع قوة التحالف مع الأوروبيين. فالانسحاب من اتفاق الشراكة عبر الأطلسي، والجنوح نحو تخفيض المساهمة الأمريكية المالية في حلف الناتو، والتقليل من أهمية الحلف في خطابات الرئيس الأمريكي "غذا المخاوف الأوروبية إلى حد غير مسبوق، ما جدد فكرة "جيش الدفاع الأوروبي" التي طرحها الرئيس الفرنسي ماكرون مؤخراً. وبغض النظر عما إذا كان ذلك الحديث رسالة ضغط على الولايات المتحدة أم رغبة حقيقية في بناء منظومة دفاع "أوروبية" خالصة، فإنه يشير بكل وضوح لتراجع الثقة الأوروبية بالولايات المتحدة ومظلة "الأطلسي" في عهد ترامب.

إن، ذلك النظام الدولي الآخذ بالتشكل منذ نهاية الحرب الباردة لم يستقر بعد على شكل محدد ولا على أي نوع من الاستقرار، بل لعله دخل في مرحلة جديدة في ظل الهواجس التي تسكن ضفتي الأطلسي، وفي ظل تقدم كل من الصين وروسيا اقتصادياً وعسكرياً على الساحة الدولية خلال السنوات الأخيرة.

وعليه، تنبغي الإشارة إلى أن معظم العوامل التي ساهمت في ثلاثينيات القرن الماضي في نشوب الحرب العالمية الثانية "حاضرة بدرجة أو بأخرى في المشهد الدولي اليوم. وتصاعد الأحزاب والتيارات اليمينية، ودرجة معينة من سباق التسلح، والأزمات الاقتصادية العالمية، والقيادات الشعبوية والمغامرة، والصراعات الدولية التي تتضمن احتكاكات مباشرة بين القوى العظمى، وتراجع أهمية ودور المنظمات الدولية (وخصوصاً الأمم المتحدة) ومرجعيات حل الأزمات.. كلها عوامل ماثلة اليوم للعيان وتشعل نذر الخطر.

في ظل هذا كله، ومع ترامب في المكتب البيضاوي الأكثر تأثيراً في السياسة الدولية، ومع حالة الغموض واللايقين عالمياً، يصبح الصعود السريع للصين، والذي بدأ اقتصادياً ليبدأ استثماره سياسياً وعسكرياً، والتقاط روسيا أنفاسها مع بوتين وعودتها لحالة الندية السياسية والعسكرية مع الكتلة الغربية.. يصبح كل ذلك مرحلة تدافع قد تؤدي لنشوء نظام دولي متعدد الأقطاب (وإن بقي التفوق النسبي فيه للولايات المتحدة)، وإما إلى سيناريو الحرب. لا نقول إن سيناريو الحرب حتمي ولا مناص منه، ولا حتى أنه الاحتمال الأوفر حظاً، فضلاً عن أن حرباً إن وقعت لن تكون بالتأكيد على شاكلة الحريين الأولى والثانية بالضرورة، ولكن سيناريو المواجهة قائم وله فرصه ومخاطره بكل تأكيد، بل وله بعض الشواهد التي لا تحطنها العين.

تأثير ترامب

في كتابه "النظام العالمي"، يرى هنري كيسنجر النظام الدولي اليوم ضمن ثنائية قوة عظمى راسخة ومهيمنة، مقابل أخرى صاعدة ومنافسة، أي الولايات المتحدة والصين. ويقول (ناقلاً عن دراسة مسحية لجامعة هارفارد) إن هذا النموذج تكرر في التاريخ ١٥ مرة، ١٠ منها حسمت عن طريق المواجهة العسكرية.

ربما ستحمل لنا السنوات القادمة الكثير من الأدبيات والكتابات الأكاديمية عن "الترامبية" أو "أثر ترامب" على السياسة الخارجية للولايات المتحدة وعلى النظام الدولي، لكن من المهم التنبيه لأمرين مهمين في هذا السياق: أن ترامب ليس بالضرورة "سبباً"، وإنما هو من زاوية ما "نتيجة" لعوامل متشكلة ومتفاعلة منذ فترة طويلة، وأن خليفته في حال عزله (مثلاً)، نائبه مايك بنس، ليس مختلفاً عنه في الأفكار والتوجهات وإنما هو أكثر تشدداً منه، وبالتالي فالتأثيرات التي نتحدث عنها مؤسسية وموضوعية أكثر منها شخصية أو ذاتية، أي أنها ليست مرشحة لأن تختفي أو تتراجع بالضرورة أو بسرعة مع غياب ترامب أو تغييبه.

حول بعض مفاتيح الفكر العربي

*عزيز الحاج

الإلاف: ٢٠١٨/١٢/١

ونقصد بالفكر العربي السائد، بدرجات مختلفة حسب المجتمعات وتطورها، ما يعكس في وسائل الإعلام، وفي التعليم وما ينعكس في الحياة السياسية. أن الملاحظ أولاً هو التمجيد المقدس للماضي بكل صفحاته حتى ما كان منها صفحات سلبية يجب أن تدار، كما أدانت دول ديمقراطية عريقة صفحات سلبية من ماضيها، ولاسيما الاستعمار. هذا التمجيد العربي للماضي نراه، مثلاً، في اختيار من يعتبرون أبطال العرب كخالد بن الوليد وطارق بن زياد. أما الأول فقد أثار غضب عمر بن الخطاب نفسه لكثرة ما اقترف من عمليات قتل جماعي مجاني. وهو الذي رأى أن زوجة مالك ابن نويرة جميلة فقطع رأسه وألقاه في قدر يغلي ثم زنا بزوجته. وطارق بن زياد احتل الأندلس الإسبانية واستباح نساءها وعاد بهن جوارى للأمرء ولأسواق الرقيق. ولا يزال العرب يحتنون للأندلس العربية ويبكون عليها وكأنها كانت في الأصلعربية واحتلها الأسبان. وهناك مثلاً تمجيد المملكات الجاهلية كلها وتدريسها دون نقد والعودة إليها في وسائل الإعلام، مع أن في بعضها دعوات للحرب والعدوان كقول زهير بن أبي سلمى: (ومن لم يظلم الناس يظلم) والمملكات مليئة بالافتخار بالحرب وقتل الأخر.....

وبينما أدانت دول غربية دورها في الماضي في تجارة الرقيق الأفريقي، فلسنا نجد اعتراف عندنا بوجود الرقيق وتجارته عربياً في الماضي... ليس سائداً نقد الماضي، كما ليس سائداً النقد الذاتي للأخطاء في الحياة السياسية. ومن رأى مسلسل مقابلات بعض مسؤولي الحزب الشيوعي العراقي السابقين من الفضائية العراقية، يصطدم بهذه الحقيقة، حيث لم نجد بين الغالبية من اعتراف بأخطائه السابقة و إنما وضع الآخر في قفص الاتهام. وإن نجد تمجيد شعراء قدامى يفتخرون بالحروب فإننا لا نجد اهتماماً يذكر بأمثال المعري مثلاً، وإذ يمجدون الغزالي عدو الفلسفة، فيكاد المعتزلة وابن رشد وابن ميمون يتوارون في كتب التعليم ووسائل الإعلام، ذلك لأنها مع التمحيص وإعادة النظر والتأمل في المسلمات...

هذه بضع ملاحظات مختصرة والموضوع يتسع للكثير.

وبعيداً عن موضوع الفكر... لنغتنم الفرصة للتعبير عن الإعجاب والانبهار بالاحتفال الباريسي الرائع بهدنة الحرب العالمية الأولى، والذي حضره حوالي ثمانين رئيساً وزعيماً من أنحاء العالم. كان دعوة للتسامح والسلام والإخاء في حين أن منطقتنا تحترق بأزمات الحروب بمختلف أنواعها.. فوا أسفاه.....

بين جبل الوعي وحفر الكراهية

*عويضة عبدالباسط

مركز ساسة بوست: ٢٠١٨/١٢/١

إشكالية اليوم أكبر من أن تكون الفساد والنهب الذي قام ويقوم به من تقلد وسرق أو اشترى المناصب والمسؤوليات في هذا الوطن (لست أبرر للفساد)، بل الكراهية التي عمت وانتشرت بين قلوب الناس والتي خرجت من رحم الاستبداد، الكراهية التي جنينا منها سنوات من الجمر والنار والدماء، الكراهية التي دفعت بشباب اليوم لترك الوطن والمخاطرة، الكراهية التي استوردت نفايات العصور الوسطى من أوروبا، الكراهية التي منحت العقارب الدفء للعيش طويلاً ولدغ الأبرياء، الكراهية التي منحت البراءة للأفعى... إلخ.

إن الاستبداد وبكل أنواعه هو ما زرع الكراهية في المجتمع وتحول إلى أخطبوط مدمر لقيم المحبة والوئام الاجتماعي، وفي حين حرصت ثقافة الاستبداد على الترويج لثقافة السلبية والخُنع لدى المواطن، وتعطيل التفكير في المقاومة السلمية للفساد والاستبداد، فتراكمت الاحتقانات مولدة بركان الكراهية والغضب الذي قد ينفجر في مظاهر منفلتة، مدخلة المجتمع في دوامة ودوائر من الصراعات المغلقة يسودها الانتقام والأخذ بالثأر في أجواء يستباح فيها كل شيء.

لست بالمتفائل المفرط ولا المتشائم القانط لكنني على يقين أن أي انزلاق وانفلات أمني قد يخرج السيوف من أغمارها ولن تعود. المشاهد تتكرر ولا أحد يعتبر ومعركة الوعي تؤجل كل مرة لأسباب وظروف مختلفة وإن كان معركة الوعي تبدأ بمحاصرة ثقافة الاستبداد لاستئصال ثقافة الكراهية، وإرساء معالم الحرية والشورى والمواطنة المتساوية بين جميع أبناء الوطن، دون امتيازات خاصة، وبالتالي فإن ذلك سيؤدي إلى إشاعة ثقافة الحب والوئام وترسيخ الاتحاد والترابط بين أبناء المجتمع الواحد متحدين سلطة الفساد.

إن معركة الوعي تحتاج بلا شك إلى نخبة من المجتمع تنهض به وتحمل كل ذلك الثقل، فالنخبة في خطباتها وفيما تكتب وتؤلف وتقدم من إنتاج ثقافي تشكل وعي المجتمع وتصوغ أفكاره، لذلك كانت هي المعول عليها دائماً في النهوض وإحداث التغيير. ورغم ما نملكه من ثقة في سعة الاطلاع والمعارف وطول الباع إلا أنه يجب أن ندرك أن من يطلع على ما نظهره من تفكير -عقولا نيرة- تفكر مثل تفكيرنا أو أكثر من تفكيرنا رغم هذا لا يجب أن نخالي في بخس حقنا ولا نستكين، وإلا كنا كالبعوض بين جماعة من العري لا نعرف من أين نبدأ.

وهناك من يكتب ويتكلم وله الرغبة في كسب عداة القراء والسامعين وهو ذلك الذي يلمح على تفوقه على جميع الناس، فالتواضع الملتزم بغير تكلف وهو أفضل وسيلة للفت انتباه الناس، وهو كفيل بغرس الثقة فيك وبمن حولك من جمهور. وجب أن نكون متواضعين غير معذرين فيأتي الحب من الجميع، نتكلم بصدق منفعلين مع الحشود في جميع قضاياها نتبين السبل لكل المشاكل.

كونفوشيوس هو أول فيلسوف صيني أقام مذهباً قائماً على التقاليد الصينية من سلوك اجتماعي وأخلاقي، في أوج صراعات الجنس الأصفر حيث نالت منهم الكراهية والاستبداد والانقسام فكانت فلسفته قائمة على القيم الأخلاقية الشخصية وعلى أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقاً لمثل أخلاقي أعلى، ولقد كانت تعاليمه وفلسفته ذات تأثير عميق في الفكر والحياة الصينية والكورية واليابانية والتاوانية والفيتنامية فخلقت فرداً محباً متضامناً متعايشاً ومتعاطفاً ومجتمعاً متماسكاً. كونفوشيوس لم يحاول اختلاب أفئدة الناس بمعرفته المتجاوزة أبعد الحدود، بل تجلى شغفه في تنوير الناس بركته وتعاطفه اللامحدود مع جميع فئات الناس.

الإقليم .. مفهوم جيوسياسي

*د. يوسف مكي

صحيفة (الخليج) الإماراتية : ٢٠١٨/١٢/١

يستند مفهوم الإقليم، في الغالب على الطرق والمواصفات التي تستخدمها جهة ما دون غيرها. فأحياناً يعرف من حيث انعزاله أو انفصاله، كالقول بجنوب إفريقيا، أو من حيث الانسجام النسبي في الولاء والوطنية، كالوطن العربي، أو من حيث تسمية استراتيجية تطلقها واحدة من القوى العظمى كالشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا. وإذن فالتعريف في جانب كبير منه، تعبير جيوسياسي.

كما تواجهنا مشكلة حدود الإقليم، كنتيجة منطقية لغياب مقنع للمفهوم. فالواقع يؤكد أن العالم لا ينقسم بسهولة وفق خطوط مرسومة بشكل دقيق. إذ إن من الصعب تثبيت التقسيمات الإقليمية الموضوعة على نحو عقلائي، كما أن الحدود المقررة لخدمة غرض ما، ليست بالضرورة مناسبة لخدمة أغراض أخرى.

على أن اعتبار مسألة تثبيت حدود الإقليم قضية جيوسياسية، يجعل قضايا السيادة مرهونة بالهوى وتوازنات القوة، كما يجعل منها قضية اعتباطية. ولذلك يقترح الاختصاصيون بعض المعايير لتحديد شخصية الإقليم، بضمنها وجود صفات ومميزات مشتركة، تتفاعل فيما بينها بانتظام وقوة، تقيم من خلالها نمطاً من العلاقات والروابط فيما بين أجزاء الإقليم. ويرون أن العلاقة بين أجزاء الإقليم هي أشبه ما تكون بالأواني المستطرقة، بحيث يؤدي التغيير في أي جزء من أجزاء الإقليم إلى تغيير في أجزائه الأخرى. ويشترط في الإقليم، الوحدة، وأن تكون أجزاؤه الفاعلة متجاورة بشكل عام.

ومن المؤكد أن هذه المعايير لم تحسم التباين في المفاهيم والافتقار للإجماع حول هذه المسألة. ولذلك يمكننا الاستنتاج بأنه لا توجد قاعدة، متفق عليها، لتعريف الإقليم الجغرافي، كما أنه لا يوجد اتفاق بين الجغرافيين على الأساسيات العامة التي تحتوي وتشتمل على معظم التساؤلات المتعلقة بمكوناته. هل هو بقعة متكاملة من الأرض من حيث وحدتها الجغرافية: نهر ووادٍ وسهوب مثلاً؟، وإذا ما كان الأمر كذلك، فكيف يكون وضع الأقاليم التي لا تخضع لهذا المعيار، كأقاليم الظاهرة الواحدة، والأقاليم الأخرى ذات الظواهر المتعددة غير المتجانسة؟.

وإذا أخذنا بالقول بأن شخصية الإقليم، تتحدد من خلال انتماء أهله لعصبية أو عقيدة واحدة، فهل لتلك العصبية صفة الثبات؟، وماذا يعني انتفاء تلك العصبية، هل يترتب عليه ذوبان الإقليم وفقدانه لهويته، وبالتالي لوجوده؟. وهل التجانس الطبيعي شرط لوجود الإقليم وهل هناك تخوم/حدود للإقليم، أم أنه يتوسع ويتقلص تبعاً لمتغيرات، وما هي تلك المتغيرات؟.

وهكذا ففي ظل هذا الركام من الأسئلة، وغياب المفهوم الدقيق والواضح، الذي يمكن إخضاعه للدقة العلمية، فإنه لا مندوحة من تخطي فكرة الوصول إلى تعريف مقبول للإقليم وتحديد خصوصيته، والاستعانة، بدلاً عن ذلك، بالعرف والتاريخ كي يسعفانا في حل هذه المعضلة.

فحين نأتي على سبيل المثال، للمشرق العربي، ويضم كما هو متعارف عليه، الجزء الآسيوي من الوطن العربي ومصر. فإن أول ما يلفت النظر، هو أن هذا الجزء من الأمة، شهد في العصور القديمة، ثلاث فترات حضارية رئيسية، كان نصيب مصر منها الحضارة الفرعونية، ونصيب ما بين النهرين الحضارات السومرية والبابلية والفينيقية، وكان نصيب جزيرة العرب، قيام الدولة العربية الإسلامية الكبرى التي بدأت في التحقق مع بزوغ الإسلام.

فيما يتعلق بوادي النيل كإقليم، شارك الجغرافيا والتاريخ، في صنع شخصيته حيث يمكن القول بوجود نوعين من الوحدة فيه، إحداها جغرافية وتتمثل في وجود خط في القلب يشق البلاد من الجنوب إلى الشمال هو النهر، ويليه الوديان الملاصقة لضفتيه، ومن ثم السهوب في الغرب، والمنطقة الساحلية إلى الشرق. أما الوحدة التاريخية، فقد تحققت من خلال استمرارية البلاد في بوتقة سياسية واحدة على مر العصور.

أما فيما بين النهرين، فلم تتحقق وحدته السياسية بشكل مستمر إلا بعد مجيء الإسلام. وحتى حين تحققت هذه الوحدة، فإن هذا الإقليم كان جزءاً من الإمبراطورية العربية الإسلامية الكبرى. كما أن هذا الإقليم يفتقر إلى الوحدة والتجانس الجغرافي، ولم تتوفر تسمية تشمل معظم أجزائه إلا في وقت متأخر، حين أطلق على المنطقة الممتدة من العراق إلى البحر الأبيض المتوسط، تسمية الهلال الخصيب.

وحين نسلم بوحدة إقليم ما بين النهرين، فلعدة أسباب أهمها، إن فورة الحضارات التي قامت في هذا الجزء، من سومرية وبابلية وفينيقية، قد حدثت في أوقات متقاربة جداً، وأثرت بعضها البعض، مما أدى إلى تحقق تاريخ مشترك للإقليم بأسره. وقد تحقق الفتح العربي الإسلامي لها في حقبة تاريخية واحدة، ومنذ ذلك الفتح احتضنت تراثاً واحداً ولغة واحدة شكلت هويتها، ووجهت حركتها. وعند نهاية القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين، كان لهذه المنطقة الدور الريادي في انبثاق حركة اليقظة العربية. وقد تحملت مشتركة شرف قيادة النضال العربي، للتخلص من الهيمنة التركية، والاستعمار الغربي لاحقاً. وبعد احتدام الصراع العربي-الصهيوني أصبح هذا الإقليم، في كل الحروب التي خاضها العرب دفاعاً عن أرضهم ووجودهم جبهة للمواجهة مع «إسرائيل».

وبالنسبة لجزيرة العرب، فقد احتفظت طيلة حقب التاريخ بتسميتها. وقد استمد الإقليم خصوصيته من وضعه الجغرافي المميز، حيث الطابع الصحراوي، والواحات المتناثرة، وحيث البحر يحمي البلاد من ثلاث جهات، وتضطلع الصحراء بحماية البلاد في تخومها الشمالية. وبعد مجيء الإسلام، أصبحت البلاد مركزاً تهفو إليه أفئدة المؤمنين من كل أرجاء العالم.

والخلاصة أن ما لدينا هو سائد في تعريف الإقليم، غير ثابت وأنه محكوم في الغالب، باعتبارات جيوسياسية، أكثر منها عناصر الوحدة الطبيعية، وذلك ما ستكون لنا معه وقفة أخرى.

yousifmakki2010@gmail.com

قمة مجموعة العشرين < الأكثر انقساماً > في بوينس آيرس

« حرب تجارية » أمريكية - صينية وخلاف متصاعد بين روسيا والدول الغربية

اعداد: الانصات المركزي: ٢٠١٨/١٢/١

بدأت أعمال قمة مجموعة العشرين في بوينس آيرس، يوم الجمعة، في ظل أجواء من «الانقسام العميق» بين دولها، بحسب وصف وكالة الصحافة الفرنسية التي أشارت أيضاً إلى أن القمة بدت بعيدة عن إعلان الالتزام بتعددية الأطراف الذي صدر في نسختها الأولى قبل عشر سنوات.

وبعد تأخرها لأكثر من ساعتين عن البرنامج المحدد، التقطت الصورة التذكارية للقادة المشاركين في القمة ثم بدأت الاجتماعات التي تأتي في ظل «حرب تجارية» بين الولايات المتحدة والصين، أكبر اقتصادين في العالم، وفي ظل خلافات مستحكمة بين روسيا والدول الغربية لا سيما على خلفية المواجهة المسلحة بين قطع بحرية للقوات الروسية والأوكرانية قرب مضيق كيرتش الذي يربط بحر آزوف بالبحر الأسود. وبالإضافة إلى ذلك، تبدو العلاقات شديدة التوتر بين روسيا وبريطانيا على خلفية اتهامات بتورط الاستخبارات الروسية في محاولة قتل الجاسوس الروسي سيرغي سكريبال الذي يعمل لمصلحة البريطانيين في مدينة سالزبري بجنوب إنجلترا في وقت سابق من هذه السنة.

وتضم مجموعة العشرين الدول الصناعية الأكبر في العالم وبينها المملكة العربية السعودية التي تمثلت بولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع الأمير محمد بن سلمان.

وترأس الرئيس الأرجنتيني موريشيو ماركري جلسة افتتاح القمة، مؤكداً الحاجة إلى مناقشات صريحة، ومعرباً عن أمله في أن تتمكن الأطراف من التوصل إلى توافق في الآراء في مواجهة التغيرات الاقتصادية والاجتماعية العالمية السريعة. وقال إن الحل يكمن في «الحوار، الحوار، الحوار»، داعياً القادة المشاركين إلى توجيه رسالة واضحة تؤكد «المسؤولية المشتركة» بين دولهم.

ولاحظت وكالة الصحافة الفرنسية أن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون وقف في الصورة التذكارية إلى جانب الرئيس دونالد ترمب، علماً بأن العلاقة بينهما كانت قد توترت في الفترة الأخيرة بسبب تغريدات ساخرة للرئيس الأمريكي عن نظيره الفرنسي. ولاحظت الوكالة أيضاً أنه خلال حفل افتتاح القمة بدأ ترمب بعيداً عن جو الحماسة التي انتابته لدى إعلانه صباح الجمعة التوقيع على اتفاق جديد للتبادل الحر في شمال أمريكا (الولايات المتحدة وكندا والمكسيك). أما الرئيس الصيني شي جينينغ فتميزت أساريه بالجدية، بانتظار العشاء المرتقب مساء السبت بينه وبين الرئيس الأمريكي، على أمل أن يفتح هذا اللقاء الباب أمام إنهاء النزاع التجاري بين البلدين العملاقين.

وأفاد مصدر فرنسي وكالة الصحافة الفرنسية بأن ماكرون يسعى إلى «جمع الدول التقدمية» حول نص بديل حول المناخ والتبادل الحر. وإن دل هذا الأمر على شيء فهو يدل على اقتناع ماكرون، بحسب الوكالة، باستحالة التوصل إلى بيان نهائي موحد في ختام القمة بشأن هذين الموضوعين، طالما أن الخلافات بين المشاركين كبيرة. وتخشى السلطات الأرجنتينية حصول أعمال عنف خلال مظاهرة احتجاج مقررة مساء الجمعة، على غرار ما حصل خلال قمة مجموعة العشرين في هامبورغ العام الماضي.

وافتح تحت القمة في مركز مؤتمرات كوستا سالجويرو في بوينس آيرس، ويقع المركز في حي باليرمو بالعاصمة الأرجنتينية بين ريو دي لا بلاتا ومطار أيرباركي المحلي. وأشارت وكالة الأنباء الألمانية إلى أن موقع القمة يخفف من المشكلات بالنسبة إلى قوات الأمن التي تحرس الزعماء. ويتيح إغلاق بعض الطرق عزل المقر الذي يغطي نحو ٢٠ ألف متر مربع. ويتألف المقر من عدد من الأجنحة وقاعات المؤتمرات ويستضيف عادة المعارض التجارية والفعاليات والاحتفالات الكبرى التي تقيمها الشركات.

وقبيل جلسة الافتتاح، ندد الرئيس فلاديمير بوتين بما وصفه بالاستخدام «المسيء» للعقوبات «الأحادية الجانب» والحماية التجارية. وقال بوتين الذي تخضع بلاده لعقوبات اقتصادية قاسية أوروبية وأمريكية بسبب الأزمة الأوكرانية منذ ٢٠١٤: «لا يمكننا إلا ملاحظة منافسة غير شريفة تحل بشكل متزايد محل حوار نزيه يستند إلى مبدأ المساواة بين الدول»، بحسب ما نقلت الوكالة الفرنسية. وتابع الرئيس الروسي: «تنتشر ممارسات مسيئة

بالعودة إلى فرض عقوبات أحادية الجانب غير مشروعة وإجراءات حمائية والالتفاف على شرعية الأمم المتحدة وقواعد منظمة التجارة الدولية والمعايير المعترف بها دولياً». وقال بوتين إن أثر ذلك كان «سلبياً للغاية على روحية التعاون الدولي»، وقد أضر بالتجارة.

وكان ترمب فاجأ الجميع الخميس عندما ألغى لقاء كان مقرراً مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على خلفية التوتر المتجدد بين روسيا وأوكرانيا. وجاء قرار ترمب في وقت يتوسّع المحقق الأمريكي الخاص روبرت مولر في تحقيقه حول احتمال حصول تواطؤ بين حملة ترمب وروسيا في ٢٠١٦. بموازاة سعي الكونغرس الأمريكي إلى تشديد العقوبات المفروضة على روسيا.

ورجّحت وزارة الخارجية الروسية، أن يكون الرئيس الأمريكي قد ألغى لقاءه مع نظيره الروسي في قمة العشرين بسبب الأوضاع السياسية الأمريكية الداخلية وليس بسبب حادثة البحر الأسود. وأعرب المتحدث باسم الكرملين، دميتري بيسكوف، عن أسف الكرملين لقرار الإدارة الأمريكية «إلغاء الاجتماع المزمع للرئيسين في بوينس آيرس»، مضيفاً أن «هذا يعني أن مناقشة القضايا الخطيرة على جدول الأعمال الدولي والثنائي تأجلت إلى أجل غير مسمى».

الرئيس الروسي سيحظى بساعات إضافية لعقد لقاءات مفيدة

وذكر الكرملين أنه لم يتلق تأكيداً لإلغاء الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، قمته مع نظيره الروسي، فلاديمير بوتين، إلا أن ثبوت ذلك يعني أنه سيحظى بوقت إضافي لعقد لقاءات مفيدة بالأرجنتين.

وقال المتحدث باسم الرئاسة الروسية، دميتري بيسكوف، في تصريحات صحفية أدلى بها مساء اليوم الخميس، تعليقا على إلغاء ترامب لقاءه مع بوتين خلال قمة "G20" في الأرجنتين: "إننا في الطائرة بالطريق إلى الأرجنتين. وحتى الآن رأينا فقط التفريضة والتقارير الإعلامية، ولا تتوفر لدينا معلومات رسمية".

وأضاف بيسكوف: "لكن إذا كان هذا الأمر حقيقياً، فهذا يعني أن الرئيس بوتين سيحظى بعدة ساعات إضافية في جدول الأعمال لعقد لقاءات مفيدة على هامش القمة".

وفي وقت سابق من مساء الخميس أعلن سيد البيت الأبيض عبر "تويتر" أنه قرر إلغاء لقاءه المرتقب مع بوتين خلال أعمال قمة مجموعة العشرين للدول الصناعية الكبرى في الأرجنتين على خلفية حادث احتجاز البحرية الروسية، يوم ٢٥ نوفمبر، ٣ سفن حربية أوكرانية وعلى متنها ٢٤ عسكرياً انتهكت حدود روسيا خلال المرور من البحر الأسود إلى بحر آزوف عبر مضيق كيرتش.

وأضاف الرئيس الأمريكي: "أنتظر بفارغ الصبر قمة جوهريّة عندما تحل هذه الأزمة".

ووقّعت الولايات المتحدة وكندا والمكسيك اتفاقية التبادل الحر لأمريكا الشمالية خلال حفل رسمي نظم على هامش القمة. وقال الرئيس الأمريكي «هذا نموذج اتفاق للتبادل الحر سيغير الخارطة التجارية بالنسبة للجميع».

وسيتخلل قمة مجموعة العشرين عدد من المبادرات الدبلوماسية واللقاءات الثنائية بين القادة.

وتجري الولايات المتحدة محادثات مع شي جينبينغ السبت لمزيد من الضغط على الصين. وفرض ترمب رسوماً على ما قيمته ٢٥٠ مليار دولار من السلع الصينية المستوردة.

ومن المشاركين أيضاً في القمة الرئيس الفرنسي ماكرون ورئيس الوزراء الياباني شينزو آبي ورئيس الوزراء الهندي نارندرا مودي.

وستكون المستشار الألمانية أنجيلا ميركل من بين القادة الذين سيلتقون ترمب مساء الجمعة. لكنها لم تحضر الافتتاح بعدما أجبرت طائرتها على القيام بهبوط اضطراري في كولونيا بسبب مشكلة فنية. وبحسب الوكالة الفرنسية فإن غيابها الموقت قد يعقد محاولات ماكرون بناء جبهة أوروبية ضد ترمب في اجتماع عقد صباح الجمعة لقادة الاتحاد الأوروبي المشاركين في القمة.

وتشكل قضايا الالتزام للتخفيف من تداعيات التغير المناخي نقطة خلاف أخرى في قمة العشرين. وانتقد ماكرون الخميس الذين يرغبون في مواجهة التحديات الاقتصادية بـ«خطابات نارية والانعزال وإغلاق الحدود». وحذر من أن فرنسا قد ترفض المضي قدماً في اتفاق تجارة مع مجموعة «مركورسور» الأمريكية الجنوبية في حال انسحب الرئيس البرازيلي اليميني المتطرف جاير بولسونارو من اتفاق باريس للمناخ. وأعلن ترمب قبل أشهر انسحاب بلاده من اتفاق باريس للمناخ.

وذكرت مصادر في مجموعة العشرين أن التغير المناخي يكاد يصبح أكبر عقبة أمام اتفاق حول صدور بيان مشترك في بوينس آيرس عندما تختتم القمة السبت، بحسب وكالة الصحافة الفرنسية.

وانتهت قمتان كبيرتان هذا العام لمجموعة الدول السبع ومنتدى التعاون الاقتصادي لمنطقة آسيا - المحيط الهادئ، من دون صدور البيانات الروتينية، بسبب خلاف بين ترمب ومضيفه رئيس الوزراء الكندي جاستن ترودو بالنسبة إلى قمة مجموعة السبع. وقال المفاوض الكندي السابق توماس بيرنس من مركز أبحاث حول الحوكمة الدولية يتخذ من أونتاريو مقراً «هل سنحصل على بيان؟ إنه فعلاً سؤال مفتوح».

في غضون ذلك، نقلت وكالة الأنباء الألمانية عن محطة «راديو ميتر» أن قوات الأمن الأرجنتينية ضبطت نحو ١٢ قنبلة قبل مظاهرة ضد قمة مجموعة العشرين. وجرى اكتشاف قنابل حارقة في سيارة أجرة محترقة بوسط بوينس آيرس بالقرب من طريق المظاهرة التي كانت مقررة مساء. ونشرت الأرجنتين نحو ٢٥ ألف شرطي وجندي لمنع أعمال العنف المماثلة لتلك التي شوهدت خلال قمة مجموعة العشرين في هامبورغ بألمانيا، عندما أصيب مئات من رجال الشرطة في مواجهات مع المحتجين.

وأشارت الوكالة الألمانية أيضاً إلى أن زلزالاً محدود القوة ضرب منطقة بوينس آيرس أمس في بداية قمة مجموعة العشرين، بحسب ما أعلن المعهد الوطني للوقاية من آثار الزلازل. وبلغت قوة الزلزال ٣,٨ درجة على مقياس ريختر ووقع مركزه على عمق ٢٥ كيلومتراً، وعلى مسافة نحو ٣٠ كيلومتراً جنوب بوينس آيرس. وقالت تقارير وسائل إعلام محلية إنه تم الشعور بالزلزال في بعض مناطق العاصمة. ولم يؤثر ذلك على المكان الذي ينعقد فيه المؤتمر.

الانقسامات ترخي بظلالها على بيانها الختامي

هذا وأرخت الانقسامات الحالية بين قادة دول مجموعة العشرين المجتمعين في بوينس آيرس ظلالاً من الشك على احتمالات صدور بيان ختامي من القمة.

وقد خلت مسودة للبيان الختامي إطلعت عليها وكالة فرانس برس من أي انتقاد للحمائية، وهو شرط أساسي لموافقة الأمريكيين على صدور البيان.

تنصّ المسودة أيضاً على وجوب "مواجهة تحديات التغير المناخي" مع الأخذ في الاعتبار في الوقت نفسه "الظروف الوطنية المختلفة".

وبعدما تأخرت لمدة ١٢ ساعة عن الوصول إلى بوينس آيرس بسبب عطل فني طراً على طائرتها، وصلت المستشار الألمانية أنغيلا ميركل إلى العاصمة الأرجنتينية الجمعة، والتحقّت بنظرائها، الذين تناولت العشاء وإياهم بعد حضور فعالية فنية.

يتعيّن على الأوروبيين أن يتوصّلوا إلى موقف مشترك بشأن أوكرانيا، وهو موضوع ساخن آخر في قمة مجموعة العشرين. وقال رئيس المجلس الأوروبي دونالد توسك إنه "متأكد" من أنه سيتم في ديسمبر تجديد عقوبات الاتحاد الأوروبي ضد روسيا.

اليوم الأول من قمة العشرين في بوينس آيرس في خمس محطات

من مصافحة بين مسؤولين مثيرين للجدل إلى دموع مضيف القمة ورسم لبوتين، في ما يلي اليوم الأول من قمة مجموعة العشرين في بوينس آيرس في خمس محطات:

لقاءات حارة

قبل الجلوس على الطاولة مع رؤساء الدول والحكومات المجتمعين ليومين في بوينوس آيرس، تبادل الرئيس الروسي فلاديمير بوتين وولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان تحية حماسية حارة الجمعة، تناقل رواد الانترنت صورها بشكل واسع. وواصل ولي العهد السعودي وبوتين تبادل الحديث وهما مبتسمين. تناقل رواد الانترنت أيضاً تسجيل فيديو آخر لولي العهد السعودي والرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون سمعت أطراف الحديث فيه. ويقول الرئيس الفرنسي "أنت لا تصغي لي إطلاقاً"، ويرد الأمير السعودي "بالتأكيد سأصغي".

الرئيس الأرجنتيني يبكي

ظهر الرئيس الأرجنتيني ماوريسيو ماكري، الذي يستضيف القمة، باكياً متأثراً على ما يبدو بالعرض، الذي دعا إليه ضيوفه في مسرح كولون. وعندما كان الحضور يهتفون "أرجنتينا أرجنتينا"، قامت المستشارة الألمانية أنغيلا ميركل، التي وصلت متأخرة إلى القمة، بسبب عطل في طائرتها، بمواساته. بعد الأغاني والرقصات التي عكست ثراء الثقافة الأرجنتينية، دعي رؤساء الدول والحكومات إلى عشاء قدمت خلاله ما تشتهر به البلاد باللحوم والنيبيذ. وقالت ماغدالينا توسوني (٥٣ عاماً) أستاذة علم الاجتماع، معبرة عن استغرابها "ليست هناك أموال لإصلاح أو بناء مدارس ومستشفيات، فلماذا نخصص المال لتنظيم قمة لمجموعة العشرين؟".

تبادل مدائح

بينما يبدو قادة مجموعة العشرين منقسمين حول كل شيء، من المناخ إلى التجارة والنزاع في أوكرانيا وقضية خاشقجي، شهد اليوم الأول من قمتهم تبادل بعض العبارات الودية. فقد صرح الرئيس الأمريكي دونالد ترمب مثلاً أن نظيره الأرجنتيني "شاب وسيم جداً". كما هنا رئيس الوزراء الياباني شينزو آبي على فوزه الأخير في الانتخابات الأخيرة. ورد عليه رئيس الوزراء الياباني الذي أعيد انتخابه على رأس بلده بعبارات ودية. وهناً آبي الرئيس الأمريكي على النتيجة التي حققها في انتخابات منتصف الولاية. ووصف آبي هذه النتيجة التي خسر فيها الجمهوريون غالبيتهم في مجلس النواب، بأنها "تاريخية". لكن ترمب، الذي لا يعترف بالهزيمة، رأى في هذه الانتخابات التي احتفظ فيها الجمهوريون بالغالبية في مجلس الشيوخ، انتصاراً بكل المعايير التاريخية في اقتراع منتصف الولاية.

ارسم لي خارطة

خلال لقاء مع الرئيس ماكرون، قام بوتين برسم خريطة لتبرير اعتراض سفينتين أوكرانيتين في حادثة أشارت أزمة كبرى بين موسكو وكيفيف. وقالت مستشارة للرئيس الفرنسي إن "بوتين أخرج ورقة بيضاء، ورسم البحر والمضيق، وأخذ يفسر للرئيس مسار السفينتين الأوكرانيتين في المياه المحايدة، ثم في المياه الإقليمية". وأوضح الإليزيه أن "رئيس الجمهورية قال إنه يجب الدخول في مرحلة خفض للتصعيد".

تعليق: مجموعة العشرين بحاجة إلى بناء توافقات من أجل تنمية عالمية أفضل

صحيفة (الشعب) الصينية: ٢٠١٨/١٢/١

في الوقت الذي يتجمع فيه قادة الاقتصادات الرئيسية في العالم في بوينس آيرس لحضور قمة مجموعة العشرين لهذا العام، فإنهم يحملون توقعات كبيرة من جميع أنحاء العالم، في حاجة ماسة إلى التوافق والثقة. وعقد زعماء مجموعة العشرين قمتهم الافتتاحية في واشنطن قبل ١٠ سنوات بغرض التوصل إلى اتفاق عام بشأن التعاون في مجالات رئيسية لمواجهة الأزمة المالية التي اجتاحت العالم. وبعد عقد من الزمن، أصبحت مجموعة العشرين الساحة المركزية للتعاون الاقتصادي الدولي. وانطلاقاً من مجموعة العشرين وغيرها من الآليات الأخرى متعددة الأطراف، قام المجتمع الدولي على مر السنين بتنسيق سياسات الاقتصاد الكلي، ونزع فتيل المخاطر المالية بشكل مشترك، وتعزيز القوة الدافعة للتعاقي الاقتصادي العالمي صعب المنال.

وعلى الرغم من أن الاتجاه التصاعدي لم يتغير بشكل أساسي، إلا أن المخاوف بشأن المخاطر والضغط النزولي، تستخدم في الوقت الحالي.

فمن ناحية، تواجه العولمة الاقتصادية رياحا معاكسة وتزداد الخلافات التجارية. ومن ناحية أخرى، فإنه بسبب عوامل مثل ارتفاع أسعار فائدة مجلس الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي بشكل متتالي وعدم الاستقرار الجيوسياسي، تشهد الأسواق المالية في جميع أنحاء العالم تقلبات متزايدة، وتتحرك الاقتصادات الرئيسية بسرعات مختلفة. وقد خفضت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، مؤخراً، توقعاتها للنمو العالمي لعامي ٢٠١٩ و٢٠٢٠ إلى ٣,٥ بالمئة، مقارنة بـ ٣,٧ بالمئة للعام الجاري.

وفي ظل هذه الخلفية، يتابع العالم قمة مجموعة العشرين المرتقبة بفارغ الصبر، وسط ارتفاع الآمال إلى حد كبير بأن تبني القمة التوافق وتعزز الثقة وتحقق استقرار توقعات السوق.

وستتناول القمة، التي ستعقد تحت شعار "بناء توافقات من أجل التنمية العادلة والمستدامة"، موضوعات مثل الاقتصاد العالمي والتجارة والاستثمار والاقتصاد الرقمي والتنمية المستدامة والبنية التحتية وتغير المناخ.

ولا شك في أن كيفية الحفاظ على التنمية العادلة والمستدامة ستكون إحدى النقاط المحورية في قمة بوينس آيرس. ولضمان التنمية العادلة، يجب الدعوة إلى التنمية الشاملة ومعالجة القضايا الاجتماعية مثل الفقر والبطالة واتساع فجوات الدخل، حتى يتسنى لجميع الأطراف الاستفادة من النمو الاقتصادي والتقدم التكنولوجي وأن يتقاسم جميع الناس ثمار العولمة الاقتصادية والنمو الاقتصادي العالمي. ولتحقيق التنمية المستدامة، ينبغي اتباع اتجاه العولمة الاقتصادية، والتمسك بالقوة الدافعة الرئيسية بما في ذلك التجارة الحرة.

وفي مذكرة استقصائية بشأن مجموعة العشرين، أصدرها صندوق النقد الدولي في يوليو، أكدت المؤسسة المالية الدولية أن الاقتصاد العالمي يعتمد على "نظام تجاري دولي مفتوح ونزيه وقائم على قواعد".

ويدورها، حثت كريستين لاجارد، المديرية العامة لصندوق النقد الدولي، صانعي السياسات في مجموعة العشرين على تطوير حلول متعددة الأطراف من شأنها تحسين نظام التجارة العالمي.

وأكد بيدرو فيلاجرا دلجادو، المنسق الأرجنتيني لأعمال اجتماع مجموعة العشرين، دعم بلاده للتجارة الحرة القائمة على القواعد وتعزيز التدفقات التجارية في جميع أنحاء العالم، لافتاً إلى أن الأرجنتين ستسعى إلى التوصل إلى توافق بين الأطراف المشاركة في قمة مجموعة العشرين بشأن القضايا الرئيسية، وإظهار مجموعة العشرين بشكل إيجابي أمام العالم.

وأوضح ميغيل ميسماشر، منسق الشؤون المكسيكية لدى مجموعة العشرين: إن معظم أعضاء مجموعة العشرين يؤيدون تعددية الأطراف والمؤسسات الدولية. ولفت إلى أنه على مر السنين، شيدت آلية مجموعة العشرين جسراً من التعاون بين الدول المتقدمة والدول النامية، ولدت توافقا أكثر من الاختلاف.

ومن جانبه، أعرب مساعد وزير الخارجية الصيني تشانغ جون، عن دعم بلاده للأرجنتين في استضافة قمة ناجحة، لافتاً إلى أن بكين تتطلع إلى عقد القمة للخروج بنتائج إيجابية وضخ قوة دافعة جديدة في تعاون مجموعة العشرين.

وتعكس هذه الأصوات التوقعات العالمية. وبالنظر إلى التحديات المتزايدة وثقل مجموعة العشرين، فقد حان الوقت لقادة الاقتصادات الرائدة للتوصل إلى توافقات، وتعزيز التضامن وتقوية التعاون، من أجل مواصلة قيادة التنمية العالمية.

وفاة الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الأب

اعداد: الانصات المركزي: ٢٠١٨/١٢/١

توفي الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الأب عن ٩٤ عاما، كما أعلن ابنه الرئيس الأسبق جورج دبليو بوش في وقت متأخر الجمعة.

وقال جورج بوش الابن في بيان نشره الناطق باسم العائلة على موقع تويتر "يحزننا أنا وجيب ونيل ومارفن ودورو أن نعلن وفاة والدنا العزيز بعد ٩٤ عاما مميزة".

وأضاف أن جورج هيربرت ووكر بوش "كان من أرفع الشخصيات وأفضل أب يتمناه أي ابن أو ابنة".

وتأتي وفاة جورج بوش الأب بعد أشهر على وفاة زوجته الـ٧٣ عاما بربارا بوش في نيسان/ابريل الماضي.

ولجورج بوش خمسة أبناء و١٧ حفيدا.

وقالت العائلة إن الترتيبات المتعلقة بجنائزه ستعلن في وقت قريب.

وبعدما بقي ثمانى سنوات نائبا للرئيس رونالد ريغن، أصبح جورج بوش الأب الرئيس الحادي والأربعين

للولايات المتحدة.

وتزامنت ولايته الرئاسية التي استمرت من ١٩٨٩ إلى ١٩٩٣ مع انتهاء الحرب الباردة. وقد أعلن في ١٩٩٠

"النظام العالمي الجديد" وقاد حملة إخراج القوات العراقية من الكويت، لكنه رأى أن التدخل في الشرق الأوسط ينذر

بفوضى قادمة.

ولم ينتخب بوش الذي كان قبل ذلك طيارا حربيا ومديرا لوكالة الاستخبارات المركزية (سي آي ايه)، لولاية

رئاسية ثانية. وهزم في انتخابات ١٩٩٢ أمام خصمه الديموقراطي بيل كلينتون.

ونعى الرئيس الأمريكي دونالد ترمب الرئيس الأسبق، جورج بوش الأب، ووصف ترمب، الذي يحضر حاليا قمة

زعماء مجموعة العشرين في الأرجنتين، الرئيس الأسبق، بأنه زعيم «كان دائما مثالا يحتذى».

وقال ترمب في بيان: «بحكم سليم وفطرة سليمة وقيادة هادئة، قاد الرئيس بوش بلدنا والعالم إلى نهاية هادئة

ومنتصرة للحرب الباردة».

وأضاف ترمب: «قلوبنا متألمة لفقدانه، وسنصلي نحن والشعب الأمريكي لأجل أسرة بوش بأكملها، إننا نقدر

حياة وتراث الرئيس رقم ٤١». وأشاد ترمب أيضا «بالأصالة الحقيقية للرئيس الأسبق وسرعة بديهته والتزامه

الذي لا يتزعزع بالدين والأسرة والبلاد».

من جانبه، ذكر الرئيس الأمريكي السابق، باراك أوباما، أن الولايات المتحدة فقدت شخصا «وطنيا وخادما

متواضعا». وقال أوباما في بيان: «بينما الحزن يعتصر قلوبنا اليوم، فهي ممتلئة بالامتنان».

وأضاف أن حياة بوش «هي شهادة على الفكرة التي مؤداها أن الخدمة العامة هي رسالة نبيلة وسارة»، مشيرا

إلى أن بوش وزوجته، باربرا التي توفيت في أبريل (نيسان) «هما معا الآن مرة أخرى».

أما الرئيس الأسبق، بيل كلينتون، الذي تغلب على جورج بوش الأب في انتخابات عام ١٩٩٢، فقد أشاد بأسلوب

منافسه السابق في التعامل مع الآخرين.

وقال كلينتون في بيان: «سأكون ممتنا إلى الأبد للصدقة التي ربطت بيننا». وأضاف: «منذ اللحظة التي التقيت

به عندما كان حاكما شابا. كنت مندهشا من أسلوب تعامله الرقيق مع تشيلسي (ابنة كلينتون)، وإخلاصه لباربرا

ولأولاده».

وتابع كلينتون قائلا إن عددا قليلا من الأمريكيين هم من تمكنوا من تحقيق ما أنجزه الرئيس بوش في خدمة

الولايات المتحدة.

١٠ محطات في مسيرته

وفيما يأتي عرض لمسيرته في عشر محطات:

- ١٢ يونيو (حزيران) ١٩٢٤: ولد جورج هيربرت ووكر بوش في مدينة ميلتن بولاية ماساتشوستس.
- ١٩٤٢: تطوع جورج بوش في البحرية الأمريكية وكان أصغر طيارها سناً. تم تسريحه في ١٩٤٤.
- ١٩٤٥: تزوج بربارا بيرس ورزقا بستة أولاد، هم جورج ووكر الذي أصبح رئيساً للولايات المتحدة، وروبين الذي توفي عن ثلاث سنوات، وجون الملقب بـ«جيب» الذي أصبح حاكم فلوريدا ثم ترشح للانتخابات التمهيدية للحزب الجمهوري في ٢٠١٦ وهزم، ونيل ومارفن ودوروثي.
- ١٩٥٣: أسس جورج بوش الأب شركة زاباتا النفطية (زاباتا بتروليوم كومباني) في ولاية تكساس حيث صنع ثروة كبيرة.
- ١٩٦٧ - ١٩٧١: شغل مقعد ولاية تكساس في مجلس النواب الأمريكي عن الحزب الجمهوري.
- ١٩٧١ - ١٩٧٣: شغل منصب سفير الولايات المتحدة في الأمم المتحدة.
- ١٩٧٦ - ١٩٧٧: مدير وكالة الاستخبارات المركزية (سي آي إيه).
- ١٩٨١ - ١٩٨٩: شغل منصب نائب الرئيس في عهد رونالد ريغان بعدما كان خصمه في الانتخابات التمهيدية للجمهوريين في ١٩٨٠.
- ١٩٨٩ - ١٩٩٣: تولى رئاسة الولايات المتحدة. في أغسطس (آب) ١٩٩٠، وبعد غزو القوات العراقية للكويت، تولى قيادة تحالف دولي قام بتحرير الكويت في فبراير (شباط) ١٩٩١ بعد حرب خاطفة أطلق عليها اسم «عاصفة الصحراء».
- ١٩٩٢: ترشح لولاية رئاسية ثانية لكنه هزم أمام الديمقراطي بيل كلينتون الذي تولى مهامه رسمياً في ٢٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٣.

من الحرب العالمية الثانية إلى "عاصفة الصحراء"

كان بطل الحرب العالمية الثانية جورج بوش الأب رجلاً بسيرة ذاتية ذهبية، شملت أبرز المناصب السياسية، من عضو في الكونغرس إلى مندوب لدى الأمم المتحدة، ورئيس للحزب الجمهوري ومبعوث إلى الصين، ومدير لوكالة المخابرات المركزية، إلى نائب رئيس لمدة سنتين مع الرئيس ذو الشعبية الطاغية رونالد ريغان.

فقد رأس بوش الولايات المتحدة خلال انتهاء الحرب الباردة، وهزيمة الجيش العراقي في عهد صدام حسين، لكنه خسر فرصة للفوز بفترة ثانية، بعد خرقه تعهده بعدم فرض ضرائب جديدة.

وعاش بوش، وهو الرئيس الـ٤١ للولايات المتحدة، فترة أطول مقارنته بالرؤساء الذين سبقوه.

نشأ جورج هيربرت ووكر بوش وترعرع في عائلة أرستقراطية من منطقة نيو إنغلاند، جعلته يلتحق في عيد ميلاده الـ١٨ بالقوات المسلحة. ورغم أنه كان أصغر طيار حربي، نفذ ٥٨ مهمة قتالية في الحرب العالمية الثانية.

في إحدى مهماته القتالية - كطيار قاذفة طوربيد - استهدفته نيران مضادة يابانية فوق المحيط الهادي، بينما أنقذته غواصة أمريكية من المياه التي تنتشر فيها أسماك القرش.

وقد حصل على وسام العمل الشجاع في الحرب التي بينما كادت أن تنتهي حتى تزوج من المرأة التي ستصبح حب حياته، باربرا بيرس.

كان هذا الزواج على وشك أن يحطم الرقم القياسي ليصبح الأطول في تاريخ رؤساء الولايات المتحدة، بامتداده إلى ٧٣ عاما. كان لديهما ستة أطفال، أحدهم روبن الذي توفي في طفولته، وجورج دبليو بوش الذي أصبح رئيسا لفترتين، بالإضافة إلى ١٧ حفيدا.

الطريق إلى البيت الأبيض

بعد التخرج في جامعة ييل، باشر بوش عمله الجديد في صناعة النفط في ولاية تكساس التي كانت ستجعل منه مليونيرا. لكنه، وعلى خطى والده، الذي كان عضوا بمجلس الشيوخ، أصبح مهتما بالسياسة والخدمة العامة، وخدم فترتين كممثل عن الحزب الجمهوري في الكونغرس بداية من عام ١٩٦٤.

وبعدما ظل ثماني سنوات نائبا للرئيس رونالد ريغان، أصبح جورج بوش الأب الرئيس الـ٤١ للولايات المتحدة. وتزامنت ولايته الرئاسية التي استمرت من ١٩٨٩ إلى ١٩٩٣ مع انتهاء الحرب الباردة. وفي ١٩٩٠، أعلن "النظام العالمي الجديد"، وقاد حملة إخراج القوات العراقية من الكويت بعملية "عاصفة الصحراء"، لكنه رأى أن التدخل في الشرق الأوسط يندرج بفوضى قادمة.

حرب الخليج عام ١٩٩١ قفزت بشعبيته، لكن بعد ذلك كان يطارده قراره بكسر ما تعهد به للناخبين عندما قال: "تتبعوا شفتاي، لا ضرائب جديدة".

فبعدما تراجع عن هذا القرار في خضم اقتصاد ضعيف، أبعده الناخبون عن منصبه بعد انتهاء فترة ولايته الأولى. وهزم في انتخابات ١٩٩٢ أمام خصمه الديمقراطي بيل كلينتون.

ورغم ذلك، عاش ليرى ابنه جورج دبليو بوش ينتخب رئيسا مرتين - فقط للمرة الثانية في التاريخ، بعد جون آدمز وجون كوينسي آدمز.

وفي السنوات التي تلت رئاسته، أصبح جورج إتش دبليو ينظر إليه على أنه زعيم حسن النية، لكنه لم يكن خطيبا مثيرا أو صاحب رؤية.

زعيم سلالة سياسية أدار نهاية الحرب الباردة

كان الراحل ابنا لسناطور في الكونغرس، ورئيسا لوكالة الاستخبارات المركزية ونائبا للرئيس ودبلوماسيا، ورئيسا (١٩٨٩-١٩٩٣) فضلا عن كونه أبا لحاكمين، أمضى أحدهما وهو الأكبر سنا جورج دبليو بوش ثماني سنوات في البيت الأبيض.

وقد عاش جورج بوش الأب حياة الارستقراطي في الساحل الشرقي رغم ان جذوره تعود الى تكساس. في ضواحي بوسطن، ولاية ماساتشوستس، ولد جورج هيربرت ووكر بوش في ١٢ حزيران/يونيو ١٩٢٤. والده بريسكوت كان رجل أعمال سيصبح مصرفيا في وول ستريت وممثلا عن ولاية كونيتكت في مجلس الشيوخ ابان الخمسينات والستينات.

بعد إلتحاقه بجامعة ييل المرموقة، انضم بوش بعد غارة بيرل هاربور مباشرة الى الجيش ليصبح في سن الـ١٨ أصغر طيار في البحرية الأمريكية.

نجا من اسقاط طائرته بنيران يابانية عام ١٩٤٤ فوق المحيط الهادىء وتم تسريحه برتبة قائد سفينة.

بعد الحرب، صنع بوش، الذي تزوج باربرا بيرس مطلع عام ١٩٤٥ وأكمل دراسته، ثروة من النفط في تكساس، وبدأ ممارسة نشاطه في الحزب الجمهوري. في عام ١٩٦٧، بدأ أولى ولايته في مجلس النواب قبل أن يعينه الرئيس ريتشارد نيكسون سفيرا لدى الأمم المتحدة عام ١٩٧١.

وبعد أن تولى قيادة الحزب في خضم فضيحة ووترغيت، عينه الرئيس جيرالد فورد رئيسا للبعثة الدبلوماسية لدى الصين، ثم في رئاسة وكالة الاستخبارات، قبل أن تتم الاطاحة به اثر وصول جيمي كارتر الى السلطة.

وقد خاض الانتخابات التمهيدية للحزب الجمهوري في انتخابات عام ١٩٨٠ الرئاسية، لكن رونالد ريغان هزمه، قبل ان يختاره لمنصب نائب الرئيس.

"انه الاقتصاد يا غبي"

وقد بقي بوش الاب ١٢ عاما في البيت الأبيض: ثمانية نائبا لريغان قبل انتخابه خلفا له بشكل مريح. وتزامنت ولايته الرئاسية مع انتهاء الحرب الباردة، وهذا ملف ادارته يحذر شديد.

لكنه في المقابل تفاعل بحزم مع غزو الكويت من قبل صدام حسين عام ١٩٩٠ ما ادى الى شن اوسع هجوم بري منذ عام ١٩٤٥. وبعد هزيمة العراق، لامست شعبيته نسبة ٩٠ في المئة. كما أمر بوش بتدخل عسكري لاقالة رئيس بنما مانويل نورييغا.

لكن هذه النجاحات في الخارج لم تسعفه اواخر عام ١٩٩٢ في التغلب على بيل كلينتون الذي يصغره ب ٢٢ عاما. هزيمة تم تلخيصها من خلال تعبير احد مستشاري كلينتون "انه الاقتصاد يا غبي".

لقد وعد بوش ابان حملته الانتخابية عام ١٩٨٨ بعدم زيادة الضرائب، الا انه وافق عليها بموجب ضغوط من الكونغرس. كما شهدت الولايات المتحدة حالة من الركود عامي ١٩٩١-١٩٩٢ أدت إلى ارتفاع حاد في معدلات البطالة.

تقاعد بعد هزيمته في ضواحي هيوستن، حيث يحمل المطار الدولي اسمه. وأصبح جورج بوش الأب عام ٢٠٠١ ثاني رئيس أمريكي بعد جون ادامز يرى نجله جورج دبليو بوش رئيسا بين عامي ٢٠٠١-٢٠٠٩ بعد أن كان حاكما لولاية تكساس مدة خمس سنوات.

والاب رياضي برع في القفز بالمظلات (كان اخرها بمناسبة بلوغه ٩٠ عاما) وملقب "بوش ٤١" لتمييزه عن ابنه.

وكان الاكبر سنا بين الرؤساء السابقين الى جانب جيمي كارتر الذي يصغره بثلاثة اشهر.

وإلى جانب جورج الابن وجيب، حاكم ولاية فلوريدا ١٩٩٩-٢٠٠٧ والمرشح الذي فشل في الفوز بترشيح الحزب الجمهوري عام ٢٠١٦، انجب جورج بوش وباربرا أربعة أبناء، بما في ذلك فتاة توفيت في سن الطفولة.

في سنواته الأخيرة، كان يتنقل على كرسي متحرك بسبب مرض باركنسون. ومع ذلك شارك في نيسان/أبريل ٢٠١٨ في جنازة زوجته باربرا التي امضى معها ٧٣ عاما وكانت تقول عنه أنه أول صبي اعطته قبلة

حكومة كردستان: أمريكا والعالم فقدوا رجلا عظيما

هذا وقال مسؤول العلاقات الخارجية في حكومة اقليم كردستان يوم السبت، ان الولايات المتحدة والعالم بأسره فقدوا بوفاة الرئيس السابق لأمريكا جورج بوش الاب "رجل دولة عظيما".

جاء ذلك في تصريح ادلى به على منصات التواصل الاجتماعي "تويتر" بمناسبة وفاة جورج بوش الاب.

القيم الديمقراطية والقيم التقليدية

*عريب الرنتاوي

شبكة الشرق الأوسط للإرسال (أم.بي.أن) : ٢٠١٨/١٢/٢

سجّل التونسيون "اختراقاً" على مستوى التشريع، بإقرارهم المساواة في الإرث بين الرجال والنساء. أثارت القضية وتثير جدلاً محتدماً في المنطقة العربية. كثرة من العلماء والمؤسسات الإسلامية "التقليدية" حملت على "الجرأة" التونسية على ما أسمته "ثوابت الدين"، وقلّة من "الإسلاميين المتنورين" نظرت للأمر من زاوية "تجديد الخطاب الديني". والمفارقة أن تأييد هذه الخطوة جاء من بعض العلماء المحسوبين على الإسلام الشيعي، بمن فيهم حوثيين يمينيين.

لا يهّم أن تلقى الخطوة التونسية ترحيب وتأييد العلمانيين العرب، فمن باب تحصيل الحاصل، أن تقف تيارات ليبرالية ويسارية وقومية مثل هذه الوقفة. المهم أن تلقى خطوة كهذه، تأييد تيارات أوسع من الإسلاميين، وأن نجد من يدافع عنها بوصفها خطوة تحديثية، لا تتعارض بالضرورة مع قواعد الإسلام. والأصعب والأهم من كل هذا وذاك، أن يجد علماء التجديد والبعث ما "يؤصلون" به مواقفهم وطروحاتهم الفكرية، سواء من النص أو وفقاً لقواعد الاجتهاد، أو بالاستناد إلى التراث والخبرة الإنسانية الإسلامية المتراكمة.

لست هنا بصدد مناقشة الخطوة التونسية الجريئة للغاية، ولا أن أجزم بصحة أو بطلان انسجامها مع تعاليم الدين، فتلك مهمة تتخطى مؤهلاتي وإمكاناتي الذاتية" لكنني بصدد مناقشة العلاقة بين قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان من جهة، وما يمكن تسميته بـ"القيم التقليدية" من جهة أخرى. وهذا الموضوع على نحو خاص، كان موضع جدل وحوار في مؤتمر دكاكر للحركة الديمقراطية العالمية (٢٠١٨)، وقبلها في اجتماعات تبليسي (٢٠١٧)، وبدرجة أقل في مؤتمر سيول (٢٠١٦).

أهمية البحث في هذه المسألة، تتخطى "الترف الفكري" إلى مفاعيل الميدان السياسي والاجتماعي في العالم العربي، وتؤثر على راهن ومستقبل العلاقة بين تيارين علماني وديني فيها. ولقد أثرت مؤخراً، على هامش الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف هذا العام، أسئلة من نوع: لماذا لا يحتفي العلمانيون العرب بذكرى المولد الشريف؟ ولماذا لا يبذلون جهداً من أي نوع، للإضاءة على جوانب مشرقة في تقاليدنا وثقافتنا؟ ولماذا لا يبحثون عن "جذور" قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان، في موروثهم الديني والتاريخي والاجتماعي والثقافي؟ لماذا كل هذه "الغربة" و"التغريب"، وهل هي سبب في "تواضع" نفوذ هؤلاء في أوساط شعوبهم، وظهورهم كنخب منعزلة عنها، وافدة عليهم من مرجعيات وثقافات أخرى؟

والحقيقة أن هذه الأسئلة، تشفّ عن أمرين اثنين: الأول "أن ثمة من يريد تعظيم "المدخل الوطني/القومي في الموروث الإنساني، فلا يبدو كعرب مجرد متلقين لما يأتينا من الغرب الجغرافي أو الحضاري، وأن هذا "النفّر" من المثقفين بإثارتهم لمثل هذه الأسئلة والتساؤلات، إنما يسعى لإحداث نوع من المصالحة أو حتى "المساكنة" بين العلمانيين والإسلاميين، وهذه مبررات مفهومة ومشروعة.

والثاني "أن ثمة فريق، يسعى من خلال كيل الاتهامات بـ"الغربة" و"التغريب" إلى محاصرة التيار العلماني، وإبراز انفصاله عن ثقافة شعبه وأصالتها، بوصفها أداة للاستمرار في عزلهم و"شيطنتهم"، في سياق الصراع الذي يعلو ويخفت بين التيارين المذكورين.

وبصرف النظر عن نوايا وأولويات مثيري هذه الأسئلة ومطلقي تلك التساؤلات، فإن الحقيقة التي لا مرأى فيها، أن العلمانيين العرب، "قصرُوا" كثيرا في تقليد فصول تاريخهم وإرثهم وموروثهم، ولم يبذلوا ما يكفي من جهد للتغريب في ثنايا هذا الموروث عن "جذور" لقيم الحداثة والتجديد والدمقرطة وحقوق الإنسان، وآثروا سلوك الطريق السهل: البحث في الاتفاقات والمواثيق والعهود الدولية عن مرجعيات لمصفوفة حقوق الإنسان وقواعد العملية الديمقراطية وثقافتها. وهذا التوجه، على أهميته، لم يجعلهم أكثر التصاقا بثقافة شعوبهم وموروثها، ولم يسهم في "توطين" خطابهم وتكريس "حقوق ملكية" شعوبهم لهذه القيم والمبادئ.

ومن المعروف أن لـ"القيم التقليدية" مصادر متعددة" أهم رافد لها هو الدين، إسلاما كان أم مسيحية أم غيرهما. فضلا عن التجربة التاريخية والموروث، وكيف قرأ أهل هذه المنطقة وشعوبها دياناتهم، وكيف تبدلت هذه القراءات بتبدل المراحل والحقب التاريخية. لكن الدين ليس الرافد الوحيد للقيم التقليدية، فثمة روافد أخرى، مستوحاة من قيم العشيرة والقبيلة والعائلة والمجتمعات الزراعية وأهل المدن والتجارة والصيد البحري، تشكل في مجملها، وعاء ضخما نشأت فيه وتفاعلت، منظومات القيم والقواعد الأخلاقية الحاكمة لسلوك هذه المجتمعات واتجاهات تطورها.

وهذه بالمجمل، لم تتطور في اتجاه واحد، فمن يتصد للموروث الديني بخاصة والتقليدي بعامة، يجد أنه غالبا ما يستبطن "الشيء ونقيضه". فإن أراد "المتطرفون" و"الإقصائيون" تبرير خطابهم وممارستهم، وجدوا في بعض فصول هذا الموروث مبتغاهم، وإن أراد أصحاب خطاب العيش والتعايش والتسامح واحترام الرأي الآخر وحفظ التعددية واحترام المرأة بدل سببها وتهميشها، وجدوا فصولا في تراثهم، تسعفهم في مهمتهم. لكن المؤسف أن العودة للتراث والموروث هي فعل يقوم به عادة الغلاة، وبدرجة أقل رجال الدين وعلمائه الأكثر اعتدالا. أما العلمانيون، مثقفون ونشطاء، فلا يبدون اهتماما بأمر كهذا، وإن فعلوا كما حصل في تجارب متفرقة، فغالبا ما يتم ذلك على نحو سطحي وطارئ، وبدرجة أقل من العناية والاهتمام.

إن الديمقراطية، بما هي ثقافة ونمط حياة وسلوك وليس فقط أداة للوصول إلى السلطة أو وسيلة لسرقتها، لن تتجذر في بلادنا من دون جهد خلاق وبحث معمق في ثنايا الحاضر والماضي، وفي التراث والموروث، ومن دون خطاب ديني متجدد وعصري ومن دون إحداث قدر من المصالحة وبعدها أدنى "المساكنة" بين قيم الديمقراطية والقيم التقليدية لمجتمعاتنا.

هي ليست مهمة سهلة بكل الأحوال، لا سيما بعد عقود أربعة من شيوع القراءات الأكثر تطرفا للدين والتراث والموروث، وفي ظل تفاقم حالة الاستقطاب والتناوب، وهيمنة التكفير على التفكير، وفي مناخات الاستبداد والركود السياسي، بيد أنها ليست مهمة مستحيلة أيضا، والأهم أنها ليست "ترفا فكريا" يمكننا الأخذ به أو التخلي عنه. إنها مقدمة ضرورية للسير قدما على طريق إشاعة قيم الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان وتأصيلها، وتخليص مجتمعاتنا من ثقافة الخرافة والأسطورة، وإحداث الهجوم المضاد، ثقافيا وحضاريا على المتطرفين والغلاة، وسحب الذرائع من المستبدين والطغاة، وحتى لا تظل مجتمعاتنا تنظر للمجددين والعلمانيين، بوصفهم طابور خامس أو غزاة.

اختتام قمة العشرين في الأرجنتين بدون اتفاق أو وعود ملموسة

ملخص لما ورد في البيان الختامي

وكالة فرانس برس : ٢٠١٨/١٢/٢

توصّل قادة دول مجموعة العشرين السبت في ختام قمة في بوينوس آيرس إلى حدّ أدنى من التوافق بشأن الاقتصاد العالمي لكنّ خلافاتهم تجلّت بوضوح في البيان الختامي الذي خلا عملياً من أيّ وعود ملموسة. وبضغط من الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، تجنّب البيان الختامي استخدام عبارة مكافحة "الحماية" وأقرّ برفض واشنطن الاستراتيجية العالمية لمكافحة التغيّر المناخي.

وفي ما يأتي النقاط الرئيسية للبيان الصادر عن مجموعة العشرين التي تمثّل أكثر من أربعة أخماس الاقتصاد العالمي، في ختام قمة استمرت يومين في العاصمة الأرجنتينية:

التغيّر المناخي: تعهد قادة دول مجموعة العشرين الموقّعة على اتفاق باريس بشأن المناخ أي كل دول المجموعة باستثناء الولايات المتحدة "التنفيذ الكامل" لهذا الاتفاق الذي قالوا إنّه "لا عودة عنه".

وأخذوا علماً، بدون أي تعهد إضافي، بالدعوة التي أطلقها علماء الأمم المتحدة بأن يضعوا نصب أعينهم هدفاً أكثر طموحاً يتمثّل بخفض الاحترار بمقدار ١,٥ درجة مئوية بالمقارنة مع ما كانت عليه حرارة الأرض قبل الثورة الصناعية.

لكنّ الولايات المتحدة التي ذكّرت بأنّها انسحبت من اتفاق باريس أكّدت "التزامها القوي بالنمو الاقتصادي، والوصول إلى الطاقة، والأمن".

التجارة: في انحياز لموقف إدارة ترامب قالت مجموعة العشرين إنّ التجارة المتعدّدة الأطراف "لم تتمكّن من تحقيق أهدافها" بتعزيز النمو وخلق فرص عمل.

ودعت المجموعة إلى إصلاح منظمة التجارة العالمية "من أجل تحسين عملها"، مشيرةً إلى أنّها ستستعرض خلال قمتها المقبلة المقرّر عقدها العام المقبل في اليابان التقدّم الذي سيتمّ إقراره على هذا الصعيد.

صندوق النقد الدولي: أكّدت مجموعة العشرين أنّ صندوق النقد الدولي يمثّل العمود الفقري لشبكة الأمان العالمية، ودعت إلى توفير التمويل الكافي له وإلى الانتهاء من وضع اللامسات الأخيرة على الحصص الوطنية الجديدة وذلك قبل الاجتماع السنوي للمؤسسة المالية الدولية المقرّر في ربيع ٢٠١٩.

وتحدد الحصص الوطنية حقوق التصويت التي يتمتع بها كل من أعضاء الصندوق. وتضغط الاقتصادات الناشئة الرئيسية في مجموعة العشرين مثل الصين والهند لتعزيز موقعها في صندوق النقد الدولي.

الفساد: أكّدت مجموعة العشرين "التزامها درء الفساد ومكافحته والقيادة بالقوة"، واعدة بالعمل من عام ٢٠١٩ وحتى عام ٢٠٢١ لتطهير المؤسسات الحكومية من الفساد.

المساواة بين الجنسين: جدّدت مجموعة العشرين التزامها بتحقيق هدف عمره أربع سنوات يتمثّل بتقليص الفجوة بين الجنسين في القوى العاملة بنسبة ٢٥ في المئة بحلول عام ٢٠٢٥. كما دعت إلى بذل مزيد من الجهود على هذا الصعيد بما في ذلك الجهود الرامية لتوفير التعليم للفتيات.

مستقبل العمل: قالت مجموعة العشرين إنّها وإذ تلاحظ أنّ التكنولوجيات الجديدة ستغيّر من طبيعة العمل، فإنّها تدعو إلى مستقبل عمل "شامل وعادل ومستدام"، مع ما قد يتطلب ذلك من إعادة تدريب العمال عند الاقتضاء.

البنية التحتية: وشدّدت مجموعة العشرين على أنّ البنية التحتية تمثّل محركاً رئيسياً للنمو العالمي، ودعت إلى بذل جهود إضافية لتوحيد صيغ العقود وذلك بهدف تشجيع الرساميل الخاصة على الاستثمار في مشاريع ضخمة.

على هامش قمة العشرين:

زعماء بريكس يعلنون موافقا مشتركا بشأن إصلاح منظمة التجارة العالمية

وكالة شينخوا: ٢٠١٨/١٢/٢

أعلن زعماء كتلة الاقتصادات الصاعدة (بريكس) يوم (الجمعة)، موقفهم المشترك بشأن إصلاح منظمة التجارة العالمية.

وصدر بيان مشترك عقب اجتماع غير رسمي جرى بين الرئيس البرازيلي ميشال تامر والرئيس الروسي فلاديمير بوتين ورئيس الوزراء الهندي ناريندرا مودي والرئيس الصيني شي جين بينغ ورئيس جنوب أفريقيا سيريل رامافوزا، على هامش قمة مجموعة العشرين.

وبحسب البيان، فإن دول بريكس اتفقت على أهمية توفير الدعم الكامل للنظام التجاري التعددي القائم على القواعد الذي تمثله منظمة التجارة العالمية، وعلى ضمان تجارة دولية تتسم بالشفافية وعدم التمييز والانفتاح والشمول.

وحثت الوثيقة كافة أعضاء منظمة التجارة العالمية على معارضة الإجراءات الأحادية والحماائية التي لا تتفق مع قواعد منظمة التجارة العالمية، وعلى التراجع عن الإجراءات التي تعد تقييدية وتمييزية في طبيعتها.

وتعهدت دول بريكس بدعم إصلاح منظمة التجارة العالمية وتعزيز فعاليتها وصلاحياتها، وحماية قيمها الجوهرية ومبادئها الأساسية. كما اتفقت على أنه يتعين أن تجسد منظمة التجارة العالمية مصالح جميع الأعضاء، بالأخص الدول النامية.

وأكدت دول بريكس أيضا أهمية آلية تسوية المنازعات في العمل السلس لمنظمة التجارة العالمية، ودعت إلى إطلاق عملية الاختيار لملء الأماكن الشاغرة في هيئة الاستئناف، في أقرب وقت ممكن، حتى يتسنى الحفاظ على العمل المستقر والقانوني لنظام تسوية النزاعات.

كما تعهدت، وفق البيان، بتعزيز التواصل والتعاون والعمل مع باقي أعضاء منظمة التجارة العالمية لضمان مواكبة المنظمة للعصر ودفعها النمو الشامل ومشاركة البلدان المختلفة في التجارة الدولية، ولعبها دورا مهما في الحوكمة العالمية.

في السياق ذاته، أكدت دول بريكس مجددا التزامها بتحقيق السلام والاستقرار العالميين ودعم الدور المركزي للأمم المتحدة.

وتعهدت الدول أيضا ببذل الجهود المشتركة لدعم التعددية والسعي لإقامة نظام دولي نزيه وعادل وقائم على المساواة وديمقراطي وتمثيلي، إلى جانب تنفيذ أجندة الأمم المتحدة ٢٠٣٠ للتنمية المستدامة واتفاقية باريس بشأن التغير المناخي.

كما أكدت الدول دعم الشراكة الاستراتيجية بينها وتفعيل الإنجازات التي تحققت في إطار التعاون فيما بينها، مثل الشراكة بشأن الثورة الصناعية الجديدة، وفقا للبيان.

ويظهر هذا الموقف المشترك الدور البناء والمسؤول الذي تلعبه دول بريكس في الشؤون الدولية. كما يوضح تطلع اقتصادات الأسواق الصاعدة والدول النامية إلى دعم الوحدة والتعاون وحماية المصالح المشتركة.

الاحتجاجات الشعبية في فرنسا

قراءة في العوامل الداخلية والخارجية وتداعياتها على أمن فرنسا وأوروبا

المركز الديمقراطي العربي: ٢٠١٨/١٢/٢

مقدمة: تشهد فرنسا منذ أسابيع حالة قصوى من الاستنفار الأمني على وقع سلسلة احتجاجات شعبية العارمة التي ينظمها أصحاب السترات الصفراء، هذا ان الربيع الأوروبي الفرنسي كما يصفه متابعون هو الأكبر منذ تولي الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون سدة الحكم في ١٤ ماي ٢٠١٧، على خلفية الزيادة في أسعار الوقود والضرائب وغلاء المعيشة... في ظل انخفاض شعبية الرئيس الفرنسي نتيجة سياسته الاقتصادية التي عادت بأثار سلبية على المجتمع الفرنسي خاصة ذوي الدخل المحدود. يبدي الرئيس الفرنسي وحكومته شيء من التناقض في التعامل مع المواطنين المحتجين، بحيث يرى ان مطالبهم محقة وتحل بالحوار من جهة ومن جهة أخرى يرفض التنازل عن خفض سعر الوقود والضرائب واخذ تدابير جادة للحد من انتشارها وتصاعدها، سيما أن بعض المدن الفرنسية أخرى كمرسيليا وليل وروان... والبلدان الأوروبية الأخرى كبلجيكا التي تأثرت بشكل واضح بالاحتجاجات، في ذات السياق تتخوف الحكومة الفرنسية من خروج الاحتجاجات عن السيطرة، حيث تصاعدت إلى أعمال عنف وشغب ومواجهات عنيفة بين المحتجين وقوات الشرطة، وطالب المحتجون برحيل ماكرون و حكومته.

في ظل هذه الازمة الاجتماعية الكبيرة التي تعيشها فرنسا يمكن طرح عدد من الإشكاليات الآتية:

* ماهي أسباب الاحتجاجات الفرنسية؟ كيف ستتعامل الحكومة الفرنسية مع الاحتجاجات الاجتماعية الراهنة؟ وكيف سيؤثر ذلك على مستقبل الرئيس الفرنسي؟

* كيف ستستغل أحزاب اليمين المتطرف الفرنسية الوضع الراهن لتمرير سياساته؟

نناقش الموضوع على النحو الآتي:

تفاصيل الاحتجاجات الفرنسية الراهنة

نظم مجموعة من المواطنين الفرنسيين من كافة الفئات الاجتماعية رجال ونساء ذوي الدخل المتوسط والضعيف يطلقون على أنفسهم " أصحاب السترات الصفراء " تظاهرات سلمية في بدايتها، وتطورت تدريجيا الى احتجاجات عنيفة في اسبوعها الثالث، تخللها غلق الطرق ببقايا الاشجار و حرق إطارات السيارات واشتباكات عنيفة بين المحتجين الذين يقذفون الحجارة وبالمقابل ترد شرطة مكافحة الشغب بالضرب ورش غاز المسيل للدموع لتفريقهم، الاحتجاجات خلفت عدد كبيرا من الإصابات وجروح في صفوف المحتجين والشرطة.

المحتجون الذين يقدر عددهم بخمسة آلاف محتج قادموا من ضواحي مختلفة مهمشة قريبة العاصمة باريس واخرون قدموا من مدن أخرى فقيرة تجمعوا في الساحات الرئيسية لها، والقريبة من شارع الشونزليزي المشهور والمؤدي الي قصر الإليزيه أين يريد المحتجون الوصول اليه لإيصال صوتهم للحكومة بالتخلي عن سياسات التقشف وخفض أسعار الوقود و الضرائب وتحسين الأوضاع المعيشية، ومع تعنت الرئيس الفرنسي ورفض مطالبهم و وصف وزير الداخلية الفرنسي المحتجين بالمخيلين بالأمن العام، رفع المحتجون سقف مطالبهم الى رحيل ماكرون و حكومته.

خلفيات وأسباب الاحتجاجات الفرنسية

يرجع محللون دوليون متابعون للشأن الفرنسي ان الاحتجاجات ليست وليدة اللحظة بل لها تراكمات سابقة، فالأستاذ عماد الدين الحمروني من أكاديمية العلوم السياسية في باريس يرجع حالة الاحتقان الشعبي الراهنة في فرنسا للسياسات الاقتصادية الرأسمالية السابقة التي خلقت فجوة كبيرة بين الأثرياء البرجوازيين الذين يتهربون من دفع الضرائب وبين الفقراء الذي يُجبرون على دفع الضرائب. فالاحتجاجات حسبه غير مؤطرة ولا موجهة بل عفوية تعبر عن الواقع المعيشي والاجتماعي لفرنسا. كذلك يضطلع العامل الخارجي فيما يحدث في فرنسا من خلال دور دونالد ترامب الدولي في قيادة تحالف يماني عالمي يشمل اسبانيا والبرازيل، إيطاليا، ألمانيا ... ضد السياسات الوطنية ولطالما سخر من ماكرون على مواقع التواصل الاجتماعي حين انخفضت شعبيته.

من جهته يرى الأستاذ ماجد نعمة رئيس تحرير افريقيا واسيا في باريس الأغلبية الساحقة من الشعب الفرنسي تدعم الاحتجاجات حتى وأن لم يخرج للاحتجاجات والتعبير عن رأيها، كذلك الأمر الملفت ان التظاهرات في فرنسا لا تمثلها وحدها بل تمثل كامل أوروبا، لان الديمقراطية فيها مزيفة تخدم الأقلية الاوليغارشية، ولتشابه الأنماط المعيشية والسياسات الاقتصادية فيها.

زيدان خويلف، الأكاديمي في جامعة باريس، يرى أن الاحتجاجات في ظل حكم ايمانويل ماكرون تصاعدت لان من ساهم في اعتلاءه الحكم ودعمه هم رجال المال والاعمال وسياسته الراهنة تخدمهم ولا تخدم الفرد الفرنسي. فالواضح اذن ان ارتفاع أسعار الوقود الى ٢,٩ سنت والضرائب وغلاء المعيشة ... ساهمت في اندلاع الاحتجاجات وزاد من تصعيدها استخفاف السلطة بها ومحاولة قمعها، فالمشهد الفرنسي الراهن بات يشبه ما حدث قبل سبع سنوات ونيف في الوطن العربي. فضلا عن ذلك ومع ضبابية المشهد الاحتجاجي الراهن في فرنسا حول حقيقة ما يحصل لا يمكن تأكيد أو نفي التدخلات الخارجية بشكل واضح، و لكن الأكيد ان التدخلات الخارجية تستفيد من الاحتجاجات و أعمال الشغب و الفوضى أسوة بما حصل فيما يسمى بالثورات العربية أو حتى الثورات الملونة و هنا يرى ليوبوف ستيبوشوفا في مقال له في صحيفة برافدا رو الروسية موسوم بـ ” الفرنسيون يتفكرون : هل بدأ ترامب ثورة ملونة عندهم“، حيث ذكر ان الاحتجاجات الفرنسية استخدمت فيها رموز و علامات الثورة الملونة ك لون السترات، الحفاظ على الحشود لفترة طويلة، شبان يلبسون أقنعة سوداء يخربون و يهاجمون الشرطة، رفع هتافات تدعو لتغيير السلطة ” على ماكرون ان يرحل“.

تداعيات الاحتجاجات الفرنسية على أمن أوروبا

الى حد الان تسير وتيرة الاحتجاجات الفرنسية في وتيرة متصاعدة نحو مزيد من اعمال الشغب والتخريب في ظل تجاهل الحكومة لمطالب المحتجين، وهذا له تداعيات عكسية على أمن فرنسا وامن البلدان الأوروبية المجاورة، فالمخاوف الان تتركز في كيفية حصر هذه الاحتجاجات والتخفيف منها حتى لا تنتقل الى مدن فرنسية أخرى وبلدان الأوروبية المجاورة ضمن ما يعرف نظريا بـ ”عامل الانتشار“ وبلجيكا أبرز المتأثرين بهذه الحركة احتجاجية مشابهة بدون شك ستترك الاحتجاجات اثارا على مستقبل ماكرون السياسي على اعتبار ان مطالب المحتجين في تحسين الظروف المعيشية والتخلي عن سياسات التقشف الاقتصادية ... مطالب محقة، من المتوقع ان يستغل اليمين المتطرف الذي يتمتع بشعبية كبيرة في فرنسا بقيادة مارين لوبان، ويدعو أنصاره لتكثيف التظاهرات ضد سياسات ماكرون الفاشلة التي أدخلت فرنسا في أزمة اجتماعية وربما يدعوه صراحة للتنحي عن السلطة وتنتقل عدوى كل ذلك اذا نجح في فرنسا الى الدول الأوروبية الأخرى أين تتمتع أحزاب اليمين المتطرف بشعبية كاسبانيا و إيطاليا وغيرها.

في ظل أزمة الاحتجاجات والفوضى تجد التنظيمات الإرهابية ذلك فرصة لارتكاب اعمال إرهابية عبر خلاياها النائمة في أوروبا، وحسب ما ذكرت صحيفة ” ذا الصان” البريطانية ان تنظيم ” داعش ” اعطى أوامر لمجموعتين متشدتين تابعتين له في أوروبا باستغلال الاحتجاجات الفرنسية، حيث نشرت ملصقات في الشوارع مكتوب عليها ” يا ايها الذئاب المنفردة استغلوا الاحتجاجات في فرنسا ” لاستهداف المدنيين.

وقد شهدت فرنسا أواخر السنوات الماضية مع اقتراب احتفالات أعياد الميلاد ونهاية السنة الميلادية اعمال إرهابية عنيفة متزامنة شملت قتل ودهس حشود من المواطنين ... التي راح ضحيتها الالاف من المدنيين الأبرياء.

خاتمة:

الاحتجاجات الفرنسية الراهنة لها ابعاد داخلية تعود للسياسة الاقتصادية الفرنسية المنتهجة التي تضرر منها المواطن الفرنسي و زادت من تدهور أوضاعه الاجتماعية، كما لها ابعاد خارجية في سيستثمرها خصوم فرنسا في تصفية حساباتهم السياسية، سواء الولايات المتحدة الامريكية أو أحزاب اليمين المتطرف لتميرير سياساتهم في الداخل، او حتى التنظيمات الإرهابية في ارتكاب عمليات إرهابية كما حصل في السنوات الفارطة. فاذا ما سارعت السلطات الفرنسية بأخذ تدابير استثنائية لاحتواء أزمة الاحتجاجات قبل اتساعها أكثر و خروجها عن سيطرة السلطة، فسيكون أمن فرنسا وكامل أوروبا مهددا بشكل حقيقي من أكثر من طرف و على كافة المستويات.

*اعداد: أميرة أحمد حرزلي، باحثة في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، المركز الديمقراطي العربي.

ماكرون: ما حدث في باريس لا علاقة له بالتعبير السلمي

مرتكبو أعمال العنف لا يريدون التغيير ولا يريدون أي تحسن بل يريدون الفوضى وستتم محاسبتهم

لا يوجد سبب يبرر مهاجمة الشرطة أو النهب أو حرق المباني

وكالات متعددة: ٢٠١٨/١٢/٢

أكد الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون ان "ما حدث اليوم في باريس لا علاقة له بالتعبير السلمي عن الغضب المشروع". وقال ماكرون عبر حسابه الرسمي في موقع التواصل الاجتماعي (تويتر) "سأحترم دائما الاحتجاجات وسأصغي دائما إلى المعارضين لكنني لن أقبل أبدا بالعنف".

واضاف ان مرتكبي اعمال العنف لا يريدون التغيير و لا يريدون أي تحسن بل يريدون الفوضى وسيتم محاسبتهم ومحاکمتهم.

واكد انه لا يوجد سبب يبرر مهاجمة الشرطة أو النهب أو حرق المباني مبينا انه سيعقد غدا اجتماعا طارئا مع الوزراء لدراسة الموقف.

وقال ماكرون في مؤتمر صحفي بمدينة بوينس أيرس إنه لا يوجد ما يبرر نهب المتاجر ومهاجمة قوات الأمن أو حرق الممتلكات. وأضاف أن التعبير السلمي عن الشكاوى المشروعة لا علاقة له بالعنف.

وقال "سأحترم الاختلافات دوما. وأنا أستمع للمعارضة دوما لكنني لن أقبل أبدا بالعنف".

على صعيد متصل اعلنت بلدية باريس اغلاق (قوس النصر) امام الزوار الاحد بعد المواجهات العنيفة التي اندلعت بين متظاهري (السترات الصفراء) وقوات الامن.

وبعد ساعات من المناوشات والاشتباكات نجحت الشرطة في إخلاء المنطقة المحيطة لقوس النصر وجادة الشانزليزية. وارتفعت أعداد المعتقلين في الاحتجاجات إلى ٢٨٧ شخصا كما ارتفع عدد المصابين إلى ١٠٠.

واقدم متظاهرو «السترات الصفراء» أمس السبت على احراق نحو ١٢ سيارة وواجهة احد البنوك في محيط جادة الشانزليزية خلال الاحتجاجات المستمرة منذ الصباح.

وذكرت وسائل الاعلام المحلية ان عدد الاعتقالات في تزايد حيث وصل عددهم حتى الان الى ١٨٤ شخصا فيما ارتفع عدد المصابين الى نحو ٩٢ شخصا بينهم ١٤ من رجال الشرطة.

وجددت قوات الشرطة استخدام القنابل المسيلة للدموع بكثافة من اجل التصدي للمتظاهرين كما استدعت عناصر امن اضافية لمواجهة تصاعد الاحتجاجات.

وأطلقت شرطة مكافحة الشغب في فرنسا الغاز المسيل للدموع والرصاص المطاطي على المحتجين الذين حاولوا كسر الطوق الأمني في شارع الشانزليزية الشهير بالعاصمة احتجاجا ضد ارتفاع تكاليف المعيشة في البلاد، وزيادة أسعار الوقود.

وقال رئيس الوزراء الفرنسي إدوار فيليب إنه تم اعتقال أكثر من ٢٠٠ متظاهر، فيما قامت إدارة النقل في مدينة باريس بإغلاق ٧ محطات لمترو الأنفاق تحسبا للاحتجاجات العنيفة.

وكتبت الإدارة على موقعها الرسمي أنه تم السبت إغلاق ٣ محطات في شارع الشانزليزية ("فرانكلين روزفلت" وجورج ٥" و"كليمانسو") وكذلك محطتي "كونكرد" و"تيوليري" بالإضافة إلى محطة "شارل ديغول إيتوال" الواقعة في الساحة أمام قوس النصر، ومحطة "أرجنتين" الواقعة بالقرب من نفس المكان.

من جهتها أفادت قناة "LCI" التلفزيونية بأن وزير الداخلية الفرنسي كريستوف كاستانير ومدير شرطة باريس والمسؤولين الآخرين قد وصلوا إلى شارع الشانزليزية، حيث رحبوا برجال الشرطة الذين سيقومون بضمان الأمن أثناء الاحتجاجات الجماهيرية.

وقالت وسائل الإعلام الفرنسية في وقت سابق إن نحو ٦ آلاف من رجال الشرطة سيضمنون الأمن أثناء الاحتجاجات في باريس اليوم. أما وزير الداخلية كريستوف كاستانير فأعلن أن شرطة باريس ستنشئ ما يسمى بـ "منطقة تحت الإشراف" وسط باريس وستضع داخلها كاميرات المراقبة وستقوم بأعمال تفتيش المحتجين.

ولأكثر من أسبوعين، أغلق محتجو السترات الصفراء الطرق، وأحرقوا إطارات السيارات، رافعين شعارات بينها المطالبة بإقالة رئيس البلاد إيمانويل ماكرون.

هذا وأعلن الرئيس ماكرون سابقا أن السلطات الفرنسية تتفهم مطالب المحتجين، لكنها لا تنوي تغيير سياستها في مجال أسعار الوقود. كما توعده بزيادة النفقات على موارد الطاقة وبتخفيض حصة الطاقة الذرية بمقدار ٥٠٪ بحلول عام ٢٠٣٥.

ويقوم ماكرون وزوجته حاليا بزيارة إلى بوينس آيرس للمشاركة في أعمال قمة العشرين "G20" المنعقدة هناك. ووصف الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون حوادث حرق المتاريس والتخريب التي قام بها محتجو «السترات الصفراء» بأنها «مشاهد حرب».

ويسعى ماكرون لإخماد الغضب واعداء بإجراء محادثات على مدى ثلاثة أشهر حول الطريقة المثلى لتحويل فرنسا إلى اقتصاد قليل استخدام الكربون دون معاقبة الفقراء. كما تعهد بإبطاء معدل الزيادة في الضرائب على الوقود إذا ارتفعت أسعار النفط العالمية بشكل سريع للغاية، لكن فقط بعد إقرار زيادة الضرائب المقررة في يناير المقبل. لكن التصريحات التي أطلقها خلال الأسبوع الجاري أثارت غضب المحتجين ولم تقنعهم. ورد بعضهم بالقول «هراء» و«كلام فارغ» وبقوا متمركزين في بعض الطرق والدورات. وقال العامل يوان أار (٣٠ عاما) «نريد شيئا عمليا».

وتحاول الحكومة دون جدوى حتى الآن التحدث مع ممثلين عن حركة «السترات الصفراء» التي سميت كذلك لارتداء المحتجين سترات مضيئة التي يتوجب على كل سائق سيارة ارتداؤها إذا ما تعرض لحادث. ودعا رئيس الوزراء إدوار فيليب ثمانية «ممثلين» للقاءه في مكتبه. لكن اثنين فقط حضروا خرج أحدهم بعد إخباره بأنه لا يستطيع أن يدعو كاميرات التلفزيون لبث اللقاء مباشرة للأمم.

ووافقت الحكومة على إغلاق جادة الشانزلييه أمام السيارات بينما كلف عناصر الشرطة بتفتيش المتظاهرين وفحص بطاقات هويتهم قبل السماح لهم بالدخول إلى المنطقة لتجنب تكرار أحداث العنف التي وقعت الأسبوع الماضي. واتخذت إجراءات احتياطية لهذا الهدف إذ وضع بعضهم عوارض خشبية على بعض الواجهات. وتواجه إدارة ماكرون موجة من الغضب الشعبي بدأ على أثر زيادة الرسوم على الوقود، لكنها اتسعت لتشمل مطالب تتعلق بارتفاع تكاليف المعيشة بشكل عام.

وقد رفضت الحركة، التي تم تنظيمها من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، بإصرار الانحياز إلى أي حزب سياسي أو نقابات عمالية.

وتضم «السترات الصفراء» العديد من المتقاعدين وتلقى زحما أكبر في المدن والمناطق الريفية الصغيرة حيث قطع المحتجون الطرق وأقاموا حواجز لإبطاء حركة السير قرب نقاط دفع رسوم الطرقات السريعة وعند الدورات في مناطق عدة.

وحتى الآن، لقي شخصان حتفهما وأصيب المئات في الاحتجاجات التي تشير استطلاعات الرأي إلى أنها لا تزال تجتذب دعم اثنين من كل ثلاثة فرنسيين. ووصل الغضب إلى الجزر الفرنسية في ما وراء البحار، خصوصا في جزيرة «لا ريونيون» الفرنسية في المحيط الهندي التي تشهلا حركة الاحتجاج منذ أسبوعين.

واضطرت وزيرة الدولة الفرنسية لشؤون التنمية والفرانكوفونية أنيك جيراردان التي أرسلت إلى الجزيرة للتحدث إلى المحتجين، إلى قطع الاجتماعات الجمعة مع المتظاهرين بعد أن ردوا هتافات استهجان منها «ماكرون استقل!».

ومن بوينوس آيرس سخر الرئيس الفرنسي من «الذين هم على الأرجح سبب الوضع الذي نعيشه أكثر مما هي الحكومة التي تولت السلطة قبل ١٨ شهرا».

في خطر الشعبوية الأوروبية

*مصطفى زين

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/١٢/٣

استطاعت الأحزاب الشعبوية الأوروبية اختراق حكومات ١١ بلداً على امتداد القارة، وبدأت تشكل تهديداً حقيقياً لـ «الإستبليشمانت» في ٣١ بلداً، فيما كانت مجرد ظاهرة هامشية لا يعيرها أحد انتباهاً، وتثير الضحك بسلوكها وطروحاتها المتطرفة التي تشبه طروحات دونالد ترامب في عدائه للثقافة والمثقفين، واحتقاره الصحافة وما تمثله من رأي عام. لكن ما الشعبوية؟ ولماذا تزدهر؟

في تحديد هذه الظاهرة خلصت دراسة أجرتها صحيفة «ذي غارديان» البريطانية إلى أنها نتيجة صراع بين الطبقات «العادية» والنخب الفاسدة التي تستخدم القوانين والمؤسسات لمصلحتها، رافضة أي تغيير فيها إلا بما يتناسب مع هذه المصالح، وقد تجنح الشعبوية إلى اليمين أو اليسار، لكنها شوفينية تثير مشاعر الجماهير بشعارات قومية يمينية في معظم الأحيان، وتستغل الفقر وتراجع الإقتصاد والجمود والأزمات الإجتماعية وتلصق أسبابها بالغير، وتتخذ المهاجرين واللاجئين حجة قوية لإثارة المشاعر القومية والوطنية، كما تستغل الخلافات التاريخية وتلصق تهمة الإرهاب بالمسلمين لإثارة مشاعر الكراهية لدى جمهور يرى في الآخر عدواً متخلفاً ينافس في عمله وفي لقمة عيشه، وهي لا تمتلك أيديولوجيا معينة، بل تتخذ الأحداث الجارية منطلقاً لتعميم نظرتها إلى الأمور، فترامب (مرة أخرى) لا ينتمي إلى أي مدرسة أيديولوجية بخلاف عدد من المحيطين به مثل نائبه مايكل بنس الذي يرى الخير كل الخير في الصهيونية المسيحية ويعمل بوصاياها المنتشرة في الولايات المتحدة، أو مثل مستشاره الاستراتيجي السابق ستيف بانون الذي غادر منصبه وأنشأ مؤسسة في بروكسيل لمساعدة الأحزاب الشعبوية الأوروبية في الوصول إلى السلطة، خصوصاً إلى البرلمان الأوروبي للسيطرة عليه وتفكيك الإتحاد من الداخل، ولقيت دعوته ترحيباً كبيراً في أوساط اليمين، فيما تحاول المؤسسات الرسمية محاربته قانونياً لمنع من ممارسة نشاطه باعتباره تدخلاً في الشؤون الداخلية للدول. ولربما كانت التجربة البريطانية في الاستفتاء على الخروج من الإتحاد الأوروبي عام ٢٠١٦ خير مؤشر إلى نزوع القارة نحو الأحزاب اليمينية الشعبوية والشوفينية القومية، وكذلك وصول مارين لوبن في فرنسا إلى المنافسة على منصب الرئاسة وحصولها على ٣٣ في المئة من الأصوات.

يعلمنا تاريخ القارة القريب أن الأحزاب الشعبوية تنمو خلال الأزمات الإجتماعية والسياسية والحروب، فالحزب النازي، على سبيل المثال، اكتسح ألمانيا في ثلاثينات القرن الماضي بسبب الأزمة الناجمة عن الشروط القاسية لمعاهدة فرساي التي فرضت عقوبات على برلين بعد هزيمتها فاستغل النازيون السخط العام للوصول إلى الحكم. كما استطاعت الشعبوية اليسارية الوصول إلى السلطة في روسيا بعد ثورة عام ١٩١٧ بسبب النتائج الكارثية للحرب وغرق البلاد في الفقر، وأسس الحزب الشيوعي الإمبراطورية السوفياتية مقابل الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية، واستمر النزاع بين الطرفين طوال عشرات السنين إلى أن وضعت الإمبراطورية الأمريكية حداً لتمدد الشيوعية في القارة، فنمت على أنقاضها أحزاب شعبية في كل الكتلة الأوروبية الشرقية وبدأت تتمدد إلى غرب القارة. فهل يمكن مقارنة أحداث اليوم بهذا الماضي؟

قد يكون من باب المبالغة القول إن الأحزاب الشعبوية تتجه إلى خوض حروب جديدة في أوروبا، لكن كل الدلائل تشير إلى أنها نتيجة الأزمات التي تعيشها القارة. ولا شك في أن صعود نجم فلاديمير بوتين في روسيا والأحزاب اليمينية في دول الإتحاد السوفياتي السابق، خصوصاً في بولندا وهنغاريا، وحتى في غربها مثلما هو الحال في إيطاليا وإسبانيا وفرنسا وألمانيا ستنجح عنه تغييرات كبيرة على مستوى التوجهات الديمقراطية والعلاقات بين الدول قد توجب الصراعات الإقليمية. ما لم تذكره دراسة «ذي غارديان» أن الحروب الأوروبية عمت القارات بسبب المنافسة على المستعمرات، وأن هذه المنافسة محتدمة الآن في الشرق الأوسط، وأن أوروبا صدرت الحروب إلى هذه المنطقة البائسة التي يتقاتل أبناءها نيابة عن المتنافسين.

الشعبوية تغزو أوروبا الغربية والشرقية والأزمات تتفاقم في القارة القديمة واحروب تشتعل في منطقتنا.

لماذا ما تزال حرية التجمع تهم؟

*جان فيرنر مويلر

بروجيكت سنديكيت: ٢٠١٨/١٢/٣

من المعلوم للجميع الآن أن العديد من الديمقراطيات في مختلف أنحاء العالم تخضع لضغوط هائلة. لكن التهديدات المتصاعدة لأحد الحقوق الديمقراطية التي تشكل أهمية خاصة لم تحظ بالقدر الكافي من الاهتمام. فمن خلال وسائل مختلفة، تزيد الحكومات من صعوبة ممارسة المواطنين لحقهم في التجمع والاحتجاج.

كثيراً ما تأتي القيود الجديدة المفروضة على حق التجمع مصحوبة بتبريرات مبتذلة مثل "السلامة العامة". ففي الولايات المتحدة، أكدت إدارة ترمب على امتياز تحصيل رسوم التنظيف بعد المظاهرات، الأمر الذي يسمح للحكومة فعلياً بتقاضي رسوم من المتظاهرين في مقابل ممارستهم لحقهم الدستوري. وفي محاولة أكثر سفوراً لتقييد المعارضة العامة، حاولت الإدارة حظر التجمعات في نطاق ٨٠٪ من الأرصفة المحيطة بالبيت الأبيض.

على نحو مماثل، أقر رئيس وزراء المجر، فيكتور أوربان، في الفترة الأخيرة تشريعاً يزيد من صعوبة التظاهر بالقرب من المناطق السكنية الخاصة والآثار والنصب التذكارية الوطنية، مستشهداً باحتمال تسبب الاحتجاجات في "تعطيل التدفق العادي للمرور". كما تزيد السلطات حظر المظاهرات في المناسبات الوطنية. وباستخدام مبررات غير واضحة، بات بوسع الحكومة الآن أن تجعل تنظيم المظاهرات في الشوارع أمراً شبه مستحيل.

قد لا يرى بعض المراقبين في إفراغ حق التجمع من مضمونه تهديداً خطيراً مثل التهديدات الأخرى التي تواجهها الديمقراطية، وخاصة التلاعب بتقسيم الدوائر الانتخابية لصالح حزب بعينه وقمع الناخبين. وفي نهاية المطاف، ونظراً لاحتمالات تبدو غير محدودة للتجمع، قد تبدو إتاحة المساحة المادية أقل أهمية.

تشكل الاحتجاجات في الشوارع والساحات العامة ضرورة أساسية للحياة الديمقراطية. وقد نشأ الحق في التجمع بحرية من حق تقديم الالتماسات للحكام. وتاريخياً، كان ذلك الحق دائماً عرضةً لخطر أعظم من القيود المسبقة مقارنة بالحق في التعبير عن الرأي. وحتى في العديد من الديمقراطيات العاملة بشكل جيد، تحاول السلطات العامة إبقاء الحشود بعيداً عن المباني الحكومية الرسمية.

في الولايات المتحدة، على سبيل المثال، لم يكون بوسع المتظاهرين التجمع بالقرب من مبنى الكونغرس حتى أوائل سبعينيات القرن العشرين، عندما رفضت المحكمة العليا أخيراً الحجة القائلة بأن مقر الكونغرس في كابيتول هيل مكاناً جليلاً بشكل خاص ويستحق أن يكون في مأمن من الجماهير الحاشدة غير المنضبطة. ومع ذلك، تُصوّر الحشود الصاخبة سياسياً بشكل روتيني على أنها جماهير من الغوغاء الذين لا تمكن السيطرة عليهم. وعلى سبيل إيراد مثال حديث على ذلك، لنتأمل هنا كيف اتهم برنارد كيريك، مفوض شرطة نيويورك السابق، أولئك المحتجين ضد تأكيد بريت كافانوه أمام المحكمة العليا بإعاقة "العمل المنتظم للمؤسسات العامة".

ولكن، هل يُعد الاحتجاج خارج مبان عامة بعينها أمراً ضرورياً حقاً؟ قد لا تمثل شبكة الإنترنت القوة الخالصة الداعمة للتحول الديمقراطي كما تصورها كثيرون في بداية الأمر، لكنها تفتح على الرغم من ذلك احتمالات وإمكانات هائلة "للتجمع" والتعبير عن المعارضة الفورية. لنتأمل هنا إيما جونزاليس، المراهقة من فلوريدا التي لم تكن معروفة من قبل والتي نجحت في "تجميع" عدد من متابعي موقع "تويتر" يتجاوز ضعف عدد أعضاء "رابطة البندقية الوطنية" بين عشية وضحاها تقريباً. ومن خلال متابعة أحد الناجين من مذبحه باركلاند والذي كان يتمتع بالبلاغة، أشار نحو ١,٦٦ مليون مستخدم لموقع تويتر إلى دعمهم لفرض ضوابط تنظيمية أكثر قوة على استخدام الأسلحة النارية، ومعارضتهم لجماعة الضغط الأمريكية المناصرة لحمل الأسلحة النارية.

مع ذلك، يلبي التجمع في الفضاء المادي وظائف الديمقراطية التي لا تستطيع الأنشطة عبر الإنترنت تليتها ببساطة حتى على الرغم من كونها دائمة أو مشحونة بالعواطف. في العام ٢٠١١، عندما تساءل النائب الأمريكي آنذاك بارني فرانك لماذا يعتقد المحتجون المنتمون إلى جماعة "احتلوا وال ستريت"، "أن تواجههم ببساطة في حيز مادي يعني الكثير"، كانت الإجابة اللائقة لتكون: "الواقع أن احتلال الأماكن العامة من الممكن أن ينجز الكثير، اعتماداً على هوية المحتلين وعددهم".

ومن ثم، فإن متظاهري الحقوق المدنية في الولايات المتحدة خلال خمسينيات وستينيات القرن العشرين كانوا يستحضرون غالباً فكرة "المغزى من الأعداد". فقد أعطى العدد الهائل من "جماهير" المواطنين الذين كانوا على استعداد للخروج -وتعريض أنفسهم غالباً لخطر الأذى الجسدي- المصادقية لتلك القضية. ربما يبدو هذا بديهياً للغاية، ولكن كما يُظهر هوس ترامب بالجمهور قليل العدد نسبياً الذي حضر حفل تنصيبه، فإن الحجم يظل يشكل أهمية.

ينطبق شعار "المغزى من الأعداد" أيضاً على الحيز الافتراضي. ولكن، بالنظر إلى انتشار أساليب التكرار الإلكتروني، لا يستطيع المرء أن يتأكد أبداً من الأرقام التي تشير إليها وسائط التواصل الاجتماعي فعلياً. فضلاً عن ذلك، فإن أي تكتل من الناس على شبكة الإنترنت يظل غير مرئي، على النقيض من أي تجمع فعلي من المواطنين الأفراد. صحيح أن ترامب وغيره من الشعبويين كثيراً ما يحاولون تشويه سمعة الاحتجاجات حسنة النوايا من خلال الزعم بأن من أشعلها "مفتعلو أزمات" أو "ناشطون مأجورون". ولكن لا يوجد أي دليل على هذا وبمجرد بلوغ أي احتجاج حجماً معيناً، فمن المرجح أن تبدو مثل هذه الادعاءات غير معقولة إلى حد كبير في نظر أغلب المواطنين.

من المؤكد أن الانتخابات تُظهر بشكل عملي حجم الدعم الذي يحظى به السياسة أو الأحزاب أو حتى السياسات. ولكن في العادة، لا تسجل الانتخابات مدى شدة هذا الدعم. ومن الممكن أن ترسل عملية حشد الناس في الشوارع والساحات إشارة مهمة حول مدى التزام دائرة انتخابية ما بقضية بعينها. وعلى الرغم من أن عدد متابعي جونزاليس على "تويتر" كان مبهراً، فإن الأمر المهم حقاً هو أن أكثر من مليون مواطن أنفقوا فعلياً الوقت والطاقة والمال للمشاركة في "المسيرة من أجل حياتنا" التي قامت هي وطلاب آخرون بتنظيمها في وقت سابق من هذا العام. الواقع أن الانضمام إلى مسيرة أو تجمع حاشد قد يكون أمراً خطيراً في دول مثل تركيا حيث أصبحت الديمقراطية خاضعة لتهديد شديد بالفعل. ففي الحيز المادي، يضع المرء جسده في مرمى النيران. ونظراً لقوة وانتشار استخدام تكنولوجيا المراقبة الحديثة، فإن المرء يجعل نفسه عرضة لتعرف الحكومة على هويته.

بيد أن هذه المخاطر على وجه التحديد هي التي تجعل الاحتجاج العلني العام أشد قوة من النشاط مجهول الهوية على الإنترنت على سبيل المثال. ومن الممكن أن يخلق التواجد في حيز مادي شعوراً بالقدرة الجماعية. وتشكل القدرة على الحديث والتحرك في تناغم مع الآخرين بطريقة مرئية وتبادلية التعزيز أهمية مركزية للتجربة الديمقراطية. ولذلك، فبالإضافة إلى الإشارة إلى أهداف أي حركة أمام جمهور أوسع، من الممكن أن تخلف التجمعات المادية المرئية تأثيراً تحويلياً على المشاركين أنفسهم.

أخيراً، في الحيز المادي، من الممكن أن تتحدث الأفعال بصوت عال كالكلمات في إظهار إمكانات سياسية واجتماعية جديدة. وكما أوضحت عالمة الاجتماع زينب توفيكجي، فإن المظاهرات ومحاولات احتلال الشوارع والأماكن العامة اليوم كثيراً ما تتضمن مكتبات عامة مؤقتة للاحتفال بفكرة التعاون التطوعي القائم على المساواة. لا يمكن اختزال حرية التجمع في حرية التعبير أو حرية تكوين الجمعيات. فهي تمثل شكلاً متميزاً وقوياً من أشكال العمل الديمقراطي. وينبغي لكل المشغولين بالمخاطر التي تهدد الديمقراطية اليوم أن ينتبهوا إلى التهديد الموجه ضد التجمعات المادية البدنية. ومن المؤكد أن حق التجمع يستحق قدراً من الاهتمام -والمزيد من الحماية- أعظم مما كان يحظى به حتى الآن.

*أستاذ العلوم السياسية بجامعة برينستون. آخر مؤلفاته كتاب بعنوان "ما هي الشعبية؟"

بصمات لا تنسى لجورج بوش الأب

*ألبرت هنت

معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى: ٢٠١٨/١٢/٣

قد يحتاج التاريخ لبعض الوقت قبل أن يصدر أحكامه، لكن الإطار العام هو جورج هيربرت واكر بوش. في السياسة الخارجية تحديداً، فإن إنجازات الرئيس رقم ٤١ للولايات المتحدة، المعروف باسم «بوش ٤١» ليسهل تمييزه عن ابنه جورج واكر بوش رقم ٤٣، باتت معروفة ومعترفاً بها من قبل الجميع. لكن ما يمنع من اعتباره أحد أهم الرؤساء الأمريكيين هو عدم فوزه بفترة رئاسة ثانية، ذلك لأن المؤرخين المعروفين يجدون صعوبة في تصنيف الرؤساء الذين تولوا مناصبهم لفترة واحدة فقط.

يحتفي أعضاء الحزبين الديمقراطي والجمهوري على حد سواء ببوش الذي ينتمي للحزب الجمهوري لسحره ونزاهته. فقد كان رجلاً شاملاً ولم يكن لديه وقت للتفكير في خصومه وكرهيه، وهو ما يفسر انعدام الاحترام المتبادل بين عائلتي بوش وترمب. فعائلة بوش التي يقودها نجل الرئيس الراحل، جورج دابليو بوش، الرئيس رقم ٤٣ في تاريخ الولايات المتحدة، حتماً ستقلل من قيمة أي دور يؤديه ترمب في الترتيب لجنازة الرئيس الراحل. لكن مع مرور الوقت، بدأ التقدير الكبير لإنجازات الرئيس تتجلى بدرجة أكبر مما كانت عليه عندما غادر البيت الأبيض عام ١٩٩٣. فقد أدار هو ووزير خارجيته جيمس بيكر عملية تفكيك الاتحاد السوفياتي وإنهاء الحرب الباردة بمهارة كبيرة.

حصل بوش على الدرجة النهائية في حرب الخليج الأولى عام ١٩٩١ عقب الغزو العراقي للكويت، بعدما حشد قوات التحالف الدولي لإجبار صدام حسين على الخروج من الكويت، لتخور قوى صدام بعدها، وبعد ذلك رحلت القوات الأمريكية عن المنطقة. لكن من الصعب مقارنة تلك الحالة بما فعله ابنه بعد عشر سنوات، عندما أزاحت الولايات المتحدة صدام حسين قبل أن تحتل العراق.

يعتبر فريق سياسته الخارجية، الذي ضم بيكر ووزير الدفاع ديك تشيني ومستشار الأمن القومي برينت سكوكرافت، الأفضل أداءً في التاريخ الحديث. وكان ذلك تتويجاً لمرحلة إعداد دامت عقوداً كثيرة إلى أن أصبح بوش الرئيس المسؤول عن السياسة الخارجية لبلاده، بدءاً من الفترة التي كان فيها ضابطاً في القوات الجوية في الحرب العالمية الثانية.

وكان «قانون الإعاقة» الذي أيده وصدق عليه بوش عام ١٩٩٠ أهم قانون جرى سنه في البلاد خلال ربع قرن كامل. ويجادل كثير من خبراء الاقتصاد بأن الفضل في الرخاء الذي عم البلاد في عهد كلينتون يعود إلى موافقة بوش على حزمة الإجراءات الخاصة بتقليص عجز الموازنة العامة عام ١٩٩٠. فقد قلص ذلك من النفقات ورفع الضرائب، ما أدى إلى إثارة غضب الجمهوريين المحافظين، وهو ما قد يكون سبباً في ضياع الفترة الرئاسية الثانية. لكن عام ٢٠١٤، كان لتلك القرارات الفضل في منحه جائزة جون كينيدي في الشجاعة.

ولد بوش في ولاية كنيديكييت لأب عضو في الكونغرس هو بريسكوت بوش، وانتقل لاحقاً إلى تكساس ليصبح كثيراً من المال من صناعة البترول، وفاز مرتين في انتخابات مجلس النواب، لكنه خسر في انتخابات مجلس الشيوخ. شغل مناصب سياسية ودبلوماسية عليا في عهد الرئيس ريتشارد نيكسون، ثم خسر كمرشح جمهوري في الانتخابات الرئاسية أمام رونالد ريغان قبل أن يصبح نائباً مخلصاً له.

من أكثر المواقف التي تركت أثراً في حياته كانت علاقته بخصومه السياسيين. ففي عام ١٩٨٤، دخل في مناظرة سياسية مع عضو الحزب الجمهوري جيرالدين فيرارو، أول سيدة ترشح لذلك المنصب، لكنهما لاحقاً أصبحا صديقين مقربين. وكانت آخر مكاملة هاتفية لها قبل وفاتها بمرض السرطان مع بوش، وخلال تلك المكاملة اعترفاً بحب بعضهما بعضاً.

قمة العشرين تختتم أعمالها باتفاق على إصلاح منظمة التجارة

اعداد: الانصات المركزي: ٢٠١٨/١٢/٣

اختتمت مجموعة الدول العشرين أعمال قمتها في العاصمة الأرجنتينية بوينس آيرس، مساء الاحد، بالاتفاق على بيان ختامي يشدد على ضرورة إصلاح منظمة التجارة العالمية.

وأشاد مسؤول امريكي كبير، قبل ختام القمة، بزعماء دول المجموعة لتوصلهم إلى توافق حول البيان الختامي، مشيراً إلى إصلاح منظمة التجارة العالمية باعتباره «الشيء الأكبر»، حسبما أوردت وكالة «رويترز». وقال المسؤول: «للمرة الأولى على الإطلاق تدرك مجموعة العشرين أن منظمة التجارة العالمية فشلت في تحقيق أهدافها وأنها تحتاج إلى إصلاح».

وأشارت وكالة الأنباء الألمانية إلى أنه بينما تجنب الدول بعض المواضيع الساخنة التي لم يمكن التوصل إلى اتفاق بشأنها، فقد أبرز إصدار البيان الرغبة في الإشارة إلى النجاح في القمة حيث اختفت الخلافات وراء «صيغات توافقية». وجاء في البيان الختامي أن الأطراف المشاركة اتفقت على «تجديد التزامنا بالعمل من أجل تحسين نظام دولي قائم على القواعد». واعتبر هذا بمثابة تنازل من الجانب الأمريكي. كما اتفقت الدول أيضاً على أنه يجب معالجة أزمات اللاجئين في جميع أنحاء العالم من خلال التعامل مع «الأسباب الجذرية» للهجرة القسرية، بالإضافة إلى الالتزام بالاستجابة للاحتياجات الإنسانية للنازحين.

ولم يتضمن البيان وعداً لتجنب الحمائية التجارية. وبالمثل، لم تكن هناك صياغة حول الممارسات التجارية العادلة. غير أن الأطراف اتفقت على تفعيل «الإصلاح الضروري» لمنظمة التجارة العالمية.

وبالنسبة إلى المناخ، أشار البيان إلى أن الولايات المتحدة لا تزال ملتزمة بانسحابها من اتفاقية المناخ في باريس التي تم التوصل إليها في عام ٢٠١٥. ووعدت دول أخرى «بمواصلة التعامل مع تغير المناخ، وتعزيز التنمية المستدامة والنمو الاقتصادي»، بحسب الوكالة الألمانية.

وتنضم المملكة العربية السعودية اليوم، للجنة الثلاثية (الترويكا) في مجموعة العشرين، التي ترأسها اليابان بصفتها رئيس المجموعة لعام ٢٠١٩، والأرجنتين بصفتها الرئيس السابق، والمملكة بصفتها الرئيس اللاحق للمجموعة في عام ٢٠٢٠.

وتهدف اللجنة للتعاون بشأن استمرارية واتساق جدول الأعمال والمواضيع التي تناقشها المجموعة.

وشمنت المملكة جهود جمهورية الأرجنتين خلال رئاستها هذا العام للمجموعة، وما أحرزته من تقدم في عدد من القضايا الأساسية المتعلقة بمستقبل العمل، والبنية التحتية، واستدامة الغذاء، إلى جانب إيلائها اهتماماً خاصاً بقضايا تمكين المرأة والاقتصاد الرقمي.

وأبدت تطلعها للعمل مع اليابان خلال رئاستها المجموعة في عام ٢٠١٩ لمواصلة التقدم في تحقيق أهداف مجموعة العشرين، وذلك لمعالجة التحديات الاقتصادية العالمية، وتعزيز النمو الاقتصادي المتسم بالمتانة والاستدامة والتوازن والشمولية في كل أنحاء العالم.

وشرعت المملكة في استعداداتها وتحضيراتها لاستضافة اجتماعات المجموعة في عام ٢٠٢٠ منذ الإعلان عن موعد توليها الرئاسة خلال قمة هامبورغ عام ٢٠١٧، وتضمن ذلك إنشاء «الأمانة السعودية لمجموعة العشرين» للإشراف على أعمال المجموعة خلال فترة رئاسة المملكة لها، وبلورة جدول أعمال يسعى إلى تعزيز إنجازات المجموعة وأولوياتها على صعد الاقتصاد العالمي والتنمية.

وستسعى المملكة للاستفادة من دورها المحوري على الصعيدين الإقليمي والدولي للمشاركة الفاعلة مع أعضاء المجموعة، والدول المدعوة، ومنظمات المجتمع المدني، والمنظمات الدولية والإقليمية، من أجل تحقيق توافق حيال السبل المثلى لمعالجة التحديات العالمية الحالية والمستجدة المؤثرة في الاقتصادات والمجتمعات في شتى أنحاء العالم.

وستشهد رئاسة المملكة لمجموعة العشرين عدداً كبيراً من الاجتماعات على مستوى الوزراء ووكلاء الوزراء ومجموعات العمل، والمؤسسات ذات العلاقة خلال سنة رئاستها من أجل بناء توافق حول السياسات المقترحة للقضايا المطروحة، وستتوج هذه الاجتماعات بقمة قادة مجموعة العشرين.

وتمر المملكة حالياً بمرحلة تحول اقتصادي واجتماعي غير مسبوق في إطار رؤية المملكة ٢٠٣٠، التي تتواءم بشكل كبير مع أهداف وأولويات مجموعة العشرين وتحقيق التنمية الاقتصادية المستدامة وتمكين المرأة ورفع قدرات رأس المال البشري وتعزيز التجارة والاستثمار.

كما تتطلع السعودية لنجاح رئاستها من خلال العمل مع الدول الأعضاء في مجموعة العشرين وكل المشاركين في أعمالها لتحقيق أثر إيجابي ومستديم على المستويين الإقليمي والعالمي.

في غضون ذلك، كشف المستشار في الكرملين يوري يوشاكوف، أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، ونظيره الأمريكي دونالد ترمب، عقدا «اجتماعاً مقتضباً» على هامش قمة بوينس آيرس، أول من أمس (الجمعة). وقال يوشاكوف، حسبما أوردت «رويترز»، إنه اجتمع مع مستشار الأمن القومي الأمريكي جون بولتون، وإن روسيا والولايات المتحدة على استعداد لمواصلة الاتصالات. لكن يوشاكوف قال إنه لا يعلم بموعد الاجتماع القادم بين بوتين وترمب.

والغى الرئيس الأمريكي، الأحد، مؤتمره الصحافي الذي كان مقرراً خلال قمة مجموعة العشرين، «احتراماً» لعائلة الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الأب الذي توفي، الجمعة.

وكتب الرئيس الأمريكي في تغريدة: «احتراماً لعائلة بوش والرئيس الأسبق جورج بوش سننتظر إلى ما بعد الجنازة لعقد مؤتمر صحافي».

وعلى هامش قمة بوينس آيرس، التقى قادة الولايات المتحدة واليابان والهند في اجتماع ثلاثي مشترك للمرة الأولى، حيث طالبوا بحرية الملاحة في آسيا، في خطوة واضحة ضد تزايد النفوذ الصيني، حسب وكالة الصحافة الفرنسية.

والتقى الرئيس الأمريكي دونالد ترمب، ورئيس الوزراء الهندي ناريندرا مودي، ونظيره الياباني شينزو آبي، على هامش قمة العشرين. وبدت قمة القادة اليمينيين الثلاثة، التي استغرقت ١٥ دقيقة فقط، رمزية أكثر من كونها قمة تضع استراتيجيات عمل، لكنها تزامنت مع تزايد مخاوف الدول الثلاث حيال النفوذ الصيني في آسيا. ولدى اليابان والهند نزاعات إقليمية طويلة الأمد مع جيرانهما، فيما يمارس ترمب ضغوطاً على الصين بخصوص ملف التجارة بين البلدين ويكرر إعرابه عن مخاوفه بشأن نزعة بكين التوسعية في بحر الصين الجنوبي المتنازع عليه.

وقال ترمب لآبي إن «اليابان والولايات المتحدة والهند تتقاسم القيم الأساسية والمصالح الاستراتيجية»، حسبما أوردت الوكالة الفرنسية. وتابع: «من خلال عمل ثلاثتنا معاً، سنجلب المزيد من الرخاء والاستقرار للمنطقة وكذلك للعالم أجمع». من جهته، أشار مودي إلى أن اختصار الأحرف الأولى لليابان وأمريكا والهند يشكل كلمة «جاي» التي تعني بالهندية «الحياة المديدة».

وقالت المتحدثة باسم البيت الأبيض سارة ساندرز، في بيان إن القمة «أعادت تأكيد أهمية الرؤية الحرة والمفتوحة للمحيطين الهندي والهادئ لتحقيق الاستقرار والرخاء العالميين». وطرحت إدارة ترمب مراراً فكرة منطقة «محيط هندي وهادئ حرة ومفتوحة»، وهو تعبير جذاب لطالما فضّله آبي الذي يصر على أن تظل كل آسيا مفتوحة أمام الملاحة والتجارة.

لكن ذلك لم يمنع مودي وآبي أن يلتقي كل منهما على حدة مع الرئيس الصيني شي جينبينغ. ورغم عقود من النزاعات الإقليمية مع الصين، نأت الهند تاريخياً بنفسها عن الانضمام إلى تحالفات مع القوى الكبرى. فيما خفّت حدة التوتر بين اليابان والصين أخيراً، إذ قام آبي في أكتوبر (تشرين الأول) الفائت، بأول زيارة لرئيس وزراء ياباني إلى بكين في سبع سنوات.

البيان الختامي يؤكد المساواة بين الجنسين وخفض الهوة بينهما في القوى العاملة

هذا وأكد البيان الختامي أن المساواة بين الجنسين أمر بالغ الأهمية لتحقيق النمو الاقتصادي والتنمية العادلة والمستدامة، مشيراً إلى أن هناك تقدماً في تحقيق التزام «قمة بريزبن» بخفض الفجوة بين الجنسين في معدلات المشاركة في القوى العاملة بنسبة ٢٥٪ بحلول عام ٢٠٢٥.

وأكد البيان أنه يجب عمل المزيد ومواصلة تعزيز المبادرات الرامية إلى إنهاء جميع أشكال التمييز ضد النساء والفتيات والعنف القائم على هذا الأساس، والالتزام بتعزيز التمكين الاقتصادي للمرأة، بما في ذلك العمل مع القطاع الخاص لتحسين ظروف العمل للجميع.

ونوه بالتزامه بتعزيز وصول المرأة إلى المناصب القيادية ومناصب صنع القرار، وتنمية المهارات الرقمية للنساء والفتيات، وزيادة مشاركتهن في العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات وقطاعات التكنولوجيا الفائقة.

ورحب البيان بالتنفيذ المستمر لمبادرة تمويل رائدات الأعمال (We-Fi)، مقدماً شكره لفريق عمل قيادات سيدات الأعمال على عملهن والاستفادة من هذه التجربة، وكذلك رحب بتقرير التمويل المستديم ٢٠١٨.

وتابع البيان: «أطلقنا مبادرة مجموعة العشرين لتنمية الطفولة المبكرة، ونقف على أهبة الاستعداد للانضمام إلى جميع أصحاب المصلحة في تعزيز جودة برامج الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة والممولة تمويلًا مستديماً».

وأشار البيان إلى أنشطة منظمة الصحة العالمية (WHO)، لوضع خطة عمل لتنفيذ الجوانب المتعلقة بالصحة لأهداف التنمية المستدامة بحلول عام ٢٠٣٠. مشيداً بالتقدم الذي أحرزه المجتمع الدولي في تطوير وتنفيذ خطط العمل الوطنية والإقليمية بشأن مقاومة المضادات الحيوية (AMR).

ونوه البيان بالعمل الذي أنجزه المركز العالمي للبحوث والتطوير في مجال مقاومة المضادات الحيوية، معبراً عن تطلعه إلى مزيد من دراسة حوافز السوق التي تعالج سوء التغذية، مع التركيز بشكل خاص على الأطفال الذين يعانون من زيادة الوزن والسمنة، من خلال المناهج.

وأكد الحاجة إلى أنظمة صحية أقوى توفر تدخلات فعالة من حيث التكلفة، ومبنية على الأدلة لتحقيق وصول أفضل إلى الرعاية الصحية وتحسين جودتها وميسرة التكاليف للتحرك نحو التغطية الصحية الشاملة (UHC)، تماشياً مع سياقاتها وأولوياتها الوطنية. وقد يشمل ذلك، بحسب الاقتضاء، الطب التقليدي والتكميلي المثبت علمياً، مما يضمن سلامة وجودة وفعالية الخدمات الصحية.

وتابع البيان: «سنستمر في تعزيز القدرات الأساسية التي تتطلبها اللوائح الصحية الدولية (اللوائح الصحية الدولية، ٢٠٠٥) للوقاية والكشف والاستجابة لحالات الطوارئ الصحية العامة، مع الاعتراف بالدور الحاسم الذي تضطلع به منظمة الصحة العالمية في هذا الصدد. ونحن ملتزمون بإنهاء فيروس نقص المناعة البشرية / الإيدز، والسل، والملاريا».

وأشار البيان إلى التقرير السنوي لدول العشرين لعام ٢٠١٨ عن الاتجاهات والسياسات الدولية بشأن الهجرة والنزوح، الذي أعدته منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي بالتعاون مع منظمة العمل الدولية والمنظمة الدولية للهجرة ومفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.

وأكد أن تحركات اللاجئين الكبيرة هي مصدر اهتمام عالمي، للعواقب الإنسانية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، مشدداً على أهمية الإجراءات المشتركة لمعالجة الأسباب الجذرية لهذه المسألة، والاستجابة للاحتياجات الإنسانية المتزايدة، وأكد التزامه بقيادة التحول نحو التنمية المستدامة ودعم خطة عام ٢٠٣٠ كإطار للنهوض بهذا الهدف وخطة عمل مجموعة العشرين. وشدد البيان على أن الموقعين على اتفاقية باريس، الذين انضموا أيضاً إلى خطة عمل هامبورغ، يؤكدون أن اتفاق باريس لا رجعة فيه، ويتعهدون بالتنفيذ الكامل له والاستمرار في معالجة تغير المناخ، مع تعزيز التنمية المستدامة والنمو الاقتصادي.

القمة ترحب ببدء التبادل التلقائي لمعلومات الحساب المالي

أعرب عن تطلعه إلى استمرار التقدم في تحقيق الوساطة المالية غير المصرفية المرنة، وتكثيف الجهود لضمان أن الفوائد المحتملة للتكنولوجيا في القطاع المالي يمكن أن تتحقق بينما يتم تخفيف المخاطر، وتنظيم أصول التشفير الخاصة بمكافحة غسل الأموال ومكافحة تمويل الإرهاب بما يتماشى مع معايير مجموعة العمل المالي.

وأضاف البيان: «سنواصل عملنا من أجل نظام ضريبي دولي عادل ومستديم وعصري، قائم بشكل خاص على المعاهدات الضريبية وقواعد تسعير التحويل، ونرحب بالتعاون الدولي للنهوض بالسياسات الضريبية المؤيدة للنمو، حيث لا يزال التنفيذ العالمي لحزمة التآكل وقاعدة تحويل الأرباح الخاصة بمنظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي أمراً ضرورياً، وسنعمل سوياً من أجل التوصل إلى حل يستند إلى توافق جماعي للآراء للتصدي لتأثيرات رقمية الاقتصاد على النظام الضريبي الدولي مع تحديث في عام ٢٠١٩ وتقرير نهائي بحلول عام ٢٠٢٠».

وقال البيان: « نرحب ببدء التبادل التلقائي لمعلومات الحساب المالي، ونقر بالمعايير المعززة التي وضعتها منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي لتحديد الولايات القضائية التي لم تنفذ معايير الشفافية الضريبية بصورة مرضية، كما سيتم النظر في الإجراءات الدفاعية ضد السلطات القضائية المدرجة، وينبغي لجميع الولايات القضائية أن توقع وتصدق على الاتفاقية متعددة الأطراف بشأن المساعدة الإدارية المتبادلة في المسائل الضريبية، وسنواصل دعم تعزيز اليقين الضريبي وبناء القدرات الضريبية في البلدان النامية».

وأشار البيان إلى أن «التجارة والاستثمار الدوليين محركات مهمة للنمو والإنتاجية والابتكار وخلق الوظائف والتنمية، ونذكر المساهمة التي قدمها النظام التجاري المتعدد الأطراف لتحقيق هذه الغاية».

وأضاف أن «المنظمة لا تصل حالياً إلى أهدافها، وهناك مجال للتحسين. لذلك نؤيد الإصلاح الضروري لمنظمة التجارة العالمية لتحسين أدائها وسنراجع التقدم في مؤتمر القمة القادم».

وأكد البيان الالتزام بمنع الفساد ومكافحته وتقديم القدوة على سبيل المثال. والاتفاق على خطة العمل الجديدة ٢٠١٩ - ٢٠٢١ وتأييد مبادئ منع الفساد وضمان النزاهة في الشركات المملوكة للدولة وبشأن منع وإدارة تضارب المصالح في القطاع العام».

قمة العشرين تطالب بتعزيز المهارات المعرفية والرقمية وريادة الأعمال

أكد البيان أهمية مواصلة تعزيز المهارات المعرفية والرقمية وريادة الأعمال، وتشجيع جمع وتبادل الممارسات الجيدة، وتشجيع زيادة مشاركة القوى العاملة من الفئات الممثلة تمثيلاً ناقصاً وكذلك الفئات الضعيفة، بما في ذلك الأشخاص ذوو الإعاقة، وتنفيذ سياسات لتحسين وضع الشباب الوظيفي، واتخاذ إجراءات للقضاء على عمالة الأطفال والعمل القسري والاتجار بالبشر.

وقال البيان: «نسعى إلى إيجاد مزيد من الظروف المواتية لحشد الموارد من الموارد العامة والخاصة والمتعددة الأطراف، بما في ذلك الآليات والشراكات المالية المبتكرة، مثل الاستثمار في التأثير من أجل النمو الشامل والمستديم، بما يتماشى مع دعوة مجموعة العشرين بشأن تمويل الأعمال الشاملة». وأكد البيان أن الوصول إلى التعليم حق من حقوق الإنسان، ومجال سياسة عامة استراتيجية لتنمية مجتمعات أكثر شمولاً وازدهاراً وسلمية، كما أكد أهمية تعليم البنات، وتعزيز التنسيق بين التوظيف وسياسات تعليم الجودة العادلة، لتطوير استراتيجيات شاملة تعزز الكفاءات الأساسية.

ونوه البيان بأهمية إبراز فوائد التقنية الرقمية والتقنيات الناشئة للنمو والإنتاجية المبتكرة، التي تعزز التدابير الرامية إلى تعزيز المشاريع وأصحاب المشاريع الصغيرة والمتناهية الصغر والمتوسطة، وسد الفجوة الرقمية بين الجنسين والمزيد من الدمج الرقمي، ودعم حماية المستهلك، وتحسين الحكومة الرقمية، والبنية التحتية الرقمية وقياس الاقتصاد الرقمي، والتأكيد من جديد على أهمية معالجة قضايا الأمن في استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

وقال البيان: «نحن ندعم التدفق الحر للمعلومات والأفكار والمعرفة، مع احترام الأطر القانونية المعمول بها، والعمل على بناء ثقة المستهلك، والخصوصية، وحماية البيانات وحماية حقوق الملكية الفكرية، كما نرحب بمجموعة العشرين للسياسات الرقمية لمشاركة وتشجيع تبني نماذج أعمال الاقتصاد الرقمي المبتكرة، ونذكر أهمية التفاعل بين التجارة والاقتصاد الرقمي، وسنواصل العمل على الذكاء الاصطناعي والتقنيات الناشئة ومنصات الأعمال الجديدة».

ولمواجهة فجوة تمويل البنى التحتية، قال البيان: «نؤكد من جديد التزامنا بجذب المزيد من رأس المال الخاص إلى الاستثمار في البنية التحتية. ولتحقيق ذلك، فإننا نؤيد خريطة الطريق للبنية التحتية، وسنتخذ إجراءات لتحقيق المزيد في مجال التقييس، ومعالجة ثغرات البيانات وتحسين أدوات تخفيف المخاطر، ونتطلع إلى تحقيق تقدم في عام ٢٠١٩ حول البنية التحتية للجودة».

وأكد البيان الالتزام بمعالجة تحديات الأمن الغذائي، ووصف ذلك بأنه «أمر حاسم» لتحقيق عالم خالٍ من الجوع وجميع أشكال سوء التغذية، الذي سيعزز الدينامية في المناطق الريفية والزراعة المستدامة.

كما شدد على أهمية الإدارة المستدامة للتربة والمياه وضفاف الأنهار التي تدعمها كل دولة على حدة، مع الأخذ في الاعتبار الاحتياجات الخاصة للأسر والمزارعين أصحاب الحيازات الصغيرة، والتشجيع على الاستخدام الطوعي والمشاركة في الممارسات والتقنيات الزراعية المبتكرة والتقليدية، وإبراز أهمية التعاون بين أصحاب المصلحة من القطاعين العام والخاص لتعزيز إدارة المخاطر، وتسهيل التكيف مع بيئة متغيرة، وحماية التنوع البيولوجي، وتقديم استجابات فعالة للحد من تأثيرات الطقس على الزراعة.

وأضاف البيان: «سنزيد من الجهود المبذولة للتعامل مع القطاع الخاص والمجتمع العلمي وجميع أصحاب المصلحة المعنيين الآخرين لتعزيز القيمة المضافة والإنتاجية والكفاءة والاستدامة والارتقاء بسلاسل القيمة العالمية للزراعة الغذائية وتشجيع المبادرات للحد من ضياع الأغذية وهدرها».

الأمين العام للأمم المتحدة يشيد بالبيان الختامي لمجموعة قمة العشرين

من جهته أشاد الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش بالبيان الختامي لاجتماع مجموعة الدول العشرين التي احتضنتها العاصمة الأرجنتينية بوينوس آيريس.

وقال غوتيريش أمس: «إن الإعلان ركز على ثلاث رسائل رئيسية: أولها تأكيد دعم أجندة التنمية المستدامة التي اتفق قادة العالم على تطبيق أهدافها بحلول عام ٢٠٣٠م. وتعد الأجندة خطة دولية لضمان العولمة العادلة التي لا تتخلى عن أحد، ثانياً أن قادة مجموعة العشرين أكدوا على الحاجة لزيادة الطموح في مجال مكافحة تغير المناخ، معربين عن دعمهم القوي لتطبيق التعهدات بشأن المساهمات الوطنية المحددة من كل دولة، والرسالة الثالثة هي إقرار قادة مجموعة العشرين بأهمية النهج التعددي في مجال التجارة وإصلاح منظمة التجارة العالمية، وجددوا التزامهم تجاه النظام الدولي القائم على القواعد».

وأضاف أن الاتفاق على برنامج عمل باريس في مؤتمر كاتوفيتشي للمناخ COP24 الذي يعد دليلاً إرشادياً للتطبيق، سيعزز تنفيذ التعهدات بشكل كبير.

وأشار إلى أن الاتفاقات بين قادة مجموعة الدول العشرين، التي تعد مسؤولة عن انبعاث أكبر كمية من غازات الاحتباس الحراري، يمكن أن يساعد في حشد جهود المجتمع الدولي لضمان الفوز في السباق ضد تغير المناخ، مشدداً على ضرورة الفوز في هذا السباق.

باريس تحت وطأة الاحتجاجات.. نهب بنوك وحرق سيارات

وكالات متعددة: ٢٠١٨/١٢/٣

للأسبوع الثالث على التوالي تواصلت مظاهرات حاشدة في فرنسا تخللتها أعمال شغب، احتجاجا على زيادة الضرائب على المحروقات وزيادة أسعار الوقود.

أعمال العنف، التي اجتاحت العاصمة الفرنسية باريس، عكست عجز قوات الأمن عن التصدي للمخربين، فيما اعترفت الحكومة بفشلها في احتواء الأزمة.

وعرضت وسائل الإعلام الفرنسية مشاهد مختلفة لسرقة بنوك، وحرق سيارات، وحالات اعتداء على قوات الأمن، بينما انتشرت متاريس المحتجين في كل مكان.

وذكرت صحيفة "لوباريزيان" الفرنسية أنه "بعد يوم عاصف من الاشتباكات كانت العاصمة باريس مسرحا للعديد من الحوادث من أعمال العنف والفوضى، بينها ساحة الأوبرا، وشارع ريفولي، وكليبر، وتكررت نفس مشاهد الفوضى في أماكن مختلفة من العاصمة".

وأضافت الصحيفة أن عددا من المحتجين أقدم على "سرقة بنوك ومصارف، وإحراق سيارات، واستخدام محتويات منازل لإقامة متاريس في الشوارع، فيما ردت قوات الأمن بإطلاق قنابل مسيلة للدموع لمواجهة عنف المتظاهرين".

وفي ساحة بوليفار، أضرم المتظاهرون النيران، ومنعوا سيارات الإطفاء من الوصول إلى مواقع الحريق. كما تجمع نحو ٣٠٠ فرنسي في ساحة الأوبرا وشارع يربط سجن الباستيل بساحة الكونكرد، كما تجمعوا أمام متحف اللوفر".

من جانبها، أعربت عمدة باريس آن هيدالجو، عن استيائها العميق وحزنها الكبير مما تواجهه باريس من أعمال عنف على هامش مظاهرات "السترات الصفراء".

وعن التطورات على الأرض، أشارت صحيفة "لوفيجارو" الفرنسية إلى أن متظاهري السترات الصفراء صعدوا إلى أعلى "قوس النصر"، ذلك الرمز الذي يعد جزءا من تاريخ فرنسا، الأمر الذي يشير إلى دلالات ومرحلة خطيرة وصل إليها المتظاهرين في ظل غياب رد أو موقف رسمي من قبل الحكومة.

بدوره، اعترف وزير الداخلية الفرنسي كريستوف كاستنر، بأن الحكومة أساءت إدارة الأزمة لا سيما فيما يتعلق بعملية الانتقال البيئي (في إشارة إلى الإجراءات الحكومية لتعزيز استخدام الدراجات الهوائية لحماية البيئة) وسوء التواصل مع المتظاهرين. وصرح كاستنر لمحطة "بي.إف.ام.تي.في" الفرنسية، أمس السبت "أنه أسيء فهمنا في عملية الانتقال البيئي، وندرس كل الإجراءات التي ستسمح لنا بفرض مزيد من الإجراءات لضمان الأمن"، مضيفا أن "كل ما يسمح بتعزيز ضمان الأمن، لا محرمات لدي وأنا مستعد للنظر في كل شيء".

وكانت نقابة الشرطة طلبت، مساء السبت، فرض حالة الطوارئ الذي اقترحتة أيضا نقابة مفوضي الشرطة الوطنية. وقال نائب رئيس ثاني أكبر نقابة للشرطة فريديريك لاجاش: "نحن في أجواء عصيان"، مضيفا "يجب التحرك بحزم".

وحول الأحداث التي شهدتها العاصمة، كتبت نقابة مفوضي الشرطة الوطنية على حسابها الرسمي بموقع التدوينات القصيرة "تويتر": "في مواجهة حركات عصيان، يجب التفكير في إجراءات استثنائية لحماية المواطنين وضمان النظام العام، وحالة الطوارئ جزء من هذا".

من جهته، أكد الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون أنه "لن يرضى أبدا بالعنف" الذي اندلع في باريس لأنه لا يمت بصلة إلى التعبير عن غضب مشروع، مضيفا أن "مرتكبي أعمال العنف هذه لا يريدون التغيير، لا يريدون أي تحسن، إنهم يريدون الفوضى: إنهم يخونون القضايا التي يدعون خدمتها ويستغلونها. سيتم تحديد هوياتهم وسيحاسبون على أفعالهم أمام القضاء".

رئيس الوزراء الفرنسي إدوار فيليب علق بدوره على الأحداث قائلا إن "حكومته ملتزمة بالحوار"، وشدد على ضرورة احترام القانون، كما أعرب عن صدمته من الهجوم على رموز فرنسية.

ووفقا للبيانات الرسمية، فإن العدد الكلي للمحتجين في أنحاء البلاد بلغ ٣٦ ألف محتج بينهم ٥٥٠٠ في باريس، كما تم اعتقال نحو ٢٨٧ شخصا، فيما أصيب أكثر من ١٠١ شخص بينهم ١١ من قوى الأمن، وسط مخاوف من تسلسل مجموعات تنتمي لأقصى اليمين وأقصى اليسار إلى حركة "السترات الصفراء".

وأمام أحداث الشغب التي شهدتها العاصمة الفرنسية أغلقت السلطات ١٩ محطة مترو.

هل يُصعد الرئيس الفرنسي ضد «السترات الصفراء»؟

يرفض حالة الطوارئ، ويهيئ الأمن لمواجهة الاحتجاجات مستقبلاً

هايفنكتون عربي بوست: ٢٠١٨/١٢/٣

عاد ماكرون الأحد ٢ ديسمبر/كانون الثاني ٢٠١٨ إلى باريس، قادماً من اجتماع قمة مجموعة العشرين في الأرجنتين، وذهب إلى قوس النصر لتقييم الضرر الذي أصابه بعد أن شوّهه مثيرو الشغب خلال احتجاجات السترات الصفراء.

وعلى عكس ما كان متوقعاً، قال مصدر رئاسي إن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون لم يبحث فرض حالة الطوارئ خلال اجتماع وزاري الأحد. وأضاف المصدر لـ «رويترز» أن الاجتماع تناول سبل تهيئة قوات الأمن لمواجهة الاحتجاجات في المستقبل، في أعقاب أحداث الشغب التي اندلعت في باريس، السبت ١ ديسمبر/كانون الأول. وأمر الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون رئيس وزرائه الأحد بإجراء محادثات مع زعماء سياسيين ومتظاهرين بهدف إيجاد سبيل لإنهاء الاحتجاجات التي عمت البلاد في أعقاب تحويل مثيري الشغب وسط العاصمة باريس إلى ساحة حرب.

وبعد اجتماعه مع عدد من الوزراء قالت الرئاسة الفرنسية في بيان، إن ماكرون طلب من وزير الداخلية تهيئة قوات الأمن لمواجهة الاحتجاجات في المستقبل كما طلب من رئيس الوزراء إجراء محادثات مع زعماء الأحزاب السياسية وممثلي المحتجين.

وقال مصدر بالرئاسة الفرنسية إن ماكرون لن يتوجه بخطاب إلى الأمة الأحد رغم المطالبات بأن يقدم تنازلات فورية للمتظاهرين. وأضاف المصدر أن فكرة فرض حالة الطوارئ في البلاد لم تكن محل بحث.

برزت احتجاجات السترات الصفراء -التي أثارها زيادة في ضريبة الوقود وسميت باسم سترات السلامة التي يرتديها المتظاهرون- كاحتجاجات عفوية على تراجع مستويات المعيشة.

وحسب تقرير لصحيفة The New York Times الأمريكية، فإنه بعد انتشار احتجاجات السترات الصفراء، على ما يبدو دون قائد وعبر الإنترنت، تلقت دعماً واسعاً ومتزايداً من أنحاء مختلفة في البلاد، حيث اندلعت مظاهرات أخرى السبت، الأول من ديسمبر/كانون الأول.

وكانت الكثير منها احتجاجات سلمية، رغم أن بعضها كان عنيفاً، مثلما هو الحال في بلدة لو بوي-أون-فيلاي، حيث أضرم المتظاهرون النار لفترة قصيرة في أحد مقار المحافظين المحلية.

لكن في باريس، اتخذت الاحتجاجات منعطفاً أكثر شراً، إذ انضم إليها متطرفون من اليسار واليمين، إلى جانب مجموعة الأناركيين، وكلهم كانوا يسعون للاستفادة من السخط المحتدم. شكّل العنف مرحلة جديدة لإدارة ماكرون، وأثار حالة من القلق حتى في بلد تشيع فيه الاحتجاجات المنظمة.

والأحد، قال مسؤول للصحافيين إن شخصاً واحداً توفي في حادث عند حاجز طريق بالقرب من آرل جنوبي فرنسا، وهي ثالث حالة وفاة منذ اندلاع احتجاجات السترات الصفراء في فرنسا.

حملت حوادث العنف التي وقعت يوم السبت دلالة رمزية قوية، حتى وإن كان المخربون الذين انضموا للحركة الآن هم من يرتكبون معظمها. إن ثورة الفلاحين والعمال في العصر الحديث ضد رئيس يزداد الازدراء تجاهه لدرجة إزاحته عن الحكم بطريقة تشبه طرق إزاحة الملوك، قد حولت أغنى شوارع البلاد وأبرز معالمها إلى ساحات حرب حقيقية.

وقد امتدت المواجهات بين الشرطة والمتظاهرين، إلى جانب المخربين المحترفين الذين أطلق عليهم الفرنسيون اسم «مثيري الشغب»، إلى العديد من أشهر المواقع في المدينة، بما في ذلك ميدان كونكرد وساحة تروكاديرو.

وكتب المحتجون على قوس النصر رشاً بالطلاء «السترات الصفراء ستنتصر»، وتمكنوا من دخوله والوصول إلى قمته، وتخريب المعرض الدائم الموجود في الداخل.

أوضح رئيس الوزراء إدوارد فيليب أن الحكومة تفرّق في احتجاجات السترات الصفراء بين من جاؤوا إلى باريس مستعدين لمحاربة الشرطة وغيرهم ممن تبدي الحكومة استعداداً للحديث معهم.

وقال فيليب، الذي ألغى رحلة كان مخططاً لها لمؤتمر المناخ في بولندا بسبب أحداث العنف: «نحن ملتزمون بحرية التعبير، ولكن أيضاً باحترام القانون». وقال في إشارة إلى الاشتباكات حول قوس النصر «لقد صدمني هذا العنف الذي طال رمزاً عظيماً لفرنسا».

ومع ذلك، مرّ أسبوعان على احتجاجات السترات الصفراء قبل أن توافق الحكومة، التي كانت تتجاهل المتظاهرين، على مقابلتهم.

وفي وقت سابق، عرض المسؤولون الحكوميون زيادة الدعم لشراء السيارات المقتصدة في استهلاك الوقود وتركيب أنظمة تدفئة منزلية تحمل درجة أقل من التلوث، لكن المتظاهرين أشاروا إلى أن هذا غير كافٍ لأن الكثيرين لا يملكون ما يكفي من المال لشراء سيارة، حتى وإن كانت مدعّمة.

ثم دعا فيليب إلى الاجتماع بممثلي احتجاجات السترات الصفراء، في ٣٠ نوفمبر/تشرين الثاني. ومع ذلك، لأنه لا يوجد قائد للحركة أو حتى أي ممثلين حقيقيين، لم تكن هوية من دعاهم واضحة.

وكانت النتيجة أن اثنين فقط من المشاركين في احتجاجات السترات الصفراء ظهروا في مقر فيليب الرسمي في ماتينيون، وهو منزل كبير في الدائرة السابعة الأنيقة في باريس.

وقال فيليب: كان الاجتماع «مثيراً وصريحاً ومحترماً»، مضيفاً أن بابه دائماً مفتوح.

لكن الباب المفتوح قد أغلقه وزراء آخرون قالوا علناً إنه لن يكون هناك أي تراجع عن ضرائب الحكومة الجديدة المفروضة على الوقود أو برنامجها الشامل.

والانقسام الحاصل بين وزراء الرئيس ماكرون في كيفية التعاطي مع المظاهرات لم تنجح سياسة اتباع نهجين مختلفين في التعامل مع الاحتجاجات. إذ سارت مجموعة كبيرة من أصحاب السترات الصفراء في باريس بسلام، بلافتة كتب عليها «ماكرون، توقف عن الاستخفاف بعقولنا».

ورداً على سؤال حول ما إذا كان هذا يشير إلى رسائل الحكومة المختلطة، قال أحد المتظاهرين الذين كانوا يمسكون بحافة اللافتة: «بالطبع. من يظننا؟».

وقال ممثل عن أصحاب السترات الصفراء من أندر، وهو إقليم في وسط فرنسا، أجرت شبكة التلفزيون الفرنسية BFM مقابلة معه، إن على ماكرون أن يتخذ خطوات حاسمة لتهدئة احتجاجات السترات الصفراء «مع الاعتراف بأن هذه لحظة خطيرة تمر بها بلادنا».

المشكلة التي تواجهها الحكومة هي أن الفصائل المختلفة من «السترات الصفراء» لديها مطالب متنوعة. فبينما تريد جميعها مستوى أرقى للعيش، بعضها ساخط على ماكرون بسبب ما يرونها سياساتٍ ضريبيةً ظالمةً تساعد الأغنياء ولا تفيد الفقراء في شيء، ويريدون عزله من منصبه.

أما الآخرون فهمهم الأكبر رفع الحد الأدنى للأجور والحد من المبالغ المقتطعة من رواتب الموظفين لأجل تغطية التأمينات الاجتماعية والخدمات ذات الصلة.

لكن لماذا يرفض ماكرون التفاوض مع المحتجين من السترات الصفراء؟

أضف إلى ذلك حقيقة أن كثيراً ممن يزعمون دعمهم للقضية لم يخرجوا إلى المظاهرات. وبينما من الممكن أن هذا القطيع من الداعمين لن يصيروا نشطاء، فلو فعلوا، سيصعب على الحكومة التعامل مع الأمر.

حتى في يوم السبت، الموافق ١ ديسمبر/كانون الأول، تمكن المتظاهرون من مراوغة قوات الشرطة، فغادروا منطقة قوس النصر أثناء رشها بالغاز المسيل للدموع ومدافع المياه، ولكن كانوا يظهرون في مناطق أخرى من المدينة بهدف نشر الفوضى.

ولكن حتى الآن، لا يرى ماكرون في محاولة التفاوض مع المحتجين سوى سلبياتها.

فقال جيرارد نواريبيل، المؤرخ بمدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية: «يرى إيمانويل ماكرون أن أسلافه من رؤساء الجمهورية قد فشلوا في مشاريعهم الإصلاحية، لأنهم رضخوا لضغوط الشارع».

وتابع نواريبيل قائلاً: «إنه يرى أن احتجاجات السترات الصفراء، التي شارك بها أقل من ٣٠٠ ألف فرد في أولى مظاهراتها، وأقل من ٨٠ ألفاً اليوم ستزيد ضعفاً على ضعف، وأن عنف المتظاهرين سيسلب السترات الصفراء مصداقيتهم أمام الرأي العام».

ومن ناحيته، قال برنارد سانانويه، رئيس منظمة استطلاع الرأي الفرنسية إيلاب Elabe، إن المشكلة تكمن في أن «هناك نسختين من فرنسا». وتابع في حوار له يوم السبت على قناة BFMTV: «إحداها فرنسا تشعر بأنها محل تجاهل وتدنٍ» على السلم الاجتماعي الاقتصادي.

وقد قالت دراسة نشرها هذا الأسبوع معهد جون جوريه، وهو فريق بحث مختص في السياسة العامة: «في الماضي، كان يمكن لهؤلاء الناس أن يخرجوا في نزهة للتسلية، أما اليوم فهذه (الرفاهيات) بعيدة عن متناولهم». وتشير عدة استطلاعات للرأي العام أجريت هذا الأسبوع أن ٧٠ إلى ٨٠٪ من الشعب الفرنسي متعاطف مع رأي السترات الصفراء، بأن الرئيس إيمانويل ماكرون وحكومته «يتحدثون عن نهاية العام بينما نتحدث نحن عن نهاية الشهر».

ويشير هذا الشعار إلى اهتمام ماكرون بالحد من تغير المناخ عن طريق الترويج لكفاءة الوقود ورفع الضرائب على البنزين، بالتعارض مع الطبقة العاملة الفرنسية التي تكافح للعيش على أجورها حتى نهاية الشهر. وتستمد السترات الصفراء أنصارها من أغلبية الفرنسيين الذين شهدوا روايتهم وهي تتخلف عن مواكبة تكاليف العيش بالنسبة لهم.

ومع ذلك، فإن الشعب الفرنسي أفضل حالاً بكثير من شعوب دول أوروبا الشرقية، وفقاً ليوروستات Eurostat، مديرية الإحصاءات لدى الاتحاد الأوروبي.

وقد بلغ متوسط الدخل المتيسر للفرد في البيت الفرنسي ١٧٠٠ يورو في الشهر، أي ما يقرب من ١٩٢٣ دولاراً، في عام ٢٠١٦، وهو العام الأخير الذي توجد إحصاءات متاحة عنه، وفقاً لوكالة إنسي Insee للإحصاءات التابعة للحكومة الفرنسية.

ويعني الدخل المتيسر المبلغ المتبقي لدى العاملين لكي ينفقوه على حاجاتهم اليومية (الإسكان، والطعام، ومصاريف المدارس، والملابس) بعد دفع ضرائب الدخل وضرائب جدول المرتبات وتعديل ميزانياتهم، وفقاً لأية إعانات حكومية قد يكونون مؤهلين لها.

غالباً ما تكون الطريقة الوحيدة لتوفير التكاليف هي الانتقال إلى ضحايا المدن الكبرى، حيث أسعار العقارات أقل بكثير، ولكن هناك يتعين على العاملين عامة الاعتماد على السيارات للوصول إلى عملهم أو مهامهم اليومية. والسيارات تحتاج إلى وقود، لذلك يتأثرون بأية ضريبة مفروضة على الوقود. وقد ارتفعت الضرائب كذلك على التبغ وبيع أخرى.

بالنسبة إلى العاملين القاطنين بالمناطق الريفية والقرى الصغيرة النائية في قلب فرنسا، فإن السيارات ضرورة أكبر بكثير.

وقد بدأ سياسيو حزب الوسط، حتى أولئك الذين يدعمون ماكرون، المناداة باستجابة أكثر فاعلية من الحكومة. ومن ضمن هؤلاء فرانسوا بايرو، زعيم الديمقراطيين المعتدلين، الذين هم شركاء لحزب «الجمهورية إلى الأمام» الذي جاء منه الرئيس ماكرون، إذ قال في حوار على قناة Europe 1: «لا يمكنك أن تحكم ضد الشعب».

وتابع بايرو قائلاً إنه ليس متأكداً من البديل، لكن لا يمكن للحكومة أن تظل «تكدر الضرائب بعضها فوق بعضها».

الأمريكيون يلقون نظرة الوداع على بوش الأب

اعداد: الانصات المركزي: ٢٠١٨/١٢/٤

سجّي جثمان الرئيس الراحل جورج بوش الأب في القاعة المستديرة بمبنى الكونغرس الاثنين، لإتاحة الفرصة للأمريكيين لإلقاء نظرة أخيرة عليه.

وألقى عدد من أعضاء الكونغرس بكلماتهم في مراسم خاصة أجريت بهذه المناسبة. وأشاد زعيم الجمهوريين في مجلس الشيوخ ميتش ماكونيل بخدمة الرئيس الأمريكي الأسبق لبلاده على مدار عقود.

وقال رئيس مجلس النواب بول ريان إن بوش الأب كان "قائدا عظيما".

ووقف أعضاء المحكمة العليا أمام جثمان بوش لإلقاء تحية الوداع.

وسوف تسمح السلطات للعامة بإلقاء النظرة الأخيرة على الرئيس الراحل بدءا من مساء الاثنين حتى صباح الأربعاء.

وأمر الرئيس دونالد ترامب بإرسال طائرة الرئاسة لنقل الجثمان من هيوستن إلى قاعدة أندروز العسكرية في ولاية ميريلاند.

وأعلنت المتحدثة باسم البيت الأبيض سارة ساندرز أن الرئيس ترامب والسيدة الأولى ميلانيا سيزوران مقر الكونغرس مساء الاثنين لتقديم تعازيهما.

وبعد ذلك سيتم نقل الجثمان إلى الكاتدرائية الوطنية في واشنطن لإقامة قداس جنازة رسمية الأربعاء.

وقد أعلن الرئيس ترامب الأربعاء يوم حداد رسمي وقال إنه سيشارك في الجنازة، التي يتوقع أن يحضرها أيضا عشرات القادة الأجانب والشخصيات الأمريكية.

وسينقل الجثمان جوا بعد ذلك إلى هيوستن حيث سيسجى في كنيسة سانت مارتن التي ترتادها عائلة بوش منذ عقود، حتى قداس الجنازة يوم الخميس.

وسيدفن الرئيس الـ٤١ للولايات المتحدة في مكتبة جورج بوش الرئاسية في كوليدج ستيتشن في تكساس.

ماذا قالوا عنه؟

جاءت ردود الفعل من الوسط السياسي وعالم الأعمال ومشاهير هوليوود:

< الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن (٢٠٠١ إلى ٢٠٠٩): «كان جورج إتش. دبليو. بوش رجلاً يمتاز بنبل طباعه وأفضل أب يمكن لابن أو ابنة أن يتمنيانه».

< الرئيس الأمريكي الحالي دونالد ترامب: «بأصالته وروحه والتزامه الثابت بالإيمان والعائلة وبلده، شكل الرئيس بوش مصدر إلهام لأجيال من المواطنين الأمريكيين، وهو كرئيس فتح الباب أمام عقود الازدهار التي تلت».

< بيل كلينتون، الرئيس الأمريكي من ١٩٩٣ إلى ٢٠٠١: «أنا ممتن بشدة لكل دقيقة أمضيتها مع الرئيس بوش وكنت على الدوام أعتقد أن صداقتنا هي من أهم ما حصل لي خلال حياتي» مضيفاً: «قلائل هم الأمريكيون الذين بإمكانهم أن ينافسوا الرئيس بوش بالطريقة التي خدموا فيها الولايات المتحدة».

< باراك أوباما، الرئيس الأمريكي من ٢٠٠٩ إلى ٢٠١٧: «فقدت أمريكا وطنيا وخادما متواضعا» أتاح عمله «الحد من آفة الأسلحة النووية وتشكيل ائتلاف دولي لطرد ديكتاتور من الكويت»، وساهمت دبلوماسيته «في إنهاء الحرب الباردة من دون طلقة نار واحدة».

< وجه أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح رسالة تعزية، مشيداً بمواقف الراحل «التاريخية والشجاعة تجاه دولة الكويت ورفضه للاحتلال العراقي منذ الساعات الأولى»، مضيفاً أن هذه المواقف «ستظل ماثلة في ذاكرة أهل الكويت جميعاً ولن تنسى».

< الزعيم السوفيياتي الأخير ميخائيل غورباتشوف: «كان شريكاً فعلياً وكانت لنا فرصة العمل معا في حقبة تغيرات هائلة (...) الأمر الذي أدى إلى نهاية الحرب الباردة وسباق التسلح».

< الرئيس الألماني فرانك فالتر شتاينماير: «ستتذكر ألمانيا على الدوام وبامتنان كبير التزامه الكبير لصالح إعادة توحيد ألمانيا، والوحدة الألمانية ما كانت لتحصل لولا صداقة الولايات المتحدة وصداقة رئيسها».

< المستشار الألمانية أنجيلا ميركل في برقية تعزية: «ألمانيا تدين بالكثير لجورج بوش الأب. كان ترؤسه الولايات المتحدة الأمريكية حين انتهت الحرب الباردة وباتت إعادة توحيد ألمانيا ممكنة بمثابة ضربة حظ في التاريخ الألماني. كان صديقاً فعلياً للشعب الألماني، وأقر بأهمية هذه اللحظة التاريخية وقدم إلينا ثقته ودعمه».

< الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون: «كان زعيماً كبيراً وداعماً قوياً للتحالف مع أوروبا»، مضيفاً: «باسم الشعب الفرنسي أوجه تعازي إلى الأمة الأمريكية».

< رئيسة الحكومة البريطانية تيريزا ماي: «كان رجل دولة عظيماً وصديقاً فعلياً لبلادنا (...)»، وعبر عمله على إنهاء الحرب الباردة سلمياً، جعل من العالم مكاناً أكثر أمناً للأجيال القادمة، وعمل جنباً إلى جنب مع أصدقائه وزملائه ونظرائه في المملكة المتحدة».

< رئيس المفوضية الأوروبية جان كلود يونكر: «لن أنسى أبداً الدور الذي قام به لجعل أوروبا أكثر أمناً وأكثر توحداً بعد سقوط جدار برلين والستار الحديدي».

< رئيس الحكومة البريطانية السابق جون مييجور: «أشعر بالفخر لأنني عملت معه، وفخري ازداد لتحولي صديقاً له لمدى الحياة. إنه بكل بساطة من أفضل الأشخاص الذين التقيتهم».

< الرئيس البرتغالي مارسيلو ريبيلو دي سوزا أشاد بـ«شجاعة» الرئيس الأمريكي الأسبق و«قوة شخصيته»، الأمر الذي ترجم «إرادة في السياسة من دون أن يفتقر إلى احترام من كانوا يدافعون عن آراء مختلفة».

< وزير الخارجية الألماني هايكو ماس: «نديين له بإعادة توحيد بلادنا (...)». لقد استغل بشجاعة فرصة إنهاء الحرب الباردة وكان أيضاً مهندس الوحدة الألمانية. لقد دافع عنها من دون تحفظ منذ البداية».

< رئيس الوزراء الياباني شينزو آبي أشاد بـ«مساهمته في إرساء سلام المجتمع الدولي واستقراره»، وخصوصاً عبر إنهاء الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيياتي، واضطاعه بدور قيادي في حرب الخليج في ١٩٩١، مذكراً بأن بوش الأب زار اليابان مرتين مقدماً «مساهمة كبيرة في العلاقات اليابانية الأمريكية».

< الدالاي لاما ذكر في رسالة تعزية إلى جورج بوش الابن بأن والده كان أول رئيس أمريكي يلتقيه خلال توليه منصبه رغم معارضة الصين، لافتاً إلى أن الراحل «كرس حياته للخدمة العامة».

< رئيسة وزراء نيوزيلندا جاكيندا جاكيندا أردن أكدت أن الراحل «اضطلع بدور رئيسي للمساعدة في إنهاء الحرب الباردة، الأمر الذي وفر الديمقراطية لملايين الأشخاص في أوروبا وقلص خطر الحرب النووية».

< رئيس وزراء أستراليا سكوت موريسون: «كان آخر محارب في الحرب العالمية الثانية الذي ينتخب رئيساً للولايات المتحدة. خلال حياته الاستثنائية، كان عنصراً في المارينز ورجل أعمال وعضواً في الكونغرس وسفيراً ومديراً للسي آي إيه ونائباً للرئيس ورئيساً، فيما جسد قيم الولايات المتحدة».

< تيم كوك، مدير شركة «آبل»: «فقدنا أميركياً كبيراً. الخدمة لخصت حياته، وعلمنا جميعاً ما تعني كلمات الزعامة والتضحية والتواضع».

< وجهت قطر والإمارات وسلطنة عمان رسائل تعزية إلى الرئيس ترمب وبوش الابن.

< الممثل أرنولد شفارتزنيغر، الحاكم الجمهوري السابق لكاليفورنيا: «غادرنا الرئيس بوش في رحلته الأخيرة إلا أن وجهته غير معروفة. إنه يطير في أحضان حب حياته باربرا».

نص رسالة بوش التي تركها بالبيت الأبيض لكلينتون

وكالات متعددة: ٢٠١٨/١٢/٤

كشفت شبكة CNN الأمريكية، عن رسالة تركها الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الأب لخلفه الرئيس بيل كلينتون في البيت الأبيض بعد فوز الأخير في الانتخابات الرئاسية عام ١٩٩٢.

وبحسب الشبكة الأمريكية كانت رسالة بوش في ٢٠ كانون الثاني ١٩٩٣، درساً عن الاعتراف بالهزيمة السياسية وتقبلها بصدق.

وقال كلينتون عنها "لقد جعلني بوش أشعر بأنني في بيتي في أول يوم أدخل فيه البيت الأبيض".

وكان نص الرسالة هو:

عزيزي بيل عندما دخلت إلى هذا المكتب، شعرت بنفس شعورك الآن وهو الدهشة والاحترام مثلما شعرت به منذ أربع سنوات. أعلم أنك ستشعر بذلك أيضاً. وأضاف بوش: أتمنى لك السعادة الكبيرة في هذا المكان. لم أشعر قط بالوحدة التي وصفها الرؤساء.

وتابع: سيكون هناك أوقات صعبة للغاية، أكثر صعوبة مما تتخيل بسبب الانتقادات التي ستعرض لها وقد لا تعتقد أنها غير صحيحة. أنا لست أهلاً لكي أقدم لك النصيحة" ولكن فقط لا تدع النقد يحبطك أو يدفعك بعيداً عن المسار. سوف تكون رئيسنا عندما تقرأ هذه الرسالة. أتمنى لك الخير ولأسرتك أيضاً، نجاحك الآن هو نجاح بلادنا. أنا أدعو لك وأصلي بصدق من أجلك.

حظاً سعيداً

جورج بوش

بوش الأب وتحرير الكويت

*عبدالرحمن الراشد

صحيفة (الشرق الاوسط) : ٢٠١٨/١٢/٤

لأن المناسبات تمنحنا فرصة للمراجعة وأخذ العبر، فإن وفاة الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب تستحق أن تذكر بما لها وما عليها. التاريخ من صنع الرجال، وبوش واحد من صناعه المهمين، مع أن رئاسته لم تتجاوز أربع سنوات فقط (١٩٨٩ - ١٩٩٣). فقد صادفت أحداثاً مهمة، حينها تهاوى الاتحاد السوفياتي لتعلن الولايات المتحدة انتصارها في الحرب الباردة دامت نحو نصف قرن، وما تلاها من زلازل في العالم ومنطقتنا من ضمنه وحتى هذا اليوم.

قرأ صدام حسين، حاكم العراق حينها، تطورات التاريخ بشكل خاطئ وقرأها بوش بشكل صحيح. ولا شك أن للتحالف السعودي - الأمريكي دوراً أساسياً في إنهاء أحلام صدام المصاب بهوس السلطة وجنون العظمة. لقد أوقفت تلك العملية حركة التاريخ الخاطئة. كان معظم الشعب الكويتي خارج بلاده، وكانت الحكومة شرعية على الورق. كان صدام حاكماً للكويت على أرض الواقع. وربما لو كان حاكم آخر في واشنطن لبقيت الكويت محافظة عراقية كما أرادها صدام، وكان صدام سيفاً مسلطاً على السعودية ودول الخليج الأخرى. لا شك أن الملك فهد والرئيس بوش شخصيتان تاريخيتان، أخذتا المغامرة على كتفهما. لو أن الأمريكيين تراجعوا تحت الضغوط الداخلية والخارجية، أو امتنع السعوديون عن التورط في مغامرة حرب مجهولة العواقب، أو لو أن الحرب أخذت مسارات أخرى كما حدث لاحقاً في الحروب الفاشلة، لكان الثمن عالياً على الكويتيين والسعوديين. لم تكن هناك احتمالات، بل احتمالات مختلفة، خصوصاً مع تداعيات الخريف الشيوعي في العالم الذي قضى على جمهوريات من ألمانيا الشرقية إلى جمهورية اليمن الجنوبي والصومال ودول أوروبا الشرقية ثم آسيا الوسطى. واحتمال أن تختفي دولة من الخريطة أو تغيير نظام سياسي كله كان قابلاً للحدوث.

وضعت أمام الرئيس الراحل بوش خيارات في التعامل مع الكويت المحتلة، أبرزها اثنان. الملك فهد يريد مواجهة صدام وإخراجه ولو بالقوة الكاملة. وحلفاء صدام كانوا يحذرون بوش من خطر انفجار الشارع العربي والفوضى واستهداف المصالح الأمريكية، وفي الوقت نفسه كانوا يتعهدون له بأن يمنحه صدام ما كانت تضمنه حكومة الكويت، وما تتوقعه واشنطن يخدم مصالحها بترولياً وعسكرياً وسياسياً.

وكانت التحذيرات داخل الولايات المتحدة هي الأعلى صوتاً، فالرأي العام الأمريكي كان لا يزال يعيش فوبيا حرب فيتنام الفاشلة وما أحدثته من صدمات في المجتمع الأمريكي. مع هذا مال بوش إلى الرأي السعودي، وكان السفير حينها في واشنطن، بندر بن سلطان، لاعباً مهماً في إقناعه بخوض الحرب للتحرير وليس فقط حماية المملكة العربية السعودية من جيوش صدام.

وقلما يجود التاريخ بشخصيات قادرة على اتخاذ القرارات المصيرية، وربما لو لم يتخذ بوش قراره بتحرير الكويت لما كانت الكويت بيننا اليوم. هذه حقيقة مجردة.

وعندما نستحضر التاريخ اليوم ليس لإعلاء موقف بوش، أو المفاخرة بدور سعودي، ولا حتى للإساءة لتاريخ العراقيين في عهد صدام، أبداً. الحديث للعبرة، وفهم العالم على حقيقته بعيداً عن الرومانسيات، وأكاذيب نظريات المؤامرة. الولايات المتحدة دولة عظمى مهمة لنا في الخليج، وهي أكثر ضرورة كذلك لأوروبا الغربية. ولا يعيبنا الحديث عن التحالفات معها والانتصارات المشتركة، ولولا أمريكا لما رجعت فرنسا جمهورية حرة. ولولاها لاحتل السوفيات كل ألمانيا، واستولت كوريا الشمالية على جارتها، كوريا الجنوبية. لا تدعوا بروباغندا اليسار، والإسلاميين، والأغبياء من منظري السياسة في منطقتنا يرشدونكم في فهم السياسة والعلاقات الدولية، فهناك حقائق وهناك آراء.

نستذكر مكانة بوش، بمناسبة وفاته، ودوره في مطلع التسعينات لأنه تاريخنا أيضاً الذي نعيشه اليوم، ومن باب الوفاء والتقدير نعترف مقدرين وممتنين دون تكبر ولا عقد نقص.

الرئيس جورج بوش الأب

*عبدالحسن يوسف جمال

صحيفة (القبس) الكويتية : ٢٠١٨/١٢/٤

فترة الغزو لم تكن فترة هيبة على الشعب الكويتي، الذي ابتلي بطاغية العراق الهالك صدام حسين، الذي ارتكب جريمة كبرى بغزو الكويت في الثاني من اغسطس عام ١٩٩٠.

وارتكب فيها الكثير من الفضائع التي سجلها التاريخ، وستظل وصمة عار في جبين صدام إلى الأبد. في تلك الفترة كنا نتطلع الى دول العالم وحكوماته، لنسمع صوتاً يستنكر هذا الفعل ويقف مؤيداً لنا.. فوجئنا في البداية بوقوف بعض الحكومات العربية مؤيدة للطاغية صدام، وداعمة له احتلال بلد جار من غير وازع من دين أو رادع من قانون، وكذلك وقفت معه بعض الأحزاب القومية والدينية.

وفي هذه الأجواء المتشائمة والظروف اللاإنسانية والمرعبة، التي عاشها الشعب الكويتي، علا صوت الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب، الذي كان مجتمعاً مع رئيسة الوزراء البريطانية السيدة مارغريت تاتشر في مدينة آسبن بولاية كولورادو الأمريكية، حيث أدانا مجتمعين الغزو العراقي، وطالباً القوات العراقية بالانسحاب الفوري من دولة الكويت من دون أي ملاحظة.

ولما رفض الدكتاتور صدام الانسحاب، قام الرئيس بوش بتطبيق قرار الأمم المتحدة بالعمل عسكرياً مع دول العالم الأخرى، ودولتين عربيتين هما مصر وسوريا، بتجيش جيش قوي بقيادة الجنرال هيربرت نورمان شوارزكوف، الذي أخرج الطاغية وجيشه من الكويت منهزماً مدحوراً في السادس والعشرين من فبراير عام ١٩٩١، الذي أصبح يوماً تاريخياً في الكويت.

ولن ينسى الشعب الكويتي أبداً هذه المواقف البطولية للعالم كله، الذي وقف شاهداً ومدافعاً للحق الكويتي وارجاع الحق الى اهله. ولن أنسى اليوم التاريخي، الذي زارنا فيه الرئيس جورج بوش في مجلس الامة الكويتي، وتم عقد جلسة خاصة لاستقباله والترحيب به مع زوجته السيدة باربرا بوش، حيثلقى الرئيس أحمد السعدون كلمة ترحيبية، وألقى النائب الشاعر طلال السعيد قصيدة باسم الرئيس بوش، نالت استحسان الجميع بمن فيهم الرئيس الأمريكي نفسه.

رحم الله الرئيس جورج بوش الاب وزوجته باربرا وكل من استشهد دفاعاً عن الكويت من الجنود والمدنيين برحمته التي تسع جميع الخلق.

وسيبقى اسم الرئيس بوش والدول المناصرة للكويت خالداً في ذاكرة الكويتيين الى الأبد، حيث عادت الكويت دولة عزيزة وكريمة تؤدي دورها في هذا العالم الواسع.

بصمات لا تنسى لجورج بوش الأب

*ألبرت هنت

(واشنطن بوست) و(بلومبيرغ نيوز سيرفز) : ٢٠١٨/١٢/٤

قد يحتاج التاريخ لبعض الوقت قبل أن يصدر أحكامه، لكن الإطار العام هو جورج هربرت واکر بوش. في السياسة الخارجية تحديداً، فإن إنجازات الرئيس رقم ٤١ للولايات المتحدة، المعروف باسم «بوش ٤١» ليسهل تمييزه عن ابنه جورج واکر بوش رقم ٤٣، باتت معروفة ومعترفاً بها من قبل الجميع. لكن ما يمنع من اعتباره أحد أهم الرؤساء الأمريكيين هو عدم فوزه بفترة رئاسة ثانية، ذلك لأن المؤرخين المعروفين يجدون صعوبة في تصنيف الرؤساء الذين تولوا مناصبهم لفترة واحدة فقط.

يحتفي أعضاء الحزبين الديمقراطي والجمهوري على حد سواء ببوش الذي ينتمي للحزب الجمهوري لسحره ونزاهته. فقد كان رجلاً شاملاً ولم يكن لديه وقت للتفكير في خصومه وكرهيه، وهو ما يفسر انعدام الاحترام المتبادل بين عائلتي بوش وترمب. فعائلة بوش التي يقودها نجل الرئيس الراحل، جورج دابليو بوش، الرئيس رقم ٤٣ في تاريخ الولايات المتحدة، حتماً ستقلل من قيمة أي دور يؤديه ترمب في الترتيب لجنازة الرئيس الراحل. لكن مع مرور الوقت، بدأ التقدير الكبير لإنجازات الرئيس تتجلى بدرجة أكبر مما كانت عليه عندما غادر البيت الأبيض عام ١٩٩٣. فقد أدار هو ووزير خارجيته جيمس بيكر عملية تفكيك الاتحاد السوفياتي وإنهاء الحرب الباردة بمهارة كبيرة.

حصل بوش على الدرجة النهائية في حرب الخليج الأولى عام ١٩٩١ عقب الغزو العراقي للكويت، بعدما حشد قوات التحالف الدولي لإجبار صدام حسين على الخروج من الكويت، لتخور قوى صدام بعدها، وبعد ذلك رحلت القوات الأمريكية عن المنطقة. لكن من الصعب مقارنة تلك الحالة بما فعله ابنه بعد عشر سنوات، عندما أزاحت الولايات المتحدة صدام حسين قبل أن تحتل العراق.

يعتبر فريق سياسته الخارجية، الذي ضم بيكر ووزير الدفاع ديك تشيني ومستشار الأمن القومي برينت سكوكرافت، الأفضل أداءً في التاريخ الحديث. وكان ذلك تنويجاً لمرحلة إعداد دامت عقوداً كثيرة إلى أن أصبح بوش الرئيس المسؤول عن السياسة الخارجية لبلاده، بدءاً من الفترة التي كان فيها ضابطاً في القوات الجوية في الحرب العالمية الثانية.

وكان «قانون الإعاقة» الذي أيدته وصدق عليه بوش عام ١٩٩٠ أهم قانون جرى سنه في البلاد خلال ربع قرن كامل. ويجادل كثير من خبراء الاقتصاد بأن الفضل في الرخاء الذي عم البلاد في عهد كلينتون يعود إلى موافقة بوش على حزمة الإجراءات الخاصة بتقليص عجز الموازنة العامة عام ١٩٩٠. فقد قلص ذلك من النفقات ورفع الضرائب، ما أدى إلى إثارة غضب الجمهوريين المحافظين، وهو ما قد يكون سبباً في ضياع الفترة الرئاسية الثانية. لكن عام ٢٠١٤، كان لتلك القرارات الفضل في منحه جائزة جون كيندي في الشجاعة.

ولد بوش في ولاية كنيديكييت لأب عضو في الكونغرس هو بريسكوت بوش، وانتقل لاحقاً إلى تكساس ليحظى كثيراً من المال من صناعة البترول، وفاز مرتين في انتخابات مجلس النواب، لكنه خسر في انتخابات مجلس الشيوخ. شغل مناصب سياسية ودبلوماسية عليا في عهد الرئيس ريتشارد نيكسون، ثم خسر كمرشح جمهوري في الانتخابات الرئاسية أمام رونالد ريغان قبل أن يصبح نائباً مخلصاً له.

من أكثر المواقف التي تركت أثراً في حياته كانت علاقته بخصومه السياسيين. ففي عام ١٩٨٤، دخل في مناظرة سياسية مع عضو الحزب الجمهوري جيرالدين فيرارو، أول سيدة ترشح لذلك المنصب، لكنهما لاحقاً أصبحا صديقين مقربين. وكانت آخر مكاملة هاتفية لها قبل وفاتها بمرض السرطان مع بوش، وخلال تلك المكاملة اعترفاً بحب بعضهما بعضاً.

*كاتب عمود في صحيفة بلومبيرغ

رحيل جورج بوش الأب

*جهاد الخازن

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/١٢/٤

توفي الرئيس جورج بوش الأب في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) عن ٩٤ عاماً فكان المعمر الأول بين رؤساء الولايات المتحدة. هو دخل البيت الأبيض رئيساً سنة ١٩٨٩ وخدم ولاية واحدة قبل أن يهزمه بيل كلينتون.

هو أنجز الكثير في أربع سنوات فقد أصدر قانون الميزانية سنة ١٩٩٠ وحرر العمل في الطاقة وأصدر قانون المزارع وأيضاً قانون الجريمة، وفي سنة ١٩٩١ صدر له قانون الحقوق المدنية وقانون الأمريكيين المعاقين، كما وضع أهدافاً للإنجاز القومي بينها الدراسة وقوانين لحماية الطفولة.

أهم من كل ما سبق لكاتب عربي مثلي كان تحرير الكويت، فقد دخلت قوات صدام حسين بلداً أحبه وأحب أهله من رجال الحكم حتى المواطنين العاديين في ٢ آب (أغسطس) ١٩٩٠ وسيطرت عليه في يومين. كان الرئيس بوش في كامب ديفيد عندما احتلت الكويت فقطع إجازته وعاد الى البيت الأبيض وهو يقول: هذا الوضع لن يستمر. هذا الوضع لن يستمر. هذا عدوان على الكويت.

عملية تحرير الكويت بدأت في ٢٤ شباط (فبراير) سنة ١٩٩١ واستمرت مئة ساعة فقط طردت خلالها القوات العراقية من الكويت. في تلك العملية السريعة قتل حوالي ٢٠ ألف جندي عراقي و١٤٨ جندياً أمريكياً وعدد من جنود التحالف الدولي.

الرئيس بوش الأب قاد تحالفاً دولياً لتحرير الكويت ضم قوات مصرية وسعودية وسورية. صدام حسين زعم أن الكويت والامارات العربية المتحدة تجاهلتا حدود الإنتاج للدول الأعضاء في أوبك ما كلف العراق ١٤ بليون دولار، كما أن الكويت، حسب مزاعم الرئيس العراقي في حينه، أنتجت النفط من بئر متنازع عليها بين البلدين. هو طلب أيضاً من الكويت أن تلغي ديوناً لها على العراق بحوالي ١٥ بليون دولار تجمعت والعراق يحارب ايران في الثمانينات. بعد تحرير الكويت كانت هناك دعوات أمريكية وعالمية أن يستمر بوش في حربه على العراق للإطاحة بصدام حسين، إلا أنه لم يفعل، وإبنة الرئيس جورج بوش الابن أطاح بصدام حسين سنة ٢٠٠٣، وكان وراء الحرب المحافظون الجدد من أنصار اسرائيل، وبينهم جون بولتون، مستشار الرئيس دونالد ترامب للأمن القومي الآن.

كانت قيادة قوات التحالف معقودة للجنرال الأمريكي نورمان شوارتزكوف والجنرال السعودي خالد بن سلطان بن عبدالعزيز وعملاً معاً لتحرير الكويت. كنت في تلك الأيام رئيس تحرير «الحياة» وأجريت مقابلة للأمير خالد وأخرى لشوارتزكوف في مبنى وزارة الدفاع السعودية ونشرتهما «الحياة» في صفحتها الأولى.

أكرر اليوم للقارئ قصة رويتها بعد التحرير فقد كان وزير خارجية الكويت في حينه الشيخ صباح الأحمد الصباح صديقاً عزيزاً رأيته مرات عدة، وحاولت مساعدته وهو يشارك في جمع التحالف لتحرير بلده.

بعد التحرير ذهبت معه الى قصر بيان وقابلت الأمير الشيخ جابر الأحمد الصباح. بدا الأمير محبطاً وقلت له إننا حررنا الكويت ولا أدري سبب استيائه. قال لي إن محمد باقر الحكيم، رئيس حزب الثورة الإسلامية في العراق، كان يجلس في مقعدي قبل ساعة طالباً المساعدة، وأضاف الأمير أن ضيفه العراقي أساء الأدب وأسمعه كلاماً غير لائق. الأمير قال: ماذا سيحدث لنا لو استطاع هذا الرجل تحرير العراق من صدام حسين؟ قلت للأمير إننا حررنا الكويت وعليه أن يحذر صدام دائماً وأعداءه داخل العراق وخارجه. كانت أياماً طيبة بعد التحرير، ولا تزال علاقتي بالشيخ صباح الأحمد متينة ومباشرة.

khazen@alhayat.com

«بوش الأب».. والإقرار بخطر «اليمن»

*ماكس بوت

صحيفة (واشنطن بوست) : ٢٠١٨/١٢/٤

من الصعب تخيل أن يكون هناك تباعد بين شخصيتين أكثر مما بين جورج بوش الأب، الرئيس الحادي والأربعين للولايات المتحدة، ودونالد ترامب، الرئيس الخامس والأربعين للولايات المتحدة. فلا يشترك الرجلان في أي شيء تقريباً فيما عدا تنشئتهما المميزة والعضوية في الحزب «الجمهوري». فقد تطوع بوش أثناء الحرب العالمية الثانية في البحرية في عمر الثامنة عشرة. لكن ترامب حصل على تأجيل خمس مرات من قرعة التجنيد، ما جعله بعيداً عن الحرب في فيتنام. وشغل بوش سلسلة طويلة من المناصب الحكومية بالتعيين والانتخاب قبل أن يصبح رئيساً للبلاد مما جعله أكثر الرجال الذين شغلوا المنصب دراية. أما ترامب، فليس لديه خبرة في العمل الحكومي. وبوش كان يكره استخدام الحديث بضمير المتكلم على عكس ما يرغب فيه ترامب. فكيف انتقلنا في ربع قرن من الرئيس بوش الأب إلى الرئيس ترامب؟ جزء من الإجابة يمكن العثور عليه في سنوات بوش. وتأمل الماضي يجعلنا نرى بالفعل تجمع العاصفة التي ستحمل ترامب إلى البلاد.

فقد كان بوش أكثر الرؤساء الذين تولوا فترة رئاسية واحدة نجاحاً في تاريخ البلاد.

وأشرف على الانتصار في حرب الخليج والنهاية السلمية للحرب الباردة وتوحيد ألمانيا، وهي إنجازات يبدو جميعها لنا اليوم مفروغا منها لكن كان من الممكن بسهولة أن تكون النتائج أقل سعادة بكثير. إلا أن بوش لم يحظ بأي حب من اليمين. ولم ير المحافظون في بوش واحداً منهم وبلحول نهاية فترة ولايته انقلبوا ضده.

فقد انهار الارتباط بين بوش الأب و«اليمن» في عام ١٩٩٠. فقد كان الرئيس عازماً على تقليص العجز المتزايد في الموازنة الذي ورثه عن رونالد ريجان وتزايد بسبب الحاجة إلى انتشار مؤسسات الادخار والإقراض الفاشلة. ومع مضي البلاد نحو حرب تحرير الكويت، أراد بوش الأب ضبط مالية أمريكا. لكن بوش وعد من دون تبصر عام ١٩٨٨ بعدم زيادة الضرائب. وكان يعلم أنه سيدفع ثمناً لنكته بوعده، لكنه أصر على القيام بهذا لخير البلاد.

ودعم «نيوت جينجريتش»، ثاني أبرز «الجمهوريين» في مجلس النواب، في بداية الأمر فيما يبدو، صفقة إنفاق تجعل الزيادة في الضرائب تستهدف الوقود والكحول ومنتجات أخرى. لكن جينجريتش تراجع فيما بعد. وأحبطت المعارضة من «الجمهوريين» المحافظين و«الديمقراطيين» الليبراليين الصفقة مما أدى لتعطل أعمال الحكومة مؤقتاً. لكن بوش تفاوض من جديد، ووافق على زيادة صغيرة في الضرائب على أعلى شريحة من الدخل ليرفعها من ٢٨٪ إلى ٣١٪. وتمسك «جمهوريون» بالرفض لكن هذه المرة توافر ما يكفي من أصوات «الديمقراطيين» لإقرار الصفقة.

ومن المنظور المالي المحافظ، كانت صفقة عام ١٩٩٠ نجاحاً مثيراً للغضب. وأشار المؤرخ الأمريكي «بروس بارتليت» أن «الصفقة النهائية قلصت الإنفاق ٣٢٤ مليار دولار على مدار خمس سنوات وعززت العائدات ١٥٩ مليار دولار». وفي غضون ثمانية أعوام، تحول العجز البالغ ٣٧٦ مليار دولار إلى ١١٣ مليار دولار من الفائض في الموازنة.

لكن المحافظين لم يغفروا لبوش الأب عقوقه قط. وساعدت معارضة جينجريتش لصفقة الميزانية واحتقاره بصفة عامة للتوافق بين الحزبين أن يصبح في عام ١٩٩٤ أول رئيس لمجلس النواب من «الجمهوريين» في ٤٠ عاماً.

وكانت زيادة بوش الأب للضرائب جزءاً من الأساس المنطقي الذي اعتمد عليه «باتريك بوكانان» في ترشيحه في حملة الانتخابات الرئاسية الأولية في الحزب «الجمهوري» التي أثبتت أنها مدمرة أكثر مما توقع أي أحد. فقد فاز «بوكانان» بأصوات في نيوهامبشير بلغت ٣٧,٥٪ بما كان يكفي ليخرج شاغل المنصب. وحصل على مساحة وقتية بارزة في المؤتمر «الجمهوري» ألقى فيها خطاباً عن «الحرب الثقافية» حمل فيه على المعتدلين والمستقلين.

وأشار الصحفي «جيف جرينفيلد» إلى أن كثيراً من الأفكار التي تناولها «بوكانان» عام ١٩٩٢ كانت شبيهة بأفكار ترامب عام ٢٠١٦. وكان «جورج ويل» من «واشنطن بوست» قد أشار بعد صعود ريجان، أن المرشح الرئاسي «الجمهوري» باري جولدووتر فاز عام ١٩٦٤، لكن كل ما في الأمر أن «إحصاء الأصوات استغرق ١٦ عاماً». وفاز بوكانان بالمثل عام ١٩٩٢ وكل ما في الأمر أن إحصاء الأصوات استغرق ٢٤ عاماً.

وشهد بوش الأب ما كان يحدث وأثار رعبه. وأورد في مذكراته أن «اليمنيين» إذا استولوا على الحزب «الجمهوري»، سيدمرونه.

أما الآن وقد سيطروا على الحزب، فمن المستحيل تخيل أن يرشح الحزب رجلاً يضع الولاء للبلاد فوق الولاء لعقيدة الجناح اليميني. ومع وفاة جون مكين ونعي وفاة وطني خدم قضية أكبر منه وتتحسر على أنه لم يتبق إلا القليل جداً مثله.

* باحث في دراسات الأمن القومي في «مجلس العلاقات الخارجية» البحثي.

الفلسفة والنهضة

*إبراهيم غرايبة

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/١٢/٤

في المحاضرة التي قدمها د. وجيه قانصوه وعقدتها منظمة النهضة والديمقراطية بمناسبة اليوم العالمي للفلسفة كان السؤال الأساسي (والأزلي أيضا) عن العلاقة بين الفلسفة والنهضة“ هل الفلسفة تؤشر إلى النهضة، بمعنى أنها منتج حضاري واجتماعي يؤشر إلى مستوى الوفرة والتقدم لدى أمة من الأمم، مثلها مثل العمارة والموسيقى والشعر... أم هي مدخل أساسي وضروري للنهضة“ بمعنى أن النهضة لا تعمل إلا بمشروع فلسفي يطلقها، لكن كيف تتشكل فلسفة النهضة من غير نهضة؟

الحال أن الفلسفة بمعنى السؤال والبحث عن الإجابة والحكمة هي عمليات قائمة ومستمرة في كل الأمم والمجتمعات (تقريبا) فالأفراد والجماعات تملك على الدوام أسئلتها وفي ذلك تنشئ فلسفتها، وهي (الفلسفة) كما الدين والشعر والموسيقى والعمارة والفنون والآداب تعكس وعي الذات، وتقيس على نحو دقيق مستوى التقدم كما الأزمة التي تعيشها أمة من الأمم، كما أنها لا تنشئ النهضة والتقدم على نحو تلقائي، بل إنها يمكن أن تكرر التخلف والفساد والاستبداد، وتمنحها القوة والتماسك والحجج المنطقية والمعرفية، وبالطبع فقد نظرت هنا إلى الجانب العملي والتطبيقي للفلسفة بما هي أدواتنا المعرفية لإنتاج المعنى لحياتنا، ولتنظيم علاقاتنا الداخلية والخارجية، وليس الفلسفة بمعناها التأملي وجهدها المستقل بذاته ولذاته لأجل إدراك حقائق الأشياء! وهنا فقط يغلب عليها أنها تتشكل في بيئة متقدمة اقتصاديا واجتماعيا وعلميا!

لكن أيضا وفي هذا الإطار المحدد للفلسفة فإن شعوبا ومجتمعات تبدو من وجهة نظرنا "بدائية" ولا تسود فيها قراءة وكتابة كانت قادرة على إنتاج أسئلة وتأملات عميقة في الحياة، كما أنشأت (وهذه حالة واضحة ومجمع عليها) خبرات ومعارف متقدمة في الحياة والبيئة والطبيعة، أنظر على سبيل المثال خبرات ومعارف الأفراد والجماعات في الصحارى والشواطئ والغابات بالطرق والآثار والبحار والأنهار والطبيعية والنباتات والكائنات الحية على نحو يتفوق على ما لدى العلماء والباحثين والجامعات ومراكز الدراسات المتقدمة.

يقول كلود ليفي شتراوس، أستاذ علم الإنسان (الانثروبولوجي) ورائد النظرية البنيوية بعد دراسة طويلة للجماعات التي لا تكتب، أو تلك التي ما تزال تعيش كما كانت الحياة قبل الكتابة، أنها شعوب قادرة على التفكير تفكيرا منزها عن الهوى“ أي أن أفرادها يتحركون من خلال الحاجة أو الرغبة في فهم العالم المحيط بهم“ وليس تفكيرا نفعيا. وهم يتقدمون من خلال وسائل عقلية، بالضبط كما يفعل فيلسوف أو عالم. يستطيعون ذلك، ويطمحون إليه أيضا، ولديهم معرفة دقيقة ببيئتهم ومواردهم. كما أن معارفهم عن الصحارى والنباتات والحيوانات والمناخ والأنهار والبحار متقدمة جدا، وتفوق في كثير من الأحيان ما توصل إليه العلماء والباحثون المتخصصون.

لقد كانت الفلسفة هي بداية الفعل المعرفي للإنسان، وعنها انبثقت جميع المعارف والعلوم والأفكار والاتجاهات المعرفية والتكنولوجية، والفلسفة هي جذر شجرة العلم والمعرفة، إنها السؤال أو مبتدأ المعرفة ومحاولة إدراك حقائق الوجود والحياة والأشياء والموت، وفي تاريخ الأفكار فقد جاء الدين منظومة الحقائق والإجابات والسلوك التي عجزت الفلسفة عن الوفاء بها، ثم وفي العلاقة بين الفلسفة والدين نشأ التنظيم الاجتماعي، القرى والمدن والحكم والاقتصاد والإدارة والحروب والصراعات (الحروب منتج حضاري متقدم ولا تكون إلا في ظل التقدم!).. ثم نشأت الكتابة لتنظيم المجتمعات والموارد والتعبير عن الأفكار والمشاعر المتشكلة في التنظيم والارتقاء، ثم كانت العلوم والتكنولوجيا وصارت جذع شجرة المعرفة أو عمودها الفقري، وفي ما أنشأته من تقدم وازدهار نشأت الفنون والآداب والعمارة والموسيقى تعبيرا عن الاستيعاب المعرفي للحياة ولتطويرها نحو التمييز بين القبيح والحسن، وفي تراكم التجارب ومراجعتها كان التاريخ، ثم الفلسفة من جديد!

«تصميم المستقبل».. بين الواقع والخيال

*مينا العربي

التطورات العالمية السريعة لا تسمح بضیاع الوقت

صحيفة (الشرق الاوسط) : ٢٠١٨/١٢/٤

«تصميم المستقبل» هذا هو التعبير الذي يستخدمه وزير شؤون مجلس الوزراء والمستقبل الإماراتي محمد القرقاوي، في الحديث عن التخطيط الحكومي في دولة الإمارات العربية المتحدة. وهذا التعبير ليس شعاراً بل وصف واقعي لما تقوم به دولة الإمارات، وما تتطلبه أي دولة تتطلع إلى مستقبل مزدهر ومستقر.

«تصميم المستقبل» تعبير فيه طموح ووعي بأن كل ما نقوم به اليوم سيحدد الغد. وهو يتطلب عدداً من الخطوات الملموسة، على رأسها التفكير الاستراتيجي وبعيد الأمد. فعلى سبيل المثال الإمارات لديها خطط ملموسة تصل إلى عام ٢٠٧١، مئوية البلاد - وتشمل جميع نواحي العمل الحكومي والتخطيط لقطاعات مثل الصحة والتعليم والاقتصاد وتوفير الطاقة. وكانت هذه قضايا مطروحة على اجتماعات الحكومة الإماراتية الأسبوع الماضي في أبوظبي بحضور أهم ٥٠٠ شخصية حكومية في البلاد شملت يومين من النقاشات وورش العمل من خلال ٣٥ مجلساً. ورش عمل تجمع بين القطاعات والدوائر المختلفة للتنسيق وتصميم المستقبل.

هذا مثال حي على ما تتطلبه مسؤولية الحكومة في عصرنا الحاضر. المطلوب من القيادي اليوم أن يعمل كمهندس لهندسة مجالات مختلفة استعداداً للمستقبل، وأن يتمتع بنظرة استراتيجية ثابتة، بالإضافة إلى استطاعته أن يقنع من يعمل معه والشعب بشكل أوسع بما يقوم به. إنها خصال أساسية للنجاح في المستقبل البعيد. ولكنها نادراً ما تكون متوفرة.

في الوقت الراهن، نرى المسؤولين في غالبية الحكومات - وليست فقط العربية - يحرصون همهم في التخطيط القصير الأمد، سعياً للحصول على مكاسب محدودة ولكن سريعة. لا شك أن الدول التي تُجري انتخابات وتشكل حكومات بناءً على تحصيل انتخابي لديها تركيبة مختلفة من تلك التي تعتمد على التعيينات. ولكن في الواقع، الانتخابات في دول مثل العراق ولبنان لا تؤدي إلى تولي أفضل من يتم انتخابه حقيبة وزارية، بل تؤدي إلى تقوية أحزاب معينة تدفع بمرشحيها للحصول على حقائب وزارية غالباً ما تخدم مصلحة الحزب على مصلحة الوطن. بالطبع لا يمكن التعميم في ما يخص دور الحكومات وسلوكياتها، إذ نظام الحكم لكل دولة مختلف، كما أن متطلبات كل دولة وشعبها فيها خصوصية. ولكن هناك أسساً لعمل أي حكومة، وهي مرسّخة في خدمة الشعب ودفع الدولة إلى أعلى مرتبة ممكنة.

والدول العربية ليست الوحيدة التي تواجه تحديات في تشكيل وعمل حكوماتها. خلال الأسبوع الماضي، خسرت رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماي، سابع وزير من حكومتها بسبب خلافات عميقة داخل الحزب الحاكم حول خروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي «بريكست». وعلى الرغم من أن تقييم الحكومة نفسها وتقييم بنك

إنجلترا المركزي أن «بريكست» سيضر الدولة، فإن ماي لا تجرؤ على اتخاذ خطوة شجاعة مبنية على «تصميم المستقبل» والتخلي عن خطة الخروج من الاتحاد الأوروبي بحلول مارس (آذار) المقبل.

هناك إطار عالمي يمكن لأي دولة تبنيه للعمل على بناء المستقبل، وهو إطار «أهداف التنمية المستدامة» الذي اتفقت دول العالم على تحقيقه بحلول ٢٠٣٠ عبر آلية الأمم المتحدة. ومن أهم تلك الأهداف كيفية مكافحة التغيير المناخي ومكافحة الفقر المدقع وتحقيق المساواة في المجتمعات. وبينما وضعت ضوابط لكيفية تحقيق تلك الأهداف، نجد أن العامل الأساسي لتحقيقها يرتكز على عزيمة كل دولة لتحقيق هذه الأهداف.

التطورات العالمية السريعة لا تسمح بضياح الوقت - من حيث تحقيق أهداف التنمية المستدامة أو تحقيق طموحات الشعوب. وعلى رأس تلك التطورات الثورة التي تُحدثها التقنيات المتعلقة بالذكاء الصناعي. في الوقت الراهن، الولايات المتحدة والصين تتصدران الذكاء الصناعي من حيث البرمجة والتطوير التقني. الصين اليوم مسؤولة عن ٤٢٪ من الإنفاق في تلك التكنولوجيا، بينما تتقدم في تطوير صناعات أخرى تضمن موقعها كقوة قيادية ليس فقط بسبب الحجم السكاني والاقتصادي. فعلى سبيل المثال، تنتج الصين اليوم ٤٠٪ من الطاقة الشمسية في العالم، وتنوي تطوير تلك التقنيات لتقلل اعتمادها على المشتقات النفطية. التغييرات التي نشهدها بالطبع ليست حكرًا على القطاع العام أو على العمل الحكومي. فالقطاع الخاص أيضاً يشهد تقلبات تتطلب قيادة حكيمة وقادرة على إدارة هذه التغييرات. على سبيل المثال، قبل ٢٠ عاماً، كانت الشركات العشر الكبرى في العالم هي شركات الصيرفة والنفط. اليوم الشركات العشر الكبرى جميعها شركات متعلقة بالتكنولوجيا والعالم الرقمي مثل «غوغل» و«فيسبوك». من اللافت أنه في دولة الإمارات هناك حديث مكرر عن التغييرات الاقتصادية التي أدت إلى تغييرات اجتماعية مهمة في تاريخ البلاد. فعلى سبيل المثال، اندثار تجارة اللؤلؤ في الإمارات بسبب تقنيات اللؤلؤ الصناعي في اليابان كان سيغيّر مستقبل دولة الإمارات لولا اكتشاف النفط. اللؤلؤ الصناعي قضى على آلاف الوظائف الإماراتية واضطرت الدولة قبل عقود إلى إعادة تأهيل كوادرها وخططها. واليوم التخطيط لمرحلة ما بعد النفط، التي لن تأتي إلا بعد عدة عقود، ولكن تصميم المستقبل يعني الاستعداد لتلك المرحلة.

«تصميم المستقبل» يحتاج إلى الشباب وأيضاً إلى من يحمل الخبرة الكافية لمعرفة ما هي القضايا الجوهرية التي يجب التركيز عليها، وما هي القضايا الأشبه بـ«الصرعة» التي سيخفت نجمها سريعاً.

الرؤية البعيدة الأمد هي ما تمتع بها الشيخ زايد، رحمه الله. ومع اقتراب انتهاء «عام زايد»، وهي تسمية عام ٢٠١٨ في الإمارات - إحياءً لذكرى الشيخ زايد تزامناً مع مئوية ميلاده - تعمل قيادة دولة الإمارات لإبقاء روح القيادة والطموح والتفكير في المستقبل في صلب عمل الدولة. ومن الإنجازات التي حققتها دولة الإمارات هذا العام تسمية جواز سفر دولة الإمارات جواز السفر الأقوى في العالم، حيث إن حامل جواز السفر الإماراتي يتمتع بميزات أفضل من أي دولة أخرى، بما في ذلك دخول ١٦٧ دولة دون تأشيرة مسبقة - ١١٣ دولة دون تأشيرة دخول مسبقة، و٥٤ تأشيرة عند الوصول إلى البلد. هذا مثال آخر على قدرة تصميم المستقبل من خلال مبادرات ملموسة وعمل دؤوب ورؤية ثابتة.

التجاذب الروسي - الأمريكي من بحر آزوف إلى شرق الفرات

*د. خطار أبودياب

صحيفة (العرب) اللندنية: ٢٠١٨/١٢/٤

انطلاقاً من موسكو وبناء على اللقاءات التي حصلت بين ترامب وبوتين، يسود الاعتقاد أن أزمة أوكرانيا لا تشكل أولوية في حسابات البيت الأبيض.

أتى القرار الأمريكي المتخذ في آخر لحظة بإلغاء القمة المرتقبة بين الرئيسين دونالد ترامب وفلاديمير بوتين على هامش قمة العشرين في الأرجنتين (٣٠ نوفمبر - ١ ديسمبر) ربطاً بتطورات الأزمة الأوكرانية، ليؤكد على صعوبة احتواء التوتر بين واشنطن وموسكو وعلى احتدام مواجهات بالوكالة أو عبر الوجود المباشر للطرفين.

من الجبهة المستحدثة بين موسكو وكيبف في مضيق كيرتش الذي يفصل البحر الأسود عن بحر آزوف الحيوي بالنسبة لشرق أوكرانيا، إلى منطقة شرق الفرات في سوريا التي تتمركز فيها قوات أمريكية وتشكل رافعة لسياسة واشنطن حيال الملف السوري، ترتسم خطوط تماس وهمية أو حقيقية في إدارة الرئيس بوتين للأزمات على صفيح ساخن، وكيفية الرد الأمريكي في سعي لكبح المد الروسي من دون الوصول لصدام مباشر.

ينعكس كل ذلك على جعل حلول الأزمات أكثر تعقيداً إذ يزيد من تصعيد لقوى إقليمية كما في الحالة السورية، أو يبين في الحالة الأوكرانية الانقسام الأوروبي أو الانكشاف الاستراتيجي للقارة إزاء "الحماية الأمريكية". ويمكن للجُمود أو الاستعصاء دون وجود آليات فعّالة لحل النزاعات أن يقودا إلى مفاجآت أو تصعيد أو خروج عن السيطرة في مناخ التخبط الدولي السائد.

تترابط الأزمات داخل "أوراسيا" التي تبقى منطقة مركزية في تقرير السيطرة على العالم. ورغم أن العودة الروسية إلى المسرح الدولي بدأت في نزاع مع جورجيا في صيف ٢٠٠٨، لم يتأكد الصعود الروسي إلا مع ضم شبه جزيرة القرم في ٢٠١٤ ولم يكن ذلك ليحصل لولا الاختراق الروسي على الساحة السورية وفي شرق المتوسط منذ ٢٠١٢. ومما لا شك فيه أن هذا التقدم الروسي ارتبط بتغيير في الأولويات الأمريكية انتهزه "القيصر الجديد" خلال حقبة باراك أوباما وإبان بدايات إدارة ترامب التي عطل شبح "روسيا غيت" من صياغة سياسة واضحة ومتماسكة حيال الأزمات التي تنخرط فيها موسكو.

انطلاقاً من موسكو وبناء على اللقاءات التي حصلت بين ترامب وبوتين، يسود الاعتقاد أن أزمة أوكرانيا لا تشكل أولوية في حسابات البيت الأبيض، وأن السياسة الأمريكية في سوريا لم تشهد تغييراً ملموساً عما كانت عليه أيام الإدارة السابقة. ولذا استمر اندفاع بوتين لتسجيل المزيد من النقاط مع محاولة المزيد من القضم في الجوار الروسي المباشر والمزيد من النفوذ في الشرق الأوسط والخليج.

منذ سبتمبر الماضي تُوّشّر العديد من المعطيات إلى توترات ميدانية (المبارزة بالمناورات بين روسيا والنااتو، العقوبات الأمريكية ضد إيران والحروب بالوكالة أو الحروب السيرية واستمرار تفكيك الدول) والانقسامات الناتجة عن تصدع العولمة حول ملفات التجارة والتغير المناخي.

وكان من اللافت عودة سباق التسليح بشكل غير مسبوق في الفضاء والبحر وطبعاً في البر. وقد أدى التوتر في العلاقات الدولية لعودة الحديث عن احتمالات الحرب النووية، ووصل الأمر ببوتين للقول "إن روسيا قادرة على الرد المناسب على أي عدوان نووي عليها ولو تعرض الروس للإفناء وصعدوا إلى الجنة". وإذا كان البعض يُدرج ذلك في سياق التهويل، لكن ربما يذهب رجل روسيا القوي بعيداً كي يتجنب هزيمة مماثلة لما جرى مع الاتحاد السوفييتي السابق بعد منتصف الثمانينات. وهذه القراءة لطبيعة الصراعات وارتباطها بتطور الرأسمالية يمكن أن تتقاسمها الصين التي تستفيد ملياً من مكاسب العولمة وأخذت تخشى من ردود الفعل الأمريكية لمنع التحول لصالح آسيا بالإجمال.

بناء على هذه المقاربة الحذرة للعلاقات الدولية والتنافسية المحمومة، يبدو كأن فلاديمير بوتين في سباق مع الزمن لتحقيق اختراقات إضافية عبر تحركات استباقية. وفي هذا السياق يمكن تفسير ما حصل الأسبوع الماضي في مضيق كيرتش قبالة شبه جزيرة القرم. وقيام القوات الروسية على إثر ذلك باحتجاز ثلاث سفن أوكرانية. وكان الرئيس الأوكراني قد حذر منذ أسابيع من تحول بحر آزوف إلى بؤرة توتر تمهد لقيام روسيا بضم شرق أوكرانيا كما حصل مع القرم. ويحاكي ذلك بشكل غير مباشر تحذير الرئيس الروسي لأوكرانيا من ملاقة مصير جورجيا إذا تجرأت وردت على حادث مضيق كيرتش.

بالطبع يمكننا أن نعتبر ذلك نزاعاً حول القانون البحري خاصة أن ممر كيرتش هو الرابط الوحيد بين البحر الأسود وبحر آزوف، وعبره فقط يمكن الوصول إلى الميناءين الأوكرانيين المهمين ماريوبول وبيرديانسك. ومنذ ضم شبه جزيرة القرم، في ٢٠١٤، تراقب روسيا المضيق البحري من الجانبين، ما يصعب حركة المرور بالنسبة إلى السفن الأوكرانية. وظهرت انعكاسات المراقبة الروسية بعد إنجاز منشآت جسر القرم في مايو ٢٠١٨. فالقنطرة تربط اليابسة الروسية بشبه جزيرة القرم. وتفرض سلطات الأمن الروسية إجراءات تفتيش على السفن الأوكرانية قد تستمر أحياناً لأيام، كما أن الحرب في منطقة دونباس تتسبب في متاعب إضافية للموانئ الأوكرانية.

هكذا أبرز التصعيد الأخير جدلاً حول خرق القانون البحري الدولي على ضوء اتفاقية القانون البحري الدولية المبرمة في ١٩٨٢ والتي انضم إليها البلدان في ١٩٩٠. وفي الوقت الذي تشدد فيه أوكرانيا على حرية التنقل في مضيق كيرتش وكذلك في بحر آزوف، يحاول الجانب الروسي وضع حدود إقليمية استناداً إلى ضم القرم. لكن يوجد أيضاً بين البلدين اتفاق ثنائي حول الاستخدام الحر لممر كيرتش وبحر آزوف. وهذا الاتفاق تستند إليه أيضاً كييف، كما أن موسكو لم تلغ العمل به أبداً. وهذا يزيد من تعقيد الموقف.

على الأرجح انطلق بوتين في تصعيده من قراءة موقف ترامب غير المبالي بالموضوع الأوكراني وربما فتش على فرض وقائع جديدة عشية قمة الأرجنتين وإجراء مفاوضات عليها مع "صديقه الشخصي" ترامب. لكن حسابات المؤسسات في واشنطن لم تتطابق مع تخمينات روسية ما أودى بالقمة في أدرج الرياح. وعلى صعيد كييف ربما أراد الرئيس الأوكراني تغيير موازين القوى الداخلية قبل أشهر من انتخابات رئاسية صعبة بالنسبة له، ويمكن أن تلغيها أو تؤجلها أحكام عرفية استدعتها العملية الروسية.

الحسابات الخاطئة تظهر أيضاً على المسرح السوري أيضاً، إذ راهن بوتين على الاستمرار في التحكم بغالبية اللعبة من خلال تقاطعاته الإقليمية والدولية. لكن القرار الأمريكي في البقاء عسكرياً في شرق الفرات إلى أجل غير مسمى، والضربات الإسرائيلية ليلة ٢٩ نوفمبر، بالإضافة إلى فشل الجولة الحادية عشرة من مسار أستانة، تؤشر إلى مصاعب كبيرة ترتسم أمام الدور الروسي.

ومن المفترض أن التصعيد الروسي في الأزمة الأوكرانية لن يسهل التفاهم مع واشنطن في ملفات دولية أخرى أبرزها الملف السوري. وكان لافتاً استغلال إسرائيل السريع للخلل الأمريكي - الروسي وقيامها بعد ٧٥ يوماً من الاستنكاف على شن غارات وضربات ضد أهداف إيرانية - روسية ما يعني عدم احترام قيود فرضتها موسكو بعد إسقاط طائرة روسية في سبتمبر الماضي. وضمن مناخ التجاذب الأمريكي - الروسي اعتبرت واشنطن أن "مؤتمر أستانة أدى إلى مأزق في سوريا" بعد الفشل في التوافق على تشكيل اللجنة الدستورية والوصول إلى طريق مسدود في مسار قاداته روسيا. وهذا الخطاب الجديد والتمركز العسكري في شرق الفرات يعنيان نهاية عملية لتفاهمات لافروف - كيري وفتح صفحة جديدة من الصراع في سوريا وحولها.

يقول منظر الفلسفة الروسية الجديدة ألكسندر دوغين أن "معركة الروس من أجل السيادة على العالم لم تنته بعد" ويوضح نظريته على أساس أنه "لا معنى لوجود الشعب الروسي كجماعة تاريخية عضوية بدون إبداع قاري يقوم على بناء الإمبراطورية. ولن يغدو الروس شعباً إلا في إطار الإمبراطورية الجديدة. وعلى هذه الإمبراطورية، وفق المنطق الجيوبوليتيكي أن تتفوق من الناحية الاستراتيجية والمدى المكاني على الحالة السابقة (الاتحاد السوفييتي) وعلى هذا فإن الإمبراطورية الجديدة ينبغي أن تكون أوراسية قارية كبرى وأن تكون في المستقبل عالمية". مقابل هكذا طرح وهكذا منطلق هناك "أمريكا أولاً" و"أمريكا العظيمة" وهناك تهالك العولمة وهناك من يدفع الثمن حول العالم.

عن الفارق بين الأخلاق والقانون

*زياد بهاء الدين

صحيفة (الشروق) المصرية : ٢٠١٨/١٢/٤

عادة ما أتجنب الخوض فيما يكون «موضوع الساعة» حرصا على عدم تكرار ما يجري تناوله من معلقين آخرين أكثر تخصصا ومعرفة أو تجنباً لما يشغل الفضاء الإلكتروني من خلافات حامية كثيرا ما تكون مجرد «فرقة» ما تلبث أن تختفي بعد أيام قليلة إن لم يكن ساعات. ولذلك لم يخطر على بالي أن أتناول بالتعليق رداء إحدى المشاركات في مهرجان القاهرة السينمائي. ولكن مع وصول الرداء وصاحبته إلى قبة البرلمان ثم لساحات المحاكم، فإنهما تحولا بالضرورة إلى قضية عامة تتعلق بطبيعة النظام القانوني الذي نعيش في ظلّه، وبالذات بالعلاقة بين القانون والأخلاق.

من سمات المجتمعات الحديثة أن يكون لكل من القانون والأخلاق فيها مجال مختلف عن الآخر، بحيث يتمتع بمساحته وحدوده وأدواته وكذلك بالعقوبات التي يواجه بها من لا يحترمه. ولأنهما مختلفان فإن الفوارق بينهما كثيرة ومهمة.

القانون يجب أن يكون صادرا من السلطة التشريعية ومكتوبا ومنشورا بشكل رسمي، بينما القاعدة الأخلاقية تكون معروفة ومتداولة بين الناس دون أن تكون مكتوبة أو محفوظة في سجل معين. ولهذا ينص الدستور على أنه لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص للتأكيد على أن القانون يجب أن يكون ثابتا فلا يثور بشأن وجوده أي غموض أو التباس. ومع ذلك فإن هذا لا يعني أن القاعدة الأخلاقية تكون بالضرورة غامضة أو مجهولة، بالعكس فالغالب أن يكون الناس على دراية بما هو مقبول أو غير مقبول أخلاقيا - أي العيب - أكثر من علمهم بالقوانين خاصة ما لا يتصل بحياتهم اليومية.

والجريمة في القانون، بالإضافة للكتابة والنشر، يجب أن تكون محددة تحديدا بالغ الدقة لأن ارتكابها يترتب عليه عقوبات جنائية، بينما العيب لا يكون محددًا بهذه القطعية بل يخضع لتقديرات متنوعة، قد تختلف من بلد إلى بلد، كما تختلف داخل نفس البلد، وأحيانا من حي في المدينة إلى حي آخر. فالقانون جوهره الدقة والقطعية بينما الأخلاق طبيعتها التقدير والتنوع. والعقوبة في القانون بدورها محددة ولا يجوز التوسع فيها، مثل الغرامة والحبس والسجن والإعدام، بينما مخالفة القاعدة الأخلاقية لها عقوبات أو بالأحرى عواقب من نوعية مختلفة تماما وشديدة التنوع، منها التجاهر والمقاطعة والاحتقار وسوء المعاملة وهكذا. وهذا بدوره لا يعني أن العقوبة الجنائية بالضرورة أشد من الرادع الأخلاقي، بل قد يكون العكس هو الصحيح. غالبية الناس قد لا تكثر بدفع غرامة - خاصة لو كانت قليلة القيمة - ولكن يؤلمها أكثر أن تكون محل احتقار أو تجاهل من جيرانها وأصدقائها وزملائها في العمل. وقد يصل الرادع الأخلاقي لحدود قصوى فيجد المخالف نفسه مضطرا لترك حياته السابقة والبدء في سكن أو محل إقامة جديد لأن الحياة في ظل العيب الذي ارتكبه صارت مستحيلة.

ومع ذلك فإن القانون والأخلاق ليسا منفصلين تماما لأن الأخلاق يمكن أن تكون أساس القانون، فيصدر عندئذ تشريع يجرم سلوكا أخلاقيا معينًا ويحدد له عقوبة، على نحو ما هو الحال في جرائم السب والقذف وغيرها. وهنا نكون حيال قيمة أخلاقية تحولت إلى نص قانوني وبالتالي إلى جريمة فانتقلت بذلك من مجال الأخلاق إلى مجال القانون. ولكن المهم ألا يكون هناك تداخل بينهما فلا يجري تطبيق عقوبة قانونية على مخالفة قاعدة أخلاقية لم تتحول لنص تشريعي أمر.

ما سبق ليس منبث الصلة بمفهوم الدولة المدنية التي تحكمها القوانين الصادرة من البرلمان فقط، وبالتالي لا تكون المحاكم فيها معنية بتطبيق أي معايير أو ضوابط أخرى بخلاف تلك النصوص المحددة والمعروفة سلفا. أما الاعتقاد بأن على النيابة والمحاكم فرض قواعد أخلاقية ليست مؤتمة قانونا فهو خروج عن هذا الضابط الأساسي وبالتالي قبول لقيام القضاء بتطبيق مرجعيات أخلاقية وحكومية لا أساس لها في القانون ولا الدستور وفتح باب التفسير والاجتهاد أمامها فيما يجوز أو لا يجوز أخلاقيا.

مخالفة القاعدة الأخلاقية ليست أمرا بسيطا وعواقبها قد تكون وخيمة على المخالف لأنه قد يعرض نفسه للاحتقار والمهانة وهي تدابير لا تقل شأنًا عن العقوبة الجنائية بل أحيانا تزيد. ولكن المهم أن يظل لكل من الأخلاق والقانون مساحته ومجاله وعواقبه دون تداخل بينهما وإلّا ضاع أساس الدولة المدنية الحديثة. هذا هو ما ينبغي أن يشغلنا ويكون محلا للنقاش بيننا وليس الرداء ولا صاحبه.

* محام وخبير قانوني، وسابقاً نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير التعاون الدولي، ورئيس هيئتي الاستثمار والرقابة المالية وعضو مجلس إدارة البنك المركزي المصري.

مستقبل الصحراء الغربية على طاولة النقاش في جنيف

وكالة فرانس برس: ٢٠١٨/١٢/٤

يجمع مبعوث الأمم المتحدة إلى الصحراء الغربية هورست كولر الأربعاء والخميس في جنيف، حول "طاولة محادثات أولية" كلا من المغرب وجبهة البوليساريو والجزائر وموريتانيا، وذلك على أمل إحياء المفاوضات المتوقفة منذ ٢٠١٢ حول هذه المنطقة المتنازع عليها.

واعتبر كولر في دعوته الموجهة للأطراف المعنية بهذا اللقاء في تشرين الأول/أكتوبر أن "الوقت قد حان لفتح فصل جديد في المسلسل السياسي". ويبدو كولر عازما على إيجاد مخرج سياسي ينهي آخر نزاع من هذا النوع في إفريقيا ما بعد المرحلة الاستعمارية.

وتطالب جبهة البوليساريو التي أعلنت في ١٩٧٦ "الجمهورية العربية الصحراوية" من جانب واحد، إجراء استفتاء تقرير المصير من أجل حل هذا النزاع، الذي ولد عند انسحاب إسبانيا من هذه المستعمرة. ويسيطر المغرب على ٨٠ بالمئة من مساحة الصحراء الغربية الممتدة على مساحة ٢٦٦ ألف كيلومتر مربع، مع شريط ساحلي غني بالسمك على مدى ١٠٠٠ كيلومتر على المحيط الأطلسي. وتتعامل السلطات المغربية مع المنطقة، الغني جوفها بالفوسفات، مثلما تتعامل مع باقي جهات المملكة الأخرى. وترفض الرباط أي حل آخر خارج منح الصحراء الغربية حكما ذاتيا تحت السيادة المغربية، منبهة إلى ضرورة الحفاظ على الاستقرار في المنطقة.

لاجئون

في انتظار التوصل إلى حل يعيش لاجئون صحراويون في مخيمات قرب مدينة تندوف بالجزائر، وتقدر مصادر عددهم بما بين ١٠٠ ألف إلى ٢٠٠ ألف شخص، في ظل غياب إحصاء رسمي. وتقع تندوف جنوب غرب الجزائر العاصمة على بعد ١٨٠٠ كيلومتر وهي قريبة من الحدود مع المغرب.

وأجريت آخر جولة مفاوضات برعاية الأمم المتحدة في آذار/مارس ٢٠١٢ بدون أن تؤدي إلى أي تقدم في ظل تشبث طرفي النزاع بمواقفهما، واستمرار الاختلافات حول وضع المنطقة وتركيبه الهيئة الناخبة التي يفترض أن تشارك في الاستفتاء. ومنذ تعيينه سنة ٢٠١٧ مبعوثا أمميا للصحراء التقى الرئيس الألماني السابق هورست كولر عدة مرات أطراف النزاع، خاصة بمناسبة جولة له في المنطقة، لكن كل على حدى.

وأدت جهود كولر إلى جمع المغرب والبوليساريو والجزائر وموريتانيا حول نفس الطاولة رغم أن كل طرف ينظر لصيغة اللقاء من زاوية مختلفة، فالجزائر تؤكد أنها تحضر بصفتها "بلدا مراقبا" بينما تعتبرها الرباط "طرفا" في النزاع.

وتطمح الأمم المتحدة لجعل اللقاء المرتقب عقده في قصر الأمم بجنيف "الخطوة الأولى في مسار مفاوضات جديدة"، من أجل التوصل إلى "حل عادل، دائم يحظى بقبول جميع الأطراف ويمكن من تقرير مصير شعب الصحراء الغربية" وفق ما ورد في ورقة إخبارية للمنظمة الأممية.

ويتضمن جدول أعمال اللقاء عناوين فضفاضة تتعلق ب"الوضع الحالي والاندماج الإقليمي، والمراحل المقبلة للمسار السياسي" بحسب نفس الورقة.

ويوضح مصدر دبلوماسي قريب من الملف أن هذه المقاربة "تتجنب ممارسة الكثير من الضغوط وتعليق الكثير من الانتظارات" على هذا اللقاء الأول، معتبرا أنها تهدف إلى "إذابة الجليد" مع التذكير بسياق العلاقات السيئة بين المغرب والجزائر.

وتظل الأوضاع على الأرض "هادئة في العموم على جانبي الجدار الرملي" الذي شيده المغرب على طول ٢٧٠٠ كيلومتر، وذلك رغم "استمرار توترات" وقعت مطلع السنة، حسب التقرير الأخير للأمم المتحدة. وتعتبر البوليساريو تقليص مدة ولاية بعثة المينورسو من سنة إلى ستة أشهر جزءا من "الدينامية" التي خلقها تكليف كولر بهذا الملف، وتضطلع هذه البعثة على الخصوص بمهمة مراقبة وقف إطلاق النار منذ ١٩٩١.

وصوت مجلس الأمن الدولي في نيسان/أبريل ثم في تشرين الأول/أكتوبر على تقليص ولاية المينورسو مرتين لمدة ٦ أشهر، تحت ضغط من الولايات المتحدة على خلفية كلفة البعثة وجمود المسار السياسي. وعشية لقاء جنيف يستمر كل طرف في التشبث بمواقفه مع إعلان إرادته الحسنة. ويدافع المغرب عن حل سياسي "دائم" مطبوع بـ"روح التوافق" لكنه لا يقبل أي نقاش "حول وحدته الترابية" و"مغربية الصحراء"، كما أكد ذلك العاهل المغربي الملك محمد السادس مؤخرا.

"حل نهائي"

تعتبر جبهة البوليساريو من جهتها أن "كل شيء قابل للتفاوض باستثناء الحق الدائم والثابت لشعبنا في تقرير مصيره"، كما قال عضو أمانتها الوطنية ورئيس لجنة شؤونها الخارجية محمد خداد لووكالة فرانس برس.

وتعبر الجزائر، المساند الرئيسي للبوليساريو، بنفس اللغة عن دعمها "ممارسة شعب الصحراء الغربية حقه الثابت والدائم في تقرير مصيره".

وتطرح الجزائر التي تشارك في لقاء جنيف بصفتها "بلدا جاريا" إجراء "مفاوضات مباشرة، صريحة ونزيهة" بين المغرب والبوليساريو من أجل "حل نهائي" حسب بلاغ رسمي صدر مؤخرا.

وحسب مصدر جزائري قريب من الملف فإن النقاش حول "الوضع في المغرب العربي" هو الذي "يفسر حضور الجزائر وموريتانيا" في جنيف.

قوات الاتحاد الأوروبي على الطريق

*كارل بيلدت

بروجيكت سنديكيت : ٢٠١٨/١٢/٤

فجأة اكتسب الجدل عن إنشاء جيش أوروبي موحد زخماً إضافياً. فبعد أن اقترح الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون الفكرة مؤخراً، سارع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إلى الاستخفاف بها - من خلال تغريدة بطبيعة الحال - ولكن المستشار الألمانية أنجيلا ماركيل وافقت عليها (مع الحث على الحذر). كانت هذه المسألة في الواجهة في الشهر الماضي عند الاحتفال بمئوية انتهاء الحرب العالمية الأولى، والتي كان من الطبيعي أن تركز اهتمام الأوروبيين على قضايا الحرب والسلام. وخلال تجواله في ميادين معارك الحرب العالمية الأولى، لاحظ ماكرون أن "السلام في أوروبا ثمين جداً"، وقال: "لن نحمي الأوروبيين ما لم نقرر أن يكون لدينا جيش أوروبي حقيقي".

يعود هدف إنشاء جيش أوروبي يعود إلى المراحل المبكرة من الاندماج الأوروبي بعد الحرب العالمية الثانية. ففي سنة ١٩٥٤ رفض البرلمان الفرنسي المصادقة على معاهدة كانت ستؤسس مجموعة دفاعية أوروبية وقوة عسكرية موحدة تتألف من ألمانيا الغربية وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبورغ. وتبعاً لذلك كانت هياكل الاندماج التي شكلت في نهاية المطاف أساس الاتحاد الأوروبي اليوم ذات طابع اقتصادي، وتم ترك مسألة الدفاع الإقليمي لحلف شمال الأطلسي ومظلة الأمن الأمريكية.

ولكن، كانت هناك خلال العقود القليلة الماضية حركة أكبر في اتجاه تأسيس سياسة خارجية وأمنية مشتركة للإتحاد الأوروبي، وتم تطوير هياكل ومؤسسات جديدة تضع نصب أعينها ذلك الهدف. لكن المناقشات الحالية المتعلقة بالدفاع الأوروبي ما تزال في مرحلة مبكرة للغاية، وحتى الآن قام الاتحاد الأوروبي بشكل رئيسي بتعزيز التعاون في مجال الأبحاث والتنمية، بينما قامت تجمعات تضم دولاً مختلفة بالعمل على تأسيس قدرات دفاعية وأمنية مختلفة. وفي موازنة السنوات السبع المقبلة، من المرجح أن يكون هناك تمويل معتبر لمثل تلك المشاريع.

لعل ماكرون محق في التفكير بأن البيئة الاستراتيجية للاتحاد الأوروبي أصبحت هشة بشكل متزايد. فقد أصبح الأوروبيون اليوم يواجهون روسيا ذات النزعة الإنتقامية، والحزم الصيني والسياسات المضطربة لأمريكا. وعلى الرغم من قيام الولايات المتحدة الأمريكية بتوسيع قدراتها العسكرية في أوروبا في السنوات الأخيرة، إلا أنها تعاملت في السابق مع القارة بشكل عام على أنها منصة انطلاق لعملياتها في الأماكن الأخرى. والآن بعد أن ألقى ترامب بظلال الشك على التزام أمريكا بالدفاع عن أوروبا، لم يكن من المفاجئ أن نرى اقتراحات تتعلق بإنشاء الجيش الأوروبي.

لكن أوروبا هي موطن لثلاثة بلدان لديها ثقافة استراتيجية قوية، وهي فرنسا والمملكة المتحدة وروسيا. ولدى كل تلك البلدان فهم مؤسساتي عميق لدينامية القوة الجيوسياسية واستخدام القوة العسكرية. وفي واقع الأمر، يوحى برنامج روسيا للتحديث العسكري بأنها قد أصبحت تعتمد بشكل متزايد على القوة العسكرية من أجل تحقيق مصالحها.

في الوقت نفسه، قامت فرنسا بإطلاق مبادرة التدخل الأوروبي، وهي إطار جديد لتوحيد الدول التي لديها قدرات دفاعية حقيقية وترغب في استخدامها. والأهم من ذلك كله، فإن هذا التجمع الجديد سيتضمن المملكة المتحدة حتى بعد ان تغادر الاتحاد الأوروبي. ومع ذلك، فإن رؤية ماكرون لجيش أوروبي تحت قيادة مركزية على مستوى الاتحاد الأوروبي ما تزال رؤية طموحة للمستقبل المنظور، لسبب بسيط هو أن الدول نادراً ما تتنازل عن جيوشها الخاصة بشكل طوعي.

مهما يكن من أمر، فإن من المفيد النظر في الهدف الأشمل لماكرون والذي يتجاوز المخاوف الحالية مثل ترامب وبريكست. وباختصار، يدعو ماكرون أوروبا إلى تطوير استراتيجية أكثر تماسكاً واستقلالية من أجل تحقيق مصالحها الأمنية والدفاعية في القرن الحادي والعشرين.

غني عن القول إن المشروع سيواجه العديد من العوائق. ويمكن ردع استخدام روسيا للقوة النووية فقط بالقوة النووية للولايات المتحدة الأمريكية. ولا تحب فرنسا وبريطانيا الاعتراف بذلك، ولكن ترسانتيهما النووية هي بكل بساطة غير كافية، وخاصة بسبب قيام روسيا حالياً بتطوير ترسانتها النووية. وبالإضافة إلى الردع النووي، من المرجح أن تبقى الولايات المتحدة الأمريكية في مركز القيادة والسيطرة والاستخبارات عندما يتعلق الأمر بعمليات عسكرية قد تجري في طول القارة وعرضها.

بالإضافة إلى ذلك، يحتاج الأوروبيون إلى تسوية عدد من التوترات الداخلية. فألمانيا تصر على أن يتم وضع جميع البرامج الجديدة ضمن هيكل الاتحاد الأوروبي، مع طلب الموافقة البرلمانية على جميع العمليات. ولكن البريطانيين لم يعودوا ينتمون إلى الاتحاد الأوروبي، وسيبقون متشككين في الحديث الفرنسي عن الاستقلالية الاستراتيجية التي يمكن أن توحى بوجود ناتو أضعف. وهذا الطرح ينطبق على دول أوروبا الشرقية المنتمية إلى عضوية الاتحاد الأوروبي والتي هي أقل رغبة في الموافقة على فك ارتباطها بالناتو أو الولايات المتحدة الأمريكية.

على الرغم من هذه المصاعب، نشأ توافق على الحاجة إلى إعادة هيكلة الدفاع الأوروبي. ويبدو أن سبب الزخم الظاهري هو التهديد المتزايد من روسيا والصين والشرق الأوسط بشكل عام. لكن الواقع المقلق هو أن تجدد الاهتمام بالاندماج العسكري يعكس أيضاً تآكل الوضع الاستراتيجي لأوروبا كنتيجة لبريكست - وفي بعض الجوانب نتيجة لترامب.

إنني أتوقع أن يكون الجيش الفرنسي - وليس الجيش الأوروبي - هو الذي يستعرض قواته في جادة الشانزليزيه في احتفالات يوم الباستيل لعقود مقبلة. لكنني أتوقع أيضاً أن تصبح الدول الأوروبية أكثر حزمًا في الدفاع عن سيادتها والتصرف بشكل جماعي عندما يتعلق الأمر بالأمن.

* كان وزير خارجية السويد في الفترة من العام ٢٠٠٦ إلى العام ٢٠١٤، ورئيس الوزراء من العام ١٩٩١ إلى العام ١٩٩٤، عندما تفاوض على انضمام السويد إلى الاتحاد الأوروبي. وهو دبلوماسي دولي معروف، شغل منصب المبعوث الخاص للاتحاد الأوروبي إلى يوغوسلافيا السابقة، والممثل الأعلى للبويسنة والهرسك، ومبعوث الأمم المتحدة الخاص إلى البلقان، والرئيس المشارك لمؤتمر دايتون للسلام. وهو رئيس اللجنة العالمية لحوكمة الإنترنت وعضو في مجلس الأجندة العالمي التابع للمنتدى الاقتصادي العالمي حول أوروبا.

التصرفات الخرقاء في احتجاجات الستر الصفراء

*محمد الجاسم

شبكة النبأ: ٤/١٢/٢٠١٨

تتصاعد يومياً وتيرة التظاهرات العنيفة ضد سياسة الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون، وقد أخذت هذه التظاهرات صيغة أعمال شغب عنيفة، مما حدا بالشرطة أن تستخدم الغاز المسيل للدموع وخرطوم المياه، ومن ثم تطورت المواجهات الى إعتقالات واسعة، وجرحى من الطرفين.

لقد اتسمت تلك الاحتجاجات الشعبية بمشاهد فوضوية في شوارع باريس، حيث أقام المحتجون المتاريس المعيقة للمرور، وتم إحراق سيارات الشرطة وسيارات المواطنين وكذلك تحطيم نوافذ المحلات التجارية في شارع الشانزليزيه السياحي ومناطق أخرى، وبعد أعمال الشغب العنيفة، ألقت الشرطة القبض على أكثر من ٢٠٠ شخص في العاصمة، وأصيب نحو ٦٥ شخصاً من بينهم ١١ من رجال الشرطة في إحصاءات أولية.

وعلى مقربة من قوس النصر يعمل مثيرو الشغب الى كسر الطوق الذي فرضته الشرطة برمي رجال الأمن بالحجارة، مما حدا بالأخيرة لقمع المتظاهرين واستخدام أساليب مواجهة جديدة طارئة.

من بين حزمة مطالبها، تطالب (السترالصفراء) بتخفيضات ضريبية وخفض أسعار الوقود وزيادة في الحد الأدنى للأجور والرواتب، وهذه المطالب لا يمكن أن يتم عرضها بهذه السلبية التي سيذهب جرها أرباباً في الإصابات والإعتقالات، وتعهد الرئيس ايمانويل ماكرون بالضريبة الخضراء المثيرة للجدل على الديزل وسعر الوقود. لكن هذا لا يكفي لإرضاء الناشطين وتهدئتهم، حيث نظموا أنفسهم بطريقة عارمة ونزلوا الى الشوارع بالآلاف.

وناشد العديد من السياسيين المعارضين الحكومة لتخفيف العنف وفتح حوار وطني مع أعضاء (السترالصفراء) وارتفعت أصوات عديدة تقول أن ليس من العدل وصف محتجي حركة (السترالصفراء) بأنهم (بلطجية) و(فوضيون) و(عنصريون) و(متطرفون) اعتماداً على الاضطرابات وعمليات التخريب التي تسببت بها الاحتجاجات وقد تكون خلفها مجموعات صغيرة (مندسة) فقط من المتظاهرين.

بالرغم مما يشاع عن أن هذه الحركة غير تابعة لمؤسسة حكومية أو سياسية محددة، حيث إنها حركة شعبية واسعة استطاعت أن تستقطب الآلاف من الشباب بسرعة خاطفة، لكن ثمة من يذهب إلى الشك بأنها تقف وراءها أحزاب من اليمين المتطرف واليسار المتطرف. وكان لوجود بعض الأشخاص السيئين بين صفوفها ممن قاموا بأعمال التخريب والشغب الفظيعة بحق الأموال العامة والخاصة. كمعظم حركات الاحتجاج في العالم، وآخرها ما حدث في محافظة البصرة العراقية. إلا أن من الخطأ تعميم الألقاب التي أطلقها بعض النقاد على المتظاهرين بأجمعهم، سواءً أكانوا من السائقين أم المزارعين أم طلاب الجامعات، الذين ارتدوا الستر الصفراء وخرجوا إلى الشارع للتعبير عن غضبهم. أن ظاهرة التعبير عن الرأي وحق الإحتجاج السلمي مهما عظم حجمه ومساحة تأثيره حق مكفول بالأعراف والديساتير والقوانين المرعية السائدة في فرنسا وعموم أوروبا، لذا يُعدُّ ما حدث في احتجاجات فرنسا غريباً تماماً عن أجواء هذه البلدان وخصوصاً بعد إنتشار شرارة الإحتجاج العنيف والشغب والتخريب في بلدان أوروبية أخرى مثل بلجيكا وهولندا، مما يرسم علامة إستفهام كبرى على هذا النشاط الجماهيري غير الطبيعي، والأعمال الخرقاء التي رافقته.

ورب قول أنفذ من صول.

الحرقاقون

*سمير عطا الله

صحيفة (الشرق الاوسط) : ٢٠١٨/١٢/٤

خلال الاحتلال النازي لفرنسا في الحرب العالمية الثانية، أصدر هتلر إلى جنراله في باريس أمراً بإحراق المدينة. تأمل الجنرال تلك الشوارع والجادات، وقرر أن يعصي أمر القائد، ولو أدى ذلك إلى أن يُحْكَمَ بالإعدام. كلما شاهدت باريس تحترق، أتذكر أن المحتل النازي كان ذات مرة أكثر رافة بجمال وتاريخ هذه العاصمة، من المتمردين الذين لا قضية لهم. قبل نصف قرنٍ تماماً، شاهدت طلاب فرنسا يقلبون الأرصفة ويحرقون السيارات ويرشقون المحال بالحجارة. وقد انتهى ما سُمِّي يومها «الثورة الطلابية» إلى لا شيء سوى الخراب.

مرّة أخرى باريس تحترق، بلا هدفٍ ولا غايةٍ ولا قضية. مجموعة غريبة من اليمين واليسار وغير المسييسين تمارس عنفاً لا مبرر له. والمحير أو الغامض أن الحركة الحالية ليس لها محرّك ظاهر مثل أحداث ١٩٦٨. وليس لها أيضاً وجهٌ أو وجوه بارزة مثل تلك المرحلة، فلا أدباء مثل جان بول سارتر، ولا ماركسيون مثل آلان كريفين، ولا محرّضون مثل كوهين بنديت. قد يبرز في الأيام المُقبلة وجهٌ ما أو محاور ما. ولكن حتى الآن ليس من المعروف من هو الطرف الذي على الرئيس إيمانويل ماكرون أن يخاطبه.

ينسى الفرنسيون أن باريس ليست مدينتهم وحدهم. لطالما كانت ملاذ أصحاب الأسماء الكبرى في التاريخ. منها بدأت شهرة ليوناردو ديفينشي، وبيكاسو، وجيمس جويس، وعالمة الفيزياء الشهيرة مدام كوري. ومن مدينة الآداب والفنون هذه حصد الفرنسيون في القرن الماضي جائزة نوبل للآداب ١٢ مرة، متفوقين بذلك على جميع شعوب العالم. وهؤلاء الشبان الذين ينزلون إلى الشوارع غاضبين، ينتمون إلى مؤسسات تعليمية لا مثيل لها في العالم.

اتفق العالم أجمع على أنها «عاصمة الثقافة في العالم»، لكن ما تبنيه من شهرة خلال قرون، ومن جمالٍ ومن انفتاح، يدمره فريق من الحرقاقين في أمسية واحدة. ألم يكن في إمكان هذه النخب الفرنسية أن تقيم المعارضة على الحكومة، من خلال القنوات الإعلامية والمؤسسات والمعاهد والأحزاب، وهي كثيرة؟

يشعر الغرباء بالحرص على جمال المدينة أكثر من هؤلاء المعتدين الذين يحملون جنسيتها. ففي كل مرحلة يخرج من يلوّث سمعتها ويسيء إلى مستقبلها. وتأتي هذه الحرائق الآن في أسوأ اللحظات وأفضل الفرص. فقد كانت باريس تأمل أن تحلّ محل لندن الخارجة من أوروبا، في اجتذاب الاستثمار والشركات الكبرى والبنوك، مما يساعدها على استعادة شيء من الازدهار الذي كانت تنعم به. لكن الحرقاقين، أياً كانوا، يحرقون في طريقهم جسور الأمم نحو الطمأنينة القومية.

لؤلؤم يحرر بوش الكويت

*حسين عبد الحسين

الحررة/شبكة الشرق الأوسط للإرسال (أم. بي. أن): ٢٠١٨/١٢/٥

مات رئيس الولايات المتحدة الحادي والاربعون، جورج بوش (الأب)، عن أربعة وتسعين عاما، كانت حافلة بخدمته الطويلة للوطن. كان أول من سارع إلى نعيه الرئيس السابق باراك أوباما، إذ على الرغم من انتماء كل منهما لحزب يعارض الآخر، بوش للجمهوري وأوباما للديموقراطي، إلا أن أمريكا ما زالت تنحني أمام الموت، فلا يهجي الخصم خصمه، ولا يسعى إلى تلطيح صورته ومحو تاريخه، بل يغدق على ذكراه المديح والكلمات الطيبة.

ورثاء أوباما لبوش الأب لم يكن نفاقا سياسيا، بل أن الرئيس السابق حاول أن يفي سلفه الراحل بعض حقه، فبوش الأب، على الرغم من فشله في الفوز بولاية ثانية، تمتع باحترام واسع بين الأمريكيين من الحزبين، منذ عمله طيارا حربيا للقضاء على النازية، إلى توليه مناصب تراوحت بين موفد بلاده إلى الأمم المتحدة والصين، ومدير "وكالة الاستخبارات المركزية" (سي آي اي)، ونائب الرئيس الراحل رونالد ريغان، حتى انتخابه رئيسا للبلاد.

أما أبرز إنجازات بوش الأب، عربيا، فتجلت في قيادته التحالف الدولي الذي حرر الكويت من احتلال الرئيس العراقي الراحل صدام حسين لها. تلك الحرب لم تكن تسمح، أخلاقيا، بالاختيار بين الغازي صدام وضحاياه الكويتيين. مع ذلك، اختار بعض العرب الوقوف مع صدام، الغازي المحتل، وقدموا أسبابا واهية، كررها البعض بعد شيوع خبر وفاة بوش الأب.

في العام ١٩٩٠، وصف العرب أصحاب "الخطاب الخشبي" الكويتيين بأنهم "يهود الخليج" (وكان كلمة يهودي شتيمة)، واتهموا الكويتيين بأنهم بخلاء لم ينفقوا على قضايا العرب، وخصوصا فلسطين، مع ان "حركة تحرير فلسطين" (فتح) نفسها أبصرت النور في الكويت، برعاية الكويتيين وتمويلهم، يوم كان محمد القدوة، ياسر عرفات لاحقا، واحدا من عشرات آلاف الفلسطينيين المقيمين في الكويت والمتنعمين بوظائفها. ومن الأسباب التي ساقها العربيون أصحاب "القضية" لتبرير اجتياح صدام للكويت كان اعتبار أن الكويت "صنيعة الاستعمار"، وكان فلسطين — كما العراق وسورية والأردن ولبنان — لم يرسمها السيدان سايكس وبيكو.

كان اجتياح صدام حسين الكويت أكثر الاجتياحات بربرية في التاريخ المعاصر. نهب العراقيون البنوك الكويتية واقبيتها، وأفرغوها من احتياطات النقد والذهب. كما نهب جيش صدام المحال الكويتية الفاخرة، وصار سعر ساعة الرولكس فلوسا قليلة في الأسواق العراقية. وخطف العراقيون عددا من الكويتيين، وهؤلاء

ما يزال مصيرهم مجهولا حتى اليوم. وقبيل هزيمته وانسحابه، أضرم صدام النار في آبار النفط الكويتية، في واحدة من أكبر الكوارث البيئية المعاصرة.

أثناء كل بربرية صدام هذه، وقف عرفات إلى جانب رئيس العراق الراحل، في بغداد، يستعرضان الجيوش العراقية، وهلل عرب كثيرون في الشوارع وهم يهتفون "يا صدام ويا حبيب، دمر دمر تل ابيب"، يوم تساقطت بعض صواريخ السكود العراقية على رؤوس الإسرائيليين.

لم تكن الكويت لتعود لأصحابها على أيدي أصحاب القضية وشعارات العروبة، ولم يكن تحريرها ممكنا لولا بوش الأب، الذي قاد حربا يمكن تدريسها في كتب الدبلوماسية والعلاقات الخارجية، إذ على الرغم من القوة الجبارة التي كانت أمريكا تنفرد بها وقتذاك، حرص بوش الأب على بناء تحالف دولي، وحرص على الالتزام بتفويض الأمم المتحدة، فأنتهى العمل العسكري فور التحرير، ومن دون اجتياح العراق للاقتصاص من الأرعن صدام.

ولو أن الإدارات الأمريكية اللاحقة التزمت أسلوب بوش الأب، لناحية تحريك المجتمع الدولي إنسانيا، ثم التزامها بحدود القرارات الدولية، لكان العالم اليوم في وضع أفضل بكثير. عوضا عن ذلك، غرقت أمريكا لاحقا في حرب أحادية في العراق، وتجاهلت كارثة سورية الإنسانية التي ارتكبتها الرئيس بشار الأسد.

لو لم يحرر بوش الأب الكويت، لكانت اليوم لا تزال المحافظة العراقية التاسعة عشرة، وكانت على شكل العراق، غارقة في فساد، بلا كهرباء، ولا مال، ولا وظائف، ولا أمل. أما الكويت اليوم، فتعيش في بحبوحة، ورخاء، ونظام، وبرلمان منتخب، وصحافة حرة.

لم ينس الكويتيون يوما فضل بوش الأب عليهم. في أكتوبر العام الماضي، زار وفد كويتي بزعامة رئيس مجلس الأمة مرزوق الغانم الرئيس الراحل جورج بوش الأب، ونقل إليه أنه، بعد كل السنوات، لا يزال الكويتيون يحفظون جميله.

أما بعض جيران الكويت من العراقيين، فاستداروا على أمريكا في العراق، وراحوا يصرخون ضد أي تدخل أمريكي ينقذ جيرانهم السوريين من دموية بعث الأسد، على غرار إنقاذ أمريكا لهم من دموية بعث صدام.

في بعض العقل العربي، يرتبط اسم بوش الأب بحرب إمبريالية مزعومة على العراق، لكن الواقع أن اسم الراحل بوش يرتبط ببقاء الكويت اليوم واحة رخاء، بدلا من غرقها في بؤرة البؤس العراقي، وهو إنجاز، وحده، كفيل باسكات "الخطاب الخشبي" وأصحابه.

جورج بوش.. رحيل الرئيس «الجنّلمان»

*عماد الدين أديب

صحيفة (صلى البلد) المصرية: ٢٠١٨/١٢/٥

رحل الرئيس رقم ٤١ فى تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، الرئيس جورج بوش الأب، عن عمر يناهز الـ ٩١ عاماً، بعد حياة حافلة من الكفاح والمناصب والتاريخ الوطنى المشرف فى خدمة بلاده. ينتمى الرئيس الراحل إلى أسرة ميسورة مادياً، من أصول عريقة، من أوائل المهاجرين المؤسسين للحياة السياسية فى التاريخ الأمريكى، ومن الذين ينتمون إلى منطقة الجنوب الأمريكى المعروف بثروة النفط والزراعة وتربية الماشية ورعى الأبقار.

تربى الرجل على قيم أخلاقية ودينية صلبة، لكن متسامحة، تعرف وتحترم العادات والتقاليد والآداب العامة، لذلك عاش الرجل طول مراحل حياته نموذجاً إنسانياً يُضرب به المثل فى حسن المعشر وآداب التعامل.

أعنى خصوم الرجل كانوا يحترمونه، ولم يتهمه أحد طوال تاريخه بقلة الكياسة أو سوء الأخلاق، أو الفجر فى الخصومة.

وأسرة الرجل أسرة غير عادية فى التاريخ السياسى الأمريكى، فمنذ الرئيس الأسبق جون آدمز لم تعرف الرئاسة الأمريكية رئيساً حكم، وجاء بعده بسنوات ابن له، إلا فى حالة جورج بوش الأب، ثم جورج دبليو الابن.

لديه ابنان كل منهما تولى منصباً رفيعاً فى الحكم المحلى، وهو منصب حاكم ولاية. وتُعتبر زوجته «السيدة باربرا»، التى رحلت قبله، نموذجاً محبباً إلى نفوس الشعب، بصرف النظر عن انتمائهم الحزبى، لأنهم يرونها بمثابة «والدة الأمة».

خدم جورج بوش فى سلاح الجو الأمريكى، ونال عدة أنواط للشجاعة، وخدم فى الوظائف العامة، سفيراً لبلاده فى الصين، ورئيساً لجهاز المخابرات المركزية، ونائباً للرئيس، وكان من الرؤساء القلائل الذين لم يسعدهم الحظ فى الفوز بولاية ثانية.

كان خطأ بوش الأب الأكبر أنه اعتمد على النجاح المذهل والساحق لحرب تحرير الكويت كرسيد له فى السباق الرئاسى، مما جعل منافسه الشاب عن الحزب الديمقراطى «بيل كلينتون» يتغلب عليه.

يوم إعلان النتيجة هنأه، وكتب فى دفتر سجلات البيت الأبيض: «الآن وأنت تقرأ هذه السطور أصبحت رئيساً للبلاد، رئيساً لنا جميعاً، تهنئتى لك، ومشاعرى معك، وأرجو أن تعتبرنى دائماً عوناً لك». يا له من رجل نادر، وسياسى خلوق، يعرف معنى الفوز، ومعنى الهزيمة، ولا تتغير أخلاقياته ولا معايير القيمة مهما اشتدت الظروف.

لذلك كله حينما رحل الرجل حزن عليه الجميع من كافة الأحزاب والتيارات والقوى.

السياق الأوسع لـ «حرب الخليج»

*إليوت كوهين

إليك ما لم يُرو عنها..

مجلة <فورين أفيرز>؛ ٢٠١٨/١٢/٥

يتمحور الحديث دائماً عن حرب الخليج على التفوق الأمريكي الكاسح، ودحر القوات العراقية الغازية، والتحالف الدولي الذي أنشئ حينها لتحرير دولة الكويت، لكن تتجاهل النقاشات عن الحرب عادةً السياق الأوسع الذي أحاط بها، والذي يتضمن تأثير الفشل العسكري الأمريكي في حرب فيتنام على نهج أمريكا في الحرب، وتوتر الأجواء بين العسكريين والصحافيين، وعملية التلميع التي تعرض لها انتصار حرب الخليج. وفي هذا التقرير المفصل الذي نشرته مجلة «فورين أفيرز» الأمريكية، يتناول إليوت كوهين، الباحث السياسي والمستشار السابق بوزارة الخارجية الأمريكية، حرب الخليج من منظورٍ مختلف تماماً.

يبدأ كوهين تقريره بتوضيح أنّ النظر في حرب الخليج الآن يبدو أشبه بدراسةٍ لمجموعةٍ من المبالغات العاطفية التي لا تتكافأ مع واقعها الأصليّ "ففي تلك الحرب، قررت دولةٌ ضعيفةٌ ومعزولةٌ من العالم الثالث، يُساوي إجمالي ناتجها القومي ثلث حجم ميزانية الدفاع الأمريكية، الدخول في مواجهةٍ ضد القوة العظمى الوحيدة في العالم، والتي يُمولها العالم المُتقدّم بأسره، وتُساعدُها العديد من القوى العسكرية الكبرى. وخسرت العراق خسارةً مُخزيةً بعد خمسة أسابيعٍ من القصف الجوي وأربعة أيامٍ من الانسحاب على الأرض، نتيجة تركز قواتها في مجموعةٍ من المواقع المكشوفة وسط الصحراء. ومن منظور عام ١٩٩٤، فإنّ المخاوف التي أثّرت قبيل الحرب خلال شهادة كئيبة أدلى بها أمام الكونجرس عن المخاطرة بسفك الدماء الأمريكية على أرض المعركة، والاحتفالات الضخمة في الشوارع التجارية إثر انتهاء الحرب، لا يبدو فقط أنّها كانت مبالغاً فيها، بل تبدو غريبةً كذلك. ووفقاً لمذكرات الجنرال شوارزكوف، أراد ومعه رئيس هيئة الأركان المشتركة الجنرال كولن باول استخدام سطح السفينة الحربية ميزوري لتوقيع الاتفاقية العراقية، وهذه السفينة كانت موقع توقيع اتفاقية استسلام اليابان عام ١٩٤٥. وإذا تُبنت صحة ذلك الادعاء، فهذا يعني أنّ الخبراء وأعضاء مجلس الشيوخ والمواطنين العاديين لم يكونوا الوحيدين الذين افتقروا للمنظور السليم خلال الحرب.

أثار من عدم الارتياح

وفقاً لكوهين، رغم نجاح الحرب الكاسح على مستوى العمليات، فإنّها تركت آثاراً من عدم الارتياح بشأن طريقة تخطيطها وإدارتها، وكيفية تغطيتها في وسائل الإعلام. ولفهم الحرب في ذلك الوقت، يشير كوهين إلى أنّه كان عليك أن تعتمد على الصحافة التي اجتاحت «الخليج العربي» بمئات الصحفيين، بدءاً من مراسلي الحروب المحترفين الذين أمضوا أجيالاً في تغطية المعارك ووصولاً إلى مراسلي الصحف المحلية المتعطشين لسماع أصوات زمجرة الدبابات المندفعة في الصحراء. وأصيب أغلب أولئك الصحفيين بخيبة الأمل جرّاء نظام الجيش في التعامل معهم، والأشخاص الذين كانوا مسؤولين عن اطلاعهم على موجز الأحداث، والذين ظهروا بمظهر أكثر أناقةً منهم على شاشات التلفاز. ويتحدث كوهين عن اثنين من الصحفيين الأكفاء كتبوا عن مهمتهما في الحرب، وجاءت شهادتهما كاشفةً للكثير، لكنّها في بعض الأحيان لم تكن كما أمل الصحفيان. أحدهما هو المراسل التلفزيوني بيتر آرنت، الذي تُخصّص مذكراته قرابة الثمانين صفحةً لتجربته في تغطية بغداد. وتُركّز الأحداث في تلك المذكرات على آرنت وشبكة «سي.إن.إن» التي عمِل لصالحها أكثر من تركيزها على الحرب. ووفقاً لكوهين، يبدو أنّ استغراق «سي.إن.إن» في تغطية عملها نفسه انعكس على آرنت. وكانت حرب الخليج مُثمرةً بالنسبة لشبكة «سي.إن.إن»، التي كانت تتباهى بوجود أحد مراسليها في بغداد على الهواء، رغم أنّه لم يتمكن من رؤية شيءٍ مُثيرٍ للاهتمام، أو تغطية العراقيين تغطيةً

جادة. وسعدت الشبكة بدقائق البث المباشر غير المقصودة التي قدّمها مُخطّطو الحرب الجوية، والذين أكدوا نجاح هجماتهم على شبكة الكهرباء العراقية بمُشاهدة لحظة انقطاع الأضواء عن مدينة بغداد على الهواء مباشرةً. وساعدت الدعاية الذاتية لشبكة «سي.إن.إن» (بما في ذلك تهنئة نفسها على الهواء في الوقت المُخصّص للبث المباشر) على خلق هالةٍ من الغموض حول خدمات الأخبار الغربية الشاملة التي كان من المفترض بها أن تجعل الصراع أكثر شفافيةً أمام المُشاهدين. وهو أمرٌ بعيدٌ كل البعد عن الحقيقة. فرغم نجاح آرنت في رؤية عددٍ من المواقع التي قُصفت بالصواريخ، لكنّه افتقر للمهارات اللغوية والخبرات التاريخية وحرية الحركة والوصول، وهي أشياء كانت لتُمكنه من تقديم انطباعٍ أقل سطحية. وباستعادة أحداث الماضي، تبرز سطحية التغطية التلفزيونية وليس شموليتها.

والثانية هي مولي مور، التي تعدّ شهادتها على الوقت الذي قضته مع قوات مشاة البحرية الأمريكية «المارينز» أكثر إفادةً في ما يتعلق بحقيقة حرب الخليج، رغم أنّ تلك الشهادة تُظهر افتتاح الصحيفيين المعاصرين باستكشاف مشاعرهم على حساب وصف الأحداث التي تتحقق أمام أعينهم، حسبما يرى كوهين. رافقت مولي قائد المارينز الفريق والتر بومر طوال فترة الحرب البرية. كان بومر يشغل في السابق منصب مدير مكتب الشؤون العامة لقوات مشاة البحرية، ولذلك كان يدرك جيداً أهمية إبقاء الصحافة على مقربةٍ منه، في تخمينٍ ذكيٍّ من جانبه أن ذلك سيُكسب المارينز أفضليةً في معركة الرأي العام. تُعد ميزانية المارينز هزيلةً مقارنةً بأفرع الجيش الأخرى، لكنهم يعتمدون على ذكائهم، وهو الأمر الذي برهنوا عليه في هذا الموقف كما في مواقفٍ أخرى بالتفوق على أقرانهم الأكثر تقليدية.

يوضح كوهين أنّ شهادة مولي تبدأ بالانفجار في وجه بيروقراطية أفرع الجيش الأخرى، التي تُؤمن أنّها عرقلت الصحافة في معظم فترات الحرب وسُتُحاول فعل ذلك مُجدداً. وينتهي الكتاب بتقييمٍ (خاطئ) لمعدل الفتك الخاص بالضربات الجوية على الجبهة، وجدالٍ صاحب بين الكاتبة وجمهورٍ من العسكريين في الولايات المتحدة. ويرى أنّه من المدهش أنّ صحفيةً حصلت على هذه الفرصة النادرة لتكون قريبةً من القادة وخططهم أصبحت تحمل هذا القدر من الغضب والارتياح تجاه القوات المسلحة.

السيف والقلع

وفقاً لكوهين، يتبادل الصحفيون والجنود دوماً نظرات الارتياح في مذكرات ويليام تيكومسيه شيرمان، الجنرال الأمريكي في الجيش الاتحادي بالحرب الأهلية الأمريكية، يذكّر شيرمان بحق: «تقول القاعدة: إنّ تواجد مراسلي الصحف مع الجيش هو أمرٌ مؤذٍ» إذ أنّهم البشر الأكثر ثرثرةً في العالم، ويقومون بالتقاط المعلومات وتسويق فضائح المعسكر... فضلاً عن أنّهم يميلون إلى التنبؤ بالأحداث وتوضيح الحقائق التي تكشف الأهداف أمام العدو وتساعد على التحصن ضدها... يجب أن يُوفّر الوقت والاعتدال حلاً عادلاً لهذه المشكلة المعاصرة»، لكن ذلك لم يحدث مع الوقت حسب رأي كوهين. وعلاوةً على ذلك عكست حرب الخليج تدهور العلاقة بين الصحافة والجيش الأمريكي. ويتفق العديد من الجنود، حتى أولئك الذين دخلوا الخدمة بعد انسحاب آخر القوات الأمريكية من فيتنام عام ١٩٧٣، على الرأي القائل إنّ التقارير الكيدية والعدائية التي نشرتها الصحافة الأمريكية هي المسؤولة بنسبةٍ كبيرةٍ عن الهزيمة في فيتنام. ومن ناحيتهم، وجد أغلب المراسلين أنفسهم في مواجهة عالمٍ غريبٍ لم يمتلكوا أي معرفةٍ مباشرةٍ عنه قبل الأزمة، وكانوا ينظرون إليه نظرةً يسودها التشكك وبعض الازدراء الفكري. وأظهر الضباط شماتتهم أحياناً في فشل مهنةٍ لا يفهمونها أو يحترمونها، وذلك بعزل الصحافة عن أرض المعركة وإحراج المراسلين خلال المؤتمرات الصحفية في كثيرٍ من الأحيان. وكما هو الحال في الانتصار أحادي الجانب للجيش على العراقيين، فإنّ انتصاره على الصحفيين يُمهد الطريق أيضاً أمام مزيدٍ من الصراعات الأكثر غموضاً وحدّةً في السنوات المقبلة.

ويرى كوهين أنّ الصحفيين ربما لم يضعوا حرب الخليج في نطاقها الأوسع، لكن حجم وأهمية ذلك الصراع غفل عنه كذلك أولئك الذين درسوا الحرب منذ عام ١٩٩١ وحتى الآن. هل كانت حدثاً فاصلاً في التاريخ العسكري، أم

علامةً على ثورةٍ وشيكةٍ في الشؤون العسكرية، أم أنها مجرد تأكيدٍ لحكمة المراهنة على الكتائب الضخمة؟ هل كان العجز عن إطاحة صدام حسين فشلاً للسياسة الأمريكية، أم أنه عكس الحسابات الأمريكية الماكرة التي قضت بأنّ نظاماً بعثياً ضعيفاً ومستقراً بالفعل هو خيرٌ للمصالح الأمريكية؟ سيستغرق الأمر سنواتٍ قبل الوصول إلى إجاباتٍ شافيةٍ لتلك الأسئلة، لكن في هذه الأثناء، أنتج عددٌ من المؤلفين شهاداتهم الخاصة التي توضح الخطوط العريضة للحرب على الأقل.

الماضي البسيط

يوضح كوهين أن الموجة الأولى من المنشورات الخاصة بالحرب أتت على يد الصحفيين، الذين عملوا في مجموعاتٍ أحياناً، وأنتجوا في عجلةٍ رواياتٍ عن أزمة الخليج والحرب من أشلاء شهاداتٍ مختلفة، واستُبدلت بعدها برواياتٍ أخرى. أما الموجة الثانية فكانت من صنع حكومة الولايات المتحدة، وشملت تقريراً عرضته وزارة الدفاع وهيئة الأركان المشتركة أمام الكونجرس، بالإضافة إلى المجلدات المختلفة التي تصدر عن أفرع الجيش الأخرى. (ونظراً لأن كوهين أشرف على واحدةٍ من تلك الدراسات، لم يعلق على تلك الجهود).

وخلال العام الماضي، ظهرت مجموعةٌ ثالثةٌ من الدراسات على يد صحفيين ومحللين ممن غطوا أحداث الحرب ودرسوها مطوّلاً. ويعد كتاب «Crusade: The Untold Story of the Persian Gulf War» للمؤلف ريك أتكينسون واحداً من كتب السرد التاريخي الجيدة، رغم أن مساحة «القصة غير المروية» بالكتاب تشغل حيزاً أصغر مما يعد به اسمه. ويتعمق أتكينسون، الكاتب البليغ ذو الأسلوب المنمق أحياناً، في الأبعاد السردية والتكنولوجية للقصة، رغم أن سرده المفيد عن الأزمة والحرب يبدو غير جذاب. لفت الكتاب الانتباه بسبب الصورة السلبية التي رسمها لنورمان شوارزكوف، لكنّها لا تشغل سوى مساحةٍ صغيرةٍ إذ تُسيطر المقالات القصيرة عن المعارك والشهادات عن اجتماعات اللجان على فحواه. وهنا أيضاً، أفسدت ممارسات الصحافة المعاصرة فن السرد التاريخي، كما يظهر في أعمال بوب وودورد. وهناك حيلتان تحديداً تخلقان شعوراً كاذباً بالمعرفة المطلقة: كتابة الذكريات عن التعليقات والتصريحات في صورة اقتباس (دون الإشارة لمصدرها)، والتظاهر بوصف الأفكار الباطنية لشخصٍ ما. ورغم كل ذلك، يعتبر كوهين كتاب أتكينسون كتاباً جيداً ويحوي قصةً مثيرةً للاهتمام وتستحق السرد.

ويضيف كوهين أنه يرى بعض القصص القصيرة عن الحرب مُعبّرةً للغاية. منها وصف أتكينسون لواحدٍ من أوائل الطيارين الأمريكيين وهو يصرخ أثناء احتجازه في رفاقه الأمريكيين: «إذا كنتم تسمعوني، فدعوني أذكركم بما قيل لنا ونحن في السعودية قبل بدء الحرب: لا يوجد شيء هنا يستحق أن نموت من أجله». ويرى هنا واحدةً من انحرافات هذه الحرب، التي بدت أيضاً في توصيات القادة الجوين لطيارهم: «لا يوجد هدفٌ يستحق أن نضحي من أجله بطائرة» (وتشمل الاستثناءات الجديرة بالذكر حالات اشتباك وحدات العدو مع القوات الصديقة أو خلال مهمات البحث والانقاذ). وعلى هذا الصعيد ومن نواحٍ أخرى أيضاً، خيم شعورٌ فيتنام فوق رؤوس قادة التحالف. إذ خدم جنرالات حرب الخليج كضباطٍ ميدانيين في فيتنام. وبينما كان هؤلاء يكرهون على الأرجح ما عرفوه أو سمعوه عن الإدارة المدنية للحرب على المستويات الأدنى، لكنهم داخل أنفسهم كانوا يحتقرون بالقدر ذاته إهدار الجيش للحياة البشرية في جنوب شرق آسيا. إذ كانوا يسخرون من السياسة والأهداف السياسية بعدما عادوا من مجموعة دول منطقة الهند الصينية، لكنهم عقدوا العزم على إدارة الحرب التالية بكفاءةٍ وقوةٍ وسرعة. وكجزءٍ من إعادة تنظيم الجيش الأمريكي في أعقاب فيتنام، انخرطوا عاطفياً في التركيز على رفاهية الجنود إلى درجةٍ غير مسبوقةٍ في التاريخ الأمريكي. وإذا وجدوا أنفسهم في مفاضلةٍ بين الحفاظ على حياة جنودهم وتحقيق هدفٍ سياسي ما من خلال الحرب كانوا يميلون دائماً إلى الخيار الأول. لذا يعتبر كوهين عنوان كتاب أتكينسون منحرفاً عن الواقع: إذ إن رفض القادة لاعتبار الحرب بمثابة حملةٍ صليبيةٍ هو الذي شكّل تكتيكاتهم وأسلوب العمليات وطريقة انتهاء الحرب.

وفقاً لكوهين، يُركّز كتاب مايكل جوردون وبيرنارد ترينور المقبل «The Generals' War» على عملية صنع القرار في الدوائر العليا، ويتحدث عن الأمر ببلاغةٍ مُقدّماً مُراجعةً هي الأكثر شمولاً واستقصاءً حتى الآن عن

استراتيجية الحرب وعملياتها. وسيظل على الأغلب أفضل المؤلفات التي صدرت عن حرب الخليج لوقتٍ طويل. ويرى كوهين أنه إذا كان أتكينسون قد حاول سلخ جلد شوارزكوف، فقد وجّه جوردون وترينور أنظارهما صوب رئيس هيئة الأركان المشتركة، الذي لا يمكن لأحدٍ الاقتراب منه حتى يومنا هذا، وهو الجنرال كولن باول. إذ يُوثَّق الكاتبان رفض باول المبدئي لخوض الحرب، ويحملونه قدرًا كبيرًا من المسؤولية عن انتهائها قبل أوانها وفرار أكثر من ٥٠٪ من قوام الحرس الجمهوري، حرس صدام حسين وحصن نظامه. ويتطلب ذلك كثيرًا من الشجاعة، نظرًا لأن باول كان قد أصبح شخصية لا يمكن المساس بها مع حلول نهاية فترته في المنصب. وبوسع المرء أن يرى في هذا الكتاب طلائع التقييم النقدي المتأخر لدور باول داخل البنتاجون، وأيضًا نرى ذلك النقد في مقال نشره ريتشارد كوهن، أحد أبرز مؤرخي الجيش، في نسخة ربيع عام ١٩٩٤ من مجلة «ناشيونال إنترست».

علاوةً على ذلك، رسم جوردون وترينور الصورة الكبيرة للحرب. إذ يُشيرون إلى أن معركة الخفجي، التي استمرت منذ التاسع والعشرين وحتى الواحد والثلاثين من يناير (كانون الثاني) حسبما ذكر كوهين، مثلت محاولة عراقية كبرى لبدء معركة برية لم يفهمها الصحفيون ولا القيادة العليا الأمريكية في وقتها (ويبدو أن شوارزكوف لم يفهمها حتى الآن، استناداً إلى مذكراته). ويثبت الكاتبان أن كل فرعٍ من أفرع الجيش قاتل في الحرب بالطريقة التي يُفضلها، رغم الحديث عن العمل المشترك الذي هيمن على تغطية الحرب أمام الرأي العام. ويصفان تحديداً كيف استُخدمت الآلة العسكرية المصممة في الأساس من أجل خوض صراعٍ داخل أوروبا ضد الاتحاد السوفيتي في تطبيق أسلوب الحرب نفسه على ظروفٍ مختلفةٍ وأقل تطلبًا. وكيف أن لكمة «القبضة اليسرى» للجيش الأمريكي كما عُرِفَت حينها، والتي اعتمدت على تحركات الفيلق السابع بالجيش الأمريكي (الذي وصل من أوروبا في الوقت المناسب لبدء الحرب البرية)، تحركت بوتيرةٍ متباطئةٍ أثارت ارتباك شوارزكوف. لكن الفيلق السابع فعل ذلك لأنه تصوّر العدو في صورة سوفيت ناطقين بالعربية، واعتبرهم قوةً تستدعي عملياتٍ مدروسةٍ تُنفذها قواتٌ ضخمة. وشاركهم شوارزكوف شخصياً ذلك الرأي، كما يتضح من قلقه بشأن الخسائر البشرية الكبيرة، في البداية على الأقل.

ويوضح كوهين أن الجيش الأمريكي بالغ في تقدير قوات الجيش العراقي، وهو ما عزته مولي وغيرها من الصحافيين إلى التلاعب غير الضروري بالأخبار قبل الحرب وأثناءها، والتبجح غير اللائق في أعقابها. ويرى أن الجيش استشعر الحاجة الشديدة لخداع العدو (عن طريق الصحافة إن اقتضت الضرورة) قبيل الحرب، وابتهج بطريقةٍ يمكن تفهمها في أعقابها. وعلى الجانب الأمريكي، كان القليلون يمتلكون صورةً شاملةً عن دوافع النظام العراقي ومدى فعالية حكومته وجيشه. ولا تُقدّم أي من الكتب الواردة في هذا المقال شهادةً مُقنعةً عن قرار العراق بغزو الكويت والحسابات العراقية (في حينها) طوال فترة الأزمة والحرب. وبشكل رئيس، يعكس ذلك الصعوبة الكبيرة في الحصول على مقابلةٍ صحفيةٍ أو موادٍ وثائقيةٍ تُوضّح القرارات والنوايا العراقية توضيحاً كافياً، لكنّه يعكس أيضاً الطريقة العجيبة التي خاضت بها الولايات المتحدة وحلفاؤها الحرب ضد عدوٍ غامض، وإن كان شريراً. وأسهمت السرية العراقية وسلبية الجيش العراقي خلال الحرب إسهاماً كبيراً في الصورة أحادية الجانب التي نمتلكها حتى يومنا هذا. ولا يسعنا سوى ملاحظة الصعوبة التي واجهتها الحكومة الأمريكية في التعامل مع نظامٍ سياسي وثقافيٍ بخرابة البعث العراقي. ويظهر سرد أتكينسون للمحادثات الفاشلة بين السفير الأمريكي في بغداد وصدام حسين كم كان ذلك الفشل قاطعاً في عشية أزمة الكويت.

معانقة الدب

يذكر كوهين أن شخصية نورمان شوارزكوف، المعروف بين جنوده بـ«الدب»، وبين الكتاب المحررين بـ«نورمان العاصف»، تخضع لفحصٍ دقيقٍ في الأعمال الأخيرة، إذ يكشف أتكينسون تحديداً جزءاً كبيراً من النظرة العامة إلى شوارزكوف داخل الجيش: شخصيةٌ مُتسلطةٌ وعضوبةٌ ومتقلبةٌ وتفترق للثقة بنفسها. وفي مرةٍ من المرات، وربما في مناسباتٍ أخرى، فكّر رؤسائه إعفائه من منصبه، لكن فشلمهم في ذلك يعكس درجة السيطرة الاستثنائية التي فرضها الجنرال باول على مرؤوسيه العاطفيين. ولا شك أن رئيس هيئة الأركان المشتركة، رغم أنه مجرد وسيطٍ بين شوارزكوف والمدنيين، كان هو من يُدير الحرب، وفقاً لشهادة شوارزكوف وجوردون وترينور.

ورغم النجاح الباهر الذي حظيت به مذكرات شوارزكوف على المستوى الدعائي، يرى كوهين أنها لا تعكس واقع تلك الحرب. ولا يُمكن مقارنتها بمذكرات الأميرال ساندي وودوارد المثيرة للاهتمام «One Hundred Days: The Memoirs of the Falklands Battle Group Commander»، التي تُقدِّم شهادةً تفصيليةً عن القيادة العليا خلال حملةٍ عسكريةٍ حَفَّتْها مخاطر أكبر قبل عَقْدِ من حرب الخليج. ورغم ذلك، تُعدُّ قصة حرب الخليج انتصاراً مباشراً بالنسبة لشوارزكوف والعديد من كبار القادة المشاركين في الحرب، ولن تُشوِّه تلك الصورة بالإفراط في التفكير بشأن الجدل والتردد خلال مرحلة الإعداد للحرب وأثناء إدارتها.

ويتابع كوهين أنه رغم أن شوارزكوف يعدُّ نفسه من الخبراء في الشؤون العربية، لكنَّ شهادته الشخصية تُشير إلى العكس "إذ حدَّر رؤسائه من أن العرب لن يقبلوا الاستسلام غير المشروط، «بل سيُفضِّلون الموت على الاستسلام»، رغم أن معظم الجيوش العربية (والأوروبية) قَبِلَتْ ذلك الاستسلام. وبعد أن أصرَّ على أن العراقيين سيُجبرون على الاستسلام خلال المفاوضات، رضى هو لإصرارهم على أن تُفتَّش الشرطة العسكرية الأمريكية بحثاً عن أسلحة قبل دخوله خيمة المفاوضات. وإحفاً للحق كان تصريح شوارزكوف للعراقيين بإجراء رحلاتٍ جويةٍ بالمروحيات المسلحة عقب وقف إطلاق النيران، وهو القرار الذي مهَّد الطريق أمام سحق «التمرد» الشيعي في الجنوب، نابغاً بشكل كبير من غياب التوجيه الواضح من القيادة. إذ يبدو أن القيادة المدنية لم تُفكر كثيراً في شروط الاستسلام أو الشكل العام للتسوية السياسية التي تُريدها. وأدرك شوارزكوف رغم عيوبه كيفية الحفاظ على التحالف غير الفعال الذي أسسه الرئيس بوش، وهذا إنجازٌ لا يُستهان به. وإذا كانت عدم رغبته الصادقة في سقوط ضحايا تُعدُّ خيانةً (إذ ألمح مثلاً أنه ورئيس أركانه كانا على وشك قبول عرضٍ سوفيتيٍّ بإنهاء الحرب بعد إنذاع الحرب بـ ١١ ساعة، وقبيل بدء الهجوم البري)، فهو لم يقترف ذنباً سوى تبنِّي الموقف العسكري العام. وإذا كان لا يثق في رؤسائه المدنيين، ويحتقرهم أحياناً، فهو يُقدِّم مثلاً على التوترات القائمة بين الجنود ورجال الدولة، والتي ترسَّخت في وجدان الجيش الأمريكي منذ حرب فيتنام.

تلميح النصر

يرى كوهين أن الاستنتاج المُربك الذي ستتوصَّل إليه بقراءة تلك الكتب عن حرب الخليج استشر على أن الولايات المتحدة أخطأت في اندفاعها إلى ذلك الصراع بعد أن اتبعت سياسةً مُضلَّةً ومبنيَّةً على معلوماتٍ غير صحيحةٍ تجاه العراق، وانتصرت في الحرب التي كانت تخشاها أكثر من اللازم بقواتٍ تفوقت على العدو بحجمها وثقلها أكثر من مهارة تكتيكاتها وعملياتها. ورغم ذلك، يفتقر هذا الحكم القاسي إلى جزءٍ مهمٍ من الحقيقة. إذ إنَّ قليلاً من الكتب التجارية أولت عنايةً كافيةً ومستحقةً للنجاحات التقنية البارزة، مثل العملية المُعقدة التي نفذها الطيارون لتدمير نظام الدفاع الجوي العراقي، أو غارات المدفعية التي خططت لها القوات البرية بعناية. فضلاً عن أن معظم المدنيين لا يُقدِّرون حجم الإنجاز اللوجستي الذي حققته الولايات المتحدة وحلفاؤها. ومع ذلك، أدَّى الأثر التراكمي لكتابات ما بعد الحرب إلى خفوت بريق النصر الذي بدا شبه مثالي في ربيع عام ١٩٩١.

ويوضح أن هذه المراجعة التاريخية للحرب التي لم تُجر حتى الآن ستتجاوز الحدود. وأنَّ هناك أمرين يمكن بهما تقييم أداء العسكرية الأمريكية في حرب الخليج. الأول هو نسبة الضحايا المنخفضة بشكلٍ مُدهشٍ مقارنةً بحجم الدمار الذي أصاب العدو. والتحليل الثاني هو الشكل المحتمل لسياسات «الخليج العربي» في حال لم تخض الولايات المتحدة الحرب. فمن المؤسف أن صدام حسين نجا ليضطهد الكرد في الشمال والشيعية في الجنوب، لكنَّ العراق لم يُقدم على تهديد إمدادات النفط العالمية أو سيادة الدول المجاورة من جديد إلا بعدها بسنوات. وعلى الأرجح لن ينفجر في وجه العالم مُسلحاً بالقنابل النووية خلال العَقْدِ الجاري، وهو الأمر الذي كان سيحدث لولا الحرب. ويختم كوهين موضحاً أنه بينما ارتكب الجنود ورجال الدولة الذين انتصروا في حرب الخليج نصيبهم من الأخطاء الفادحة، وتلاعبوا بالحقائق أو شوهوها، وتناسوا كراماتهم في بعض الأحيان أثناء المشاحنات ونوبات الغضب، ولم يُكونوا قادةً استثنائيين، لكنهم أدَّوا المهام المنوطة بهم بكفاءةٍ تكفي لمواجهة التحديات التي تعرَّضوا لها وأكثر. لذا فهم يستحقون الكثير من المديح الذي حصلوا عليه، إن لم يكن كله.

الرئيس بوش... كلمة وفاء

*السفير فيصل راشد الغيص

صحيفة (الجريدة) الكويتية : ٢٠١٨/١٢/٥

توفي الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الأب في ٣٠/١١/٢٠١٨ وأعلن عن الوفاة في اليوم الأول من الشهر الجاري، وستبقى ذكراه الطيبة ماثلة في أذهان الشعب الكويتي كقائد للتحالف الدولي لتحرير الكويت وكرجل دولة عظيم. مهما قلنا في مدح هذا الرجل فلن نوفيه حقه، فلقد أخذ على عاتقه مهمة ردع الظلم والعدوان، وبذل جهوداً مضنية لبناء التحالف الدولي لتحرير بلادنا مع عدد من قادة الدول الأجنبية، ومع محبي ومناصري الحق والسلام من قادة الدول العربية الذين سنظل ممتنين وشاكرين لهم إلى الأبد.

علو على ذلك كان الرئيس بوش شخصية عظيمة وفريدة، فكان متواضعاً على قوته وشهماً في مواقفه، كما كان سياسياً محنكاً عرف كيف يستفيد من مرحلة التغيير والانفتاح في الاتحاد السوفياتي السابق، وكيف يتفاهم ويتناغم مع الرئيس ميخائيل غورباتشوف، ووزير خارجيته إدوارد شيفرنادزه لتلطيف الأجواء بين المعسكرين الشرقي والغربي "مما مكنه فيما بعد من تحييد الدبلوماسية السوفياتية- إن لم نقل كسبها- تجاه جهود تحرير الكويت، ورغم كون العراق حليفاً تقليدياً للاتحاد السوفياتي فلقد أدار هو ومعاونوه مثل جيمس بيكر وبرنت سكوكروفت عملية إقناع دول كالاتحاد السوفياتي والصين بالمساعدة أو على الأقل بالتزام الحياد ببراعة دبلوماسية ومهنية كبيرة، ولكن بجهود شخصية وجسدية مضنية، والحقيقة أن هذه الجهود ساهم فيها بفعالية قادة آخرون مثل السيدة مارغريت تاتشر، وقادة الخليج، والرئيس حسني مبارك.

من جهة أخرى كان الرئيس بوش الأب معروفاً باحترامه للقانون الدولي ومنظمة الأمم المتحدة، وخير مثال على ذلك الحادثة التالية: حينما اجتاحت قوات المشاة الأمريكية جنوب العراق في فبراير ١٩٩١ وصلت إلى مشارف مدينة الناصرية دون مقاومة من فلول الجيش العراقي المنهزم، فأراد الجنرال نورمان شوارتسكوف المضي إلى بغداد لإسقاط نظام صدام حسين، لكن جورج بوش منعه من ذلك، وكان سببه هو أن قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٧٨ حوّل البلدان الراغبة باستخدام كل الوسائل الضرورية لتحرير الكويت فقط، وأنه لو فعل أكثر من ذلك فإنه سيكون يتصرف خارج القانون الدولي، لذلك فضل التمسك بحرفية القرارات الدولية، مع أن هذا كلف أمريكا كثيراً فيما بعد.

وكان الرئيس بوش معروفاً ليس بمهنيته فقط، بل كذلك بخلقه الرفيع، ولقد وصفت في مقالة نشرتها لي جريدة الوطن بعنوان "شيم العظماء" بتاريخ ٢١ مايو ٢٠١٣ كيف تصرف الرئيس بوش مع أمير الكويت آنذاك الشيخ جابر الأحمد، رحمه الله، خلال مؤتمر قمة الأرض في ريو دي جانيرو في يونيو ١٩٩٢- أي بعيد تحرير الكويت، وكنت آنذاك سفير الكويت لدى البرازيل- بكياسة وأدب وتواضع وباهتمام فاق اهتمامه ببقية الرؤساء، وكانت تربط هذين الزعيمين علاقة صداقة ومودة واحترام متبادل، كما زار الرئيس بوش الكويت، فكان صديقاً محباً لها، وحظي في زيارته بحفاوة بالغة على المستويين الرسمي والشعبي. إن الولايات المتحدة حليف مهم للكويت ولكل بلدان الخليج، وعزز الرئيس بوش هذا التحالف، وكان معارضو تحرير الكويت من بعض القادة والمثقفين العرب يقدمون حججاً مغلوطة لدعم وجهة نظرهم، مثل نظرية المؤامرة، ومعاداة العروبة والإسلام، والحرب الصليبية، ومقابلة صدام حسين مع السفارة الأمريكية في بغداد، وما أسموه المعايير المزدوجة. وكانت إحدى نظرياتهم الخبيثة هي أن الأمريكيين إنما جاؤوا لاحتلال منابع النفط والتحكم في أسعاره وليس حياً بالكويت أو انتصاراً للحق. ما حدث هو أن الجيوش الأمريكية وجيوش بقية الحلفاء انسحبت بعد التحرير، ولم تحتل بئراً نفطية واحدة، وهو أن أمريكا ومعظم بلدان التحالف الدولي في الغرب والشرق تخضع لأسعار النفط العالمية، وأن الكويت وزميلاتها في منظمة أوبك هي من يتحكم في سوق النفط العالمي وفي أسعاره.

ما حدث هو أن أمريكا خسرت أرواح عدد من جنودها من أجل الكويت، وأنفقت نحو ٧٠ مليار دولار في هذه العملية، بقدر ما أنفقت الكويت نفسها، ومع ذلك لم نسمع في يومٍ ما معارفة من الأمريكيين لنا بأنهم هم من حررونا من الاحتلال العراقي، ولم نسمعهم قط يقولون إن أمن الكويت أو أمن الخليج من أمن أمريكا، فعبارة كهذه معدومة في قواميسهم.

والسؤال هو: بعد أن ضيعنا مناسبتين لتكريم مارغريت تاتشر ونورمان شوارتسكوف حين توفيا أو قبل ذلك، هل سنضيع هذه المناسبة الحزينة لرحيل بطل تحرير الكويت، وصديق الكويت الوفي، دون أن نكرمه بتشييد تمثال له، أو إن لم يكن ذلك- بحجة تحريم التماثيل لأنها نوع من الأصنام- فبتسمية شارع أو مرفق رئيسي باسمه؟ أتمنى أن نفعل ذلك كأقل علامة شكر وعرفان، ولتخليد ذكرى هذا الرجل العظيم والصديق الوفي.

مودعة عربية لرئيس أمريكي

*سمير عطا الله

صحيفة (الشرق الاوسط) : ٢٠١٨/١٢/٥

واحد حررّ وآخر احتل. واحد حارب ضد الظلم والاعتداء وغرور القوة، وواحد انساق خلفها. جورج بوش الأب كان صاحب أدوار تاريخية كثيرة، وتلميذاً حقيقياً للمدرسة القائمة على العدالة الدولية، وصل البيت الأبيض بعد مسيرة طويلة في العمل السياسي، سفيراً في الصين وفي الأمم المتحدة، ونائباً للرئيس ومديراً لـ«سي آي إيه».

عندما شارك في تحرير الكويت، مساهماً بالجزء الأكبر في القوة الدولية المشتركة، حرص على توازن العمل العسكري مع العمل السياسي. وبكل مهارة، أثبت أنه قادم لتحرير الكويت من ظلم كبير وليس لاحتلال العراق. أي من أجل إعادة السوية والاستقرار إلى النظام العربي، وليس من أجل استبدال زعزعة حمقاء بزلزلة لا نهاية لها.

بعد تحرير الكويت من الأيام الغاصبة، أقدم بعض الكويتيين على تسمية مواليدهم الذكور «جورج بوش». صحيح أنه اسم غربي هجين، لكنها الطريقة التي عبّر بها البسطاء عن فرحهم برفع ظلم «الشقيق» الأكبر وشركائه من العرب، الذين لم يترددوا في دعم سياسة الاحتلال وقلب البلدان وتشريد الشعوب.

لم يكن جورج بوش وحده بطل تحرير الكويت من أسوأ وأخزى الاحتلال. فالكويتيون من الأمير إلى الصغير، أعطوا المحتل وشركاءه درساً في الرفعة والوطنية. ولم يستطع صدام حسين أن يعثر بينهم على وضع واحد. ويوم استعادوا الكويت، استحقوها فرداً فرداً وشبراً شبراً.

في حين جاء العالم بقوة قوامها ٧٠٠ ألف مقاتل، انقسم العرب حول شقيق قاتل وشقيق مقتول. وكان الصلف مفرعاً. وأثبت الامتحان والمحنة موقف السعودية ومصر وباقي الفريق الذي لا يقر بالغزو والاحتلال والاعتداء على سيادة وكرامة وأرزاق الآخرين.

هذا ما فعله العرب حيال أنفسهم: أن تتذكر الكويت جورج بوش الأب كبطل جاء من آخر الأرض يساعدها على التحرر من أظافر الجار الناهشة في جسدها. منذ تلك الطاحنة اللاأخلاقية، انقلبت معاني الجوار والأخوة عند العرب. وفتح صدام حسين باب تدمير العراق بلا نهاية. في حين أغلقت الكويت باب الاحتلال خلفه، وعادت تستكمل بناء دولة نموذجية، بينما لا يزال العراق يبحث عن حكومة وعن كهرباء وماء في البصرة.

دخل جورج بوش الأب تاريخنا من باب لا يُنسى. ولم تتوقف مودته للعرب في الكويت، بل أصبح أيضاً أول رئيس أمريكي يجمّد قروض المستعمرات الإسرائيلية. ومن سوء حظنا أنه لم يجدد ولايته، فيما الذي جدد كان جورج بوش الابن. وقد مارس رداءة الغزو والاحتلال. وأساء تدبير الانتقال من صدام إلى حكم طبيعي. وفي كلمة أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد في تأبين الرئيس الأب، أول مشاركة عربية في غياب رئيس أمريكي كان حليفاً.

مأزق التقدم البشري الآن

*عبد المنعم سعيد

المركز الاقليمي للدراسات الاستراتيجية في القاهرة: ٢٠١٨/١٢/٥

أن البشرية تتقدم أصبحت حقيقة يمكن ملاحظتها وقياسها" فالإنسان أصبح أطول عمراً، وأفضل صحة، وأكثر قدرة على الاتصال والتواصل، وهكذا مؤشرات. وفيما عدا منطقة الشرق الأوسط التي عانت كثيراً خلال السنوات الأخيرة، فإن دول العالم عاشت ربما أطول فترات غياب الحروب بين الدول، وباتت المجاعة أمراً نادراً، وإذا حدث فإن الدنيا كلها تتجمع لإنقاذ من جاع. الأمراض المستعصية جرى تحديدها، وحتى السرطان الذي قيل عنه إنه «إمبراطور» الأمراض بات ممكناً، إما الشفاء لأنواع منه، أو التعامل معه بحيث يمكن للمريض العيش حياة طبيعية. ببساطة، فإن الحروب والمجاعة والأوبئة باتت أقل حدوثاً، ومعها تقدمت شعوب ودول، وخلال العقدين الماضيين خرج ملياران من البشر من دائرة الفقر إلى ساحة الستر، جاء أغلبهم من الهند والصين. أن يقال إن ذلك يشكل تقدماً مادياً لا يعبر عن مدى السعادة لدى البشر، أو أن القيم الأخلاقية تراجعت، فتلك أمور عاطفية ونفسية يصعب قياسها، ولا يوجد دليل حتى الآن أن الإنسان الأقل تقدماً أكثر سعادة وأفضل أخلاقاً، فالمرجح أن التعاسة أكثر، والفقر لا يعرف الرقي. وعلى أي الأحوال، فإن فكرة «التقدم» تظل تدور حول أمرين: أولهما التقدم التكنولوجي الذي يمثل الآلة الدافعة للانتقال من حال إلى أخرى، وبخاصة مع شموله مجالات عدة في آن واحد" وثانيهما قدرة الإنسان على تنظيم هذا التقدم من خلال مؤسسات دولية ومحلية للتعامل مع التغيرات الكبيرة، والتقلصات التي تأتي من انقلاب الدنيا رأساً على عقب. هناك دائماً فجوة زمنية حرجة ما بين حدوث التقدم، وتطبيقه، وتجاوزه إلى تقدم آخر!

سبب إثارة هذه القضية في هذا المقام ثلاثة أمور تشكل مأزقاً للإنسانية، ولا يوجد حتى الآن طريق للخروج من هذا المأزق. أولها أن استمرار التقدم وتراكمه بات يهدد الكرة الأرضية ذاتها. وفي الحقيقة، فإن مثل هذا التهديد الشامل ليس الأول من نوعه، فقد سبق العالم «مالثوس» إلى القول إن الزيادات السكانية تتحرك بمتوالية تفوق تلك التي تأتي بها الموارد الغذائية، ومن ثم فإن «التقدم» سوف يعني كثرة الحروب وندرة الغذاء وذيوع المجاعة. لم يحدث ذلك بالطبع، بل إن دولاً مثل الصين والهند باتت مكتفية ذاتياً في الغذاء، بل وتقوم بالتصدير، وبات عدد البشر الذين يموتون من أمراض «السمنة» وزيادة الوزن أكبر من هؤلاء الذين يموتون بالمجاعة. وفي السبعينات من القرن الماضي، قام نادي روما عام ١٩٧٤ استناداً إلى ما سماه صدمة البترول إلى القول، إن الموارد الطبيعية الأساسية بما فيها النفط سوف تتآكل إلى الدرجة التي لا تسد الحاجات الطبيعية للإنسان فتكون حروب، وكذلك التراجع في تلبية احتياجات البشر. مضت ستة عقود على ذلك زاد فيها إنتاج النفط وجاء معه الغاز، وباتت الطرق كلها مفتوحة على أنواع جديدة من الطاقة، وبدائل كثيرة للمواد الطبيعية. هذه المرة، فإن التهديد قائم للكرة الأرضية بسبب الاحتباس الحراري" وكان الظن أن اتفاقاً في باريس قد وضع حداً للمشكلة، لكن انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق بات خروجاً لأكبر أسباب التلوث الحراري من المعاهدة التي تعالج المشكلة، فماذا يحدث عندما ينسحب المتقدمون من معالجة نتائج التقدم؟

المأزق الثاني أن مشروعية «التقدم» تقوم على قدرته على معالجة مشكلات ومعضلات البشر، ومع معرفة الخريطة الجينية للمخلوقات بات ممكناً حل الكثير من المشكلات المعوقة للتقدم البشري. وعن طريق تعديلات في الخريطة الجينية للبعوض بات ممكناً منع تكاثرها أو قيامها بحمل مرض الملاريا المنتشر في مناطق كثيرة من أفريقيا. وبمثل هذه الطريقة من المعالجة الجينية بات ممكناً زيادة نسبة البروتين في الحبوب، وكذلك قدرتها على مقاومة الجفاف» وبالطريقة نفسها معالجة عدد من أنواع السرطان التي تقوم فيها الخلايا السرطانية بالتحول لأشكال جديدة نتيجة العلاج الكيماوي. المأزق الذي يعيشه الإنسان هو عما إذا كان جائزاً إعادة كتابة الخريطة الجينية للإنسان حتى يمكن تجنب أحد الأمراض؟ القصة الأخيرة في هذا الموضوع كانت قيام العالم الصيني «هي جيانكوي» بإعادة تحرير الخريطة الجينية من خلال تكنولوجيا معروفة باسم «كرسبر كريس 9» لكي يغير من جينات توأمين من الإناث. المسألة تبدو كما لو كانت نوعاً من «التطعيم» المبكر ضد مرض من الأمراض، لكنها في الواقع تفتح الباب على مصراعيه على ألا يصبح البشر بشراً بعد تغييرات كثيرة ممكنة للجينوم الإنساني. المسألة لقيت اعتراضاً عالمياً دفع الحكومة الصينية إلى وضع هذه المحاولات في حالة تجميد. لكن مأزق التقدم يظل قائماً، لأنه اقترب هذه المرة من جوهر الإنسان الذي بات تقدمه يحمل احتمالاً لإنهاء وجوده.

المأزق الثالث له صلة قوية بالعلاقات الدولية وما يترتب عليها من حرب أو سلام. فالثابت تاريخياً أن التقدم لا يمكن احتواؤه داخل حدود بعينها» فهو ينتقل من دولة إلى أخرى، وفي ظل ما جرى من تقدم في وسائل الانتقال فإن انتقاله أصبح أكثر سرعة من أي وقت مضى، ومن ثم فإنه يغير من توازنات القوى. مأزق «ثيوسيدس» التاريخي كما جاء في كتاب المفكر الاستراتيجي اليوناني، أن زيادة قوة «أثينا» كانت السبب الذي أدى إلى شن إسبرطة هجوماً عليها، وقيام ما عرف بحرب «البلوبنيز» التي ربما كانت من أشهر الحروب في التاريخ. الآن بات لا يمكن للولايات المتحدة أن تتجاهل التصاعد السريع في قوة الصين، وتقدمها التكنولوجي المتسارع حتى في المجالات التي تصورت واشنطن أن لها فيها تفوقاً أبدياً في مجالات الفضاء والإلكترونيات والجينات. هناك بالطبع الدافع الصيني الذاتي لكي تكون القوة العظمى الأولى في العالم، لكن هذا الدافع يساعده وجود ٣٥٠ ألف طالب صيني يدرسون في الولايات المتحدة، وأغلبهم في المجالات التي تتفوق فيها أمريكا، وفي أفضل جامعاتها مثل هارفارد وبرنستون وييل. ما يحدث حالياً هو أن الولايات المتحدة تتهم الصين بالتجسس الصناعي، واستجلاب المعارف التكنولوجية الأمريكية من خلال هؤلاء الطلبة، ومن ثم بدأت في فرض القيود على مجيئهم إلى الولايات المتحدة. وإذا أضفنا إلى ذلك «الحرب التجارية» الجارية فإن «عقدة ثيوسيدس» تبدأ تدريجياً في التجسد، وتعيد إلى الأذهان، ليس فقط ما جرى بين «أثينا» و«إسبرطة»، لكن ما جرى أيضاً بين بريطانيا وألمانيا عندما انتقلت الثورة الصناعية الأولى من لندن إلى برلين فكانت حربان عالميتان.

ثلاثة مأزق كبرى توجه التقدم البشري، أولها يهدد الكرة الأرضية كلها» وثانيها يهدد الإنسان وكونه بشراً» وثالثها يهدد النظام الدولي كله» فهل يحلها فكرة التقدم ذاتها كما فعلت من قبل؟ كما لكل أمر هناك متفائلون ومتشائمون، لكن هذه قضية أخرى على أي حال!

تزييف التاريخ للتحكم في المستقبل

صحيفة (العرب) اللندنية: ٢٠١٨/١٢/٥

لندن - عادة ما يجب الزعماء الدكتاتوريون الجنوح إلى قاعدة سهلة لكنها شعبية ولا تخرج مقاصدها عن نشر المغالطات وخاصة عبر تزييف التاريخ خدمة لأهوائهم وأغراضهم أو لنشر شعبيوتهم بالنهل مما يحفظه التاريخ ما يناسبهم وترك أو طمس ما يخدم من سبقهم في بناء أو تحرير أو حتى تخريب أوطان.

ويعد رئيس الوزراء المجري فيكتور أوربان أحد أبرز مزوري التاريخ، حيث تطرق في خطاب أمام طلاب الجامعة في ٢٢ يوليو الماضي بعنوان "هل ستنتمي أوروبا إلى الأوروبيين؟" إلى كيفية تطبيق خطة سوروس لجلب "مئات الآلاف من المهاجرين" كل عام من العالم الإسلامي إلى الاتحاد الأوروبي.

وأضاف "كان الهدف هو تحويل القارة الأوروبية إلى قارة إسلامية جديدة". كان هذا، كما قال أوربان، هو السبب وراء "سحب بروكسل المستمر للقوى من الدول الأوروبية".

ويتميز أوربان، وفق ما كتبت ناتالي نوغاريدي في صحيفة الغارديان البريطانية، بأنه شخصية شعبية، اعتاد على إذكاء مشاعر كره الأجانب والمشاعر المعادية للمسلمين، فهو يتبنى نظريات المؤامرة اليمينية المتطرفة، ورسالته ليست مجرد أخبار مزيفة عن الحاضر، لأن الأمر يتعلق إلى حد كبير بتحريف التاريخ.

ويقول أوربان "لم تكن أمتنا قريبة كما هي اليوم لاستعادة ثقافتها وحيويتها منذ معاهدة تريانون"، في إشارة إلى معاهدة ما بعد الحرب العالمية التي حرمت هنغاريا من ثلثي مساحتها الكلية. وكانت الفكرة الموجهة من أوربان هي أن المجر يجب أن تسعى إلى تعويض هذا الإذلال التاريخي.

وتؤكد نتالي أن أوربان ليس الوحيد في العالم العاشق لمهمة التلاعب بالتاريخ لتعزيز أهدافه السياسية. ففي تركيا، يسعى الرئيس رجب طيب أردوغان إلى تمجيد الماضي العثماني في ظل توسيع لصلاحياته.

وتعتبر السيطرة على الذاكرة جزءاً متأسلاً أيضاً في قلب نظام بوتين في روسيا، حيث لم تتم إعادة إحياء ذكرى ستالين فقط، من خلال تشييد معالم جديدة لتكريمه في جميع أنحاء البلاد، لكن المؤرخين ونشطاء حقوق الإنسان الذين يعملون على توثيق جريمة ستالين تعرضوا لضغوط سياسية.

وفي الصين، تعتبر حكومة شي جين بينغ، أي ذكر لأهوال الثورة الثقافية أو مذبحه ساحة تيانانمن تحدياً لحكم الحزب الشيوعي. ويتضح أن فقدان الذاكرة الجماعية هو ما يسعى إليه النظام في القضايا التي تخاطر بتقويض شرعيته. لا يكفي إلقاء المعارضين في السجون أو فرض الرقابة على المعلومات، لكن القضاء على التاريخ وتطهيره هما على ما يبدو الهدفان الأهم.

وفي حين أنه من المغري الاعتقاد بأن إعادة كتابة التاريخ هي شيء موجود حصرياً في الأنظمة غير الليبرالية أو الدكتاتورية، إلا أن الأمر أصبح الآن سمة مميزة للحكومات الديمقراطية، حيث سعى خطاب دونالد ترامب في وارسو إلى وصف كفاح بولندا التاريخي من أجل الحرية والاستقلال بمعركة "حضارية" من أجل ترسيخ القيم العائلية، والتقاليد بدلا من التطلع إلى الديمقراطية.

وفي بريطانيا، يقدم مؤيدو بريكست نسختهم الخاصة من التاريخ عبر الحنين إلى أيام الإمبراطورية الذي يأتي مصحوبا بالمبدأ القائل إن المشروع الأوروبي ما هو إلا عبودية استبدادية طوال الوقت. ولم يكن لبريطانيا أبدا رأي في أي شيء قرره الاتحاد الأوروبي، والآن لديها فرصة "لتحرير" نفسها.

يحتوي كتاب جورج أورويل "ناينتين إيتي فور" على عبارة مشهورة عن التاريخ وأهميته "من يتحكم في الماضي يتحكم في المستقبل. ومن يتحكم في الحاضر يتحكم بالماضي". وقد كان الماضي دائما ساحة معركة. لكن، اليوم وفي ظل تدفق المعلومات في عصر الإنترنت، يمكن للباحثين والطلاب والصحافيين والمواطنين بشكل عام الوصول إلى الماضي دون الحاجة إلى تعرضهم لشكل من أشكال السيطرة المركزية أو التأثير.

لماذا قررت قطر الانسحاب من أوبك؟

ستراتفور: ٢٠١٨/١٢/٥

لا يبرز قرار قطر مغادرة منظمة "أوبك" فقط انخفاض أهمية المنظمة، لكنه يقدم علامة أخرى على تأثير الخلافات السياسية داخل دول مجلس التعاون الخليجي. وبالنسبة إلى قطر، فإن القرار يعزز خطط الدوحة الطموحة للتوسع في قطاع الغاز الطبيعي المسال. تعزز قطر خطواتها في الاستقلال الدبلوماسي بعيدا عن جيرانها المشاكسين، وفي يوم ٣ ديسمبر/كانون الأول، أعلن وزير الطاقة القطري الجديد "سعد الكعبي" أن بلاده ستغادر رسميا منظمة "أوبك" بداية من مطلع العام المقبل ٢٠١٩. وبحسب الوزير، فإن قطر ستحضر اجتماعات منظمة "أوبك" المقبلة في فيينا وستلتزم بتعهداتها، لكنها قررت أن تترك المنظمة في النهاية للتركيز على استراتيجيتها لتوسيع إنتاج الغاز الطبيعي المسال، وإن كانت ستستمر في إنتاج بعض النفط. وفي إشارة للمملكة العربية السعودية، برر "الكعبي" قرار بلاده بأن قطاع النفط صار يدار من قبل منظمة يهيمن عليها بلد واحد.

تضافرت العديد من العوامل وصولا إلى القرار القطري. وكانت الدوحة دوما عضوا فريدا في تكتل منتجي النفط، لأن قطر تعتمد بشكل أكبر على تصدير الغاز الطبيعي ولا تنتج سوى ٦٠٠ ألف برميل يوميا من النفط الخام. علاوة على ذلك، أصبحت "أوبك" خاضعة بشكل متزايد لهيمنة السعودية، التي تبدو عاجزة أو غير راغبة في صناعة توافق داخل المنظمة في الوقت الذي تسعى فيها لتقديم تنازلات سعيا لعلاقات أوثق مع واشنطن. ويعتقد بعض أعضاء "أوبك" أن هذه العلاقة تسببت في اتخاذ المزيد من القرارات الأحادية من قبل السعودية أدت إلى نتائج عكسية أضرت بمصالح المنظمة وقللت من فاعليتها في سوق النفط، وهو القلق الذي يتنامى بشكل ملحوظ منذ واقعة مقتل الصحفي السعودي "جمال خاشقجي".

وفيما يبدو، فإن قطر تسعى إلى استقلال أكبر عن المملكة العربية السعودية لأسباب متعددة، ليس أقلها الحصار الذي تقوده السعودية على قطر والذي بدأ في يونيو/حزيران ٢٠١٧.

وسوف تمنح مغادرة "أوبك" قطر المزيد من الاستقلالية عن السعودية، وسوف تسمح للدوحة أيضا بإعطاء أولوية أكبر للغاز الطبيعي المسال، حيث يعتبر سوق الغاز المسال هو الأكثر جدوى للاقتصاد القطري، ويبدو القطاع في خضم تغيرات كبرى عالميا في الوقت الذي تخطط فيه الدوحة لتوسع هائل في الصناعة.

ومن أجل تحسين قدرتها على المنافسة في القطاع السريع النمو، أعادت قطر تنظيم جزء من هيكل إدارة الطاقة لديها من خلال دمج شركتي الغاز الطبيعي في البلاد في وقت سابق من هذا العام، من بين خطوات أخرى لتحسين وضعها التنافسي. وأخيرا، تلمس قطر جهود المشرعين الأمريكيين لتقديم تشريع يستهدف "أوبك" وأعضاءها، مما أعطاها سببا آخر لترك المنظمة. وباعتبارها منتجا صغيرا للنفط، فإن المنافع التي تحصل عليها قطر من عضويتها لا تكفي لتبرير المخاطر المالية الناجمة عن مثل هذه التشريعات.

لم تكن قطر عضوا مؤسسا في منظمة "أوبك"، لكنها انضمت إلى المنظمة عام ١٩٦١ بعد عام واحد من تأسيسها. وكانت قطر أكبر مصدر للغاز الطبيعي المسال في العالم خلال معظم العقود الماضية، لكن الدوحة خسرت هذه المرتبة لصالح أستراليا في السنوات القليلة الماضية.

وتوسعت قدرة أستراليا على تسييل الغاز الطبيعي بشكل كبير منذ عام ٢٠١٢، ومن المتوقع أن تتساوى الولايات المتحدة مع الدوحة في إنتاج الغاز الطبيعي المسال بحلول نهاية عام ٢٠١٩.

وفي محاولة لمواصلة المنافسة، أعلنت قطر في عام ٢٠١٧ أنها ستنتهي فترة ١٢ عامًا من الوقف الاختياري لتطوير مخزونات من الغاز الطبيعي في حقل الشمال، وأنها تخطط لتعزيز صادراتها السنوية من ٧٧ مليون إلى ١١٠ ملايين طن متري من الغاز الطبيعي المسال بحلول عام ٢٠٢٤.

ومع مغادرة منظمة "أوبك"، تأمل قطر في النهاية أن تكون حرة لمتابعة أي سياسات للطاقة يمكن أن تخدم مصالحها، بعيدا عن التأثيرات المحتملة للسياسة السعودية.

احتجاجات «السترات الصفراء» و«فيسبوك»

*ليونيد بيرشيدسكي

صحيفة (واشنطن بوست) : ٢٠١٨/١٢/٥

حظي الدور الذي لعبته الشبكات الاجتماعية في انتفاضات الربيع العربي والاحتجاجات الشعبية الروسية في عامي ٢٠١١ و٢٠١٢ على التوالي بالكثير من الزخم على نطاق كبير. غير أن القليل من مثل هذا الحماس يُشاهد الآن في احتجاجات «السترات الصفراء» التي اندلعت مؤخرا في فرنسا.

غير أن «فيسبوك»، وسواه من المنصات الالكترونية الاجتماعية، لم يكونوا معنيين لا بالحرية ولا بالديمقراطية في شيء. إذ أن كل ما نجحوا فيه كان مساعدة الناس على إنكاء جذوة الغضب والسخط. ومن خلال تضخيم فحوى الرسائل الموجهة وكذلك تضخيم فقايع الرأي العام خاوية المحتوى، تحول الأمر من مجرد زوبعة في فئان إلى إعصار يعصف بكل مكان.

ويتكرر نفس المشهد في الآونة الراهنة داخل فرنسا، الدولة التي يستحيل وصفها بالاستبدادية، والدولة التي لا تملك الولايات المتحدة من سبب وجيه لإنكاء نيران الثورة بين مواطنيها.

وبدأ الأمر برمته إثر القرار الحكومي الفرنسي بزيادة الضرائب على المحروقات بواقع ٦,٥ سنت لكل لتر من الديزل، و٢,٩ سنت لكل لتر من البنزين. وهذا القرار، برغم كل شيء، لا يمكنه أن يثير غضبا شعبيا هائلا كالذي نشهده في فرنسا هذه الأيام. بالنسبة للمواطن الفرنسي الذي يملأ خزانا سعته ٥٠ لترا من الديزل مرة كل أسبوع، فإن الزيادة المقررة تساوي ١٣ يورو (١٥ دولارا) من التكاليف الإضافية الشهرية، أي ما (لا) يساوي ثمن وجبتين من الوجبات السريعة في أي متجر فرنسي عادي. غير أن الاحتجاجات، التي اندلعت في منتصف أكتوبر (تشرين الأول) إثر لغو صاحب عبر صفحة من صفحات «فيسبوك» لعازفة الأكروديون الفرنسية جاكلين مورو بشأن السياسات الحكومية المناوئة للسيارات، كانت قد تفتشت واستفحلت عبر المنصات الاجتماعية حتى انتهى بها الأمر إلى أسوأ حالة من أعمال الشغب المدنية التي شهدتها فرنسا خلال أكثر من عشر سنوات. وفي عطلة نهاية الأسبوع الماضي، تعرض أكثر من ١٣٣ مواطنا للإصابة، بما في ذلك ٢٣ ضابطا من الشرطة الفرنسية في تلك المواجهات.

كل ما هنالك أن بعضا من زعماء الرأي المجهولين قد برزوا فجأة على سطح الأحداث ليقودوا مجموعات المتظاهرين من هنا وهناك الذين تتضخم ثم تنطرف آراؤهم عبر مجموعات فيسبوك المعروفة إعلاميا باسم «السترات الصفراء». وأحد زعماء الرأي المجهولين هناك هو مكسيم نيكول، الشهير باسم فلاي رايدر، وهو مواطن من أصل بريطاني يبلغ من العمر ٣١ عاما الذي اعتاد أن يُطل علينا بملقات البث المباشر للاحتجاجات الفرنسية عبر صفحته على فيسبوك. ولقد ظهر على نحو مفاجئ باعتباره أحد أبرز المتحدثين الثمانية باسم حركة «السترات الصفراء» المخولين للتفاوض مع الحكومة الفرنسية.

يقول فريدريك فيللو، الباحث الحالي في جامعة ستانفورد وأستاذ الصحافة السابق في جامعة «سيانس بو» الباريسية: «يتحول المفكرون الذاتيون إلى شخصيات وطنية على نحو مفاجئ، وذلك بفضل المجال المتسع عبر صفحات فيسبوك والدفق المتصل للبث المباشر. والمبادئ التي يتعلق بها أمثال مكسيم نيكول عبارة عن مزيج من المطالب غير المتناسكة عبر بوق وطني فائق الضجيج».

وكان الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون قد وصف بيان «السترات الصفراء» بأنه عبارة عن «خليط من كل شيء ومزيج من اللاشيء». وفي واقع الأمر، كانت المطالب الأصلية – إلغاء الضرائب الأخيرة على المحروقات، وخفض ضرائب القيمة المضافة على المواد الغذائية، وتقليل الغرامات على المخالفات المرورية، وتخفيض أجور المسؤولين المنتخبين، ورفع فعالية الإنفاق الحكومي – قد ضاعت في خضم الدعوات المزيدة بتحسين الخدمات العامة، وحل البرلمان، واستقالة رئيس البلاد. وصار الأمر الآن يتعلق بالسخط الذي بات متدفقا في كافة الاتجاهات من دون ضابط. وكما يصف البروفسور فيللو الأمر بقوله: «أثبت موقع فيسبوك قدرته السمومية الشديدة على العملية الديمقراطية، عبر التضخيم المطلق والتطرف الهائل للسخط الشعبي لدى المواطنين».

ليس هناك شيء ديمقراطي على الإطلاق يتعلق بظهور حفنة من مشرفي مجموعات فيسبوك في صورة المتحدثين الرسميين باسم إحدى الحركات الشعبية. وعلى العكس من الرئيس ماكرون والنواب الفرنسيين، فإن هؤلاء المشرفين غير منتخبين من أحد في البلاد. وفي مقال لصحيفة ليبراسيون الفرنسية قال الكاتب فينسنت غلاد إن التحولات الأخيرة في لوغاريمات فيسبوك – التي أتاحت الأولوية للمحتوى الذي أنشأته المجموعات على الموقع خلافا لمحتوى الصفحات المنفردة، بما في ذلك المحتوى المعني بمنافذ الإعلام التقليدية – قد وفرت آليات دعم وتعزيز هذه الشخصيات. وظن مارك زوكربيرغ، الرئيس التنفيذي لشركة فيسبوك، أنه ينزع بذلك الصفة السياسية عن منصبه الإلكترونية ويركز على ربط الناس بعضهم ببعض. وليس هذا ما حدث على أية حال.

واستطرد الصحافي غلاد يقول: «إن مشرفي مجموعات فيسبوك، الذين تتزايد صلاحياتهم على نحو مستمر بدعم مباشر من ناحية زوكربيرغ، هم الوسطاء الجدد، الذين يقاتلون وتنتعش أعمالهم على أنقاض النقابات العمالية، أو الجمعيات التجارية، أو الأحزاب السياسية».

وسواء كان الغضب الذي أطلقته زيادة الضرائب الفرنسية الطفيفة على المحروقات حقيقيا أو مفتعلا على نحو جزئي بسبب «غرف الصدى» على فيسبوك، فقد بات الأمر الآن عصياً على الاكتشاف والتحقق من دون أساليب علمية تتسم بالانضباط والدقة. وعلى الرغم من ذلك، فقد حان الوقت للتخلص تماماً من أية أوهام باقية تقول بأن الشبكات الاجتماعية تلعب دوراً إيجابياً أو محورياً في تعزيز الديمقراطية أو دعم الحرية.

لا يستطيع المجتمع الحر حظر فيسبوك بين مواطنيه، أو حتى النأي بالذات بعيداً عن وظيفة تعزيز الكراهية، ولكن ينبغي على المجتمع الحر أن يكون على دراية وحذر من المخاطر الشديدة التي يشكلها فيسبوك وغيره من المنصات الاجتماعية.

ولا يمكن لدولة حرة مثل فرنسا أن تلجأ لمثل هذه الأساليب الرخيصة. مما يعني المزيد من الأعباء على الشرطة، واتخاذ القرارات الصارمة من قبل الساسة غير المستعدين للرضوخ لحكم الغوغاء – وذلك حتى يبدأ الشعبويون المدعومون من قبل الشبكات الاجتماعية في الفوز بالانتخابات العامة. ويستلزم تفادي مثل هذه النتيجة المريعة من الناس المزيد من الوعي والإدراك بحقيقة الدور الذي تنفذه هذه المنصات الاجتماعية فعليا، والشروع في الخروج منها والإقلاع عنها زرافات ووحदानا.

بيان للوزير بومبيو: اليوم العالمي لمكافحة الفساد

وزارة الخارجية الامريكية/ مكتب المتحدث الرسمي : ٢٠١٨/١٢/٨

بيان لوزير الخارجية الأمريكي:

إن الفساد يسهل الجريمة العابرة للحدود الوطنية ويغذي الإرهاب وكذلك يعيق النمو الاقتصادي ويضعف حكم القانون ويقوض الديمقراطية. كما أنه في نهاية المطاف يعرض أمننا القومي للخطر. ولهذا السبب نتعهد بمواصلة العمل مع شركائنا لمنع ومكافحة الفساد في جميع أنحاء العالم عندما نتطلع إلى اليوم العالمي لمكافحة الفساد في ٩ كانون الأول/ديسمبر. وأن الولايات المتحدة من خلال وزارة الخارجية الأمريكية والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية تساعد الدول الشريكة على بناء مؤسسات تتسم بالشفافية وخاضعة للمساءلة وتعزيز أنظمة العدالة الجنائية التي تحاسب الفاسدين. كما ندعم المجتمع المدني والصحفيين، الذين يكشفون الفساد ويحاسبون المسؤولين الحكوميين. ونمنع كذلك الفساد من خلال دعم المبادرات العالمية التي تعيد بناء ثقة المواطنين. كما أننا نحاسب الفاسدين من خلال العقوبات المالية المستهدفة للفساد وإساءة حقوق الإنسان عبر قانون ماغنيتسكي لمحاسبة انتهاكات حقوق الإنسان على النطاق العالمي. وندعو جميع البلدان في مثل هذا اليوم إلى التنفيذ الفعال لالتزاماتها الدولية لمكافحة الفساد، بما في ذلك من خلال اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، وأن العالم، ومن خلال البرامج التي تستعيد الأموال العامة المسروقة وتعيدها وكذلك تؤسس مؤسسات شفافة وخاضعة للمساءلة، يمكن له مكافحة هذه التهديد للأمن العالمي.

٧ كانون الأول/ديسمبر، ٢٠١٨

هيذر ناوت... صوت ترامب وبولتون الجديد في الأمم المتحدة

العربي الجديد: ٢٠١٨/١٢/٨

حسم الرئيس الأمريكي دونالد ترامب أمره، في الإعلان عن بديل مندوبة الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة، نيكي هيلي، إذ رسا الخيار على المتحدثة باسم وزارة الخارجية الأمريكية، هيذر ناوت. ويأتي خيار ناوت التي سيكون عليها أن تنتظر مصادقة مجلس الشيوخ على تعيينها، بعد أن تكبدت هيلي آخر هزائمها السياسية، بعد فشلها في تمرير المشروع الأمريكي، الذي يدين حركة "حماس" في مجلس الأمن، ليل الخميس . الجمعة، بعد نجاح الكويت بأكثرية ثلاثة أصوات فقط في تمرير قرار إجرائي يؤكد ضرورة حصول مشروع القرار على أكثرية الثلثين لاعتماده، وهي أغلبية تعدد على واشنطن تأمينها.

وجاء قرار الإعلان عن ناوت، بعد مداوات عدة لترامب، قرّر إثرها اختيارها وتفضيلها على مرشحين كثر للمنصب. التدقيق في أسباب اختيارها دوناً عن غيرها، لا يحيل إلى خبرات دبلوماسية استثنائية تمتلكها، بل إلى مجموعة أسباب لا تفصل عن طريقة اختيار ترامب لفريقه من جهة ونظرته إلى الأمم المتحدة من جهة ثانية.

بالنسبة إلى ترامب كان يكفي أنها مقربة من وزير الخارجية المحسوب عليه، مايك بومبيو، الذي اختاره خلفاً لريكس تيلرسون بعدما فشل الأخير، من وجهة نظر ترامب، في ترجمة أفكاره والتماهي معها. كما أن ناوت، التي تمت تسميتها كقائم بأعمال نائب وزير الخارجية للشؤون الدبلوماسية العامة والعلاقات العامة من مارس/آذار حتى أكتوبر/تشرين الأول الماضي، خريجة شبكة "فوكس" الإخبارية، المفضلة عند الرئيس على عكس محطات ووسائل إعلام أخرى يهاجمها ترامب باستمرار وينظر إليها على أنها "العدو"، وهي ترى كما الرئيس الأمريكي، أن الأخبار الكاذبة مشكلة ليس فقط للولايات المتحدة بل للعالم أجمع.

وبهذا الاختيار يكشف ترامب عن استخفافه بالأمم المتحدة، باختيار سفيرة من خارج السلك الدبلوماسي المحترف، أو حتى الوسط القريب من هذا الحقل. تاريخ ناوت معروف، فقد تخرّجت من جامعة كولومبيا في نيويورك، ثم بدأت بالعمل الصحافي عام ١٩٩٦. انضمت إلى شبكة "فوكس" الإخبارية عام ١٩٩٨، واستمرت حتى عام ٢٠٠٥. وبين عامي ٢٠٠٥ و٢٠٠٧، عملت في شبكة "أي بي سي"، قبل العودة إلى "فوكس".

وفي ٢٤ أبريل/نيسان ٢٠١٧، تم تعيين ناوت متحدثة باسم وزارة الخارجية، وتمكنت بسرعة من أداء دورها، رغم الحواجز التي اعترضتها أيام الوزير السابق ريكس تيلرسون. ومع مجيء بومبيو لمع دورها أكثر بعد أن تم تعزيز وضعها باعتبارها خريجة "فوكس" القريبة من الإدارة التي استقدمت منها ثلاثة من كبار مسؤوليها من بينهم مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي جون بولتون، قبل أن تأتي استقالة هيلي المفاجئة، لتتيح الفرصة لناوت لخلافتها.

وأثار قرار ترامب ردوداً واسعة حول جدارة التعيين. معظم الأوساط أبدت استغرابها من باب أن "الدبلوماسية غير الصحافة". فالضليح في الصحافة قد يصلح لشغل منصب سفير لدى دولة، لكن ليس في الأمم المتحدة. فهذا الموقع يحتاج من يشغله إلى معرفة واسعة بالشؤون والعلاقات الدولية وبخبرة وحكمة في فن الدبلوماسية وصياغة التحالفات وإدارة المفاوضات، خصوصاً في مجلس الأمن، لتمرير القرارات. ثم أن السفير الأمريكي في الأمم المتحدة أكثر من سفير، إذ يتمتع عادة بدرجة وزير ويكون عضواً في مجلس الأمن القومي المؤلف من الرئيس ونائبه ووزراء الخارجية والدفاع والطاقة ومدير "سي أي إيه" ورئيس هيئة الأركان للقوات المسلحة، وأحياناً ينضم إليهم وزراء آخرون. لذلك فإن من شغل هذا المنصب كانوا بالمقاييس الأمريكية، من العيار الدبلوماسي الوزن عموماً، وهو ما دفع البعض إلى التحذير من أن استمرار هذا النهج سيدفع كبار الدبلوماسيين الأمريكيين للإعراض عن تولي هذا المنصب في سنوات لاحقة نتيجة ما يحدث في زمن دونالد ترامب.

هيللي التي تغادر منصبها مع نهاية العام الحالي، لم تكن لديها تجربة في هذا الحقل، فقد كانت حاكمة لولاية كارولينا الجنوبية، ووجهاً لأمعاً في الحزب الجمهوري، فضلاً عن أنها متصهينة أكثر من رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو نفسه، ومنتشدة مع روسيا أكثر من البيت الأبيض. بهذا المزيج وبشيء من الاستقلالية، أزجعت هيللي البعض في البيت الأبيض، فكان أن بادرت إلى الاستقالة قبل أن يصلها مقص الإقالة.

هذه التجربة مع هيللي أدت إلى اختيار ناوورت، المهينة لتكون صدق للبيت الأبيض الذي ليس معروفاً ما إذا كان سيمنحها درجة وزير أم لا. لكن المؤكد أنها ستعمل وفق ما يرسم لها من خطوط وتبقى في حدوده فقط. أي عملياً وفق ما يرسمه الرئيس وبتأثير بولتون في كثير من الأحيان في الملفات الخارجية، على غرار ما فعلت خلال توليها منصب المتحدث باسم الخارجية الأمريكية.

بالنسبة لناوورت فإنها خاضت في ملفات سابقة بشكل ثانوي، ففي قضية مقتل الكاتب، الصحافي السعودي جمال خاشقجي، اعتبرت في وقت سابق أن "التقارير الصادرة والتي تشير إلى أن الحكومة الأمريكية توصلت إلى استنتاج نهائي غير دقيقة غير صحيحة، فما زالت هناك أسئلة عديدة ليس لها إجابات بشأن مقتل السيد خاشقجي". وذكرت في حديث آخر أن "الخارجية ستواصل البحث عن الحقائق والعمل مع دول أخرى لمحاسبة أولئك المسؤولين عن مقتل الصحافي، مع الحفاظ على العلاقة الاستراتيجية المهمة بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية". ورغم نيتها التمسك بالعلاقة مع الرياض، تماماً كما يصرّ ترامب نفسه، إلا أنها ذكرت بعد إعلان السعودية نتيجة تحقيقاتها الأولية مطلع الشهر الماضي، أن "بيان النيابة السعودية هو خطوة أولى هامة ونتوقع من السعودية مواصلة تحقيقاتها. ونحن مستمرين في جمع المعلومات وتحليلها في قضية خاشقجي لاتخاذ القرارات المناسبة بشأنها". وفتت إلى أنه "نسعى لكشف الحقائق والتشاور مع الكونغرس والعمل مع دول أخرى لمحاسبة المسؤولين عن قتل خاشقجي".

أما في الموضوع الفلسطيني، فرددت ناوورت كلام ترامب أكثر من مرة، واعتبرت في موضوع وقف تمويل وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "أونروا"، أن "الولايات المتحدة كانت تدفع الأموال إلى الفلسطينيين بسخاء"، مضيفة أن "السلطة الفلسطينية فشلت بتحديد الأولويات في دفعها، واختارت أن تمول أشياء أخرى مثل دفعات مالية لعائلات (الإرهابيين) والسجناء". وأضافت أن "الولايات المتحدة ليست مسؤولة عن تحمل فاتورة المستشفيات الفلسطينية، وإنما السلطة الفلسطينية هي المسؤولة عن تغطية نفقات علاج الفلسطينيين". وأوضحت أنه "ينبغي أن تخصص الأموال لتغطية علاج الفلسطينيين، وليس لصرفها على عائلات (الإرهابيين)"، مشيرة إلى أن "الولايات المتحدة لا يجب أن تتحمل هذه الفاتورة". كما رأت أن "نموذج عمل أونروا وممارساتها المالية، عملية معيبة بشكل لا يمكن إصلاحه. راجعت الإدارة المسألة بحرص وخلصت إلى أن الولايات المتحدة لن تقدم مساهمات إضافية لأونروا"، مشيرة إلى أن "توسع مجتمع المستفيدين أضعافاً مضاعفة وإلى ما لا نهاية لم يعد أمراً قابلاً للاستمرار".

أما في الشق الإيراني، فقد وصفت ناوورت الهجمات الإيرانية على مقرّ للحزب الديموقراطي الكردستاني الإيراني، في كوي سنجق الواقعة بين محافظتي أربيل والسليمانية في إقليم كردستان العراق، بأنه بـ"الجهد الإيراني لزعة استقرار العراق وحكومته وزعة استقرار المنطقة، فعندما ننظر للوضع الحالي في العراق، من المهم أن نشير إلى أن إيران عنصر سيئ في المنطقة وفي العالم وفي هذه الدولة تحديداً".

تيلرسون يقول إن ترامب "غير منضبط" والرئيس يصفه بأنه "غبي"

وكالة فرانس برس : ٢٠١٨/١٢/٨

شتم الرئيس الأمريكي دونالد ترامب علنا الجمعة ريكس تيلرسون ووصفه بأنه "غبي" معبرا بذلك عن غضبه من انتقادات وجهها اليه الرجل الذي كان قد عينه من قبل وزيرا للخارجية في إدارته. والرئيس الأمريكي معروف بتصريحاته الساخرة من خصومه والمقربين منه الذين يثيرون غضبه، لكن هذه التصريحات القاسية عن رجل شغل أحد أهم المناصب في إدارته لا سابق لها في التاريخ السياسي الحديث للولايات المتحدة.

وكتب ترامب في تغريدة "مايك بومبيو يقوم بعمل رائع وأنا فخور جدا به". وأضاف أن "سلفه ريكس تيلرسون لم يكن يتمتع بالقدرات العقلية اللازمة. كان غبيا مثل صخرة وكان يفترض أن أتخلص منه بسرعة أكبر"، مؤكدا أنها "لعبة جديدة تماما الآن وروح عظيمة للدولة".

وتابع ترامب في تغريداته عن الرئيس السابق لمجلس إدارة مجموعة إكسون موبيل "كان كسولا جدا". والتناقض كبير بين هذه التصريحات والتغريدة التي كتبها قبل عامين عندما عين تيلرسون وزيرا للخارجية. وقد وصفه حينذاك بأنه "أحد أعظم رؤساء الشركات في العالم". ويشغل وزير الخارجية في الإدارة الأمريكية منصبا أساسيا. فهو مسؤول عن سبعين ألف دبلوماسي وموظف ومتعاقد ويشرف على ٢٥٠ سفارة وقنصلية في العالم.

"اختلاف أساليب"

ما أثار غضب الرئيس الأمريكي هو مقابلة أجرتها شبكة "سي بي إس" مع وزير الخارجية السابق الذي كان متحفظا جدا منذ إقالته فجأة في آذار/مارس الماضي.

قال ريكس تيلرسون "وجدت صعوبة أنا الآتي من مجموعة إكسون موبيل المنضبطة جدا والصارمة جدا في عملها، في العمل مع رجل غير منضبط ولا يجب القراءة ولا يقرأ التقارير ولا يجب البحث في التفاصيل لكنه يفضل أن يقول +هذا ما أفكر فيه+".

وأضاف "كنت اضطر لأن أقول له +سيدي الرئيس أتفهم ما تريد أن تفعله، لكن لا يمكنكم فعله بهذه الطريقة، هذا يخالف قانونا وهذا ينتهك معاهدة+. كان هذا يثير استياءه إلى حد كبير".

وتابع تيلرسون للصحافي المخضرم بوب شيفر على قناة "سي بي إس" التي بثت مقاطع من المقابلة "اعتقد أن جزءا من ذلك يعود في الحقيقة إلى اختلاف أساليبنا في شكل صاخر". وأضاف "شعرت بإحباط كبير. أعتقد انه سئم مني لكوني الرجل الذي يقول له كل يوم لا تستطيع فعل هذا، ودعنا نتكلم حول ما الذي نستطيع فعله".

وعندما كان تيلرسون وزيرا للخارجية، كانت الخلافات بين الرجلين واضحة حول عدد كبير من القضايا، من المناخ إلى إيران.

ولم يسهل الرئيس الأمريكي يوما مهمة وزير الخارجية. فقد حرمه أولا من الملف الفلسطيني الاسرائيلي الذي يرتدي أهمية رمزية كبيرة وعهد به إلى صهره جاريد كوشنير. وبعد ذلك اتخذ مبادرات عديدة للابتعاد عن التعددية على الساحة الدولية.

وفي نهاية ٢٠١٧، انتقد الرئيس ترامب علنا وزير الخارجية في خطوة نادرة، لأنه تحدث عن وجود قنوات اتصال تهدف إلى سر نوايا كوريا الشمالية. وكتب على تويتر "إنه يضيع وقته في التفاوض". وأضاف "احتفظ بطاقتك ريكس سنفعل ما يجب علينا فعله".

وبات الخلاف يرتدي طابعا شخصيا أكبر عندما ذكرت شبكة التلفزيون الأمريكية "إن بي سي" أن تيلرسون وصف في نهاية اجتماع في وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون)، ترامب بأنه "متخلف عقليا".

واضطر وزير الخارجية بعد هذه الواقعة إلى التأكيد علنا انه يدعم الرئيس و"يلتزم العمل من أجل نجاحه".

وقال آرون ديفيد ميلر الدبلوماسي السابق والمفاوض في عدد من الإدارات الديموقراطية والجمهورية، إن السؤال أصبح يتعلق بمعرفة ما إذا كان ريكس تيلرسون الذي أهانه الرئيس على تويتر "سيبدأ برواية كل شيء". وأضاف ميلر في تغريدة على تويتر "لم التقه من قبل، لكنني أشك في ذلك".

زعماء أمريكيون وأجانب يشعون بوش الأب في جنازة مهيبه

وكالة رويترز : ٢٠١٨/١٢/٨

أقيمت مراسم جنازة الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الأب يوم الأربعاء بمشاركة شخصيات كبيرة أمريكية وأجنبية تجمعت للاحتفاء بمسيرة حياة أحد أبطال الحرب العالمية الثانية والساسة المخضرمين إبان الحرب الباردة والمدير الأسبق لوكالة المخابرات المركزية (سي.آي.إيه) الذي مثل حقبة من التحضر في السياسة الأمريكية.

وسادت على نحو غير مألوف روح تخلو من النزعة الحزبية في مراسم الجنازة بالكاتدرائية الوطنية في واشنطن مع تجمع كل من الساسة الجمهوريين والديمقراطيين لتأبين رئيس دعا إلى دولة "أكثر عطفًا ولطفًا". وتوفي بوش، الرئيس الحادي والأربعون للولايات المتحدة، الأسبوع الماضي في تكساس عن ٩٤ عاما. وقال جون ميتشام كاتب سيرة الرئيس الراحل في رثائه "جورج إتش. دبليو بوش كان آخر العظماء من رجال الدولة العسكريين الأمريكيين... لقد وقف في وجه الشمولية إبان الحرب الباردة وناهض النزعة الحزبية في واشنطن". واصطف مئات الأشخاص في شارع بنسلفانيا بوسط واشنطن لمشاهدة العربة التي تقل نعش بوش من مبنى الكونغرس، حيث سجي جثمانه منذ ليل الاثنين، صوب الكاتدرائية. وتولى بوش الرئاسة من ١٩٨٩ حتى ١٩٩٣.

ونحيت الخلافات السياسية في واشنطن جانبا تكريما للرئيس الراحل، وهو طيار بحري أسقطت طائرته فوق المحيط الهادي في الحرب العالمية الثانية.

وصافح الرئيس الأمريكي الحالي دونالد ترامب سلفه باراك أوباما، الذي كثيرا ما وجه له سهام النقد، وهو يتخذ مقعده في الكاتدرائية.

وجلست وزيرة الخارجية الديمقراطية السابقة هيلاري كلينتون، منافسة ترامب في انتخابات ٢٠١٦، وزوجها بيل كلينتون إلى جوار أوباما وترامب وزوجتيهما.

وأغضب ترامب، وهو جمهوري مثل بوش، الرئيس الراحل بمهاجمة ابنه الرئيس السابق جورج دبليو بوش وجيب بوش، أحد منافسي ترامب في حملة الانتخابات التمهيدية للحزب الجمهوري في ٢٠١٦.

وأشاد رئيس الوزراء الكندي السابق برايان مولروني بدور بوش في إنهاء الحرب الباردة والمساعدة في توحيد ألمانيا. وقال "عندما كان جورج بوش رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية كان كل رئيس حكومة في العالم يعرف أنه يتعامل مع رجل نبيل وزعيم حقيقي.. زعيم مميز وحازم وشجاع".

وشكل بوش تحالفا دوليا بقيادة الولايات المتحدة لطرد القوات العراقية التي غزت الكويت في حرب الخليج عام ١٩٩١.

وبوش في مخيلة الأمريكيين شخصية نبيلة مثل حقبة غابرة من التحضر في السياسات الأمريكية. لكنه خسر الانتخابات عام ١٩٩٢ لأسباب من بينها فشله في التواصل مع الأمريكيين العاديين خلال فترة ركود اقتصادي. غير أن اشتهاره بالاعتدال ودماثة الخلق برز في السنوات القليلة الماضية في ضوء حالة الانقسام والغضب في الولايات المتحدة التي رافقت صعود ترامب.

* ترامب في الجنازة

وغرد ترامب على تويتر يوم الأربعاء قائلا "أتطلع لأن أكون مع أسرة بوش. هذه ليست جنازة وإنما يوم احتفال برجل عظيم عاش حياة طويلة مميزة. سنفتقه". وزار ترامب أسرة بوش لمدة ٢٠ دقيقة يوم الثلاثاء.

حضر الجنازة جميع الرؤساء الأمريكيين السابقين الذين لا يزالون على قيد الحياة وزوجاتهم. وشملت قائمة الحضور الأمير البريطاني تشارلز وزعماء ألمانيا والأردن وأستراليا وبولندا إلى جانب مجموعة من زعماء العالم السابقين مثل رئيس الوزراء البريطاني الأسبق جون ميجور الذي كان في السلطة خلال حكم بوش. وأوقف ترامب إدارات الحكومة الاتحادية عن العمل يوم الأربعاء، حدادا على بوش وتوقف عدد من البورصات الأمريكية عن العمل.

وعبر بوش، الذي كان نائبا للرئيس رونالد ريجان، بالولايات المتحدة فترة نهاية الحرب الباردة وكان رئيسا عندما سقط جدار برلين عام ١٩٨٩.

وألقى آلاف الأشخاص نظرة الوداع على بوش عندما كان جثمانه مسجى في القاعة المستديرة بالكونغرس.

أنا والرئيس الراحل جورج بوش

*دنييس روس

صحيفة (الشرق الأوسط) : ٢٠١٨/١٢/٨

لم يكن أحدٌ ممن تولوا الرئاسة أكثر استعداداً لهذا المنصب من جورج إتش دبليو بوش. وشغل الرئيس الراحل مناصب عدة، فقد كان رئيس بعثتنا إلى الصين، وسفير الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة، ومدير وكالة الاستخبارات المركزية، ومن ثم نائب الرئيس. وقبل عمله في الفرع التنفيذي للحكومة، كان عضواً منتخباً في الكونغرس. كان يعرف عن فصل السلطات، وأعطتني خبرته منظوراً لكيفية عمل الحكم.

لقد كان سياسياً ورجل دولة وقائداً، وكنت محظوظاً بما يكفي لأشهد على توليه كل تلك المناصب. وكنت أسافر معه عندما كان نائباً للرئيس، وذلك بصفتي عضواً في فريق مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض. ورافقته في رحلة إلى الشرق الأوسط في صيف عام ١٩٨٦. لم يحب الرئيس السابق الذهاب في رحلة رمزية بحت. فكعادته، أراد أن يكون لرحلته غاية. وعندما اقترحت عليه استغلال زيارته لإصدار بيان بالمبادئ المشتركة حول السلام بين إسرائيل ومصر والأردن، قبل اقتراحي رغم اعتراض جميع كبار مساعدي السياسة الخارجية في الرحلة والذين شعروا أنه هدفٌ لا يمكن تحقيقه. وكانت حجتهم أن الأردن لن ينضم إلى هذا البيان في حين كانت لا تزال مصر منبوذة حديثاً من قبل الدول العربية الأخرى لأنها توصلت إلى اتفاق سلامٍ مع إسرائيل. فلم يريدوا خوض هذه المخاطرة وتحمل عواقب فشلها.

أما وجهة نظري فكانت استغلال فرصة تغيير رئيس الوزراء ووزير الخارجية الإسرائيليين في فترة حكومة الوحدة الوطنية الإسرائيلية (مع قيام شمعون بيريز بتسليم منصبه كرئيس للوزراء إلى إسحق شامير). ولأن الرئيس المصري حينها حسني مبارك والملك حسين كانا يدركان أن بيريز أكثر مرونة من شامير، كانت مصلحتهما تصب في إرساء المبادئ التي من شأنها أن تقربهم من شامير فور توليه منصبه الجديد وكان لدى بيريز سبب لإنشاء مبادئ توجيهية تسمح له بالدفع بعملية السلام كونه وزيراً للخارجية. قبل بوش وجهة نظري وقال: «دعونا ننفذها». ونجحنا وقتها في إصدار ذلك البيان.

ورأيته عدة مرات بعد الرحلة وطلب مني أن أترك منصبني في مجلس الأمن القومي وأصبح مستشار السياسة الخارجية في حملته الرئاسية. وبالفعل، انضمت إلى الحملة في نفس الوقت الذي تولاها جيمس بيكر. وعلى الرغم من أنني كنت مع الحزب الديمقراطي، إلا أنني أحببت بوش وبيكر. وبعد فوز بوش، انضمت إلى بيكر في وزارة الخارجية. وبصفتي أحد مساعدي بيكر المقربين، كنت أرى الرئيس بوش في كثيرٍ من الأحيان أثناء تعاملنا مع قضايا تتعلق بالاتحاد السوفياتي وأوروبا والشرق الأوسط. وكان يظهر بوش بمظهر الحذر، ولكن ذلك لا يعكس من هو بالفعل. وهو بالفعل كان حذراً «وحكيماً» على حد قوله. ولكن الحكمة تتطلب اتخاذ مخاطر محسوبة، كما فعل في نشر بيان المبادئ المشتركة بين مصر وإسرائيل والأردن عندما كان الرهان الأمن لزيارته عام ١٩٨٦ كنائب للرئيس مجرد احتفالية. وكانت أيضاً خطوة اتخاذ قرار حشد العالم لتوحيد ألمانيا في حلف الناتو بعد سقوط جدار برلين، محفوفة بالمخاطر، خاصة أن السوفيات

والبريطانيين والفرنسيين كانوا متأكدين أنه ستتم معارضتهم، وبالفعل شعر الخبراء حول أوروبا في الإدارة الأمريكية والمثقفون في الخارج بأن هذه الخطوة ببساطة غير قابلة للتحقيق ولا يجب الاستمرار فيها.

إلا أن بوش رأى الخطر الأكبر من عدم وجود ألمانيا موحدة في حلف الناتو، فقد شعر أن توحيدها كان أمراً لا بد منه لأن الألمان أرادوا تحقيق ذلك وأبدوا استيائهم من الذين سعوا إلى منع حصوله.

فوجود ألمانيا موحدة خارج الحلف الأطلسي قد يسبب تنافساً بين الكتلة وألمانيا، وإن لم تكن ألمانيا في حلف الناتو ستشعر أن عليها تأمين نفسها بنفسها، وهذا سيقودها إلى الشعور بأن عليها الحصول على قدرة نووية مستقلة. وكان ذلك أخطر بكثير من خطر عدم القدرة على التغلب على المعارضة السوفياتية والبريطانية والفرنسية.

نجح بوش وبيكر في الخروج بألمانيا موحدة في حلف الناتو لأنهما وضعوا القضية داخل إطار وعملاً بشكل مكثف لمعالجة المشاكل التي كانت تواجه جميع الأطراف والتقيا أو كانا على اتصال مع غورباتشوف وثاتشر وميتران - بالإضافة إلى كول وغينشر - وطمأناهم وقدموا لهم الحوافز عند الضرورة وأوضحا لهم في الوقت نفسه أن هذه النتيجة حتمية. وكانت ممارستهما لسياسة الحكم استثنائية في جعل أهدافنا تبدو مقبولة لجميع الأطراف. وهنا كانت أمريكا تقود وتدير وتوجه عملية من البداية إلى النهاية.

وفعل بوش وبيكر الأمر نفسه في تشكيل ائتلاف حرب الخليج. فقد تطلب الأمر براعة ومعرفة بكيفية بناء تحالف من الدول المتنوعة ذات الاحتياجات المختلفة للغاية، والأهم من ذلك فهم ما سيتطلبه الحفاظ عليه. ونجحا مجدداً في تحقيق هذا الهدف لأنهما أخذوا زمام المبادرة ونجحا في جعل المجتمع الدولي يقبل بالأهداف التي حددتها الولايات المتحدة.

قاد بوش، ولكنه فهم أيضاً أن أمريكا كانت أكثر فعالية عندما تقاسم المجتمع الدولي أهدافها، واكتسبت أهدافنا شرعية أوسع نتيجة لذلك. لقد جعل بوش أمريكا أولاً ليس من خلال الإعلان عنها ولكن من خلال ضمان أن يرى الآخرون فائدة دعم أهدافنا واكتشافها معنا.

وساعد تحقيق ذلك حقيقة أن كلمته كانت موثوقاً بها. فعندما قال إن عدوان صدام حسين لن يدوم، تصرف وقتها وأثبت ذلك. وأخبر الملك فهد أن قواتنا ستوجد في المملكة العربية السعودية لإجبار جيش صدام على الخروج من الكويت. وعندما قاوم بوش الضغوط للذهاب إلى بغداد، كانت كثيرة ضده، لأن ذلك لم يكن أحد الأهداف التي حشد العالم لدعمها ولكنه لم يتراجع عن تنفيذ كلمته.

كان بوش زعيماً بمعنى الكلمة، وكان يعرف كيف يتفاعل مع التغيرات الكاسحة جيوسياسياً إلا أنه ظل متواضعاً. والأکید أنه وضع أمريكا أولاً كأمة دون التفاوضي عن مسؤولياتنا تجاه الآخرين. لقد كان مؤمناً بالمعايير العالمية وقام بردة فعل على عدوان صدام حسين لأنه رأى أننا كنا على أعتاب حقبة جديدة وأراد أن تتصف هذه الحقبة بحكم القانون لا بقانون الغاب.

لقد جسّد بوش قيم الحشمة والتواضع والشجاعة والتعاطف، وأظهر ذلك في طريقة تعامله مع القادة الدوليين وكذلك أولئك الذين عملوا لديه. وكانت طريقته في تقدير وشكر كل من عمل معه أسطورية. وأعرب عن اعتقاده بأن الخدمة العامة شرف وواجب، وكان شرفاً لي أنني عملت معه.

تحولات الحزب الجمهوري: من جورج بوش الأب لدونالد ترامب

*د. شفيق ناظم الغبرا

القدس العربي: ٢٠١٨/١٢/٨

كان الرئيس السابق جورج بوش المتوفي هذا الأسبوع من عمالقة الحزب الجمهوري الأمريكي، ففي زمنه وصلت المدرسة الواقعية في الحزب الجمهوري لأعلى مراحلها. في عهد بوش الاب كرئيس للولايات المتحدة المستمر من ١٩٨٩.١٩٩٣ أغلق ملف الحرب الباردة الذي أنهى الاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية.

وفي عهده وقع الغزو العراقي للكويت بكل إرتداداته (١٩٩٠). الرئيس بوش الأب حشد لأجل حماية مصالح الولايات المتحدة الكونية وحشد أيضا بهدف بناء سد حول منطقة تتميز بثقلها الاستراتيجي.

جورج بوش في عام ١٩٩٠ تميز بالواقعية، إذ لم يكن بوش الاب متأثرا بأيديولوجية تؤمن بتغير العالم من خلال استخدام القوة العسكرية الأمريكية كما سيكون الحال مع ابنه الرئيس بوش الابن الذي صنع حربي أفغانستان في العام ٢٠٠١ ثم صنع حرب تغير النظام في العراق في ٢٠٠٣.

لقد وظف جورج بوش الاب العسكرية الأمريكية عام ١٩٩٠ ضمن توازنات، مما دفعه لعدم استكمال الهجوم بعد تحرير الكويت إلى الداخل العراقي. بهذه العقلية حقق جورج بوش الأب انتصارات دون أن يتورط في حروب استنزاف مفتوحة.

إن مدرسة الرئيس بوش الاب الجمهورية والذي سبق له ان كان نائبا للرئيس الجمهوري رونالد ريغان هي المدرسة الأمريكية التي تتفكك وتتآكل اليوم.

الفارق بين بوش الأب عام ١٩٩٠ وترامب منذ ٢٠١٦ هو الفارق بين زمنين مختلفين في الحزب الجمهوري. بل لم يعرف الحزب الجمهوري رئيسا ساهم بدفعه للوراء كما يفعل الرئيس ترامب.

بفضل الرئيس ترامب فقد الحزب الجمهوري قاعدته الأكبر التي تميزت براغماتيتها على صعيد السياسة الخارجية بالإضافة لكونها قاعدة محافظة إجتماعيا وتؤمن بقيم العائلة والاقتصاد الحر.

لا نبالغ إن قلنا بأن غوغائية طرح الرئيس ترامب و عنصرية فكره وتهديده للمهاجرين الجدد والقدامى دمر جزءا كبيرا من الحزب الجمهوري.

لقد إنضم على مر السنوات للحزب الجمهوري الكثير من المهاجرين الجدد كما وقدامى الأمريكيين. إذ توسعت قاعدة الحزب الجمهوري بين المهاجرين اللاتينيين وبين قطاع كبير من المجتمع الامريكي وأصحاب الأعمال و النساء ممن يؤمنون بالقيم العائلية.

يمكن القول بأن بوش الاب وريغان كانا من أكثر من خاطب الحس المحافظ والعائلي والقيم المسيحية المعتدلة. وبنفس الوقت كان المهاجرون العرب منذ عقود قديمة يرون تألفا أكبر مع الحزب الجمهوري بصفته حزب القيم العائلية. لقد اعتبر الكثير من العرب بأن تأقلمهم مع المجتمع الأمريكي يتطلب انتماء للحزب الجمهوري.

كما إعتبر الكثير منهم بأن الحزب الجمهوري أكثر حرصا على مصالح الولايات المتحدة وأكثر إستقلالية عن إسرائيل. فالرئيس الجمهوري ايزنهاور والذي حكم من ١٩٥٣.١٩٦١ كان من أكثر من فرض على إسرائيل الإنسحاب من سيناء وغزة خاصة بعد حرب ١٩٥٦.

لقد قطعت الولايات المتحدة مسافة طويلة بين الرئيسين بوش الاب من جهة وترامب من جهة أخرى، بين قمة القوة في نهاية الحرب الباردة عام ١٩٩١ وبين تخبط السياسات والسعي نحو المال وعقود السلاح على حساب الحد الأدنى من القيم في ٢٠١٨.

بفضل ترامب لم يعد هناك حزب جمهوري حقيقي، فالعرب واللاتينيون والملونون والكثير من النساء وقطاعات من الجمهوريين التقليديين خرجوا من الحزب الجمهوري إلى غير عودة.

بل أصبح الحزب الجمهوري في عهد ترامب أقرب لأن يكون حزب جماعة واحدة موحدة في عنصريتها البيضاء (ليس كل البيض حتما) وموحدة في خوفها من الأقليات وأكثر ارتباطا بتيار الإنجيليين المسيحيين الداعم الأهم لإسرائيل واحتلالها.

في ظل اوضاع كهذه ترتفع فرص الحزب الديمقراطي، هذا ما اكدته الإنتخابات الأخيرة لمجلس النواب الامريكي في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٨.

فالحزب الديمقراطي منغمس في بناء تحالف كبير بين قوى تؤمن بقضايا تتقاطع مع نظرة عضو مجلس الشيوخ ساندرز حول العدالة الإجتماعية في الداخل وحول مرونة السياسة الخارجية تجاه جملة من قضايا العالم بما فيها فلسطين.

إن الكثير من القوى الجديدة التي نشأت منذ ٢٠١٧ في الحزب الديمقراطي إكتسبت زخمها من خلال مقاومتها لمنع رعايا سيع دول إسلامية من المجيء للولايات المتحدة.

إن المجموعات المتحالفة تحت غطاء الحزب الديمقراطي تؤمن بإستيعاب المهاجرين، كما وترفض التمييز العنصري، وتنطلق من قيم العدالة الإجتماعية والحريات، ولديها موقف سلبي من دعم الحروب و إنتهاكات حقوق الانسان.

الحزب الديمقراطي يستقطب تاريخيا الكثير من اليهود الأمريكيين، فاليهود مالوا للحزب الديمقراطي بسبب ميوله حول العدالة والضمان الإجتماعي والحقوق. وبنفس الوقت كان اليهود في الحزب الديمقراطي تقدميين في كل شيء إلا في الشأن الإسرائيلي الفلسطيني.

لكن من جهة أخرى هناك تغيرات كبرى في القاعدة اليهودية الأمريكية الشابة دون الثلاثين من العمر. فالكثير منهم أقل دعما لإسرائيل وأكثر نقدا للصهيونية وموضوعاتها.

في السنوات الماضية فقدت إسرائيل الكثير من اليهود الأمريكيين الشباب وذلك بسبب تحالف تننياهو اليميني مع عنصرية ترامب الفظة، كما فقدت إسرائيل الكثير من يهود العالم بسبب قانون القومية اليهودية في إسرائيل. هذا القانون الذي ميز ضد الفلسطينيين، يرفع من منسوب عنصرية اسرائيل، لكن قوانين إسرائيلية عدة ميزت مؤخرا ضد أغلبية اليهود الامريكيين، إذ أصبح تعريف اليهودي مرتبطا بالارثوذكسية، بينما أغلبية الأمريكيين اليهود ليسوا من هذه الطائفة.

مع الوقت إسرائيل تفقد الكثير من يهود العالم ممن لا يجدون رابطا قويا مع أحداث الحرب العالمية الثانية. العالم يتغير، لكن الولايات المتحدة أيضا تتغير. لقد أعطت الانتخابات الاخيرة لمجلس النواب الأمريكي صورة نسبية عن عمق التغير الأمريكي، لكن عملية التحول مازالت مستمرة بفضل العاصفة الذي يثيرها دونالد ترامب في الداخل الامريكي وكذلك في العالم الأوسع.

* د. شفيق ناظم الغبرا أستاذ العلوم السياسية بجامعة الكويت

مخرجات لقاء جنيف حول نزاع الصحراء.. تفاؤل وتشكيك

البوليساريو أشادت باللقاء من أجل الوصول إلى "حل عادل ودائم" يضمن للشعب الصحراوي ممارسة حقه في تقرير المصير

اعداد: الانصات المركزي : ٢٠١٨/١٢/٨

اختلفت ردود الأفعال من لدن أطراف نزاع الصحراء حيال مباحثات جنيف التي انتهت الخميس، برعاية الأمم المتحدة، من خلال طاولة مستديرة جمعت كلاً من المغرب وجبهة البوليساريو والجزائر وموريتانيا، بين تفاؤل حذر وتشكيك في المسارات المقبلة، وخاصة اللقاء القادم في الربع الأول من ٢٠١٩.

المغرب حاول أن يكون "وسطاً" في موقفه من مباحثات جنيف، إذ أشاد وزير خارجيته ناصر بوريطة، بالروح التي سادت اللقاء، لكنه اعتبرها غير كافية للمضي قدماً في حل النزاع، معتبراً أن أهم ما أسفرت عنه "الطاولة المستديرة" أنها ضمت الجزائر كطرف في الملف وليس جهة مراقبة فقط.

ووصفت الرباط مباحثات جنيف بكونها امتحاناً لجميع الأطراف المشاركة في تنزيل التفاؤل الذي أبداه البعض إلى واقع على أرض الميدان، مبرزة أن "الحل لم يعد يمر عبر الاستفتاء الشعبي كما كان ذلك سابقاً، بل عبر مفاوضات سياسية ثنائية يقبلها الطرفان".

وأما جبهة البوليساريو فقد أشادت بلقاء جنيف من حيث لقاء أطراف نزاع الصحراء، من أجل الوصول إلى "حل عادل ودائم" يضمن للشعب الصحراوي ممارسة حقه في تقرير المصير، وفق تعبير أحد قياديي الجبهة، لكنها دعت المغرب إلى التخلي عن شروطه المسبقة.

وبالنسبة للجزائر، فقد رأت في مباحثات جنيف فرصة أممية لحلحلة ملف الصحراء، مبدية التزامها بصفتها بلد جوار لطرفي الملف، وفق تعبير وزير خارجيتها عبد القادر مساهل، بهدف "التوصل إلى تسوية لنزاع الصحراء، طبقاً للشريعة الدولية ولوائح الأمم المتحدة".

مواقف أطراف نزاع الصحراء التي يبدو أنها ما زالت تراوح نفس مواقفها السابقة، اعتبرها الخبير في الملف عبد الفتاح الفاتحي، مؤشرات على أنه لا يمكن تحقيق اختراق قوي في لقاء جنيف، لاعتبارات عدة، منها استمرار الأزمة بين الرباط والجزائر، حينما رفضت الرد على مبادرة المغرب بإنشاء آلية سياسية مشتركة للحوار بدون وساطة لحل القضايا الثنائية العالقة.

وأشار الفاتحي إلى أن "خطاب جبهة البوليساريو، استمر في التأكيد على أنها لن تنخرط في أي مفاوضات لا تؤدي إلى تقرير المصير لمنطقة الصحراء"، مردفاً أن "المغرب من جهته اعتبر أن التوافق والواقعية توجيه أممي يجب الالتزام به، ولا سيما إعادة التأكيد على واقعية ومصداقية الحكم الذاتي".

وفي قراءته للبيان الختامي للمبعوث الأممي للمنطقة هورست كولر، أفاد الفاتحي أن "جدول أعمال نزاع الصحراء سيؤسس أولاً على ترسيخ البعد البراغماتي والرؤية الواقعية، في التعامل مع تحديات المنطقة أمنياً واقتصادياً واجتماعياً قبل الانخراط في المناقشات السياسية".

ولاحظ المحلل بأن "لقاء جنيف لم تسبقه تهيئة لخلق الثقة في ما بين الأطراف، وهي أمور كفيلة بأن تعوق أي اختراق في عملية حل نزاع الصحراء"، مردفاً أن "البيان أكد أن الصراع والمواجهة لا يخدمان التنمية ولا يحلان التحديات التي تواجه المنطقة، وأن التكامل والاندماج هدفان محوريان يجب أن يعمل عليهما الجميع".

وانتقد الفاتحي تصريحات مسؤولين حضروا لقاء جنيف، بإمكانها أن تضعف التقدم الذي أحرزته المباحثات، من قبيل تصريح وزير الخارجية الجزائري عندما قال: "جئنا لنضحك قليلاً"، أو تصريح قيادي بالجهة حين قال إن "المغرب لم يدخل في مناقشة جوهر المشكلة".

اتفق المغرب وجبهة «بوليساريو» بعد أول محادثات بينهما حول الصحراء الغربية منذ ٢٠١٢ في جنيف على اللقاء مجدداً مطلع ٢٠١٩ تحت رعاية الأمم المتحدة التي تأمل بدء مفاوضات يتوقع أن تكون شائكة. ويبدو استئناف المباحثات معقداً مع تمسك الطرفين بمواقفهما إزاء آخر منطقة من الحقبة الاستعمارية متنازع عليها في القارة الأفريقية.

وبعد ست سنوات على فشل آخر مفاوضات مباشرة بين الطرفين اللذين خاضا نزاعاً حتى إعلان وقف النار في ١٩٩١، شارك المغرب وبوليساريو على مدى يومين في قصر الأمم في جنيف، في محادثات حول طاولة مستديرة بمشاركة الجزائر وموريتانيا.

وتحدث المبعوث الأممي للصحراء الغربية الخميس بلهجة إيجابية عن إمكان التوصل إلى «حل سلمي» للنزاع المستمر منذ عقود.

هورست كولر وهو رئيس ألماني سابق مكلف بالملف منذ ٢٠١٧، قال للصحافيين: «الحل السلمي ممكن. من خلال مناقشاتنا، يتضح أن لا أحد يستفيد من بقاء الوضع على ما هو عليه، وأعتقد أن من مصلحة الجميع انتهاء النزاع». وزاد إنه «مسرور للإعلان التزام الوفود بالمحادثات»، معلناً أن جولة محادثات جديدة موعدها «في الربع الأول من عام ٢٠١٩».

وقدمت الأمم المتحدة المحادثات باعتبارها «خطوة أولى نحو استئناف عملية مفاوضات تهدف إلى التوصل إلى حل عادل ودائم ومقبول من الطرفين لتقرير مصير شعب الصحراء الغربية».

وذكر مبعوث المنظمة الدولية إن المحادثات جرت في «جو من الالتزام الجاد والاحترام المتبادل». ورأت وزارة الشؤون الخارجية الجزائرية إن «اجتماع جنيف يعيد إطلاق المفاوضات حول الصحراء الغربية».

محادثات جديدة حول نزاع الصحراء في بداية ٢٠١٩

وأعلن بيان للمبعوث الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة في الصحراء هورست كولر، مساء الخميس، بجنيف، أن مائدة مستديرة ثانية حول موضوع النزاع الإقليمي حول الصحراء ستعقد خلال الربع الأول من عام ٢٠١٩. وجاء في البيان الذي تلاه كولر أمام الصحافة "اتفقت الوفود على أن المبعوث الشخصي للأمين العام سيدعوهم إلى طاولة مستديرة أخرى في الربع الأول من عام ٢٠١٩".

ذكر المصدر ذاته أنه، وبدعوة من كولر، شاركت وفود من المغرب وجبهة البوليساريو والجزائر وموريتانيا في مائدة مستديرة أولية، في ٥ و٦ ديسمبر ٢٠١٨، في جنيف، وفقاً لقرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٢٤٤٠. وأكد البيان أن الوفود "استعرضت التطورات الحديثة، وناقشت القضايا الإقليمية والخطوات التالية في العملية السياسية بشأن الصحراء".

وأشار البيان إلى أن "جميع الوفود أقرت بأن التعاون الإقليمي، وليس المواجهة، هو أفضل طريقة للتصدي امام التحديات المهمة التي تواجه المنطقة"، مضيفاً أن "المناقشات جرت في جو من الالتزام الجاد والصراحة والاحترام المتبادل".

وجرت هذه المائدة المستديرة الأولى يومي الأربعاء والخميس بقصر الأمم بجنيف، بمشاركة وفد مغربي يترأسه وزير الشؤون الخارجية والتعاون الدولي ناصر بوريطة.

وضم الوفد المغربي عمر هلال الممثل الدائم للمملكة المغربية لدى الأمم المتحدة بنيويورك، وحمدى ولد الرشيد رئيس جهة العيون - الساقية الحمراء، وينجا الخطاط رئيس جهة الداخلة - وادي الذهب، وفاطمة العدلي الفاعلة الجمعوية وعضوة المجلس البلدي للسمارة.

ولوحظ ان الوفد المغربي يتكون في غالبيته من منتخبين ينتمون للاقاليم الصحراوية، وهو ما يضع حدا لمقولة "جبهة البوليساريو الممثل الوحيد للشعب الصحراوي".

٨٤ دولة عضو في الأمم المتحدة تعترف بالجمهورية الصحراوية

وعندما انسحبت إسبانيا من الصحراء الغربية عام ١٩٧٥، أرسلت الرباط آلاف الأشخاص عبر الحدود وأعلنت أن الصحراء الغربية جزء لا يتجزأ من المغرب.

في العام التالي أعلنت جبهة «بوليساريو» إقامة «الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية» بدعم من الجزائر وليبيا، وطالبت استفتاء تقرير المصير.

ومذاك، اعترفت ٨٤ دولة عضو في الأمم المتحدة بالجمهورية الصحراوية. إلا أن حالة من الجمود سيطرت على الوضع، وشيد المغرب جدران رملية تعلوها أسلاك شائكة في الصحراء لا تزال تحيط بثمانين في المئة من أراضي الصحراء الغربية التي تبلغ مساحتها ٢٦٦ ألف كلم مربع. وبموجب وقف إطلاق النار لعام ١٩٩١، نشرت الأمم المتحدة بعثة لحفظ السلام أدامت خط المراقبة، لكن المجتمع الدولي سعى منذ فترة طويلة لإجراء استفتاء لتقرير وضع المنطقة.

وترفض الرباط أي تصويت يكون فيه الاستقلال خياراً وتعتبر أن الحكم الذاتي هو فقط المطروح على الطاولة وهو ضروري للأمن الإقليمي.

وقال وزير الخارجية المغربي ناصر بوريطة للصحافيين: «تقرير المصير شيء والاستفتاء شيء آخر. تقرير المصير يجري من خلال التفاوض».

وإن أكد أن المحادثات جرت «في أجواء جيدة جداً»، فقد شدد على أنه «لا يكفي... يجب أن تترجم الأجواء الجيدة إلى إرادة حقيقية» لتغيير هذا الوضع. وحذر من أن «هذا الزخم سيخبو في غياب الإرادة السياسية».

وقال الوزير المغربي إن بلاده «ليست مستعدة للمشاركة في اجتماعات لا نهاية لها».

من جانبه كرر رئيس «البرلمان» والرئيس الصحراوي المؤقت خطري أدوه الذي ترأس وفد البوليساريو المطالبة بالحق في تقرير المصير. وقال «لو كان لدى (مسؤولي) المغرب الإرادة الحقيقية لإنهاء هذا الوضع وبصورة أسرع من تنظيم استفتاء، لكان عليهم الاعتراف بالجمهورية الصحراوية».

ويؤكد المراقبون أن الأطراف المعنية تتعرض لضغوط مع خفض ولاية قوة الأمم المتحدة في الصحراء الغربية إلى ستة أشهر بدل سنة. وفي انتظار التوصل إلى تسوية، يعيش حوالي مائتي ألف لاجئ في مخيمات قريبة من مدينة تندوف غرب الجزائر، قرب حدود المغرب والصحراء الغربية.

اشتباكات بين الشرطة الفرنسية ومحتجين في الشانزليزيه

وكالات متعددة: ٢٠١٨/١٢/٨

أطلقت الشرطة الغاز المسيل للدموع على متظاهري (السترات الصفراء) في وسط باريس يوم السبت، مع بدء احتجاجات أعلن عنها من قبل على ارتفاع تكاليف المعيشة. وقالت متحدثة باسم الشرطة للصحفيين إن هناك نحو ١٥٠٠ محتج في شارع الشانزليزيه بينما ذكرت السلطات أنها ألقت القبض على ٢١١ شخصا بعدما عثرت الشرطة بحوزتهم على أشياء مثل المطارق ومضارب البيسبول وكرات معدنية. ويتجمع مئات المحتجين حول قوس النصر الذي كتب المحتجون عليه يوم السبت الماضي عبارات تعبر عن غضبهم بينما أضرم البعض النار في سيارات ونهبوا متاجر. وقال رئيس الوزراء إدوار فيليب في التلفزيون "سنبذل قصارى جهدنا ليمر اليوم دون عنف كي نستطيع مواصلة الحوار الذي بدأناه... في ظل أفضل ظروف ممكنة". وأعلن فيليب يوم الثلاثاء، أن حكومته ستعلق الزيادات في ضريبة الوقود لمدة ستة أشهر على الأقل للمساهمة في تهدئة بعد الاحتجاجات التي بدأت منذ أسابيع، وذلك في أول عدول من جانب ماكرون عن قرار رئيسي منذ توليه السلطة قبل ١٨ شهرا. وقال وزير الداخلية كريستوف كاستانير لموقع بروت الإخباري الإلكتروني يوم السبت "أخذنا الاستعداد لرد قوي". وناشد المحتجين السلميين عدم التواجد في نفس المكان مع "مثيري الشغب". وأضاف "مثيرو الشغب لن يكونوا مؤثرين إلا إذا تحفوا وراء السترات الصفراء. العنف ليس وسيلة جيدة على الإطلاق لتحصل على ما تريد. الآن وقت النقاش". وقال شرطي يرتدي قناعا واقيا من الغاز بينما كان أحد المحتجين يلقي ورودا بلاستيكية صفراء نحو رجال الشرطة "إذا لم تلجأوا للعنف لن نلجأ له".

* مدينة أشباح

بدأت باريس في معظم أجزائها كما لو كانت مدينة أشباح في وقت مبكر يوم السبت، حيث أغلقت المتاحف والمتاجر في يوم كان يفترض أن يكون للتسوق في أجواء احتفالية قبيل عيد الميلاد. وكان عدد السائحين قليلا وناشدت السلطات السكان البقاء في منازلهم قدر المستطاع. وأغلقت عشرات الشوارع أمام حركة المرور كما أغلقت متاحف ذات شهرة عالمية مثل متحف أورسيه واللوفر ومركز بومبيدو أبوابها. وغطيت العديد من المتاجر بألواح حمايتها من النهب وأزيلت مقاعد الشوارع والمواد المستخدمة في مواقع البناء لتجنب استخدامها كمقذوفات. وقال جيوم لو جراس (٢٨ عاما) الذي يعمل في مجرز في بلدة جوينجيم في بريتاني "جئنا إلى هنا للمشاركة في مسيرة سلمية وليس لتحطيم الأشياء. نريد المساواة.. نريد أن نعيش لا أن نحيا بالكاد". بدأت الاحتجاجات على مواقع التواصل الاجتماعي في أول الأمر ثم انتقلت إلى الشوارع، ويوم السبت هو الأسبوع الرابع لها في تحد واضح لماكرون وسياساته. وانطلقت المظاهرات في نوفمبر تشرين الثاني احتجاجا على العيب الذي تشكله زيادة الضرائب على الوقود، ثم تحولت إلى تمرد واسع مشوب بالعنف في بعض الأحيان. ولا يوجد زعيم رسمي لحركة الاحتجاج مما يجعل من الصعب التعامل معها. وتقول السلطات إن الاحتجاجات اختطفتها عناصر يمينية متطرفة وعناصر فوضوية تصر على العنف وتثير اضطرابات اجتماعية في تحد مباشر لماكرون وقوات الأمن. ورغم تراجع الحكومة عن تطبيق الزيادة في ضريبة الوقود، تواصل حركة (السترات الصفراء) المطالبة بتنازلات أكثر من الحكومة بما في ذلك خفض الضرائب وزيادة الرواتب وخفض تكاليف الطاقة وتحسين مخصصات التقاعد بل واستقالة ماكرون.

٤٠٠ من محتجي "السترات الصفراء" في بلجيكا واعتقال نحو مئة

وكالة فرانس برس: ٢٠١٨/١٢/٨

أوقف نحو ١٠٠ شخص السبت، في بروكسل خلال تظاهرة "السترات الصفراء" التي ضمت ٤٠٠ محتج بعد الظهر بحسب ما أفادت الشرطة المحلية. وقالت إلسي فان دي كيير متحدثة باسم شرطة بروكسل وإحدى ضواحيها إيكسل، لوكالة فرانس برس "تم توقيف نحو ١٠٠ شخص بعد عمليات التدقيق التي أجريناها بشكل وقائي". وألقى متظاهرون مقذوفات على قوات الأمن قرب الحي الذي تقع فيه مقر الهيئات الأوروبية والذي أغلق بشكل كامل أمام السيارات والمارة. لكن الوضع عاد إلى الهدوء بعد الاعتقالات. وتجمع المتظاهرون بعد الظهر في جادة تحيط بوسط بروكسل التاريخي. وبحسب وكالة الأنباء البلجيكية (بيلغا)، أغلق بعض محتجي "السترات الصفراء" الطريق السريعة في اتجاه مدينة ريكيم الواقعة في فلاندر الغربية قرب الحدود مع فرنسا. وأضافت الوكالة أن حاجزا وُضع في وقت مبكر صباحا على طريق سريعة أخرى قريبة من الحدود الفرنسية البلجيكية.

وامتد تحرك "السترات الصفراء" الذي بدأ في فرنسا، إلى بلجيكا وخصوصاً إلى منطقة والونيا الناطقة بالفرنسية. وفي ٣٠ تشرين الثاني/نوفمبر، تظاهر ٣٠٠ شخص في بروكسل حيث أحرقت أليتان للشرطة.

بعد تراجعه عن الضريبة.. هل ينجو ماكرون من عاصفة "السترات الصفراء"؟

(واشنطن بوست) و (بلومبيرك نيوز سيرفز) : ٢٠١٨/١٢/٨

لم يمضِ ١٨ شهراً على وصول ماكرون إلى قصر الإليزيه، حتى بات مطوقاً من كل جانب، وصولاً أخيراً إلى الاحتجاجات العنيفة ضد سياساته التي تعود بالنفع على الأغنياء، ما يصعب عليه مهمة إجراء إصلاحات وعد بها ناخبه.

اتهمت وسائل إعلام فرنسية الولايات المتحدة بالتورط في "إضعاف ماكرون" تمهيداً لاستقالته، بعدما دعا إلى تأسيس جيش أوروبي ودافع عن الاتفاق النووي الإيراني وفت غريغوري فيسكوسي، في موقع "بلومبرغ"، إلى أن فرص نجاح خطط ماكرون لتحقيق تكامل في منطقة اليورو تضاعفت. ويرجع ذلك لتهديد الطبقة السياسية في ألمانيا بالانغلاق على الداخل، ما يترك ماكرون في وضع حرج، لأنه ينتظر من ألمانيا دعماً أوسع لإصلاح الاتحاد الأوروبي. وبعدها اختار نشيد الاتحاد الأوروبي، أنشودة الفرحة لبيتهوفن، لعزفه يوم احتفاله بفوزه بالرئاسة، في مايو (أيار) الماضي، راهن ماكرون على تحسين الاقتصاد الفرنسي، عبر إصلاحات تتعلق بالضرائب والأجور ومعاشات المتقاعدين. كما سعى لإقناع حكومة المستشار الألمانية أنغيلا ميركل بالموافقة على تحقيق تكامل أوسع في منطقة اليورو.

وعوضاً عنه، انتهى العام الجاري والاقتصاد الفرنسي في حالة ركود، وقد ارتفعت معدلات البطالة بشكل كبير، وانخفضت معدلات شعبية ماكرون إلى الحضيض. وبات عدد من نظرائه الأوروبيين يرفضون فكرته بشأن منطقة اليورو، فيما تعارضه الحكومة الإيطالية اليمينية على عدة جبهات.

وفي ذات السياق، قال فلورنس بيسانى، اقتصادي وأحد مديري صندوق كانديان في باريس: "يواجه ماكرون حالة في منطقة اليورو يتضاءل فيها الاتفاق حول ما سيكون عليه مستقبل المنطقة. ولم يعد هناك مشروع حقيقي مشترك".

ولربما كان استبدال ميركل كزعيمة لحزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي الحاكم في ألمانيا أكبر ضرر على خطط ماكرون بشأن تكامل الاتحاد الأوروبي. وبات ماكرون في أمس الحاجة لدعم ألمانيا، أكبر اقتصاد في أوروبا وقوة مهيمنة للمضي قدماً في تعديلاته بشأن سياسة أوروبية دفاعية وأمنية أكثر تكاملاً، ولأن يلعب اليورو دوراً اقتصادياً أكبر على الساحة الدولية.

ولكن، حسب كاتب المقال، تزداد تلك المهمة صعوبة حينما تسيطر على النقاشات حول مستقبل ألمانيا بعد ميركل، مسألة كيفية حماية مصالح ناخبين محليين، وليس اعتبارات أوروبية.

وفيما تنوي ميركل البقاء كمستشارة، لا شك في أن اختيار زعيم للحزب سوف يقلل من فرصتها في التحرك باتجاه ماكرون.

وفيما لن يواجه ماكرون انتخابات عامة حتى عام ٢٠٢٢، كرر قوله إنه ليس مهتماً باستطلاعات الرأي حول شعبيته. ولكن حتى أعضاء من حزبه الحاكم نصحوه بإبطاء إيقاع الإصلاحات. وعلاوة عليه، اضطر الرئيس الفرنسي لتقديم تنازلات لحركة "السترات الصفراء". فقد خضع لضغط الشارع وقرر تعليق ضريبة الوقود لمدة ٦ أشهر، وتعليق الزيادات في أسعار الغاز والكهرباء لمدة ٣ أشهر.

وحسب كاتب المقال، شكل إذعان الحكومة لحركة "السترات الصفراء" ضربة موجعة للرئيس إيمانويل ماكرون بعد ١٨ شهراً على توليه السلطة.

وفي الوقت نفسه، اهتمت وسائل إعلام فرنسية الولايات المتحدة بالتورط في "إضعاف ماكرون" تمهيداً لاستقالته، بعدما دعا إلى تأسيس جيش أوروبي ودافع عن الاتفاق النووي الإيراني.

تنازلات الحكومة الفرنسية لا تكبح الاحتجاجات

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/١٢/٨

لم يساهم تجميد الحكومة الفرنسية زيادة مقررة على ضريبة الوقود لستة أشهر، ورفعها الحد الأدنى للأجور في تهدئة متظاهرين واصلوا احتجاجات عنيفة، رافضين «فتات» تقدّمها لهم السلطات. وشكّل إذعان الحكومة لحركة «السترات الصفرة» ضربة موجعة للرئيس إيمانويل ماكرون بعد ١٨ شهراً على توليه الحكم. وأرغمت احتجاجات مرات رؤساء فرنسيين سابقين على التراجع عن مواقفهم، وهذا ما تعهد ماكرون الامتناع عن فعله، في محاولته «تغيير» الاقتصاد والدولة الفرنسيين.

تزامن ذلك مع تهاوي شعبيته، إذ أظهر استطلاع للرأي أعدته «إيفوب-فيدوسيال» ونشرت نتائجه مجلة «باري ماتش» وإذاعة «سود راديو» أن نسبة الرضا عن أداء ماكرون تراجعت إلى ٢٣ في المئة، فيما سجّل رئيس الوزراء إدوار فيليب ٢٦ في المئة.

وهزّت باريس صدمات عنيفة وشغب وعنف وتخريب السبب الماضي، في اضطرابات اعتُبرت الأسوأ منذ العام ١٩٦٨، وأسفرت عن مئات الجرحى والمعتقلين. وبدأت حركة «السترات الصفرة» تحركها في ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي، احتجاجاً على ارتفاع كلفة المعيشة نتيجة الضرائب التي فرضتها الحكومة على الوقود. وتحولت الاحتجاجات انتفاضة ضد ماكرون الذي يتهمه كثيرون بتطبيق سياسات ممالئة للأثرياء، مطالبين باستقالته. وقال فيليب: «يجب أن تكون أصماً وأعمى لئلا ترى ولا تسمع هذا الغضب. الفرنسيون الذي ارتدوا السترات الصفرة يحبون بلدهم، ويرغبون في ضرائب منخفضة ويريدون أن يكون راتبهم كافياً، وهذا ما نرغبه كذلك. إذا لم أتمكن من شرحه، وإذا لم تتمكن الغالبية الحاكمة من إقناع الفرنسيين، فإن شيئاً يجب أن يتغيّر. لا ضرائب تستحق أن تعرض وحدة الأمة لخطر».

وأعلن تجميد زيادة الضريبة على الوقود لستة أشهر، علماً أن تطبيقها كان مقرراً في كانون الثاني (يناير) المقبل. ولفت إلى استغلال هذه الفترة لمناقشة إجراءات أخرى لمساعدة الطبقة العاملة الفقيرة التي تعتمد على السيارات للذهاب إلى العمل والمتاجر. وأشار إلى أن أسعار الكهرباء والغاز التي تنظمها الحكومة، ستُجمد خلال فصل الشتاء، معلناً زيادة الحد الأدنى للأجور بنسبة ٣ في المئة بدءاً من يناير، ومتحدثاً عن «واحدة من أعلى الزيادات خلال السنوات الـ ٢٥ الماضية». واستدرك: «لو كان هناك أمر تعلمناه من الأحداث الأخيرة، فهو أن الفرنسيين لا يريدون زيادة في الضرائب أو ضرائب جديدة. وإذا تراجع تحصيل الضرائب، سيتراجع الإنفاق لأننا لا نريد أن نورث ديوننا لأحفادنا. وهذه الديون ثقيلة»، علماً أن الحكومة أقرت حزمة مساعدات للأسر الأكثر فقراً، قيمتها ٥٠٠ مليون يورو. وشدد فيليب على «وجوب انتهاء العنف»، وزاد: «إذا حدث يوم آخر من الاحتجاجات السبب، يجب نيل إذن وأن يتم في هدوء. وزير الداخلية سيستخدم كل الوسائل لضمان احترام النظام».

ونقلت وكالة «رويترز» عن مصدر إن تدابير الحكومة ستكبد الدولة بليوناً يورو، علماً أن هناك ترقباً لموقف «السترات الصفرة». وقال ناطق باسم الحركة: «إنها خطوة أولى، لكن الفرنسيين لا يريدون فتاتاً، بل الرغيف كاملاً». وأضاف أن الحركة تريد إلغاء الضرائب. وانتقد آخر المسؤولين، قائلاً: «يعتقدون بأننا حمقى». أما زعيمة اليمين المتطرف مارين لوبن فكتبت على «تويتر» أن المحتجين يريدون إلغاء زيادة الضريبة على الوقود، لا تجميدها.

وتواصلت التظاهرات الجمعة، بعد انضمام سائقي سيارات إسعاف وطلاب إلى الاحتجاجات. وأحرق متظاهرون مباني، وخاضوا صدمات عنيفة مع الشرطة. وأضرمت النار في جزء من مدرسة ثانوية قرب تولوز جنوب غربي فرنسا، كما سُجلت صدمات في ليون ومرسيليا وبوردو وأورليان، فيما أُغلقت المدارس في كريتاي وفرساي قرب باريس.

إلى ذلك، قارنت وسائل إعلام رسمية روسية احتجاجات فرنسا بـ «ثورات ملونة» شهدتها جمهوريات الاتحاد السوفياتي، وتحدثت عن تورط الولايات المتحدة لـ «إضعاف ماكرون» تمهيداً لاستقالته، بعدما دعا إلى تأسيس جيش أوروبي ودافع عن الاتفاق النووي الإيراني.

ما الثمن الذي سيدفعه الرئيس الفرنسي؟

وكالة رويترز : ٢٠١٨/١٢/٨

أخيراً ألقى الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون للعاصفة، بإعلانه تعليق الزيادات الضريبية التي كانت تنوي الحكومة تطبيقها، بعد احتجاجات السترات الصفراء التي عمت المدن الفرنسية، لكن يبدو أن التكلفة ستكون ثقيلة على الدولة الفرنسية وعلى الرئيس ماكرون بعد هذا التعليق المؤقت والاستجابة لشروط «السترات الصفراء». فقد أبلغ مصدر حكومي وكالة «رويترز»، الثلاثاء ٤ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٨، أن تعليق العمل بزيادات مزعة على ضرائب الوقود لستة أشهر، حسبما أعلنته الحكومة الفرنسية لتهدئة محتجي ما يُعرف بحركة «السترات الصفراء»، سيكلف الدولة ملياري يورو (٢,٣ مليار دولار). وأضاف المصدر أن هذه الفجوة المالية ستُمول بالكامل عن طريق تخفيضات إنفاق مكافئة بحيث لا ينحرف عجز الميزانية الفرنسية عن هدفه البالغ ٢,٨٪ في ٢٠١٩.

أظهر استطلاع أجرته إيفوب-فيدوسيال لصالح مجلة باري ماتش وإذاعة (سود راديو) نشر الثلاثاء، أن شعبية الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون ورئيس الوزراء إدوار فيليب هبطت لمستوى قياسي مع تصاعد احتجاجات السترات الصفراء. وهبطت نسبة الرضا عن أداء ماكرون إلى ٢٣٪ في الاستطلاع الذي أُجري في أواخر الأسبوع الماضي، بانخفاض ٦ نقاط عن الشهر السابق. وهبطت نسبة الرضا عن أداء فيليب ١٠ نقاط إلى ٢٦٪.

وتمثل النسبة التي سجلها الرئيس تلك التي سجلها سلفه فرنسوا هولاند في أواخر عام ٢٠١٣، وفقاً لمجلة باري ماتش. وكان هولاند في ذلك الوقت يعتبر الرئيس الأقل شعبية في تاريخ فرنسا الحديث. وبدأت احتجاجات السترات الصفراء في فرنسا يوم ١٧ نوفمبر/تشرين الثاني الماضي، للتديد بفرض رسوم إضافية على الوقود، ثم تحولت إلى حركة احتجاجية أوسع مناهضة لماكرون. وتحولت الاحتجاجات في باريس، يوم الأول من ديسمبر/كانون الأول، إلى العنف، فشوهت قوس النصر، وعانت الشوارع المحيطة بالشانزليزيه من أعمال تخريب.

أعلن رئيس الوزراء الفرنسي إدوار فيليب، الثلاثاء، تعليق الزيادات المرتقبة في ضرائب الوقود لمدة ستة أشهر، استجابة لاحتجاجات السترات الصفراء، في أول تراجع كبير لحكومة الرئيس إيمانويل ماكرون، بعد ١٨ شهراً على توليه السلطة. وقال فيليب في كلمة ألقاها لإعلان القرار، إن من لا يسمع أو يرى الغضب في الشوارع بشأن سياسة وصفها ماكرون بأنها ضرورية لمكافحة التغير المناخي «إما أصم أو كفيف».

وأضاف في الكلمة التي بثها التلفزيون «الفرنسيون الذين ارتدوا السترات الصفراء يريدون خفض الضرائب وأن يكون العمل مجدياً، هذا ما نريده نحن كذلك. إذا لم أتمكن من شرحه، إذا لم تتمكن الأغلبية الحاكمة من إقناع الفرنسيين فإن شيئاً يتعين أن يتغير». وإلى جانب تعليق زيادة الضريبة لمدة ستة أشهر بعد احتجاجات السترات الصفراء قال فيليب إن هذه الفترة ستستغل لمناقشة إجراءات أخرى لمساعدة الطبقة العاملة الفقيرة التي تعتمد على السيارات للذهاب إلى العمل والمتاجر. وألمح مسؤولون في وقت سابق إلى زيادات محتملة في الحد الأدنى للأجور، لكن فيليب لم يعلن أي التزام بهذا الشأن، لكنه نبه المواطنين إلى أنه لا يمكنهم توقع خدمات عامة أفضل وخفض الضرائب في نفس الوقت، لذلك يتعين على الجانبين تقديم تنازلات.

وبدأت الحركة التي تحمل اسم «السترات الصفراء»، يوم ١٧ نوفمبر/تشرين الثاني، كمجموعة احتجاج على شبكات التواصل الاجتماعي، وركزت على التديد بارتفاع تكاليف المعيشة بسبب الضرائب التي فرضها ماكرون على الوقود.

«السترات الصفراء».. أوروبا إلى أين؟

*د. أحمد سيد أحمد

مركز الأهرام للدراسات: ٢٠١٨/١٢/٨

في مشهد لم تشهده فرنسا منذ عام ١٩٦٨، حين قامت تظاهرات عرفت وقتها بتظاهرات الطلبة، خرجت تظاهرات تضم الآلاف من المواطنين من مختلف الأعمار ومختلف المهن ومختلف الطبقات خاصة المتوسطة والفقيرة إلى الشوارع في الساعات عشر من نوفمبر الماضي في احتجاجات شهدتها العاصمة باريس والعديد من المدن الأخرى، التي عرفت باسم «السترات الصفراء»، وذلك احتجاجاً على السياسات الاقتصادية التي تنتهجها حكومة الرئيس ماكرون، والتي يعتبرها المحتجون انحيازاً للأغنياء، وتأتي على حساب الطبقات الفقيرة.

التظاهرات بدأت عفوية احتجاجاً على ارتفاع أسعار الوقود، وتوسعت لتشمل الاحتجاج على مجمل السياسة الاقتصادية التي تركز على التقشف ورفع الضرائب وأسعار الوقود، ما أدى إلى ارتفاع تكاليف المعيشة على الطبقة الوسطى الفرنسية، واستمرت الاحتجاجات للأسبوع الرابع على التوالي لتشكل تحدياً واختباراً للرئيس ماكرون البالغ من العمر ٤٠ سنة، ولحكومته ولسياساته الاقتصادية، واستفتاء على شعبيته التي تراجعت بشكل كبير، خاصة مع تعاطف الكثير من الفرنسيين مع تظاهرات أصحاب السترات الصفراء.

هذه الاحتجاجات وضعت الحكومة الفرنسية وأصحاب السترات الصفراء في مأزق كبير لعدة اعتبارات:

أولها: أن الدولة الفرنسية على لسان رئيسها ماكرون ورئيس الوزراء إدوارد فيليب أعلنت بوضوح عدم التراجع عن تلك السياسات الاقتصادية، لأنه لو تراجعت عنها أمام الاحتجاجات فهذا يعني انتقاصاً من هيبة الدولة وضغوطاً على الحكومة لإثباتها عن المضي قدماً في مسيرة الإصلاح الاقتصادية.

ثانيها: هناك إشكاليات تواجه أصحاب السترات الصفراء، فإلى جانب عدم وجود قيادة ومطالب محددة تعبر عنها ويمكنها التفاوض مع الحكومة، تحولت تلك الاحتجاجات إلى أعمال عنف وشغب وحرق مئات السيارات ونهب المتاجر وإغلاق الطرق، ووصل الأمر إلى إحداث تلفيات وحرائق في مبان مهمة مثل قوس النصر، ونهب محتويات بعض المتاحف، وتحول شوارع الشانزليزيه إلى ساحات حرب بين المحتجين ورجال الشرطة، إضافة إلى خسائر مالية تقدر بعشرات الملايين من اليورو نتيجة لإحراق السيارات والمحال، ووقوع العشرات من المصابين. هذه الأعمال العنيفة التي غلبت على التظاهرات أفقدتها التعاطف الشعبي، وكذلك دفعت الحكومة إلى اتخاذ ردود فعل قوية وعدم التراجع عن سياستها، والتهديد بإعلان حالة الطوارئ لمواجهة أعمال الشغب، حيث اعتبر الرئيس ماكرون في خطابه خلال قمة العشرين بالأرجنتين أن الاحتجاج السلمي أمر مشروع، لكن أعمال العنف والشغب غير مشروعة، واعتبر ماكرون أن هناك مندسين من اليمين واليسار المتطرف، استغلوا تظاهرات أصحاب السترات الصفراء ليقوموا بأعمال العنف.

ومن ناحية أخرى أكد الرئيس ماكرون عدم التراجع عن خطته الانتقالية للطاقة، حيث اعتبر أن الضرائب على المحروقات جزء من مسعاها لمحاربة تغير المناخ، وأنه يريد إقناع السائقين الفرنسيين بالاستغناء عن السيارات التي تعمل بالديزل والإقبال على أنواع أقل تلويثاً للبيئة. وأكد أنه لن يحدد عن أهداف سياسته، ما

يعني أن التناقضات والفجوة تزداد بين الحكومة وبين أصحاب السترات الصفراء، وإصرار كل طرف على التمسك بموقفه وعدم تقديم تنازلات وهو ما يزيد الأمور تعقيداً أمام التوصل إلى حل وسط للخروج من تلك الأزمة.

ثالثها: تحولت الاحتجاجات إلى جزء من الصراع السياسي بين الأحزاب السياسية، خاصة أحزاب اليمين واليسار المتطرف، التي اعتبرت الاحتجاجات مؤشراً على فشل الائتلاف الحاكم وفشل سياسات ماكرون الاقتصادية، ودعا جان لوك ميلينشون رئيس «حزب فرنسا الأبية»، وماريان لوبان زعيمة اليمين المتطرف، إلى حل البرلمان والدعوة لانتخابات مبكرة، ما يزيد الأزمة تعقيداً، خاصة إذا ما استمرت حالة التمرس من جانب أطراف الأزمة واستمرت الاحتجاجات العنيفة، وهو ما قد يهدد تحالف ماكرون بقيادة حزبه، (الجمهورية إلى الأمام)، الذي أنشئ قبل عام بعد تحول حركة إلى الأمام التي كان يقودها ماكرون وفازت في الانتخابات إلى حزب سياسي تحالف مع بعض أحزاب الوسط. وقد تدفع هذه الأزمة إلى إجراء انتخابات جديدة وهو ما يمثل تحدياً كبيراً للرئيس الشاب الذي راهنت عليه الجماهير بعد فشل الأحزاب التقليدية في تنفيذ أجندة وسياسات اقتصادية تساهم في تحسين مستوى معيشة المواطنين وتعالج المشكلات الاقتصادية التي تواجهها فرنسا خاصة ارتفاع معدلات البطالة بشكل كبير وارتفاع التضخم وارتفاع حجم الدين الحكومي، إضافة لمشكلات الهجرة، وكلها تحديات كبيرة أمام الحكومة الفرنسية.

رابعها: أن احتجاجات السترات الصفراء تعكس الأزمة الاقتصادية الكبيرة التي تعاني منها الدول الأوروبية، فالاحتجاجات انتقلت من فرنسا إلى الدول المجاورة مثل بلجيكا وهولندا وألمانيا، ما دفع البعض إلى وصفها بالربيع الفرنسي ثم الربيع الأوروبي وأعدت للأذهان مشاهد ما سمي «الربيع العربي»، التي شهدت أعمال حرق ونهب وعنف، وهو يعني أن الاقتصاد هو المحرك الأساسي للتفاعلات السياسية الداخلية في أوروبا سواء مع وصول أحزاب اليمين واليسار المتطرف إلى الحكم خاصة في الرئاسة والبرلمان، أو اندلاع التظاهرات العفوية التي أخذت طابعاً غير سلمي وهو ما يبدو غريباً على الثقافة الأوروبية وثقافة الاحتجاج السلمي.

وما يعمق من هذه الأزمة التحديات الكبيرة التي تواجه الاتحاد الأوروبي ككتل مع خروج بريطانيا ومساعي دول أخرى للسير على دربها بعد تراجع الأداء الاقتصادي وارتفاع تكاليف المعيشة، إضافة إلى أن الكثير من الدول الأوروبية تعاني مشكلات اقتصادية مزمنة، وتحتاج إلى إجراءات إصلاحية مكلفة قد يكون ثمنها انهيار العديد من الائتلافات الحاكمة في ظل غياب رؤية واضحة للخروج من تلك الأزمة واحتواء تلك الاحتجاجات العنيفة التي تتسع يوماً بعد الآخر وتزداد تكلفتها الاقتصادية مع تراجع السياحة والخسائر المادية المرتفعة.

ورغم انحسار احتجاجات أصحاب السترات الصفراء نسبياً بعد استقبال الحكومة الفرنسية لعدد من ممثلي تلك الاحتجاجات، إلا أن جوهر المشكلة يتعلق بمستقبل السياسات الاقتصادية التي يتبناها الرئيس ماكرون وحكومته وما إذا كانت تحظى بالشرعية والتأييد من جانب الشارع الفرنسي، خاصة أن الأمر لم يعد مقصوراً عن التراجع عن رفع أسعار الطاقة، بل المطالبة بتغيير هيكل تلك السياسة التي يعتبرها المحتجون انحيازاً للأغنياء، وهو ما يجعل مستقبل الرئيس ماكرون السياسي ذاته على المحك، وكذلك الأحزاب الحاكمة في العديد من الدول الأوروبية، وكذلك مستقبل الأحزاب المتطرفة التي تسعى لاستغلال تلك الاحتجاجات لمواصلة صعودها ووصولها إلى السلطة.

* خبير العلاقات الدولية في الأهرام

الملك في موقف حرج داخلياً وخارجياً الأردن على موعد مع اضطرابات قد تطول

ستراتفور: ٢٠١٨/١٢/٨

قال مركز Stratfor الأمريكي إن المدّ المتصاعد من الاحتجاجات في الأردن أثبت قدرته على ممارسة السلطة على سياسة الحكومة. ولطالما اعتمد العقد الاجتماعي في الأردن على خليط من التهذئة غير المرئية، من قبل الملك، والمساعدات الأجنبية الضخمة.

لكن مع تعثر اقتصاد البلاد، يواجه الأردن تأثيراً متزايداً من متظاهرين مختلفين، فمن ناحية، هناك القوميون، الذين يعارضون الملك عبدالله الثاني أيديولوجياً، والذي يتبنى سياسات يعتقدون أنها تصب في مصلحة كبار المانحين لا مصلحة الأردن. ومن ناحية أخرى، هناك المتظاهرون المتضررون اقتصادياً، والذين يزداد كفاحهم من أجل البقاء، في الوقت الذي ينفذ فيه الأردن إصلاحات اقتصادية هيكلية، لا سيما تلك المتعلقة بفرض ضرائب جديدة. وفي غضون ذلك، ييستمّر الأردن في الاعتماد على المساعدات الخارجية، وهو ما يعني أنّ الجهات المانحة الرئيسية (الولايات المتحدة وأوروبا) ودول الخليج) لديها نفوذ كبير على قرارات المملكة الأردنية. ولما كانت مطالبات هذه القوى الخارجية تتصادم مع رغبات الحركات الاحتجاجية المتزايدة في الأردن، فلن يكون الملك قادراً على إرضاء الجميع، وهو ما يعني أنّ الأردن سوف يواجه، على الأرجح، اضطرابات مستمرة وقد يشهد أزمة داخلية.

احتجاجات الشوارع قد تدفع إلى تحولات بارزة

يقول المعهد الأمريكي للدراسات السياسية والأمنية في تقريره، إن الحكومة الملكية في الأردن، أصبحت باطراد أكثر استجابة للضغوط الداخلية من قبل حركاتها الاحتجاجية. وفي الآونة الأخيرة نجح المعارضون في الدفع بالملك عبدالله لإعلان انسحاب الأردن من جزء من معاهدة السلام التي أبرمها مع إسرائيل عام ١٩٩٤، ألا وهي أراضي الباقورة والغمر. ويضيف: «لا يزال التزام الملك بمعاهدة السلام نفسها ثابتاً، لذا فلم يؤدّ قراره هذا إلى أزمة دبلوماسية مع إسرائيل أو اندفاع لإنقاذ المعاهدة، لكنّ هذه الخطوة تجسّد محاولات الملك المتزايدة لاسترضاء المجموعات الداخلية التي تعارض بعض تصرفات الحكومة الأردنية.

ويشير المركز إلى أن انتصار المعارضين جاء بعد وقت قصير من نجاح المتظاهرين المتضررين اقتصادياً، في فرض إلغاء مشروع قانون ضريبة الدخل، الذي طرحته حكومة هاني الملقى المقالة، التي لم تحظ بشعبية كبيرة، في شهر يونيو/حزيران ٢٠١٨. وتمثل اضطرابات هذا الصيف في الأردن أكبر احتجاجات بالبلاد منذ أحداث الربيع العربي عام ٢٠١١، والتي أسفرت عن تشكيل حكومة جديدة تماماً.

وتشير الحقيقة إلى أنّ احتجاجات الشوارع المتنوعة هذه قد دفعت إلى تحولات بارزة في السياسة بالأردن، وإلى الرغبة القوية لدى الحكومة في إرضاء مواطنيها وتجنّب الاضطرابات. لكنّ هذا الموقف يخاطر أيضاً بالتسبب في مواجهة بين الحكومة الملكية الأردنية والحلفاء الدوليين الذين يريدون استمرار الملكية، لكنهم يريدونها أيضاً أن تعمل لمصلحتهم.

القضايا التي تحرك التظاهرات تتضاعف

في أثناء الربيع العربي، اصطفّت مظاهرات المعارضين الأردنيين والمتظاهرين المتضررين اقتصادياً، واتحدتا لخلق بيئة قابلة للاشتعال بالمملكة. ومع ذلك، ففي الآونة الأخيرة، ركّز الجانبان على موضوعات بعينها دون أي تداخل يُذكر، إذ أجبرت تظاهرات القوميين عمّان على طرد السفير الإسرائيلي، بعد أن قتل حارس بالسفارة الإسرائيلية أردنيين اثنين، في شهر يوليو/تموز ٢٠١٧، وأوقفت المظاهرات مشروع قانون ضريبة الدخل الذي لا يحظى بشعبية، وتأجيل إجراءات التقشف إلى وقت آخر بعض الشيء.

ويضيف المركز الأمريكي أن نطاق القضايا التي تُحرك هذه التظاهرات يتضاعف مع استمرار اقتصاد الأردن في التدهور، وانخراط المملكة بجهود تزداد جدية وخطورة للحفاظ على الاستقرار، بما في ذلك التواصل مع صندوق النقد الدولي.

وكلما زادت المشكلات ذات الصلة، زادت احتمالات تنظيم التظاهرات. وسوف يوفر مشروع قانون ضريبي جديد مُعتمداً جزئياً، وخطة أمريكية «للسلام» في فلسطين، مزيداً من الفرص للمتظاهرين للتنظيم ضد الحكومة الملكية، في محاولة لفرض نفوذ على سياستها.

ولسوء حظ الأردن، فقد أثارت انتصارات السياسة الأخيرة والمطالب الحالية من القوميين والأردنيين المتعثرين اقتصادياً فزع الرعاة الأجانب للبلاد، الضروريين للحفاظ على استقرار البلاد. وقد أظهر المانحون الرئيسيون للأردن استعدادهم للعب السياسة في مقابل الدعم الذي تحتاجه عمان بشدة.

المخاطرة بالمساعدات

ويضيف المركز الأمريكي أنه بالنظر إلى التحديات الديموغرافية التي يواجهها الأردن، وقلّة موارده، فإنّ استقراره يعدّ أمراً غريباً في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. لكنّ سبب هذا الاستقرار، إلى حد كبير، أنّ القوى الأساسية—وضمنها إسرائيل والولايات المتحدة وأوروبا— ترى قيمة في الحفاظ على اقتصاد المملكة وسدّ الثغرات في عقدها الاجتماعي. وقد ظهرت هذه الديناميكية في شهر يونيو/حزيران ٢٠١٨، عندما عرضت المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وقطر، مجتمعة، ١,٢٥ مليار دولار على هيئة قروض ومساعدات، لعون الحكومة الأردنية المرهقة على تجاوز هذا العام (٢٠١٨).

بل إنّ إسكات إسرائيل عن رد الفعل على قرار الملك بخصوص معاهدة سلام عام ١٩٩٤، قد أظهر استمرار اهتمام إسرائيل بالحفاظ على الاستقرار هناك.

لكن مع استمرار المتظاهرين الأردنيين في التأثير على ملكهم، فإنّ السؤال الآن متعلق بأثر ذلك على تصرفات المجتمع الدولي، ذلك أنّ السياسة القومية، في الماضي، قد دفعت الأردن إلى سياسات أضرتّ بأمنه.

تسحب الحركات الاحتجاجية في الأردن، وحاجتها للمساعدة الخارجية قيادتها في اتجاهين مختلفين، وتُجبر الملك على اجتياز أرض وسط، يتقلص حجمها. ومع قلّة الخيارات الجيدة المتاحة، سوف يصبح عبدالله معتمداً باطراد على سياسة مدروسة من الدول الأجنبية، وهو موقف صعب.

فالسعودية مثلاً لديها سياسات غير طبيعية تجاه حلفائها—بدءاً من نزاعها مع كندا وانتهاء باختطاف رئيس الوزراء اللبناني سعد الحريري— بل إنها احتجرت، لفترة وجيزة، أثري ملياردير أردني، في محاولة لممارسة النفوذ. وكذا فإنّ أي سوء تقدير من قبل السعودية أو الإمارات أو كليهما قد يعرض الملك عبدالله لمزيد من الاحتجاجات الكبرى في بلاده.

وعلاوة على ذلك، فإنّ الولايات المتحدة قد تستخدم الوعد بالمساعدة للضغط على عمان من أجل دعم «خطة للتسوية» في فلسطين، التي من المؤكد أنها لن تحظى بالشعبية في الأردن.

وتُعَدّ المساعدة العسكرية الأمريكية محوريةً بالنسبة للقوات المسلحة الأردنية، إضافةً إلى أنّ الشراكة الأمنية مع عمان أمرٌ أساسي بالنسبة لواشنطن، لذا فإنّ القطيعة الحقيقية أمر بعيد الاحتمال.

لكن يمكن أن تختار الولايات المتحدة إظهار عدم اليقين حول دعمها للملك من خلال التصريحات أو التهديدات أو حتى التغريدات، وهو ما سوف يعرض عبدالله لحركة احتجاجات أكثر حزمًا.

ومن الممكن أن تشعل إسرائيل، هي الأخرى، المشاعر القومية في الأردن. فلو وقعت حرب أخرى في غزة، أو دعمت إسرائيل خطة لتسوية القضية في فلسطين، أو حتى لو وقعت حادثة مشابهة لإطلاق النار في السفارة، فمن شأن كل ذلك أن يؤدي إلى تدهور وضع الملك عبدالله في الداخل.

ويختتم المركز الأمريكي التقرير بالقول: «لا يريد أي من حلفاء الأردن زعزعة استقرار المملكة بشكل كبير، أو تقويض حاكمها، لكنهم أظهروا أنهم قادرون على التصرف بطرق تفتح الباب أمام الاضطرابات، في حال ابتعدت الحكومة الملكية عن مصالحهم من أجل استرضاء (المجموعات المحتجة)».

الأردنيون في الداخل غير راضين بشكل متزايد عن اقتصاد بلدهم، وعلاقته بإسرائيل، وقد زادت احتجاجاتهم المتزايدة من نفوذهم على سياسة الحكومة، لكنّ هذا الحزم سوف يخلق مصادمات مع مصالح المانحين الخارجيين، الذين يعتمد الأردن عليهم، لعدم امتلاكه للموارد اللازمة للاستمرار بمفرده.

تظاهرات السترات الصفراء: ربيع عابر أم آفاق للتحول؟

*عبد الأمير رويح

شبكة النبأ: ٢٠١٨/١٢/٩

تنازلات كبيرة قدمتها الحكومة الفرنسية تهدئة الشارع الفرنسي، حيث سعت الى تجميد قرار زيادة نسبة الضرائب على الوقود لستة أشهر من اجل استرضاء اصحاب الستر الصفراء، وشكل إذعان الحكومة لحركة «السترات الصفرة» بحسب بعض المصادر، ضربة موجعة للرئيس إيمانويل ماكرون بعد ١٨ شهراً على توليه الحكم. وأرغمت احتجاجات مرات رؤساء فرنسيين سابقين على التراجع عن مواقفهم، وهذا ما تعهد ماكرون الامتناع عن فعله، في محاولته تغيير الاقتصاد والدولة الفرنسيين.

ولم يساهم تجميد الحكومة الفرنسية زيادة مقررة على ضريبة الوقود، ورفعها الحد الأدنى للأجور في تهدئة متظاهرين واصلوا احتجاجات عنيفة، رافضين فئات ما تقدمه السلطات لهم. فكرة النار تتدحرج في فرنسا ولم تعد مقصورة على السترات الصفراء. التلامذة والطلاب انضموا إلى حركة احتجاجية طلابية، والمزارعون يتهيأون للتحرك، فيما أعلن قطاع النقل البري القيام باضراب عام من اجل السياسات الحكومية الاقتصادية والاجتماعية، والمطالبة بمزيد من العدالة الاجتماعية وتوزيع الجهود المطلوبة فيما يخص الضرائب والرسوم بشكل عادل، وتحسين الأحوال المعيشية للشرائح الاجتماعية الوسطى والأدنى.

وأصبح اليوم من الواضح للجميع أن رئيس الجمهورية والحكومة يواجهان أسوأ أزمة سياسية منذ وصول إيمانويل ماكرون إلى الرئاسة في ربيع العام الماضي. تزامن ذلك مع تهاوي شعبيته، إذ أظهر استطلاع للرأي أعدته «إيفوب-فيدوسيال» ونشرت نتائجه مجلة «باري ماتش» وإذاعة «سود راديو» أن نسبة الرضا عن أداء ماكرون تراجعت إلى ٢٣ في المئة، فيما سجل رئيس الوزراء إدوار فيليب ٢٦ في المئة.

وهزّت باريس صدمات عنيفة وشغب وعنف وتخريب في وقت سابق، في اضطرابات اعتُبرت الأسوأ منذ العام ١٩٦٨، وأسفرت عن مئات الجرحى والمعتقلين. وبدأت حركة «السترات الصفرة» تحركها في ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي، احتجاجاً على ارتفاع كلفة المعيشة نتيجة الضرائب التي فرضتها الحكومة على الوقود. وتحولت الاحتجاجات انتفاضة ضد ماكرون الذي يتهمه كثيرون بتطبيق سياسات ممالئة للأثرياء، مطالبين باستقالته.

تنازلات ومطالب

وفي هذا الشأن أعلن رئيس الوزراء الفرنسي إدوار فيليب تعليق الزيادات المرتقبة في ضرائب الوقود لمدة ستة أشهر على الأقل استجابة لاحتجاجات شابها العنف في بعض الأحيان، وذلك في أول تراجع كبير لحكومة الرئيس إيمانويل ماكرون بعد ١٨ شهراً على توليه السلطة. وقال فيليب في كلمة ألقاها لإعلان القرار إن من لا يسمع أو يرى الغضب في الشوارع بشأن سياسة وصفها ماكرون بأنها ضرورية لمكافحة التغير المناخي "إما أصم أو كفيف" وأضاف في الكلمة التي بثها التلفزيون "الفرنسيون الذين ارتدوا السترات الصفراء يريدون خفض الضرائب وأن يكون العمل مجدياً، هذا ما نريده نحن كذلك. إذا لم أتمكن من شرحه، إذا لم تتمكن الأغلبية الحاكمة من إقناع الفرنسيين فإن شيئاً يتعين أن يتغير... لا توجد ضريبة تستحق تعريض وحدة الشعب للخطر". وإلى جانب تعليق زيادة الضريبة، التي كان من المقرر سريانها في يناير كانون الثاني، لمدة ستة أشهر قال فيليب إنه سيجري استغلال هذه الفترة لمناقشة إجراءات أخرى لمساعدة الطبقة العاملة الفقيرة التي تعتمد على المركبات للذهاب إلى العمل والمتاجر.

وسبق أن لمح مسؤولون إلى زيادات محتملة في الحد الأدنى للأجور لكن فيليب لم يعلن أي التزام بهذا الشأن. لكنه نبه المواطنين إلى أنه لا يمكنهم توقع خدمات عامة أفضل وخفض الضرائب في الوقت نفسه. وقال "لو كان هناك أمر تعلمناه من الأحداث الأخيرة فهو أن الفرنسيين لا يريدون زيادة في الضرائب أو ضرائب جديدة. وإذا تراجع تحصيل الضرائب فسيترجع الإنفاق لأننا لا نريد أن نورث ديوننا لأحفادنا. وهذه الديون ثقيلة بالفعل".

وبدأت الحركة التي تحمل اسم "السترات الصفراء" يوم ١٧ نوفمبر تشرين الثاني كمجموعة احتجاج على مواقع التواصل الاجتماعي وركزت على التنديد بارتفاع كلفة المعيشة بسبب الضرائب التي فرضها ماكرون على الوقود. لكن على مدى الأسابيع الثلاثة الماضية تحولت هذه الاحتجاجات إلى انتفاضة عامة أكبر ضد ماكرون في ظل انتقاد كثيرين الرئيس لتطبيق سياسات يرون أنها تميل لمصلحة الأثرياء ولا تفعل شيئاً يذكر لمساعدة الفقراء. وذهب بعض الجماعات إلى حد مطالبة ماكرون بالاستقالة.

وعلى الرغم من عدم وجود قائد واضح للحركة وعدم وضوح أهدافها في بعض الأحيان، فقد اجتذبت أناساً من كل الأعمار والطبقات ولعبت على وتر الاستياء من التوجه الذي يحاول ماكرون أن يأخذ البلد إليه. وانضم سائقو سيارات الإسعاف والطلاب إلى الاحتجاجات بل ونظموا احتجاجات خاصة بهم. وصعد الطلاب احتجاجاتهم مع ورود تقارير من مختلف أنحاء البلاد عن إضرام محتجين النيران في مبان واشتباكات عنيفة مع الشرطة.

وأبلغت السلطات المحلية بأن النيران أضرمت في جزء من مدرسة ثانوية في بلانك قرب تولوز بجنوب غرب فرنسا. ووقعت اشتباكات أيضاً في ليون ومرسيليا وبوردو ومدينة أورليان بينما أغلقت المدارس في كريستيل وفرساي قرب باريس. وبعد أسابيع من تنامي الإحباط، لا توجد مؤشرات تذكر على أن تحرك فيليب سيهدئ من احتجاجات السترات الصفراء التي يحاول أصحابها الوصول إلى موقف موحد. وقال المتحدث باسم الحركة بينجامين كوشي لتلفزيون (بي.إف.إم) "الفرنسيون لا يريدون الفتات. بل يريدون الخبر" مضيفاً أن الحركة تريد إلغاء الضرائب. وتحدث مشارك آخر في الحملة يدعى كريستوف شالينكون بصراحة أكبر. "يعتقدون أننا حمقى".

سباق مع الزمن

من جانب آخر استقبل رئيس الوزراء الفرنسي إدوار فيليب قادة الأحزاب السياسية الأساسية في البلاد ورئيسة بلدية باريس آن هيدالغو لبحث المقترحات للخروج من أزمة "السترات الصفراء" التي تشهدها البلاد. من جانبهم أعلن الممثلون عن حركة الاحتجاج أنهم لن يشاركوا في المحادثات المرتقبة مع فيليب "لأسباب أمنية"، بالتزامن مع تواصل الدعوات للتظاهر من جديد وبدء تحرك احتجاجي طلابي. فيما يرى مراقبون أنه "كلما مر الوقت كلما كان الثمن السياسي باهظاً".

وتسعى الحكومة الفرنسية لإيجاد مخرج لأزمة "السترات الصفراء"، التي اندلعت إثر تحرك لفرنسيين عاديي احتجاجاً على سياسة إيمانويل ماكرون الضريبية والاجتماعية، وأسفرت عن أعمال عنف خطيرة في قلب باريس. واستقبل رئيس الوزراء الفرنسي إدوار فيليب رئيسة بلدية باريس آن هيدالغو، وبعدها قادة الأحزاب السياسية الفرنسية الرئيسية. من جانب آخر، قال اثنان من مندوبي التحرك إن ممثلي الجناح المعتدل في حركة الاحتجاج لن يشاركوا في المحادثات مع رئيس الوزراء بعد أن تلقوا تهديدات بالانتقام من المتشددين. وقالوا إن قرار عدم المشاركة في المحادثات مع فيليب يعود إلى "أسباب أمنية".

من جهة أخرى امتنع ماكرون عن الإدلاء بأي تصريحات بعدما عين الأضرار الجسيمة التي لحقت بنصب قوس النصر والمناطق المجاورة له في باريس جراء أعمال تخريب. وأرجأ الرئيس الفرنسي زيارته الرسمية لصربيا "بسبب الوضع الحالي" في فرنسا كما قال نظيره الصربي ألكسندر فوتشيتش. وعنوانت صحيفة "لوفيغارو" "فرنسا تحت الصدمة تنتظر إجابات" فيما عرضت صحيفة "ليبراسيون" على صفحتها الأولى وجه ماكرون "يغمره" اللون الأصفر. وكتبت "لوموند" أن "على ماكرون نزع فتيل الأزمة".

وأعلن أوليفييه فور السكرتير الأول للحزب الاشتراكي بعد لقاء رئيس الوزراء "حتى الآن لم نتلق رداً". وقال لوران فوكييه زعيم المعارضة اليمينية ("الجمهوريون") "لا يمكن للرئيس أن يبقى صامتا". ويعتبر مطلب خفض الضرائب من التدابير التي قد تتخذ لإرضاء المحتجين. فقد أعلن وزير الاقتصاد برونو لومير "يجب تسريع خفض الضرائب. ولتحقيق ذلك يجب تسريع خفض النفقات العامة. وإننا مستعدون لسلوك هذا النهج".

وحذر برونو كوترى الباحث في مركز الأبحاث السياسية في جامعة "سيانس بو" من "أنه كلما مر الوقت كلما كان الثمن السياسي باهظاً". مضيفاً "لكن يمكننا أن نطرح تساؤلات حول قدرة الحكومة على استيعاب ما يحصل".

ملحاً إلى أنه سيكون من الصعب ردم الهوة التي تفصل بين الحكومة والمحتجين. وتظاهرات "السترات الصفراء" التي انطلقت احتجاجاً على زيادة الضرائب على الوقود، هي أخطر أزمة يواجهها ماكرون منذ تسلمه السلطة. ويطالب معظم الأطراف بتأجيل دخول الزيادة في سعر البنزين والديزل حيز التنفيذ لما بعد الموعد المقرر في الأول من كانون الثاني/يناير. وجعلت جاكين مورو وهي من أبرز وجوه المتظاهرين، من ذلك شرطاً مسبقاً للدخول في محادثات مع الحكومة. وبين المطالب الأخرى التي يطرحها المتظاهرون معاودة فرض الضريبة على الثروة بشكل فوري، بعدما خفضها ماكرون بنسبة كبيرة. بحسب فرانس برس.

وكان لقطع الطرقات آثار على الحدود مع إسبانيا حيث كانت الطوابير تمتد على كيلومترات وآلاف الشاحنات متوقفة بحسب السلطات في الجانب الإسباني. ويستعد القضاء لمحاكمة موقوفين بعد حوادث باريس. وسيحاكم ٥٧ موقوفاً على الأقل (من أصل ٣٧٨) أمام محكمة باريس الجنائية. ويواجه الموقوفون تهم ارتكاب أعمال عنف ضد أشخاص يتولون السلطة العامة و"أعمال تخريب ضد أملاك ذات منفعة عامة" و"التجمع بغية ارتكاب أعمال عنف" و"حمل سلاح"، وهي جرائم يعاقب عليها بالسجن لمدة تتراوح بين ثلاث وسبع سنوات، بحسب ما أوضح المدعي العام.

ضرائب كبيرة

من جانب آخر قالت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية إن فرنسا تخطت الدنمارك لتسجل أعلى إيرادات ضريبية بين البلدان المتقدمة في ٢٠١٧ حيث شهدت حصيلة الضرائب الحكومية مستوى قياسياً مرتفعاً في أرقام لن تساعد الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون على تهدئة المحتجين الغاضبين بسبب ارتفاع تكاليف المعيشة. وقالت المنظمة إن إجمالي إيرادات الضرائب الحكومية بلغ في المتوسط ٣٤,٢ بالمئة من الناتج المحلي الإجمالي في العام الماضي بين الدول الأربعة والثلاثين المتقدمة التي جمعت المنظمة التي تتخذ من باريس مقراً لبياناتها.

وأضافت أنه على الرغم من أن الزيادة طفيفة مقارنة مع ٣٤ بالمئة في ٢٠١٦ فإن الرقم الجديد هو أعلى متوسط إجمالي ضريبة منذ أن بدأت تسجيل البيانات في ١٩٦٥. وفي فرنسا، زادت إيرادات الضرائب الحكومية إلى ٤٦,٢ بالمئة من الناتج المحلي الإجمالي متخطية الدنمارك التي تراجع المعدل بها إلى ٤٦ بالمئة.

ويثير العبء الضريبي الثقيل استياء الناخبين. واندلعت حركة احتجاج شعبي تحمل اسم "السترات الصفراء" في منتصف نوفمبر تشرين الثاني للتعبير عن الغضب بسبب زيادة الضريبة على الوقود وتكاليف المعيشة شديدة الارتفاع. واتسمت هذه الاحتجاجات بالعنف أحياناً لاسيما في العاصمة باريس. وعلقت حكومة ماكرون، التي تسعى لخفض العبء الضريبي الكلي تدريجياً خلال فترة رئاسته البالغة خمسة أعوام، زيادات ضريبة الوقود المزمعة لستة أشهر على الأقل في محاولة للخروج من الأزمة المتفاقمة. بحسب رويترز.

وقالت منظمة التعاون الاقتصادي إن الضرائب الحكومية زادت في ١٩ دولة من الدول الأعضاء في العام الماضي وانخفضت في ١٦ دولة. وسجلت إسرائيل أعلى زيادة في الضرائب الحكومية حيث ارتفعت ١,٤ نقطة مئوية إلى ٣٢,٧ بالمئة من الناتج المحلي الإجمالي بسبب مجموعة من التغييرات على ضريبة الدخل والأرباح. وشهدت الولايات المتحدة ثاني أعلى زيادة في ٢٠١٧ وبلغ معدل الارتفاع ١,٣ نقطة مئوية إلى ٢٧,١ بالمئة من الناتج المحلي الإجمالي. وقالت المنظمة إن المكسيك سجلت أقل عبء ضريبي عند ١٦,٢ بالمئة.

وأبلغ مصدر حكومي أن تعليق العمل بزيادات مزمعة على ضرائب الوقود لستة أشهر، حسبما أعلنته الحكومة الفرنسية لتهدئة محتجي ما يعرف بحركة "السترات الصفراء"، سيكلف الدولة ملياري يورو (٢,٣ مليار دولار). وأضاف المصدر أن هذه الفجوة المالية ستُمول بالكامل عن طريق تخفيضات إنفاق مكافئة بحيث لا ينحرف عجز الميزانية الفرنسية عن هدفه البالغ ٢,٨ بالمئة في ٢٠١٩. وعلق رئيس الوزراء الفرنسي العمل بزيادات ضرائب الوقود المزمعة لستة أشهر عقب مظاهرات شابها العنف أحياناً استمرت لأسابيع وذلك في أول تراجع كبير لإدارة الرئيس إيمانويل ماكرون منذ توليه السلطة قبل ١٨ شهراً.

سترات ملونة تتحدى عالم الظلم الاجتماعي

*سلمى حسين

صحيفة (الشروق) المصرية : ٢٠١٨/١٢/٩

"لا أجد أي حرج في أن أقول إننا ربما نكون قد أخطأنا، وأننا استمعنا، ومن ثم فقد غيرنا. على السياسي ألا يكون أصما، ولا أعمى". بهذه الكلمات خرج المتحدث باسم الحكومة الفرنسية ليعلن عن تجميد الضرائب التي يتبناها ماكرون، رئيس فرنسا، لمدة ستة أشهر، يتم خلالها التفاوض وإيجاد حل وسط يرضي معارضي تلك الضرائب.

عاد الرئيس الفرنسي، من قمة العشرين. لم يفق بعد من وعشاء السفر، وتعب فرق التوقيت بين الأرجنتين وبلاده، ليسابق الزمن قبل أن يحل يوم السبت، يوم الحشد الكبير -الرابع من نوعه- الذي نادى إليه أصحاب السترات الصفراء.

جاء التجميد استجابة للتظاهرات والاعتصامات الشعبية - وكان بعضها عنيفا. هي التظاهرات الأوسع جغرافيا والأكثر تأييدا منذ مايو ١٩٦٨. دعا إليها ونظمها عبر وسائل الاتصال الاجتماعي من أطلقوا على أنفسهم ذوي السترات الصفراء.

فكان التنازل الحكومي يوم الثلاثاء هو تجميد إقرار ضريبة على مستهلكي وقود السيارات بأنواعه، والعدول المؤقت عن رفع أسعار وقود التدفئة والكهرباء للمنازل.

ولكن التجميد على أمل استيعاب الغضب الآتي سرعان ما لقي تصعيدا من الطرف المقابل.

ففي اليوم التالي، في ضوء تصاعد الدعوات للإضرابات، صوت البرلمان لصالح إلغاء تلك القرارات للعام ٢٠١٩. كما أعلن رئيس الحكومة الفرنسية أمام البرلمان زيادة الحد الأدنى للأجر بنسبة ١,٨٪ بدءا من يناير ٢٠١٩، ضمن حزمة إعفاءات ضريبية ومزايا نقدية من شأنها زيادة الدخل في يد الفرنسيين، بنسبة ٣٪. وذلك خلال جلسة طالت عن خمس ساعات لإقناعهم بأن الحكومة تتخذ ما يلزم لاحتواء الأزمة السياسية الكبرى التي تمر بها البلاد. فهل تمتص كل تلك التنازلات الغضب الشعبي؟

لا أحد يعلم كيف سيستجيب المواطنون لتلك القرارات الجديدة المعلنة. فحتى الآن يبدو وكأن أصحاب الدعوة للاحتجاج ما زالوا متمسكين بمطالب أكبر من تلك المعروضة على المائدة. حتى أن هناك عددا من القيادات قد امتنع عن الجلوس حول مائدة التفاوض مع الحكومة، تحت تهديد القواعد الحركية. والمفاجأة التي سوف تتكشف بعد نشر هذا المقال، هو موقف الشرطة من التصدي للاحتجاج.

فهل يجيء يوم الحشد الكبير بدون تواجد الشرطة في الشارع؟ ذكرت صحيفتا ليبراسيون ولاكسبرس أن نقابة الخدمات الشرطة أخطرت وزارة الداخلية بإضراب مفتوح بدءا من اليوم السبت وهي حيلة من شأنها أن تعطل الشرطة عن القيام بعملها في مواجهة الشغب في المدن الفرنسية، تضامنا مع حركة السترات الصفراء. حيث إن ضباط الشرطة غير مسموح لهم بالإضراب. يقول بيان للنقابة: "حان الوقت أن ننظم أنفسنا وفقا للقانون، وأن نتضامن معهم من أجل صالح الجميع. إن قيادتنا سوف ترسل بنا لنتلقى الضربات بدلا من الحكومة". يأتي هذا في خضم من تضامن مختلف النقابات العمالية في ربوع فرنسا لحراك أصحاب السترات الصفراء. فمن هم هؤلاء؟

حراك معضلة نهاية الشهر

وفقا لمذكرة بحثية، أصحاب السترات الصفراء، هم الفرنسيون ممن لا تكفي رواتبهم نهاية الشهر. من سكان الريف أو المناطق الفقيرة المحيطة بالمدن، يعيشون في أماكن قليلة السكان، ممن يعتمدون على سياراتهم في التنقل، حيث لا توجد شبكة مناسبة للمواصلات العامة. الحراك عرض من أعراض فرنسا المنقسمة اجتماعيا، وفقا لمؤلفي المذكرة.

ولدت تلك الحركة الاجتماعية على الإنترنت. وهي لا تقتصر على عمر معين، أو منطقة أو وظيفة. وتضم أعضاء من العاملين ومن الطبقة الوسطى. وذلك وفقا لما تذكره البي بي سي. كلهم ممن يدفعون ثمن ارتفاع تكلفة المعيشة جراء زيادة الضرائب على الوقود. تضم الحركة أيضا من هم في سن التقاعد، وعمال المصانع والعاطلين عن العمل رغما عنهم إضافة إلى الحرفيين.

بدأت الحركة اعتراضا على زيادة أسعار وقود السيارات، واتخذت القميص الأصفر الفوسفوري اللازم لقيادة السيارات شعارا لها. ولكنها اتسعت مؤيدة من قطاعات أوسع من الشعب. ولأن الحركة أفقية، بلا قائد، فقد ضمت الحوارات بين أعضائها مطالب (بضعها كان عنصريا في البداية، ثم تخافت هذا الصوت)، والتي شهدتها مواقع التواصل الاجتماعي، حتى تم الإعلان في يوم ٢٩ نوفمبر الماضي عن قائمة تضم ٤٢ مطلبًا مرتبطًا بالعدالة الاجتماعية وبالديموقراطية.

اليوم، صارت مطالب الحركة تدور حول مطلب رئيس: "المزيد من القدرة الشرائية وقدرا أقل من الظلم". أيد الحركة اليمين المتطرف المناهض لأنه مناهض لفرض الضرائب بشكل عام. ولأن قوام الحركة من المناطق التي عادة ما يأتي منها مؤيدوه. ويكشف تحليل مطالب الحركة الذي قامت به جريدة لوموند عن أن نصف تلك المطالب تتماهى مع برنامجي مارين لوبن والمرشح الرئاسي الآخر نيكولا ديون-إينيون، الممثلين لليمين المتطرف. في حين تتطابق ثلثا المطالب مع البرامج الرئاسية لممثلي أقصى اليسار. وهي أبعد ما يكون عن برامج مرشحي الليبراليين، فييون والرئيس الحالي ماكرون. لعل هذا ما يفسر وصف الحركة الحالية بـ"مناهضي الماكرونية". وإن كان الوضع أعقد وأشمل من مجرد شخص ماكرون، كما تشي الفقرة التالية.

لن الشارع اليوم؟

تصف الفيلسوفة اليسارية شاننتال موف ماكرون باعتباره تجسيدا حيا للنيو ليبرالية في مرحلتها الأخيرة، مرحلة ما بعد الديمقراطية post-democratic. فقد ماتت السياسة في عالم اليوم، حيث يحس المواطنون أنه لم تعد أمامهم خيارات حقيقية مختلفة بعد أن تشابهت سياسات أحزاب الوسط من اليمين واليسار التي تعاقبت على الحكم على مدى الـ ٣٠ عاما الماضية. أحمد مثل الحاج أحمد. مهما تباينت الشعارات. الكل حين يحكم يطبق الأجندة النيوليبرالية. نعم، يتمتع المواطن بحق التصويت، ولكنه فعليا لا صوت له. لا أحد يسمعه.

في ظل هذا الوضع، ترى موف، أن التغيير لن يأتي إلا عبر الشارع. "نحن نعيش مرحلة الشعبوية بامتياز". وتعني بالشعبوية التي تصبو إليها تكوين جبهة سياسية تعبر عن المواجهة بين هؤلاء الذين يقعون "تحت"، أي الشعب، وهؤلاء الذين هم "فوق"، أي النظام الذي يقسم المواطنين إلى طبقات.

في هذا الإطار، ترى موف السترات الصفراء باعتبارها ردة فعل في وجه استفحال اللامساواة بين فائقي الثراء والطبقات الوسطى. فهي حركة لا سياسية، يمكن أن تنجرف إلى الشعبوية اليمينية أو إلى الشعبوية اليسارية التي تدعو إليها. ما زال الأمر مبكرا للحسم. وتشكك المنظرة اليسارية في مستقبل هذا الحركة، ما لم تعثر لها على قيادة، ولو رمزية. وهو أمر يرفضه حتى الآن أبناء الحركة.

مرحبا بكم في عالم مظالم القرن الواحد والعشرين.

حركة جديدة تولد، تتشابه مع حركات الربيع العربي، ومع حركات انتشرت خلال العامين الماضيين في الولايات المتحدة، وفي الهند وفي الأرجنتين والبرازيل وحوالنا في الأردن وفي تونس والمغرب وفي لبنان.

تقوم تلك الحركات غير المسييسة في معظمها على مناهضة المظالم العرقية والمظالم ضد النساء في إطار أشمل من اندعام العدالة الاقتصادية-الاجتماعية. وذلك عبر الالتفاف حول قضية معينة، لا حول أيديولوجيا معينة، لهذا قد تجمع مثل السترات الصفراء ومثل ثورة يناير بين أيديولوجيات متباينة.

ما يغضب أصحاب السترات الصفراء يتشابه مع ما يغضب نفس الفئات الاجتماعية في أنحاء العالم، ويمتد الغضب إلى سائر من يحسون التهميش والتجاهل في كل قارات العالم، بدرجات متفاوتة. ومن هنا أهميتها العابرة للحدود. ما يطالبون به هو ما يطالب به أغلبية سكان المعمورة: الحق في حياة آمنة كريمة. كيف السبيل إلى ذلك؟ لعل الإجابة توضحها الحالة الفرنسية.

منذ اليوم الأول، والحراك يرى أنه لا يجب أن تتحمل الفئات الأقل دخلا ضريبة دعا إليها ماكرون، مؤيدا من أغليته البرلمانية، يبدو هدفها نبيلًا، وهو خفض الانبعاثات الملوثة للهواء. مقدمين حلا بديلا له أثر مشابه: فرض ضريبة على السفر الداخلي بالطائرات. إضافة إلى العودة إلى إقرار الضريبة على الثروات (والتي فرضت في عهد الرئيس السابق هولاند)، والتي استبدلها ماكرون بضريبة على الثروة العقارية فقط، مستبعدة الثروات التي تتراكم عبر البورصات والصفقات المالية، والثروات التي تأتي عبر الوراثة وغيرها من أشكال الثروات السريعة السهلة. وهذا ما يرفضه ماكرون تماما، حتى تحت وطأة الضغط الشعبي المتنامي.

الخلاصة أن ماكرون، في نهاية الأمر، لا يأبه لأن تزيد الديون على حكومته حتى لا يغضب أغني الأغنياء.

ويوضح معهد السياسات العامة الفرنسي أن موازنة حكومة ماكرون للعام ٢٠١٩ إنما تفيد أصحاب الدخل المتوسط، في حين تضر بالأساس أصحاب أدنى ١٠٪ من الدخل، كما تضر بأصحاب أغني ٢٠٪ من الدخل. ولكن أكبر المستفيدين من الموازنة العامة (أي من الضرائب التي يدفعها الشعب الفرنسي) هم أغني ١٪ من السكان، وبفارق يعادل أضعاف الفئات الأخرى.

يقف المراقبون حول العالم ليروا ما أثر حركة السترات الصفراء على سياسات العدالة الاجتماعية في فرنسا؟ وهل لو نجحوا في مواصلة الضغط الشعبي -السلمي- سيؤدي ذلك إلى توزيع أفضل للدخل في بلد هي من أكثر الدول الأوربية معاناة من اللامساواة؟ إلى أي مدى سيلهم نجاحهم -أو فشلهم- حركات مماثلة حول العالم؟ وما هو مصير الدول التي لا يسمح فيها بمثل هذا الحراك الشعبي؟ ولعل السؤال الأهم في عالم اليوم: لماذا لا تكفي دوافع عادلة ورغبات الأغلبية إلى تغيير السياسات الاقتصادية؟

* سلمى حسين سلمى حسين باحثة أولى بالمبادرة المصرية للحقوق الشخصية وصحفية متخصصة في الاقتصاد منذ ١٧ عاما. شغلت منصب رئيسة قسم الاقتصاد بالاهرام إبدو. حاصلة على الماجستير في السياسات العامة (بالجامعة الأمريكية). شاركت في تأسيس عدة إصدارات مثل جريدة البديل المستقلة وموقع أهرام أو لاين باللغة الانجليزية والذي عملت فيه كرئيسة قسم الاقتصاد ونائب مدير تحرير. صدر لها في ٢٠١٤ كتاب «دليل كل صحفي: كيف تجد ما يهمك في الموازنة العامة».

السترات الصفراء.. هل ستتحول إلى ظاهرة؟!

*د. عبدالعاطي محمد

صحيفة (الجريدة) الكويتية : ٢٠١٨/١٢/٩

لم يقف معظم إعلامنا العربي إلا عند الطابع العنيف الذي اتسمت به التظاهرات الاحتجاجية في فرنسا، والتي قادها من أطلقوا على أنفسهم أصحاب السترات الصفراء، ومع أن ذلك صحيح، إلا أنه ليس إلا جانب واحد من عدة جوانب تشكل في مجموعها ما يعرف لدى خبراء السياسة بالحركات الاجتماعية.

ولأن الفرنسيين والغربيين عموماً يدركون جيداً المقصود بهذا المعنى فقد بدوا أكثر هدوءاً وتفهماً للأحداث وما يمكن أن تنتهي إليه، وتحديدًا كيفية التعامل معها إيجابياً حفاظاً على الاستقرار وعدم الوقوع في حالة من الفوضى.

تاريخياً عرفت فرنسا قديماً وحديثاً أحداثاً للعنف، كما عرفت أحداثاً إرهابية، وعاشت لفترات حالات من الفوضى، ولكن يجب وضع كل هذه الأشكال من العنف في إطارها المحدد وظروفها الموضوعية، كما يجب التأكيد على أنه مثلما يحدث ذلك بين وقت وآخر، فإن البلاد سرعان ما تتمكن من السيطرة على الموقف وإيجاد مخرج سياسي يعيدها إلى المسار المستقر. ومن الصحيح أن الأحداث الأخيرة شهدت مظاهر للعنف والتخريب ما كان لها أن تتم خصوصاً من جانب شعب كالشعب الفرنسي المعروف بقدرته على إدارة الحوار والبحث دائماً عن حلول سياسية للأزمات.

وقد بررت بعض التحليلات لجوء المتظاهرين إلى العنف في أشهر معالم باريس السياحية الشانزليزيه، وتشويه رموز تاريخية فرنسية مثل قوس النصر، والإصرار على محاولة اقتحام قصر الإليزيه، بأنه كان بهدف لفت الانتباه للحركة داخل الوسط الشعبي والإعلامي والسياسي للاستماع لمطالبها وتليبيتها، ولكن المشهد كان مؤسفاً حقاً ولاقى استهجاناً من جانب السواد الأعظم من الفرنسيين بغض النظر عن شعبية ماكرون المتراجعة ووجود معارضة قوية لإصلاحاته الاقتصادية، ولم يخطئ من علق على هذه الأحداث بأنها أساءت لصورة فرنسا في الخارج. ومن جهة أخرى فإن السلطات وهي تتابع الموقف لم تستنكر أعمال العنف والتخريب فقط، وإنما أكدت أنها مستعدة لإعلان حالة الطوارئ لوقف هذا العنف.

ولكن القضية الأساسية التي تسترعي الانتباه حقاً، هي الحركة ذاتها التي فجرت وقادت الأحداث بكل ما يثار حولها من تساؤلات عن أسباب ظهورها، والأهداف التي تريدها، ومدى نجاحها في تحقيق أهدافها، وكيفية تعامل الحكومة الفرنسية معها، وهنا يمكن القول إن ما جرى ويجري إلى أن يسدل الستار على هذه الأحداث المثيرة، هو أن هناك حركة اجتماعية جديدة ظهرت في فرنسا أطلقت على نفسها حركة السترات الصفراء. وعند العرفين بأمر هذا النوع من النشاط الإنساني الاحتجاجي، فإن الحركة الاجتماعية تنشأ نتيجة شعور عميق من جانب عدد ليس بالقليل من الناس بضرورة التغيير لأوضاع اجتماعية قائمة، ويمكن أن يكون التعبير عن ذلك سلمياً ويستمر لعدة سنوات وربما لعقود طويلة إصراراً من القائمين عليها بضرورة إحداث التغيير فيما يحدونه بالضبط، وربما يكون العكس تماماً أي الاتجاه إلى العنف، كما يتسم قيامها بالعفوية أي بدون سابق إنذار، ولا تعتمد على التنظيم في غالبية أشكالها وإنما على كسب المؤيدين والأتباع، وليس بالضرورة أن تكون لها قيادة، وغالباً ما لا تحترم القانون، وتسعى بالأخص إلى الانتشار داخل وخارج بلادها، وتهتم بالرموز، وليس لها إطار عقائدي (فكري).

ومن جهة أخرى من الممكن أن تتحول الحركة الاجتماعية إلى تنظيم سياسي أو تبقى على حالها دون تغيير.

حالة السترات الصفراء تكاد تكون نموذجاً مثالياً للمهتمين بدراسة ما يسمى بالحركات الاجتماعية والسياسية، وربما يكون الخبراء العرب وأساتذة الاجتماع أكثر الأطراف حاجة لتتبع هذه الحالة لفهم ما يجري من تغيرات اجتماعية وسياسية في منطقتنا العربية التي غالباً ما تبعث على القلق الشديد وتتسبب في عدم استقرار الأوضاع.

ومن اللحظة الأولى بدت الخصائص السالفة الإشارة إليها منطبقة إلى حد كبير على حركة السترات الصفراء حتى لا نبالغ في القول بأنها نموذج صريح تماماً لما قدمه علماء السياسة المختصين بهذا المجال قديماً وحديثاً عن الحركات الاجتماعية والسياسية.

فقد نشأت هذه الحركة بمبادرات فردية وجدت استجابة واسعة من جانب الفرنسيين المتضررين من صعوبة الأحوال المعيشية وزيادة الضرائب وأسعار الوقود، وساعدت وسائل التواصل الاجتماعي على انتشارها السريع واتساع رقعتها وزيادة مؤيديها.

ورفض أصحابها انتماؤهم لأي أحزاب أو نقابات، وتحركوا دون أي قيادة أو تنظيم بالمعنى الدقيق للكلمة، وتركزت أهدافهم في رفض قرارات للرئيس الفرنسي يتم تطبيقها من بداية ٢٠١٩ تتضمن زيادة في أسعار الوقود وفرض ضرائب عليها. وتركز معظم المنتمين للحركة في فئات من الطبقة الوسطى التي تباشر بعض المهن والأنشطة ومن هم في سن المعاش ولكنهم يتقاضون معاشات قليلة أو إعانات.

وتطالب الحركة بإلغاء هذه القرارات، واختارت الحركة ارتداء السترات الصفراء كرمز للتعبير عن هويتها حيث غالبا ما تلعب الرموز دورا مهما في انتشار الحركات الاجتماعية.

وجاء استخدام هذا الرمز من واقع قانون صدر عام ٢٠٠٨ يقضي بضرورة ارتداء أي سائق لسترة صفراء مضيئة في حالة ما تعرض لحادث أو عند خروج السيارة على الطريق في حالة الطوارئ، وواضح أن الهدف هو لفت الانتباه عند الآخرين للمساعدة والإنقاذ والحذر في حالة الطوارئ.

ونظر المنتمون للحركة للرئيس ماكرون بهذه القرارات أنه رئيس يعمل لصالح الأغنياء لأنه قرر تخفيض الضرائب عليهم في حالة تجاوبهم مع دعواته المتكررة عن حماية المناخ ووقف تهديدات الكربون بزيادة حرارته، بينما فئات من الطبقة الوسطى وبالطبع الفقراء لن يتحملوا زيادات في الضرائب على أسعار الوقود بحجة حماية المناخ، وواضح من ذلك أن الحركة لها مطالب اجتماعية ولا تشكل حركة سياسية ما، ومن حيث الانتشار الخارجي فقد امتدت السترات الصفراء إلى بلجيكا المجاورة، وترددت أنباء عن نية الحركة توسيع نشاطها في بلاد أوروبية أخرى. إلى جانب الإجراءات الأمنية التي اتخذتها الحكومة الفرنسية بهدف استعادة الاستقرار وحماية الممتلكات كرد فعل من جانبها على نشاط الحركة الجديدة، وعد الرئيس ماكرون بإجراء محادثات على مدى ثلاثة أشهر حول الطريقة المثلى لتحويل فرنسا إلى اقتصاد قليل الاستخدام للكربون دون معاناة الفقراء، وبإبطاء معدل الزيادة في الضرائب على الوقود إذا ارتفعت أسعار النفط العالمية بشكل سريع للغاية، لكن فقط بعد إقرار زيادة الضرائب المقررة بداية العام ٢٠١٩، في البداية لم تجد مقترحاته الأولى بالاطمئنان من المحتجين لأنها لا تغير سياسته الإصلاحية الاقتصادية التي جاءت بالضرر على الطبقة الوسطى والفقيرة وتحديداً لا توقف القرارات الأخيرة التي فجرت المظاهرات، ومما زاد من صعوبة الموقف أن إمكانية الحوار مع الحركة بدت عسيرة، نظراً لعدم وجود قيادة واضحة لها يمكن التفاوض معها سواء من جانب الحكومة أو البرلمان، مما يعني أن الحل السياسي بقي متركزاً في يد ماكرون وحكومته وحدهم.

والحل المرضي للمحتجين هو إلغاء القرارات أو تأجيل تطبيقها. وفي حالة تمسك ماكرون بقراراته فإن الأزمة تنتقل من طبيعتها الاجتماعية إلى السياسية بمعنى وضع الحكومة في اختبار قاس من أجل البقاء وهي التي باشرت السلطة لنحو عام أو أكثر فقط وعلى أبواب انتخابات للبرلمان الأوروبي يريد حزب ماكرون أن يحظى بوزن مهم فيها، فإما تجرى تعديلاً مرضياً شعبياً يوقف تيار الحركة المتصاعد أو تلجأ إلى الاستفتاء أو تفقد تأييد البرلمان (الجمعية الوطنية) ثم تترك المجال لحكومة جديدة.

ويلاحظ في هذا الصدد أن اليمين واليسار المتطرف قد دخل على خط الأزمة منذ بداية الاحتجاجات حيث جرى توجيه الاتهام لعناصره بأنهم المسؤولون عن أعمال النهب والتخريب والعنف بعد أن اندسوا وسط الحركة الجديدة. ويريد كل من الطرفين إقصاء ماكرون وحكومته من السلطة من خلال تسخين الشارع الفرنسي باستغلال هذه المظاهرات الجديدة.

وسط هذه التعقيدات المتزايدة للأزمة اضطر ماكرون لفتح باب الحوار مع زعماء الأحزاب السياسية وممثلين من المحتجين، ولم يكن أمامه إلا خيار تعليق قراراته بزيادة أسعار الوقود، على الأقل لكي يبقى الباب مفتوحاً للوصول إلى حل سياسي، ولكن دون التراجع عن سياسته الاقتصادية الصعبة، بما يعني أن أمد الأزمة يمكن أن يطول كثيراً.

بالطبع لم يكن من أهداف أصحاب السترات الصفراء تحويل حركتهم إلى حركة سياسية تريد تغييراً في الحكم القائم كما تريد قوى اليمين واليسار المتطرفة، ولكن الوضع السياسي العام الراهن المتأزم ليس في فرنسا وحدها، وإنما في أوروبا كلها، وفي علاقة القارة العجوز بالولايات المتحدة هو الذي أضفى طابعاً سياسياً على حركة لها مطالب اجتماعية فقط. هناك أزمات اقتصادية وخلافات سياسية غير مسبوقه ومواجهات لاستعراض القوة من الدول الكبرى بين بعضها البعض، بجانب نزعة إلى الشعبوية في بعض سياسات الحكم هنا أو هناك. وكلها في الحقيقة تضع ليس الحكومة الفرنسية فقط بل الشعب الفرنسي كله في مفترق طرق.

القضية لم تعد تمثل مطالب اجتماعية لأصحاب السترات الصفراء، وإنما تمثل تحدياً للدولة الفرنسية شعباً وحكومة للوصول إلى حل سياسي لتداعيات متوقعة لإصلاحات اقتصادية صعبة خصوصاً أن فرنسا ماكرون تريد أن تكون نموذجاً يحتذى لأوروبا جديدة قوية ذاتياً اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً.

اجتماع الدورة الـ ٣٩ للمجلس الأعلى لمجلس التعاون الخليجي

وكالة الانباء السعودية : ٢٠١٨/١٢/٩

برئاسة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، عقد أصحاب الجلالة والسمو قادة ورؤساء وفود دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية الأحد، اجتماع الدورة التاسعة والثلاثين للمجلس الأعلى لمجلس التعاون في قصر الدرعية بمدينة الرياض. وقد بدأت الجلسة الافتتاحية بآيات من الذكر الحكيم.

بعدها ألقى خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - الكلمة الآتية:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله

إخواني أصحاب الجلالة والسمو

أصحاب المعالي والسعادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

يطيب لي أن أرحب بكم في بلدكم الثاني المملكة العربية السعودية واستجابة لرغبة أخي صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان تستضيف المملكة الدورة التاسعة والثلاثين للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، ويسعدني أن أبعث بأطيب تمنياتنا لجلالة أخينا العزيز السلطان قابوس سائلاً المولى عز وجل التوفيق والسداد لسلطنة عمان الشقيقة في رئاسة أعمال مجلس التعاون في دورته الحالية.

كما أعرب عن بالغ الشكر والتقدير لأخي العزيز صاحب سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت الشقيقة على جهوده المباركة في رئاسة أعمال الدورة الماضية، والشكر موصول لمعالي الأمين العام ومنسوبي الأمانة على جهودهم في متابعة وتحضير أعمال المجلس.

إخواني أصحاب الجلالة والسمو

لقد قام مجلس التعاون لدول الخليج العربية من أجل تعزيز الأمن والاستقرار والنماء والازدهار والرفاه لمواطني دول المجلس فهم ثروتنا الأساسية وبهم تتحقق الرؤى والأمال. وأثق أننا جميعاً حريصون على المحافظة على هذا الكيان وتعزيز دوره في الحاضر والمستقبل.

لقد حبا الله عز وجل دولنا بثروات بشرية وطبيعية عززت دورها الحضاري في المنطقة والعالم، الأمر الذي يتطلب منا جميعاً تسخير طاقاتنا لخدمة شعوب المجلس والحفاظ على أمن واستقرار دولنا والمنطقة.

إن منطقتنا تمر بتحديات وتهديدات لا تخفى عليكم فلا تزال القوى المتطرفة والإرهابية تهدد أمننا الخليجي والعربي المشترك ولا يزال النظام الإيراني يواصل سياساته العدائية في رعاية تلك القوى والتدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، وهذا يتطلب منا جميعاً الحفاظ على مكتسبات دولنا، والعمل مع شركائنا لحفظ الأمن والاستقرار في المنطقة والعالم، والإصرار على ضرورة تحقيق الضمانات الكاملة والكافية تجاه برنامج إيران النووي وبرنامجها لتطوير الصواريخ الباليستية.

إخواني أصحاب الجلالة والسمو

تواصل المملكة الدفاع عن القضايا العربية والإسلامية في المحافل الدولية، وتحتل القضية الفلسطينية مكان الصدارة في اهتماماتها وتسعى لحصول الشعب الفلسطيني على حقوقه المشروعة بما في ذلك إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية، وتناشد المملكة المجتمع الدولي للقيام بمسؤولياته باتخاذ التدابير اللازمة لحماية الشعب الفلسطيني من الممارسات العدوانية الإسرائيلية التي تعد استفزازاً لمشاعر العرب والمسلمين وللشعوب المحبة للسلام.

ولقد حرصت دول التحالف بطلب من الحكومة الشرعية في اليمن على إنقاذ اليمن وشعبه من فئنة انقلبت على شرعيته وعمدت إلى العبث بأمنه واستقراره، كما عملت دول التحالف على إعادة الأمل للشعب اليمني من خلال برامج الإغاثة والمساعدات الإنسانية، كما تواصل دول التحالف دعمها لجهود الوصول إلى حل سياسي للأزمة اليمنية وفقاً لقرار مجلس الأمن ٢٢١٦، والمبادرة الخليجية وآليتها التنفيذية، ونتائج الحوار الوطني اليمني الشامل.

وتدعو المملكة لحل سياسي يخرج سوريا من أزمتها ويسهم في قيام حكومة انتقالية تضمن وحدة سورية وخروج القوات الأجنبية والتنظيمات الإرهابية منها.

كما تحرص المملكة على بناء علاقات متينة وسترراتيجية مع الشقيقة العراق التي تشكل ركناً أساسياً في منظومة الأمن العربي.

وفي الختام أجدد ترحيبي بكم جميعاً في بلدكم الثاني، راجياً المولى عز وجل أن يكمل أعمال هذه القمة بالنجاح ويوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عقب ذلك ألقى سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت رئيس الدورة السابقة كلمة تقدم فيها بخالص الشكر والتقدير لخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - على المبادرة الكريمة باستضافة أعمال الدورة التاسعة والثلاثين وعلى حفاوة الاستقبال وحسن الإعداد لهذا اللقاء المهم الذي يجمعنا في إطار بيتنا الخليجي، مؤكدا حرص الجميع على دعمه والسعي المتواصل على الحفاظ عليه.

وقال "يسرني بمناسبة انعقاد دورتنا هذه التي تتزامن مع ذكرى تولى أخي خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود مقاليد الحكم في الثالث من ربيع الثاني أن أتقدم بخالص التهئة متضرعا إلى الباري عز وجل أن يمهده بموفور الصحة والعافية ليواصل مسيرة العطاء والازدهار للمملكة الشقيقة.

وأضاف أمير دولة الكويت قائلاً: "إن انعقاد هذه الدورة لمجلسنا الموقر في موعدها المحدد رغم الظروف التي نمر بها يؤكد حرصنا جميعاً على مجلس التعاون واستمرار آلية انعقاد دوراته، كما يجسد إدراكنا لحجم الإنجازات التي تحققت لنا في إطاره وسعيها للحفاظ على هذه المنجزات باعتبارها تحقيقاً واستجابة لتطلعات وطموح أبناء دول المجلس، وفي هذا الصدد فقد توصلنا و الحمد وبفضل توجيهاتكم وحرصكم إلى عقد اجتماعات لعدد من اللجان الوزارية على مدى العام الماضي التي تؤكد على حيوية وفعالية مسيرة التعاون بين دول المجلس في المجالات كافة والمرفوعة اليوم لمجلسكم الموقر لإقرارها".

وتابع الشيخ صباح الأحمد الصباح يقول: إننا ندرك الأوضاع التي تعيشها منطقتنا والتحديات الخطيرة التي تواجهها وتساعد وتيرتها المقلق الأمر الذي يدعونا أن نجسد وحدة كياننا وأن نعزز عملنا المشترك لدعم مسيرتنا ولعل أخطر ما نواجهه من تحديات الخلاف الذي دب في كياننا الخليجي واستمراره لنواجه تهديدا خطيرا لوحدة موقفنا وتعريضا لمصالح أبناء دولنا للضياع وليبدأ العالم وبكل أسف بالنظر لنا على أننا كيانا بدأ يعاني الاهتزاز وأن مصالحه لم تعد تحظى بالضمانات التي كنا نوفرها له في وحدة موقفنا وتماسك كياننا وفي سياق حديثنا عن التحديات التي نواجهها فلا بد لنا من التأكيد على قلقنا من تنامي ظاهرة الإرهاب واستنكارنا لها مشددين على ضرورة تضافر جهودنا للتصدي لها وتخليص العالم من شرورها.

وأكد دولة الكويت أنه انطلاقاً من حرصنا على الحفاظ على وحدة الموقف الخليجي وسعيها منا لتدارك الأمر في وضع حد للتدهور الذي نشهده في وحدة هذا الموقف وتجنباً لمصير مجهول لمستقبل عملنا الخليجي فإننا ندعوا إلى وقف الحملات الإعلامية التي بلغت حدوداً مست قيمنا ومبادئنا وزرعت بذور الفتنة والشقاق في صفوف أبنائنا وستدمر كل بناء أقمناه وكل صرح شيدناه.

وقال أمير دولة الكويت: "إننا على ثقة أيها الأخوة أنكم تشاركونني الرأي بأهمية الاستجابة لهذه الدعوة بوقف الحملات الإعلامية التي ستكون مدعاة ومقدمة لنا جميعاً لتهيئة الأجواء التي ستقود حتماً إلى تعزيز الفرص بقدرتنا على احتواء أبعاد مما نعانيه اليوم من خلاف.

وأكد الشيخ صباح الأحمد الصباح أن استمرار الصراع في اليمن يشكل تهديداً مباشراً لنا جميعاً ونأمل كل التوفيق للمشاوورات السياسية الدائرة الآن في السويد التي استجابت الكويت بتقديم الدعم اللوجستي لها وصولاً إلى الحل السياسي المنشود القائم على المبادرة الخليجية وآلياتها التنفيذية ومخرجات الحوار الوطني وقرار مجلس الأمن ٢٢١٦، مشيداً في هذا الصدد بالأصدقاء في السويد على رعايتهم لهذه المشاوورات وسعيهم لتوفير الظروف المناسبة لإنجاحها.

كما أشاد بالجهود الكبيرة التي يبذلها التحالف الدولي لدعم تلك المشاورات وإنجاحها إضافة إلى المساعدات الإنسانية الضخمة التي يقدمها التحالف للتخفيف من آثار الظروف الإنسانية القاسية التي يكابدها أشقاؤنا في اليمن.

وأكد أمير دولة الكويت، أنه لا تزال الكارثة الإنسانية في سوريا الشقيقة مستمرة ولم تفلح الجهود الدولية في إيجاد حل لها لتستمر المعاناة ويتضاعف التهديد لأمن واستقرار المنطقة والعالم متمنين لمبعوث الأمين العام للأمم المتحدة الجديد لسوريا السيد بيدرسن التوفيق في مهمته الجديدة وصولاً إلى الحل السياسي المنشود القائم على قرارات الشرعية الدولية وجنيف ومقررين الجهود التي بذلها سلفه السيد ستيفان ديمستورا.

وهناً دولة جمهورية العراق على التطورات الإيجابية التي تحققت لهم باستكمال العملية السياسية باختيار القيادات الثلاث، معرباً عن التطلعات بأن يتمكن الأشقاء في العراق من إعادة البناء لإزالة آثار ما شهدته العراق الشقيق من دمار وليتحقق لأبنائه تطلعاتهم بالأمن والاستقرار والازدهار.

وعن مسيرة السلام التي وبكل أسف تعاني جموداً وتجاهلاً من قبل المجتمع الدولي، أكد سمو أمير دولة الكويت حرص دول المجلس على المسارعة باستئناف عملية السلام وصولاً إلى اتفاق سلام شامل ودائم وفق قرارات الشرعية الدولية ومبادرة السلام العربية دعماً وتعزيزاً لاستقرار المنطقة والعالم، كما أكد أهمية أن تستند العلاقات مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية على المبادئ التي أقرها ميثاق الأمم المتحدة وفي مقدمتها عدم التدخل في الشؤون الداخلية واحترام سيادة الدول والالتزام بقواعد حسن الجوار تحقيقاً لكل ما نتطلع إليه جميعاً من أمن واستقرار وسلام لمنطقتنا.

وجدد سمو أمير دولة الكويت في ختام كلمته، الشكر للمجلس الأعلى للدورة التاسعة والثلاثين لمجلس دول التعاون الخليجي، داعياً المولى جل وعلا أن يحفظها ويعزز وحدتها ويوفقها لما فيه العزة والمنعة لأوطانها والرفاه لشعوبها.

إثر ذلك ألقى معالي الأمين العام لمجلس التعاون لدول الخليج العربية الدكتور عبداللطيف بن راشد الزياني كلمة وأشار إلى أن هذه الدورة تنعقد في ظل أوضاع إقليمية حساسة وتحديات صعبة تتطلب من دول مجلس التعاون مزيداً من التضامن والتلاحم، وقدراً كبيراً من العمل الجاد لمواصلة الجهود لتعزيز التنسيق والتكامل والترابط بين دول المجلس، وترسيخ القواعد التي قامت عليها هذه المنظومة الشامخة التي أصبحت، بفضل من المولى القدير وبعهودكم وقيادتكم الحكيمة ورؤيتكم الثاقبة، محط أنظار وتقدير دول العالم الشقيقة والصديقة والحليفة.

وأكد معاليه في ختام كلمته أن ما حققته مسيرة مجلس التعاون من إنجازات بارزة وملموسة على مختلف المستويات ستظل ثمرة من ثمار دعم قادة المجلس ومساندتهم لهذه المسيرة، ونتيجة للتفاني والإخلاص والولاء والوفاء الذي يعبر عنه مواطنو دول المجلس الكرام، الذين ينظرون بعين الأمل والتفاؤل إلى المستقبل الزاهر المنشود، في ظل مجلس التعاون ومسيرته المباركة، مشيداً بحرص واهتمام قادة دول المجلس بمسيرة العمل الخليجي المشترك وتطويرها باستمرار لضمان تحقيق أهدافها النبيلة، وعزمهم الصادق على أن يظل مجلس التعاون كياناً متماسكاً راسخاً، معبراً عن عمق العلاقات الأخوية والروابط المتينة والمصالح المشتركة، وحرصاً منيماً لحفظ الأمن والاستقرار والدفاع عن مكتسبات وإنجازات دوله ومواطنيه وضمان أمن واستقرار المنطقة، وواحة للنماء والازدهار والرخاء.

تلا ذلك كلمة لصاحب السمو السيد فهد بن محمود آل سعيد نائب رئيس الوزراء لشؤون مجلس الوزراء في سلطنة عمان، عبر فيها عن شكره وتقديره لخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - على استضافته لهذه القمة، ناقلاً تحيات صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان لأخيه خادم الحرمين الشريفين - رعاه الله - وتمنيات جلالته الطيبة للأسرة الحاكمة في المملكة العربية السعودية الشقيقة، وأن يمن على المملكة بكل خير.

ودعا سموه قادة دول مجلس التعاون إلى العمل بما جاء في كلمة صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت، التي جاءت معبرة ويقتدى بها في عمل مجلس التعاون، راجياً أن تجسد هذه المعاني واقع يحمي المجلس ويوفقه دائماً لكل خير.

ثم عقد أصحاب الجلالة والسمو قادة ورؤساء وفود دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية جلسة عملهم المغلقة.

البيان الختامي "إعلان الرياض"

هذا وعقب مادبة غداء أقامه العاهل السعودي، تلا الأمين العام لمجلس التعاون لدول الخليج العربية الدكتور عبداللطيف الزياتي البيان الختامي لأعمال الدورة التاسعة والثلاثين للمجلس الأعلى لمجلس التعاون الخليجي "إعلان الرياض"، وفيما يلي نص البيان:

إعلان الرياض

بعد مرور نحو ٣٧ عاماً على تأسيس مجلس التعاون لدول الخليج العربية، تثبتت المخاطر التي تهدد أمن واستقرار المنطقة، والتحديات الاقتصادية التي تمر بها، أهمية التمسك بمسيرة المجلس المباركة وتعزيز العمل الجماعي وحشد الطاقات المشتركة لمواجهة تلك المخاطر والتحديات، وتلبية تطلعات مواطني دول المجلس في تحقيق المزيد من مكتسبات التكامل الخليجي.

ندرك اليوم النظرة الثاقبة للقادة الذين تولوا تأسيس هذا المجلس في مايو ١٩٨١: حيث نص النظام الأساسي الذي أقره المؤسسون على أن الهدف الأسمى لمجلس التعاون هو "تحقيق التنسيق والتكامل والترابط بين الدول الأعضاء في جميع الميادين وصولاً الى وحدتها، وتعميق وتوثيق الروابط والصلات وأوجه التعاون القائمة بين شعوبها في مختلف المجالات.

واليوم يؤكد أصحاب الجلالة والسمو قادة دول المجلس حرصهم على الحفاظ على قوة وتماسك ومنعة مجلس التعاون، ووحدة الصف بين أعضائه، لما يربط بينها من علاقات خاصة وسمات مشتركة أساسها العقيدة الإسلامية والثقافة العربية، والتاريخ العريق والمصير المشترك ووحدة الهدف التي تجمعها وتربط بين أبنائها.

لقد حقق مجلس التعاون إنجازات مهمة خلال مسيرته، مما أسهم في جعل هذه المنطقة واحة للاستقرار والأمن والرخاء الاقتصادي والسلم الاجتماعي، كما تم تحقيق الكثير من الإنجازات نحو تحقيق المواطنة الخليجية الكاملة، إلا أن التحديات المستجدة التي نواجهها اليوم تستوجب تحقيق المزيد لتعزيز مسيرة العمل الخليجي المشترك، واستكمال خطوات وبرامج ومشاريع التكامل الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والأمني والعسكري.

وقد قدمت كافة دول المجلس خلال العقود الماضية رؤى طموحة لمسيرة المجلس، أطلقت من خلالها مشاريع تكاملية هامة في جميع المجالات، تهدف إلى استثمار ثروات دول المجلس البشرية والاقتصادية لما فيه مصلحة المواطن في دول مجلس التعاون.

ووضعت رؤية خادم الحرمين الشريفين، الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية، الأسس اللازمة لاستكمال منظومة التكامل بين دول المجلس في جميع المجالات.

وقد أكد أصحاب الجلالة والسمو اليوم أهمية استكمال البرامج والمشاريع اللازمة لتحقيق رؤية خادم الحرمين الشريفين، حفظه الله، التي أقرها القادة في قمة الرياض في ديسمبر ٢٠١٥، ووجهوا باتخاذ الخطوات اللازمة لذلك، بما ذلك القيام بما يلي:

١. وضع خارطة طريق تشمل تفعيل الإجراءات اللازمة لتحقيق رؤية القادة بتحقيق التكامل بين دول المجلس، ووضع الأسس لتأطير وتنظيم علاقات الدول الأعضاء مع المجتمع الدولي، بما يضمن تحقيق المزيد من النمو والرخاء لتحقيق تطلعات المواطنين، وانسجام الإصلاحات الاقتصادية التي تشهدها دول المجلس مع أهداف العمل الخليجي المشترك، وتعزيز الأمن والاستقرار في المنطقة، وإعلاء مكانة دول مجلس التعاون والارتقاء بأداء أجهزته وتعزيز دوره الإقليمي الدولي.

٢. في المجال الاقتصادي وجه القادة بالالتزام الدقيق بالبرامج الزمنية التي تم إقرارها لاستكمال خطوات التكامل الاقتصادي بين دول المجلس، والتطبيق الشامل لبنود الاتفاقية الاقتصادية، وإزالة كافة العقبات والصعوبات التي تواجه تنفيذ قرارات العمل المشترك، وعلى وجه الخصوص تذليل العقبات في طريق استكمال متطلبات السوق الخليجية المشتركة والاتحاد الجمركي، وإصدار الأنظمة التشريعية اللازمة لذلك، بهدف تحقيق الوحدة الاقتصادية بين دول المجلس بحلول عام ٢٠٢٥.

٣. في مجال الدفاع المشترك لدول مجلس التعاون، فإن تعيين قائد القيادة العسكرية الموحدة لمجلس التعاون، خطوة مهمة لاستكمال المنظومة الدفاعية المشتركة، ووجه أصحاب الجلالة والسمو بسرعة انجاز جميع الإجراءات الخاصة بتفعيل القيادة العسكرية الموحدة ومباشرتها لمهامها، وإنشاء الأكاديمية الخليجية للدراسات الاستراتيجية والأمنية، بهدف تأسيس القيادة العسكرية الموحدة على أسس استراتيجية متينة، وتأهيل القيادات العسكرية الخليجية لأداء تلك المهام.

٤. في المجال الأمني، أكد القادة أهمية الدور المحوري لمجلس التعاون في صيانة الامن والاستقرار في المنطقة، ومكافحة التنظيمات الإرهابية، من خلال التكامل الأمني لدول المجلس، والتصدي للفكر المتطرف من خلال تأكيد قيم الاعتدال والتسامح والتعددية وحقوق الإنسان، والالتزام بسيادة القانون وإرساء قواعد العدل، المستمدة من ديننا الإسلامي الحنيف والتقاليد العربية الأصيلة. والعمل مع شركاء مجلس التعاون في المجتمع الدولي للقضاء على ظاهرة الإرهاب وتجفيف منابعه، ومواجهة ما تقوم به بعض الميليشيات والجماعات الإرهابية من أعمال لتقويض مقدرات وثروات دول المنطقة.

٥. أكد القادة الأهمية القصوى لبلورة سياسة خارجية موحدة وفاعلة لمجلس التعاون، تستند إلى النظام الأساسي للمجلس وتعمل على حفظ مصالحه ومكتسباته وتجنبه الصراعات الإقليمية والدولية، مؤكداً دعمهم للقضية الفلسطينية ووحدة الصف الفلسطيني، وحرصهم على مد يد العون للأشقاء في اليمن وكافة الدول العربية، بما يحقق لتلك الدول الأمن والاستقرار، والرخاء الاقتصادي.

٦. وجه القادة بتعزيز الشراكات الاستراتيجية وعلاقات التعاون الاقتصادي والثقافي والتنسيق السياسي والأمني بين مجلس التعاون والدول الصديقة والمنظمات الإقليمية الأخرى، بما ينسجم مع المتغيرات في النظام الدولي وبهدف الحفاظ على الأمن والاستقرار في المنطقة، وتم التأكيد على استمرار ما دأبت عليه دول المجلس من تقديم المساعدات للدول الشقيقة والصديقة، من خلال البرامج الإنسانية والتنموية العديدة التي تمولها دول المجلس في كافة أنحاء العالم، انطلاقاً من واجبها الإنساني وقيمها الإسلامية والعربية.

٧. أكد القادة على الدور المهم المنوط بالمواطن في دول المجلس، ويقطاع الأعمال، والمرأة والأسرة الخليجية، والمنظمات الأهلية، للحفاظ على مكتسبات مسيرة المجلس، وتقديم المقترحات البناءة لدعمها وتعزيزها، وتنفيذ القرارات والتوجيهات التي أصدرها أصحاب الجلالة والسمو في هذه القمة.

صدر في مدينة الرياض

في يوم الأحد ٢ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ

هل حان إنهاء مجلس التعاون؟

*عبدالرحمن الراشد

صحيفة (الشرق الاوسط) : ٢٠١٨/١٢/٩

زرت البحرين والكويت ودبي في شهرين من دون أن أستخدم جواز سفري، كانت الهوية تسد الحاجة كما لو كنت أتنقل داخل دولة واحدة. مع هذا فإن خيبة معظم مواطني مجلس التعاون الخليجي منه، أعظم من الرضا عليه. ولو كان المجلس، كما يتمناه مواطنوه ووعده قادته، كياناً واحداً لكان الدولة السابعة في العالم من حيث الناتج المحلي - حالياً ترتيب عُمان ٦٦ - وكان عدد سكان دول مجلس التعاون ٥٥ مليون نسمة، وفي المرتبة الـ ٢٧ ديموغرافياً في العالم.

حالياً سكان قطر مليونان ونصف، والبحرين مليون ونصف. الذي أعنيه أن هذه الدول من دونه تبدو صغيرة وهشة. وفكرة المجلس في أصلها أنه أسس كتكتل دفاعي في وجه التهديد الإيراني بعد ثورة الخميني، ثم تطورت الفكرة إلى تعاون اقتصادي وتحالف سياسي. ومع أن الجميع يؤكد أنه مقتنع بفكرة المجلس، والتعاون وما وراء ذلك، فإن الثلاثين عاماً التي مضت أثبتت أن دولة عضواً واحدة قادرة على هزيمة كل الأمانى.

قطر، تحديداً منذ مطلع التسعينات، وهي تضع العصي في عجلات مشروع المجلس وقد نجحت فيما فشلت فيه صدام وفشلت فيه إيران، تمكنت من تخريبه وتمزيقه. حاربت البحرين ودعمت المعارضة الانقلابية، ودخلت في معارك حدودية مع السعودية ولا تزال تمول معارضتها في الخارج، ومولت قيادات معارضة جرت الشوارع فيما اعتبرته انتفاضة ضد النظام السياسي في الكويت، ونظمت عمليات معارضة في داخل الإمارات وخارجها. وهي اليوم الممول الرئيسي للهجمة الكبرى ضد السعودية ووراء تسييس مقتل خاشقجي. يمكن القول إن الخلافات بين الدول الأعضاء طبيعية، كانت، وبعضها لا يزال مستمراً، سواء حدودية أو في تعاملات سياسية، لكن كل الدول الخليجية، باستثناء قطر، لم تبلغ حد تجاوز الخطوط الحمراء الخطيرة التي تهدد أمن وسلم شقيقاتها.

والحقيقة لا توجد مبررات قاهرة يمكن أن تجد عذراً لأفعال الدوحة السيئة والمؤذية، ولم تتوقف منذ ٢٨ عاماً. لهذا تجتمع الدول الست اليوم في الرياض في ظل مرارة بعد أن بلغ الأذى القطري منتهاه، وبعد أن انحدرت خيبة الناس إلى أدنى مستوياتها.

وحتى في ظل هذه الانهيارات المستمرة، والتآكل الواضح في العلاقات، فإن مقر مجلس التعاون في مدينة الرياض لم يغلق أبوابه حتى في أحلك أيامه. واستمر يعمل بكامل موظفيه من كل الجنسيات، بمن فيهم القطريون، وبعد القطيعة منذ عام ونصف، استثنى السعودية مجلس التعاون من المنع وسمح لموظفيه القطريين ومن يمثلهم.

لكن قمة اليوم لا تخفي الغمامة السياسية المظلمة وتطرح السؤال بقوة حول مستقبل مجلس التعاون مع تعاظم التشكيك في قيمة هذا الحلف. فقد أسس لحماية المجلس من أي اعتداء خارجي عليه وقد نجح في الاصطفاف ضد إيران وفي ردع عراق صدام حسين، لكنه فشل فشلاً ذريعاً في ردع الاعتداءات داخل المنظومة وعجز عن وقف السلوك العدواني من دولة واحدة لأكثر من ربع قرن.

مجلس التعاون اليوم انشق إلى مجلسين وإن استمر الوضع المتأزم كما هو اليوم، سينتهي مجلس التعاون لدول الخليج إلى غير رجعة، إلا من اتفاقات ثنائية. وليس تحاملاً لوم قطر وتحميلها المسؤولية الأكبر في خرابه، وهي الوحيدة القادرة على إنهاء التوترات. ومن المستبعد أن تتبدل سياستها في ظل استمرار سلوكها القديم حتى لو وقعت معجزة وتمت المصالحة.

قمة تقرير مصير مجلس التعاون الخليجي

*عماد الدين أديب

بوابة (الوطن) المصرية: ٢٠١٨/١٢/٩

أكتب إليكم من الرياض...

بصرف النظر عن البيان الصادر عن الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي، عبداللطيف الزياتي، حول جدول أعمال القمة رقم ٣٩ الخليجية بالرياض، فإن «الجدول الحقيقي غير المعلن» هو الأخطر والأهم. هذه القمة هي قمة استمرار التدهور في علاقات دول المجلس، أو إنقاذ ما يمكن إنقاذه على المستويات الثنائية والشخصية والأمنية والواقعية.

هل ستستمر قطر في عضويتها في مجلس التعاون أم ستفعل كما فعلت وأعلنت أنها سوف تنسحب من منظمة الأوبك؟ أم ستبقى كما هي؟ أم ستبقى، مع قيامها بالدخول في تحالف إقليمي جديد يضم تركيا وإيران؟! هذه القمة هي مؤشر مرجح وصريح كي تقرر «قمة أو لا قمة»، «تعاون أو لا تعاون»، «خليج أو لا خليج»، وإنما تصبح تشرذماً، ومقاطعة، وتعاوناً ولكن مع مشروعات غير عربية مكانها أنقرة وطهران وتل أبيب؟! هذه القمة تعقد عقب ٤ محطات رئيسية ذات تأثير حاكم وهي:

١- رفض قطر المستمر للامتنال لـ ١٣ شرطاً صريحاً وضعتها دول التحالف العربي لها.
٢- استمرار الدوحة في التعاون مع أنقرة وطهران والقوى المتحالفة معهم على الإضرار الفعلي والمادي بمصالح السعودية والإمارات ومصر والبحرين.

٣- استخدام قطر لكل ما لديها من أموال وتعاقدات مع شركات علاقات عامة وقوى لوبي دولية ووسائل إعلام مشتركة لاستخدام كل وسائل الدعاية السوداء الشريرة ضد زعامات السعودية ومصر والإمارات والبحرين صراحة دون موارد ودون أي حساب، وكأنهم لا يحسبون أي حساب لأي مستقبل لأي تفاهم أو تعامل مقبل مع هذه الزعامات.

٤- عاصفة ملف قضية جريمة اغتيال الزميل جمال خاشقجي رحمه الله، واستغلالها من قبل الدوحة وأنقرة بأسوأ شكل سياسي ودعائي ممكن.
هذا كله يطرح ٣ أسئلة:

١- أي مستقبل لقطر كزعامة وكدولة وكشريك في مجلس التعاون؟
٢- أي شكل يمكن أن تكون عليه أي علاقة شخصية للقيادة القطرية التي أمرت ووجهت ولم يسؤها أبداً إطلاق الشتائم والسباب واختلاق الادعاءات ضد زعامات عربية تعرف أنها سوف تقابلها وجهاً لوجه طال الزمان أو قصر.
٣- هل ستستمر قطر في عضويتها في مجلس التعاون أم ستفعل كما فعلت وأعلنت أنها سوف تنسحب من منظمة الأوبك؟ أم ستبقى كما هي؟ أم ستبقى، مع قيامها بالدخول في تحالف إقليمي جديد يضم تركيا وإيران؟! لا أحد - حتى كتابة هذه السطور - يعرف مستوى تمثيل الوفد القطري في هذه القمة، وهل سيحضر الأمير تميم إلى الرياض متقبلاً دعوة الملك سلمان بن عبدالعزيز التي سلمها أمين عام مجلس التعاون الخليجي لقطر في الدوحة منذ أيام؟.

إذا لم يحضر فهذه رسالة واضحة، وإذا حضر فهذه مشكلة شخصية لسموه، لأنه من الصعب بعد كل ما فعلته بلاده في الشهور الأخيرة أن يحصل على أي معاملات ودية من شركائه من القادة العرب الذين يحضرون هذه القمة. بالتأكيد إذا جاء ستتم معاملته بروتوكولياً وأخلاقياً بما يليق بضيف دولة عضو في مجلس التعاون، لكنه لن يحصل - بالتأكيد - على قلوب وعقول الزعماء الحاضرين.

هذه القمة هي قمة مفترق طرق حاد في خارطة مستقبل علاقات دول مجلس التعاون والمنطقة، لذلك كله هي ليست قمة تقليدية بصرف النظر عن جدول أعمالها أو ما يصدر عنها من بيان ختامي.

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان يدخل عامه السبعين

لنقف جميعاً من أجل المساواة والعدالة والكرامة الإنسانية

UN: ٢٠١٨/١٢/٩

يحتفل بيوم حقوق الإنسان في ١٠ كانون الأول/ديسمبر من كل عام. ويرمز هذا اليوم لليوم الذي اعتمدت فيه الجمعية العامة في عام ١٩٤٨ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. وفي هذا العام، ينظم يوم حقوق الإنسان حملة تستمر عاما كاملا للاحتفال بالذكرى السنوية السبعين المقبلة للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وهي وثيقة تاريخية أعلنت حقوقا غير قابلة للتصرف حيث يحق لكل شخص أن يتمتع بها كإنسان - بغض النظر عن العرق أو اللون أو الدين أو الجنس أو اللغة أو الرأي السياسي أو غيره أو الأصل القومي أو الاجتماعي أو الثروة أو المولد أو أي وضع آخر. وهي الوثيقة الأكثر ترجمة في العالم، وهي متاحة بأكثر من ٥٠٠ لغة.

ويضع الإعلان، الذي صاغه ممثلون من خلفيات قانونية وثقافية متنوعة من جميع مناطق العالم، القيم العالمية، يضع معيارا للهدف المشترك لجميع الشعوب وجميع الأمم. وهو ينص على المساواة في الكرامة والقيمة لكل شخص. وبفضل الإعلان، والتزامات الدول بمبادئها، تم إحياء الكرامة للملايين ووضع الأساس لعالم أكثر عدلا. وفي حين أن ما يصبو إليه الإعلان لم يتحقق بعد تماما، ولكن في الحقيقة يمكن القول أنه قد صمد أمام الاختبارات على مدى الزمن وهذا يدل على الطابع العالمي الدائم والقيم الدائمة المتمثلة في المساواة والعدالة والكرامة الإنسانية.

والإعلان العالمي لحقوق الإنسان يمنح القوة للجميع. حيث إن المبادئ المكرسة في الإعلان لا تزال تحافظ على أهميتها اليوم كما كانت عليه في عام ١٩٤٨. ونحن بحاجة إلى الدفاع عن حقوقنا وحقوق الآخرين. ويمكننا أن خطوات عملية في هذا الاتجاه خلال حياتنا اليومية، وأن نتمسك بالحقوق التي تحمينا جميعا، وأن نعزز بذلك الصلة بين جميع البشر.

- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان يمنحنا القوة
- إن حقوق الإنسان مشتركة بين الجميع، كل يوم.
- إن إنسانيتنا المشتركة متجذرة في هذه القيمة العالمية.
- إن المساواة، والعدالة، والحرية هي حصن من العنف واستدامة للسلام.
- أنى كانت حقوق الإنسان مهدورة، فإن الجميع في خطر داهم.
- إننا بحاجة لأن نقف مدافعين عن حقوقنا وحقوق الآخرين.

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

الانصاف المركزي: ٢٠١٨/١٢/٩

الديباجة

لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية العدل والسلام في العالم، ولما كان تناسي حقوق الإنسان وازدراؤها قد أفضيا إلى أعمال همجية أذت الضمير الإنساني وكان غاية ما يرنو إليه عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة يتحرر من الفرع والفاقة. ولما كان من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الإنسان لكيلا يضطر المرء آخر الامر إلى التمرد على الاستبداد والظلم. ولما كان من الجوهرى تعزيز تنمية العلاقات الودية بين لدول، ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد أكدت في الميثاق من جديد إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية، وحرمت أمرها على أن تدفع بالرقي الاجتماعى قدما وان ترفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح.

ولما كانت الدول الأعضاء قد تعهدت بالتعاون مع الأمم المتحدة على ضمان اطراد مراعاة حقوق الإنسان والحريات الأساسية واحترامها ولما كان للإدراك العام لهذه الحقوق والحريات الأهمية الكبرى للقاء التام بهذا التعهد. فان الجمعية العامة تنادى بهذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. على انه المستوى المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم حتى يسعى كل فرد وهيئة في المجتمع واضعين على الدوام هذا الإعلان نصب أعينهم، إلى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات عن طريق التعليم والتربية واتخاذ إجراءات مطردة، قومية وعالمية لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فعالة بين الدول الأعضاء ذاتها وشعوب البقاع الخاضعة لسلطانها.

المادة الأولى:

يولد جميع الناس أحرارا متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلا وضميرا وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الإخاء.

المادة الثانية:

١. لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسى أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطنى أو الاجتماعى أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء.

٢. فضلا عما تقدم فلن يكون هناك أي تمييز أساسه الوضع السياسى أو القانونى أو الدولى للبلد أو البقعة التى ينتمى إليها الفرد سواء كان هذا البلد أو تلك البقعة مستقلا أو كانت سيادته خاضعة لأي قيد من القيود.

المادة الثالثة:

لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه.

المادة الرابعة:

لا يجوز استرقاق أو استبعاد أي شخص، ويحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بكافة أوضاعها.

المادة الخامسة :

لا يعرض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحاطة بالكرامة.

المادة السادسة :

لكل إنسان أينما وجد الحق في أن يعترف بشخصيتها لقانونية.

المادة السابعة :

كل إنسان سواسية أمام القانون ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة منه دون أية تفرقة، كما أن لهم جميعا الحق في حماية متساوية ضد أي تمييز يخل بهذا الإعلان وضد أي تحريض على تمييز كهذا.

المادة الثامنة :

لكل شخص الحق في أن يلجأ إلى المحاكم الوطنية لإنصافه من أعمال فيها اعتداء على الحقوق الأساسية التي يمنحها له القانون.

المادة التاسعة :

لا يجوز القبض على أي إنسان أو حجزه أو نفيه تعسفا.

المادة العاشرة :

لكل إنسان الحق، على قدم المساواة التامة مع الآخرين، في أن تنظر قضيته أمام محكمة مستقلة نزيهة نظرا عادلا علنيا للفصل في حقوقه والتزاماته وأية تهمة جنائية توجه إليه.

المادة الحادية عشرة :

١. كل شخص متهم بجريمة يعتبر بريئا إلى أن تثبت إدانته قانونا بمحاكمة علنية تؤمن له فيها الضمانات الضرورية للدفاع عنه.

٢. لا يدان أي شخص من جراء أداء عمل أو الامتناع عن أداء عمل إلا إذا كان ذلك يعتبر جرما وفقا للقانون الوطني أو الدولي وقت ارتكاب، كذلك ولا توقع عليه عقوبة اشد من تلك التي كان يجوز توقيعها وقت ارتكاب الجريمة.

المادة الثانية عشرة :

لا يعرض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أو أسرته أو مسكنه أو مراسلاته أو لحملات على شرفه وسمعته، ولكل شخص الحق في حماية القانون من مثل هذا التدخل أو تلك الحملات.

المادة الثالثة عشرة :

١. لكل فرد حرية التنقل واختيار محل إقامته داخل حدود كل دولة.

٢. يحق لكل فرد أن يغادر أية بلاد بما في ذلك بلده، كما يحق له العودة إليه.

المادة الرابعة عشرة :

١. لكل فرد الحق في أن يلجأ إلى بلاد أخرى أو يحاول الالتجاء إليها هربا من الاضطهاد.

٢. لا ينتفع بهذا الحق من قدم للمحاكمة في جرائم غير سياسية أو لأعمال تناقض أغراض الأمم المتحدة ومبادئها.

المادة الخامسة عشرة :

١. لكل فرد حق التمتع بجنسية ما.

٢. لا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسفا أو إنكار حقه في تغييرها.

المادة السادسة عشرة:

١. للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج حق التزوج وتأسيس أسرة دون أي قيد بسبب الجنس أو الدين، ولهما حقوق متساوية عند انحلاله.
٢. لا يبرم عقد الزوج إلا برضا الطرفين الراغبين في الزواج رضا كاملا لا إكراه فيه.
٣. الأسرة هي الوحدة الطبيعية الأساسية للمجتمع ولها حق التمتع بحماية المجتمع والدولة.

المادة السابعة عشرة:

١. لكل شخص حق التملك بمفرده أو بالاشتراك مع غيره.
٢. لا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفا.

المادة الثامنة عشرة:

- لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته، أو عقيدته، وحرية الأعراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر، ومراعاتها، سواء أكان ذلك سرا أم جهرا، منفردا أم مع الجماعة.

المادة التاسعة عشرة:

- لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقييد بالحدود الجغرافية.

المادة العشرون:

١. لكل شخص الحق في حرية الاشتراك في الجمعيات والجماعات السلمية.
٢. لا يجوز إرغام أحد على الانضمام إلى جمعية ما.

المادة الحادية والعشرون:

١. لكل فرد الحق في الاشتراك في إدارة الشؤون العامة لبلاده إما مباشرة وإما بواسطة ممثلين يختارون اختيارا حرا.

٢. لكل شخص نفس الحق الذي لغيره في تقلد الوظائف العامة في البلاد.

٣. أن إرادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة، ويعبر عن هذه الإرادة بانتخابات نزيهة دورية تجري على أساس الاقتراع السري وعلى قدم المساواة بين الجميع أو حسب أي إجراء مماثل يضمن حرية التصويت.

المادة الثانية والعشرون:

- لكل شخص بصفته عضوا في المجتمع الحق في الضمانة الاجتماعية لأوفي أن تحقق بوساطة المجهود والتعاون الدولي، وبما يتفق ونظم كل دولة ومواردها، الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والتربوية التي لا غنى عنها بكرامته وللنمو الحر لشخصيته.

المادة الثالثة والعشرون:

١. لكل شخص الحق في العمل، وله حرية اختياره بشروط عادلة مرضية كما أن له الحق الحماية من البطالة.
٢. لكل فرد دون أي تمييز الحق في أجر متساو للعمل.
٣. لكل فرد يقوم بعمل الحق في أجر عادل مرض يكفل له ولأسرته عيشة لائقة بكرامة الإنسان تضاف إليه عند اللزوم، وسائل أخرى للحماية الاجتماعية.
٤. لكل شخص الحق في أن ينشئ وينضم إلى نقابات حماية لمصلحته.

المادة الرابعة والعشرون:

لكل شخص الحق في الراحة، وفي أوقات الفراغ، ولا سيما في تحديد معقول لساعات العمل وفي عطلات دورية بأجر.

المادة الخامسة والعشرون:

١. لكل فرد الحق في مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته، ويتضمن ذلك التغذية والملبس والسكن والعناية الطبية وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة، وله الحق في تأمين معيشتته في حالات البطالة والمرض والعجز والتحمل والشيخوخة وغير ذلك من فقدان وسائل العيش نتيجة لظروف خارجة عن إرادته.

٢. للأمومة والطفولة الحق في مساعدة ورعاية خاصتين، وينعم كل الأطفال بنفس الحماية الاجتماعية سواء أكانت ولادتهم ناتجة عن رباط شرعي أم بطريقة غير شرعية.

المادة السادسة والعشرون:

١. لكل شخص الحق في التعلم، ويجب أن يكون التعليم في مراحله الأولى والأساسية على الأقل بالمجان وأن يكون التعليم الأولي إلزامياً، وينبغي أن يعمم التعليم الفني والمهني، وأن ييسر القبول للتعليم العالي على قدم المساواة التامة للجميع وعلى أساس الكفاءة.

٢. يجب أن تهدف التربية إلى إنماء شخصية الإنسان إنماء كاملاً، وإلى تعزيز احترام الإنسان والحريات الأساسية وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية، وإلى زيادة مجهود الأمم المتحدة لحفظ السلام.

٣. للآباء الحق الأول في اختيار نوع تربية أولادهم.

المادة السابعة والعشرون:

١. لكل فرد الحق في أن يشترك اشتراكاً حراً في حياة المجتمع الثقافي وفي الاستمتاع بالفنون والمساهمة في التقدم العلمي والاستفادة من نتائجه.

٢. لكل فرد الحق في حماية المصالح الأدبية والمادية المترتبة على إنتاجه العلمي أو الأدبي أو الفني.

المادة الثامنة والعشرون:

لكل فرد الحق في التمتع بنظام اجتماعي دولي تتحقق بمقتضاه الحقوق والحريات المنصوص عليها في هذا الإعلان تحققاً تاماً.

المادة التاسعة والعشرون:

١. على كل فرد واجبات نحو المجتمع الذي يتاح فيه وحده لشخصيته أن تنمو نمواً حراً كاملاً.

٢. يخضع الفرد في ممارسة حقوقه وحرياته لتلك القيود التي يقرها القانون فقط، لضمان الاعتراف بحقوق الغير وحرياته واحترامها ولتحقيق المقتضيات العادلة للنظام العام والمصلحة العامة والأخلاق في مجتمع ديمقراطي.

٣. لا يصح بحال من الأحوال أن تمارس هذه الحقوق ممارسة تتناقض مع أغراض الأمم المتحدة ومبادئها.

المادة الثلاثون:

ليس في هذا الإعلان نص يجوز تأويله على أنه يخول لدولة أو جماعة أو فرد أي حق في القيام بنشاط أو تأدية عمل يهدف إلى هدم الحقوق والحريات الواردة فيه.

أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة

في ١٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٨

مناخ قاتم يحيط بالذكرى السبعين للإعلان العالمي لحقوق الإنسان

وكالة فرانس برس : ٢٠١٨/١٢/١٠

يحتفل المجتمع الدولي خلال أيام بالذكرى السبعين للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وهو النص التأسيسي للقانون الدولي، في أجواء يطغى عليها صعود التيارات القومية والتخلي عن الجهود متعددة الأطراف. وفيما تحتفل الأمم المتحدة بالذكرى تبني النص الخلاق الاثنى، فإن الأهداف التي يصبو إليه تواجه اليوم عقبات غير مسبوقة.

حذرت مفوضة الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان ميشيل باشليه هذا الأسبوع من أن النظام العالمي "الذي جسد جوهر رؤية الإعلان العالمي يتآكل ببطء بفعل من الحكومات والسياسيين الذين يكرسون جهودهم أكثر فأكثر من أجل تحقيق أهداف قومية ضيقة".

ومع ذلك، يعتقد بعض الخبراء أنه وعلى الرغم من التهديد المحيى بالحركة الدولية لحقوق الإنسان التي ولدت بعد الحرب العالمية الثانية، فإن الذكرى السبعين يمكن أن توفر فرصة لإعادة التأكيد على أهمية الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

استُوحى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان من الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان والمواطن لعام ١٧٨٩ وإعلان الاستقلال الأمريكي لعام ١٧٧٦، لكن الحاجة إليه برزت بشكل خاص إثر الصدمة التي خلفتها الحرب العالمية الثانية ومحرقه اليهود على يد النازيين.

يؤكد الإعلان في مادته الأولى "يولد جميع الناس أحراراً ومتساوين في الكرامة والحقوق. وهم قد وهبوا العقل والوجدان وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضاً بروح الإخاء"، ويفصل في مواده الثلاثين، حقوق الإنسان والحقوق المدنية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية "غير القابلة للتصرف" أو "التجزئة".

حقوق الفرد

صيغ الإعلان في السنوات الأولى من الحرب الباردة وأقر في ١٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٨ في باريس من قبل ٥٨ دولة أعضاء في الجمعية العامة للأمم المتحدة باستثناء الاتحاد السوفياتي وبلدان أوروبا الشرقية والسعودية وجنوب أفريقيا التي امتنعت عن التصويت.

وأصر الاتحاد السوفياتي والدولة الدائرة في فلكه بشكل خاص على إدراج "الحقوق الحقيقية" الاقتصادية والاجتماعية مقابل "الحقوق البرجوازية" المدنية والثقافية التي دافعت عنها الديمقراطيات الغربية.

ورفضت الدول الغربية من جانبها فكرة تحويل الإعلان إلى أداة قانونية ملزمة، خوفاً من أن تستخدمه البلدان الخاضعة للاستعمار ضدها. وفي الواقع، لم تعتمد الأمم المتحدة حتى عام ١٩٦٦ اتفاقيتين ملزمتين تشكلان، إلى جانب الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان.

ويبقى الإعلان الذي أقر عام ١٩٤٨، مثلما قال رجل القانون الفرنسي رينيه كاسان الذي شارك في إعداده "أول بيان تبنته البشرية على الإطلاق في هيئة منظمة".

ورغم طابعه غير المُلمز، شكل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الأساس الذي استلهمته جميع المعاهدات الدولية في فترة ما بعد الحرب، ويُعدّ عموماً الأساس الذي يقوم عليه القانون الدولي لحقوق الإنسان.

ومنهُ انبثقت بالفعل الاتفاقيات الدولية لعام ١٩٧٩ ضد التمييز بحق المرأة، وفي ١٩٨٤ ضد التعذيب، و١٩٩٠ بشأن حقوق الطفل، وإنشاء المحكمة الجنائية الدولية في عام ١٩٩٨.

كان النص يهدف إلى تصحيح الفكرة القديمة القائلة بأن الدول هي التي تمنح الحقوق لمواطنيها. ورد على حجة المتهمين النازيين في محاكمة نورمبرغ بأن قادة دولة ذات سيادة يتصرفون وفقاً لما يعتبرونه المصلحة الوطنية للدولة، لا يمكن تحميلهم المسؤولية عن "جرائم ضد الإنسانية" وفق التعريف الحديث لها.

يسعى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان إلى إقرار حقوق كل فرد، سواء كان يعيش في جمهورية ديمقراطية أو نظام ملكي أو دكتاتورية عسكرية.

وتقول فرانسيس فرانكل وهي خبيرة بريطانية لووكالة فرانس برس إن الإعلان "كُتِبَ في لحظة معينة شبيهة بما نعيشه اليوم، عندما نشهد صعود الانجذاب نحو القومية والشعبوية حتى في الدول الديمقراطية".

وحتى وإن كان النص يرغب في ترسيخ قيم تتجاوز الحدود الجغرافية، فإن "الاعتماد على تنفيذه يعتمد على الدول"، كما يقول كونور جيرتي، الأستاذ في كلية لندن للاقتصاد.

ويضيف أن الولايات المتحدة لعبت دوراً فعالاً خلال النصف الثاني من القرن العشرين، ولكن ذلك الدور انتهى مع الرئيس دونالد ترامب الذي هاجم التعددية وصفق باب مجلس الأمم المتحدة لحقوق الإنسان.

ويقول "تخلت الولايات المتحدة عن دورها كمدافع دولي عن حقوق الإنسان، حتى وإن كان ذلك على أساس منافع"، مضيفاً أن صعود ترامب إلى السلطة يمثل ذروة مسيرة الانسحاب التي بدأت مع "الحرب على الإرهاب" منذ ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١.

ويتابع "غادر الأمريكيون السفينة (...). حقوق الإنسان تحتاج إلى قائد دولي قوي وإلا فإنها ستذوي"، مضيفاً أن أوروبا هي "المرشح الوحيد الموثوق به" للخلافة واشنطن في هذا الدور.

من جانبها، قللت ميشيل باشليه الرئيسة السابقة لتشيلي التي أصبحت مسؤولة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة في أيلول/سبتمبر، من أهمية فكرة حاجة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان إلى دعم قوة عظمى.

وأضافت أن النص سيبقى لأن "مبادئه أساسية للغاية بحيث يمكن تطبيقها على أي معضلة جديدة" بما في ذلك تغير المناخ والذكاء الاصطناعي.

وقالت باشليه إن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان "صمد أمام المحن على مر السنين وإنني أعتقد اعتقاداً راسخاً أنه اليوم بالأهمية نفسها التي كان عليها عندما أقر قبل ٧٠ عاماً".

سبعون عاما من الطموح الانساني

في العاشر من كانون الاول/ديسمبر ١٩٤٨، تبنت الامم المتحدة في باريس الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي عكس يومها طموحا انسانيا عالميا بعيد انتصار الحلفاء على النازيين. يشكل الاعلان واحدا من اكبر إنجازات منظمة الامم المتحدة الوليدة، وعبره منحت الحاجة الى الحرية والمساواة والعدل طابعا عالميا للمرة الاولى. ويؤكد الاعلان الذي لا صفة الزامية له سيادة حقوق الافراد وحياتهم على حقوق الدول عبر جعل الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المصاف نفسه مع الحريات المدنية والسياسية. وبذلك، ينبغي الا تكون حقوق الانسان بعد اليوم مسألة ذات بعد داخلي، الامر الذي كان طالب به هتلر للحؤول دون أي تدخل اجنبي.

اليانور روزفلت

بعد أشهر من التحضير، شكلت العام ١٩٤٧ لجنة لصوغ الاعلان ضمت شخصيات من دول مختلفة وترأستها اليانور روزفلت، أرملة الرئيس الامريكي فرانكلين روزفلت الذي توفي العام ١٩٤٥. بين أبرز الاعضاء الكندي جون بيترز هامفري والفرنسي رينيه كاسان. ثم اجرت الدول الاعضاء في الامم المتحدة تعديلات وقدمت اقتراحات على مسودة الشريعة المقترحة. وتبنت ٤٨ دولة الاعلان من اصل ٥٨، في غياب عضوين هما اليمن وهندوراس وإحجام ثمان اخرى هي بيلاروسيا واوركراينا والاتحاد السوفياتي وتشيكوسلوفاكيا وبولندا ويوغوسلافيا اضافة الى السعودية التي ترفض المساواة بين الرجل والمرأة، وجنوب افريقيا. كانت المهمة بالغة الصعوبة في مرحلة إنقسم فيها العالم بين كتلتين شرقية وغربية مع تنديد الشيوعيين بالتركيز على الحريات الفردية والسياسية على حساب الحقوق الاجتماعية. كذلك، قاومت الديمقراطيات الغربية فكرة جعل الاعلان أداة قانونية ملزمة مبدية خشيتها من أن يستعمل ضدها من جانب الدول التي تخضع للاستعمار.

مصدر الهام

رغم الافكار المسبقة التي رافقت ولادته، شكل الاعلان العالمي لحقوق الانسان مصدر الهام لكل المعاهدات الدولية ما بعد الحرب الثانية ويعتبر عموما اساسا للقانون الدولي المتصل بحقوق الانسان. ومن هذا الاعلان تحديدا، تنبع الشريعة الدولية ضد التمييز بحق النساء (١٩٧٩) وتلك المناهضة للتعذيب (١٩٨٤) وشريعة حقوق الطفل (١٩٩٠)، اضافة الى انشاء المحكمة الجنائية الدولية العام ١٩٩٨. واذا كان اتاح تحقيق بعض التقدم، فانه لم يحل دون حصول انتهاكات لحقوق تعتبر أساسية. كما ان بعض الدول اعتبرته بمثابة املاء غربي ولا يزال يواجه مقاومة ايديولوجية وثقافية ودينية وخصوصا في الصين ودول اسلامية تطبق الشريعة. وقال مالك سالمكور رئيس الرابطة الفرنسية لحقوق الانسان لووكالة فرانس برس نهاية تشرين الثاني/نوفمبر ان "وضع العالم اليوم يتطلب جعل مضمون الاعلان اكثر قابلية للتطبيق في كل مكان ومن أجل الجميع"، مشددا على أهمية "إرساء المساواة بين النساء والرجال والغاء عقوبة الاعدام على صعيد عالمي". واذف "لا بد من انجاز حرية التنقل وحرية مغادرة الفرد لبلاده مع وضع اطار يحدد شروط دخول دولة ثالثة والتفكير في أسباب الهجرة. المطلوب ايضا حماية الافراد في مواجهة تطور تكنولوجيا الاعلام والطب"، داعيا الى "التفكير في حقوق عالمية جديدة انطلاقا من التدهور المناخي الذي يهدد مستقبل الانسانية".

السترات الصفراء وتصعد الديمقراطية!

*د. عبدالحميد الأنصاري

صحيفة (الجريدة) الكويتية : ٢٠١٨/١٢/١٠

أخيراً، وبعد ثلاثة أسابيع خضعت الحكومة الفرنسية لمطالب حركة "السترات الصفراء" إثر أعمال العنف والنهب والتخريب وقطع الطرق والشغب والصدامات مع الشرطة، اجتاحت العاصمة الفرنسية ومناطق أخرى، أسفرت عن قتلى وجرحى واعتقال المئات، فأعلن رئيس الوزراء الفرنسي، تعليق الزيادة على أسعار الوقود ستة أشهر، كما أجل فرض الزيادات على الغاز والكهرباء ثلاثة شهور، معلناً أنه لا ضرائب تستحق أن تعرض وحدة الأمة للخطر، ومعتزفاً بأن الشعور العميق بالظلم، وعدم قدرة الفرد على العيش بكرامة من عمله، هو المحرك للغضب في الشارع.

لكن هذه التنازلات التكتيكية لم ترض المحتجين، ولم تفلح في تهدئة الأوضاع، واضطرت الحكومة في النهاية للإعلان عن تخليها نهائياً عن زيادة الأسعار ومشروع الضرائب. وبذلك نجحت الحركة في تحقيق انتصار سياسي، عبر الاحتجاجات العنيفة، وهذا أغرى الحركة بمواصلة التصعيد لتحقيق بقية مطالبها، خاصة بعد أن أعلنت قطاعات اجتماعية أخرى انضمامها للتظاهرات، فهل تتوسع الاحتجاجات لتطالب بحل البرلمان، واستقالة الحكومة والرئيس الفرنسي؟! ما دلالات ونتائج نجاح الحركة التي عاثت في عاصمة النور فساداً، وشوهت أيقونة فرنسا (قوس النصر)؟ وكيف أمكن لحركة بدأت سلمية وتحولت إلى العنف والتخريب، تحقيق مطالبها، في دولة ديمقراطية، وفي بلد، يعد أم الحريات وعاصمة التنوير والعقلانية؟!!

١- أخطر النتائج، أن التظاهرات العنيفة حققت نتائج سريعة لم تحققها التظاهرات السلمية، ومعنى ذلك شرعنة العنف أسلوباً في حل الخلافات السياسية في دولة ديمقراطية، مما يغري الفئات الاجتماعية الأخرى باستنساخ الحركة لتحقيق مطالبها، وذلك يصيب الديمقراطية بتصعد.

٢- يبدو أن المسبحة كرت، وشهية الاحتجاجات انفتحت، وهي آخذة في الاتساع: حركة طلاب الثانويات محتجة على إصلاح البكالوريا، وطلاب الجامعات محتجة على زيادة رسوم التسجيل، وسائقو الشاحنات يهددون بالإضراب، ومربو الأغنام يهددون بالتظاهر.

٣- عدوى السترات الصفراء، جاوزت الحدود إلى بلجيكا وهولندا، وصولاً إلى العراق، فالأوضاع الاقتصادية المتردية، وسوء الأحوال الاجتماعية والفساد، أجواء مثالية لانتشار العدوى الباريسية.

٤- تجد الحكومات الديمقراطية الغربية نفسها في مأزق كبير، في مواجهة التحديات: تحدي الأحزاب الشعبوية الراقصة للمهاجرين، والتي اكتسحت الساحة الأوروبية ووصلت البرلمانات والسلطة، واضطرت الحكومات والأحزاب التاريخية الغربية لتقديم تنازلات كبيرة في مجال القيم الليبرالية والتسامح وقبول الآخر، حتى تحتفظ بأصوات ناخبها، وهي اليوم، في مأزق أكبر أمام حركة الاحتجاجات العنيفة، فلا تستطيع مصادرة حق التظاهرات، التزاماً بالمبدأ الديمقراطي، وفي الوقت نفسه تقف عاجزة أمام استيعاب مطالب الشرائح الاجتماعية المتضررة والفئة الطلابية (أصحاب الدخل المحدود والعاطلين والمتقاعدين) بسبب الفجوة الاجتماعية التي تزداد اتساعاً بين الطبقة السياسية القائمة (الرئيس والحكومة والبرلمان) وهذه الشرائح التي ترى البرلمانات والأحزاب والنقابات غير معبرة عن مطالبها، فتضطر إلى التعبير عن نفسها بأسلوب الاحتجاجات التي تلازمها أعمال الفوضى وقطع الطرق، فإذا واجهت الحكومة عنفاً بعنف، اتهمت بإساءة استخدام القوة، وثارت المنظمات الحقوقية الدولية، وهذا هو المأزق الحقيقي للنظام الديمقراطي!

٥- حركة السترات الصفراء ليست وليدة نقابات ولا أحزاب، لكن اليمين الشعبوي أكبر المستفيدين، بل هي أحد إفرازات الثورة الرقمية، ومع ذلك فهي بلا هيكلية أو قيادة، مما يصعب التفاوض معها، ولن تقتصر مطالبها على لقمة العيش بل تتجاوز إلى أهداف سياسية: كرفضها الاتحاد الأوروبي والمهاجرين.

٦- هل يذهب ماكرون ضحية حماسته لتفعيل اتفاقية باريس للمناخ كون الحكومة زادت الضرائب على الوقود، حماية للبيئة فانطلقت شرارة الاحتجاجات؟ حينئذ يحق لترامب أن يتهم على ماكرون: لقد كنت على حق!

أخيراً... لطالما اتهمت الجماهير العربية بأنها تخريبية، لا تعرف التظاهرات السلمية كالشعوب الأوروبية التي تتظاهر سلمياً، وهذه أعطت الحكومات العربية، ذريعة حظر التظاهرات، بحجة الحفاظ على الأمن العام وأرواح وممتلكات الناس، ها هي التظاهرات الغربية تعيثُ فساداً، وتخريباً، بشكل أسوأ من التظاهرات العربية.

ختاماً: الديمقراطيات الغربية تواجه اليوم تحديات كبيرة تتطلب تطوير آلياتها، لتصبح أقرب إلى نبض الشارع، وأكثر استيعاباً لمطالب وتطلعات الجيل الجديد من الشباب والفئات الاجتماعية المتضررة، ولتكون أكثر تحقيقاً للعدالة الاجتماعية، واحتواء لمشاعر الغضب ومرارات الظلم والتمييز.

* كاتب قطري

فرنسا حائرة في أوروبا مريضة

*غسان شربل

رئيس تحرير صحيفة (الشرق الاوسط) : ٢٠١٨/١٢/١٠

في الديمقراطيات" الرأي العام حسان متهور وغدار. يملك إلى القصر في موجة هادرة. يطالبك سريعاً بمعجزات تفوق صلاحياتك، متناسياً العقبات البيروقراطية والسياسية والنفسية. وحين تتأخر في إبهاره يبدأ إشهار ندمه فتنتلق الخيبات والاحتجاجات وتصفية الحسابات. واليوم غيرت التكنولوجيا قواعد اللعبة. جعلتها أصعب وأخطر. بفعل الهواتف الذكية تحول كل مواطن حزباً مستقلاً. صار لكل فرد صحيفته الخاصة على شاشة هاتفه. يدبج ويغرد ويعارض ويندد ويوزع الأخبار والشائعات. وصار باستطاعة وسائل التواصل الاجتماعي تجميع النقاط المتفرقة وتحويلها نهراً. وتجميع الرياح الصغيرة وإدماجها في عاصفة هوجاء. كانت السلطة تراقب الأحزاب والنقابات والمتمردين البارزين. من يستطيع اليوم زرع شرطي في هاتف كل مواطن وقفل في عقله؟

قبل أسابيع كان في استطاعة إيمانويل ماكرون أن يواصل ارتكاب الأحلام الكبيرة رغم استطلاعات الرأي التي أكدت الانحسار الهائل الذي ضرب الموجة التي حملته إلى قصر الإليزيه. بدا الملعب الأوروبي مفتوحاً وينتظر رجلاً قادراً على التحدث باسم القارة وليس باسم بلاده وحدها. المشهد الأوروبي يثير اللعاب فعلاً. أنجيلا ميركل المستشارة التي كانت في السنوات الماضية العمود الفقري للعمل الأوروبي المشترك بدأت جمع أوراقها استعداداً للمغادرة. تخلت عن زعامة الحزب لتغادر لاحقاً مقر المستشارية. ومن جهة أخرى، تنشغل رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماي باستكمال إجراءات الطلاق مع الاتحاد الأوروبي، وتصارع على جبهة بروكسل وتحاول تفادي طعنات معارضيها وخناجر رفاقها في الحزب. وحدها فرنسا بدت مؤهلة لملاء الفراغ الذي سيحدثه سلوك ميركل طريق التقاعد وسلوك ماي طريق الطلاق.

وكان ماكرون يحاول إعداد نفسه لهذا الدور الكبير. أوروبا ليست في أفضل أحوالها. وسوء التفاهم مستحكم بين ضفتي الأطلسي. يغرف دونالد ترمب من قاموس يصعب على قادة القارة القديمة قبوله. يطالب أوروبا بأن تتحمل مسؤوليات أكبر في الدفاع عن نفسها. يذكر قادتها بأن الجيش الأمريكي أنقذ القارة مرتين، لكن أمريكا تعبت من الإنفاق السخي لضمان سلامة حلفائها. في المقابل لا يترك فلاديمير بوتين سانحة إلا ويغتنمها لإضعاف الروح الأطلسية والغربية. استعداد القرم بمنطق إعادة الفرع إلى الأصل. وهز استقرار أوكرانيا مذكراً الأوروبيين بأن روسيا لن تتسامح حيال محاولات محاصرتها أو تطويقها أو تكريسها قوة من الدرجة الثانية.

لا تتعلق المسألة فقط بالتنافس الأمريكي - الروسي. على أوروبا أن تحاول العثور لنفسها على موقع في العالم الذي تتوالى إشارات تشكله. لم يعد الصعود الآسيوي مجرد تكهنات صحافية. إنه حقيقة ملموسة. تعيش بكين اليوم في ظل أقوى زعامة تعرفها منذ عهد ماوتسي تونغ. سيد الاقتصاد الثاني في العالم يريد

لبلاده ما هو أكثر من طريق الحرير. وفي الانشغال بالصعود الصيني، يجب ألا يغيب عن البال ما حققته الهند من تقدم تكنولوجي يؤهلها لأن تكون لاعباً كبيراً في المرحلة المقبلة إلى جانب أمريكا والصين وأوروبا. أكثر من أي وقت مضى، يبدو العالم في مهب المفاجآت. وصول ترمب إلى البيت الأبيض ليس حدثاً بسيطاً. أسلوبه في إدارة أمريكا وشؤون العالم جديد وغريب ويصعب تجاهله كما يصعب اللحاق به. وحين تتغير أمريكا يتغير العالم أيضاً. روسيا بوتين ليست خصماً سهلاً هي الأخرى. يتلاعب القيصر بالأوراق ويحرك بيادقه ثم يطالب العالم بالإقرار له بمكاسبه. وفي هذا الوقت بدت أوروبا حائرة. توحى أحياناً كأن البيت الأوروبي شيد على عجل، وتجاهل أن دوله تتقدم بسرعات مختلفة يصعب أحياناً التوفيق بينها. ليس بسيطاً أيضاً أن يختار البريطانيون الخروج من الاتحاد الأوروبي ثم يكتشفون في اليوم التالي أن دعاة الخروج لا يملكون خطة مقنعة لمواجهة أعباء الطلاق. يرتكب الرأي العام أحياناً مغامرات مكلفة تحت وطأة الأصوات الشعبوية والتذمر من الضرائب، وتراجع الثقة بالطبقة السياسية ودفق الأخبار والأوهام عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

كان ماكرون يحلم بأن يؤهل فرنسا لدور أكبر في أوروبا. وهو يعرف أن الأدوار في العالم الحالي تحتاج إلى اقتصاد عصري متحرر من أثقال الأفكار القديمة والتقديمات التي تمنع الاقتصاد من النمو والتقدم والمنافسة. يعرف أن على الفرنسيين تجرع أدوية مرة إذا أرادوا اقتصاداً قادراً على التكيف المتواصل واجتذاب الاستثمارات. من هنا شرع في إجراء بعض الإصلاحات. لكن سرعان ما التصقت بالرئيس الشاب صفة «رئيس الأغنياء». أخذوا عليه تركيز القرار في الإليزيه وعدم إعطاء المساحة الكافية للمؤسسات وللجهد الضروري لإقناع المواطن العادي. اتسعت الهوة بين الرئيس والشارع وانهالت الحملات والانتهاكات. للفرنسيين في النزول إلى الشارع تاريخ حافل. لم يكن الرئيس الحالي قد ولد بعد حين تدفقوا في شوارع باريس في مايو (أيار) ١٩٦٨. يومها كان الإليزيه في عهدة رجل اسمه شارل ديغول. كانت صلاحياته واسعة وكانت هالته أكبر من صلاحياته. غرقت فرنسا في الفوضى والحيرة وبدا أن الذين اقتلعوا أرصفة الشوارع اقتلعوا أيضاً أعمدة النظام. اختار ديغول يومها عدم الاستسلام وراهن على خوف الفرنسيين من المصير المجهول الذي يحوم في الأفق. حل الجمعية الوطنية وذهب إلى انتخابات عامة عاد منها منتصراً. لكنه بعد عام واحد تذرع بنتائج مخيبة في استفتاء حول اللامركزية وتنحى. كأنه يئس من قدرته على إقناع الفرنسيين الذين يسخرون من الرئيس العادي ويكرهون الرئيس صاحب الهالة.

كان ماكرون يحلم بالدور الأوروبي الكبير حين أطلقت السترات الصفراء في الشوارع. وكالعادة اختلط غضب أصحاب المطالب بممارسات أصحاب السوابق. الناقدون على الحكومة وضرائبها ونهجها. والناقدون على المشروع الأوروبي نفسه وتعليمات بروكسل. المتشددون من اليمين والمتطرفون من اليسار. إنها فرنسا الحائرة بين الدور ومستلزماته والإنقاذ وأثمانه. دولة حائرة في قارة قلقة يحلم مهاجرون كثيرون بإلقاء أنفسهم في عواصمها.

قمة «التعاون» على حصار قطر!

افتتاحية القدس العربي: ٢٠١٨/١٢/١٠

توقع مراقبون للوضع الخليجي انفراجة في الأزمة الكبيرة الناشئة في مجلس «التعاون» الخليجي والتي بدأت يوم ٥ حزيران (يونيو) ٢٠١٧ وذلك بعد بضع إشارات صدرت عن دول الحصار نحو قطر. ومنها تصريح لولي العهد السعودي محمد بن سلمان تحدث فيه عن قوة الاقتصاد القطري خلال ما سماه السعوديون «مؤتمر دافوس الصحراء»، وكذلك إشارة من الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي إلى ضرورة استقرار دول الخليج.

وأخيرا دعوة العاهل السعودي الملك سلمان بن عبد العزيز لأمير قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني لحضور قمة مجلس التعاون في السعودية.

كان واضحا ارتباط هذه الإشارات بالوضع السعودية المرتبكة في العالم إثر افتضاح ملابسات قضية الصحافي السعودي جمال خاشقجي واتجاه الاتهامات مباشرة إلى ولي العهد السعودي شخصيا وانهايار التبريرات والروايات العديدة التي اتخذتها سلطات الرياض لإخراج الأمير من الورطة.

وقد افترضت السلطات في الرياض، على ما يبدو، أن بعض المديح الشكلي للدوحة وللرئيس التركي رجب طيب اردوغان كاف لوقف سيل المعلومات والتحليلات والتغطيات المتدفق حول القضية، أو رفع الآمال بحدوث تسوية ما في خصوص حصار قطر.

لكن الذي حصل بعد ذلك كشف أن تلك الإشارات كانت للتضليل وتسابقت دول الحصار على إعادة ترديد الشروط المتهافئة السابقة من قبيل «وقف التدخل القطري في شؤون دول الحصار».

والمقصود فيه طبعا السماح بتدخل دول الحصار في شؤون قطر الداخلية والخارجية، ووقف وسائل الإعلام الممولة قطريا، مثل قناة «الجزيرة» عن ممارسة مهامها المهنية الطبيعية المتمثلة بتغطية الشؤون السياسية للمنطقة العربية والعالم.

ما فعلته قطر كان مفحما، من جهة، ودبلوماسيا، من جهة أخرى، فقد قامت الدوحة بإعلان قرارها الانسحاب من منظمة أوبك للنفط التي تحولت إلى ذراع لتنفيذ سياسات السعودية وإدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب.

ثم سربت خبر امتناع أمير البلاد عن المشاركة في القمة الخليجية ما دامت هذه القمة لن تتراجع عن حصار قطر، وكفي لا تقطع شعرة معاوية فقد قررت إرسال وزير دولة لتمثيلها في الاجتماع.

بإعلان خروجها من أوبك وتخفيض تمثيلها الدبلوماسي في قمة الخليج ألقمت الدوحة خصومها المتغطرسين حجرا وأعادتهم إلى المربع الأول ولكن مع أفضلية راجحة للاعب القطري.

فآلة الحصار صارت عبئا سياسيا وماليا كبيرا على أصحابها، والحجج التي ساقوها لتبرير الحصار تآكلت ولم يعد لها معنى، وآلت بهم غطرستهم وسياساتهم القمعية ضد شعوبهم والعمى الذي أصابهم بسبب استقوائهم بترامب إلى فضائح تتصاعد يوما بعد.

وإذا كان اغتيال خاشقجي هو ذروتها لكنه أعاد تسليط الضوء على كل المسار الوحشي لتلك الدول، ومنها جريمة خطف وقتل الإيطالي جوليو ريجيني، واعتقال الأكاديمي البريطاني ماثيو هيدجنز، وحتى قضية الأميرة لطيفة ابنة حاكم دبي التي خطفت بالتعاون مع المخابرات الهندية من أعالي البحار.

يعكس حصار قطر، بهذا المعنى، امتدادا للسياسات الداخلية لدول الحصار، فقمع المواطنين وإسكات المعارضين واعتقال كل من يشتبه في عدم ولائه للنظام الحاكم وعلاقة الكسر والغلبة والتجبر في الداخل لا بد أن تمتد إلى الخارج بتلك الطرق الفضائحية التي شهدناها.

ولا بد أيضا أن تحاول فرض الرؤية نفسها على قطر ومنع أي وسائل إعلامية فيها من ممارسة وظائفها الحقيقية في الإعلام لا في التطبيل.

وإذا كانت قطر تحاول جاهدة (ومعها الكويت وعمان) عدم قطع خطوط الدبلوماسية والعقل مع دول الحصار، فإنها في المقابل لا تستطيع أن تتحول إلى جزء من منظومة تفقدتها سيادتها وسياستها في آن واحد.

القمة العرجاء

افتتاحية صحيفة (كيهان) الإيرانية الرسمية: ٢٠١٨/١٢/١٠

ما شهدته الرياض بالأمس والذي اطلق عليه القمة الـ ٣٩ لمجلس التعاون، لا يخرج كونه استعراض اعلامي لتخفيف الضغوط عن النظام السعودي وفك عزلته، لان العناوين العريضة التي عددها الزباني الامين العام لمجلس التعاون والغير قابلة للتطبيق حول التكامل بين دول المجلس سياسيا ودفاعيا واقتصاديا وقضايا المنطقة وايران لا تتناسب اساسا مع مستوى الحضور في ظل غياب ثلاثة من قادة دول المجلس التعاون والانقسام العميق الموجود بين الاعضاء ومنها الكويت وعمان تجاه العدوان على اليمن والعلاقة مع ايران ناهيك عن الخلاف النفطي بين الكويت والسعودية وسطوة الاخيرة على الحقلين المشتركين والمختلف عليه. اما قطر فلها رؤية اخرى لمقاطعتها لهذا الاجتماع وعدم اكرائها لدعوة الملك سلمان لانها تعتبر ان هذا المجلس مختطف من قبل النظام السعودي وهي من تهيمن على قراراته وما سيصدر عن هذا المؤتمر الذي هو اشبه بالقمة لا يشذ عن هذه القاعدة وهي بالتالي لا تعتقد بجدوى بقاء هذا المجلس لعجزه عن ايفاء اي دور حل الازمة بين دول الاعضاء، لذلك قد تفضل الخروج منه كما انسحبت من منظمة الاوبك، لاعتقادها بان هذا المجلس لا يتحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه لانه اصبح مكبلا من قبل الرياض وبدل ان يكون عضيدا لها اصبح وبالا عليها وقمة الكويت كانت مثالا حيا لعجز المجلس عن لعب أي دور ايجابي في هذا المجال للأسباب التي اسلفناها.

وربما لا يستغرب المرء ما سيصدر عن هذه القمة من بيان لا يختلف كثيرا عن شاكلتها السابقة في وقت ان الظروف الراهنة عقدت المواقف كثيرا وان الانقسام بات يدب بين اعضائه حول مختلف القضايا وفي مقدمتها تحقيق التكامل بين دول الاعضاء وكذلك العدوان على اليمن والعلاقة مع ايران وقد ظهر ذلك جليا في جلسة الافتتاح حيث هاجم الملك سلمان كعادته ايران للتغطية على هزائمه في اليمن وموقف المملكة الحرج في الساحة العالمية اثر فضيحتها المدوية والبشعة في قتل خاشقجي في حين تلاه امير الكويت شيخ صباح الاحمد ليدعو دول المجلس الى بناء علاقات جيدة مع ايران وحل الازمة اليمنية سلميا وهذا يعكس مدى التباين بين قادة دول مجلس التعاون ولا ننسى ان نذكر ان الموقفين العماني والقطري يشاطران الكويت في رؤيتها تجاه ايران وقضايا المنطقة.

وفي كل الاحوال فاحسن تسمية نطلقها على قمة الرياض هي القمة العرجاء لمقاطعة ثلاثة قادة كأمر قطر وسلطان عمان وبن زايد لها لكن المستغرب كان عدم حضور محمد بن زايد الذي يحمل في طياته رسالة مبطنة للملك سلمان لذلك لا يمكن التعويل على ما سيصدر عنها كما اسلفنا لان الاخ الكبير هو الذي من يضع بنود البيان الختامي حسب ما تشتهي نفسه وقد يجد نفسه لاحقا وبهذه السياسة الحمقاء وحيدا في هذا المجلس.

سؤال المواطنة والهوية في الخليج العربي

*مهنا الحجيل

الجزيرة/ المعرفة: ٢٠١٨/١٢/١٠

على مدى يومين ناقش مؤتمر المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسة بالدوحة في الأول والثاني من ديسمبر الجاري، أوراق عمل ومحاضرات مكثفة في منتدى الخليج العربي، دارت حول محوري الهوية الوطنية في الخليج والعلاقات الأمريكية الخليجية.

كلا الموضوعين يحملان أهمية بالغة، إذ إن وحدة النسيج الاجتماعي الوطني في الخليج العربي وأقطاره، هو في ذاته ضمن قواعد الاستقرار الاجتماعي، الذي يعزز السلم الأهلي عبر المواطنة، حين تقوم على الكرامة الفردية.

وهنا نلاحظ المشكلة الكبرى التي تتعاظم في السعودية، جراء تأثير خطاب تحريض، هيمن على منصات التواصل الاجتماعي، وصحفها ومؤسساتها الرسمية مع أزمة الخليج، في ثقافة بالغة الخطورة من العنصريات المتعددة، والتي لاتزال فاعلة.

وتحت قصف هذا الخطاب ذاته، استهدف الشهيد جمال خاشقجي، منذ خروجه من السعودية. وتلك الحملة العنصرية البغيضة، التي هدفت إلى ضرب قطر اجتماعياً، ارتدت سعودياً بصورة أكبر.

ولا تزال تعصف في عمق علاقتها الشعبية، وتهدم كل ما يمثل وحدة وطنية، بحكم أن الدولة في خطابها الرسمي وعبر مستشاري الديوان الملكي، تبنت خطاب الفصل العنصري بين المجتمعات.

وهي قضية لم تبدأ باضطهاد حاضرة الحجاز وتعيرهم، بل مورست قديماً، خاصة على إقليم الأحساء.

والسادية الشوفينية التي يخاطب بها الكاتب العنصري المتطرف، محمد آل الشيخ، القارئ ومنه المواطن السعودي، هي صن ثقافة قديمة، تطورت وتحوّلت في مراحل زمنية، إلى ما يشبه العنصرية القومية، التي يقاس عليها ولاء الشعب من عدمه.

فيقيم الناس بقدر ما يقدمون، من ولاء لهذه العنصرية ومركزها الحاكم، بعيداً عن أي معيار للمواطنة القائمة على الكرامة الفردية.

إن الكارثة السعودية التي تتفاعل، هي في الحقيقة رسالة جماعية لكل دول منطقة الخليج، وليس الرياض فقط، وأن ما يتم في ثقافة البعض، من تحويل العنصريات والولاء التقديسي الأعمى، إلى شرط للاعتراف الوطني، هو منهجية هدم للدولة المعاصرة.

فالمواطنة الحقوقية والمجتمع المدني، بكل شرائحه التي يقوم عليها الشعب العربي في الخليج، وخاصة أبرز مكوناتها، الحاضرة والبادية، هو الرهان المستقبلي لصناعة المواطنة الصلبة، ولوائها للأرض القومية، وانسجامها المتحد في الدفاع مع الدولة الرشيدة وقيادتها.

إن من الخطورة بمكان، أن يُعتقد أن قيم المواطنة الحقوقية، وتعزيز الحقوق الدستورية الضامنة للكرامة الفردية، هي بناء هش للولاء الوطني، بل هي ركيزة مطمئنة، تعبر بها الأجيال نحو نهضتها المعرفية، لتكون رافداً لبناء قومي متميز، بالتعليم والوعي والتقدم الحضاري، باسم المواطن والوطن بكل أركان كيانه وشرائحه.

وهنا ستخوض التجربة المعرفية، للخليج العربي مرحلة وعي مهم، تعالج الفكرة الخاطئة، بأن المجتمع المدني هو مصطلح تغريب، يقوم على نفي المرجعية الإسلامية للشعب.

وبالتالي لا بد من رفض هيكلته، والذي يندرج تحته مخاوف أخرى، من الاعتقاد بعدم الولاء للدولة والمؤسسة الحاكمة، أخذاً بالاعتبار أن الحكم وشعبيته، يقوم على ركيزة العدالة التشريعية والمساواة الدستورية، وكلما قوي هذان العنصران، قويت الدولة بشعبها وحكمها.

فالمجتمع المدني بمعناه المعرفي الحيوي، هو تنظيم حراك الشعوب واحتياجاتها، وعلاقتها الإنسانية والوطنية، في إطار مدني لا أيديولوجي ولا تجزيئي.

والمدني هنا لا يشترط فيه مطلقاً، تنحية الفكرة الإسلامية إنما البناء على مقاصدها، وعلى قواعد الدستور الأخلاقية والحقوقية، كأساس لربط الناس بقيم العدالة والمواخاة، والتضامن في كل قطر، بغض النظر عن مذهبهم وعرقهم وانتمائهم الاجتماعي، فالعدالة والمساواة الحقوقية هي من قيم الإسلام الكبرى وأصل رسالته.

أما تصحيح الخطأ الثاني، فهو الاعتقاد بأن المجتمع المدني هو مؤسسات تتدخل في كينونة الفرد وفضائه الخاص، أكان على سبيل المثال منتماً للبادية أو الحاضرة، ضمن ثلاثية أهل الخليج العربي، أهل الساحل وأهل البادية وأهل الزراعة، حيث فرضت الجغرافيا الطبيعية نمطاً اجتماعياً على أهل الخليج العربي، كتكتلات شعبية عفوية، وهي من الأمور الطبيعية التي تتأطر بها الجماعات البشرية.

أنجيلا ميركل.. الوداع الطويل

*يوشكا فيشر

بروجيكت سنديكيت: ٢٠١٨/١٢/١٠

بعد أن أعلنت أنجيلا ميركل التزامها التنحي عن زعامة حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي وعدم السعي لإعادة انتخابها لمنصب المستشارية عندما تنتهي ولايتها الحالية في العام ٢٠٢١، تقترب ألمانيا من لحظة فاصلة. فمنذ العام ١٩٤٩، حكم البلاد ثمانية مستشارين فقط، مما يعني أن رحيل ميركل لن يكون مجرد حدث يومي عادي بأي حال من الأحوال. وعلاوة على ذلك، يأتي التغيير على القمة في ألمانيا مصحوباً عادة بتغير سياسي واجتماعي أوسع نطاقاً.

لم يكن قرار ميركل غير متوقع تماماً. فبعد انتخابها للمرة الرابعة في أيلول (سبتمبر) ٢٠١٧، لم يكن من المرجح أن يمنحها الناخبون الألمان فترة ولاية خامسة. فالناس يشعرون بالضجر من القادة بمرور الوقت. وعلى هذا، فحتى بدون إعلانها الأخير، كان بوسعنا أن نفترض أن فترة ولاية ميركل الحالية ستكون الأخيرة.

لكن التحول الجاري في موقف السياسات الداخلية والخارجية في ألمانيا أكثر أهمية من تغير القيادة. ذلك أن الأزمات الدولية تزعزع أركان أسس الديمقراطية الألمانية في مرحلة ما بعد الحرب. في عهد الرئيس دونالد ترمب، تبرت الولايات المتحدة من الغرب وكل ما يرمز له أو يمثله. وفي التاسع والعشرين من آذار (مارس) ٢٠١٩، سوف تترك المملكة المتحدة الاتحاد الأوروبي. وفي الشرق، ظهرت الصين كقوة عالمية جديدة.

في عموم الأمر، يشهد مركز الثقل الاقتصادي العالمي تحولا سريعا من شمال الأطلسي إلى شرق آسيا. وتعمل تكنولوجيا الثورة الرقمية، والبيانات الضخمة، والذكاء الاصطناعي على تغيير الطريقة التي نعمل ونعيش بها. ولم تستمر الأزمات الداخلية في الاتحاد الأوروبي فحسب، بل ازدادت حدة، في حين تمثل الاضطرابات المزمنة في الشرق الأوسط وأفريقيا خطرا خارجيا مستمرا يهدد استقرار أوروبا.

أدت هذه التطورات وغيرها إلى هز مكانة سياسة ألمانيا الخارجية التي كانت راسخة ذات يوم. فلسنوات طويلة، ظل النموذج الاقتصادي الذي تتبناه البلاد وستراتيجيتها الأمنية يتمحوران حول التكامل مع الغرب والدور الذي تلعبه ألمانيا داخل الاتحاد الأوروبي. لكن تحديات اليوم تتطلب نظرة استراتيجية جديدة. والسؤال المطروح على المستشار القادم سيكون حول "الوضع الراهن في ألمانيا".

أينما تتجه ألمانيا، فهناك أمر واضح بالفعل: وهو أن الانتقال من ميركل إلى خليفتها سيطلب عملية إعادة تنظيم بعيدة المدى لنظام الأحزاب هناك. لعقود من الزمن، عمل حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي الذي ينتمي إلى يمين الوسط (بالتحالف مع حزب الاتحاد الاجتماعي المسيحي في بافاريا) والحزب الديمقراطي الاجتماعي الذي ينتمي إلى يسار الوسط، على ضمان الاستمرارية السياسية والاستقرار. ولكن، مثلهما كمثل الأحزاب الرئيسية في مختلف أنحاء أوروبا، يمر حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي/الاتحاد الاجتماعي المسيحي والحزب الديمقراطي الاجتماعي بأزمة طاحنة الآن. فقد خسر الحزب الديمقراطي الاجتماعي قدرا كبيرا من الدعم، حتى أنه قد لا ينجو من هذه الخسارة. وفي حين ما تزال كتلة حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي/الاتحاد الاجتماعي المسيحي تنصب القوة المنفردة الأعظم في السياسة الألمانية، فإنها تواجه تحديا بنويوا عميقا.

منذ العام ١٩٤٩، سمحت بنية الحزبين الشقيقين الاتحاد الديمقراطي المسيحي/الاتحاد الاجتماعي المسيحي بتأمين منصب المستشارية بوصفهما الكتلة الحزبية الأكبر في ائتلافات الأغلبية. ولكن في ألمانيا الموسعة بعد إعادة توحيد شطريها والتي ضمت سبعة أحزاب منفصلة تشغل المقاعد في البوندستاغ، لم يعد هذا الترتيب ناجحا كما كان في السابق.

في السنوات التي سبقت أول انتخابات فازت بها ميركل في العام ٢٠٠٥، كانت ألمانيا خاضعة لحكم ائتلاف يضم الحزب الديمقراطي الاجتماعي وحزب الخضر (حيث عملت نائبا للمستشار ووزيراً للخارجية). خلال تلك الفترة، خضعت ألمانيا لتعديل مؤلم مع التوفيق بين دولة الرفاهة وواقع ما بعد إعادة التوحيد الذي تمثل في ارتفاع معدل البطالة وجغرافية اقتصادية جديدة. في الوقت نفسه، كان لابد من تعديل السياسة الخارجية الألمانية بحيث تعبر عن الدور الجديد الذي اكتسبته ألمانيا في سياق حروب ما بعد يوغوسلافيا في تسعينيات القرن العشرين، والتصدي للتهديد المتمثل في الإرهاب الدولي بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول ٢٠٠١.

بعد سقوط سور برلين، وإعادة توحيد شطري ألمانيا، وفترة من البطالة المرتفعة وإصلاحات لا نهاية لها، شهد الألمان القدر الكافي من الإثارة والانفعالات. وكان المقصود من مستشارية ميركل أن تضع حدا لكل ذلك. وبالفعل، أصبحت الغلبة للبرجماتية الهادئة. ومع ازدهار الاقتصاد، بدا الأمر وكأن الشمس ساطعة والسماء زرقاء دوماً. وفوق كل ذلك، كان يحوم "موتي" (مومي)، مما ترك الأمور تأخذ مجراها ببساطة. ولم ير الناخبون الألمان سببا يذكر يمنعهم من انتخابها ثلاث مرات أخرى.

الآن، ولت الأيام المشمسة. ويفرض ظهور نظام عالمي جديد على صناعات السياسات والساسة أسئلة استراتيجية عصبية ولا يمكن تجاهلها أو تأجيل الإجابة عليها. ويدور أكثر هذه الأسئلة أهمية حول الدور الذي ينبغي لألمانيا - وأوروبا في عموم الأمر - أن تتبناه لنفسها في السنوات المقبلة. فبعد مرور عشر سنوات من الآن، أين سنكون كأوروبيين وأي شيء سنمثل؟

لا تقدم ميركل إجابات مرضية على مثل هذه الأسئلة. الواقع أنها بفضل حسها البرجماتي البار أصبحت أعدى أعداء نفسها. فحتى عندما اتخذت قرارات عظيمة - وتاريخية في حقيقة الأمر - كانت هذه القرارات تستند إلى اعتبارات سياسية ضيقة وقصيرة الأمد. فكان تخلص ميركل من محطات الطاقة النووية الألمانية على مراحل، والقرار الذي اتخذته بتعليق الخدمة العسكرية الإلزامية، واستجاباتها للأزمة المالية في العام ٢٠٠٨، مجرد تحركات تكتيكية. وجاء الاستثناء الوحيد في العام ٢٠١٥، عندما اتخذت موقفاً أخلاقياً وفتحت أبواب ألمانيا لمليون لاجئ.

يبدو أن النهج الذي تبنته ميركل في التعامل مع الأزمة المالية كان الخطأ الأكبر الذي ارتكبته. في ذلك الوقت، عارضت ميركل استجابة أوروبية مشتركة، ودعت بدلا من ذلك إلى اتخاذ تدابير على المستوى الوطني والاكتفاء بالتنسيق بين حكومات منطقة اليورو. ومنذ ذلك الحين ظل المشروع الأوروبي منحرفاً عن مساره.

بطبيعة الحال، سوف يذكر التاريخ ميركل بصفقتها مستشارة "مكاسب السلام"، وربما باعتبارها آخر مستشارة تشهد نظام الأحزاب الألماني (الغربي) في مرحلة ما بعد الحرب. لكن أزمة أوروبا المستمرة سوف تشكل الآن جزءاً من إرثها أيضاً، وسوف تفرض على خلفائها تحدياً صعباً.

لا أحد يستطيع أن يجزم بما قد يأتي الآن. وسوف يتوقف الكثير على ما إذا كانت ألمانيا، جنباً إلى جنب مع فرنسا، ستواصل الاضطلاع بمهمتها الأوروبية.

*كان وزيراً لخارجية ألمانيا ونائبا لمستشارها في الفترة من ١٩٩٨ إلى ٢٠٠٥، وهي فترة تميزت بتأييد ألمانيا القوي لتدخل حلف الناتو في كوسوفو في العام ١٩٩٩، تلاه معارضتها للحرب في العراق. دخل فيشير في السياسة الانتخابية بعد مشاركته في الاحتجاجات المناهضة للمؤسسة في الستينيات والسبعينيات، ولعب دوراً رئيسياً في تأسيس حزب الخضر في ألمانيا، والذي قاده لما يقرب من عقدين.

خطاب ماكرون: رفع الحد الأدنى للأجور وتخفيف الضرائب ولا تراجع عن برنامجه

وكالة فرانس برس، وكالة رويترز : ٢٠١٨/١٢/١١

في أول خطاب له منذ بداية حراك السترات الصفراء، وبعد طول انتظار، خرج الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون عن صمته ليعترف بأنه يتفهم غضب الفرنسيين وبأن ١٨ شهرا من الحكم لم تستطع الإجابة عن معاناة يعيشها الفرنسيون منذ نحو ٤٠ عاما.

وأدان ماكرون أعمال العنف التي شابت المظاهرات الأخيرة وتوعد بمحاسبة مرتكبيها.

وقد كشف الرئيس الفرنسي في خطابه عن سلسلة إجراءات تهدف للتخفيف من وطأة الغضب الشعبي منها مثلا إلغاء الضريبة عن الساعات الإضافية في محاولة لرفع القدرة الشرائية لدى الفرنسيين كما أعلن أيضا إلغاء الزيادة الأخيرة على ضرائب التأمين الاجتماعي لأرباب المعاشات الذين يتقاضون أقل من ألفي يورو.

وقال ماكرون في كلمته التي بثت خلال وقت ذروة المشاهدة "نريد فرنسا يعيش فيها المرء بكرامة من خلال عمله، وقد سرنا في هذا السبيل ببطء أكثر من اللازم. أطلب من الحكومة والبرلمان القيام بما هو ضروري".

وجاءت كلمة ماكرون بعد ٤٨ ساعة من وقوع اشتباكات في الشوارع بين المحتجين والشرطة في باريس وقيام المحتجين بإطلاق مقذوفات وحرق سيارات ونهب متاجر.

ويواجه ماكرون مهمة صعبة وهي إقناع الطبقة المتوسطة والعمال بأنه يستمع إلى غضبهم بشأن الضغوط على النفقات الأسرية مع حرصه في الوقت نفسه على تفادي اتهامه بالخضوع لسياسة احتجاجات الشوارع.

وقال الرئيس الفرنسي إن الحد الأدنى للأجور سيزيد ١٠٠ يورو شهريا ابتداء من ٢٠١٩ دون تكاليف إضافية على أصحاب العمل.

في نفس الوقت أكد ماكرون أنه سيلتزم بأجندته الإصلاحية ورفض إعادة فرض ضريبة على الثروة.

وقال ماكرون "سنرد على الوضع الاقتصادي والاجتماعي الملح بإجراءات قوية من خلال خفض الضرائب بشكل أسرع ومن خلال استمرار السيطرة على إنفاقنا ولكن دون التراجع عن سياستنا".

هذا وقد كشف وزير فرنسي أن الإجراءات التي اتخذها الرئيس ستكلف الخزينة ما بين ٨ و١٠ مليارات يورو. أما المفوضية الأوروبية فقد أعلنت أنها ستدرس الإجراءات المعلن عنها في فرنسا وآثارها على الميزانية.

"السترات الصفراء" غير قانعين

هذا ويبدو أن بعض المحتجين من "السترات الصفراء" في شمال فرنسا غير مقتنعين بالإجراءات التي أعلنها الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في خطابه المتلفز يوم الإثنين ١٠ ديسمبر - كانون الأول، والذي ظهر من خلاله محاولا تخفيف الأزمة التي تعصف بالبلاد.

في مدينة غايون، شمال غرب باريس، قام المتظاهرون بإيقاف حركة المرور عند دوار استراتيجي خلال الـ ٢٦ يوما الماضية. وفي غرفة المعيشة مساء يوم الاثنين اجتمع ثمانية منهم لمشاهدة خطاب الرئيس الفرنسي المسجل.

من جهته قال البنك المركزي الفرنسي يوم الاثنين إن الاحتجاجات التي تعصف بالبلاد ستبطئ النمو لما يقرب من الصفر في الربع الأخير من العام مما يعقد مهمة الرئيس إيمانويل ماكرون للتوصل إلى تنازلات لتهدئة حركة (السترات الصفراء).

وتوقع البنك المركزي يوم الاثنين أن يحقق اقتصاد فرنسا، ثاني أكبر اقتصاد بمنطقة اليورو، نمواً بنسبة ٠,٢ بالمائة فقط في الربع الرابع انخفاضاً من تقديرات سابقة نسبتها ٠,٤ بالمائة.

وأحجم وزير المالية برونو لو مير عن الإفصاح عن تقدير للنمو المتوقع لعام ٢٠١٨ لكنه توقع أن تتسبب موجة الاضطرابات في خفض الناتج القومي بمقدار ٠,١ نقطة مئوية. وتوقع نائبه تحقيق نمو "بما يقرب من ١,٥ بالمائة".

وسيثير التباطؤ قلق ماكرون الذي يواجه ضغوطاً هائلة لاتخاذ قرارات خفض جديدة للضرائب وتكاليف الضمان الاجتماعي حتى تزيد القوة الشرائية للأسر مع إبقاء عجز الميزانية أقل من السقف المسموح به في الاتحاد الأوروبي.

واستخدمت الشرطة الغاز المسيل للدموع ومدافع المياه والخيول في وجه المحتجين الذين رشقوها بالمقذوفات وأحرقوا سيارات ونهبوا متاجر لكنها واجهت عنفاً أقل مما حدث السبت الماضي عندما شهدت العاصمة أسوأ أعمال عنف منذ انتفاضة طلابية عام ١٩٦٨.

وفي مؤشر على زيادة مخاطر حيازة الدين الفرنسي، ارتفعت عائدات سندات الحكومة الفرنسية يوم الاثنين مما أدى لاتساع الفجوة بين عائدات السندات الفرنسية والألمانية لأجل عشر سنوات إلى أكبر معدل منذ مايو أيار إذ بلغ حوالي ٤٦ نقطة أساس في التعاملات المبكرة.

وسيلتقي ماكرون بزعماء النقابات واتحادات العاملين يوم الاثنين قبل أن يلقي خطاباً للأمم في المساء. ويواجه ماكرون انتقادات لالتزامه الصمت إزاء العنف في باريس كما يتهمه معارضوه بتحويل قصر الإليزيه إلى خندق. ويأمل الوزراء في أن يهدئ خطاب ماكرون محتجي (السترات الصفراء) الذين يمثل تمردهم أقوى تحد أمام ماكرون منذ توليه السلطة قبل ١٨ شهراً.

وقال لو مير لمحطة (آر.تي.إل) "بلادنا منقسمة بشدة.. بين من يرون أن العولمة أفادتهم ومن يواجهون مشاكل لتدبير نفقات المعيشة ويقولون... العولمة ليست فرصة بل تهديداً... دور الرئيس هو أن يوحد البلاد".

وفي ضوء عجز الميزانية وعدم الرغبة في تجاوز قواعد الاتحاد الأوروبي، لن يبقى هناك مجال كبير أمام ماكرون لتلبية طلبات المحتجين برفع الحد الأدنى للأجور وخفض الضرائب وخفض أسعار الطاقة وتحسين ظروف التقاعد.

وتشير أحدث تقديرات للحكومة إلى عجز في الميزانية نسبته ٢,٨ بالمائة في ٢٠١٩ أي أقل بقليل من السقف الذي يسمح به الاتحاد الأوروبي وهو ثلاثة بالمائة.

الربيع الفرنسي

*عبد المنعم سعيد

"المصري اليوم" ٢٠١٨/١٢/١١

«الربيع» هنا ليس له علاقة بفصول السنة الأربعة، ولكنه تعبير عن خروج الناس إلى الشوارع للاحتجاج على أمر ما، وعندما جاءت «الثورات» إلى تونس ومصر وغيرها من الدول العربية بين عامي ٢٠١٠ و٢٠١١ سُميت «الربيع العربي». وكان في الأمر استعادة لنفس النوعية من الخروج في صيف عام ١٩٦٨ عندما خرجت الجماهير في «براغ» احتجاجاً على الحكم الشيوعي والهيمنة السوفيتية.

أيامها انتهت القصة كلها بدخول الدبابات الروسية إلى العاصمة التشيكية، وأصبح «ربيع براغ» دامياً كما حدث فيما بعد لربيع العرب الذين انتهت قصتهم بالتطرف الديني والإطاحة بنظم سياسية والحرب الأهلية.

كل أنواع الربيع من هذه النوعية لم تنتج زهرة، ولم تطلق عطراً، ولم تأت منها نسمة هواء عليل، وإنما كانت النتيجة مئات الألوف من القتلى، وملايين من الجرحى، وملايين أكثر منهم من اللاجئين والنازحين تركوا وراءهم مدناً مدمرة وآثار حضارات محروقة. اليوم خرجت، وفي فرنسا هذه المرة، عشرات الألوف من الفرنسيين للاحتجاج خلال الأسابيع الماضية، رافضة فرض ضرائب على الوقود، أو لتدهور أحوال العاملين في سيارات الإسعاف. وكما هو الحال في الربيع المحمل بعواصف رملية وخماسين ساخنة، جاءت مع الخروج اشتباكات مع الشرطة، وحرائق في السيارات الخاصة والعامة، وتخريب في «قوس النصر» الشهير. في الحالة العربية وصلت شهرة «ميدان التحرير» إلى عنان السماء، أما في الحالة الفرنسية فقد جاءت الشهرة السلبية إلى شارع «الشانزليزيه». ما جمع الجميع في كل الميادين والشوارع كان الخروج الجماهيري الكثيف، والاحتجاج، والحشد عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي، وغياب القيادة، ومعها الهدف والسياسة.

التفسير الشائع للربيع العربي كان ذيوع الاستبداد وغياب الأمن وغياب الديمقراطية وعنف الإخوان وتوابعهم وتخريف الحياة السياسية، ولكن في فرنسا جاء الخروج الشعبي في حضور الديمقراطية والليبرالية ورئيس شاب منتخب - ماكرون - استخدم الآليات المنتخبة لكي يقرر سياسات مالية ونقدية.

الفرضية التي قام عليها «الربيع الفرنسي» أن يحل الشارع مكان المؤسسات من برلمانات وأحزاب وجهاز حكومي في تقرير السياسات العامة. التفسير جاء أن فرنسا بلد قلق، ففيه جرت أعنف الثورات في التاريخ، فكانت الثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر، وثورة «كميونة باريس» في منتصف القرن التاسع عشر، وبعدها حتى منتصف القرن العشرين تقلبت خمسة أنواع من الجمهوريات، ونجحت «حركة الطلبة» في عام ١٩٦٨ في الإطاحة بديجول، بطل فرنسا في الحرب العالمية الثانية، قائد الجمهورية الخامسة. التفسير الأكثر شيوعاً هو حدوث أزمة في الديمقراطيات الغربية، والتراجع في الحالة الليبرالية في الدول المتقدمة. انسدت أدوات التواصل بين الساسة والشعب، ولم تصل مؤسسات التدبير والتقرير إلى نتيجة، ومن كثرة الإعلام لم يعد في الأمر حوار، ولا تواصل اجتماعي، وإنما أنواع مختلفة من الضجيج الذي يحتاج إلى ضجيج آخر أعلى صوتاً وأكثر عدوانية. المسألة ليست فرنسية فقط، وإنما جرت في بلدان غربية كثيرة، الفارق أنها أخذت أشكالاً متعددة من الحماسة، فكانت الخروج البريطاني من الاتحاد الأوروبي، وجاءت بحكومات يمينية في بولندا والمجر، وأحضرت أحزاباً شبه فاشية بقوة إلى برلمانات ألمانيا وهولندا وإيطاليا وحتى السويد، أما في الولايات المتحدة فقد وصل دونالد ترامب إلى البيت الأبيض. الفارق في فرنسا أن الحالة جاءت بارتفاع أسهم الجبهة الوطنية على اليمين، أما الربيع الأخير الذي جاء مع مطلع الشتاء فقد أخذ المسألة كلها إلى اليسار!

الصورة هكذا مغايرة تماماً لما كانت عليه الأحوال الغربية مع مطلع القرن الجديد عندما كانت الديمقراطية الليبرالية الغربية ممثلة لنهاية متعجلة للتاريخ، بل إنها باتت مقياس الحكم على دول العالم، ومسار الانتقال المأمون للسلطة والثروة والإبداع. «ربيع باريس» ربما يكون شهادة جديدة على أن التاريخ لا يسير أبداً في خطوط مستقيمة، وإنما هناك دائماً طرق متعرجة ومطبات حقيقية وصناعية وهوائية من كل الأنواع. «العولمة» الغربية تتعرض للاختبار على كل الجبهات، وبصفتها متعددة الأشكال، والأرجح أنها حالة لن تستقر في المستقبل القريب حتى تتماشى التطورات التكنولوجية والصناعية مع القيم والمؤسسات السياسية. ربيع فرنسا ربما سوف يمر بطريقة أو أخرى، ومع كل ارتفاع في درجة العنف فإنها سوف تحتوي على عزلة لشباب المتظاهرين والمخربين، تصحبها اندفاعاً نحو اليمين المطالب بالأمن والنظام، وتبقى جماعات مبعثرة تجد في الإرهاب ملاذاً ومأوى. ربيع الفصول ربما لن يأتي قريباً!

*كاتب ومفكر مصري

"السترات الصفراء" بين الشعب والمؤسسة

*راقب شعبو

العربي الجديد: ٢٠١٨/١٢/١١

كتبت امرأة فرنسية تعمل في مجال التجميل، في مايو/ أيار هذا العام (٢٠١٨) نداء على الإنترنت، تطالب فيه بخفض سعر المحروقات، بعد أن حلت السعر، وبيّنت أن أكثر من نصف المبلغ هو إضافة من الدولة (taxes) إلى السعر. بعد شهر، أصبح هذا النداء ثاني أكثر النداءات توقيماً على موقع (change.org)، حين نشره سائقو الشاحنات الفرنسيون في احتجاجهم على زيادات إضافية على أسعار المحروقات، كان مقرراً لها أن تفرض مع بداية العام المقبل، لخدمة برنامج التحول البيئي الذي تعتمده الحكومة الفرنسية، ويتطلب التخفيف من استخدام الوقود الأحفوري. شكل ذلك النداء نقطة انطلاق حركة السترات الصفراء الشعبية، فقد جعل الموقعون عليه أنفسهم مرئيين بالنزول إلى ميدان الفعل، عبر ما سميت عمليات الحزلون، أي إقامة الحواجز وإعاقة الحركة على الطرقات السريعة في فرنسا، لتصبح الحركة بسرعة الحزلون، بغرض لفت النظر إلى مطالبهم التي لا تقتصر على خفض أسعار الوقود، بل تشمل أيضاً القدرة الشرائية والعدالة الاجتماعية بمعنى واسع.

كشف المسار الذي اختطه الرئيس إيمانويل ماكرون، منذ البداية، انحيازاً لصالح الأقوياء في المجتمع، حين أقر قانون عمل يتساهل مع "الباترونات"، لكي يشجع هؤلاء على توفير فرص عمل. وحين لم ينخفض عدد العاطلين من العمل، أنحى باللائمة على العاطلين أنفسهم. ثم ألغى الضريبة على الثروة غير العقارية، لكي لا تهرب الرساميل إلى "الجنات الضريبية" خارج فرنسا، ما جعل الفرنسيين يلقبونه رئيس الأغنياء أو رئيس الأثرياء جداً، الصفة التي تكتسب قوة زائدة لأنها جاءت على لسان سلفه فرانسوا هولاند الذي يوصف أصلاً بأنه اشتراكي خائن.

لم تكن قضية أسعار المحروقات، إذن، سوى شرارة غضبٍ متراكمٍ لدى الناس الذين اختاروا ماكرون في ربيع ٢٠١٧، يأساً من الأحزاب المكرّسة بوصفه شاباً يدخل المشهد السياسي من خارج هذه الأحزاب، وعلى الضد منها، حتى أنه أسس، في غضون أشهر قليلة، حركة الجمهورية إلى الأمام على أنها حزبٌ ضد الحزب، وحصد غالبية مقاعد الجمعية الوطنية، على الرغم من حداثة عهده، فأدخل إلى المشهد السياسي الفرنسي وجوهاً جديدة وشابة، تبحث لفرنسا عن طريق أرحب خارج قنوات الأحزاب المكرّسة.

غير أن المؤسسة سرعان ما امتصت إلى آلياتها حزب ماكرون الذي يجد نفسه اليوم مرفوضاً للسبب نفسه الذي جعله مقبولاً في البداية: النزوع المضاد للمؤسسة والأمل بطريق مبتكر، يتجاوز ثقلها ونفوذها الضعيف. هنا يمكن البحث عن مكنم غيظ السترات الصفراء، وهذا ما يعطي حركتهم طعماً فوضوياً "أناركياً"، فالاحتجاج على "قساوة" المؤسسة وصممها تجاه الشارع قابل للتجدد، وصولاً إلى رفض المؤسسة نفسها، وما ينطوي عليه هذا من طاقة عنفوية لم تكن خافية في الحركات الثلاث لأصحاب السترات الصفراء، سيما الأخيرة منها (يوم السبت ٢ ديسمبر/ كانون الأول الجاري)، التي تسببت بأضرار مادية، تصل قيمتها التقديرية من ثلاثة إلى أربعة ملايين يورو.

حدث في باريس عنف وتخريب تسبب بهما مخربون (casseurs) ينأى أصحاب السترات الصفراء بأنفسهم عنهم، ولكن شارك في التخريب أيضاً أصحاب سترات صفر غاضبون. في مثل هذه الحالات، يتم رفع لحظة العنف من سياقها، والنظر إليها فعلاً جرمياً لا سياسياً. هذا منطق السلطات، أينما كانت، في مواجهة الحراك الشعبي. حتى في فرنسا الديمقراطية التي تسمح بظهور المحتجين على التلفزيونات، ويأخذون المساحة الكافية لعرض أفكارهم، والمحاكمة ضد سياسات الحكومة (وليس لإعلان التوبة وحمد السلطة كما هو الحال لدينا)، تجد الذين يتحدثون باسم الحكومة يستهلون حديثهم بتحية رجال الأمن، والتأسف على إصابتهم، وكأن مصابي المتظاهرين غرباء، وتجد الرئيس يتجه مع وزير داخلته إلى مصافحة رجال الأمن، وكأن المتظاهرين أعداء (ولكن لا يصل الأمر إلى تفسير الوضع

بالإحالة إلى مؤامرة كما الحال عندنا دائماً). إذا كان في كل حركة شعبية جينات أناركية، فإن في كل سلطة جينات تقديس المؤسسة، وهذه الجينات في تغذية متبادلة.

تكشف المطالب التي يقدمها أصحاب السترات الصفراء عن عمق الاحتجاج الذي يضح به عمال فرنسا ومتقاعدوها وفقراؤها أو من يُنسبون إلى "فرنسا الأخرى". المطلب الأول، من ٤٢ مطلباً، يكشف جذرية المحتجين وهويتهم الاقتصادية/ الاجتماعية: صفر مشردين. ويضيفون بجوار هذا الطلب كلمة (عاجل).

لا يمكن ألا يعجب المراقب بهذا الحضور وهذه الفاعلية الشعبية التي تمثلها حركة السترات الصفراء في فرنسا. ليست الانتخابات نهاية المشاركة السياسية، ليست محطة يكون فيها الناخبون ذاتاً سياسية، ثم يتحولون إلى موضوع سلبي لسياسة المُنتخبين. حتى الأحزاب المعارضة ليست قنوات قدرية للتعبير عن السخط وعدم الرضى الشعبي، أي ليس سخط الناس وعدم رضاهم مادة خام للاستثمار السياسي من الأحزاب المعارضة. يخرج الشعب الفرنسي عن الأطر، ويتكلم من خارجها، عبر ممثلين ذاتيين يتكلمون بقوة كفاءتهم والتزامهم بالآخرين. ربما كان الفرنسيون من أكثر الشعوب التي تروي حكاية الصراع الذي لا ينتهي بين الشعب والمؤسسة، والتي تتحسس قصورات الديمقراطية، وتلامس حدودها وتضيق بها، وصولاً إلى البحث عن حلول ولو في نقيضها: "الحكم العسكري"، كما طالب بعض عناصر السترات الصفراء.

مشكلة الحكومة الفرنسية اليوم أن العناد الذي أبدته، منذ بداية الاحتجاجات في ١٧ نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي، وهو غرور غذاه نجاح الحكومة في تحدي حركتين احتجاجيتين كبيرتين من قبل، هما حركة الاحتجاج ضد تعديل قانون العمل، وحركة إضرابات عمال السكك الحديدية، أوصل الحكومة الفرنسية أمام الحركة الصفراء إلى مأزقٍ باتت فيه غير قادرة على الاستمرار في مسارها السابق، وغير قادرة على إقناع الحراك بالتعديلات الطفيفة التي أعلنها رئيس الحكومة، إدوار فيليب، أخيراً. وتعلم الحكومة أن تقديم تراجع كبير لاحتواء الحراك سوف يقود إلى إضعافها أو حتى سقوطها، لأنه يسقط المشروع الذي شكلت على أساسه.

التعالي الرئاسي والعناد الحكومي الذي راهن على الخفوت الذاتي للحركة بفعل الإهمال، على غرار ما فعلت مع حركتي الاحتجاج السابقتين، يدلان على ضعف في التمييز بين حركة الإطارات المؤسسة (أحزاب ونقابات) والحركة الشعبية (grassroot)، الأمر الذي أدى إلى مزيدٍ من التجذر في الحركة. من حركةٍ إلى أخرى من حركات السبوت الثلاث (١٧، ٢٤ نوفمبر/ تشرين الثاني، ٢ ديسمبر/ كانون الأول) تراجعت أعداد المشاركين، ولكن مع حصول اصطفاء "طبيعي" لصالح العناصر الأكثر جذريةً مع تجذر العناصر المعتدلة في الحركة التي تحظى بدعم أكثر من ٧٠٪ من الشعب الفرنسي حسب الاستطلاعات. لم يعد من السهل التوصل إلى تسوية تحفظ ماء وجه حكومة ماكرون. فبعد ثلاثة أسابيع من الصمم الحكومي، وصل الأمر إلى أن يرفض قسم مهم من الحراك الأصفر الحوار مع الحكومة على حلول وسط، تحت طائلة التهديد بقتل المحاورين.

أما مشكلة الحركة الصفراء اليوم فهي التوتر بين الشعبية والتأطير، بين الطاقة الحرة والمؤسسة. سوف تجد الحركة نفسها مجبرةً على الدخول في الأطر، وانتخاب ممثلين وتحويلهم، أي مجبرة على إيجاد "مؤسستها"، وهذا تحول لن يكون سهلاً على الحركة، وسيكون، إذا ما نجحت الحركة في إنجازها، بداية لخط انقسام وصراع جديد داخل الحركة نفسها بين "مؤسستها" و"شعبها". هذا قانون كل الحركات الشعبية إلى اليوم، ولا يبدو أن التاريخ يحمل له حلاً في المدى المنظور.

يؤكد الشعب الفرنسي مراراً أنه ينطوي على طاقةٍ ثورية متجددة وعنيفة، لم ينس أصحاب السترات الصفراء أن يذكروا الحكام بها: "لقد قطعنا رؤوساً لأسباب أقل من هذه".

فرنسا وأزمة الديمقراطية

*عبدالرحمن الراشد

صحيفة (الشرق الاوسط) : ٢٠١٨/١٢/١١

الحرائق، والنهب، والتخريب، والمواجهات بين الشرطة والمتظاهرين منذ نحو أسبوعين في فرنسا ليست طارئة رغم توفر وسائل الاحتكام المشروعة السلمية في النظم الديمقراطية، بما فيها تغيير الحكومة. لكنها لم تقنع آلاف المتظاهرين! في فرنسا يلومون الروس بأنهم خلف هجمة حسابات مزيفة تحريضية كبرى دفعت الغاضبين إلى الشارع، ويطالبون الرئيس الأمريكي دونالد ترمب بأن يكف عن التأثير على الرأي العام الفرنسي، لأنه سارع إلى انتقاد ماكرون وحكومته ولومها.

فهل تسلسل الروس حقاً إلى عقول الشباب الفرنسي؟ كما سبق أن اتهموا بالتدخل في انتخابات أوروبية، وكذلك الأمريكية؟ وهل يعقل أن لترمب كل هذا التأثير؟

حتى من دون نظرية المؤامرة الإلكترونية فإن الفوضى تتعارض مع القيم المرتبطة بالممارسة الديمقراطية. فهي تنقض مفهوم أن صندوق الانتخاب هو الحكم بين الناس، وعلى أساسه يُنصَّب الرئيس وحكومته برغبة الأغلبية. وتتجاوز على مبدأ أن ممثلي الشعب في البرلمان هم من يعبرون عنه. وبالطبع تتناقض مع ضوابط حرية التعبير التي تكفل حق التظاهر السلمي فقط وترفض إملاء المواقف بالقوة.

فرنسا هي بلد الثورات، وها هو الشارع يعيد الجدل حول مفهوم حكم الأغلبية، عمود نظام الحكم الغربي. وتتصاعد انتفاضة باريس مع معركة أخرى "التصويت على «بريكست» داخل البرلمان الأقدم في العالم، ويستمنستر. فقد صوتت أغلبية البريطانيين على الخروج من الاتحاد الأوروبي إلا أن معظم السياسيين هناك يخشون أن الالتزام بنتيجة الاستفتاء الشعبي سيضر بالمصالح العليا وبمستقبل بريطانيا، ومع ذلك تبقى الكلمة هي كلمة الناس، فالأغلبية تريد مغادرة الاتحاد.

ووفق أن أغلبية الناخبين تقرر من يحكم، فإن إيمانويل ماكرون فاز بالرئاسة الفرنسية بأصوات ٦٦ في المائة من الشعب لكن نحو مائة ألف شخص من متظاهري السترات الصفراء أجبروه على نقض قراراته، ونجحوا. تراجع عن رفع أسعار المحروقات وتراجع عن الضريبة، ومع هذا استمرت الفوضى. الأمر نفسه تقريباً واجهته مارغريت ثاتشر، رئيسة وزراء بريطانيا السابقة، عندما فرضت ضريبة السكن فامتلات شوارع لندن بالمتظاهرين احتجاجاً. حينها قالت: «الانتخاب مرة وليس كل يوم. لقد انتخبوني لأقرر». مع هذا أخرجوها من دار رئاسة الحكومة قبل أن تكمل فترتها في الحكم. أما النظام في الولايات المتحدة فهو رئاسي، الرئيس فيه أقل عرضة للزلزال، ولا يعزل إلا في حال ارتكب مخالفات دستورية أو جنایات يعاقب عليها القانون.

لقد سارت الديمقراطية مسافة طويلة وجرت تحسينات عليها، كنظرية قديمة أدخل عليها المشرعون الكثير من التعديلات حتى تنفي عن نفسها تهمة ديكتاتورية الأغلبية. ما هي حقوق الفئات الأضعف في المجتمع؟ الكثير من التشريعات التي استحدثت تناقض ديمقراطية الصندوق الانتخابي ومفهوم حكم الأغلبية، مثل فرض حقوق المرأة، والأقليات العرقية والدينية، من أجل حمايتهم من تسلط الأغلبية الحاكمة.

واليوم تواجه إشكالاتاً جديداً، فالرأي العام لم يعد حقاً رأي عامة الناس، بل يمكن أن يوجه من قبل أطراف تريد تغيير قواعد اللعبة، مثل قوى أجنبية. وكذلك أي أقلية غاضبة تعتقد أن الحل في الشارع، تستطيع قلب المعادلة وإفشال قرارات «حاكم» الأغلبية.

وكان كثيراً ما تحاضر الدول الديمقراطية الكبيرة على الدول الصغيرة أو النامية، ذات الإمكانيات أو التجارب المحدودة، لماذا لا تتركوا النوافذ مفتوحة لكل الآراء والتيارات. اليوم هذه المجتمعات الكبرى العريقة، نفسها، لم تعد تحتمل ترك وسائل التواصل الاجتماعي مفتوحة للأفكار الخارجية، ومنذ نهاية الانتخابات الأمريكية قبل عامين وحتى اليوم التشكيك مستمر في المؤثرات الخارجية، وفي النتائج، أيضاً. لقد أصبحت اللعبة الديمقراطية المنفتحة مكلفة سياسياً.

ماكرون ومستقبل العرب!

*إيهاب شوقي

آفاق: ٢٠١٨/١٢/١١

الصعود السريع للرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون بفرنسا وقفزه المظلي على الساحة السياسية، فتح أبواب التحليلات المستندة على المؤامرة، ولا سيما بعد تدرجه السريع وعمله ببنك روتشيلد، وبزوغ حركة مساندة له قوامها صغار السن، ومن كافة الأطياف وممثلة باليمين واليسار والجامع الوحيد بينهم هو احترام العولمة ورفض النزعة السيادية السلطوية.

ورغم أن للمؤامرة دوما وجاقتها المنبثقة عن حقائق تاريخية، الا أن الظروف الموضوعية تتطابق أحيانا مع المؤامرة ليصعب الفصل بين كون الحدث نتاج طبيعي لمحصلة الاوضاع والتراكمات، وكونه نتاجا بحتا لمؤامرة.

فرنسا كمجتمع أوروبي يعيش أزمة تناقض بين قوميات ترسخت في وجدان الشعوب، وعولمة طغت على هذا الوجدان، واصطحبت معها أوضاعا اقتصادية عمقت من الاستياء وحولت الحنين القومي الى غضب اقتصادي واجتماعي.

وفرنسا، تحديداً التي كان للحزب الاشتراكي بها تناوب على السلطة، فقدت بريقها الاشتراكي بعد أن انضمت للاتحاد الأوروبي، وأصبح احترام العولمة فرضا عليها، وكذلك بعد تداعيات العولمة والتي نقلت المراكز الصناعية للخارج لدى البلدان ذات العمالة الكثيفة والرخيصة، مما جعل قضايا العمال وحقوقهم تتراجع لصالح قضايا أخرى مثل الحريات والمثلية وقضايا تتقاطع بين اليمين واليسار، مما ضيق الفجوة بين التيارات وسمح بوجود جبهات جامعة لليمين واليسار بداخلها، مثل حركة (اون مارشي) او (سائرون الى الامام) والتي شكلت رافعة لماكرون الى الرئاسة.

ربما تصور الشعب الفرنسي أن هذه الحركة وماكرون سيشكلان مخرجا من التناقض بين العولمة والقومية، ولكن فوجئ الفرنسيون بأن ماكرون وتوجهه، سيقودان لنفس مصير اليمين بقيادة ساركوزي واليسار بقيادة هولاند، وان المصائر متشابهة، فنبتت حركة (السترات الصفراء) وهي حركة ايضا مشكلة من اليمين واليسار كرد فعل على هذا التناقض الجديد.

الحالة الفرنسية ليست فريدة، ففي ألمانيا صعود لليمين مع ذات التناقضات، وكذلك إيطاليا فيها تحالف جبهوي يميني يساري، وهناك توجه قوي لمغادرة العولمة الممثلة في الاتحاد الاوروبي الذي أصبح بمثابة لوحة التنشئين على العولمة داخل أوروبا، والخروج البريطاني كان مصداقا عمليا لهذا التناقض الأزلي.

الولايات المتحدة رائدة العولمة، هي الأخرى تعاني من تداعياتها، وترامب يقود حملة كبيرة على مؤسسات العولمة، ولا تكبح جماحه سوى قوى الضغط العولمية داخل أمريكا، ولكن الحالة الأمريكية فريدة

ولا تصلح للقياس، لأنها تحارب العولمة وتتبنها وفقاً للمصلحة وفقاً للتوازن، وقد كانت حروب ريغان على اليابان مشابهة لحروب ترامب على الصين، لكن ربما الوضع الراهن يختلف لأن الصين تختلف عن اليابان في حجم الانتشار والتوسع. وتظل الحالة الأمريكية غير صالحة لقياس مستقبل العولمة بسبب نهجها الانتقائي وفقاً للمصلحة.

الأنظار موجهة الآن لمنطقتنا والتي تشكل أسواقاً للعولمة، والتي لا تستفيد شعوبها شيئاً منها عبر حرية التنقل والعمل، وخاصة بعد صعود اليمين المناهض للهجرة، وبعد تفتيت البنى التحتية الصناعية وافتراس مؤسسات العولمة لكل فرص العمل المتاحة، وبعض التطورات التكنولوجية التي قللت من العمالة البشرية بشكل عام.

ما هو مستقبل شعوب المنطقة، خاصة أنها لا تمتلك لوحة تنشين مثل الاتحاد الأوروبي على سبيل المثال لتوجه غضبها ضده؟

هل ستوجه غضبها تجاه مؤسسات العولمة وهي دائرة واسعة سائلة ومنتشرة أم ستتجه إلى وكلاء العولمة من الأنظمة الحاكمة الخاضعة لمؤسساتها؟

في الحالة الأوروبية خرجت التظاهرات لمناهضة العولمة، وصعدت التيارات المناهضة لها، وحققت نتائج انتخابية معبرة عن الغضب، فتوزع الغضب بمجار خفت حدته، واحتدت الأمور بفرنسا على النحو الذي نراه، لأن البديل المنقذ الذي توسمه الفرنسيون أصبح أمامهم وهماً وسراباً، فتوجه الغضب ضده مباشرة. أما في الحالة العربية، فلا توجد مجار لتفريغ الغضب، ومنافذ السياسة مسدودة، والقوى السياسية تم اضعافها والحيولة دون تكتلها، كما تنامت تيارات ليبرالية داخل اليمين واليسار حالت دون بروز الشكل (الكينزي) للراسمالية والذي يسمح بدور للدول في المساعدة على النمو، كما حالت دون بروز الشكل الراديكالي للييسار، فحوت التيارات لمسوحات.

لم يبق أمام الشعوب إلا جولة أخرى من العنف ضد وكلاء العولمة الممثلة في الأنظمة.

ربما ما يؤجل هذه الجولة، افتقاد البديل العملي، وربما الذاكرة القريبة التي امتلأت بالاحباط نتيجة الجولة الفاشلة من الثورات والتي تم التحايل عليها، وكذلك اختلاط الثورات المستحقة بثورات ملونة ومؤامرات واضحة، مما أنتج وضعاً كارثياً أعطى للاستسلام وجهة في مقابل محاولة التغيير! لكن درس التاريخ هو انتقال عدوى الغضب، كما أن درس الطبيعة هو الانفجار في غياب أية مجار للتنفيس.

وإذا اجتمع الغضب وما يصاحبه من افتقاد البدائل مع أوضاع اقليمية ودولية ترغب في حل أزمته، فإن شريعة الغاب وعودة الاستعمار التقليدي هي المستقبل القريب جداً.

الفكرة ونقيضها.. من أجل أن نتقدم!

*تركي الدخيل

صحيفة (الشرق الاوسط) : ٢٠١٨/١٢/١١

«أنتم تخلطون بين الحقيقة والرأي»، تلك هي الجملة الأكثر اعتياداً سماعها لدى زملاء المهنة ومديري التحرير والمقيمين دائماً في غرفة الأخبار، بطبيعة الحال ترافقها نبرة عتاب لا يمكن للعاقل نسيانها أو تجاهلها، تعود للبيت فتسألك زوجتك - إن كنت إعلامياً - عن رأيك في الخبر الذي كان قبل ساعة على الشاشة متأثرة باتصال صديقة أو بتعليق قرأته هنا أو هناك، تستجمع قواك لتعيد ذات الجواب الذي قلته اليوم مرتين وبالأمس ثلاثاً، وستحاول قوله بطريقة جديدة غداً.

أعود للتعلم من أطفالي دائماً - وهم أطفال ولو جاوزوا العشرين عند آبائهم - خاصة عندما أجلس وحدي متأماً في فكرة استصعب علي حلها، أعود لحوار قديم أو سؤال مرّ أمامي مرة أو حتى لقصة قديمة رووها لي بطريقتهم التي لا أملها.

كانت ابنتي، في فريق الحوار المدرسي، وكانت الأستاذة ذكية بما فيه الكفاية لتطلب من الفريقين أن يتناقشا بشكل واضح عن أزمة تشريعية في المدينة التي يدرسون بها، فلم تكن الولاية بعد قد شرعت إعطاء التصاريح لفتح محلات القمار في المدينة التي ضربها ركود اقتصادي، كانت الأستاذة نبيهة لتعرف أن الأميرة الصغيرة مسلمة، لا تهتم بهذا مواضيع، ولكنه كان تدريباً لطيفاً على إفحام الخصم بالحقائق والحجج قبل الانتقال إلى اللمسة الشخصية التي سنسميها الرأي لاحقاً.

أقبلت على الصغيرة بكل اهتمام وسألتها يا ابنتي: ما هي المسافة بين الحقيقة والرأي؟ هل تنتظر الأستاذة منكم حقائق وأرقاماً، أو أنها تريد فعلاً اختبار قدرات فريقك أمام الفريق الآخر؟ أجابت طفلي (حينها) بأن المعلمة تنتظر رداً مدعماً بالأدلة ومن ثانياً الأدلة يمكن لي تبرير وجهة نظري الشخصية، ابتسمت وأخبرتها أنها على الطريق الصحيح، فالحقيقة أمر يمكن إثبات صحته أو عدم صحته لكل عاقل، ونحتاج للبراهين وأحياناً حتى للبديهيات لتوضيح الصورة التي نفترض غيابها عن ذهن الآخر.

قبل أن تعدي نقاطك الحوارية، ضعي نفسك مكان الخصم المخالف، توقعي كل النقاط الخمس التي سوف يستعملها ضدك، اكتبها واحدة واحدة، استعملي يدك الصغيرة لعدّها، وباليد الأخرى، احصري نقاطاً تقابل تلك التي اختارها للهجوم، في فن الحوار، عليك أن تكوني مستعدة لتفنيد حجة المقابل، وإن مال لها قلبك وعقلك الصغير. تجنبني الرأي الشخصي في الحوار، الذي سيكون ساخناً، يمكن للمشاهد والمتلقي أن يعرف مباشرة هوك وميلك لنقطة دون أخرى حين تستعملين مفردات متشابهة في كل اللغات، دعيني أحصرها كي تكتبها وترسلها للنسيان: أولها الأفضل وثانيها الأسوأ، يمكن تلطيف ذلك دائماً بأن تجعلي تفضيلك في الأخير مسبقاً بتأدب عالٍ مع المقابل، كأن تقولي: في نظري الشخصي، أو من واقع تجربتنا في الخليج العربي، أو حتى بمثال شخصي حصل معك أو مع واحدة من زميلاتك.

وفي الجزء الأخير، الذي تستميلين به عواطف الآخرين، فأنت تتبعين طريقة الفرنسي باسكال، حين يقول: «العقل لا يمكنه معرفة كل شيء، ولا يمكنه احتكار الحقيقة، هناك طرق أخرى تؤدي إلى الحقيقة منها القلب أو العواطف أو الوجدان».

ولا تنسى أن المدينة التي سيقام فيها الحوار، ليست مدينة سكانها من دين واحد أو خلفية واحدة، فالأرضية المشتركة بين سكان العالم هي الحقائق، ولا شيء غيرها، الناس يندهشون من الأرقام ويحبون الإحصائيات لأن العالم الجديد يحاول الهروب من مشاعر شخص قد يكون متأثراً بفكرة دينية أو مرجعية سياسية ويكثرون من الارتياح، لذا، ينفرون ممن يتحدث طويلاً، ويتلاعب بنبرات صوته، استجداء لخيال المشاهد، دون أن يدهش عقله أو يدغدغ قلبه، ولا يمكن لمحاوّر مهما أوتي من قوة أن يصل لحالة الدغدغة الشعورية من دون أن يضحك القلب ولا يضحك للقلب قبل الحقيقة. وما هي الحقيقة؟ هي تلك التي تبحثين عنها وما زلت في منتصف الأربعين أركض خلفها، ولأجلها يستيقظ الناس وتستمر الجدالات في المقاهي البعيدة.

ولست وحدي ولست أنت وحدك، فأفلاطون من قبل الميلاد شكك في عالم الحس والحدس داعياً الجميع إلى البحث بطريقة جديدة: «إن ما نراه ونعتقد ونظنه لا يمكن أن نشق به، والبحث عن الحقيقة يتطلب انقلاباً جذرياً ضد العادات والتقاليد، لا بد من التحرر من وهم وزيف عالم الحس والذهاب نحو الحقيقة العقلية الثابتة» أفلاطون (٣٤٧ ق.م - ٤٢٧ ق.م).

وكثيراً ما يحدث أن يتعارض العلم مع العقل، لذا يذهب العلماء إلى المختبرات يومياً وتذهب ملايين الدولارات على الأبحاث العلمية، يفترضون مشكلة ومن ثم يجربون قصورها حتى يكتمل الشك فتبدأ الرحلة، رحلة الإثبات التي ستعلمني وتعلمك أن حصر نقاط القوة ونقاط الضعف والخلل في أي فكرة قبل الهجوم على صاحبها هي الطريقة الوحيدة للخروج من أي حوار مرفوعة الرأس.

أما ديكارت، فلديه منهجية التفكير المنظم التي تقف على أربع قواعد: الشك، التحليل، التركيب... ثم أخيراً، المراجعة، ويمكنك تطبيقها يومياً في كل حوار: فالمعلمة لم تأتِ بالمشكلة إلا بعد أن تشككت في نوايا المشرعين بالمدينة، وأنت حين بسطت يدك الصغيرة بالإيجابيات والسلبيات، وبدأت البحث، فأنت تمشين للخطوتين الثانية والثالثة، وحين يرتاح قلبك لما توصل إليه قلبك، فهنا يبدأ التركيب.

تجنبي آراءك وتصوراتك السابقة، ضعي نفسك مكان زميلك الذي لا يشبهك في شيء ولا يجمعكما غير هذه المسابقة، ابسطي يدك اليمنى بحججه التي سيقدمها، راقبي لغتك جيداً، وحين تفندين حقائقه قدمي البدائل مستعينة بالعقل وعينيك على قلب المتلقي، ذاك الذي يعرف جيداً المسافة بين الحقيقة المحمولة بالأدلة المنطقية، وبين الرأي الذي يبدأ بالأفضل والأسوأ، ورأيت جدتي وعلمي أبي.

في رحلة الحقيقة لهزيمة الرأي، ستكونين وحيدة إلا من أدواتك العقلية وطريقة الشك التي تهدينا كل هذه الاختراعات اليومية في كل الحقول.

الديموقراطية الليبرالية ومازق النموذج التمثيلي

*صلاح سالم

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/١٢/١١

تواجه الديموقراطية الليبرالية في نموذجها الأبرز (التمثيلي) ضغوطا كثيفة لم تواجهها منذ صاغ معالمها الأساسية الفيلسوف الإنكليزي جون لوك، منتصراً لثورة البرلمان على العرش الملكي والنبلاء الإقطاعيين، مؤكداً على حق التمثيل النيابي لجموع الشعب، وحق البرلمان في التشريع لجموع المواطنين. لقد مرت قرون ثلاثة وأربعة عشر عاماً على رحيل جون لوك (١٦٣٢-١٧٠٤)، تدفقت خلالها أربع موجات أساسية من الديموقراطية تجسد أولها في الثورتين الديموقراطيتين اللتين أسستا للنظام الجمهوري وهما: الأمريكية (١٧٧٦) والفرنسية (١٧٨٩)، وتمثلت الأخيرة في هجرة النظم السلطوية العالم ثالثة والأخرى الاشتراكية في شرق أوروبا إلى الديموقراطية الغربية في أعقاب نهاية الحرب الباردة وانهيار حائط برلين (١٩٨٩) ثم انهيار الاتحاد السوفياتي نفسه (١٩٩١)، وهي أوسع موجات الديموقراطية انتشاراً وأكثرها عمقاً، لأن تدفقها صاحب انهيار الأيديولوجية الأساسية المنافسة لها على حكم العالم طيلة قرن على الأقل، لعله الأهم في التاريخ الإنساني، ومن ثم ارتبطت بمقولات تبشيرية من قبيل الانتصار التاريخي أو التحول المفصلي، والتي بلغت ذروتها في مقولة نهاية التاريخ الأكثر دعائية.

اليوم، بعد ربع قرن بالتمام من تلك الموجة الانفجارية، بلغت الديموقراطية حداً من الإنهاك صار مثيراً للتفكير في مستقبلها، إذ لم تعد تلك الأيقونة التي ينظر إليها باعتبارها نهاية التاريخ، بل صارت تواجه أزمات في كل مكان تقريباً، وتتعرض لموجات شعبية ونزعات فوضوية حتى في قلب جغرافيتها التقليدية: أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية. ففي أوروبا تقف الأحزاب التقليدية سواء كانت يمينية أو اشتراكية ديموقراطية، والتي كانت تناوبت على الحكم طيلة العقود السبعة الماضية، عاجزة أمام خطر ذوبان وتبخر قواعدها الشعبية، وهي ظاهرة صاحبت التحول الفلسفي من فكر الحداثة إلى ما بعد الحداثة من ناحية، والتحول السوسيولوجي من المجتمع الصناعي إلى ما بعد الصناعي من ناحية ثانية، حيث أفضت الثورة التكنولوجية منذ عقد الثمانينات، والتي تسارع إيقاعها في مطالع القرن الحالي، خصوصاً مع بروز دور وسائط التواصل الاجتماعي، إلى تحولات في وسائل إنتاج المعلومات وتداولها على نحو يفضي إلى مزيد من ديموقراطية حركيتها، ولكنه يقلل من مصداقيتها، كونه يضعف آليات الرقابة عليها. فالكل صار منتجاً ومستهلكاً لها في الوقت نفسه.

في هذا السياق يمكن فهم الموجة اليمينية والنزعات المحافظة، التي سادت القارة الأوروبية أخيراً انطلاقاً من بريطانيا التي خرجت من الاتحاد الأوروبي، إلى فرنسا التي تبدي ميلاً متزايداً نحو اليمين السياسي سواء التقليدي أو القومي العنصري إلى درجة الخوف من مجيء الأخير إلى الحكم، الأمر الذي أتى بالرئيس ماكرون إلى سدة الرئاسة بقوة الخوف من وقوعه أكثر منه بقوة الأيديولوجية الراسخة أو الأحزاب التقليدية، بل عبر التمرد عليهما، والتصرف خارج ما يعرف بـ «المؤسسة». ثم إلى إيطاليا رفضاً لتعظيم دور الدولة الاقتصادي، ولسياسة الحكومة الاشتراكية هناك، وتبقى ألمانيا معرضة لمخاطر: صحيح أنها لم تقتلع السيدة ميركل من موقعها ولكنها ضيقت الخناق عليها بما قد يفضي إلى تغييرات كبيرة في سياساتها الأكثر ليبرالية وخصوصاً ما يتعلق باستقبال اللاجئين والتسامح مع التنوع الثقافي، وبعض من دور الدولة في الاقتصاد، وقدر من العدالة الاجتماعية.

يظل اعتقادنا الشخصي هو سلامة القيم الجوهرية التي تنهض عليها الديموقراطية، فما تمثله من غايات تحررية، وما تصبو إليه من رشد القرار السياسي، أو تسعى إليه من إدارة سلمية للتنوع الديني والقومي، إنما يبقى أهدافاً مشروعة: عقلانية وإنسانية. لكن، في المقابل، فإن جماع التحولات التاريخية المحيطة بها إنما تفضي إلى تغير في الطرائق التي تمارس من خلالها، وأعني في ذلك الشكل التمثيلي القائم على اختيار نواب عن الشعب، من خلال سباق حزبي، بما قد يفضي إلى أنواع جديدة من المشاركة المباشرة التي صارت تتيحها التكنولوجيا في هذا العصر على نحو لم يكن قائماً في الماضي القريب.

مقتبسات رئيسية من مقابلة رويترز مع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب

وكالة رويترز: ٢٠١٨/١٢/١٢

فيما يأتي مقتطفات من مقابلة رويترز مع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب يوم الثلاثاء..

*** فيما يتصل باحتمال ترحيل المسؤولية التنفيذية بشركة هواوي:**

”اعتقد أنني سأرغب في الحديث مع الصين. تحدثنا مع وزارة العدل. كما تعلمون ما حدث للشركة لم يكن جيدا، أعني فيما يتعلق بما فعلوه. هذه مشكلة كبيرة واجهناها بأشكال شتى مع العديد من الشركات من الصين ومن أنحاء أخرى. لذلك أريد معرفة ما تطلبه الصين. حتى الآن لم يتقدموا بهذا الطلب.“

*** بشأن ما إن كان سيتدخل في قضية هواوي:**

”سأفعل كل ما هو في صالح هذا البلد. إذا رأيت أن هذا في صالح البلد وإذا رأيت أنه سيفيد ما سيكون قطعاً أكبر اتفاق تجاري على الإطلاق، وهو أمر بالغ الأهمية، وإذا كان مفيداً للأمن القومي سأدخل بالتأكيد إذا رأيت الأمر ضرورياً.“

*** عن التجارة مع الصين:**

”إنهم يشترون كميات هائلة من فول الصويا. لقد عادوا إلى السوق... علمت اليوم أنهم يشترون كميات هائلة من فول الصويا. لقد بدأوا للتو.“

”ربما نجري اجتماعاً آخر وربما نعقد اجتماعاً لكبار المسؤولين من الجانبين. وإذا تطلب الأمر سأعقد اجتماعاً آخر مع الرئيس شي الذي تربطني به علاقة جيدة للغاية.“

*** عما إذا كان سيفرض رسوماً جمركية على السيارات من اليابان والاتحاد الأوروبي:**

”الأمر يعتمد على أدائنا في المفاوضات التجارية. إذا لم يكن الأداء جيداً فهذا هو أحد الخيارات المتاحة لنا.“

”نجري محادثات جيدة للغاية مع الاتحاد الأوروبي ونجري محادثات جيدة للغاية مع اليابان. بدأت هذه المفاوضات بالفعل كما تعلمون. لكن هذا أحد الخيارات بالتأكيد.“

*** عما إذا كان ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان متواطئاً في مقتل الصحفي السعودي جمال خاشقجي:**

”حسناً، لا أريد أن أخوض في هذا الأمر. بوسعي أن أقول إنه يقول لا وإن آخرين يقولون لا وإن بعض الناس يقولون نعم.“

”الواقع كما تعلمون إنه ينفي ذلك بشدة. ولي العهد ينفي ذلك بشدة.“

*** عما إذا كان سيكون هناك رد آخر على مقتل خاشقجي:**

”أتمنى بحق ألا يقترح الناس ألا نحصل على مئات المليارات من الدولارات التي سيحولونها (السعوديون) إلى روسيا والصين على الأخص بدلاً من منحنا إياها. نتحدثون عن مئات الآلاف من الوظائف. نتحدثون عن عقود عسكرية وغيرها من العقود الضخمة. أتمنى ألا تكون هذه توصية. بعض أعضاء الكونجرس سيأتون للقائي.“

*** هل الوقوف مع السعودية يعني الوقوف مع ولي العهد:**

”حسناً، في هذه اللحظة هذا هو الأمر بالتأكيد. إنه زعيم السعودية. وهي حليف جيد جداً.“

*** عن تقارير بأن بعض أفراد العائلة المالكة في السعودية يريدون التغيير:**

”لم أسمع بذلك. بصراحة لا يمكنني التعليق على الأمر لأنني لم أسمع به على الإطلاق. في الحقيقة سمعت أنه يمسك جيد بزمam السلطة.“

*** عن إنهاء التدخل الأمريكي في اليمن:**

”أنا منفتح جدا بالنسبة لليمن لأنني بصراحة أكره ما يحدث في اليمن. لكن الأمر يتطلب جهدا من الطرفين. أريد أن أرى إيران تنسحب من اليمن أيضا.. وأعتقد أنها ستفعل“.

*** عن علاقته بالديمقراطيين في الكونجرس:**

”سنمضي في واحد من مسارين. إما سنبدأ حملة وسيسببون مضايقات رئاسية. أو سنمرر عددا هائلا من التشريعات من خلال العمل معا. ليس هناك مسار ثالث. لن نفعل الأمرين“.

*** عما إذا كان يشعر بالقلق من المساءلة:**

”من الصعب مساءلة شخص لم يفعل أي شيء خطأ وأوجد أعظم اقتصاد في تاريخ بلدنا“.

”لست قلقا.. كلا. أعتقد أن الناس سيثورون إذا حدث ذلك“.

*** عن محاميه السابق مايكل كوهين والأموال التي دفعها لشراء الصمت:**

”أولا، لم تكن مساهمة في الحملة... لم يكن هناك انتهاك فيما فعلناه“.

”وأضيف أن ”مايكل كوهين محام. أفترض أنه يعرف ما يفعله. تعتمد على أناس من أجل ذلك. لهذا تدفع للمحامين“.

”مايكل كوهين كان يعلم ماذا يفعل. أتمنى ذلك. المحامون التابعون لي يقولون إن كل ما فعله كان صحيحا“.

*** عما إذا كانت الولايات المتحدة تتجه صوب ركود:**

”أعتقد أننا في وضع جيد للغاية. شركاتنا في وضع جيد للغاية. إذا تصرف مجلس الاحتياطي الاتحادي بشكل منطقي وعقلاني أعتقد أننا سننطلق مثل مكوك فضائي“.

*** بشأن احتمال رفع المركزي الأمريكي سعر الفائدة في الأسبوع المقبل:**

”أعتقد أن هذا سيكون من حماقة لكن ماذا يمكن أن أقول؟ كما تعلمون يوجد مسؤول هناك فماذا يمكن أن أقول؟ إذا فعلوا ذلك سأشعر بإحباط وأعتقد أن الكثيرين سيشعرون بالإحباط“.

”يجب أن تدركوا أننا نخوض بعض النزاعات التجارية ونحزرنصرا“.

”أعتقد أن جاي (باول) رائع، أعتقد أنه يحاول فعل ما يرى أنه الأفضل. اختلف معه لكنني أرى أنه شخص رائع. لكنني أعتقد أنه يحاول فعل الأمر على النحو المطلوب لكنني أرى أنه يتحرك بشكل أعنف من اللازم، أعنف بكثير من اللازم“.

*** عما يبحث عنه في كبير موظفي البيت الأبيض الجديد:**

”شخص يمكنني التعامل معه بشكل جيد بحق. شخص أفكاره مشابهة لأفكاري. شخص يأخذ أفكاره ويتعامل بها. هذا لا يعني إنها ليست عرضة للمناقشة. أنا أحب أن تتم مناقشتي“.

”هناك عشرة إلى ١٢ شخصا على الأقل يريدون المنصب بشدة“

”الجميع يريدونه. من لا يريد أن يكون أحد كبار الشخصيات القلائل في واشنطن العاصمة؟“

*** عن حملة إعادة انتخابه:**

”أعتقد أنني سأحقق نتيجة طيبة في إعادة انتخابي. أنظر إلى نتائج استطلاعات الرأي. كانت ٥٠ بالأمس في (معهد استطلاعات الرأي) راسموسن أليس كذلك؟ هذا أعلى بكثير مما حصل عليه أوباما“.

ترامب "الغاضب" يهدد بإغلاق الحكومة الفدرالية

فرانس بريس: ٢٠١٨/١٢/١٢

واشنطن: هدّد الرئيس الأمريكي دونالد ترمب القادة الديموقراطيين خلال اجتماع في البيت الأبيض الثلاثاء بأنّه لن يتوانى عن إغلاق الحكومة الفدرالية إذا ما أُصرّوا على رفضهم رصد مليارات الدولارات لتمويل الجدار المثير للجدل الذي يريد تشييده على الحدود مع المكسيك.

وكان من المفترض أن يُجري الرئيس وكبار قادة المعارضة في الكونغرس اجتماعاً مطمئناً في المكتب البيضاوي يتخلله التقاط الصور. لكنّ خلافهم الواضح أمام وسائل الإعلام أعطى فكرة عن التحدّيات التي يواجهها ترمب، بينما يسعى لتخطي فضائح قانونية والتعايش مع الواقع الجديد الناجم عن فقدان الحزب الجمهوري السيطرة على مجلس النواب.

وخاطب تشاك شومر، زعيم الديموقراطيين في مجلس الشيوخ الذي يسيطر عليه الجمهوريون، ونانسي بيلوسي المرجّح أن تصبح رئيسة مجلس النواب المقبل، الذي تبدأ ولايته في يناير، ترمب بلهجة حادة، مؤكدين أنّه ليست لديه أي فرصة في الحصول على الخمسة مليارات دولار، التي يريدّها.

وكرّر ترمب الغاضب تهديداته السابقة بأنّه سيردّ برفض التوقيع على قانون النفقات الفدرالية، الذي يتحمّم التوقيع عليه قبل ٢١ ديسمبر لتجنّب قطع التمويل عن عدد كبير من المؤسسات الحكومية.

وقال ترمب "نعم، إذا لم نحصل على ما نريده بطريقة أو بأخرى ... سأغلق الحكومة"، مضيفاً "أفتخر بإغلاق الحكومة من أجل أمن الحدود". وردّ عليه شومر بالقول "أمر واحد أعتقد أنّه يمكننا الاتفاق عليه، وهو أنّه لا يتعيّن إغلاق الحكومة بسبب خلاف". من جهتها، قالت بيلوسي إنّ الجدل لا ينبغي أن يحصل أمام الصحفيين.

لكنّ ترمب الذي كانت فكرة بناء جدار حدودي مع المكسيك في صلب حملته الانتخابية عام ٢٠١٦، لم يتمكّن من ضبط انزعاجه. وأخرج الرئيس بطاقتين وقرأ أرقاماً قال إنّها تظهر قرب الانتهاء من الهجرة غير الشرعية في أجزاء من الحدود أقيمت فيها سياجات عالية. وأضاف أن هذه الإجراءات "أظهرت فعالية كبيرة".

لكن بيلوسي ردّت عليه بالقول إنّ هذه الأرقام غير صحيحة. وقالت "ما يقدّمه الرئيس بهذه البطاقات ليس حقائق. يتعيّن إجراء نقاش قائم على الأدلّة بشأن ما الذي ينجح، ومبلغ المال الذي أنقذ ومدى فعاليته". وفي وقت لاحق خارج البيت الأبيض كان شومر لاذعاً بدرجة أكبر إزاء ترمب.

وقال "نوبة الغضب هذه التي تنتابه على ما يبدو لن تحقّق له جداره وستؤذي الكثير من الناس". وقبيل الاجتماع، غرّد ترمب قائلاً إنّ الجدار ضروري للحؤول "دون أن تنتشر على نطاق واسع الجرائم والأمراض" التي يحملها، على حدّ قوله، مهاجرون غير شرعيين.

وتلقى هذه المسألة شعبية لدى قاعدته السياسية التي تريد إجراءات مراقبة صارمة على الحدود الجنوبية التي تجتذب فقراء من دول أمريكا اللاتينية يسعون للعمل في الولايات المتحدة.

لكنّ المعارضين يقولون إنّ الجدار لا يمثّل هدراً للمال فحسب، بل يتمّ استخدامه من جانب الرئيس لإثارة الكراهية للأجانب.

وترمب الذي يقود في الحملات الانتخابية هتافات "ابنوا الجدار"، واجه أزمات في السنتين الأوليين من ولايته. والآن وفيما تقترب مهلة التمويل الفدرالي، يتعيّن على الجانبين اتّخاذ القرار بشأن التراجع عن مواقفهما.

وتشهد واشنطن أزمات سياسية منذ بدأ ترمب ولايته، ويتوقّع أن تتفاقم الانقسامات السياسية في يناير عندما ستنتقل الدفّة في مجلس النواب من أيدي الجمهوريين إلى أيدي الديموقراطيين.

ويأتي تغيير الغالبية في المجلس في وقت يواجه فيه ترمب مخاطر متزايدة على خلفية تحقيقات جنائية.

هكذا تحدث المبعوث الرئاسي الخاص للتحالف الدولي لهزيمة داعش بريت ماكفورك

مقتطفات من الإيجاز الصحفي لوزارة الخارجية – الثلاثاء ١١ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٨

وزارة الخارجية الأمريكية / مكتب المتحدث الرسمي: ٢٠١٨/١٢/١٢

مقدم الإيجاز: نائب المتحدث باسم وزارة الخارجية روبرت بالادينو

السيد بالادينو: مرحبا للجميع. معنا ضيف خاص اليوم أود الترحيب به وسيحدث في البداية. معنا المبعوث الرئاسي الخاص للتحالف الدولي لهزيمة داعش بريت ماكفورك وسيطلعكم على التحديث بشأن التقدم المحرز والجهود التي نبذلها للمتابعة. تفضل.

السيد ماكفورك:

رائع. شكرا. يسعدني أن أتواجد هنا مرة أخرى. لقد فكرت في أن أقدم لكم إيجازا بالنظر إلى كل ما يحصل، لقد قمت بذلك بشكل دوري، ولكن فكرت في أن أقدم لكم تحديثا حول المكان الذي وصلنا إليه في هذه الحملة الشاملة لهزيمة داعش. من الواضح أن هذا جهد متعدد الأوجه وحملة عالمية بحق. سأركز اليوم بشكل خاص على العراق وسوريا. لدينا الكثير من الأمريكيين الشجعان الذين يخدمون في الخطوط الأمامية في هذه الحملة، بما في ذلك موظفون من وزارة الخارجية، لذا من الجيد أن نعطي إيجازا بين الحين والآخر ونصف ما يجري.

أعتقد أنني أود أن أبدأ من حيث كنا في العام ٢٠١٤. أعتقد أن هذا أمر مهم، لنتذكر ما كنا نواجهه في صيف العام ٢٠١٤. كان داعش يسيطر على حوالي ١٠٠ ألف كيلومتر مربع من الأراضي، هذه إحصاءات مذهلة بحق. كان يعيش حوالي ثمانية ملايين عراقي وسوري تحت سيطرة داعش. كانت عائدات التنظيم تقارب المليار دولار سنويا. كان التنظيم يرتكب أعمال إبادة جماعية ضد الأقليات في العراق ويخطط لعمليات إرهابية كبرى، بما في ذلك ضد وطننا، ولكنه كان ينفذها في شوارع بروكسل وباريس واسطنبول.

إذن قمنا بتنظيم تحالف دولي لمحاربة هذا التهديد. عندما بدأت إدارة ترامب في أوائل العام ٢٠١٦ – هذا القسم الثاني – كان قد تم تطهير حوالي ٥٠٪ من الأراضي من داعش. كنا في منتصف حملة الموصل. لم نكن قد حددنا بعد الخطوات النهائية لكيفية إزالة مقر ما كان يعرف بالخلافة في الرقة. قال الرئيس في أول يوم له في الرئاسة إنه يريد تسريع الحملة وتركيز الجهود لهزيمة داعش في العراق وسوريا وهزيمة الخلافة المادية وإعطاء الأولوية لهذه الجهود. لقد أدخلنا بعض التعديلات على الحملة وسرعنا وتيرة العمليات بشكل كبير.

إذن لو نظرتم إلى المكان الذي وصلنا إليه اليوم... أعتقد أن لذلك أهمية كبيرة. نحن نصل الآن إلى آخر ١٪ من الأراضي المادية التي يسيطر عليها التنظيم. إذا استطعتم أن تروا البقعة الحمراء قليلا... هل يمكنك الانتقال إلى الخريطة الثالثة من فضلك؟ حسنا. حسنا، هذه هي الخريطة الصحيحة. هذه هي الخريطة رقم ثلاثة. البقعة الحمراء الأخيرة في ما نسميه وادي الفرات الأوسط، تلك العمليات مستمرة بدعم من قوات سوريا الديمقراطية بالطبع ومع أعداد صغيرة من قوات التحالف على الأرض. عرض البنتاغون على ما أعتقد إيجازا أكثر تفصيلا اليوم. ولكن وصل شركاؤنا السوريون في قوات سوريا الديمقراطية على الأرض إلى مدينة حاجين، وهي أحد معاقل داعش النهائية على مدار الـ ٤٨ ساعة الماضية. هذا إنجاز مهم جدا.

وحتى مع اقتراب نهاية الخلافة المادية الآن، ستكون نهاية داعش مبادرة طويلة الأمد. لقد تحدثنا عن ذلك عدة مرات. ليس أحد ممن يعملون على هذه القضايا يوما بعد يوم راضيا بعد ولا يعلن أحد عن أنه قد تم إنجاز المهمة. إن هزيمة الخلافة المادية هي مرحلة واحدة من حملة طويلة الأمد.

قمنا كتحالف بحشد قوات من ٣١ دولة للمساعدة في المساهمة في تدريب قوات الأمن العراقية، ومعنا أيضا شركاء في التحالف على الأرض في سوريا. لقد قمنا بحشد حوالي ١٩ مليار دولار لإرساء الاستقرار والدعم الاقتصادي

والإنساني. لقد تم تنفيذ كل عملية عسكرية مع خطة إنسانية وإرساء الاستقرار، لذا تم الحفاظ على كافة الأراضي التي استعادها تحالفنا من داعش. هذا إنجاز كبير. نريد أن نحافظ على هذا الإنجاز. إذن لقد وصلنا إلى مرحلة في الحملة نتطلع فيها حقا إلى التأكد من أننا نستطيع تحمل كل هذه المكاسب والحفاظ عليها.

يمثل إرساء الاستقرار محط تركيز كبير في ذلك بالطبع. الرجاء الانتقال إلى الشرائح التالية. سمعنا الكثير عن إرساء الاستقرار. نحن على استعداد للحفاظ على جهود إرساء الاستقرار في العراق وسوريا. سيستغرق ذلك فعلا عدة سنوات. أكملنا حوالي ٣ آلاف مشروع في مختلف أنحاء العراق. وجمع التحالف ما يقرب من مليار دولار. لقد كان ذلك نجاحا كبيرا. عاد أكثر من ٤ ملايين عراقي إلى ديارهم.

هذا إنجاز تاريخي بشكل عام. بالنظر إلى هذه الحملات وهذه الصراعات، هذا المستوى من معدلات عودة الناس إلى منازلهم غير مسبوق. ولكن لا يزال لدينا ١,٨ مليون عراقي شردهم الصراع، وهذا عدد كبير جدا. نريد أن نراهم يعودون إلى ديارهم في نهاية المطاف.

في سوريا...

الوضع أصعب بكثير في سوريا. نحن طبعا لا نعمل بالتنسيق مع الحكومة المركزية، لن نعمل بالتنسيق مع نظام الأسد. لا نعمل مع شركاء دوليين رئيسيين بالنظر إلى ديناميكيات الصراع السوري. إذن نحن نقوم بالكثير من هذه الأمور مع شركائنا على الأرض ويقوم موظفو وزارة الخارجية الذين يعملون على الأرض بعمل رائع.

وأيا في سوريا، لا تمول الولايات المتحدة جهود إرساء الاستقرار، ولا سيما في الشمال الشرقي حيث نتواجد على الأرض عسكريا. لقد تحدثنا عن هذا الموضوع من قبل، ولكن أوضح الرئيس أن التحالف يجب أن يساعد في دعم هذه الجهود. وعندما اجتمع الوزير بشركاء التحالف على هامش قمة حلف شمال الأطلسي (الناتو) قبل بضعة أشهر، جمعنا أكثر من ٣٠٠ مليون دولار. كل هذا المال موجود الآن في البنك، وبفضل مساهمات الشركاء الرئيسيين في التحالف، بات لدينا تمويل لجهود إرساء الاستقرار حتى أوائل العام ٢٠٢٠. هذا جهد ممول بالكامل من التحالف، وسنستمر طبعا في ذلك.

إذن على المدى الطويل، نريد أن نضع الأساس للتأكد من استمرار النجاح.

في العراق:

نعمل في العراق بشكل وثيق طبعا مع الحكومة العراقية الجديدة. أجرى العراق انتخابات في وقت سابق من هذا العام. كانت انتخابات صعبة، كان الصيف صعبا جدا في العراق. انبثقت عن الانتخابات حكومة جديدة وانتقال سلمي للسلطة، ونحن نعمل عن كثب مع تلك الحكومة للحفاظ على التأثيرات على الجانب العسكري وكذلك على الجانب السياسي والاقتصادي.

ثمة وفد تجاري في بغداد اليوم وهو أكبر وفد تجاري تنظمه الغرفة التجارية في أي مكان في العالم هذا العام ويقود الجانب الأمريكي الوزير بيرى ونائب مساعد وزير الخارجية لشؤون العراق وإيران أندرو بيك.

في سوريا...

أعرف أن جيم جيفري كان هنا في الأسبوع الماضي وتحدث عن الجهود الكبيرة التي يتم بذلها لمحاولة التوصل إلى حل للحرب الأهلية السورية الشاملة وعن التحالف الدولي طبعا، وهو أمر أركز عليه بشكل يومي. نريد أن نتأكد من أن يبقى هذا التحالف سليما ويحافظ على هذه الجهود. الوزير ماتيس الأسبوع الماضي في أوتاوا... رافقته إلى أوتاوا مع المساهمين العسكريين الرئيسيين في التحالف للتأكد من استمرار المساهمات العسكرية في التحالف واستمرار تدريب قوات الأمن العراقية، ونحن واثقون تماما من حصول ذلك.

ونحن ننوي جمع الأعضاء المدنيين في التحالف هنا لعقد اجتماع وزاري في أوائل العام المقبل. ما زال ذلك في مراحل التخطيط. نحن واثقون إلى حد ما من أن ذلك سيتحقق. وكانت تلك الاجتماعات التي تحدث كل أربعة إلى ستة أشهر حاسمة للغاية للتأكد من أن هذا جهد جماعي بحق وأن التحالف يتقاسم الأعباء بحسب ما نحتاج إليه وللتأكد من أنه سيستمر.

إذن وصلنا في الواقع إلى نسبة الـ ١٪ الأخيرة في المعركة العسكرية التقليدية، ولكننا نخطط على المدى الطويل ونشعر بثقة كبيرة مع بدء تأكد هذه العناصر.

يسعدني أن أجيب على بعض الأسئلة الآن.

السؤال: مرحبا يا بريتا. برأيك، لماذا استغرق الوصول إلى نسبة الـ ١٪ النهائية هذه في الهجوم الأخير الكثير من الوقت وإلى أي مدى تتوقع أن يستغرق استكمال المهمة؟

السيد ماكغورك: شكرا. من الواضح أنني أحول الكثير من المسائل إلى وزارة الدفاع، ولكنني ذهبت إلى سوريا حوالي ٢٠ مرة أو أكثر في خلال السنوات القليلة الماضية. المسافات كبيرة جدا. هذه أول مشكلة وإذا نظرت إلى مكان تواجد هذه النسبة على الخريطة في الأسفل في وادي الفرات الأوسط، لأدركتم أنها بعيدة. وهي أيضا آخر معقل رئيسي. وصلنا إلى نقطة بات كل مقاتل من داعش تقريبا يرتدي سترة ناسفة. مدى انتشار العبوات الناسفة وأماكن وضعها... القتال صعب جدا، لذلك تستغرق الأمور بعض الوقت.

نحن أيضا حريصون جدا على التأكد من حماية السكان المدنيين. التقرير الذي تلقيته صباح اليوم عما يجري في ساحة المعركة في تلك المنطقة يشير إلى أن حوالي ١,٤٠٠ قد خرجوا من المنطقة في خلال الأسبوع الماضي أو نحو ذلك ويتم الاعتناء بهم، بما في ذلك من قبل القوى التي نعمل معها. وأعتقد أنكم تلقيتم بعض الإجازات بالأمس حول حقيقة أن تنظيم داعش يستخدم المستشفيات والبنية التحتية المدنية في محاولة للدفاع عن نفسه، وبخاصة في حاجين.

لدينا أهداف متعددة في سوريا

السؤال: شكرا. إلى متى سيبقى التحالف في سوريا؟

السيد ماكغورك: لدينا أهداف متعددة في سوريا. يتمثل الهدف العسكري طبعا بتحقيق الهزيمة الدائمة لداعش. وإذا تعلمنا شيئا واحدا على مر السنين، فهو إن الهزيمة الدائمة لتنظيم كهذا تعني أنه لا يمكنك الاكتفاء بهزيمة الفضاء المادي ثم المغادرة بل ينبغي التأكد من أن قوات الأمن الداخلية جاهزة لضمان الاحتفاظ بهذه المكاسب، هذه المكاسب الأمنية. لذا لا تعني الهزيمة الدائمة لداعش الهزيمة المادية فحسب، بل يجب التأكد من أننا نقوم بتدريب قوات الأمن المحلية أيضا، وسيستغرق ذلك بعض الوقت.

لدينا أيضا مصالح أخرى في سوريا وأعتقد أنكم سمعتم عنها من السفير جيفري. نريد التوصل إلى حل للحرب الأهلية السورية من خلال عملية مجلس الأمن الدولي. ونريد أيضا أن نشهد مغادرة القوات الأجنبية لسوريا، ولا سيما القوات التي تقودها إيران وقواتها بالوكالة في سوريا.

ولكن المهمة العسكرية هي تحقيق الهزيمة الدائمة لداعش. لا شك في أننا تعلمنا الكثير من الدروس في الماضي، لذلك نعلم أنه بمجرد هزيمة الفضاء المادي، لا يمكننا أن نجتمع أغراضنا ونغادر. لذا نحن مستعدون للتأكد من أننا نبذل قصارى جهدنا لضمان استمرار هذه الهزيمة.

ثمة علامة على ذلك، وهي أن داعش لم يعد إلى المناطق التي قمنا بتطهيرها منه ولم يستول فعليا على أي مساحة. هذه خلايا سرية. لم يقل أحد إنهم سيختفون. لا أحد ساذج إلى هذا الحد. لذلك نريد أن نبقى على الأرض ونتأكد من أنه يمكن الحفاظ على الاستقرار في هذه المناطق.

السؤال: يبدو أنك تقول إن هدف الجيش هو هزيمة داعش الدائمة. إذن بالنظر إلى تصنيف الهزيمة الدائمة، ألا يعني ذلك أن الجنود الأمريكيين سيبقون في سوريا لبعض الوقت غير المتوقع في المستقبل غير المنظور وحتى بعد محو الخلافة المادية بالكامل عن الخريطة؟

السيد ماكغورك: أعتقد أنه يمكن القول إن الأمريكيين سيقفون على الأرض بعد الهزيمة المادية للخلافة وإلى أن نتأكد من أن الأمور المناسبة في مكانها لضمان استمرار تلك الهزيمة.

السؤال: حسنا. وعلى الجانب المدني الذي تعرفه أكثر، ماذا يعني ذلك بالنسبة إلى الأموال والبرامج الأمريكية الموجهة إلى هذا الجهد؟ فالرئيس لم يخف حقيقة أنه يريد مغادرة سوريا في أقرب وقت ممكن.

السيد ماكغورك: نحن ننظر إلى الموارد كل يوم بالتأكيد. تضم كل استراتيجية نهايات وطرق ووسائل. أنت محق، لقد أوضح لنا الرئيس... نحن نقوم بالكثير من جانب التحالف، وبخاصة في الجانب العسكري، لذا عندما يتعلق الأمر بالجانب المدني من هذه الحملة، يجب على التحالف أن يقدم التمويل وعلينا زيادة تقاسم الأعباء، وقد قمنا بذلك. يتم تمويل كافة جهود إرساء الاستقرار في هذا الجزء من سوريا الآن من قبل التحالف. كل هذا المال موجود في البنك. يتم تنفيذ الكثير من هذه الجهود بواسطة دبلوماسيين أمريكيين على الأرض.

زرت الرقة أربع مرات. الوضع صعب جدا. وجدنا في خلال زيارتي الأولى إلى الرقة هاتفًا خلويًا لأحد مقاتلي داعش الموتى يحدد فيه أماكن العبوات الناسفة في مناطق معينة من الرقة. كان ثمة عبوة ناسفة في كل هيكل قائم تقريبا، لذلك اضطررنا إلى تدريب الناس على الدخول وتعطيل العبوات الناسفة. هذا عمل شاق ومضن.

ولكن إذا ذهبتم إلى هناك الآن... لقد عاد الناس إلى هناك. عاد حوالي ١٥٠ ألف شخص. هذا هو نوع الأمور التي نريد التأكد من استمرارها، وأنا واثق، كواحد من قادة التحالف، من أن التحالف سيتقاسم الأعباء للحفاظ على هذه الجهود.

السؤال: لقد ذكرت هذه المنطقة من سوريا. أليس صحيحا أن المنطقة السورية التي تحصل على التمويل الأمريكي أو التي تشارك فيها الولايات المتحدة قد تقلصت بشكل كبير على مدار الـ ١٨ شهرا الماضية؟ ربما لم تقلص بشكل كبير، ولكنها جزء أصغر من البلاد مقارنة بما كانت عليه، أليس كذلك؟

السيد ماكغورك: لا، لا أعتقد أن هذا صحيح. لقد نمت حملة مكافحة داعش بشكل كبير. بدأت بنقطة صغيرة في الجزء الشمالي الشرقي ونمت. لا شك في أننا عملنا الآن بشكل وثيق مع شركائنا في التحالف وقمنا من خلال تجنب الاشتباك مع الروس بتحديد خط عند النهر للتأكد من أن يتم ذلك بطريقة حذرة جدا وبدون التعرض لخطر الحوادث. لقد هزمنا داعش بشكل أساسي في كامل هذا الجزء من سوريا على مدى السنوات الثلاث الماضية، وباتت المنطقة الآن متأثرة جدا... نحن لا نسيطر عليها ولكنها تتأثر بنا كثيرا ونريد التأكد من أن تبقى أحد الأجزاء الأكثر استقرارا في سوريا.

السؤال: إذن أنت تقول إنكم لا تتعاملون مع الحكومة السورية أو مع اللاعبين الدوليين الآخرين وما إلى ذلك. إذن كيف تتعاملون مع هذه المنطقة الصغيرة في الشمال الشرقي من الفرات؟ هل هذه منطقة مستقلة؟ هل يأتي الناس إلى أي مكان يريدونه في سوريا؟ وكيف ينعكس ذلك على بقية البلاد؟

السيد ماكغورك: أحاول التفكير في كيفية الإجابة عن سؤالك. الأمر صعب. هنا يكمن التحدي. الأمر معقد بشكل لا يصدق. ذهبنا إلى هذا الجزء من سوريا لأنه يضم تهديدات كبرى لنا ولوطننا ولشركائنا ولدول مجاورة، بما في ذلك تركيا، عندما كان تنظيم داعش يسيطر على المنطقة بأكملها، وكنا مصممين على إخراج داعش من هذه المنطقة لئلا يكون لديه ملاذ آمن للاستمرار في تخطيط هذا النوع من الهجمات. تم تخطيط الهجمات في باريس والهجمات في مطار بروكسل وتنظيمها وتنسيقها في الرقة وأرسلت الفرق المقاتلة بشكل أساسي من هذا الجزء من سوريا إلى شوارع تلك العواصم لقتل الأبرياء. لذلك سنحرص على ألا يحدث ذلك.

بالنظر إلى نجاح الحملة العسكرية، بتنا الآن في وضع يمكننا من التأثير بشكل كبير على هذا الجزء من سوريا ونريد التأكد من أن نحافظ على بيئة متساهلة وعلى الاستقرار وأن نجمد الخطوط الأساسية فيما يعمل جيم وغيره على الحل السياسي على المدى الطويل. لذا سيكون من التهور بمكان أن نقول إننا نستطيع المغادرة لأننا ألقنا الهزيمة بالخلافة المادية. أعتقد أن أي شخص ينظر إلى نزاع كهذا يوافق على كلامي.

بخصوص الحشد الشعبي

السؤال: شكرا جزيلاً على هذا الإيجاز. يبدو أنه ثمة انقسام ظهر في الإيجاز الذي قدمه البنتاغون في وقت سابق من اليوم في داخل الجيش الأمريكي بخصوص الحشد الشعبي. وقد أشار الجنرال ماكنزي في جلسة تأكيده إلى أنهم لا يخضعون لسيطرة الحكومة العراقية وإن هذا الأمر يمثل مشكلة. وقال الكولونيل راين هذا الصباح إنهم يخضعون لسيطرة الحكومة العراقية. ما وجهة نظركم من ذلك؟

السؤال: لم أتابع إيجاز البنتاغون صباح اليوم ولكنني أعتقد أنه من الأمن القول إن بعض هذه العناصر تخضع لسيطرة الحكومة العراقية والبعض الآخر لا. وتشكل العناصر التي لا تخضع لسيطرة الحكومة العراقية بشكل صارم مشكلة وقد أعربت الحكومة العراقية عن أنها تشكل مشكلة. تتمثل سياسة الحكومة العراقية الجديدة بإخضاع كافة العناصر المسلحة لسيطرتها وسيطرة الدولة ولا شك في أننا نؤيد هذه السياسة كثيراً.

السؤال: كان السبب الرئيسي للذهاب إلى سوريا القضاء على داعش أو هزيمته ولكنهم يعيدون تجميع أنفسهم في اليمن وأفغانستان بعد سوريا والعراق. وقعت بعض الحوادث في باكستان وأعلن داعش عن مسؤوليته عنها. إذن ما هي التدابير أو الإجراءات التي يتم اتخاذها لمنع توسع هذه المجموعة الإرهابية؟

السيد ماكغورك: شكرا. هذا سؤال جيد. هذا سؤال رائع. يمثل ذلك جزءاً من الحملة العالمية الشاملة. عندما ننظر إلى داعش على مستوى العالم، نرى أن ما كان لديه في العراق وسوريا كان في الأساس مقراً يقوم عبره بتمويل وتوجيه تنظيمات تابعة له في مختلف أنحاء العالم.

حاولنا تحويل مشكلة عالمية عبر وطنية إلى مشكلة إقليمية ثم مشكلة محلية. لذا إذا نظرت إلى الوضع في سوريا والعراق على سبيل المثال، لرأيت أن ما كان بالفعل شبكة عبر وطنية... تدفق ٤٠ ألف مقاتل أجنبي إلى سوريا في خلال هذا الصراع... عملنا لجعلها مشكلة محلية إقليمية أكثر.

أكرر أنه سيكون لديهم خلايا سرية في العراق وسوريا وسيكون لديهم خلايا إرهابية وسيختبئون وسيكون لديهم شبكات. ولكن هذا وضع مختلف تماماً عما اعتدنا رؤيته حيث كانوا يهددوننا.

الأمر طبعاً مماثل في أفغانستان، ثمة هناك خلية لداعش متطورة جداً في شرق أفغانستان ونعمل على التأكد من أن تظل ظاهرة محلية. ولكن أكرر أن هذا هو السبب الذي سيجعل من هذا الأمر جهداً طويلاً الأجل. الأمر أشبه بعمل الشرطة ويجب متابعة الأمر يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وسنة بعد سنة.

السؤال: أعلم أنك تعمل على الجزء العسكري من هذا الموضوع بشكل أساسي، ولكن فيما يتعلق بإرساء الاستقرار، هل تشهدون أي إعادة إعمار في الأجزاء الحكومية من المناطق التي قمت بتطهيرها؟ أعلم أن التحالف يسيطر على منطقة واحدة، ولكن هل تشهدون أي إعادة إعمار من الجانب السوري حتى الآن؟ جانب الحكومة السورية؟

السيد ماكغورك: لا، ليس كثيراً، ولن يكون ثمة إعادة إعمار قبل التوصل إلى حل سياسي للحرب الأهلية. هذا واقع الحال على ما أظن.

يقدر البنك الدولي أن احتياجات البناء تصل إلى مليارات الدولارات، لذلك سيكون الوضع صعباً جداً حتى يتم التوصل إلى حل للحرب الأهلية يقبله المجتمع الدولي.

نميز في الجانب العراقي إرساء الاستقرار، وهو الاحتياجات العاجلة وكنا قساة في تحديد أولوياتنا. يشير إرساء الاستقرار إلى نزع الألغام وتوصيل المياه والكهرباء والأساسيات لإعادة الناس إلى ديارهم وإعادة الإعمار على المدى الطويل، وهو جهد متعدد السنوات يتولاه الاتحاد الأوروبي والبنك الدولي. وقد عقدنا اجتماعاً مهماً في الكويت في العام الماضي انبثق عنه حوالي ٣٠ مليار دولار لهذا الجهد الطويل الأجل من خلال آليات تمويل مختلفة.

أنا أزور العراق كثيراً. ثمة إحباط بشأن الوتيرة لأن هذه الجهود تستغرق وقتاً طويلاً جداً، وبخاصة في غرب الموصل التي شهدت الجزء الأعنف من القتال في تلك المعركة. لذلك سيستغرق الأمر بعض السنوات. من بين

الأسباب التي جعلتنا نرسل وفداً من ٥٠ شركة أمريكية إلى بغداد اليوم مع الوزير بيرري - وقد زار الوفد بغداد وأربيل

اليوم - هو إيضاح ضرورة تجنيد قوة الصناعة الخاصة لتأمين احتياجات إعادة الإعمار في العراق. قالت لنا

الحكومة الجديدة إنها تريد فعلاً القيام بذلك من خلال العديد من الإصلاحات الاقتصادية وسنعمل معها بقصارى جهودنا للمساعدة في تحقيق ذلك.

اعتذار ماكرون خطوة شجاعة

*رندة تقي الدين

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/١٢/١٢

بدا الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون متجاوباً مع شكوى السترات الصفر في فرنسا ازاء اوضاعهم المعيشية الصعبة. واعتذر في خطاب مقتضب لمدة ١٣ دقيقة (وخطاباته تقليدياً طويلة جداً) للشعب الفرنسي اذا كان قد ظهر متكبها أو بعيداً عن انشغالات شعبه. فقدم بلهجة رصينة ومهيبة اربعة اجراءات لارضاء المحتجين، قائلاً انه يتفهم صعوبة حياة البعض وقساوة اوضاعهم المعيشية من دون الاستسلام لمن قاموا باعمال العنف، فقد ادانهم وقال ان العنف مرفوض مؤكداً نفوذ رئيس الدولة معتذراً ان كان جرح البعض. فقد قرر ازالة الضريبة على المتعاقدين ذوي الدخل المنخفض، وقال انه يزيد مستوى الراتب الادنى بمئة يورو من دون ان يدفعها رب العمل، وازال الضريبة عن ساعات العمل الاضافية، الاجراء الذي كان ادخله الرئيس الفرنسي اليميني السابق نيكولا ساركوزي وازاله الاشتراكي فرانسوا هولاند فور وصوله الى الرئاسة. وقال انه لن يعيد الضريبة على الثروة لانها لا تجدي بشيء الى المحتجين، بل العكس فإن عودتها تؤدي الى فرار رأس المال والمستثمرين وتزيد البطالة.

ووعد بحوار يقوده هو مع مختلف القوى على الارض ومع ممثلهم رؤساء البلديات والنقابات، فخطابه عبر عن ادراكه خطورة الوضع المعيشي لجزء كبير من الشعب الفرنسي واصفا هذه الفترة بانها «مرحلة تاريخية لبلدنا» ومغيراً لهجته التقليدية البعيدة عن الشعب البسيط. فابدى شجاعة في هذا الاعتذار والتراجع.

لكن رداً فعل متظاهري السترات الصفر كانت متفاوتة جداً، اذ ان البعض اعتبر انه تجاوب مع متطلباتهم وانهم سيعلقون تعبئتهم. لكن البعض الآخر، وهم اكثرية، اعتبروا أن هذا غير كاف او انهم وصفوا خطابه بانه تمثيلية وانهم سيستمررون بحراكهم الى النهاية.

واقع الحال ان ماكرون اعطى ما يمكن اعطاه في اوضاع اقتصادية صعبة، حتى انه نقض اقوال وزير المال ووزيرة العمل اللذين عشية خطابه اكدا ان لا مجال لا لزيادة الراتب الادنى ولا لازالة بعض الضرائب. لقد استخدم نفوذه لتبني الاجراءات لترضية المحتجين. لكنهم قد يستمررون يوم السبت المقبل بالتحرك لانهم يريدون اكثر من ذلك ليس فقط للاجور الادنى ولكن لجميع الرواتب للطبقة المتوسطة، ويريدون زيادة مستوى التقاعد تماشياً مع ارتفاع كلفة المعيشة.

وقرروا الاستمرار لانهم لا يثقون بوعود الطبقة الحاكمة وما تردده لهم منذ عشرات السنين. وقد انتخب ماكرون لانه وعد بانه سيصلح فرنسا مهما كان الامر ومهما كان الرفض بوجهه، لكن الشعب الفرنسي تعود منذ سنوات الاعتماد على الدولة لتحسين اوضاعه المعيشية. والآن الدولة اصبحت عاجزة عن تأمين اوضاع معيشية افضل. فماكرون ظن ان تخفيف عبء الضرائب عن ارباب العمل سيخلق فرص عمل وسيحسن قوة الشعب الشرائية وذلك يأخذ وقتاً، لكن محتجي السترات الصفر لن يصبروا، إذ طفح الكيل من عبء الضرائب فتأروا. والآن تلاميذ المدارس تأروا محتجين على شهادة البكالوريا، وقطاعات اخرى من الشعب جاهزة للتحرك بتشجيع من اليسار المتطرف بقيادة زعيمه جان لوك ميلانشون الذي انتقد ماكرون وجعل من هذا الانتقاد عمله ليلاً ونهاراً. فقال ان الرئيس ماكرون بدأ بادانة من قام بالعنف من دون ان يقول اي كلمة عن ضحايا هذا العنف ولا عن اعضاء قوى الامن الذين جرحوا. وازاف ميلانشون عن ماكرون انه اخطأ التقدير عن الفترة التي تمر بها فرنسا فقد اعتبر انه عبر توزيع القليل من المال سيتوقف الاحتجاج. وقال ميلانشون ان كتلته البرلمانية ليست معنية بالاجراءات التي عرضها ماكرون لانها لا تمثل اي حل.

ولكن اليمين الديغولي اقر بصواب بعض الاجراءات التي عرضها ماكرون في خطابه. فكان من المفروض منطقياً ان تهدئ قرارات ماكرون الاحتجاجات ولكن الحراك الشعبي سيستمر. وربما يتوقف الحراك عندما يتعب قطاع العمل والتجار والسياحة من هرب السياح والمشتريين على عتبة اعياد الميلاد ونشر جو الكآبة في المدن الفرنسية. فالمحتجون يريدون تحسين قوتهم الشرائية، لكن هذا غير ممكن بين ليلة وضحاها. وماكرون لا يملك عصا سحرية لذلك، فهو يحاول تحسين اوضاع فرنسا على المدى الطويل. ولكن ثورة السترات الصفر سبقته ولن تنتظر.

وبعض السياسيين من اقصى اليسار واليمين المتطرف يستغلون هذا الاستياء. ولكن ثورة السترات الصفر قد تفقد التأييد الشعبي اذا ادت الى المزيد من الخسارات لمختلف القطاعات الحيوية في البلد الذي يشهد باستمرار منذ اول الشهر كل يوم سبت اغلاقات المتاجر والاحياء والتكسير والتخريب والسرقات في باريس وبوردو وغيرها من المدن الفرنسية. هذا محكوم بالفشل اذا استمر وسيزيد الحياة في فرنسا صعوبة للمحتجين وغيرهم.

حوار حول احتجاجات الأوروبيين.. في الشوارع وفي لجان الانتخابات

*عمرو حمزاوي

المصري اليوم، القدس العربي؛ ٢٠١٨/١٢/١٥

في حوار كان لي مع عدد من الباحثين الأوروبيين منذ أيام قليلة، ذكر أحدهم أن المواطنين في دول الاتحاد الأوروبي صاروا يتوزعون إلى أغليات يحركها الخوف من الحاضر والمستقبل وتستسلم لمقولات الكراهية التي يروج لها اليمين المتطرف وأقليات تريد الحفاظ على الحرية وتبحث عن قوى سياسية تقدمية تعبر عن آمالها في مجتمعات منفتحة وعادلة.

انهالت الاعتراضات على الرجل هادئ الطباع ما إن توقف عن الحديث وجرت في مجملها باتجاه تفنيد إدانة الأغليات كوقود بشري لنيران اليمين المتطرف. جاء الاعتراض الأول من باحث اجتماعي بولندي شدد على أن الناخبين في بلاده أعطوا اليمين المحافظ والمتطرف أغلبية برلمانية بعدما صبروا طويلا على الأحزاب اليسارية والتقدمية التي أخفقت في تقديم حلول حقيقية للأزمات الاقتصادية والاجتماعية وللتوترات المرتبطة بعضوية الاتحاد الأوروبي وقضايا كالهجرة واللجوء. قال: في بلادي لم تصوت الأغلبية لليمين حبا في مقولات الكراهية أو طلبا لمجتمع «يطهر» من الأجانب، بل صوتت له لأن اليسار لم ينتج سوى عموميات عن ضرورة مواصلة السياسات الإنسانية والالتزام بالاندماج الأوروبي ولم يتناول بجدية المعاناة الاقتصادية والاجتماعية للناس. قال، ولو كان اليسار تبني أفكارا سياسية شجاعة كرفع الحد الأدنى للأجور وإعادة النظر في النظم الضريبية التي تحابي الأغنياء وتلقي بالعبء الضريبي الأكبر على عاتق الفئات متوسطة ومحدودة الدخل لتغيرت نتائج الانتخابات.

وظفت قاضية فرنسية الملاحظة بشأن عجز اليسار عن تبني أفكار سياسية شجاعة لكي تعرج على احتجاجات «السترات الصفراء» وتلدل على أن قطاعات واسعة بين مواطنيها لم تعد تشعر بأن السياسة الرسمية والأحزاب المشاركة بها يمينا ويسارا تمثل المصالح الحقيقية للناس وتدافع عنها وتضطلع بترجمتها إلى قوانين وسياسات قابلة للتنفيذ. قالت: طبقت حكومة ماكرون سياسات اقتصادية واجتماعية (فرض ضرائب جديدة على الوقود مثلا) تنتقص من حقوق متوسطي ومحدودي الدخل وفعلت ذلك في لحظة مجتمعية تتسع بها الفجوة بين الأغنياء والفقراء وتتحول بها أطراف المدن الكبيرة (باريس نموذجا) لقنابل موقوتة اقتصاديا واجتماعيا وأمنيا. قالت، ليست احتجاجات السترات الصفراء سوى «احتجاجات خبز» تقليدية كتلك التي تشهدها بلدان العالم النامي ولم يكن العنف الذي شهدته غير ترجمة مباشرة لليأس من أن تستمع السياسة الرسمية أو أن يستمع المشاركون بها من قيادات حزبية وبرلمانية إلى آنين الناس إن هم لم يخرجوا بصخب إلى الفضاء العام. قالت، ولن ترتب التنازلات الاقتصادية والاجتماعية التي قدمها ماكرون في أعقاب الاحتجاجات غير تثبيت تلك القناعة في وعي الأغلبية. فسياسة اليوم وساستها يرفضون التوقف عن محاباة الأغنياء وتهميش متوسطي ومحدودي الدخل تارة باسم مقتضيات الاندماج الأوروبي وضغوط العملة الموحدة وتارة باسم العولمة الاقتصادية وشروط المنافسة في الأسواق. ومن القاضية الفرنسية انتقلت الكلمة إلى باحث إيطالي في العلوم السياسية يدرس حاليا صعود اليمين المتطرف والشعبي والعوامل المجتمعية التي تدفع قطاعات مؤثرة من المواطنين لانتخابه. جاء التحليل متسقا مع عجز الأحزاب المشاركة في السياسة الرسمية عن تبني أفكار شجاعة توفر وإن القليل من الحلول الحقيقية للأزمات القائمة. قال: في إيطاليا يتواكب التدهور الاقتصادي وارتفاع معدلات الفقر والبطالة والاستدانة الحكومية مع فوارق في الدخل تزداد بعنف بين الأغنياء والفقراء ومع ضغوط اجتماعية بفعل تحديات الهجرة واللجوء من جهة والمنافسة الأوروبية - الأوروبية في سوق العمل. اليوم، ترى العاملة أو الموظفة الإيطالية متوسطة الدخل قدرتها على الحفاظ على نمط حياتها وحياة أسرته تنهار وتتنافس في سوق العمل مع عاملات وموظفات من بلدان أوروبا الشرقية

والوسطى وتلمح التوترات المجتمعية بفعل الفقر والبطالة والهجرة في ازدياد. قال: وإزاء كل ذلك لم تقدم الأحزاب السياسية التقليدية في اليمين واليسار غير استجابات خائفة وجزئية ولم تقو على سبيل المثال على طرح أفكار كفرض ضرائب إضافية على الأغنياء والالتزام بتوجيه العائد إلى الفئات متوسطة ومحدودة الدخل. بل ترك الأمر برمته جانبا حتى جاءت الأحزاب اليمينية المتطرفة والشعبوية، وادعت تبنيها لأفكار للعدالة الاجتماعية ومزجتها بمقولات كراهية ضد الأجانب وضد الاتحاد الأوروبي وبمقولات تستحث النعرات الوطنية، وبذلك المزيج حققت نجاحاتها المتتالية في صناديق الانتخابات.

اختتم مؤرخ ألماني الحوار بملاحظات حول احتجاجات الأوروبيين ومدلولاتها. عرف بنفسه سياسيا قائلًا أنه من ناخبي الحزب الاشتراكي الديمقراطي ويساري من يساريي الحركات الطلابية في ١٩٦٨، ثم نأى بأفكاره بوضوح عن تعميم الاتهامات للأحزاب التقليدية في اليمين واليسار بالعجز عن تبني أفكار سياسية شجاعة. قال، تواجه الأحزاب التقليدية تحديات كبرى ترتبط بتراجع الأهمية المجتمعية للقطاعات السكانية التي اعتادت تمثيلها. فالحركات والنقابات العمالية التي ولد اليسار الأوروبي من رحمها لم تعد ما كانت عليه حتى ثمانينيات القرن العشرين، والفئات السكانية متوسطة الدخل وقاطنة المدن تخلت عن رؤيتها المحافظة التي دفعها لانتخاب الأحزاب المسيحية الديمقراطية وغيرها من أحزاب اليمين التقليدي في النصف الثاني من القرن العشرين. يواجه اليمين واليسار تلك التحديات وتتشكل أحزاب سياسية بعيدا عن الوسط كاليمين الشعبي واليسار الراديكالي وتنافس أحزاب جديدة على الوسط كالخضر بأفكارهم عن البيئة والمساواة الكاملة بين النساء والرجال، غير أن اتهام الأحزاب التقليدية بالعجز يتسم بعدم الدقة. قال، في ألمانيا جاءت أفكار التحديث الكبرى خلال العقود الماضية من الاشتراكيين الديمقراطيين والمسيحيين الديمقراطيين، حيث أقر الاشتراكيون سياسات كالححد الأدنى للدخل وتغيير النظم الضريبية للحفاظ على دولة الرفاهية الاجتماعية والإبقاء على خدمات التعليم والرعاية الصحية المجانية بينما تبني المسيحيون الديمقراطيون سياسات الاندماج الأوروبي من العملة الموحدة إلى ضم الأعضاء الجدد في شرق ووسط القارة. قال، في المقابل لا تفعل الأحزاب الأخرى سوى الترويج تارة لمقولات الكراهية والخوف وثانية لمقولات فتح الأبواب للمهاجرين واللاجئين دون قيود وثالثة لمقولات عن البيئة والمساواة بين النساء والرجال بينما تتجاهل الفجوة الواسعة بين الأغنياء والفقراء داخل المجتمعات الأوروبية والفجوة الواسعة داخل الاتحاد بين الشمال الغني والجنوب الفقير. قال، أخيرا، إن اتصفت الأحزاب التقليدية اليوم بشيء من الابتعاد عن قطاعات سكانية مؤثرة وبتطبيق سياسات اقتصادية واجتماعية غير ملائمة (حكومة ماكرون نموذجا) وبالتخاذل عن تطبيق سياسات ضرورية مثل الضرائب الإضافية على الأغنياء (الضريبة المقترحة حاليا في ألمانيا على الميراث مثلا)، إلا أن احتجاجات المواطنين في الشارع كما في احتجاجات السترات الصفراء واحتجاجاتهم في صناديق الانتخابات بالتصويت لليمين المتطرف والشعبوي حتما ستعيد الأحزاب التقليدية إلى دوائر الفاعلية السياسية وتدفعها إلى تبني الجريء والشجاع من الأفكار. ففي ذلك سبيل البقاء الوحيد لها وللديمقراطيات الأوروبية.

* عمرو حمزاوي أستاذ العلوم السياسية، وباحث بجامعة ستانفورد. درس العلوم السياسية والدراسات التنموية في القاهرة، لاهاي، وبرلين، وحصل على درجة الدكتوراة في فلسفة العلوم السياسية من جامعة برلين في ألمانيا.

أزمة النخبة

*د. باسم الطويسي

صحيفة (الغد) الأردنية: ٢٠١٨/١٢/١٥

على وقع الاحتجاجات الشعبية، وحالة الإحباط التي تنتاب قواعد عريضة من المجتمع على خلفية الأوضاع الاقتصادية الصعبة واستعصاء الإصلاح السياسي المزمع يبرز دور النخب السياسية وتحديد المتقاعدة بصورة تبدو وكأنها تجدف عكس كل التيارات فلا هي قادرة على تشكيل روافد للدولة بمؤسساتها التنفيذية والتشريعية ولا هي قادرة على الاقتراب من نبض الناس وحاجاتهم كما هو الحال في عجزها عن تشكيل رؤية ثالثة تخترق السائد، وتقدم خبرتها في مرحلة حرجة تحتاج إلى خيال جماعي جديد ومنتج يطمئن الناس ويعمل على الدفع نحو إزاحة في الأوضاع القائمة، ولو بالأفكار والمواقف.

شهدت الأسابيع الماضية سلسلة من التعبيرات التي أطلقها رموز هذه النخبة التي زادت من تعقيد المشهد وإضفاء المزيد من التوتر في الحالة العامة، بعض وجهات النظر ترى في تلك التعبيرات السياسية انها لا تتجاوز المناكفات السياسية التقليدية“ لكن ثمنها يبدو هذه المرة أكثر وقعا نتيجة شدة الصعوبات الراهنة، والبعض الآخر يرى ان هذه الطبقة السياسية غير متصالحة مع الضمير الوطني العام وأنها تتحمل المسؤولية أكثر من الحكومة الحالية التي تلقت نتائج من الاخفاقات وضعف الكفاءة العامة واشكال متعددة من الفساد والترهل مارسته تلك النخب حينما كانت في السلطة، ولسان حال بعض أطياف الرأي العام لماذا لم تفعلوا؟ وأين كنتم؟.

ثمة غموض في العلاقة بين النخب المحافظة ومؤسسات الدولة السيادية ونخبها والنخب التي تدور حولها، وبين هياكل الدولة الديمقراطية الناشئة ونخبها أي من يصفون أنفسهم بالإصلاحيين ومن يدور حولهم، ومنذ أكثر من عقدين يوجد ممثلون لهياكل الدولة الديمقراطية ودعاة الإصلاح داخل سلطات الدولة إلى جانب القوى المحافظة، لكن اليوم لا يوجد توافق الحد الأدنى على تعريف الإصلاح السياسي وأدواته، ما أدى إلى عدم ترسيخ علاقة واضحة الملامح أي مسار لبناء الثقة المتبادلة، فما يزال طرفا المعادلة يتشككون في نوايا ومواقف الطرف الآخر، وكل منهما لا يمنح الطرف الآخر مساحة لمساهمة تخدم استكمال بناء النموذج الديمقراطي وخدمة الصالح العام.

تاريخيا، شهد الأردن انقسامات حادة في مزاج النخب داخل السلطات وعلى هوامشها بما فيها النخب المتقاعدة، تمثلت تلك الانقسامات في اختلافات حادة على الخيارات السياسية والاقتصادية ولم تخل تلك الانقسامات من المناكفات ايضا، ودوما كانت مؤسسة العرش ممثلة بجلالة الملك قادرة على احتواء الجميع وتحويل تلك الخلافات الى قوة دافعة للمسير للأمام بل احيانا قوة حيوية تعكس مبدأ الدولة للجميع، وبمراجعة بسيطة للتاريخ نلاحظ هذه الحالة منذ ستينيات القرن الماضي حتى يمكن ان يؤرخ لمدارس في السياسة الأردنية مثلتها تلك النخب حينما كانت في السلطة او خارجها.

هناك شك في أن ما يحدث اليوم استمرار للحالة التقليدية، فالتعبيرات السياسية الراهنة، اقل ما يقال حولها انها انقسامية أكثر من كونها بنائية، وتحمل أبعادا شخصية أكثر من كونها مشغولة بالهم العام. هناك الكثير من السمات والملامح اليومية التي تسهم بوضوح في حالة الانقسام نتيجة غياب الهدف المشترك، فالكل يعمل ضد الكل، وثمة صراعات نخبوية واجتماعية لا تنتهي محصلتها صفر على الجميع، وثمة ثقافة سياسية فسيفسائية تشكل وعي الأجيال المسييسة الجديدة.

النخب السياسية التقليدية التي تشعل الفضاء العام هذه الأيام لا يوجد لها روافع ولا قواعد متينة داخل المجتمع، والنخب الجديدة لم تتمكن الى هذا الوقت من بناء شرعية في الانجاز ولم تخلق طمأنينة لدى الناس بنهجها، في بلادنا ثمة ضحالة وفقير في خلق ثقافة التوافق في اللحظات الحرجة بل يزداد الانقسام عكس ما يحدث في الكثير من المجتمعات، نحتاج اليوم الى المزيد من الطبخ السياسي كي ننضج، كي نخلق الهدف الوطني الكبير الذي يلتف الجميع حوله، حينما تكون البنى المؤسسية هشة تعمل الانقسامات السياسية على تهشيم الدولة بصورة صادمة“ فاحذروا.

هل تطول سنوات ضياع العرب؟

*غازي دحمان

العربي الجديد: ٢٠١٨/١٢/١٥

أقصى مراحل حياة الأمم، تلك المرحلة التي لا لون ولا طعم لها، وهي سنوات تعيشها الأمم بانتظار التغيير، ولا يكون للحاضر فيها أي وظيفة ولا قيمة بالتالي. أما المستقبل فصورته غير واضحة المعالم، ومشوشة بدرجة كبيرة، والأصعب من ذلك عدم اليقين بشأن ولادته.

كان أنطونيو غرامشي، الفيلسوف الإيطالي، خير من وصف هذه الوضعية، عندما قال: "تتجلى الأزمة تحديداً في أن القديم آيل إلى الزوال، بينما لا يستطيع الجديد أن يولد، وفي فترة التريث هذه، يبرز عدد كبير من الأعراض المرضية"، يشبه هذا الوصف، بدرجة كبيرة، أيام العرب الراهنة، بعد ٢٠١١، بعد أن انعطف بهم التاريخ، لكن حركته تباطأت، لدرجة اعتقد معها الكثير أنها توقفت.

وإذا كانت هناك قناعة بأن التاريخ لا يتوقف، وهو بمنزلة طاحونة تهرف كل ما يلقي بها، فهل ما نحن بصدده إعادة إنتاج الأوضاع القديمة عبر تغليفها بأطر وهياكل جديدة، وتقديمها كطلوع ومخارج للأزمة التي ترفض على صدر العالم العربي، واعتبار ذلك أفضل الممكن؟

نجت جميع الأنظمة السياسية في العالم العربي من السقوط المتتالي (الدومينو)، نتيجة إخراج كرت الإرهاب من قبعتها ووضعها على الطاولة في الوقت المناسب. إلى هنا يمكن القول إننا أمام لعبة سياسية انتهى شوطها الأول على هذه الشاكلة، لكن علينا أن نتذكر أيضاً أن الكروت تحترق وتنتهي صلاحيتها، ومن غير الممكن استخدامها دائماً وفي كل الحالات.

وما تفعله الأنظمة العربية اليوم، لم يعد ينطبق عليه لا لعبة سياسية ولا عملية سياسية. إنها لحظات الانتشاء بالفوز، التي من المفترض أن تكون عابرة لا سياسة دائمة، فلا يمكن لهذه الأنظمة مداواة مجتمعاتها المثخنة بالجراح، ولا تلبية استحقاقاتها، ولا العبور بها إلى مرحلة الأمان عبر احتفالية دائمة ومستمرة بنصرها المؤزر على شعوبها، وتعطيل كل مناحي الحياة من تنمية وتطور وتأمين خدمات اجتماعية وتعليمية، وخلق فرص عمل لعشرات ومئات الآلاف من الشباب الداخلين لسوق العمل، وكذلك تطوير للمجال السياسي بما يضمن نسبة أعلى من المشاركة، وقدرا أكبر من الشفافية والديمقراطية. ألم تكن هذه محركات الأزمة/ الأزمات التي ضربت العالم العربي؟ لكن أليست هذه الحزمة من الطلبات ثقيلة على كاهل هذه الأنظمة المدللة، التي اعتادت أن تأخذ دون أن تعطي، واعتادت أن تطلب من مجتمعاتها فيجاب طلبها، لا أن يطلب منها أحد ويحدد لها أطرا زمنية لإنجاز مهام معينة؟! ألم تخض هذه الأنظمة كل جولات الصراع العنيفة لتتخلص من أولئك المشاغبيين، المندسين والخونة والمتخابرين مع الخارج، الذين طلبوا وطلبوا؟ ثم ألا ترون أن هذه الأنظمة انتصرت، ما يعني أنها لم تعد مطالبة بشيء، ولا يحق لأحد مطالبتها بأي شيء من هنا إلى قرن من الزمان؟

نعم، هذا هو شكل الزمن العربي القادم مع هذه الأنظمة. باختصار هي لن تحرق نفسها لتصنع "من الزفت لفتا". هذا ما كانت تعرفه قبل الأزمة، وهذا ما زالت تعرفه بعد الأزمة. هذه الأنظمة لا تعرف التطوير والتغيير، لا في زمن الهناء ولا تحت الضغط والمطالب، وهي لا تعرف من أساليب الحكم غير ما تمارسه وتقوم به. هذه الأنظمة، على رأي مسلسل باب الحارة الشهير، "شكلين ما بتحكي"، ومن يطالبها بغير ذلك فليجهز نفسه إما للسجن أو للنفي أو القتل لأنه بذلك يتقصّد إحراجها وإثارة البلبلّة والفوضى ضدها.

وعلى أساس ذلك، فإن هذه الأنظمة عمليا خرجت تماما من العملية السياسي، وإن كانت أدواتها لا زالت تملك القدرة على البطش، ذلك أن أي عملية سياسية في أي مجتمع، حتى لو كان بدائيا رعويا، لا بد أن تقوم ضمن معادلة مطالب يقدمها الجمهور وقرارات على شكل استجابات لهذه المطالب من قبل السلطة، ولا بد أن يكون هناك درجة كافية من الرضاء على أداء هذه السلطة، حتى أزعج الحارة يراعي هذه المعادلة ويخضع لها.

وتقول الحكمة التقليدية، من جرب المجرب عقله مخرب. والحقيقة أن الشعوب العربية تعرف أن أنظمتها وصلت إلى نهاية مشوارها، بل تجاوزت زمن انتهائها بمسافة، ولم تعد تنتظر منها شيئا، فقط تنتظر ولادة الخلف (الجديد) الذي قد يأتي معه أمل، بل لا بد أن يأتي بذلك، ولكن إلى متى ستننتظر الشعوب؟ الظن أن انتظارها لن يطول كثيرا.

هدم القيم.. المشكلة الأخلاقية للإسلام السياسي

*د. نبيل الحيدري

موسوعة كتابات: ٢٠١٨/١٢/١٥

من أهم مشاكل الإسلام السياسي بفرعيه الشيعي والسني هدم القيم الأخلاقية، حيث يدعي المنتمون لهذه الجماعات المثالية الأخلاقية وهم يرفعون شعارات إسلامية مثل "الإسلام هو الحل"، بينما تكون سلوكياتهم أبعد ما تكون عن الإسلام وقيمه الرفيعة ومبادئه السامية من التسامح والمحبة والخير والبناء.

لقد انحدر الإسلام السياسي إلى مستوى أخلاقي منحط لدرجة تعد "فضيحة كبرى" وتمثل ازدواجاً في الشخصية عند قيادات الإسلام السياسي بين القول والعمل الذي نهى عنه القرآن الكريم (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم).

يكفينا اليوم أن نرى واقع الإسلام السياسي على الأرض عندما حكم الإخوان المسلمون في مصر وتونس وليبيا في جانبه السني، وإيران والعراق ولبنان واليمن وسوريا من جانبه الشيعي، فالعاسي والمعاناة والتخلف والظلم والطغيان نتائج متشابهة للإسلام السياسي وثافتاته أينما حل هو وأتباعه

فطارق رمضان نموذج حي لأخلاقيات جماعات الإسلام السياسي فهو عضو في اتحاد علماء المسلمين ووالده هو سعيد رمضان من زعماء الإخوان المسلمين الممنوع من دخول الولايات المتحدة الأمريكية بتهمة دعم الإرهاب العالمي، بينما والدة طارق هي وفاء البنا ابنة حسن البنا مؤسس منظمة الإخوان الإرهابية.

طارق رمضان رمز صارخ لهذه الازدواجية والتناقضات المهولة للإسلام السياسي بين الشعارات البراقة والممارسات الفاضحة، لاسيما الاعتداء الجنسي والتحرش المتعمد على مجموعة من النساء. حيث يعلم الجميع عما كشفت عنه مصادر قضائية فرنسية بأن رمضان اعترف أخيراً باعتدائه الجنسية أمام قاضي التحقيق الفرنسي، بعد أن نفى على مدى أشهر إقامته أي علاقة جنسية مع المدعيتين الرئيسيتين عليه هندا العياري وبول أيما آلين المشهورة بـ"كريستيل".

كما أظهر الكشف الأخير عن الرسائل القصيرة المتبادلة مع صاحبة الشكوى الثانية "كريستيل" علاقة وثيقة وصريحة بين الطرفين، وتحدث طارق رمضان في الرسالة عن أوهامه الجنسية العنيفة والاستبدادية، والتي تتفق مع الوصف الأولي للحقائق من قبل صاحبة الشكوى التي تحدثت عن الصفات واللزمات وشدة الشعور والإذلال التي اعتاد رمضان على ممارستها. وقد أرسل طارق رسالة نصية قال فيها: "شعرت بالحرج.. آسف على العنف"، وتابع قائلاً: "لم يعجبك.. أنا آسف".

لقد سبق لي أن التقيت بطارق رمضان في بعض مؤتمرات لندن مع رفيقه الإخواني التونسي راشد الغنوشي لاسيما في جامعة لندن وحوار الأديان الذي أحرص على المشاركة فيه منذ ٣٠ عاماً، حيث كانا يسوقان لأفكار وأطروحات الإسلام السياسي، ويروجان كما يروج غيرهم من رموز هذه الجماعات أن "الإخوان" هي البديل المناسب للجماعات المتشددة والإرهابية كالقاعدة وداعش وغيرها، ولم يفت هؤلاء أن جميع التنظيمات الإرهابية بشقها السني قد نبتت من بذرة الإخوانية، بينما الشق الشيعي للإسلام السياسي هو الحليف الأقوى لتنظيم الإخوان الإرهابي كذلك.

إن الإسلام السياسي بشقه الشيعي الذي مركزه النظام الإيراني وأتباعه في المنطقة وشقه السني المتمثل في تنظيم الإخوان الإرهابي يعاني من قدر كبير في الازدواجية والتناقض والانتهازية، حيث يشاهد الجميع تلك الانتهاكات الأخلاقية التي تقوم بها جماعات الإسلام السياسي ومليشياته في الاعتداء على الحرمات وقتل الأنفس وانتهاك حقوق الأطفال والنساء وتعريض المدنيين للخطر، وذلك كله يؤكد أن هذه الجماعات آخر ما يههما هو القيم والاعتبارات الأخلاقية، فهي لديها الاستعداد التام لإباحة كل محظور وتحليل كل حرام للوصول إلى تحقيق غاياتها وأهدافها السياسية.

يكفينا اليوم أن نرى واقع الإسلام السياسي على الأرض عندما حكم الإخوان المسلمون في مصر وتونس وليبيا في جانبه السني، وإيران والعراق ولبنان واليمن وسوريا من جانبه الشيعي، فالعاسي والمعاناة والتخلف والظلم والطغيان نتائج متشابهة للإسلام السياسي وثافتاته أينما حل هو وأتباعه.

العالم الذي صنعه جورج بوش الأب

*ريتشاردن. هاس

بروجيكت سنديكيت : ٢٠١٨/١٢/١٥

عملتُ مع أربعة رؤساء أمريكيين، ديمقراطيين وجمهوريين على حد سواء، ولعل الشيء الأكثر أهمية الذي تعلمته على طول الطريق هو أن القليل مما نسميه التاريخ يكون حتمياً. فما يحدث في هذا العالم يأتي دوماً نتيجة لما يختار الناس القيام به أو ما يختارون الامتناع عن فعله عندما يجدون أنفسهم في مواجهة تحديات أو فرص.

نال جورج بوش الأب "رئيس الولايات المتحدة الحادي والأربعون، أكثر من نصيبه من التحديات والفرص، والسجل واضح: فقد ترك منصبه في وقت حيث كان العالم أفضل كثيراً مما كان عليه عندما تولى المنصب.

عملتُ لصالح بوش الأب ومعه غالباً طوال سنوات رئاسته الأربع. وكنت عضواً في مجلس الأمن القومي والمسؤول عن الإشراف على تطوير وتنفيذ السياسة في التعامل مع الشرق الأوسط، والخليج الفارسي، وأفغانستان، والهند، وباكستان. وكنت أيضاً شريكاً في مداوات سياسية جيدة كثيرة أخرى.

كان بوش لطيفاً، مهذباً، منصفاً، متفتح الذهن، متفهماً، متسامحاً، متواضعاً، صاحب مبادئ، ومخلصاً. وكان يحترم قيمة الخدمة العامة ويرى نفسه ببساطة على أنه آخر حلقة في سلسلة طويلة من رؤساء الولايات المتحدة، ومجرد شاغل مؤقت آخر للمكتب البيضاوي، وراع للديمقراطية الأمريكية.

كانت إنجازات بوش الأب في السياسة الخارجية عديدة ومهمة، بدءاً بإنهاء الحرب الباردة. ولا شك أن الحرب انتهت نتيجة لأربعة عقود من الجهود الغربية المتضافرة في مناطق العالم كافة، وهزيمة السوفييات في أفغانستان، والعيوب العميقة التي شابت النظام السوفياتي، وكلمات وأفعال ميخائيل غورباتشوف. لكن أياً من هذا لم يكن يعني أن الحرب الباردة من المحتم أن تنتهي بسرعة أو سلمياً.

انتهت الحرب، جزئياً، لأن بوش كان حساساً في التعامل مع مأزق غورباتشوف ثم بوريس يلتسين من بعده، فتجنب جعل الوضع الصعب مهيناً. وكان بوش حريصاً على عدم إبداء الارتياح الظافر أو الانغماس في خطابة الانتصار. وكان موضع انتقاد واسع النطاق بسبب حرصه على ضبط النفس، لكنه تمكن من تجنب إشعال شرارة ذلك النوع من ردود الفعل القومية التي نشهدها الآن في روسيا.

كما حصل بوش على مبتغاه. ولا ينبغي لأحد أن يخلط بين حذر بوش ورذيلة الجبن أو التردد. فقد تغلب على تردد (وفي بعض الأحيان اعتراضات) نظرائه الأوروبيين وعمل على تعزيز إعادة توحيد شطري ألمانيا - ومهد السبيل لالتحاقها بعضوية حلف شمال الأطلسي. وكان ذلك فن إدارة الدولة في أرقه صورته.

كان الإنجاز الكبير الآخر الذي حققه بوش في عالم السياسة الخارجية هو حرب الخليج. فقد اعتبر إقدام صدام حسين على غزو واحتلال الكويت تهديداً، ليس فقط لإمدادات النفط المهمة القادمة من المنطقة، بل أيضاً لعالم ما بعد الحرب الباردة الناشئ. وكان بوش يخشى أن يشجع هذا العمل العدواني المزيد من الفوضى إذا لم يُرد عليه.

بعد أيام من اندلاع الأزمة، أعلن بوش أن عدوان صدام حسين لن يستمر. ثم قام بحشد تحالف دولي غير مسبوق لدعم العقوبات والتهديد باستخدام القوة، وأرسل نصف مليون جندي أمريكي نصف المسافة حول العالم للانضمام

إلى مئات الآلاف من قوات دول أخرى، وعندما فشلت الجهود الدبلوماسية في فرض الانسحاب العراقي الكامل وغير المشروط، حرر التحالف الكويت في غضون بضعة أسابيع بعدد قليل للغاية من الضحايا من القوات الأمريكية وقوات التحالف عموماً. وكانت هذه حالة تستحق الدراسة الأكاديمية للكيفية التي قد تعمل بها التعددية.

يجدر بنا أن نذكر نقطتين أخريين في هذا الصدد. فأولاً، كان الكونغرس عازفاً عن العمل في التصدي لعدوان صدام. وكاد التصويت في مجلس الشيوخ للتصريح بالقيام بعمل عسكري يفشل. ومع ذلك، كان بوش على استعداد لإصدار الأمر بإطلاق ما عُرف بعد ذلك بعملية عاصفة الصحراء حتى بدون الحصول على موافقة الكونغرس، لأن القانون الدولي ومجلس الأمن التابع للأمم المتحدة كانا في صفه بالفعل. كان بوش على هذا القدر من قوة العزم واحترام المبادئ.

ثانياً، رفض بوش السماح لنفسه بالتورط في الأحداث. كانت المهمة تحرير الكويت، وليس العراق. وانطلاقاً من إدراك تام لما حدث قبل أربعة عقود من الزمن عندما وسعت الولايات المتحدة والقوات التابعة للأمم المتحدة هدفها الاستراتيجي في كوريا وحاولت توحيد شطري شبه الجزيرة بالقوة، قاوم بوش الضغوط التي فرضت عليه لحمله على توسيع أهداف الحرب. وكان يخشى أن يفقد ثقة قادة العالم الذي جمعهم حول هذه المهمة، فضلاً عن الخسائر في الأرواح التي من المحتمل أن يسفر عنها توسيع أهداف الحرب. وكان راغباً أيضاً في الإبقاء على الحكومات العربية في صفه لتحسين آفاق عملية السلام في الشرق الأوسط والتي كان من المقرر أن تبدأ في مدريد بعد أقل من عام. ومرة أخرى كان قوياً بالقدر الكافي لمقاومة المزاج السائد آنذاك.

لا شيء من هذا يعني أن بوش كان على حق دائماً. إذ كانت نهاية حرب الخليج فوضوية^{٢٠} حيث تمكن صدام من التمسك بالسلطة في العراق من خلال حملة قمع وحشية ضد الكرد في الشمال والشبيعة في الجنوب. وبعد عام واحد، كانت إدارة بوش بطيئة في الاستجابة للعنف في البلقان. وكان بوسعها أن تبذل المزيد من الجهد لمساعدة روسيا في الأيام المبكرة من مرحلة ما بعد الاتحاد السوفييتي. ولكن في الإجمال، كان سجل الإدارة في مجال السياسة الخارجية إيجابياً مقارنة بسجل أي رئيس أمريكي معاصر، أو أي زعيم عالمي معاصر آخر في هذا الصدد.

وأخيراً، جمع بوش ما يمكن اعتباره أفضل فريق في مجال الأمن القومي في الولايات المتحدة على الإطلاق. فكان برينت سكوكروفت بمثابة المعيار الذهبي لمستشاري الأمن القومي. وكان جيمس بيكر وزير الخارجية الأكثر نجاحاً منذ هنري كسينجر وفقاً لبعض التقديرات. ومعهما كان كولين باول، وديك تشيني، وروبرت جيتس، ولاري إجلرجر، ووليام وبستر، وغيرهم من أصحاب المكانة والخبرة.

يعيدنا كل هذا إلى جورج بوش الأب، الذي اختار الناس. والذي ضبط النعمة والتوقعات. وكان بارعاً في الإنصات لآراء من حوله. وكان يصر على اتباع العملية الرسمية. وكان القائد.

إذا كانت السمكة تفسد من رأسها أولاً، كما يقول المثل، فإنها تزدهر أيضاً إذا صلح رأسها. وقد ازدهرت الولايات المتحدة نتيجة لإسهامات رئيسها الحادي والأربعين العديدة. واستفاد الكثيرون أيضاً في مختلف أنحاء العالم. ونحن مدينون له جميعاً بالشكر. ولا نملك الآن سوى أن نتمنى له راحة أبدية مستحقة.

* رئيس مجلس العلاقات الخارجية، شغل سابقاً منصب مدير التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الأمريكية (٢٠٠١-٢٠٠٣)، وكان المبعوث الخاص للرئيس جورج دبليو بوش إلى أيرلندا الشمالية ومنسقا لمستقبل أفغانستان. وهو مؤلف كتاب "عالم في الفوضى: السياسة الخارجية الأمريكية وأزمة النظام القديم".

حتمية انتهاء القديم وصعوبة ولادة الجديد

*مروان المعشر

مركز كارنيغي : ٢٠١٨/١٢/١٥

أصاب الفيلسوف الإيطالي في القرن العشرين انطونيو غرامشي كبد الحقيقة في تحليله لتغير المجتمعات حين قال: "تتجلى الأزمة تحديداً في أن القديم آيل الى الزوال، بينما لا يستطيع الجديد أن يولد، وفي فترة التريث هذه، يبرز عدد كبير من الأعراض المرضية".

الدلائل على انتهاء القديم فيما يتعلق بنا في الأردن بات من المستحيل إنكارها، ولو أن البعض من النخبة السياسية والبيروقراطية ما يزال يتصرف وكأننا ما نزال نعيش قبل أربعين أو خمسين عاماً. لقد تم اتباع نهج اقتصادي على مدى الأعوام الثلاثين الماضية ركز على الاقتصاد الكلي مغفلاً في الوقت ذاته مواضيع في غاية الأهمية كتخفيض البطالة ورفع مستوى التعليم النوعي وزيادة فرص العمل في القطاع الخاص وربط الإصلاح الاقتصادي بإصلاحات سياسية تمكن من مراقبة التجاوزات ومنعها وضمان عدم استئثار السلطة التنفيذية بصنع القرار. فكانت النتيجة بعد ثلاثين عاماً زيادة البطالة من ١٣ الى ١٨ بالمائة، وانخفاض الخدمات الصحية والتعليمية، وزيادة كبيرة في معدلات الفساد، وعدم قدرة القطاع العام على استيعاب المزيد من القوى العاملة، وزيادة حجم الدين ليصل الى ٢٨ مليار دينار، وتراجع البنية التحتية. وعندما جاءت الأجندة الوطنية العام ٢٠٠٥ لتحاول إيقاف التراجع في ارتفاع البطالة والدين والخدمات العامة، تم وأدها من دون أن يرف جفن قوى الوضع القائم.

أما فيما يتعلق بالنهج السياسي، فلعل الدولة الأردنية لم تتبع يوماً مساراً مستمراً ومستداماً نحو تطوير دولة القانون والمؤسسات الراسخة ونظاماً حقيقياً من الفصل والتوازن، وارتبطت فترات الإصلاح السياسي فقط بردود الفعل تجاه أزمات كالعامين ١٩٨٩ و٢٠١١ وغيرها، حتى إذا ما انحسرت ظواهر هذه الأزمات عادت الدولة لتواصل نهجها في إدارة البلاد.

اليوم وقد وصلنا الى نهاية نهج الدولة الريعية، فهل هناك إدراك ليس فقط لذلك بل لضرورة بدء العمل لنهج جديد؟ ومن يؤسس لهذا النهج الجديد ونحن نعيش مرحلة التريث التي تحدث عنها غرامشي؟ أهي النخبة السياسية التي اعتادت على امتيازات لا تريد فقدانها؟ أم هي الطبقة البيروقراطية التي استفادت الى حد كبير من النظام الريعي؟ أم هو الشارع الذي سئم النهج القديم من دون قدرته بعد على تأطير الجديد؟

كم صفاة إنذار نحتاج قبل أن ندرك جميعاً أن لا خلاص في تناحرنا، ولا نجاة في إنكار انتهاء الوضع القديم، ولا فائدة في مقاومة التغيير، ولا شاطئ أمان في استمرار الوضع القائم. كم احتجاجاً شعبياً نحتاج قبل أن ندرك أن الخلاص لم يعد يكمن في تغيير الحكومات أو الأشخاص، وأن تغيير النهج والتأسيس لدولة عصرية لا يأتي بقرار إداري، بل يحتاج لتوافق وطني، وليس بالإمكان تحقيقه عن طريق تكميم الأفواه أو عرقلة التأسيس لحياة سياسية حزبية حقيقية أو التشبث بأدوات استنفدت ولم يعد بالإمكان ضمان استدامتها؟

أعلم تماماً صعوبة الانتقال للجديد، ولكنني أدرك أيضاً استحالة التشبث بالقديم. لن نضع أنفسنا على سكة الخلاص إن بقينا نصر على الأدوات القديمة، ونعتقد أن الإصلاح الاقتصادي البطيء قادر على تخطينا أزمنا الحالية، فإن كانت هذه الحكومة تقول ذلك، فماذا تركت للحكومات المحافظة؟

دعونا لا نترك الشارع يفلت من أيدينا، فلم يعد هناك متسع من الوقت. لا مناص من التوافق الوطني الحقيقي، جريئاً في الميثاق الوطني وأثبت نجاعته، ورفضاً في الأجندة الوطنية ونرى النتيجة اليوم، فهل نتعظ ونستعين به لخروج منتظم وسلس من الأزمة السياسية والاقتصادية التي تعيشها الدولة؟

"موت الديمقراطية" وخطر الشعبوية

* محمد السماك

صحيفة (الاتحاد) الإماراتية : ٢٠١٨/١٢/١٥

إلى أين تتجه الولايات المتحدة الأمريكية في عهد الرئيس دونالد ترامب في ضوء سياساته التي ينتهجها، وفي ضوء الأسلوب الذي يعتمده في إدارة الشؤون العامة؟ تعددت الإجابات على هذا السؤال داخل أمريكا وخارجها. إلا أن كل الإجابات تلتقي حول أمر أساسي وجوهري، وهو أن ما يحدث ليس مجرد تغيير سياسي، بل تجاوز ذلك ليصبح تغييراً في المنهج.. وتالياً في الهدف. ولكن إلى أين؟ صدرت عدة دراسات سياسية تحاول الإجابة عن هذا السؤال. ولعل من أهمها وأجراها الكتاب الجديد لـ«بنيامين كارترهات»، أستاذ العلوم التاريخية في جامعة «هانت» الأمريكية وعنوانه: «موت الديمقراطية: صعود هتلر إلى السلطة وسقوط جمهورية وايمر». ووايمر هو اسم الجمهورية الألمانية قبل هتلر ونازيته.

المؤلف لاحظ أن النازية في الأساس كانت حركة وطنية ضد العولمة، وربما هذا يشبه الاتجاهات التي أدت لفوز ترامب. وأنها رفعت شعار طرد الأجانب من البلاد للتخفيف من أعباء الأزمة الاقتصادية التي كانت تواجهها ألمانيا، وهو ما فعله ويفعله ترامب أيضاً. وقال الكاتب إن تلك الحركة تطورت بعد ذلك لتدعو إلى وجوب قيام ألمانيا باحتلال المناطق التي تحتاج إليها حتى يتعافى اقتصادها، وذلك بمعزل عن الدول الأخرى. وينسب المؤلف إلى وزير الإعلام النازي الجنرال «جويلز» قوله «إننا نحتاج إلى بناء جدار. جدار يحمينا». وكأن المؤلف يريد هنا أن يذكرنا بالجدار الذي يبنيه ترامب على طول الحدود مع المكسيك. وكذلك بسياساته الاقتصادية ضد دول الجوار (كندا والمكسيك) وحتى ضد الاتحاد الأوروبي.

ويضيف المؤلف إلى ذلك أن هتلر لم يعزو الأزمة التي كانت تواجهها بلاده إلى تراجع الاقتصاد الألماني في حينه، ولكنه حمل اليهود المسؤولية، واتهمهم بتنفيذ مخطط دولي يستهدف ألمانيا. ويشير الكاتب كذلك إلى البرنامج النازي الذي صدر عام ١٩٣٠، والذي نص على وجوب «طرد جميع الأجانب من غير المواطنين، أي من غير الألمان». والمحور الأساس الذي كان الصراع يدور حوله في المناسبتين السياسيتين في ألمانيا والولايات المتحدة هو الديمقراطية المريضة - في ألمانيا - والديمقراطية المتعثرة في أمريكا.

ويعزو المؤلف مرض الديمقراطية الألمانية في حينه إلى عجز الرئيس الألماني «هندينبرغ» وإلى مبادرته إلى التحالف مع الحركة النازية الصاعدة على أمل تشكيل أكثرية تحت رئاسته. فكانت النتيجة أن النازيين حصلوا على ٣٧ بالمائة من الأصوات في الانتخابات العامة، وتجاوزوا الرئيس واختاروا هتلر بدلاً عنه. وقد مات هندينبرج في العام التالي ١٩٣٤ مهموماً. وهذا يذكرنا المؤلف أيضاً بردّ فعل قسم كبير من الرأي العام الأمريكي -الذين دغدغت مشاعرهم الشعارات الوطنية المبالغ فيها - فتخلوا عن الحزب «الديمقراطي» بعد انتهاء ولايتي أوباما، ثم كان انتخاب ترامب بديلاً عنه. صحيح أنه لا تصح مقارنة أوباما بالرئيس الألماني هندينبرج، إلا أن الصحيح هو أن كلا منهما وقع في خطأ حساباته السياسية، وساهم خطأ كل منهما في ولادة الحالة الهتلرية في ألمانيا، والحالة الترامبية في الولايات المتحدة، على ما بين الحالتين من اختلافات ومن تباينات جوهرية، إلا أن القاسم المشترك بين الحالتين يتمثل في وصول تيار شعبي إلى السلطة، وفي تراكم التداعيات السلبية لذلك على الديمقراطية وعلى النظام العالمي.

* كاتب لبناني

برلمان كوسوفو يقر تأسيس جيش.. والأقلية الصربية تنعي «السلام»

وكالة رويترز: ٢٠١٨/١٢/١٥

صادق برلمان كوسوفو على تشكيل جيش يضم ٥٠٠٠ جندي، بعد أسبوع على تحذير صربيا من أن تلك الخطوة قد تدفعها إلى تدخل عسكري.

ووافق ١٠٥ من ١٢٠ نائباً في البرلمان، على تشريع إقامة الجيش الذي يقضي بتحويل قوة الأمن خفيفة التسليح التي شكّلت أساساً لمواجهة الأزمات والدفاع المدني وإزالة مخلفات الحرب، إلى جيش. وقاطع التصويت ١١ نائباً يمثلون الأقلية الصربية، علماً أن البرلمان كان أقرّ إنشاء وزارة للدفاع.

وقال رئيس البرلمان أمام نواب إن «برلمان كوسوفو أقرّ القانون المتعلق بقوة أمن كوسوفو! تهانينا!»
وينصّ القانون على أن هذه القوات ستكون مسؤولة عن «تأمين وحدة أراضي البلاد، وحماية ممتلكات جمهورية كوسوفو ومصالحها، وتقديم دعم عسكري للسلطات المدنية لدى حصول كارثة، والمشاركة في عمليات دولية».
ومنذ الحرب بين القوات الصربية وانفصاليّ كوسوفو الألبان (١٩٩٨-١٩٩٩)، تضمنت قوة دولية يقودها الحلف الأطلسي، سلامة أراضي كوسوفو ووحدتها.

وسارعت الولايات المتحدة إلى الترحيب بالتصويت، إذ أشاد السفير الأمريكي في بريشتينا بمساهمة «في السلام والاستقرار في كوسوفو والمنطقة».

لكن الأمين العام لـ«الأطلسي» ينس ستولتنبرغ أسف للتصويت، لافتاً إلى أن الحلف «سيكون مرغماً على مراجعة مستوى التزام» المنظمة مع قوة أمن كوسوفو. واستدرك أن الحلف «يبقى ملتزماً عبر قوته الدولية» أمن كوسوفو «والاستقرار في منطقة البلقان»، علماً أن ٤ دول أعضاء في «الأطلسي» لا تعترف باستقلال كوسوفو المُعلن في ٢٠٠٨، هي إسبانيا واليونان ورومانيا وسلوفاكيا.

واستقبلت بريشتينا التصويت على اصوات طبول وأبواق، فيما سمعت أصداء احتفالات في الشطر الجنوبي من مدينة ميتروفيتسا المقسومة، حيث يقيم الألبان. في المقابل، شارك مئات من الصرب في تظاهرة احتجاج، شمال المدينة، وعمد بعضهم إلى رفع أعلام صربية في منطقتهم، فيما ارتفعت قبالتها أعلام أمريكية.

في المقابل، قال رئيس كوسوفو هاشم تاجي: «بعد عقدين من عمل شاق، ننجز أخيراً عملية بناء دولة». وكان ارتدى الخميس زيّه العسكري، ليؤكد أن الجيش الجديد سيكون في خدمة جميع المواطنين، أياً يكن انتماءهم الإثني. وأضاف: «الصرب هم مواطنون في كوسوفو، إنهم في وطنهم».

ولا يزال حوالي ١٢٠ ألف صربي من سكان كوسوفو يدينون بالولاء لبلغراد، ويغضبهم قرار تأسيس الجيش. وقال ماركو دوسيتش: «إذا نفذ ألبان (كوسوفو) شيئاً ضدنا، أمل بأن تنفذ لدولة الصربية خطوة لحمايتنا».

واعتبر المسؤول السياسي في الأقلية الصربية غوران راكيتش أن القانون «يُطلق رصاصة على السلام»، محذراً بريشتينا من إرسال قوات إلى شمال كوسوفو. لكنه دعا إلى «ضبط النفس وعدم الردّ على الاستفزازات».

في بلغراد، أكدت رئيسة الوزراء آنا برنابيتش أن صربيا ستبقى «على طريق السلام»، فيما دعا ستولتنبرغ والسفير الأمريكي في بريشتينا إلى استئناف الحوار المعطل منذ أشهر بين بلغراد وبريشتينا.

أما الرئيس الصربي ألكسندر فوسيتش فذكر أن كوسوفو هو «أسوأ كوابيسه».

بعد خطاب ماكرون .. السترات الصفر إلى أين؟

*محمد شومان

منبر الحرية: ٢٠١٨/١٢/١٢

فرنسا دائماً وعبر التاريخ هي «الاستثناء الأوروبي» في الأفكار والانتفاضات والثورات، وفرنسا أيضاً لها قوة الإلهام والخيال، وبناء نماذج التمرد على كل أنواع السلطة، هي الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩، وثورة ١٨٤٨، وكومونة باريس ١٨٧١، وثورة الشباب عام ١٩٦٨، والمفارقة أن كل ثورات فرنسا لم تنجح في الوصول إلى السلطة لكن أفكارها وقيمها كانت ذات تأثير هائل في فرنسا والعالم، حيث ألزمت فرنسا الدولة والمجتمع بقيم الحرية والعدل والمساواة، والديموقراطية والحقوق المدنية والعلمانية. وحصل الفرنسيون عبر نضالهم التاريخي المستمر والحيوي على مكاسب اجتماعية، وسياسية وعمالية وطلابية كبيرة .

لكن ما يعرف بالإصلاحات النيوليبرالية التي انطلقت منذ منتصف الثمانينات، ثم الأزمة المالية عام ٢٠٠٨، وسياسات التقشف والهدم الاجتماعي للشركات التي نفذتها الحكومات المتعاقبة .. وصولاً إلى حكومة ماكرون أدت إلى تفكيك ما تبقى من النموذج الاجتماعي الفرنسي، على حد توصيف عالم الاجتماع الفرنسي الشهير كريستوف جيلبي الذي يقول أن سياسات العولمة الاقتصادية خلال الثلاثين سنة الأخيرة كانت دائماً في خدمة نخبة ضيقة مقابل أغلبية الفرنسيين، أو فرنسا الهامش، ما خلق تناقضاً طبقياً كبيراً ومعاناة واسعة للفقراء والطبقة الوسطى .. ويضيف جيلبي، فرنسا الهامش هو المجال الجغرافي الذي تندر فيه فرص العمل وتنتشر فيه البطالة والحرمان من الخدمات الحكومية .. وهذا الهامش ليس فقط المناطق الريفية وإنما أيضاً سكان ضواحي المراكز الحضرية الكبيرة الذين يشكلون طبقة اجتماعية تجمع الفلاحين والعمال والعاطلين والمياومين والمتقاعدين .. هذا الخليط يشكل ٦٠ في المئة من السكان أي غالبية الكتلة الانتخابية .

أحدث إجراءات الإصلاحات النيوليبرالية كانت خلال هذا العام - يوافق الذكرى الخمسين لمظاهرات ١٩٦٨- عندما ارتفعت أسعار الديزل بنحو ٢٣ في المئة خلال ١٢ شهراً الأخيرة، والمشكلة أن الديزل يمثل ٨٠ في المئة من استهلاك الوقود، أي أنه يؤثر في مستوى إنفاق أغلبية الفرنسيين، وكانت الحكومة قررت زيادة الضرائب على البنزين والديزل بداية من الشهر القادم، نظراً للحاجة إلى مكافحة الاحتباس الحراري العالمي وتمويل الاستثمارات في مجال الطاقة المتجددة. لكن ممثلي السترات الصفر يؤكدون أنه لا توجد علاقة بين هذه الضريبة وخفض انبعاث الغازات الدفيئة، بدليل أن الحكومة تمنح شركة توتال إعفاء من الضرائب، كما أن الدخل من ضريبة الوقود كان سيذهب إلى تغطية العجز في الميزانية، والذي جاء نتيجة إلغاء ضريبة الثروة ومنح الأغنياء إعفاءات ضريبية واسعة. وبدأت حركة الاحتجاج على خطط زيادة الضريبة على الوقود بكتابة مواطنة - من أصول غير فرنسية - بيان نشرته في أيار (مايو) الماضي على الإنترنت، جمع توقعات ارتفاع عددها لأكثر من مليون توقيع بحلول أوائل تشرين الثاني (نوفمبر)، وبالتوازي مع حركة التوقيعات ظهرت مئات من مجموعات الفايستوك في جميع أنحاء فرنسا للدعوة والحشد لمظاهرات شابها أحداث عنف وصدامات وقطع طرق وعمليات تخريب لكنها بالقطع غيرت وجه فرنسا، وطرحت تحديات وأسئلة كثيرة عن حدود الممارسة الديمقراطية، وتراجع ثقة المواطنين بالأحزاب ومؤسسات

الدولة والنقابات والنخب السياسية، وأتصور أن أهمية هذه الأسئلة تكمن في استنادها إلى حركة مجتمعية وسياسية، انتقلت من فرنسا إلى دول أوروبية أخرى .. وربما تنتقل إلى المنطقة العربية حيث تشكلت في تونس حركة السترات الحمر التي تطالب بإقالة الحكومة وتحسين أوضاع المعيشة .

الفاعلية المجتمعية للسترات الصفرة تبدت في أن الحكومة تصدت للمظاهرات بحزم واتهمت بعض المتظاهرين بالتخريب والإضرار بالسياحة والاقتصاد، ومع ذلك تراجع عن كل خططها لزيادة الضرائب على الوقود ووعدت بعدم تحريك أسعار الكهرباء والغاز. ودعت ممثلي السترات الصفرة إلى الحوار. لكن الحركة استمرت واكتسبت زخماً جديداً ووسعت من نطاق أهدافها، حيث طالبت بتحسين ظروف المعيشة وإسقاط الحكومة، والحقيقية أن رمزية السترة الصفرة وانتشارها حظي بشعبية واسعة في الضواحي وفي الريف الفرنسي، وصولاً إلى باريس .. فقد ارتدى الجميع السترة المعدة أصلاً لتتبيه السائقين إلى من يلبسها تحت ظلمة الليل، معلنين عن حضورهم، وضرورة الانتباه إليهم .. وأن زمن الصمت انتهى، وأن على ماكرون المتهم بكونه رئيس الأغنياء أن يراجع سياساته، ويهتم بتحقيق العدالة الاجتماعية الفرنسية.

نجحت السترات الصفرة في الشارع، كما في العالم الافتراضي، في حشد وتنظيم مئات الألوف من دون قيادة أو دعم من الأحزاب أو النقابات، ربما باستثناء تأييد بعض النقابات وأحزاب اليمين المتطرف !! وتؤكد أغلب التقارير أن السترات الصفرة هي حركة اجتماعية عفوية، واسعة، وبعيدة عن التطرف اليميني أو اليساري، لذلك لم تتطرق في شعاراتها إلى قضايا العرق أو الهجرة أو الدين أو القومية، فهي حركة مطلبية وسعت من مجالها السياسي والجغرافي، حيث لن تتوقف عند إلغاء ضرائب الوقود، وإنما طالبت بتخفيف معاناة الفرنسيين من خلال رواتب أعلى وعدالة اجتماعية وضمان خدمات أفضل. ورغم أحداث العنف والتخريب التي رافقت المظاهرات بتأثير بعض المتطرفين من أقصى اليمين واليسار فإن الحركة حظيت بتأييد ٧٢ في المئة من الفرنسيين، فيما تراجع شعبية ماكرون إلى مستويات غير مسبوقة، من هنا فإن سؤال الساعة هو أين تتوقف مطالب السترات الصفرة كحركة رفض اجتماعي وسياسي؟ وهل ستستمر في ضوء ما جاء في الخطاب الأخير لماكرون والذي دعا فيه إلى الحوار الوطني، وإلى رفع الحد الأدنى للأجور ١٠٠ يورو، واتخذ مجموعة من الإجراءات والإعفاءات الصريحية، بعبارة أخرى هل ستكون هذه الإجراءات كافية لوقف المظاهرات وإنهاء حركة السترات الصفرة.

وبغض النظر عن مستقبل الاحتجاجات الصفرة ونتائجها وآثارها داخل وخارج فرنسا، فإن هناك الاهتمام العربي والدولي بما يجري في فرنسا يدفعني لطرح أربع ملاحظات أود مشاركة القارئ التفكير فيها لأن تجاهلها قد يؤدي إلى تبني أحكام خاطئة عند أي محاولة لفهم وتحليل حركة اجتماعية وسياسية واسعة مثل السترات الصفرة، وهي :-

الملاحظة الأولى: المقارنة المتعسفة بين ثورة الطلبة والعمال في فرنسا ١٩٦٨ وحركة السترات الصفرة ٢٠١٨، حيث يحاول البعض الترويج لفكرة الامتداد التاريخي للثورات والانتفاضات الشعبية ضد الرأسمالية، لكن التاريخ لا يكرر نفسه، وفرنسا اليوم والعالم ليس كما كان قبل خمسين عاماً. وأفكار اليسار والوجودية والسريرية كانت منتشرة، ولم تكن فرنسا تتجه إلى اليمين كما هو حاصل الآن، ولم يكن بها أحزاب يمينية متطرفة وقوية. في العام ١٩٦٨ كان العالم منقسماً إلى معسكرين شيوعي ورأسمالي، وكانت فرنسا تعاني من القبضة الحديدية للجنرال

ديجول تحت دعوى الأمن وحماية الجمهورية ومع ذلك كانت دولة الخدمات والعدالة الاجتماعية متحققة، أما اليوم فإن النيوليبرالية والعولمة والأزمة الاقتصادية قلصت من أدوار الدولة والمزايا التي كان يتمتع بها المواطنون، من هنا فإن الاحتجاجات الصفري هي مجرد حركة مطالب، وليست حركة تغيير شامل، تهدف إلى بناء عالم جديد بلا رأسمالية أو استغلال. وأعتقد أن لثورة الشباب خصائص وسمات تختلف تماماً عن حركة السترات الصفري، رغم ما يجمعهما من تمرد ورفض لكثير من الأوضاع السائدة في فرنسا .

الثانية: خطأ المقاربة بين شتاء فرنسا الساخن والأصفر، وبين الربيع العربي، لأن لكل منهما سياقه السياسي والاجتماعي وظروفه الخاصة، ومن الصعب تماماً المقاربة بين المجتمع الفرنسي والمجتمعات العربية، صحيح أن كلاهما اعتمد على وسائل التواصل الاجتماعي في الدعوة والحشد والتنظيم والتحرك ولكن ذلك لا يوفر دلالة معينة، حيث أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي من أهم ادوات الاتصال في العصر الرقمي الذي نعيشه، وقد استخدمتها ثورات وحركات اجتماعية عديدة في أوكرانيا واليونان وإسبانيا والبرتغال. من جانب آخر فإن الانتفاضات العربية المعروفة إعلامياً بالربيع العربي كانت تهدف إلى تغيير النظم السياسية وليس مجرد تحقيق بعض المطالب الخاصة بالضرائب أو تحسين ظروف المعيشة، أضف إلى ذلك الطابع السلمي لأغلب انتفاضات العرب والترحيب الأوروبي والأمريكي الواسع بالربيع العربي مقابل الصمت وعدم تأييد ما جرى في فرنسا .

الثالثة: تحيز أغلب التغطيات الإعلامية الأوروبية والأمريكية تجاه حركة السترات الصفري حيث لم تحظ بالاهتمام الكافي، وجرى التركيز على عمليات قطع الطرق وأعمال العنف والتخريب التي رافقت مظاهرات باريس، ومنحت وسائل الإعلام الغربية فرصاً أكبر للمسؤولين في الحكومة مقابل ممثلي حركة السترات الصفري والذين حصلوا على فرص محدودة للظهور على الشاشات. ويمكن فهم أسباب هذا التحيز في الإعلام الأوروبي والأمريكي، لكن المحير أن الإعلام العربي في أغلبه اتخذ مواقف مشابهة حيث تجاهل الأحداث ولم يمنحها اهتماماً كبيراً، ونقل عن الإعلام الفرنسي وجهات نظر الحكومة فقط رغم أن بعض وسائل الإعلام الأوروبية والأمريكية قدمت تغطيات متوازنة كان من الممكن للإعلام العربي نقلها أو حتى الإشارة لها .

الملاحظة الرابعة: تتعلق بإشكالية التفكير بالمؤامرة عند تحليل حركة السترات الصفري، والتي صارت آفة لا يمكن التخلص منها، فقد انتشرت لدى بعض الفرنسيين ووصلت إلى العالم العربي، حيث روج البعض إلى مقولة أن أصحاب وكالات النقل هم الذين حركوا أصحاب السترات الصفري، لأن ارتفاع أسعار الوقود سيلحق بالقطاع خسائر كبيرة، بينما اتجه البعض إلى فكرة أن ما يحدث في فرنسا تحركه أصابع خفية لأن فكرة الرئيس ماكرون بتشكيل جيش أوروبي موحد قد أثارت غضب الولايات المتحدة ودفعتها إلى دعم هذه المظاهرات !! في المقابل ظهرت اتهامات لموسكو بالتدخل في أحداث فرنسا من خلال ترويج بعض المواقع الروسية لأكاذيب وشائعات ساهمت في اشتعال المظاهرات. أما أغرب طبعات نظرية المؤامرة فهي أن جماعة الإخوان المسلمون، من خلال أعضائها في فرنسا، لعبت دوراً كبيراً في تفجير أحداث العنف والتخريب في باريس !!

* كاتب مصري.

لماذا تفشل بعض الديمقراطيات الناشئة؟

*د. فحطان حسين طاهر

مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية: ٢٠١٨/١٢/١٦

تتوق الشعوب التي تترزح تحت نير الاستبداد والطغيان إلى اليوم الذي تتحرر فيه من الحكومات المستبدة وتصبح فيه قادرة على اختيار قادتها بكل حرية" ليتولى هؤلاء القادة والحكام مهمة توفير متطلبات العيش الكريم وبناء دولهم وفق معايير الدولة المدنية الحديثة، وما أن تتحقق الفرصة لهذه الشعوب للخلاص من الأنظمة الدكتاتورية حتى تشرع قياداتها الجديدة في وضع خطط لتهيئة مستلزمات البناء الديمقراطي أملا في ترسيخ الديمقراطية في مجتمعات ذات قيم وثقافة وسلوك قد لا تمت إلى الفكر الديمقراطي بصلة، ومن هنا تبدأ التحديات التي تواجه العملية السياسية في مرحلة ما بعد الدكتاتورية، إذ إن التغيير المفاجئ والسريع من نظام دكتاتوري صارم إلى نظام آخر يُراد له أن يكون ديمقراطياً، لن يضمن ترسيخ الأطر السياسية والقانونية والفكرية والثقافية والاجتماعية التي تسهم في تأسيس دولة ذات نظام ديمقراطي حقيقي مستقر، وسرعان ما تدرك الشعوب وقياداتها الجديدة أن الطريق نحو الديمقراطية ليس معبداً بالورود، بل هو مليء بالأشواك لا بل بالمنعطفات الخطيرة جداً والتي تتطلب قيادة حكيمة وشعوب واعية، فضلاً عن دعم خارجي للوصول إلى بر الديمقراطية الآمن، لذلك فإن الانتقال من الدكتاتورية إلى الديمقراطية يمر في مرحلة لا تخلو من شقاء ومعاناة ومخاض عسير قد تنطوي على فشل ومن ثم ارتداد للدكتاتورية في أسوأ تقدير. إن الديمقراطية الناشئة تواجه تحديات عديدة قد تؤدي إلى فشلها إذا لم يتم إتخاذ إجراءات تضمن تجاوزها، وبالتالي ضبط مسيرة التحول الديمقراطي بنجاح، وتتمثل هذه بالآتي:-

أولاً: على المستوى الداخلي:

١- تواجه الديمقراطية الناشئة خطر الأحزاب السياسية ذات الإيديولوجية غير المؤمنة بالديمقراطية والزعامات ذات النهج العقائدي غير المنسجم مع قيم الديمقراطية، فنلاحظ أنها أحياناً لا تحترم نتائج الانتخابات ولا تقبل بتسليم السلطة سلمياً أو أنها تسعى للبقاء في السلطة من خلال ممارسات غير قانونية كما حدث في الكونغو وزيمبابوي والغابون في عامي ٢٠١٦ و٢٠١٧.

٢- إنعدام تكافؤ الفرص في ممارسة الحقوق السياسية، إذ تعمل الأموال على تمكين المشاركة السياسية لبعض الأحزاب دون الأخرى من خلال امتلاك القدرة على الوصول للناخبين ونشر الأفكار والبرامج وتنظيم المؤيدين، وهذا من شأنه إيجاد حالة من انعدام المنافسة المتكافئة بين الأحزاب والكيانات المشاركة في الانتخابات، مما يؤدي إلى انحسار دور الأحزاب التي لا تمتلك التمويل اللازم، وبالتالي تفقد فئات واسعة من الشعب الحق في التمثيل وبالتالي تفقد الثقة بالديمقراطية كأسلوب لانتخاب ممثلين عنهم في الحكومة.

٣- انقسام المجتمع إلى ولاءات متعددة على أسس دينية ومذهبية وقومية وقبلية بتشجيع من القيادات الدينية والقومية والعشائرية، في ظل غياب روح المواطنة وفقدان القانون لهيبته، مما يؤدي إلى تزايد هيمنة الولاءات الفرعية

مقابل ضعف الولاء للدولة والقانون فيتعزز بذلك دور الدين أو المذهب أو العشيرة أو القومية لتكون مقدمة لصراع بين هذه المكونات قد يعصف بالعملية الديمقراطية.

٤- غياب الطبقة الوسطى ذات الوعي المعرفي والثقافي اللازم لقيادة المجتمع نحو الديمقراطية، فهذه الطبقة تمثل أهم الوسائل لتحويل المطالب والحاجات الشعبية إلى سياسات عامة، بما يضمن تحقيق المشاركة الديمقراطية الواسعة والفاعلة عبر المؤسسات والمنظمات الوسيطة كالأحزاب وجماعات المصالح ومنظمات المجتمع المدني من أجل زيادة نطاق وفعالية المشاركة الجماهيرية في عملية صنع القرار بما يضمن خدمة المصلحة العامة.

٥- قد يشهد الفساد بكل أنواعه أستشراءً لأسباب عديدة خلال مرحلة التحول الديمقراطي، فضعف السلطة المرافق لمثل هذا التحول يؤدي إلى إضعاف قنوات الضبط والسيطرة على المال العام، كما أن صعود نخب سياسية جديدة إلى المسرح السياسي قد يرافقه نزعة لتحسين أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية وتعزيز أرصدها المالية بما يجعلها قادرة على البقاء في المسرح السياسي، كما هو الحال في العراق. وهذا من شأنه زعزعة الثقة بالديمقراطية.

٦- إرتفاع درجة التوقعات لنتائج الديمقراطية والتي تتراوح بين المغالاة والتدني فإذا كانت التوقعات عالية على نحو غير واقعي، وكان الناس يتوقعون من الديمقراطية أن تجلب لهم الازدهار والصحة والتعليم وفرص العمل والأمن على وجه السرعة، فإنهم سيصابون بخيبة أمل كبيرة، وسيسقط دعمهم للديمقراطية ويتلاشى بالتدريج، فالديمقراطية ليست حلاً سحرياً، ولا يعني الحصول عليها ضماناً للسعادة والصحة والغنى بين ليلة وضحاها، أما إذا كانت التوقعات واقعية، فيتوقع الناس انتخابات غير عادلة، وتصرفات غير قانونية من قبل بعض مسؤولي الحكومة، وسلوك غير مقبول من قبل القائمين على مؤسسات الدولة، فإنهم سيستسلمون عندئذ للعيش وفقاً للمظهر الخارجي للديمقراطية فقط، وليس وفقاً لمضمونها الجوهرية.

٧- هناك خطر من تحول الديمقراطية إلى أداة للظلم، لا سيما في المجتمعات ذات التنوعات العرقية أو الدينية أو المذهبية أو العائلية أو العشائرية، إذ عندما تحصل مشاكل على صعيد الأمن والاستقرار السياسي، يقوم الكثير من الساسة بإلقاء اللوم على جماعات معينة، وعلى الأغلب الأقليات، وقد تتعرض بعض الفئات الاجتماعية للظلم، مما يؤدي إلى غياب العدالة والمساواة الذي يجعل الديمقراطية عرضة لفقدان الثقة والاحترام بين الفئات المظلومة.

٨- مغالاة بعض الشعوب في استخدام الحقوق والحريات التي تتيحها الديمقراطية وبطريقة تبتعد كثيراً عن المعقول والمقبول قانوناً، وكل هذا يحدث بسبب الفهم الخاطئ للنظام الديمقراطي والاستغلال السيء للحريات التي يكفلها، مما يخلق حالة من الفوضى وعدم الانضباط في سلوك الكثير من أفراد المجتمع فتزدهر الممارسات غير القانونية وتنتشر الاعمال المنافية للأخلاق، وهذا يؤدي إلى رسم صورة مشوهة للديمقراطية في أذهان فئات اجتماعية واسعة مما يخلق قناعة لديها بأن الديمقراطية غير صالحة لمجتمعاتهم.

٩- عندما تسعى سلطات الدولة إلى تشريع القوانين وإصدار القرارات التي تمنح أعضاء هذه السلطات حقوقاً وامتيازات مبالغ فيها، في الوقت الذي تعاني فيه طبقات اجتماعية واسعة من الفقر والحرمان وانعدام فرص العمل

الأمر الذي يؤدي إلى شعور لدى هذه الطبقات بأن الديمقراطية ما هي إلا نظام حكم يمثل دكتاتورية الأقلية، مما يخلق فجوة كبيرة بين الفئة الحاكمة والمحكومة.

١٠- عندما تُصاغ القوانين التي تنظم حقوق المشاركة السياسية مثل قانون الانتخاب والترشيح، بشكل يضمن بقاء المتنفذين على رأس هرم السلطة وتحرم غير المتنفذين من المنافسة، وتقلل فرص التمثيل الحقيقي للشعوب في حكومات يفترض أنها ديمقراطية، عند ذاك تتغير النظرة الإيجابية للديمقراطية إلى أخرى سلبية عند الشعوب فيصبح بذلك النظام الديمقراطي منبوذاً ويجعل الشعب يتحيز الفرصة التي يراها مناسبة للانقضاض على هذا النظام وتطبيق نظام آخر أكثر ملائمة.

ثانياً: على المستوى الخارجي:

١- عندما يتم تغيير الانظمة الدكتاتورية بفعل التدّخل العسكري الخارجي تقوم الدولة القائمة بالاحتلال بتطبيق النظام الديمقراطي في الدولة المحتلة وفق معايير وشروط لا تتناسب مع ثقافة وقيم وطبيعة شعب الدولة المحتلة، مما يؤدي إلى ردود فعل سلبية قد تقوض التجربة الديمقراطية، أو قد تتخذ الدولة القائمة بالاحتلال اجراءات غير مدروسة على صعيد مؤسسات الدولة القانونية والدستورية مما ينتج عنه ردود فعل شعبية عامة او خاصة قد تؤدي إلى حرب أهلية أو مقاومة للاحتلال، وينتج بذلك وضع أمني غير مستقر وتتشكل فصائل مسلحة خارج نطاق القانون، وتفقد الدولة سيطرتها وتزداد هيمنة هذه الفصائل على المشهد السياسي وهذا بحد ذاته خطر على النظام الديمقراطي الناشئ.

٢- تشكّل التدّخلات الخارجية في الشأن الداخلي للدول ذات الديمقراطية الناشئة خطراً حقيقياً قد يؤدي إلى تقويض عملية التحول الديمقراطي، ويأتي هذا التدخل لأسباب متعددة منها بقصد إفشال التجربة الديمقراطية كي لا يشكل نجاحها دافعاً لشعوب دول المنطقة الأخرى المحكومة بأنظمة دكتاتورية، للمطالبة بتطبيق النظام الديمقراطي. كما يتم التدّخل الخارجي أحياناً بتأييد دولة معينة لفئة سياسية أو اجتماعية معينة داخل الدولة المتحوّلة للديمقراطية من أجل اتخاذها أداة للنفوذ والهيمنة، مما يشجع دولاً أخرى للقيام بتدخل مشابه ولنفس الغرض، فتتحول الدولة ذات الديمقراطية الناشئة إلى ساحة لتصفية المصالح بين الدول الاقليمية مما يشكل خطراً على الديمقراطية.

٣- غياب الدعم الدولي اللازم لترسيخ الديمقراطية الناشئة في بعض الدول، فالدولة الحديثة العهد بالديمقراطية تحتاج إلى دعم بالمشورة والجهد الفني والدعم المادي احياناً والتدريب لكوادر المؤسسات الديمقراطية، وهذا الدعم سواء كان من منظمات دولية فاعلة كالأأم المتحدة أو غيرها أو من الدول الفاعلة والمؤثرة في النظام الدولي، وهذا ضروري لتثبيت أركان النظام الديمقراطي وضمان عدم انحرافه إلى مسار خاطئ. إن هذه التحديات وغيرها قد تشكل معوقات حقيقية أمام الديمقراطيات الناشئة يصعب اجتيازها مما يربك النظام السياسي ويهيئ لظروف فشل الديمقراطية الناشئة، وبالنتيجة النهائية من الممكن أن تشهد الأوضاع صيرورة سلبية تأخذ سبيل الارتداد إلى النظام الدكتاتوري.

عملية إعادة البناء العظمى

*كلاوس شواب

بروجيكت سنديكيت: ٢٠١٨/١٢/١٦

إذا كان للعالم أن يتغلب على «الاختلال العظيم» في عام ٢٠١٨ فسيحتاج إلى إطار جديد للتعاون العالمي، فبعد الحرب العالمية الثانية اجتمع المجتمع الدولي لتصميم مجموعة من الهياكل المؤسسية التي عملت على تسهيل التعاون في السعي وراء مستقبل مشترك، والآن بات لزاماً عليه أن يفعل ذلك مرة أخرى. بيد أن التحدي هذه المرة ليس جيوسياسياً واقتصادياً فحسب، فنحن نشهد تغييراً جوهرياً في الكيفية التي يجري عليها التواصل بين الأفراد والمجتمعات، ومن خلال فهم هذا التغيير، يصبح بوسعنا التأثير إيجابياً على نتائجه.

أول ما يتعين علينا أن ندركه أننا نعيش عصر الثورة الصناعية الرابعة، حيث تخضع الأعمال، والاقتصادات، والمجتمعات، والسياسة لتحول جوهري، ومنذ أن بدأت فكرة الاجتماع السنوي للمنتدى الاقتصادي العالمي تتبلور في ذهني في عام ٢٠١٦ كنت واضحاً: فالمحاولات المتعجلة غير المدروسة لإصلاح عمليتنا ومؤسساتنا القائمة لن تجدي ببساطة، وبدلاً من هذا نحتاج إلى إعادة تصميمها على النحو الذي يمكننا من الاستفادة من وفرة الفرص الجديدة التي تنتظرنا، في حين نتجنب ذلك النوع من الاختلالات التي نشهدها اليوم، وإذا انتظرنا أو اعتمدنا على الحلول السريعة لإصلاح أوجه القصور التي تعيب الأنظمة القديمة، فإن قوى التغيير ستتجاوز هذه الأنظمة وتطور لنفسها زخماً وقواعد خاصة.

الواقع أن الثورة الصناعية الرابعة تعمل بالفعل على تحويل أنظمتنا الاقتصادية على أكثر من نحو، فبادئ ذي بدء، يتضاءل العالم المادي بفعل عالم رقمي مترابط متكامل وافتراضي جديد في ظل اقتصاد دائري ومشارك، ويشهد التصنيع ثورة بفعل الأتمتة (التشغيل الآلي)، والتوطن، والفردانية، وكل هذا من شأنه أن يجعل سلاسل العرض التقليدية عتيقة متقادمة، كما أصبحت المنافسة أقل اعتماداً على التكلفة، ومدفوعة بشكل أكبر بالجدوى الوظيفية والإبداع، وقريباً لن تظل الاقتصادات الضخمة قادرة على توفير المزايا التي كانت توفرها ذات يوم، وستكون الموهبة، لا رأس المال التقليدي، المورد الأعظم قيمة.

كما تضع الثورة الصناعية الرابعة قدراً غير مسبوق من الطاقات والموارد في أيدي قلة من الشركات، إذ تعمل الشركات الرقمية الرائدة اليوم على إعادة تشكيل حياة الناس اليومية، وتعطيل الأنماط الاجتماعية التقليدية بطرق لم يتسنى قط لمؤسسات الأعمال التقليدية أن تأتي بمثلهما، ومن الآن فصاعداً سيحدد التمكن من الذكاء الاصطناعي والبيانات الضخمة، والقدرة على تشغيل منصات ضخمة من خلال قيادة الأنظمة الذكية، مدى قوة كل من الشركات والأوطان.

في الوقت نفسه ستتحوّل أنماط التوظيف والدخل بفعل نشر الأتمتة القائمة على الذكاء الاصطناعي، وستنشأ الوظائف ذاتياً على نحو متزايد من خلال أنظمة إيكولوجية مبدعة، وسيحل محل دخل العمل التقليدي عوائد مستحقة من مهام إبداعية، ورأس المال الاستثماري، وميزة المحرك الأول.

وبالفعل لم يعد من الممكن تقسيم التفاعلات الاقتصادية العالمية إلى تجارة السلع والخدمات، والمعاملات المالية، والاستثمارات، فالיום تتكامل كل التدفقات الاقتصادية في نظام شامل يحكم تبادل القيمة الملموسة وغير الملموسة عبر الحدود، وبدلاً من فرض الضريبة على العمل، يتعين على الحكومات أن تبدأ فرض الضريبة على احتكارات المنصات وآليات خلق القيمة المتأصلة في السحابة السيرانية.

في السنوات المقبلة ستتوتر الميزانيات الوطنية على نحو متزايد بفعل الإنفاق على البنى الأساسية المادية والبرمجية اللازمة، لتوفير النظم الايكولوجية للإبداع وإعادة تدريب وترقية مهارات العمال، فضلاً عن البرامج الاجتماعية اللازمة لدعم العمال خلال التحول الاقتصادي الجاري، ولا بد أن تكون الأولوية الأساسية لتكثيف التعليم مع متطلبات الثورة الصناعية الرابعة، ومن الأهمية بمكان التركيز على تغذية الإبداع، والتفكير الانتقادي، ومحو الأمية الرقمية، والقدرة على التعاطف، والحساسية، والتعاون، وكل هذا ضروري لضمان بقاء التكنولوجيا خاضعة لاحتياجاتنا لا العكس. فضلاً عن ذلك، لا بد أن تكون أنظمة التعليم موجهة بشكل أكبر نحو التعلم مدى الحياة، سواء من خلال التسليم الرقمي أو التنمية والتدريب الشخصي وجهاً لوجه.

بعيداً عن التعليم، لا بد أن تتكيف عملية صنع السياسات عموماً مع سرعة التغير في الثورة الصناعية الرابعة، ولا بد أن يجري تطوير نماذج حوكمة تعاونية رشيقة جديدة لتجنب السيناريو، حيث تظل السياسات الحكومية متأخرة على نحو مستمر وراء الحدود التكنولوجية.

وستحدد كيفية استجابة الدول لكل هذه التغيرات مسارات النمو في المستقبل والمواقف على المسرح العالمي، فضلاً عن نوعية حياة مواطنيها، وبوصفها عملية بلا حدود من الترابط المتبادل، تتطلب الثورة الصناعية الرابعة دمج السياسات الوطنية في النظام العالمي، واليوم تُعرّف العولمة بتوسع التجارة المتعددة الأطراف والثنائية، لكنها في المستقبل ستصنف الترابط المتبادل بين الأنظمة الرقمية الوطنية وما يرتبط بها من تدفق للأفكار والخدمات.

ورغم أن العديد من الدول لا تزال تحاول اللحاق بالثورات الصناعية السابقة، فإنه يتعين عليها أن تدرك أن الثورة الصناعية الرابعة توفر فرصاً فريدة لتحقيق قفزات إلى أحدث الإبداعات، فبعد حصد مكاسب الثورة الصناعية الأولى أصبحت المملكة المتحدة القوة العالمية المهيمنة في القرن التاسع عشر، وحلت خلفاً لها الولايات المتحدة، التي امتلكت، أكثر من أي دولة، الثورتين الصناعيتين الثانية والثالثة، وقد قسمت هذه الثورات الثلاث العالم إلى دول صناعية، وأخرى نامية، مع تراجع أهمية الصين بعد أن كانت قوة رائدة لعدة قرون من الزمن.

اليوم، يُعاد توزيع توازن القوى العالمية مرة أخرى، بسرعة مذهلة، والآن بعد أن أصبح الفرد الواحد يملك القدرة على إحداث قدر هائل من الدمار، لم يعد بوسعنا أن نشجع انقسام العالم بين من يملكون ومن لا يملكون، وقد نشأ بالتالي احتياج ملح إلى التعاون العالمي، وعلى مستوى أكثر أساسية، قد يبدو الفكر الجديد حول ما يمكن اعتباره علاقات اقتصادية حرة، ونزيهة، وشاملة مثلما يبدو اليوم في حقيقة الأمر.

ونحن في المنتدى الاقتصادي العالمي نعتزم إطلاق هذا الحوار في إطار اجتماعنا السنوي في دافوس في يناير ٢٠١٩، وباعتباره منصة رئيسية يتعدد فيها أصحاب المصلحة، فإن المنتدى لديه القدرة على دفع المناقشة إلى الأمام، وهو راغب في تحمل المسؤولية عنها، ومن خلال شبكاتنا العلمية والأكاديمية نستطيع أن نعمل كمحفز لأفكار جديدة، وسيطلب الإعداد للثورة الصناعية الرابعة المشاركة المستمرة والإجماع الواسع النطاق حول حلول قابلة للتنفيذ، ويأمل المنتدى توفير «نظام تشغيل» لهذا الجهد في السنوات المقبلة، استناداً إلى الاقتناع بأن هذه الحوارات، لكي تكون فعالة، يجب أن تكون مملوكة لجميع أصحاب المصلحة: الشركات، والحكومات، ومنظمات المجتمع المدني، والشباب. ولا بد أن تركز أيضاً على السعي إلى تحقيق التماسك الاجتماعي، وفي بيئة اليوم المتصدعة، ستكون أكثر فعالية إذا دفعها التنسيق لا التعاون كمبدأ توجيهي.

أخيراً يجب أن ندرك أن هذه الحوارات من غير الممكن أن يدفعها انقسام زائف بين الهويات العالمية والوطنية، ويتعين علينا أن نتبنى الهويات الفردية والوطنية المستمدة من العولمة كما هي موجودة داخل كل واحد منا.

بعد الحرب العالمية الثانية أرسى المجتمع الدولي الأساس للسلام الدائم، والأمن، والازدهار، لكن العالم تغير بشكل جذري خلال العقود السبعة الماضية، وحن الوقت لتبني نهج جديد، ولن يتسنى لنا صياغة مستقبلنا العالمي بما يتناسب مع مصلحة الجميع إلا من خلال التصدي لهذا التحدي معاً.

* «مؤسس المنتدى الاقتصادي العالمي ورئيسه التنفيذي»

ما الذي يجري في شرق المتوسط؟

*نيكولاس بيرباري

أحوال تركية : ٢٠١٨/١٢/١٦

في السنوات الماضية بدأت تركيا واليونان وقبرص وإسرائيل ومصر التنقيب عن النفط والغاز في شرق المتوسط، والعمل هناك بشكل محموم، شركة تباو التركية، وإكسون موبيل الأمريكية، وإيني الإيطالية، وتوتال الفرنسية، كما تجوب المنطقة السفن الحربية في الوقت نفسه. ويزعج تركيا تكوين اليونان "تحالف الطاقة" مع قبرص ومصر وإسرائيل معتبرة المجال الذي بينها وبين تركيا منطقة بحرية حصرية.

وكانت جنوب قبرص صرحت لشركة إكسون موبيل الأمريكية بالتنقيب عن المواد الهيدروكربونية في المنطقة ١٠ جنوب غربي جزيرة (هيلين)، بعدها صرحت تركيا لشركة تباو بالتنقيب في عرض مياه الانيا وجنوب جزيرة قبرص ومناطق متداخلة معها فزادت التوتر السياسي بالمنطقة.

وتوصلت اليونان إلى اتفاق مبدئي حول كيفية نقل النفط والغاز الطبيعي المحتمل استخراجها من تلك المناطق إلى أوروبا.

وأيدت أمريكا رسمياً هذا التحالف بإرسالها وزيرها للطاقة فرانسيس فانون إلى قبرص "فبعد زيارته إسرائيل ومصر وقبرص خلال الفترة ١١-٢٠ نوفمبر صرح بتفاؤله تجاه أعمال التنقيب هذه، وأحقية اليونان بقيام ذلك، وضرورة توزيع ثروات المنطقة بالتساوي بين شعوب الجزيرة.

بعدها زار كاثلين دوهرتي سفير أمريكا لدى قبرص سفينة "ستينا إيسماكس" التابعة لـ "إكسون" العاملة بالمنطقة ١٠ جنوب قبرص منذ ١٥ نوفمبر، ليظهر رغبة أمريكا أن تكون "صاحبة الكلمة" في المنطقة.

واتفقت دول "تحالف الطاقة" المدعومة أمريكياً صراحة على مشروع لنقل الغاز والنفط من المنطقة المعنية إلى أوروبا، سمي بـ "إيست ميد" حيث سيتم تجميعه في خزان لتسييل الغاز يُنشأ في جنوب قبرص. وسيُنشأ خط أنابيب تحت البحر بطول ألفي كيلو متر تقريباً يمتد من قبرص إلى كريت ومنها إلى جزيرة مورة جنوب اليونان، لينقل الغاز والنفط منها إلى اليونان ومنها إلى إيطاليا ودول أوروبا.

وافق الاتحاد الأوروبي مبدئياً على إنشاء خط أنابيب "إيست ميد"، وتكلفته ٧ مليار يورو تقريباً، وسيقرر ذلك نهائياً في الأشهر الأولى من ٢٠١٩، ويتوقع انتهاء المشروع عام ٢٠٢٥ إذا سار كل شيء على ما يرام.

وبينما يمكن إنشاء خط أنابيب من قبرص إلى تركيا التي تبعد حوالي ٧٠ كيلو متراً ليحقق نقلاً أسرع وأقل كلفة يبقى اختيار خط أنابيب "إيست ميد" لأسباب سياسية تماماً، أهمها عدم حل مشكلة قبرص.

يضاف إلى ذلك أن الخلافات التركية-اليونانية، وعدم اعتراف تركيا بجمهورية قبرص اليونانية، وتحديد اليونان مناطقها البحرية مع تركيا دون الرجوع إليها، وتوتر العلاقات التركية الإسرائيلية، والموقف التركي السلبي تجاه الحكومة المصرية توحى بعدم رغبة دول "تحالف الطاقة" في وجود تركيا بينها.

ويردد دائماً برودروموس برودرومو المتحدث باسم الحكومة القبرصية، ويورغوس لاکوتريبيس وزير الطاقة وأندروس كيبريانو المتحدث باسم حزب أكيل أن إيرادات الغاز المتوقع من مياه قبرص سيوزع بالتساوي بين شعوب الجزيرة، وعند حل المشكلة القبرصية يمكن ربط خط الأنابيب بتركيا، ويوافقهم رئيس قبرص اليونانية نيكوس اناستاسيادس.

وبالنظر إلى الخريطة يتضح بسهولة أن نقل غاز شرق المتوسط عبر تركيا أقل كلفة وأكثر منطقية. وبرغم هذا تفضل دول تحالف الطاقة خط "إيست ميد" الأكثر كلفة ومشقة بسبب مشاكلها مع تركيا، وبدعم أمريكي.

وفي هذا السياق تشكو قبرص اليونانية انتهاك تركيا مياهها البحرية الخاصة، مثلما لا تعترف بها تركيا. ويؤكد الرئيس القبرصي اليوناني نيكوس أن أعمال التنقيب في المنطقة ١٠ جنوب قبرص ستستمر ويؤيده كيريانو المتحدث باسم حزب أكييل اليساري والمتحدث الرسمي باسم الحكومة القبرصية برودروموس يقول "إن تركيا بتصرفاتها غير القانونية وممارستها التهديد، وتجاهلها المياه الإقليمية لقبرص في المتوسط، واعتبارها تابعة لتركيا أو لمصر تنتهج سياسة تنكر حق قبرص في المنطقة".

بينما يؤيد يوفال شتاينتز وزير الطاقة الإسرائيلي نقل غاز شرق المتوسط عبر تركيا، ولكن التوتر بين البلدين دفع إسرائيل إلى "تعليق هذا المشروع البديل حالياً".

ووافق رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بالفعل من حيث المبدأ على مشروع "أيست ميد". بينما يشكو الرئيس المصري السيسي من انتقادات أردوغان اللاذعة للحكومة المصرية، ويؤيد مشروع "إيست ميد".

وتشكو اليونان حكومة وأحزاباً اتباع تركيا سياسة "عدائية" بانتهاكها الجرف القاري لليونان وقبرص في ايجي والمتوسط.

ويرى ثنوس دوكوس رئيس مؤسسة (ELIAMEP) أحد أهم معاهد أبحاث السياسة الخارجية في اليونان "أن الرئيس التركي السيد أردوغان يحذر شركات النفط الأمريكية والإيطالية والفرنسية المنقبة في منطقة قبرص، وليس قبرص أو اليونان" لأنه يعلم أن تركيا سيتم استبعادها إذا استخرج غاز بكميات كبيرة من المنطقة خلال الـ ٣-٥ سنوات القادمة. ويحاول منع هذا. ولذلك يتجاهل المياه الخاصة بجزيرة كريت وقبرص ويسعى لإنشاء حدود بحرية مباشرة مع ليبيا."

بينما يورغوس نائب وزير الخارجية اليونانية يتحدث عن مشاكل تركيا مع اليونان وقبرص وإسرائيل ومصر: "ليست اليونان ولا قبرص مسؤولة عن حدة التوتر بين تركيا وتلك الدول. ولكن محاولة تركيا الرد باستعراض القوة لتشككها في القانون الدولي. ربما تتصرف بعصبية لإدراكها أنها لن تحصل على أية نتيجة. إننا سنحافظ على هدوئنا ونواصل حوارنا مع تركيا وفقاً لقواعد القانون الدولي."

ورغم تصريح ألكسيس تسيبراس رئيس وزراء اليونان بأن "تحالف الطاقة ليس ضد دول الجوار، ومفتوح لها جميعاً" ملمحاً بذلك لتركيا، يبدو أنه لم يتجرأ للدخول في حوار موجز يسمح بتحديد منطقة الجرف القاري في ايجي والمتوسط بين اليونان وتركيا.

وبينما اعترفت تركيا بمفردها بجمهورية شمال قبرص التركية، تصر على عدم الاعتراف بدولة قبرص المعترف بها رسمياً على مستوى العالم. كما لا تقبل بالجرف القاري لجزيرة كاستيلوريزو المقابلة لبلدة كاش جنوبها، وتعتبر الجرف القاري شمال قبرص تابعاً لها وأنها صاحبة الحق في جنوب قبرص، وبهذا تعلن حقها التنقيب في المناطق ٤، و٥، و٧ جنوب قبرص، ولكنها لم تقم بذلك هناك ولا في المنطقة ١٠ حتى اليوم. وتفضل إرسال سفينة "بارباروس" للأبحاث إلى مياه الانيا، وتموضع سفينة "فاتح" للأبحاث حول قبرص بطريقة لا تسبب أية مشاكل. وتعلل لذلك عدم الرغبة في الدخول في صراع مباشر مع فرنسا وأمريكا مالكة الشركات المنقبة هناك.

ويردد الرئيس التركي أردوغان ووزير خارجيته جاويش أوغلو "لن تتنازل تركيا وأتراك شمال قبرص عن حقوقهم في شرق المتوسط، ولن يُسمح بأنشطة أحادية الجانب"، ليتضح أنهم يرون "تحالف الطاقة" تهديداً لتركيا.

لم تسفر أعمال التنقيب بالمنطقة عن نتيجة مؤكدة بعد. ولكن المؤشرات الأولى تظهر وجود رواسب هيدروكربونات كالتالي في بحر الخزر، لتتوافد شركات التنقيب عليها. وسبب ذلك بحث أجراه المعهد الجيولوجي الأمريكي يفيد بوجود ٣٤٥ تريليون متر مكعب في حوض شرق المتوسط. ويبلغ الاستهلاك الأوروبي ٢٥ تريليون متراً مربعاً لمدة عامين.

الاحتجاجات الفرنسية والانتفاضات العربية

*بشير عبدالفتاح

صحيفة (الحياة): ٢٠١٨/١٢/١٦

علاوة على خروج التظاهرات الفرنسية عن المألوف واندلاعها ضمن سياق زمني مشابه لنظيرتها العربية، قبل نحو ثماني سنوات، يمكن اعتبار كلا الحراكين مظهرًا للتقلب الحاد والمتسارع في المزاج السوسولوجي لقطاعات شعبية واسعة حول العالم. ومثلما افتقدت الانتفاضات العربية للقيادات، ما مهد السبيل أمام جماعات الإسلام السياسي الأكثر حربية وتنظيمًا لامتطاء صهوتها، جاءت تظاهرات السترات الصفراء الفرنسية هي الأخرى بغير قيادة، في سابقة ربما لم يعدها الحراك الجماهيري الفرنسي منذ عقود، ما فتح الباب أمام حركات اليمين واليسار المتطرفة للانقضاض عليها وتوجيه دفتها لمصلحة أجندتها الخاصة. وعلى غرار الحالة العربية، لم تتورع دوائر رسمية وشعبية فرنسية ودولية عن استدعاء نظرية المؤامرة في مساعيها لقراءة وفهم تظاهرات السترات الصفراء، محاولة إرجاعها إلى وجود مؤامرة تستهدف الدولة الفرنسية والرئيس ماكرون، جراء مواقف الأخير الداعية إلى تشكيل جيش أوروبي موحد، واستبقاء الاتفاق النووي مع إيران، علاوة على مناهضة بعض سياسات الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، خصوصاً تلك المتعلقة بالانسحاب من المعاهدات والمنظمات الدولية التي تمثل ركائز استراتيجية ودعائم مؤسسية للنظام الدولي الحالي.

وفي تماشى مع الانتفاضات العربية التي اعتمدت سياسات الشارع توسلاً لتغيير مستعصٍ في ظل غياب آلية ديموقراطية دستورية تضمن انتقالاً سلمياً للسلطة إلى قيادات أفضل، أثبت احتجاجات السترات الصفراء إلا التمرد على النموذج الديموقراطي الغربي عبر المطالبة بالتحول إلى الجمهورية الفرنسية السادسة بإصلاح نظام الحكم وتغيير آلية الانتخابات، بما يتيح تقليص الصلاحيات الواسعة للرئيس وإنهاء انفراد المجحف بصوغ السياسات الاقتصادية للبلاد، حتى أضحي «ملكاً للجمهورية»، بحسب وصف معارضيه، علاوة على منح البرلمان مزيداً من الصلاحيات ليتمكن من محاسبة الرئيس وكبح جماحه. وكنظرائه من بعض قادة الدول العربية، التي شهدت انتفاضات شعبية، أساء ماكرون إدارة الأزمة الراهنة، من حيث الاستجابة البطيئة والجزئية بما لا يرقى إلى مستوى تطلعات المتظاهرين أو يستوعب حماسهم المتأجج. ولوحظ اتسام أسلوب ماكرون في التعاطي مع التظاهرات بالاستعلاء على الشارع من خلال رفض مطالب المتظاهرين الالتقاء بهم والتحاور معهم، معتبراً حراكهم أقرب إلى الممارسات الغوغائية. وعندما تحدث مع الصحفيين بأسلوب عدواني، رفض ماكرون إجراء استفتاء شعبي على قراراته الصادمة خلافاً لما فعل ديغول عام ١٩٦٨. كذلك، آثر ماكرون اللجوء مبكراً إلى الحل الأمني بوتيرة أسرع من الحل السياسية والاقتصادية. ومن ثم، شهد قلب باريس دخول المدرعات للمرة الأولى منذ تظاهرات العام ١٩٦٨، فيما تم اعتقال قرابة ١٥٠٠ متظاهر، بينما سقط مئات الجرحى من الشرطة والمتظاهرين. وتأسياً بأسلافه من رؤساء الجمهورية الخامسة في مثل هذه الظروف الصعبة، عمد ماكرون إلى تعزيز فرصه في البقاء وامتصاص غضب المحتجين من خلال التضحية ببعض الوزراء والمسؤولين من دون استبعاد احتمال إطاحة رئيس الحكومة.

وبناء عليه، ومثلما جرى في الانتفاضات العربية قبل ثماني سنوات، تطورت تظاهرات السترات الصفراء بمرور الوقت من كونها مجرد احتجاجات مطلبية بحتة لتغدو حراكاً يعم مدناً فرنسية شتى ويتبنى مطالب سياسية على شاكلة استقالة الرئيس ماكرون، وخروج فرنسا من الاتحاد الأوروبي، وإنهاء أية تسهيلات بحق المهاجرين. ومثلما عبرت عدوى الاحتجاجات العربية الحدود، تحطت حركة السترات الصفراء الحدود الفرنسية لتطال دولاً أوروبية أخرى كبلجيكا وهولندا.

وإذا كانت خبرة الفرنسيين الفريدة والممتدة والمهمة في الفعل الثوري والحراك الجماهيري تدعونا لعدم التسرع في الادعاء بأن متظاهري حركة السترات الصفراء الفرنسية استلهموا حراكهم من الانتفاضات الشعبية العربية، تجدر الإشارة إلى أن نقاط التشابه بين الحالتين لم تكن لتمنع الخصوصية السوسولوجية والحضارية لفرنسا وعمق تجربتها الديموقراطية. فبينما غلب الطابع المطلبي على احتجاجات السترات الصفراء، باستثناء المطالبة باستقالة ماكرون، تصدرت المناداة بالحرية والديموقراطية والعدالة الاجتماعية مطالب الانتفاضات العربية قبل أن تتطور للمطالبة بإسقاط الأنظمة. وخلافاً للانتفاضات العربية، التي عجت بالملايين أو مئات الآلاف التي ملأت الشوارع واستوطنت الميادين، قدّرت وزارة الداخلية الفرنسية المتظاهرين في عموم البلاد بـ ١٢٥ ألفاً، لم يتموضع أي منهم في شكل متصل في الشوارع والميادين. إذ اقتصر خروج أصحاب السترات الصفراء على يوم السبت تقريباً من كل أسبوع لأربع مرات متوالية، بينما استمرت تظاهرات آلاف الطلاب في أيار (مايو) ١٩٦٨ لسنة أسابيع، واتسعت رقعتها مع انضمام جموع من المثقفين والعمال إلى صفوفها، قبل أن يشارك عشرة ملايين مواطن في الإضراب العام، لينتهي الأمر باستجابة الحكومة لمطالب المتظاهرين عبر رفع الحد الأدنى للأجور بنسبة ٣٧ في المئة وخفض سن المعاش، وإجبار ديغول على حل الحكومة وإجراء استفتاء شعبي على سياساته. ومقارنة بالحالة العربية، لوحظ انخفاض مستوى العنف وتواضع الخسائر المادية والبشرية نسبياً خلال احتجاجات السترات الصفراء، ربما لقوة مؤسسات الدولة الفرنسية من مطافئ وإسعاف وجهوزيتها الدائمة للقيام بواجبها حتى في أحلك الظروف. ولوحظ حرص زهاء مئة ألف عنصر من قوات الأمن الفرنسية على ضبط النفس وعدم التصعيد قدر المستطاع بغية تحقيق المعادلة الصعبة المتمثلة في الحيلولة دون تفاقم أعمال العنف والتخريب، مع تجنب المصادمات الدامية، ما حال دون سقوط قتلى طوال أسابيع التظاهر الأربعة. وحال تماسك الشرطة ورباطة جأشها وعدم انسحابها من معترك المواجهات، وإحكامها سيطرتها المطلقة على المشهد برمته بأقل خسائر، دون نزول الجيش إلى الشارع، مثلما جرى في بلدان أخرى في ظل أوضاع مماثلة. لذا، لم يكن مستغرباً أن يقتصر أول تصريح لماكرون نهاية السبت الرابع للتظاهرات على توجيه الشكر للشرطة الفرنسية.

وبينما تسنى لبعض الانتفاضات العربية إسقاط أنظمة عتيقة بكلفة ما، في حين أخفق بعضها الآخر، بعدما كبّدت البلاد والعباد خسائر بلغت حد تعريض الدولة الوطنية لتهديد وجودي، فإن طبيعة التجربة الديموقراطية وخصوصية الخبرة الثورية لدى الفرنسيين تبقى وحدها القادرة على تحديد مصير ماكرون، الذي هبطت شعبيته إلى أدنى مستوى لها. ففي حين اضطر ديغول، محرر فرنسا من النازية ومدشن انطلاقها بعد الحرب الكونية الثانية، إلى التجاوب مع مطالب المتظاهرين عام ١٩٦٨، عبر إقالة الحكومة وحل مجلس النواب وإجراء انتخابات مبكرة واستفتاء على سياساته، لم يجنح ماكرون في الاقدام على أي إجراء مماثل حتى كتابة هذه السطور على الأقل، برغم نقاط التلاقي الكثيرة بين الطرفين التاريخيين.

وإذا جاز للبعض الادعاء بأن الانتفاضات العربية كانت تطوي بين ثناياها بعض إرهاصات لتحول ديموقراطي حذر في بيئة ظلت طيلة عقود عدة أسيرة «الاستثناء الديموقراطي» بعدما فاتتها قطارات موجات التحول الأربع المتوالية التي اجتاحت العالم خلال قرن مضى، فإنه يمكن الزعم بأن احتجاجات السترات الصفراء، بكل ما شابها من طابع شعبي مناهض للحزبية والمؤسسية ومتجاوز للأطر الدستورية والقانونية، طرحت، كما هو الحال مع تظاهرات العام ١٩٦٨، تساؤلات معرفية غاية في الأهمية بشأن مآلات التجربة الديموقراطية الفرنسية العتيقة.

* كاتب مصري

المفهوم الأوسع للشرق الأوسط

*كاروان جمال ظاهر

إيلاف: ٢٠١٨/١٢/١٧

معظم الخلافات الحالية في الشرق الأوسط تأتي بسبب كيفية تقسيمها منذ قرن مضى. المحرك الرئيسي للاضطرابات في الشرق الأوسط هو الرسم غير الواقعي لحدود الدول الجديدة من قبل القوى العظمى قبل قرن من الزمان، تبعها سوء تقدير تاريخي وстрاتيحي خاصة من قبل القوى الإمبريالية المتضاربة فيما بينها والتي وضعت اهتمامها بالدرجة الأولى بالموارد والأراضي والدفاع عن الممتلكات الاستعمارية الأخرى. قراراتهم برسم خطوط توزيع غير منطقية في المنطقة شوه الشرق الأوسط، وأهملت الحقيقة على الأرض التي كان يقطنها أناس و شعوب كثيرة أخرى.

لقد ركزوا بشكل أساسي على "من يحصل على ماذا" من القوى الكبرى بدلاً من "من عاش وأين" و ذلك عند تقسيم غنائم الحرب بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية. هذه الخطوة نفت حقيقة أن الشرق الأوسط أكثر بكثير من مجرد مجموعة من دول وشعوب عربية. هناك شعوب و ملل أخرى تقطن هذه المنطقة، و هم الكرد والأتراك والفرس واليهود كما قال ولي العهد الأردني مؤخراً في محاضرة لجمع من الناس في لندن.

استمرت القوى العظمى لعقود من الزمن تدعم هذه الخريطة الجديدة وساعدت في الحفاظ على النخبة التي جلبتها إلى داخل هذه اللعبة، والتي أصبحت مع مرور الأيام استبدادية أكثر فأكثر. اكتسبت القوى الكبرى إمدادات النفط في الوقت الذي قام العديد من هذه النخب بإنشاء أنظمة ترفض المجتمع المدني والديمقراطية.

أصبح العديد من تلك الأنظمة طائفية، وحرمت وتجاهلت حقوق الدول والهويات للشعوب غير العربية، وخاصة الكرد واليهود. الخلافات السنية – الشيعية القديمة و المستمرة إلي يومنا هذا، والذي يوجب الوضع من دون وجود حوار دائم قائم على المصالح المتبادلة والتعايش السلمي.

بعد مرور هذه المنطقة بالنزعات القومية، الاشتراكية، والعروبة، تحول الكثيرون إلى جهاديين و من الممكن لهذه النزعة الجديدة أن تنمو أكثر لأن هناك الملايين من الشباب المؤهلين و لكنهم عاطلين عن العمل و الذين في كثير من الأحيان لديهم أمل ضئيل، و في نفس الوقت مرتبطون بالعالم الخارجي من خلال تقدم التكنولوجيا ويمكنهم أن يروا محنتهم مع الناس الآخرين في العالم.

العراق هو الدولة المفصلية الذي يمكن أن يكون له مستقبل جيد. العرب والكرد هم مركز حضارتنا القديمة والتي يمكن أن تنتشر بسرعة في المنطقة. لقد تم دمج الكرد بالقوة في العراق، و لم يتم بعد الاعتراف بحقوقهم الكاملة في البلد الموحد كما تم التعهد به لعقود من قبل عصبة الأمم كشرط للإتحاد في العراق. لم يتم الإلتزام بهذه التعهدات، وعانى الكرد في العراق بشكل كبير و ذلك من خلال التمييز وأعمال الإبادة الجماعية (الجينوسايد).

من المحزن أن عملية التحول الديمقراطي في العراق ستستغرق وقتاً طويلاً في الانتقال من دكتاتورية صدام حسين التي دامت لعقود مع وجود آثار رهيبه على العرب الشيعة و السنة و الكرد، وكذلك الإيرانيين والكويتيين. هذا الانتقال تعرض إلي تعقيدات و ذلك بسبب ظهور داعش الذي حاول تدمير العراق و القيام بالقتل الجماعي ضد الكرد والمجموعات الدينية غير المسلمة.

نحن الكرد واجهنا عقبات هائلة من الحكومات المتعاقبة في العراق علي يد الأنظمة الديكتاتورية إلى الأنظمة الديمقراطية. وصل هذا الوضع إلى طريق مسدود و خانق في عام ٢٠١٤، و أصبح العامل الرئيسي للكرد إجراء استفتاء على مبدأ الاستقلال في سبتمبر ٢٠١٧. على الرغم من أن النتيجة كانت واضحة – ٩٣٪ صوتوا بنعم – و إن القيادة الكردستانية أوضحت مرارا و تكرارا بأن هذا الاستفتاء سيكون مجرد تفويض للقيادة الكردستانية في

مفاوضاتها مع بغداد، و إعتقدنا أيضا بأنه يمكننا في نهاية المطاف الانسحاب من هذا الاتحاد المشروط الذي فرضته عصبة الأمم، وإقامة علاقات أفضل مع العراق من خلال التفاوض بشكل جديد من التعايش مع بعضنا البعض. و لكن القوى الإقليمية والدولية عارضت نتيجة هذا الاستفتاء.

كنا نتوقع من أصدقائنا في القيادة العراقية أن يحترموا قرارنا او على الأقل إقامة حوار هادف. للأسف، تفوقت العقلية القديمة المتمثلة في الهيمنة وحاولوا سحقنا بالقوة و لكنهم فشلوا في ذلك. إن طموحنا في إنشاء دولتنا تلاشت كثيرا و لكننا واقعيون. بعد أن تخطينا الحصار والعقوبات ومحاولات الهيمنة من قبل المركز، نعمل الآن بجد لتأمين علاقة عمل جيدة مع بغداد وكذلك مع البصرة والمحافظات السنية من أجل التوصل إلى اتفاق دستوري ملزم لمصلحة كل الاطراف.

العراق وإقليم كردستان غنيتان من الناحية النظرية و لكن مستويات المعيشة والبنية التحتية والمؤسسات لم تضاهي هذه الثروة. لكن أصدقائنا وحلفائنا يمكنهم الآن أن يروا بأن مساهماتهم و تضحيات جنودهم في العراق بدأت تؤتي ثمارها.

العراق وكردستان مرة اخري يفتحان صفحة جديدة و ذلك بعد التغلب علي التهديد الإرهابي، و بعد الإجراءات العقيمة من قبل بغداد ضد الكرد. رئيس الوزراء العراقي السابق خسر السلطة في الانتخابات الاخيرة في جميع أنحاء العراق. لدينا الآن رئيس وزراء جديد سبق و أن استقال من منصبه كوزير للنقط و ذلك بعد وضع عراقيل أمامه لتسوية مسألة النفط و الغاز العالقة بين الحكومة الاتحادية و الإقليم، و قد أمضى أيضا في ثمانينات القرن الماضي و في أيام الكفاح ضد الديكتاتورية بعض الوقت مع البيشمركة في جبال كردستان مما يمكنه فهم الكرد بشكل أكثر. ولدينا الآن أيضا رئيس عراقي جديد، الدكتور برهم صالح الذي يحظى باحترام كبير في المملكة المتحدة حيث درس هناك، وفي أمريكا حيث عمل هناك، و لإنه شغل منصب نائب رئيس الوزراء في بغداد، فضلا عن كونه رئيس وزراء سابق لإقليم كردستان.

إن وجود هؤلاء الشخصيات تبشر بالخير و خاصة إذا تمت معالجة القضايا التاريخية والفلسفية التي تتركز عليها الصراعات في الشرق الأوسط. إن المصالحة في العراق حيوية لشعوب هذا البلد ولجميع الذين مستعدون لوضع التاريخ وراءهم والمساهمة في تحقيق رؤية تعددية للشرق الأوسط.

إذا تم رسم الشرق الأوسط بشكل غير واقعي و ذلك بسبب المصالح المتضاربة للقوى الكبرى، فمن الواقعية و الضرورية جدا الاعتراف بأن ذلك الرسم كان خطأ و ذلك اعتمادا علي المعايير الديمقراطية ومبادئ العلاقات الدولية لكي تتمكن من بناء أرضية صلبة ودعم دول الشرق الأوسط و شعوبها لفتح باب حوار دائم بينهم.

يجب على القوى الكبرى أن تتوقف عن التسابق لأجل زيادة نفوذها في الشرق الأوسط، وأن تتوقف عن تسوية نزاعاتها علي المصالح في الشرق الأوسط و خاصة في الدول التي يوجد فيها فراغ سياسي. لا ينبغي للسياسات الخارجية للقوى الإقليمية أن تملي نوعية الحكومات علي شعوب هذه المنطقة، بل عليها أن تشجع و تدعم الحوار المستمر والتفاهم و التعايش بين شعوب المنطقة.

إن المشاركة الإبداعية للغرب على أساس مختلف كلياً أمر ضروري لأجل التغلب على المشاكل المزمنة في المنطقة و ذلك من خلال ضمان السلام والازدهار في الشرق الأوسط. نحن نحتاج المجتمع الدولي، و منهم بريطانيا لكي يشاركوا و يخرطوا بشكل براغماتيكي أكثر في عملية الإصلاح في العراق، و المساعدة في تحويل الشرق الأوسط من مصدر للحزن والعنف والألم إلى منطقة مستقرة للعالم بأسره. الرهانات عالية.

* ممثل حكومة إقليم كردستان- العراق في بريطانيا. ونائب رئيس دائرة العلاقات الخارجية لحكومة إقليم كردستان سابقا

تحالف البحر الأحمر: احتواء التهديدات في نظام إقليمي مضطرب

مركز منتدى الشرق للبحوث: ٢٠١٨/١٢/١٧

د. شادي عبدالوهاب: أعلنت المملكة العربية السعودية إقامة تحالف مع ست دول عربية متاخمة للبحر الأحمر وخليج عدن، وهي مصر وجيبوتي والصومال والسودان واليمن والأردن. وعلى الرغم من أن الاجتماع الأول في الرياض لم يصل إلى اتفاق نهائي، فإنه سيتم عقد اجتماع لاحق في القاهرة لإجراء محادثات فنية لبحث خطط قيام هذا التحالف.

وليس من الواضح بعد طبيعة التحالف الجديد، وهل سيكون تجمعاً سياسياً أم تحالفاً عسكرياً؟ فقد أشار وزير الخارجية السعودي عادل الجبير إلى أنه قد يتضمن درجة من التعاون الأمني، نظراً لأن الهدف الرئيسي للتحالف هو "تحقيق الاستقرار في المنطقة"، والحد من التأثير السلبي للقوى الخارجية. ونظرت بعض التحليلات إلى التحالف باعتباره موجهاً بصورة أساسية لتحجيم النفوذ والتأثير الإيراني والتركي على أمن البحر الأحمر. وفي هذا الإطار، تهدف هذه المقالة إلى تحليل التحالف الجديد، ومحاولة شرح هدفه الرئيسي وانعكاساته الإقليمية.

العلاقة مع الأطر الأمنية القائمة:

يبدو أن "تحالف البحر الأحمر" - إن جاز التعبير - يهدف إلى إيجاد منصة دائمة للتشاور بين الدول الأعضاء من أجل إيجاد فهم مشترك للتحديات الأمنية التي تزعزع استقرار البحر الأحمر، وقد يهدف كذلك إلى محاولة علاج الخلافات والتوترات المحدودة، التي قد تنشأ في العلاقات بين الدول المشاطئة للبحر الأحمر.

ولم يوضح الجبير ما إذا كان تحالف البحر الأحمر تقتصر وظيفته على كونه تجمعاً سياسياً أم لا، أم أنه قد يسعى في مرحلة لاحقة إلى تعزيز التعاون العسكري والأمني بين الدول الأعضاء. ومع ذلك، فإن هذا التحالف يمكن أن يعتمد على التحالفات العسكرية القائمة في المنطقة، خاصة التحالف العربي في اليمن، الذي يدعم الحكومة اليمنية الشرعية في حربها ضد الحوثيين منذ عام ٢٠١٥.

ونظراً لأن هناك مفاوضات جارية لحل الأزمة اليمنية سلمياً في السويد بدءاً من أوائل ديسمبر ٢٠١٨، فإنه يمكن تطوير التحالف العربي في اليمن، وتوسيع عضويته، بحيث يركز على دعم الاستقرار في البحر الأحمر، ومواجهة التهديدات الأمنية النابعة من السلوك الإيراني ومساعدتها لتهديد أمن المضائق البحرية، خاصة إذا أخذ في الاعتبار أن مصر والسودان والمملكة العربية السعودية والأردن واليمن هي أعضاء في كل من تحالف البحر الأحمر والتحالف العربي في اليمن.

وعلاوة على ذلك، فقد شهد نوفمبر ٢٠١٨ تدريبات عسكرية مشتركة بين بعض الدول العربية، حيث شاركت الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية ومصر والأردن والبحرين والكويت في تدريبات مشتركة في مصر في أول تدريب من نوعه. ونظر المحللون، آنذاك، إلى هذه الجهود على أنها ترسي أسس إقامة تحالف عسكري إقليمي لمواجهة إيران. ومن ثم يمكن النظر إلى إعلان تحالف البحر الأحمر في الشهر التالي مباشرة على أنه يعكس استمرار الجهود الرامية إلى تعزيز التعاون السياسي الأمني بين دول الخليج العربية ودول البحر الأحمر.

وعلى الجانب الآخر، فإنه ليس من الواضح ما هي العلاقة بين تحالف البحر الأحمر و"التحالف الاستراتيجي للشرق الأوسط"، والمعروف باسم "الناطو العربي"، والذي اقترحتته الإدارة الأمريكية كمظلة أمنية لمواجهة التهديدات الإيرانية. فقد كان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب يدفع باتجاه تأسيس مثل هذا التحالف العسكري الذي يشمل جميع دول الخليج العربية الست، بالإضافة إلى الولايات المتحدة ومصر والأردن.

ومن الواضح أن التصور الأمريكي لإقامة حلف عسكري يواجه العديد من التحديات، نظراً لاستمرار الأزمة القطرية، فضلاً عن تباين مدركات التهديدات بين الدول المقترحة لعضوية التحالف الجديد، حيث إن قطر وعمان لا يعتبران إيران مصدر تهديد، وذلك بخلاف الأعضاء الآخرين المقترح انضمامهم للتحالف. وفي حالة فشل الناتو العربي، فإن تحالف البحر الأحمر قد يمثل - في حال تطويره - المظلة الأمنية الرئيسية لمواجهة النفوذ الإيراني في البحر الأحمر وخليج عدن.

ثلاثة تحالفات إقليمية:

لا يمكن فهم تحالف البحر الأحمر إلا من منظور التنافس الإقليمي القائم حالياً في الشرق الأوسط. فقد كان الصراع بين التحالفات الإقليمية من السمات الأساسية للنظام الإقليمي العربي منذ نشأته في عام ١٩٤٥. فخلال عقدي الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، شهد الشرق الأوسط صراعاً بين معسكرين: الملكيات المحافظة بقيادة المملكة العربية السعودية، والجمهوريات الاشتراكية بقيادة مصر. ومع اندلاع الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩، نشأ اصطفاً إقليمياً جديداً، حيث دعمت غالبية الدول العربية العراق في حربه ضد إيران (١٩٨٠ - ١٩٨٨)، في حين كانت سوريا الدولة الوحيدة التي ساندت إيران. ومع حرب ٢٠٠٦، بين حزب الله وإسرائيل، نشأ اصطفاً جديداً في الشرق الأوسط بين محور الاعتدال العربي، خاصة مصر والسعودية والأردن، ومحور المقاومة بقيادة إيران وسوريا، بالإضافة إلى حزب الله اللبناني وحركة حماس الفلسطينية.

ومثل "الربيع العربي" الذي عصف بالاستقرار في عدد من الدول العربية في عام ٢٠١١ مرحلة أخرى من التحالفات في الشرق الأوسط، والتي تميزت بتصاعد أدوار القوى الإقليمية غير العربية، ولاسيما إيران وتركيا، في محاولتها استغلال الفوضى التي شهدتها عدة دول عربية لتعزيز نفوذها في بلاد الصراعات العربية، من خلال التورط في دعم قوى سياسية موالية لها في الوصول للسلطة، بهدف استقطاب دولها إلى التحالفات القائمة. وقد نتج عن هذه الجهود، والمحاولات الرامية إلى مواجهتها تبلور ثلاثة تحالفات رئيسية في الشرق الأوسط، وهي على النحو الآتي:

١- التحالف الإيراني: حاولت إيران تعزيز نفوذها الإقليمي في سوريا واليمن والعراق في أعقاب الربيع العربي من خلال مساعدة النظام السوري في مواجهة المعارضة المسلحة، بالإضافة إلى دعم الحكومة العراقية في حربه ضد "داعش".

وبالإضافة إلى ذلك، دعمت طهران عدداً من الفواعل المسلحة من دون الدول، خاصة حزب الله اللبناني والحوثيين في اليمن. وتباغت إيران بنفوذها الإقليمي، عندما صرح علي رضا زاكاني، عضو البرلمان الإيراني المقرب من المرشد الإيراني الأعلى علي خامنئي، في سبتمبر ٢٠١٤ بأن "ثلاث عواصم عربية أصبحت اليوم بيد إيران، وتابعة للثورة الإيرانية الإسلامية"، مشيراً إلى أن صنعاء أصبحت العاصمة العربية الرابعة التي في طريقها للاتحاق بالثورة الإيرانية، وذلك غداة سيطرة الحوثيين على العاصمة اليمنية صنعاء.

وواصلت إيران دعمها للحوثيين في اليمن من خلال تهريب الأسلحة لهم عبر مراكب صغيرة تعبر الساحل الصومالي إلى الساحل اليمني الخاضع لسيطرة الحوثيين منذ عام ٢٠١٥، وحتى الآن.

٢- التحالف القطري - التركي: يتسم هذا التحالف بطبيعة إيديولوجية، حيث دعم كل من حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا وقطر تيار الإخوان المسلمين في جميع دول المنطقة في أعقاب الربيع العربي في عام ٢٠١١.

ووضح ذلك بصورة أساسية في البلدان التي تعاني الصراعات، مثل ليبيا وسوريا. كما أن كل من أنقرة والدوحة اشتركتا في تبني مواقف عدائية تجاه الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، والذي ساند التظاهرات الشعبية، التي أطاحت بحكم الإخوان المسلمين في مصر عام ٢٠١٣.

وفي أعقاب الأزمة القطرية في عام ٢٠١٧، حاولت تركيا - من دون جدوى - التوسط بين الدوحة والرياض. وفي أعقاب فشل جهود الوساطة، بدأت طهران في اتباع سياسات أكثر عدوانية تجاه المملكة العربية السعودية، وصلت إلى التلويح بمطالبة الأمم المتحدة بالتحقيق في مقتل الصحافي السعودي جمال خاشقجي، بل ومحاولة استغلال مقتله في التأثير سلباً على العلاقات الأمريكية - السعودية. وأشارت المحاولات التركية في أواخر عام ٢٠١٧ وبداية ٢٠١٨ لتأسيس موطئ قدم لها في جزيرة سواكن السودانية إلى ارتياب مصر والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة من الخطوة التركية وأبعادها، وفقاً لبعض المحللين.

٣- التحالف الرباعي: يشير هذا التحالف إلى الدول العربية الأربع السعودية والإمارات والبحرين ومصر التي قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع قطر، بسبب دعمها عدداً من التنظيمات الإرهابية، واعتماد سياسة خارجية تدخلية مثلت تهديداً للأمن القومي للدول الأربع. وتتبنى هذه الدول سياسة خارجية متقاربة، خاصة فيما يتعلق بالتوجس من تيار الإخوان المسلمين. وبالإضافة إلى ذلك، فهي قوى تسعى للحفاظ على الوضع الراهن في المنطقة، عبر استعادة الاستقرار الإقليمي في دول الأزمات، فضلاً عن تقليص النفوذ الإيراني والتركي في المنطقة. وفي هذا السياق، يمكن اعتبار "تحالف البحر الأحمر" من الأدوات التي يمكن أن توظفها الرياض والقاهرة في مواجهة النفوذ الإيراني والتركي في الإقليم.

مواجهة التهديدات الإرهابية:

يمكن توظيف تحالف البحر الأحمر كأداة رئيسية لمواجهة الإرهاب في القرن الأفريقي، ويتمتع البحر الأحمر بأهمية جغرافية ستراتيجية، سواء بالنسبة للدول العربية المشاطئة للبحر الأحمر، أو للقوى الدولية، حيث يعبر بالبحر الأحمر ما يقدر بنحو ٣,٢ مليون برميل نفط يومياً باتجاه أوروبا والولايات المتحدة وآسيا. وحاولت حركة الحوثيين المتمردة والمتحالفة مع إيران تهديد الأمن البحري بالقرب من مضيق باب المندب من خلال مهاجمة السفن التجارية وناقلات النفط والسفن الحربية أثناء مرورها بالقرب من السواحل اليمنية، وذلك أثناء الحرب الدائرة في اليمن.

وتستخدم إيران الحوثيين كورقة لتهديد الملاحة في مضيق باب المندب في حال نشبت أي أزمة بينها وبين القوى الدولية. وقد أكد ذلك ما نشرته وكالة الأنباء الإيرانية (فارس) في ٦ أغسطس ٢٠١٨ من تصريحات للجنرال ناصر شعباني، الذي يتولى منصباً بارزاً في الحرس الثوري الإيراني، والذي أكد قيام طهران بإصدار أوامر للحوثيين لمهاجمة حاملتي نفط سعوديتين، وأنها نفذت تلك الأوامر.

وعلى الرغم من تعديل مضمون الخبر أكثر من مرة لحذف تورط إيران في توجيه الحوثيين، فإن تزامن هذا الهجوم مع تصريحات اللواء قاسم سليمان، قائد فيلق القدس، والذي قال فيه إن البحر الأحمر لم يعد آمناً بالنسبة للسفن الأمريكية، يكشف بجلاء تورط إيران في هذا الهجوم.

وبالإضافة إلى ذلك، فقد تورطت إيران في رعاية حركة الشباب الإرهابية في الصومال، والمتحالفة مع تنظيم القاعدة، وفقاً لتقرير صادرة عن الأمم المتحدة. ومن المعروف أن حركة الشباب ترتبط تنظيمياً مع "القاعدة في شبه الجزيرة العربية" في اليمن، وقام كلا التنظيمين بالتخطيط لعمليات إرهابية مشتركة خارج الصومال.

وفي الختام، يمكن القول إن التحالف الجديد سوف يسعى لتعزيز التعاون السياسي بين الدول الأعضاء في مواجهة التحديات الأمنية التي تشهدها منطقة البحر الأحمر، وقد يمهد في مرحلة تالية إلى تعزيز التعاون الأمني والعسكري بين الدول المؤسسة، لكي تتمكن من مواجهة التنظيمات الإرهابية في منطقة القرن الأفريقي والحد من النفوذ الإيراني على مضيق باب المندب ومحاولة استتباب أبعاد الدور التركي الجديد في هذه المنطقة.

تكتل دول البحر الأحمر صفة لتركيا وإيران

*د. سالم حميد

صحيفة (العرب) السعودية : ٢٠١٨/١٢/١٧

تشهد المنطقة العربية تطورات متسارعة تقودها المملكة العربية السعودية كبرى دول المنطقة اقتصاديا وسياسيا، وهي تطورات مفاجئة وحاسمة سوف تضع حدا يلجم كلا من تركيا وإيران، وذلك من خلال رؤية استراتيجية تجمع الدول المطلة على البحر الأحمر وخليج عدن، لأن هذه المنطقة تعتبر من الأهداف المفضلة لدى الإيرانيين والأتراك. ونعرف أن الطرفين التركي والإيراني يتحركان في المنطقة وفق أجندة عسكرية وأخرى اقتصادية.

والآن يتم قطع الطريق على أطماع إيران وتطفل تركيا في الآن ذاته. وكان هناك استغلال واضح للأوضاع الاقتصادية في دول القرن الأفريقي، وعبر هذا المحور تجري محاولات اختراق إيرانية وتركية، مما تطلب تحركا لوقف أي اختراقات مستقبلية لدول تقع على تماس مع أحد أهم المعابر المائية العالمية وهو البحر الأحمر. ولعل التداخل بين الجانبين الاقتصادي والأمني في دول حوض البحر الأحمر يضع التنسيق بشأن هذين المحورين في واجهة أهداف الكيان الإقليمي الجديد. ومن خلال تشجيع الاستثمار وحماية الاستقرار يتحقق وقف الاختراقات الإيرانية والتركية التي كانت تزحف باتجاه بعض دول المنطقة.

ترتكز تركيا في تطفلها على استثمار خيبتها الدائمة وانكسارها وفشلها المعتاد في الالتحاق بالاتحاد الأوروبي، عبر محاولة التسلسل من جديد إلى العالم العربي لتعويض ذلك الفشل، مقابل إحياء التسلسل العثماني القديم، ولكن بثوب جديد. بينما يشير الواقع إلى أن الحلم التركي صعب المنال ولن يجد الأرض العربية مفروشة أمامه بالورود، لأن ماضي الاحتلال العثماني للمنطقة العربية كان سيئا، ولا تزال الذاكرة تخزن أسوأ ما قام به الأتراك الذين فشلوا في خلق تجانس ثقافي مع العرب رغم المشترك الديني.

لكن قطر كانت الوحيدة التي فتحت ذراعيها للأتراك واستقبلت طلائع عسكرية تركية تحت ستار التعاون المغلف بأيدولوجيا إخوانية تتحكم بنهج وسياسة البلدين الداخلية والخارجية. وبهدف مناكفة جيرانها سلمت الدوحة سيادتها للاختراق التركي بكل سهولة. وهذا الأمر فتح الباب واسعا أمام دول الخليج الكبرى ممثلة بالإمارات والسعودية لكي تتخذ ما ينبغي اتخاذه من إجراءات، إضافة إلى بحث التصورات المستقبلية المطلوبة لحماية أمن المنطقة من العابثين والمتاجرين بالأمن القومي للخليج، وهو عبث يتم لصالح أيدولوجيا الإسلام السياسي الذي تتمحور أفكاره حول السيطرة على السلطة والثروة، بهدف دعم مشروع خلافة وهمية، وأن مشروع "داعش" في العراق أحد اختبارات الفاشلة.

كل ما سبق من تداعيات أصبح يبرر للدول المركزية في الخليج والعالم العربي اتخاذ تدابير لحماية أمنها واقتصادها ومستقبل شعوبها ورخاء جيرانها. ومن بين سلسلة الإجراءات الوقائية التي تم اعتمادها حملة التحالف العربي لدعم الشرعية في اليمن، مروراً بتوحيد جهود دول القرن الأفريقي وإنهاء الخلافات المزمنة في ما بينها. وأخيرا التوصل إلى تشكيل كيان لدول البحر الأحمر وخليج عدن بقيادة السعودية.

كان الأسبوع الماضي حاسما في هذا المضمار، حيث تم الإعلان عن ولادة كيان سباعي بقيادة السعودية يهدف إلى ضمان استقرار منطقة البحر الأحمر. وجاءت هذه الخطوة بمثابة صفة مزدوجة لتركيا وإيران من خلال الإعلان عن التوصل إلى اتفاق لتأسيس كيان لدول البحر الأحمر وخليج عدن، ويضم السعودية ومصر والسودان وجيبوتي واليمن والصومال والأردن، تتضمن رؤاه المستقبلية، إلى جانب تعزيز الأمن والاستقرار، العمل على دعم الاستثمار والتنمية لدول حوض البحر الأحمر وخليج عدن. وتم بالفعل تدشين أول الاجتماعات الرسمية لمجموعة دول التكتل الوليد، وذلك أثناء اجتماع وزراء خارجية الدول العربية والأفريقية التي تقع على شاطئ البحر الأحمر وخليج عدن.

لا شك أن السعودية باعتبارها دولة كبرى لها تأثيرها المحوري على المستوى العالمي، تعرف أنها معنية أكثر من غيرها بحماية أمن البحر الأحمر الذي تمر عبره أكبر صادرات النفط، إلى جانب دور البحر الأحمر بشكل عام في التجارة العالمية. وإذا كانت فترة القرصنة أثناء انهيار الوضع في الصومال قد انحسرت، فإن التطفل الإيراني عبر الذراع الحوثية لا يزال يشكل تهديدا في ظل بطء مسارات التفاوض مع الانقلابيين المواليين لإيران. بالإضافة إلى أن المحاولات المتكررة من قبل تركيا للتسلل إلى المنطقة لتحقيق نفوذ واختراق تركي من المسائل التي لا يمكن التغاضي عنها.

أما المحفزات التي تثير جنون إيران وتدفعها إلى تحريك أذرعها لتهديد أمن البحر الأحمر فقد تزايدت مؤخرا، وخصوصا بعد حزمة العقوبات الأمريكية الجديدة التي أدت إلى تناقص حجم الصادرات النفطية الإيرانية، مما يدفع بطهران إلى البحث عن وسائل للانتقام والإعلان عن وجودها بأي طريقة، بما فيها إقلاق أمن البحر الأحمر والتلويح بتهديد منافذ الملاحة الدولية.

وكل تلك الاعتبارات كانت في مقدمة الدوافع التي قادت السعودية نحو تبني تزعيم الكيان الجديد لدول البحر الأحمر وخليج عدن، وهو ما يفسر ورود جملة مباشرة وصريحة على لسان وزير الخارجية السعودي عادل الجبير، عندما قال في سياق كلمته خلال اجتماع وزراء خارجية الدول العربية والأفريقية المعنية بالكيان الجديد إن "هذا الكيان سيسهم في إيجاد تناغم في التنمية بين دولنا في هذه المنطقة الحساسة، وبالتالي يسهم في منع أي قوى خارجية من القيام بدور سلبي في هذه المنطقة الحساسة". القوى الخارجية التي تعمل ليلا ونهارا على تهديد أمن دول المنطقة مقصود بها تركيا وإيران.

فتهريب السلاح عبر البحر الأحمر سلوك إيراني موثق بأكثر من واقعة ضبطتها السلطات الشرعية اليمنية في أوقات سابقة. كما أن السعي التركي المحموم للحصول على امتيازات طويلة الأجل في موانئ تطل على مياه البحر الأحمر ليست بريئة، وخاصة أن تركيا في ظل هيمنة الإسلام السياسي تعمل وفق أجندة تتصادم مع توجهات السعودية الرامية إلى تحقيق الاستقرار وتجفيف منابع التطرف والإرهاب والفوضى.

وحسب التحليلات التي تطرقت إلى آفاق الكيان الذي يجمع الدول المطلة على البحر الأحمر وخليج عدن، فإن الهدف من التنسيق بين الدول الأعضاء هو وضع حد لمختلف أشكال القرصنة في البحر الأحمر، والتي تتخذ أشكالا مختلفة، من الواضح أن بعضها يتم برعاية إيرانية مباشرة، أو باسم البحث عن نفوذ وحضور تركي على حساب دول حوض البحر الأحمر.

لا ننسى كذلك الأهمية الاقتصادية للملاحة عبر البحر الأحمر الذي تنقل عبره السفن التجارية بضائع تبلغ قيمتها ما يوازي ٢,٥ تريليون مليار دولار، وتمثل في مجملها حسب الإحصاءات ما يساوي ١٣ بالمئة من التجارة العالمية. وفي المحصلة النهائية سوف يؤدي كيان دول البحر الأحمر إلى تبديد أحلام تركيا وطموحات رجب طيب أردوغان، لأن الكيان الجديد يجمع الدول المطلة على البحر الأحمر وخليج عدن ويوحدها ضد التهديدات التركية إلى جانب الأطماع الإيرانية التي تطل برأسها في كل فترة وتصنع لها عملاء ومجموعات مسلحة. ولا يمكن في الوقت ذاته استبعاد حاجة السعودية إلى إطلاق سياسة إقليمية جديدة تقوم صياغتها وتنفيذها لتحديد أسلوب التعاطي مع تركيا، لأن أنقرة لم تتوقف عن استفزاز السعودية.

وإذا ما وجدت تركيا نفسها في المستقبل القريب أمام سياسة إقليمية عربية معادية لها فإن البداية جاءت من طرفها. والأرجح أن وقت الصبر وامتصاص الغضب تجاه العبث التركي قد انتهى، ولا بد من التعامل مع تركيا بالطريقة التي يتم التعامل من خلالها مع إيران. فمجملة تصريحات أردوغان الأخيرة انتقلت بالسياسة الخارجية التركية من دبلوماسية المواربة والتردد واللعب بالمفردات، إلى الحديث بعدوانية مستفزة ضد السعودية، ما يستدعي اللعب مع الخصم بأسلوب يتوازى مع أسلوبه العدائي الصارخ وغير المبرر.

* رئيس مركز المزمأة للدراسات والبحوث - دبي

اجتماع مجلس التعاون: استمرار الأزمات

*د. شفيق ناظم الغبرا

القدس العربي؛ ٢٠١٨/١٢/١٧

اجتمع مجلس التعاون في ظل حالة إستقطاب خليجي خليجي لم يسبق للخليج أن عرف مثلها منذ إستقلاله. لكن الواضح في هذا اللقاء أن المجلس لم يتعرض لحالة الإستقطاب والقضايا التي تشكل الخطر الاول على منطقة الخليج. في الجوهر لم يناقش المجلس شيئاً حقيقياً أو فكرة يمكن لها أن تؤدي لنقلة نوعية. وإن كان من نجاح يذكر لقمة مجلس التعاون فهي تلك الكلمة المعبرة التي تحدث فيها سمو أمير الكويت الشيخ صباح الاحمد حول أزمة الخليج، كلمته كانت الأقرب للواقع لأنها جاءت من قلب آلام المنطقة وطرحت بوضوح الخلاف الخليجي الخليجي بصفته عملاً يهدد الكيان ويدمر كل صرح تم انشاؤه.

لنحلل قليلاً بعض من القضايا التي كان على قمة خليجية أن تناقشها والتي لم نجد لها صدى في بيان ختامي فضفاض. فدولة قطر التي تعرضت لحالة مقاطعة شاملة وحصار مباشر من ثلاث دول خليجية إستنجدت بالاتراك، وهذا يعني أن الاتراك أصبحوا جزءاً لا يتجزأ من ترتيبات الخليج الأمنية. فهل تستطيع قمة أن تتعامى عن الوضع الناتج عن خوف بين جيران؟ كما أن الكويت التي هالها ما يقع في الإقليم من تفكك سعت لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، فقامت بالتوسط من خلال مبادرة الأمير الشيخ صباح الأحمد الصباح، لكنها قامت بنفس الوقت بخطوات لتقوية أمنها عبر التنسيق مع تركيا و بريطانيا بالإضافة للتنسيق التقليدي مع الولايات المتحدة. وهل يمكننا إعتبار قمة لم تناقش على الأقل الوساطة الكويتية ناجحة؟ وقد عززت من جهة أخرى المملكة العربية السعودية من درجة تنسيقها مع دولة الإمارات لدرجة إنشاء مجلس مشترك لكل المسائل الأمنية والعسكرية والسياسية والاقتصادية. فهل تنجح قمة لا تناقش هذا التداخل الجديد الاماراتي السعودي وانعكاساته في اليمن في العالم العربي؟

وبنفس الوقت هناك حرب ضروس في اليمن ادت لكارثة إنسانية مدمرة، وبينما أصبح الجنوب اليمني تحت سيطرة أماراتية لازال الشمال في حالة حرب. كيف تنجح قمة مجلس التعاون بلا نقاش واضح حول إنهاء حرب اليمن واعادة بناء اليمن بعد الحرب؟ وكيف تنجح على سبيل المثال قمة خليجية لمجلس التعاون بلا نقاش عقلاني حول إيران ووضعها منذ الغاء الإتفاق النووي الإيراني من جانب الولايات المتحدة في ٢٠١٨؟. كيف يمكن تجاهل بناء رؤية مقبولة للتعامل مع الوضع الإيراني؟ لقد أصبح مجلس التعاون قشرة تقع في محيطها مخاوف شتى وكل من دوله تبحث عن صيغ أمنية جديدة.

هناك تساؤلات حول مكانة الشعوب والمواطنين في سياسات مجلس التعاون، فلا الشعوب لديها خيار المشاركة في إطارات ومؤسسات المجلس، ولا تشعر الشعوب بنفس الوقت بأنها تمتلك ضمن المجلس حقوقاً أصيلة تسمح لها بالترافع في شؤونها أمام قضاء خليجي مستقل.

ثم هل بالإمكان أن تنجح قمة لا تتعرض لطبيعة العلاقات الأمريكية السعودية كما تطورت منذ إغتيال جمال خاشقجي؟ الإزمة الأمريكية السعودية هي الأولى من نوعها في تاريخ البلدين. فحتى بعد الحادي عشر من أيلول/سبتمبر لم تهتز علاقة المملكة بالولايات المتحدة كما هو واقع اليوم، بل إمتدت الإزمة للصحافة والاعلام والكونغرس والرأي العام. كان من المفيد أن تتعرض القمة للعلاقة مع الولايات المتحدة. لقد إختارت مجلة تايمز جمال خاشقجي كشخصية العام، وهذا تأكيد على عمق ما وقع. وهنا يبرز امر يتطلب وضوحاً. فقد نتج عن إغتيال جمال خاشقجي تحول حادثة الإغتيال وطريقتها لقضية رأي عام عالمي عن حرية الكلمة والصحافة في كل مكان. كان من المطلوب ان تناقش القمة طرقاً صادقة وواضحة في التعامل مع صورتنا العالمية وصورة الدول عند الدول. ان ما وقع مع جمال خاشقجي صنع تداخل بين اسلوب داعش والقاعدة. لن يكون بالإمكان تصحيح الصورة السلبية الجديدة الا بقيام المملكة من جهة و دول مجلس التعاون، بنقاش حقيقي حول كل ما يتعلق بحرية التعبير و بحقوق الصحافة والصحافيين. هذا سيتطلب تطوير واضح للضمانات المتعلقة بالرأي والرأي الآخر. صورتنا لن تتغير بلا تغيرات جديّة في الموقف من الحريات. هذا النقاش يأخذنا نحو أفق آخر، فهناك تساؤلات حول مكانة الشعوب والمواطنين في سياسات مجلس التعاون، فلا الشعوب لديها خيار المشاركة في إطارات ومؤسسات المجلس، ولا تشعر الشعوب بنفس الوقت بأنها تمتلك ضمن المجلس حقوقاً أصيلة تسمح لها بالترافع في شؤونها أمام قضاء خليجي مستقل. يكفي ان نتذكر بأنه حين وقعت أزمة الخليج في ٢٠١٧ تم، وبلا سابق إنذار، طرد كل مواطن قطري من الدول التي حاصرت قطر، كما طلبت ذات الدول من جميع مواطنيها مغادرة قطر ضمن مهلة لم تتعد الأيام. لم يستطع اي مواطن أن يخالف تعليمات الحكومات، وهذا يعني أن رغبات المواطنين ومصالحهم غير أساسية. بل أدت هذه القرارات لحالة معاناة وألم للكثير من العاملين والموظفين والإعلاميين والأساتذة من المواطنين القطريين والسعوديين والاماراتيين والبحرينيين القاطنين في قطر ام في بقية الدول التي شنت حملة الحصار. هل من المنطق ان يفرض على موظف أو موظفة من المملكة او من الامارات ان يستقيل بلا سابق انذار لأنه يعمل في شركة خاصة في قطر؟ وهل من المعقول ان يفرض على رجل أعمال قطري لديه أعمال وشركات في دبي القيام بتجميد هذه الأعمال والأموال بسبب خلاف سياسي. هذه ابعاد مدمرة لفكرة المجلس بالأساس.

في ظل حالة عدم الثقة والخوف من الآخر يبقى الجمود وستبقى المفاجآت، فاقليمنا عودنا على الإستدارات المفاجأة. لهذا فالاسئلة كثيرة: هل دخلت قطر مرحلة الإستغناء عن مجلس التعاون بالشكل الذي عرفناه؟ لماذا تستمر حرب اليمن، ولماذا مقاطعة قطر وحصارها؟ كيف يمكن خلق آلية للتشاور تمنع الاستفراد في ممارسة الإكراه؟ اليس من الأصول أن يقوم مجلس التعاون بمناقشة طريقة لحصر الخلاف السياسي بين السياسيين وعدم تعريض المواطنين لخطاء السياسيين؟ اليس من الضروري بناء مؤسسات قضائية تمنع الدول الاستفراد بالحقوق والملكية ومنع الانتقال واضطهاد مواطنين لا علاقة لهم بما يقع بين الدول من شد وجذب؟ الم يكن ذلك يستحق بعض من وقت المجلس؟ إن الإكراه اصل المشكلة في العالم العربي. لقد وصلنا لمحطة جديدة تؤكد لنا بأنه لا مستقبل لمجلس التعاون بلا مكانة للشعوب وبلا الحد من ممارسة الإكراه.

*استاذ العلوم السياسية في جامعة الكويت

وثيقة مؤتمر مكة تشدد على الاعتدال

صحيفة (الشرق الاوسط) : ٢٠١٨/١٢/١٧

جاء انعقاد المؤتمر الإسلامي العالمي للوحدة الإسلامية «مخاطر التصنيف والإقصاء» الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة يومي ١٢ - ١٣ ديسمبر (كانون الأول) الحالي، تأكيداً على المرجعية الروحية السعودية لدى عامة المسلمين، كذلك تعزيز الاعتدال والوسطية.

المشاركون في المؤتمر شددوا على أن المحاولات المغرضة التي تستهدف بتحملها المكشوف الإساءة لها هي بالنسبة لهم خط أحمر، بما تمثله من إساءة لأكثر من مليار وثمانمائة مليون مسلم يجِدُون في المملكة المحضن الكبير لهم من موقع تشرفها المستحق بخدمة مقدساتهم والسهر على راحتهم في أداء نسكهم وزيارتهم.

ودعا المؤتمر إلى إنشاء لجنة جامعة تمثل المكونات الإسلامية المختلفة لصياغة ميثاق إسلامي شامل يتضمن قواعد الخلاف التي تحكم علاقة المسلمين، ويُبين الأصول والثوابت المُحَكَمَة الجامعة لهم، ويُحرر مواضع النزاع المهمة، ويحيلها لأهل الاختصاص للدراسة والنظر، وتقريب وجهات النظر فيها ما أمكن، وأن تتولى رابطة العالم الإسلامي تبني ذلك من خلال وثيقة إسلامية جامعة تحت عنوان «وثيقة مكة المكرمة» يتم عقد ميثاقها بجوار البيت العتيق.

وحذر المؤتمر من تصدير الفتاوى خارج نطاقها المكاني وذلك أن لكل جهة أحوالها وأعرافها الخاصة بها التي تختلف بها الفتاوى والأحكام، ودعا المؤتمرون «الأقليات» في الدول غير الإسلامية إلى الاندماج الوطني الإيجابي من خلال مفهوم الدولة الوطنية الشاملة، وأن تكون مطالباتهم بخصوصياتهم الدينية وفق أنظمة الدولة الوطنية دون ممارسة أي أسلوب من أساليب العنف أو الاستعلاء.

ودعا المشاركون إلى الاجتماع حول ثوابت الدين ومحكماته الجامعة، والعمل على تجاوز الخلافات السلبية وحل مشكلاتها بروح الأخوة الإسلامية، والنأي عن سلبيات التنابز بالكفير والتبديع والتضليل، وعدم التحزب لمعاداة ومناجزة الآخر، بل تحث على التواصل والتعاون والتعايش معه وصولاً للهدف المشترك بين الجميع وهو إحلال السلام والوئام حول العالم، وفيما يخص العلاقة البيئية بين المكونات المختلفة للأمة المسلمة، أكد المؤتمر أن ما تعانيه بعض دول العالم الإسلامي من متاعب ومآسٍ هو حصيلة متوقعة لحالة التمزق التي تعصف بتلكم الدول، التي غرق بعضها في وحل العنف الطائفي، فتبددت مواردها، وتبعثرت طاقاتها في معارك عبثية، تستنبت الألم من جراحات الماضي وخلافاته التي حقها أن تطوى في ردهات التاريخ، ويُستفاد من دروسها وعبرها لتجنب الوقوع في مثيلاتها، وأن استمرار مثل هذا التخلف لا يَعدُّ بأملٍ جديدٍ حيال كل من وقع في شِرَاكِهِ، كما هي سنة الله تعالى في خلقه وتدييره.

وشددوا على أن اعتدال الإسلام الممثل لمنهجه الواحد بشعاره الشامل والحاضن للجميع، يرى أن قيم الإسلام ثابتة لا تقبل المزايدة ولا التنازل مهما تكن الذرائع، وأن الآخر غير الإسلامي له حق الكرامة وحسن التعايش ومحبة الخير له والتعاون الصادق معه لتحقيق المصالح المشتركة والسعي لبناء جسور المحبة

والوثام الإنساني، وصولاً لعالم يسوده العدل والحرية والسلام مع تبادل حسن الظن بين الجميع، والبعد عن افتعال الصدام الحضاري والثقافي وعن مبالغات نظريات المؤامرة والمكيدة، والعمل معاً لمواجهة التطرف المحسوب زوراً على الإسلام والتطرف المضاد في صورته الأبرز المسماة الإسلاموفوبيا. مع أهمية إدراك الجميع أن الاختلاف والتنوع والتعددية سنة من سنن الله تعالى في خلقه وأنه لا حمل على الأديان والمذاهب والأفكار بالإكراه، وأن ممارسات من يفعل ذلك تُخطئ شرعاً وعقلاً. كذلك تعزيز العلاقات بين المذاهب والطوائف المسلمة، بترسيخ الثوابت المحكمة، وتفهم الاجتهادات الممكنة، وبناء جسور الثقة والتفاهم والتعاون على المشتركات الجامعة، وتجاوز الآراء والمواقف الشاذة، وعدم الاستسلام للإرث التاريخي المصطبغ بروح سلبية، إضافة إلى دعم الجمعيات والمؤسسات الإعلامية والاجتماعية التي تعمل على تعزيز المشتركات الإسلامية، وترسيخ القيم الوسطية، والشروع في إنشاء أو تفعيل المؤسسات الإسلامية الوجدانية، وتطوير عملها لتحقيق التكامل الإسلامي في المجالات الحيوية كافة، مطالبين بتمكين جميع المكونات الدينية والمذهبية والثقافية من ممارسة شعائرها بحرية، واحترام خصوصياتها، والتخيلية بينها وبين حقها في المحافظة على هويتها الثقافية والاجتماعية، والاستفادة من التنوع في بناء مجتمع تنموي متجانس على أساس من المواطنة العادلة والشاملة التي تُشرك الجميع في برامج التنمية ومخرجاتها.

وحض المؤتمرون، على التعاون الفاعل على مواجهة الفقر والمرض والكوارث، ورفض استغلال هذه الظروف في تمرير مشروعات التوسع المذهبي والطائفي، وطالبوا الدول والمنظمات بتحمل مسؤولياتها في التصدي لممارسات التطرف والإرهاب، والسعي في إيقاف الحروب والنزاعات، ووضع حد للأوضاع غير الإنسانية التي يعيشها ضحايا هذه الحروب، التي أنتجت الملايين من القتلى والمعاقين والجرحى والمشردين، وقادت العالم إلى مزيد من الكراهية.

ودعا المشاركون، إلى إيقاف شذوذات فتاوى التكفير والتفسيق، وإحالة مسائل الخلاف العامة إلى الحوار الذي يضطلع به العلماء والمجامع العلمية دون غيرهم، بعيداً عن الهوى والتعصب المقيت، وأوصى المؤتمر، بأهمية توعية الشباب المسلم بخطورة الحماسة والعاطفة الدينية المجردة عن الوعي بما في ذلك عدم الدراية بالحكم الشرعي في كل واقعة عن طريق الراسخين في العلم الذين يُحسنون النظر في الوقائع (جمعاً وتفريقاً).

وطالب بأن تكون الملتقيات الفكرية والثقافية جامعة لكلمة المسلمين، بعيدة عن التصنيف والإقصاء تحت أي شعار غير شعار واسم ووصف الإسلام الجامع، وأكدت توصيات المؤتمر أن الدولة الوطنية تُعدُّ امتداداً لمفهوم الأمة باعتبارها أحد مكوناتها التي تتلاقى وتتكامل مع أخواتها في إطارها الدولي الديني ببرامجه العلمية والفكرية تحت مظلة رابطة العالم الإسلامي، وإطارها الدولي السياسي تحت مظلة منظمة التعاون الإسلامي، وإطارها الدولي الاقتصادي تحت مظلة البنك الإسلامي للتنمية، وغيرها من المؤسسات الإسلامية الجامعة، وبخاصة التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب الذي يضم الدول الإسلامية المتحالفة مع عدد من الدول الصديقة الداعمة.

الهوية الوطنية في مواجهة المخاطر الخارجية والداخلية

*منى فياض

الأنظمة العربية الاستبدادية فشلت في التنمية وفي بناء هوية وطنية جامعة ما ساهم في بروز هويات فرعية دينية

الحرّة/ شبكة الشرق الأوسط للإرسال (أم. بي. أن) : ٢٠١٨/١٢/١٨

افتتحت إسرائيل سؤال الهوية في المنطقة، باحتلالها فلسطين. شكل هذا الاحتلال تهديدا للهوية الثقافية العربية، وأثار قلق الهوية اللبنانية جراء اللجوء الفلسطيني إلى لبنان وما استتبعه. لم تظهر المشكلة مباشرة، بل مع الوقت ومع تداعيات اللجوء وبروز عقدة التوطن.

ردة الفعل الأولى في لبنان كانت احتضان اللاجئين والتعاطف معهم، بحكم علاقات الجوار التاريخية وروابط الألفة والتبادلات الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية. لكن مع الوقت تحول الوجود الفلسطيني إلى مشكلة عندما تم توظيفه في الصراعات الداخلية وإثر انقسام المجتمع اللبناني حوله على خلفية الانقسام الطائفي . السياسي . كتب صديق فلسطيني على صفحته في موقع فيسبوك: "تسأل فلسطيني من سكان سوريا، من أين أنت؟ فيجيب على الفور: فلسطيني سوري. أما عند سؤال فلسطيني من سكان لبنان، من أين أنت؟ فيجيب على الفور: فلسطيني من سكان لبنان".

الأنظمة العربية الاستبدادية فشلت في التنمية وفي بناء هوية وطنية جامعة ما ساهم في بروز هويات فرعية دينية وعلق الصديق قائلا: "إن لبنان مع كل ما يحمله من حيرة الهوية وتوترها، لم يعطنا الفرصة كي نقول: فلسطيني لبناني.

فلماذا اختلفت ردتا الفعل؟ القول بعنصرية اللبنانيين لا يستقيم.

هناك قاعدة سوسيولوجية لا تؤخذ بعد بعين الاعتبار: يتسبب التهجير عموما بقدوم فائض سكاني مفاجئ من مكون خارجي عن مكونات المجتمع المعني ما يشكل صدمة إلى جانب ارتفاع الكثافة السكانية والاحتفاظ. وهو تحد مهم على مستوى الاستيعاب.

ولنأخذ مثالا "كوب ماء له سعة معينة، أي إضافة فجائية لكمية أكبر من السعة تجعله يطفح. وهذا ما يحصل في لبنان سابقا والآن.

ومن المتعارف عليه أن الكثافة السكانية تعد من العوامل المؤدية إلى ارتفاع الجريمة غير القصدية أو ما يسمى بالعنف. وإذا عدنا إلى الأرقام لفهم الفرق بين الوضعين وقارنا بين عدد اللاجئين إلى كل من لبنان وسوريا نسبة إلى عدد السكان والمساحة وطبيعة النظام في البلدين" سنجد ما يلي . مع الإشارة إلى أن الأرقام غير دقيقة كالعادة في بلادنا:

دخل لبنان عام ١٩٤٨ ما يقدر بـ ١٠٣ آلاف فلسطيني أو أكثر. الرقم المؤكد هو أن عدد سكان لبنان الكلي عام ١٩٣٢ كان ٧٨٥,٥٤٢ نسمة.

دخل الى سوريا في الوقت نفسه ٨٥ ألفا وقدّر عدد السكان عام ١٩٣٤، بـ ١,٨٨٩,٠٦٩.

المشكلة في لبنان أنه ضيق المساحة ومكتظ. ما يعني صعوبة المقارنة في القدرة على الاستيعاب بين البلدين. استقبلت سوريا عددا أقل من اللاجئين مع عدد سكان أكبر ومساحة وبنية زراعية وصناعية أكبر ما يعني قدرة أكبر على الاستيعاب.

يضاف إلى ذلك الدور السياسي والعسكري الذي لعبته منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، وما عُرف بـ "فتح لاند". وهو أمر لم تتعرض له سوريا.

ناهيك عن اختلاف نظامي الحكم "واحد ديموقراطي ليبرالي وآخر توتاليتاري مركزي مع اقتصاد موجه، قيد حركتهم، أسوة بالشعب السوري على كل حال. ونظرا لذويانهم النسبي أمام تزايد عدد السكان السوريين الكبير لم

يظهر اللاجئون الفلسطينيون ككتلة مهددة للهوية السورية، على عكس ما حصل في لبنان. بالطبع سينتج عن هذا التهديد العودة إلى هويات فرعية متصارعة ومتنازعة.

اليوم، تتجدد المشكلة مع المهجرين السوريين، فنسبتهم تكاد تبلغ نصف عدد سكان لبنان، ويشكل هذا ضغطاً وظاهرة غير مسبوقة على المستوى العالمي، ما يؤثر على بنية المجتمع وتماسكه.

لنتذكر أن هجرة مليون واحد إلى أوروبا، التي تعد ٣٠٠ مليون نسمة، أثارت الاضطرابات وانعكست موجات شعبية وعنصرية وأدت إلى بريكسيت وغيره.

أما الإجابة عن تساؤل الصديق عن الهوية اللبنانية القلقة، فتعود في جزء منها إلى جغرافية لبنان وموقعه بين دول قوية واحدة عدوة وواحدة غير صديقة. من دون نسيان ضغط النظام العربي ككل. كما أن موقع لبنان بين ساحل ضيق وجبل شامخ، على حد تعبير ميشال شيحا، يجعل اللبناني ينزع إلى الهجرة والمخاطرة وهو نوع من القلق القاعدي.

إضافة إلى ذلك متلازمة أن لبنان دولة مصطنعة ضائعة الهوية، وأن الدول الوطنية في المنطقة تعتبر بدعة وفرضت بالقوة من قبل الاستعمار واتفاق سايكس - بيكو.

أود هنا التأكيد على بعض الأفكار:

الفكرة الأولى، أن أوروبا لم توجد كدول وطنية في الأصل. الدولة الوطنية لا تولد جاهزة وناجزة، بل هي الشكل السياسي الذي تنامي مع الملكية المركزية ومع التنظيم الإداري والطرق والسرعة، واتخذت شكلها ultimate النهائي مع ريشيليو، أحد مؤسسي الدولة الحديثة. ولم يتخذ هذا المفهوم كامل معناه الحالي سوى في القرن العشرين مع تقدم مفهوم الإنسانية ووحدة العالم.

اتبع العالم العربي المسار نفسه في مرحلة زمنية لاحقة.

الفكرة الثانية، أن الأنظمة العربية الاستبدادية فشلت في التنمية وفي الدفاع عن القضية الفلسطينية، كما فشلت في بناء هوية وطنية جامعة ما ساهم في بروز هويات فرعية دينية مع الإسلام السياسي الذي شجعت. الأنظمة نفسها - في وجه الشيوعية واليسار. من هنا جاء شعار "الإسلام هو الحل" ما ساعد على بروز القاعدة والجهاديين وصولاً إلى تنظيم "داعش". كل هذا عمق التمسك بهويات فرعية.

الفكرة الثالثة، أن الصراع الهوياتي الديني والمذهبي ليس قدرنا الذي فطرنا عليه وأن علينا التعامل معه كمكون أولي لا يمكن التخلص منه. هناك تجارب، ولو قصيرة في الزمن، مرت بها بعض دولنا فاقتربت فيها من فكرة الانتماء إلى هوية وطنية على غرار ما هو حاصل في الغرب.

أشير، وباختصار، إلى تجربة كل من: العراق أيام الملكية، وسوريا قبل حكم آل الأسد، ولبنان إبان حكم الشهابية. في ظل أنظمة حكم استطاعت ممارسة سياسة وطنية جامعة ضعفت الهويات الدينية والعشائرية والمذهبية في حينها، في مقابل تعزيز ثقافة المواطنة بسبب سياسات إنمائية متوازنة وخطاب وطني جامع.

لكن الهوية الوطنية كي تتعزز تحتاج إلى ممارسة دولة وطنية توفر حكم القانون والعدالة والمساواة بين أبنائها. وتحتاج هذه الهوية إلى العمل الدؤوب لتدعيم فكرة الولاء الوطني عبر الممارسة عن طريق دعم الهوية الوطنية عبر المؤسسات والتنمية العادلة. الأمر الذي لم يطبق كما يجب إلا مع حكم الرئيس فؤاد شهاب في لبنان، وهو حكم أجهض من قبل الطائفيين المستفيدين من الوضع السابق واللاحق.

الفكرة الرابعة، أن الثورة الإسلامية الإيرانية ساهمت في إعادة إحياء الصراع السني - الشيعي من ناحية، والفارسي - العربي من ناحية أخرى عندما تغلغت في النسيج الاجتماعي العربي وسلخت عنه الشيعة وربطتهم بهويتهم المذهبية.

إن هناك عوامل خارجية عدة تهدد الهوية العربية كما اللبنانية: إسرائيل، التدخل الإيراني، والتركي لو بنعومة أكبر في محاولته استعادة الإمبراطورية العثمانية . التركية.

لكن للمفارقة، فإن الاعتداءات الخارجية المماثلة تقوي الهوية الوطنية ولا تضعفها. ولا تعوزنا الأمثلة" فالهوية الفلسطينية تبلورت وقويت جراء الاعتداءات الإسرائيلية. الهوية العربية لم تضعف ولقد برهنت الثورات على ارتباط عضوي بين الشعوب العربية.

وبرهنت الأبحاث أن الهوية اللبنانية قويت بعد العام ٢٠١١ وبعد محاولة استتباعها . الجارية حتى الآن . إلى محور الممانعة والمحور الإيراني. (ولقد تبين هذا في بحث أجراه شبلي التلحمي في عدد من البلدان العربية وعلى عدة مراحل وتبين معه أن نسبة من يعتبرون أنفسهم لبنانيين أولا ارتفعت بعد العام ٢٠١١ عما قبل. وهذا ينطبق على الهوية الفلسطينية والعراقية أو السورية.

إن الرموز التي تصوغ الهوية لا تنشأ عرضاً بل ينشئها مهندسو رموز يكونون على نحو عام ساسة وأناسا يعملون في خدمتهم

يقودنا هذا إلى الفكرة الخامسة إن التهديد الفعلي للهوية اللبنانية هو التحدي الذي تتعرض له حالياً، والذي مهدت له الأحداث في السنوات الأخيرة حين فشلت الدولة في العمل على مواجهة الأخطار المحدقة بلبنان.

أوصلت الممارسة السياسية خلال السنوات الماضية وهيمنة الشيعة السياسية . بسلاحها . على لبنان الأمور إلى تعبئة الصراعات المذهبية بحدة لم يعرفها لبنان من قبل.

الصراع الداخلي وانفصال فئة عن المجموع وإعلان ولائها لدولة أجنبية" هي عوامل تضعف الهوية الوطنية.

التعريف المتعارف عليه للهوية

الهوية التي تسمح بتمييز الشخص عن جميع الآخرين هي تذكرة الهوية التي تحمل صورة الشخص ومعلومات تحدد من هو كفرد مختلف عن كل الآخرين، تحدد انتماء الشخص إلى بلد محدد ويمتلك حقوقاً معينة في حدود الدولة الوطنية، للتمييز بين الولاء الوطني مقابل الانتماءات العضوية العديدة والتي يمكن أن تكون عابرة للحدود، لكنها لا تعرف الشخص بتماميته.

الفكرة السادسة إن الشعور الوطني يبني وتساعد الثقافة الوطنية ويبلوره شعراؤه وأدباؤه وفنانوه، على غرار دور الرحابنة.

ترتكز الهوية الوطنية على الرموز: فالعلم والنشيد الوطني والشعار والأسطورة المؤسسة للوعي أو الشخصية التي تجسد في ظاهر الأمر "الصفات الوطنية" هي العكان الذي تتوكأ عليه هذه الهوية الوطنية.

إن الرموز التي تصوغ الهوية لا تنشأ عرضاً بل ينشئها مهندسو رموز يكونون على نحو عام ساسة وأناسا يعملون في خدمتهم. وليس أدل على أن الهوية الوطنية وفكرة الوطن، بناء يشغل عليه وتتم صيانتها برموش العين، من إسرائيل نفسها والهوية الإسرائيلية التي جمعت مجموعات من اليهود تنتمي إلى شعوب وثقافات وحضارات متنوعة" نجحت حتى الآن في جمعها في بوتقة واحدة، اسمها الهوية الإسرائيلية التي تعمل على تنقيتها دينياً.

عن «السترات الصفر»

*ألان غريش

موقع **ORIENT XXI** : ٢٠١٨/١٢/١٨

«السترات الصفر» حركة لا سابق لها في التاريخ الطويل للانتفاضات الشعبية في فرنسا. محاولة اختزالها إلى نمط معروف من الاحتجاج أو تحليلها من خلال مقارنتها بوقائع ماضية ستفضي إلى استنتاجات مضللة. هي أيضاً حركة في طور النمو، تتلمس طريقها وتتردد، ومن غير الممكن التنبؤ مسبقاً بالوجهة التي ستتخذها في المستقبل. الكثيرون، بين اليساريين، يخشون طغيان التوجّه الشعبي، المرتبط باليمين المتطرف، أي حركة شبيهة بالتي شهدتها دول أوروبية مختلفة، كإيطاليا والمجر، أو بتلك التي أوصلت دونالد ترامب إلى السلطة. يعتقد هؤلاء أن العداء للهجرة ورفض الضرائب المفروضة من الدولة من حيث المبدأ يؤكدان صحة تحليلاتهم. وعلى الرغم من أن هذه التحليلات تشير إلى مخاطر محتملة، فإنها تتجاهل الطبيعة المتنوعة للحركة واحتمال قيام القوى اليسارية بالتأثير في مسارها. المستقبل غير محدد سلفاً.

فلنبدأ من البداية. انطلقت الحركة من الأوساط الاجتماعية المهمشة، العاملة في مهن أجورها زهيدة (بمن فيهم صغار الموظفين أو العاملين في القطاع الاجتماعي والاستشفائي)، ومن بين الشرائح الدنيا من المتقاعدين، الذين ضمرت مداخيلهم باستمرار منذ عقود، نتيجة السياسات النيوليبرالية المفروضة على فرنسا. حدّت هذه السياسات من الخدمات الاجتماعية المقدمة للمواطنين (المستشفيات، المستوصفات، وسائل النقل العام)، خاصة للمقيمين خارج المراكز الحضرية. شكّلت زيادة الضريبة على الوقود المحفز الأول للاحتجاجات، لأن السيارة تمثل بالنسبة إلى جزء كبير من الفرنسيين وسيلة النقل الوحيدة للذهاب إلى العمل وللحصول على الخدمات الأساسية.

عامل آخر ساهم في اندلاع الحركة الاحتجاجية، هو شخصية الرئيس إيمانويل ماكرون. فهو ممثل نموذجي للنخب التكنوقراطية ولازدرائها المكشوف لعامة الشعب. وبينما تتمتع جميع سابقه منذ بداية الجمهورية الخامسة بتجربة سياسية طويلة، برلمانية أو محلية، لم يحصل ماكرون إلا على تجربة وزارية قصيرة، وهو يفتقر إلى التجذر المحلي الذي تمتلكه غالبية القادة السياسيين، على مستوى مدينة أو منطقة، خاضوا فيها تجربتهم وبنوا صلات فعلية مع المجتمع. بإمكاننا القول إن ماكرون عديم الصلة بأية «تجربة محلية».

بالإضافة إلى ذلك، فإن انتخابه سنة ٢٠١٧ أدى إلى تفكك النظام السياسي التقليدي واختفاء الحزب الاشتراكي وتشظي اليمين إلى مجموعة من التشكيلات والتيارات. لم يؤدّ هذا التفكك إلى تشكيل حزب سياسي رئاسي حقيقي. حزب ماكرون، على الرغم من عدد نوابه في البرلمان، ليس لديه بنية تنظيمية تستطيع أن تكون قناة للتواصل مع القوى الاجتماعية. عزّز هذا الأمر ميل ماكرون للتحوّل إلى رئيس للأغنياء. لم يعد هناك من وسيط بينه وبين «الشعب»: هو قارن نفسه بجوبيتر (أحد آلهة الرومان) والشعب يعتبره اليوم المسؤول الوحيد عن أوضاعه الصعبة. تساهم هذه الظروف في تعقيد محاولات إيجاد مخرج

للأزمة، خاصة مع غياب إمكانية اللجوء إلى الحلول البديلة التقليدية. «التجمع الوطني» و«فرنسا الأبية» يستطيعان الإفادة من الظروف الحالية، ولكن بصعوبة شديدة.

إذا عدنا إلى حركة «السترات الصفرة»، فإن تحقيقاً أعده علماء اجتماع ونشرته «لو موند» يسمح بمعرفة مكوناتها. هم أولاً رجال ونساء معدل أعمارهم ٤٥ سنة، ينتمون إلى الطبقات الشعبية أو إلى الشريحة الدنيا من الطبقة الوسطى. الموظفون يمثلون ٣٣٪ منهم، والعمال ١٤٪. عدد الموظفين الكبار المشاركين بالحراك ضعيف، أما عدد المتقاعدين فيصل إلى أكثر من الربع. أخيراً، لا بد من ملاحظة المشاركة الكثيفة للنساء (٤٥٪). غالبية المشاركين ليست من القطاعات الاجتماعية الأكثر فقراً والتي تعيش على المساعدات الاجتماعية. فئة الشباب ممثلة بشكل ضعيف.

هذه الكتلة الاجتماعية هي جزء من فرنسا التي يجري تجاهلها وازدراؤها: للمرة الأولى شاهدنا على شاشات التلفزة وجهاً آخر لفرنسا، هو وجه أصحاب الأجور الزهيدة ونهايات الشهر الصعبة. هذا «الظهور» العلني هو أول نجاح لحركة «السترات الصفرة» وهي تعي هذا الأمر وتفتخر به. تماماً كما سمحت الاحتجاجات والصدامات في الضواحي عام ٢٠٠٥ بطرح حالة «الأحياء الصعبة» وأوضاع سكانها المهاجرين وأبنائهم على النقاش العام.

السؤال المطروح الآن هو عن مدى قدرة هذه الحركة على التقاطع مع قوى أخرى كأبناء الأحياء الشعبية ذوي الأصول المهاجرة ومع الطلبة والنقابات. إحدى العقبات هي موضوع الهجرة الذي يستغله اليمين المتطرف، أي فكرة «الاجتياح الإسلامي» للبلاد والبدء بتغيير هويتها، وهي أطروحة متناغمة مع خطابات قوى السلطة. عقبة أخرى هي رفض «السترات الصفرة» لأي «استغلال» سياسي أو نقابي، مع أن الكونفدرالية العامة للعمل (CGT) واليسار عموماً قد دعما الحركة بعد فترة تردد وحاولا المشاركة بتظاهرات معها.

يبقى أن الحركة مدعومة من أغلبية كبيرة من الفرنسيين على الرغم من تراجع عدد المشاركين فيها بعد التنازلات التي قدمها ماكرون والعملية الإرهابية في ستراسبورغ. لم تمنع عمليات العنف التي تخللت الاحتجاجات في باريس وعدد من المدن وإدانتها من أكثرية المشاركين، من استمرار التأييد للحراك. وقد سمعنا التعليق التالي من مناضلين نقابيين: «منذ سنوات طويلة ننظم تظاهرات سلمية دون النجاح في تحقيق مطالبنا، بينما نجحت السترات الصفرة في انتزاع تنازلات يعتبرونها غير مرضية ولكنها فعلية».

ملاحظة أخيرة تتعلق بأشكال الاحتجاجات في العالم النيوليبرالي. لقد طويت صفحة الحرب الباردة ومعها تلك الخاصة بأشكال الاحتجاج التقليدية. باتت الاحتجاجات اليوم تتخذ أشكالاً جديدة وغير مسبوقه كحركة «احتلال وول ستريت» أو انتفاضات الربيع العربي. السؤال المطروح اليوم، وليس فقط في فرنسا، هو عن مدى قدرة هذه الحركات على المساهمة في بلورة بدائل سياسية للأوضاع القائمة.

* مؤسس موقع ORIENT XXI، ومدير تحريره

السترات الصفراء وأزمة الديمقراطية التمثيلية

*د. السيد ولد أباه

صحيفة (الاتحاد) الاماراتية : ٢٠١٨/١٢/١٨

كان مشهد الرئيس الفرنسي «مانويل ماكرون» في خطابه الموجه لآلاف المتظاهرين المحتجين على سياساته الاقتصادية مختلفاً عن الصورة التقليدية التي ظهر فيها منذ اقتحامه المشهد السياسي قبل سنتين، غاب وجه الشاب اللامع الواثق من نفسه، وظهر في موقف الضعف والحيرة أمام ظاهرة احتجاجية من نمط غير مسبوق في البلاد التي صدرت نموذج الثورة إلى أوروبا الحديثة ومنها إلى العالم كله.

المفارقة البادية للعيان أن المعادلة التي سمحت لماكرون بالوصول للسلطة هي نفسها التي أدت اليوم إلى إضعافه، وهي معادلة تراجع الأحزاب السياسية والمنظمات النقابية أي مختلف الوسائط المنظمة التي أنتجت الديمقراطية التمثيلية منذ قرنين.

لا ينتمي المحتجون الذين اجتاحوا الشوارع الباريسية إلى أي من أحزاب «اليمين» و«اليسار» ولا إلى أي من النقابات الكبرى، بل لا ينتمون إلى أي تيار فكري أو مجتمعي أو إيديولوجي على غرار ما حدث خلال انتفاضة ١٩٦٨ الشهيرة، ولا يمكن تصنيفهم في خانة النزعات الشعبوية الصاعدة في أوروبا وأمريكا، فلا أثر لموضوعات الهجرة والمطالب القومية والثقافية في خطاب هذه الجموع المنتفضة الهائجة.

بيد أن مختلف هذه الظواهر التي عرفت المجتمعات الغربية في السنوات الأخيرة ترجع للخلفية ذاتها التي هي عجز نموذج الديمقراطية التمثيلية عن حسم المعضلة السياسية الاجتماعية في البلدان الليبرالية التي كانت تختص بالقدرة على تأمين السلم الأهلي من خلال الشرعية الانتخابية الناجمة.

ما نلاحظه اليوم في مختلف الديمقراطيات الغربية هو ظواهر ثلاث شديدة الارتباط هي: انهيار الأحزاب التقليدية الكبرى التي أطرت الحياة السياسية، والعزوف الواسع عن المشاركة في الاستحقاقات الانتخابية، وتشتت وضعف القاعدة التمثيلية لأنظمة الحكم التي تتشكل في الغالب من تحالفات هشّة مؤقتة لا تترك هامشاً قوياً للحكومات التنفيذية في ممارسة سلطاتها.

ما يبنيه عالم الاجتماع الفرنسي «بيار روزنفالون» هو أن التحدي الذي يواجه الديمقراطيات الراهنة هو تآكل الوسائط المؤسسية المنظمة التي كانت تضمن للديمقراطية استقرارها، بحيث أن الانتفاضة الحالية لا تتعلق بطبقات اجتماعية بل بمواقع اجتماعية سيالة ومتنوعة، لا بفئات متشكلة لها هوية ثابتة ومصالح

مشتركة، بل مجموعات تتقاسم الأهواء والمشاعر، لا بديمقراطية التمثيل الإيجابي بل بديمقراطية التمرد السلبي التي تقوم على الحشود الغاضبة لا الجموع المنظمة.

في الأنماط الاحتجاجية الجديدة يحتل الميدان العام بدلالته المادية المباشرة موقع المجال العمومي في دلالاته القانونية السورية، كما كان الشأن في الحركات الاحتجاجية التي عرفتها كبريات المدن الغربية في السنوات الماضية: «بويرتا ديل سول» في مدريد وساحة «زيكوتي» في نيويورك وساحة الجمهورية في باريس.

لأول مرة في التاريخ السياسي الحديث أصبح للرأي العام مظهر مادي ملموس، ففي ديمقراطية التمثيل للرأي العام ناطقون باسمه من صحافة وإعلام وزعامات سياسية، أما اليوم فقد أصبح الكلام المباشر الذي تبثه شبكات التواصل الاجتماعي شكلاً عفويًا فعالاً للديمقراطية المباشرة، مع ما ينجر عن هذا التحول من مخاطر الإشاعة الكاذبة والتأجيج العاطفي والمعلومة الزائفة، أي ضياع الفاعلية البرهانية في الخطاب السياسي.

الأدهى من ذلك كله هو انحسار مفهوم الشرعية الانتخابية نفسه، فالجموع المحتجة لم تعد تجد نفسها في الحكومات المنتخبة، ومن هنا التركيز على مفاهيم جديدة للشرعية من الصعب صياغتها في نظم مؤسسية عملية مثل الشرعية الخلقية والسلوكية (احترام الوعود الانتخابية وتخليق الحياة السياسية..).

من المعروف أن الديمقراطية التمثيلية تقوم على اختزال الإرادة العامة المشتركة في الأغلبية الانتخابية الظرفية المحدودة، وهي مصادرة انتقدها الفكر السياسي منذ بدايات الحداثة الأوروبية، بيد أن الجديد في الأمر أن هذه المصادرة فقدت جانباً كبيراً من نجاعتها وفعاليتها.

هذه المصادرة قامت على فكرة الشعب كما بلورها الفيلسوف الإنجليزي «توماس هوبز» من حيث هي تحويل الجمهور المشتت إلى جسم سياسي منظم بإرادة واحدة (الدولة السيادية المركزية)، والامتحان اليوم هو استكشاف ديمقراطية الجمهور التي تحدث عنها «سبينوزا» في تصوره لديمقراطية حركية حية لجموع متنوعة من فرديات مستقلة نشطة.

ديمقراطية الجمهور هي الأفق الذي يفكر فيه عدد من الفلاسفة المعاصرين في تصورهم لأنماط الفعل السياسي في مرحلة ما بعد الدولة الوطنية المركزية، والإشكال كله يتمثل في أن الديمقراطية الثورية المباشرة الطوبائية ليست خياراً عملياً حقيقياً في حين أن الديمقراطية التمثيلية أصبحت عاجزة وهشة.

أسبوع حاسم في فرنسا لاحتواء أزمة "السترات الصفراء"

رفض حكومي لـ «شل الاقتصاد» وتلويح بـ «تحرير المساحات العامة»

اعداد: الانصات المركزي: ٢٠١٨/١٢/١٨

دعت الحكومة الفرنسية ما تبقى من ناشطي "السترات الصفراء" إلى الانسحاب من طرق البلاد مع خوضها سباقا مع الوقت لتنفيذ التدابير الاجتماعية التي أعلنتها الرئيس إيمانويل ماكرون لاحتواء الأزمة. وقال وزير الداخلية كريستوف كاستانير تعليقا على استمرار "السترات الصفراء" في اغلاق مستديرات وتقاطعات "كفي".

وبعد تراجع ملحوظ لأعمال العنف والتعبئة السبت الفائت، تأمل الحكومة بتجاوز الأزمة ولكن يبقى عليها ان تعالج قضية قطع الطرق في مختلف انحاء فرنسا.

واضاف الوزير "بدأنا العمل منذ الاسبوع الفائت، تم اخلاء مستديرات وسنواصل ذلك". وقال رئيس الجمعية الوطنية ريشار فيران المقرب من ماكرون ان ارسال شرطيين ودركيين "الى المناطق الريفية" بهدف "تحرير المساحات العامة" ليس مستبعدا.

لكن المتحدث باسم "السترات الصفراء" في منطقة سون-ايه-لوار (وسط شرق) بيار-غاييل لافوديه قال "إذا كانت الحكومة تقوم بذلك، فهذا يعني فعلا أنها لم تفهم شيئا".

وفي شاتولوروا (وسط غرب) توقع الناشطون أن يتم طردهم اعتبارا من صباح الاثنين. لذا، عمدوا الى إحراق بعض أكواخهم.

وليل الاحد الاثنين، سجل اشعال حرائق على طريق سريعة جنوب فرنسا. و تحدثت شركة "فنسي" المشغلة للطرق الفرنسية السريعة عن تظاهرات "اقل"، لكنها اشارت الى ان "نحو اربعين جسرا محولا" ما تزال تشهد اضطرابات إضافة إلى اغلاق بعضها.

وقال وزير الداخلية "لا يمكن الاستمرار في التسبب بشلل الاقتصاد الفرنسية والتجارة في قرانا ومدننا". ومنذ بدء تحرك "السترات الصفراء" في ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر)، كلفت المواجهات القطاع التجاري نحو ملياري يورو، وفق ما اورد المجلس الوطني لمراكز التسوق.

من جهته، دشن رئيس الوزراء الفرنسي إدوار فيليب اسبوعا حاسما في محاولة لتعويم الغالبية الرئاسية، عبر إسهابه مساء الاحد في مقابلة مع صحيفة "لي زيكو" الاقتصادية، في شرح الخطوات التي أعلنتها ماكرون قبل ستة ايام.

وقال فيليب أنه "تلقى رسالة الفرنسيين: إنهم يريدون أن نتخذ قرارا سريعا حول القدرة الشرائية مع إشراكهم في شكل اكبر في هذا القرار".

وفي المقابلة مع "لي زيكو"، رسم ملامح الإجراءات التي تشكل محاولة لانهاء أزمة غير مسبوقه تهز فرنسا منذ شهر.

غير أن هذه التدابير، وفي مقدمها زيادة الحد الأدنى للأجور وإعفاء ساعات العمل الاضافية من الضرائب واستثناء بعض المتقاعدين من زيادة الضريبة، من شأنها زيادة العجز الذي يتوقع ان تبلغ نسبته ٣,٢ في المئة من اجمالي الناتج المحلي في ٢٠١٩.

وقد جمعت في مشروع قانون سيناقشه مجلس الوزراء الاربعاء قبل إحالته الخميس على الجمعية الوطنية والجمعة على مجلس الشيوخ.

وإدراكا منه لضيق الوقت، دعا فيران البرلمانين الى تحمل "مسؤولياتهم" والمصادقة على الاجراءات الجمعة بحيث تدخل حيز التنفيذ في أول كانون الثاني (يناير). وبذلك، يتجنب النواب عقد جلسات خلال عطلة عيد الميلاد.

ويجمع ماكرون في الايليزيه وزراءه والفاعليات الاقتصادية لتنظيم النقاش الوطني الكبير الذي اعلن في اطار الاجراءات المتخذة لتهدئة الأزمة.

يستمر هذا النقاش حتى الاول من آذار(مارس) ويشكل رؤساء البلديات ركنا اساسيا فيه على أن يبحث اربعة عناوين كبرى هي المرحلة الانتقالية البيئية، والضرائب، وتنظيم الدولة، والديموقراطية والمواطنة، علما بان العنوان الاخير يشمل أيضا ملف الهجرة.

وفي إطار هذا النقاش، أيد رئيس الوزراء مبدأ إجراء «استفتاء المبادرة الوطنية»، أحد أبرز مطالب «السترات الصفراء»، ولكن «ليس ضمن شروط عشوائية».

تلويح بـ < تحرير المساحات العامة >

هذا وحذرت السلطات الفرنسية ناشطي «السترات الصفراء» من مواصلة «شل الاقتصاد»، ملوحة باستخدام الشرطة لـ «تحرير المساحات العامة».

وسُجِّل ليل الأحد - الاثنين إشعال حرائق على طريق سريعة جنوب فرنسا، كما تحدثت شركة «فنسي» المشغلة للطرق الفرنسية السريعة عن تظاهرات «أقل»، لكنها اشارت الى ان «نحو ٤٠ جسراً محولاً» لا تزال تشهد اضطرابات، اضافة الى اغلاق بعضها.

وتراجع العنف والتعبئة، خلال الاحتجاجات التي نظمتها «السترات الصفراء» السبت الماضي، علماً ان تظاهرات الحركة منذ بدئها في ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي، كبّدت القطاع التجاري نحو بليونَي يورو.

وعلق وزير الداخلية كريستوف كاستانير على استمرار «السترات الصفراء» في غلق مستديرات وتقاطعات: «كفى». وأضاف: «بدأنا العمل منذ الأسبوع الماضي، أُخليت مستديرات وسنواصل ذلك. لا يمكن الاستمرار في التسبب بشل الاقتصاد الفرنسي والتجارة في قرانا ومدننا».

اما رئيس البرلمان ريشار فيران، المقرّب من الرئيس إيمانويل ماكرون، فلم يستبعد إرسال شرطيّين ودركيّن «الى المناطق الريفية»، لـ «تحرير المساحات العامة». لكن ناطقاً باسم «السترات الصفراء» اعتبر أن تنفيذ ذلك «يعني أن الحكومة لم تفهم شيئاً».

وجُمعت هذه التدابير في مشروع قانون ستناقشه الحكومة غداً، قبل إحالته الخميس على البرلمان والجمعة على مجلس الشيوخ. ودعا فيران النواب الى تحمل «مسؤولياتهم» والمصادقة على الإجراءات الجمعة، بحيث تُطبّق مطلع العام المقبل. وبذلك، يتجنّب النواب عقد جلسات خلال عطلة عيد الميلاد.

ويجمع ماكرون في الاليزيه اليوم وزراء وفاعليات اقتصادية، لتنظيم نقاش وطني، في اطار الإجراءات المتخذة لتهدئة الأزمة. ويستمر هذا النقاش حتى مطلع آذار (مارس) المقبل، ويشكّل رؤساء البلديات ركناً أساسياً فيه، على أن يبحث ٤ عناوين كبرى: المرحلة الانتقالية البيئية، والضرائب، وتنظيم الدولة، والديموقراطية والمواطنة، علماً ان العنوان الأخير يشمل أيضاً ملف الهجرة.

على صعيد آخر، وجّه القضاء الفرنسي اتهامات جديدة الى ألكسندر بينالا، الحارس الشخصي السابق لماكرون، بعد كشف تعنيفه مشاركين في تظاهرة خلال عيد العمال في باريس، في ١ ايار (مايو) الماضي.

وكان بينالا (٢٦ سنة) يواجه اتهامين جنائيين، بعد ظهور تسجيلات مصوّرة له وهو يضرب متظاهرين في ١ ايار، مرتدياً خوذة شرطي. وذكر مصدر أن القضاء وجّه اليه اتهامين إضافيين حول وقائع جرت في وقت سابق خلال التظاهرة، بينها مشاركته «في شكل فاعل في استجواب» رجل. كما أنه مُتهم بـ «التدخل في ممارسة خدمة عامة» و«عنف متعمّد».

وهناك اتهامات بمحاولة التستر على الأحداث، بعد معلومات افادت بأن مسؤولين بارزين في مكتب ماكرون كانوا على دراية بما حدث، لكنهم لم يبلغوا المدعين العامين عن بينالا، وهذا ما تنفيه الحكومة.

ودافع بينالا عن أفعاله، مؤكداً أنه «ساعد الشرطة في استجواب مجرم خطر نفذ ارتكابات خطيرة ضد الشرطة». لكن بينالا اتهم سابقاً باعتداء وانتحال صفة شرطي والحصول على صور مراقبة خاصة بالشرطة، في شكل غير قانوني، لتبرير صوابية أفعاله.

الخسار المادية التي تكبدها قطاع التجارة في فرنسا

خسارة ثقيلة تكبدها قطاع التجارة في فرنسا قبل موسم الأعياد، وصلت قيمتها إلى ملياري يورو وذلك كنتيجة مباشرة إلى الاحتجاجات الخمسة التي نظمتها حركة "السترات الصفراء" خلال أيام السبت الماضية، وقال المجلس الفرنسي لمراكز التسوق إنه فقد الأمل بتعافي حجم الأعمال قبل حلول عيد الميلاد.

وأضاف المجلس في بيان إن "ارتداد مراكز التسوق انخفض مجددا بأكثر من ١٠٪ يوم السبت الفائت مقارنة بنفس اليوم من العام الماضي، وذلك بحسب مؤشر سبيه إن سبيه سبيه". ويعتمد هذا المؤشر التابع للشركة الوطنية لمراجعي الحسابات، على آلية للعد التلقائي مطبقة في ٢٨٠ مركزا للتسوق، من أصل ٨٠٠ مركز متواجدة في جميع أرجاء فرنسا. وأوضح التقرير أنه قد تم تسجيل "انخفاض في الأداء خلال عطلة الأسبوع الخامس، منذ بداية أزمة السترات الصفراء"، وأثر ذلك بشكل كبير على نشاط مراكز التسوق.

وأوضح المندوب العام للشركة الوطنية لمراجعي الحسابات، غونتان تورينغ بأن "الأيام المتبقية قبل حلول عيد الميلاد لن تسمح بتعويض الخسارة في حجم الأعمال، والمقدرة بنحو ملياري يورو".

وأكد بيان "الشركة الوطنية لمراجعي الحسابات" على أهمية قطاع التجارة في مراكز التسوق، والذي "يمثل ٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي، ويوفر ٥٢٥ ألف وظيفة غير قابلة للانتقال"، مع مطالبة الحكومة باتخاذ ثلاثة تدابير بشكل "عاجل".

فقد أعربت الشركة عن أملها بأن يتم السماح بـ "الوصول إلى المواقع التجارية، وخاصة على أطراف المدن"، بالإضافة إلى "تسريع إجراءات التصريح" من أجل فتح المحال يوم الأحد، بالإضافة إلى "تحقيق توزيع متوازن للضغط الضريبي على جميع أشكال التجارة"، مع زيادة الضرائب على منصات البيع التجارية الإلكترونية مثل الأمازون.

وقد أثارت الاجراءات التي اتخذتها الحكومة للاستجابة إلى مطالب أصحاب السترات الصفراء ردود فعل متباينة في قطاع التجارة، فقد حيتت جمعية أرباب العمل الفرنسية "الروح التي توجه هذه الإجراءات والتي تهدف إلى الاعتراف بالعمل"، لكن الجمعية أعربت عن "الحدز" فيما يتعلق بزيادة الحد الأدنى للأجور المعروف باسم "سميك"، مشيرة إلى أن ذلك من شأنه "زيادة تكلفة العمالة".

شعبية ماكرون

إلى ذلك كشف استطلاع للرأي نشرت نتائجه الثلاثاء، أن شعبية الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون وصلت إلى أدنى مستوى (٢٧ بالمئة) منذ بداية ولايته في مايو ٢٠١٧، بعدما تراجعت ٥ نقاط خلال شهر واحد.

وقال الاستطلاع الذي أجراه معهد "أودوكسا" إنه بعد شهر على بدء أزمة "السترات الصفراء"، يواصل الرئيس تراجع شعبيه المتواصل الذي بدأ في مايو، مشيرا إلى أن ٧٣ بالمئة من الفرنسيين الذي شملهم الاستطلاع عبروا عن آراء سلبية فيه. وأوضح التحقيق الذي أجري لحساب إذاعة "فرانس إنتر" ومجلة "ليسكبريس" الأسبوعية وصحيفة "الابرس" المحلية، أن ماكرون تراجع لدى المقربين من الحزب الاشتراكي (أقل بأربع نقاط)، وحزب فرنسا المتمردة اليساري الراديكالي (١١ نقطة) وكذلك الحزب الرئاسي "فرنسا إلى الأمام" (أقل بثلاث نقاط).

وقال ٧٤ بالمئة من الذين استطلعت آراؤهم، إنهم يعتبرونه "رئيس الأغنياء" (بزيادة ثلاث نقاط)، بينما بات ٣٣ بالمئة (أقل بـ ١٦ نقطة) يعتبرونه "مؤهلا"، مقابل ٦٨ بالمئة عبروا عن رأي معاكس.

وسجلت شعبية رئيس الوزراء إدوار فيليب تراجعا أيضا، حيث اعتبره ٣١ بالمئة من الفرنسيين "رئيسا جيدا للحكومة" مقابل ٦٨ بالمئة يرون عكس ذلك (+٥ نقاط).

وردا على سؤال عن "حالة الطوارئ الاقتصادية والاجتماعية" والإجراءات التي أعلنها ماكرون مؤخرا لمحاولة تهدئة "السترات الصفراء"، بدأ الفرنسيون منقسمين، إذ يرى ٤٧ بالمئة منهم أنها "منعطف خلال ولايته الرئاسية"، بينما عبر ٥٣ بالمئة عن رأي مخالف. والمستفيدة الرئيسية هي زعيمة اليمين القومي مارين لوبن، فخلال شهر واحد كسبت ٦ نقاط وباتت تلقى تأييد ٢٩ بالمئة، لتصبح واحدة من الشخصيات الأولى الثلاث بعد وزير البيئة نيكولا أولو (٤٢ بالمئة، -٣) وآلان جوبييه رئيس بلدية بوردو (٣٥ بالمئة، +١).

وأجري الاستطلاع على الإنترنت في ١٣ و١٤ ديسمبر الجاري، وشمل عينة من ٩٩٠ شخصا تزيد أعمارهم على ١٨ عاما، وفق طريقة الحصص، بهامش خطأ بما بين ١,٤ و١,٣ نقطة.

خطاب حول الصراع الإسرائيلي-الفالسطيني ومستقبل عملية السلام

كلمة الممثل الدائم للولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة السفيرة نيكي هايلي في اجتماع مجلس الأمن للأمم المتحدة

بعثة الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة ١٨ كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٨ : ٢٠١٨/١٢/١٩

شكرا لك، سيدي الرئيس. وشكراً لك أيضاً، سيد ملادينوف على إحاطتك التي قدّمتها. عندما جيئت إلى الأمم المتحدة لأول مرة، قبل عامين، فوجئت بعض الشيء بهذا الاجتماع الشهري. ولم تكن المفاجأة حقيقة أن الأمم المتحدة تنظر في النزاع الإسرائيلي الفلسطيني، فهذا الأمر، بعد كل شيء، مسألة سلام وأمن دوليين. ما كان لافتاً حقيقة هو تواتر هذه الاجتماعات والنظرة احادية الجانب. لقد سمعني أعضاء مجلس الأمن وأنا أعيد هذا الكلام مرّات عديدة. إن مشاكل الشرق الأوسط كثيرة، ومع ذلك فنحن ننفق الكثير من الوقت على واحدة من هذه المشاكل فقط وعلى نحو غير متناسب. وقد أظهرت الأمم المتحدة أنها متحيزة بشكل يائس، كما شهدنا مرة أخرى قبل أسبوعين فقط عندما فشلت الجمعية العامة في إدانة نشاط حماس الإرهابي ضد إسرائيل.

وقد حاولت خلال السنتين الماضيتين توفير بعض القيمة في هذا الاجتماع الشهري من خلال استخدام وقتي للتحدث عن المشاكل الملحة الأخرى في الشرق الأوسط، فتحدثت عن عمليات نقل الأسلحة غير القانونية التي تقوم بها إيران والدعم المزعزع للاستقرار للإرهاب في جميع أنحاء المنطقة، وتحدثت عن بربرية نظام الأسد في سوريا. تحدثت عن استخدام حماس غير القانوني والشيطاني للدروع البشرية، وتحدثت عن حزب الله يهدد سلامة الشعب اللبناني وانتهاكاته للسيادة الإسرائيلية التي أصبحت أكثر وضوحاً في الشهر الماضي. وتحدثت أيضاً عن العراق واليمن، عن اللاجئين والأزمات الإنسانية.

لقد فعلت هذا لسببين، أولاً لتوضيح أن معظم مشاكل المنطقة ليس لها علاقة على الإطلاق بالصراع الإسرائيلي-لفلسطيني" وثانياً، لتشجيع الأمم المتحدة على الابتعاد عن هوسها بإسرائيل، هذا الهوس الذي لم يكن غير مثمر البتة فحسب، بل الأنكى من ذلك أنه كان هوساً معكوساً. وقد بعث هذا الهوس برسالة صريحة وخطيرة إلى الفلسطينيين مفادها أنهم قد يتمكنون من تحقيق أهدافهم بالاعتماد على الأمم المتحدة وليس من خلال المفاوضات المباشرة. وبالمقابل فقد بعث برسالة قوية ودقيقة إلى الإسرائيليين مفادها أنهم لا يمكنهم أبداً الوثوق بالأمم المتحدة. هذا الهوس المنحاز ليس الطريق إلى السلام، بل إنه طريق مسدود لا نهاية له.

اليوم هو آخر مرة أخطب فيها هذه الجلسة الشهرية بصفتي سفيرة الولايات المتحدة. ولأنها كذلك، فسأحيد عن ممارستي في السنتين الأخيرتين. اليوم، سأتناول مباشرة القضية الإسرائيلية الفلسطينية. وبالنظر إلى سجلي، قد يستنتج البعض خطأً بأنني غير متعاطفة مع الشعب الفلسطيني. لا شيء يمكن أن يكون أبعد عن الحقيقة من ذلك، وإليك وجهة نظري في الأمر.

إسرائيل بلد مزدهر وقوي وناجح، وقد كانت دائماً تريد السلام مع جيرانها. وقد أظهرت بوضوح استعدادها لتقديم تضحيات كبيرة من أجل السلام، بما في ذلك التخلي عن مناطق واسعة من الأرض. لكن إسرائيل لن تصنع اتفاقية سلام بأي ثمن، ولا ينبغي لها ذلك. ولن تقدر أي من قرارات الأمم المتحدة أو المقاطعة المعادية للسامية أو التهديدات الإرهابية أن تغيّر من ذلك شيئاً. طوال فترة وجودها وحتى اليوم، كانت إسرائيل محاصرة بتهديدات لأنها، ولذلك سيكون من الغباء أن تعقد صفقة تضعف أمنها. ومع ذلك، حتى في مواجهة التهديدات المستمرة، أصبحت إسرائيل واحدة من الدول الرائدة في العالم. إن إسرائيل ليست بحاجة إلى اتفاقية سلام، لكنها مع ذلك تريد السلام.

ثمّ هناك الشعب الفلسطيني. مثلهم مثل الإسرائيليين، هم أناس فخورون بأنفسهم بجدارة. هم أيضاً لا يحتاجون إلى قبول اتفاق سلام بأي ثمن. لكن حالة الشعب الفلسطيني مختلفة جداً، فالفرص الاقتصادية والرعاية الصحية وحتى الكهرباء شحيحة في الأراضي الفلسطينية، ويحكم الإرهابيون الكثير من الأراضي الفلسطينية، مما يقوّض سلامة جميع المدنيين. إن الشعب الفلسطيني يعاني بشكل رهيب بينما تتمسك قيادته بمطالب ترجع ٥٠ عاماً إلى

الوراء وقد باتت أقل واقعية. ما ينتظر الشعب الفلسطيني باتفاق سلام هو احتمالات حدوث تحسن هائل في نوعية حياتهم وسيطرة أكبر بكثير على مستقبلهم السياسي.

لقد حان الوقت لأن نواجه حقيقة صلبة: إن كلا الجانبين سوف يستفيد بشكل كبير من اتفاقية سلام، ولكن فائدة الفلسطينيين ستكون أكبر، بينما ستكون مجازفة الإسرائيليين أكبر.

وعلى هذه الخلفية، وضعت إدارة ترامب خطتها للسلام بين إسرائيل والفلسطينيين. لا أتوقع من أي شخص أن يعلق على اقتراح للسلام لم يقرأه. لكنني قرأت ذلك، وسوف أشارك بعض الأفكار عليها الآن.

على عكس المحاولات السابقة لمعالجة هذا الصراع، فإن هذه الخطة ليست مجرد صفحات قليلة، تحتوي على إرشادات غير محددة وغير جذابة. إنها أطول من ذلك بكثير، وتضك تفاصيل أكثر دقة. إنها تأتي بعناصر جديدة للمناقشة، مستفيدة من عالم التكنولوجيا الجديد الذي نعيش فيه، وتعترف خطة الرئيس ترامب بأن الحقائق على الأرض في الشرق الأوسط قد تغيرت – بل وتغيرت بطرق قوية جداً ومهمة. إنها تحتضن حقيقة أن ثمة أموراً يمكن القيام بها اليوم لم تكن في السابق ممكنة. ستكون هذه الخطة مختلفة عن جميع الخطط السابقة. السؤال الحاسم هو ما إذا كانت الاستجابة ستكون مختلفة.

هناك أشياء في الخطة سيحبها كل طرف من الطرفين، وهناك أشياء في الخطة لن يعجب بها أي منهما. هذا صحيح بالتأكيد بالنسبة للإسرائيليين والفلسطينيين، ولكنه ينطبق أيضاً على كل دولة في العالم التي أبدت اهتماماً بهذا الموضوع. لذلك سيكون لكل بلد أو حزب خيار مهم للقيام به. يمكنهم أن يختاروا التركيز على أجزاء من الخطة التي لا يحبونها، وهو ما سيكون أسهل شيء يمكن القيام به من قبل الأطراف غير المسؤولة: فقط نرفض الخطة لأنها لا تفي بجميع مطالبك، ثم نعود إلى الوضع الراهن الفاشل الذي كان سائداً في الخمسين سنة الماضية دون أي احتمالات للتغيير، حيث تستمر إسرائيل في النمو والازدهار ويستمر الشعب الفلسطيني في المعاناة، وسيستمر قتل الأبرياء من كلا الجانبين.

الخيار الآخر هو التركيز على أجزاء الخطة التي تحبونها ها وتشجيع المفاوضات للمضي قدماً. وأنا أؤكد لك أن هناك الكثير ليحبه كل من الطرفين.

في نهاية المطاف، كما هو الحال دائماً، لا يمكن اتخاذ القرارات النهائية إلا من قبل الأطراف نفسها. سوف يقرر الإسرائيليون والفلسطينيون مستقبلهم. سوف يقررون ما هي التضحيات التي هم على استعداد لتقديمها. وسوف يحتاجون إلى قادة لديهم رؤية حقيقية للقيام بذلك.

لكن أصدقائي في الأمم المتحدة – ولا سيما إخوتي وأخواتي العرب والأوروبيين – سوف يلعبون دوراً هاماً جداً، وسوف تواجهون نفس الاختيار. فإما اختيار المستقبل المأمول الذي يتخلص من المطالب المبررة والقديمة وغير الواقعية للماضي وإما اختيار مستقبل حالك الظلمة لا يحدد عن نقاط الحوار البائسة التي ثبت فشلها في الماضي. إن العالم سيراقب خياركم، والأهم من ذلك أن الفلسطينيين والإسرائيليين سيراقبون، وسوف تتأثر استجاباتهم من خلال استجاباتكم.

إلى أصدقائي العرب، لقد سمعت من العديد منكم في محادثاتنا الخاصة. وقد قلت إنكم تعرفون أن هناك حاجة ماسة إلى حل. لكن حكوماتكم لم تكن راغبة في التحدث إلى مواطنيكم حول ما هو واقعي أو إلى القيادات الفلسطينية حول الضرر الذي يلحقونه بشعبهم. من خلال أخذ الطريق السهل، أنتم تقولون حقاً إن الشعب الفلسطيني ليس أولوية بالنسبة لك. لأنهم لو كانوا كذلك، فستكونون جميعاً في الغرفة حيث تساعدون في جلب الجانبين إلى الطاولة.

أما بالنسبة للشعب الأمريكي، فقد أظهرنا مراراً التزامنا بالسلام في الشرق الأوسط، وسنواصل مدي الصداقة إلى الشعب الفلسطيني، الذي دعمناه مالياً أكثر بكثير مما فعله أي بلد آخر. يملك الفلسطينيون كل ما يمكن كسبه من خلال المشاركة في مفاوضات السلام. ولكن أياً كان ما يقرره الآخرون، يجب أن يعرف العالم أن أمريكا ستظل صامدة في دعمنا لإسرائيل وشعبها وأمنها. هذه رابطة لا تتزعزع بين شعبينا، وهي الرابطة التي ستجعل السلام ممكناً، أكثر من أي شيء آخر.

أمل أنه، حين أغادر هذا المنصب وأغدو فقط مراقباً خارجياً استثمر الكثير من الوقت في هذه المسألة، لن يكون علينا إجراء نفس المحادثة ونفس الخطابات القديمة في السنوات القادمة.

شكراً لكم.

تاريخ جديد للشرق الأوسط

*عبد المنعم سعيد

المركز الاقليمي للدراسات الاستراتيجية في القاهرة: ٢٠١٨/١٢/١٩

مع اقتراب مطلع العام الجديد ٢٠١٩، فإن ما تم طرحه في هذا المقام من «عودة الدولة الوطنية» و«عودة الجغرافيا السياسية» إلى الشرق الأوسط، بات أكثر تبلوراً ووضوحاً، حتى أن الحديث عن تاريخ جديد للشرق الأوسط أصبح ممكناً.

السبب المباشر لهذا القول هو المباحثات التي جرت في السويد من أجل حل الأزمة اليمنية تحت إشراف الأمم المتحدة، والتي أحرزت تقدماً ملحوظاً في جولتها الأولى من حيث وقف جزئي لإطلاق النار في المناطق التي تتيح دخول قوافل الإنقاذ، مثل ميناء الحديدة ومطار صنعاء وتبادل الأسرى، وهي المقدمات الطبيعية للدخول في مفاوضات جادة في يناير (كانون الثاني) المقبل تستند إلى القرارات الدولية المؤيدة للحكومة الشرعية. ورغم أن الطريق لا تزال طويلة نحو التوصل إلى حل شامل للأزمة اليمنية لا يزال موضوعاً للتفاوض، فإن ما حدث من مفاوضات يضع ما جرى في الجنوب الغربي لشبه جزيرة العرب في الإطار العام لعملية التهدئة الكلية في المنطقة، والتي تضع كل أطراف الصراعات، سواء كانت في العراق، أو سوريا، أو لبنان، أو ليبيا، أو اليمن في إطار عمليات تفاوضية دبلوماسية تقوم على بقاء الدولة المعنية ورفض تقسيمها، بحيث تكون النتيجة هي الكيفية التي سوف تدار بها هذه الدول والتي يحكمها عدد من المحددات: الأول منها أنه بعد حرب ضروس، وضحايا أكثر، وتدمير هائل، لم يعد ممكناً العودة إلى الأوضاع السياسية والاستراتيجية السابقة والثاني أن اقتسام السلطة بشكل أو آخر هو الطريق إلى شمول الحكم لكل الأطراف، سواء تم ذلك بطرق فيدرالية أو تم بتفاهات سياسية بين الأطراف المختلفة والثالث أن قضية الإعمار سوف تكون على قمة القضايا التي يجري بحثها مع القوى الإقليمية والدولية الأخرى والرابع أن ما سوف يشغل دول الأزمات في المرحلة المقبلة التي يجري التعامل بها مع دول الإقليم الأخرى مثل إيران، وتركيا، وإسرائيل، سواء تم ذلك من خلال إطار شامل للأمن الإقليمي، أو استمرار الصراع بوسائل أخرى. وعلى أي الأحوال، فإن مفاوضات السويد بشأن اليمن تعلن أن الدور الإيراني في اليمن قد فشل على الأقل في المرحلة الراهنة نتيجة وجود التحالف العربي الذي ناصر الحكومة الوطنية اليمنية.

النظرة العامة على المنطقة تقطع بأن ما سُمي «الربيع العربي» قد وصل إلى نهايته، بما كان فيه من فوضى، وما كان فيه من استغلال الدين الإسلامي في منظمات عابرة للدول، مثل الإخوان المسلمين والقاعدة و«داعش»، وما أدى إليه من حروب أهلية. انتهت «دولة الخلافة»، ودخل الإخوان إلى الشقوق والجحور، أو انتقلوا إلى قنوات تلفزيونية. على أي الأحوال، فإن العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين لم يصل إلى نهايته إلا بعد هزيمة قوى التطرف وعودة الدولة مرة أخرى لكي تكون التنظيم الحاكم لشعوب المنطقة. لكن ذلك وحده رغم أهميته البالغة لا يمثل التاريخ الجديد في الشرق الأوسط، وإنما يتداخل معه عمليات إصلاح واسعة النطاق في الدول التي نجت من «الربيع العربي» المزعوم، سواء كان ذلك جارياً في مصر، أو السعودية، أو تونس، أو المغرب، أو الأردن. بشكل ما، فإن ما يجري في هذه الدول يماثل ما جرى من قبل في أوروبا أثناء القرن التاسع عشر بعد الثورة الفرنسية والحروب النابليونية حينما جرى تجمع بريطانيا، والنمسا، وبروسيا، وروسيا، وفيما بعد فرنسا نفسها، قام على مبدئين: تحقيق

الاستقرار في القارة الأوروبية، وهو ما تحقق لقرن من الزمان وحتى نشوب الحرب العالمية الأولى والإصلاح الداخلي اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً بحيث يحدث التقدم الكافي لمنع الثورات.

العام المقبل (٢٠١٩) ربما يمثل الساحة الزمنية التي تنضج فيها هذه التوجهات، سواء ما يتعلق فيها باستكمال عمليات التهدئة والتخفيف من الصراع وتقديم العون للمدنيين، والانتقال إلى صفقات سياسية حسب ظروف كل بلد على حدة تؤدي إلى وضع دساتير تجري على أسسها انتخابات تشريعية ورئاسية، وتقسيم السلطة ليس فقط بين السلطات الثلاث المعروفة: التنفيذية والتشريعية والقضائية، وإنما أيضاً بين الأقاليم. ما لا يقل أهمية عن ذلك، فإن المشروعات الإقليمية بين عدد من الدول الشرق أوسطية أو العربية تمثل عامل ثقل مهماً في حركة هذه التغيرات“ فالواضح أن التحالف الرباعي العربي الذي يضم المملكة العربية السعودية، ومصر، والإمارات، والبحرين لم يكن موجهاً نحو قطر، بقدر ما كان موجهاً نحو تحقيق درجة من التوازن الإقليمي الذي جعل التطورات الإيجابية المشار إليها ممكنة. التحالف الرباعي هو في الوقت نفسه حجر الزاوية في «تحالف البحر الأحمر» الذي يضم دولاً عربية وأفريقية، والتي تفرض الظروف الاستراتيجية تعاوناً عربياً أفريقياً“ فمصر لديها البعد النيليني المهم، والسعودية لديها أسبابها الاقتصادية والسياسية التي تجعلها تنظر إلى القارة الواعدة نظرة جديدة جعلتها تقيم وزارة خاصة للتعامل مع أفريقيا، والإمارات لديها مصالح واسعة في القرن الأفريقي، وبينهم جميعاً فإن سلامة الملاحة والممرات البحرية في البحر الأحمر ضرورة تجارية واقتصادية واستراتيجية لا يمكن تجاهلها.

تفاصيل كل ذلك ربما تحتاج إلى مقال آخر، لكن الأمر المهم هنا هو أن وجود هذه التجمعات ليست فقط لدعم العلاقات الثنائية بينهم“ فهذه تأخذ مجراها سواء كان ذلك في المجالات العسكرية أو الاقتصادية، وإنما لأن تحقيق الاستقرار في المنطقة هو ما سوف يدفعها إلى التقدم وعدم تكرار ما حدث من كوارث مرة أخرى. تحقيق الاستقرار هذا تواجهه مجموعة من التحديات التي ربما تضع أجندة الأحداث والتحركات في العام المقبل. أولها أن إيران وتركيا لم يتوصلا بعد إلى أن مشروعهما لاخترق المنطقة لم يعد لديه فرصة للنجاح“ فإيران في النهاية فقدت اتفاقها النووي مع الولايات المتحدة، وباتت حائرة ما بين استمرار الاتفاق مع الدول الأخرى التي لم تخرج منه مثل روسيا والصين وألمانيا وفرنسا، ومن ثم تتحمل العقوبات التي تفرضها عليها واشنطن“ أو أنها تخرج من الاتفاق كلية وتمارس دورها العايب باستقرار المنطقة. تركيا من ناحيتها تأتي تحركاتها في اتجاه تعقيد الأوضاع في سوريا أكثر مما هي معقدة، وتحاول بناء علاقات مع إيران وروسيا تكفي لإدارة المناطق الشمالية السورية، والعجيب أن أنقرة وسط ذلك كله تذكرت فجأة أن لديها مفاوضات خاصة بالانضمام إلى الاتحاد الأوروبي تريد استكمالها في الوقت الذي خرجت فيه إشارات صريحة أن تركيا لن يكون لها مكان في الاتحاد. وثانيها، أن إسرائيل يعترها حالياً ما يقول عنه الأمريكيون إنه محاولة للحصول على الكعكة وأكلها في الوقت نفسه“ فهي تحسن علاقاتها مع عدد من الدول العربية، وفي الوقت نفسه فإنها تناقش داخلياً عملية ضم الضفة الغربية ومرتفعات الجولان السورية. استمرار مثل هذه السياسة سوف يكون ضاراً بجميع الأطراف في المنطقة، وفي المقدمة منها إسرائيل نفسها، أو أن هذه هي الرسالة التي توجه إلى نتنياهو.

أزمة الستر الصفراء: قراءة معمقة في المسببات

*ميثاق مناخي العيساوي

مركز الدراسات للتنمية والدراسات الاستراتيجية: ٢٠١٨/١٢/١٩

إن استمرار الاحتجاج الفرنسية للأسبوع الرابع على التوالي اعطى دينامية واضحة لحركة المحتجين اتجاه حكومة ادوارد فيليب، وقد عُرفت حركة الاحتجاج الفرنسية هذه، باسم اصحاب "الستر الصفراء" وذلك بسبب ارتداء المحتجين الستر الخاصة بالرؤية الليلية لسائقي الشاحنات، وهي حركة احتجاجية فرنسية عفوية اخذت رمزيتها من خلال ارتدائها للستر الصفراء تعبيراً عن طريقة الاحتجاج ضد سياسة الحكومة الفرنسية الحالية.

هذه الحركة لم ترتبط بحزب سياسي معين، على الرغم من اتهام مروجيها بأنهم من اتباع اليمين الفرنسي المتطرف الذي تتزعمه ماريان لوبان "زعيمة حزب التجمع الديمقراطي" التي نافست الرئيس الفرنسي الحالي ايمانويل ماكرون في الانتخابات الرئاسية الفرنسية الماضية.

ظاهرياً لا تحتاج فرضية المقال الكثير من السرد والتحليل، لأن مطالب المحتجين الفرنسيين كانت واضحة، وأن مسببات الاحتجاج واهداف المحتجين كانت واضحة جداً، فالمتظاهرون أو اصحاب الستر الصفراء خرجوا ضد قرارات الحكومة الفرنسية التي وضعت مشروع قانون في موازنة العام ٢٠١٩، يوصي بزيادة الضرائب على الوقود والمحروقات، إلا أن حركة احتجاجاتهم توسعت في مطالبها بعد أن أنظم لها شرائح مختلفة من المجتمع الفرنسي، واخذت تندد بنظام الضرائب الفرنسي بشكل عام، متهمين الرئيس الفرنسي بابتعاده عن ارياف فرنسا.

وعلى الرغم من أن الحكومة الفرنسية قامت بإلغاء الزيادة الضريبية التي فرضتها على الوقود، إلا أن اصحاب الستر الصفراء استمروا في حركة احتجاجهم وتمكنوا من الوصول إلى قوس النصر يوم السبت الماضي واثاروا اعمال الشغب والتخريب في شوارع باريس. وبناء على ما سبق ربما نصل إلى فرضية المقال الاساسية، فهناك من يسأل عن سبب استمرار احتجاج اصحاب الستر الصفراء على الرغم من تراجع الحكومة الفرنسية عن الزيادة الضريبية التي فرضتها على الوقود في موازنة العام المقبل؟

لعل زيادة أسعار الوقود وسياسة الرئيس ماكرون الاقتصادية، يعدان السبب المباشر لانتفاضة اصحاب الستر الصفراء ضد سياسات الحكومة الفرنسية، وأن تراجع الأخيرة في قراراتها مع توسع حركة المحتجين رفع من سقف المطالب بشكل أكبر، لكن إذا ما عدنا إلى الخلف سنجد بأن أصل المشكلة لا تكمن فقط بسياسة الحكومة الحالية، وإنما بمجمل سياسات الحكومات الفرنسية السابقة.

ربما جزء من المشكلة يعود في الوقت الحاضر إلى السباق الرئاسي الفرنسي وطبيعة تنافسيتها، وطريقة وصول الرئيس ماكرون إلى الرئاسة الفرنسية، فماكرون جاء بأصوات الفرنسيين الراضين لسياسات

الحكومة التقليدية والسياسة الليبرالية والرأسمالية التي اتبعتها الحكومات السابقة التي قسمت المجتمع الفرنسي إلى طبقات.

وإن ترشيح ماكرون كان يحمل في طياته الرفض المعلن لسياسة الحكومات السابقة، لاسيما فيما يتعلق بسد الفجوة الكبيرة التي خلقتها السياسة التقليدية بين السلطة السياسية والمواطن الفرنسي“ وبهذا فإن غالبية الفرنسيين الذي رشحوا ماكرون في سباقه الرئاسي كانوا يأملون منه بأن يطرح نموذج فرنسي جديد يتم التخلص من خلاله عن كل الشوائب السابقة التي سيطرت على السياسة الفرنسية في الحكومات السابقة، وأن لا يبقى اسيراً للسياسة التقليدية "الفرنسية والأوروبية" على حدّ سواء. فالمسألة هنا تتعلق بالنموذج الاجتماعي والسياسي الذي يريده المحتجون من الحكومة والرئيس ماكرون، بعيداً عن الأحزاب التقليدية التي رفضها الفرنسيون في الانتخابات الرئاسية الماضية، فما يحتاجه الفرنسيون من ماكرون أن يعي المشكلة الداخلية في فرنسا، لاسيما المشاكل المتعلقة بالجانب الاقتصادي والتوجه إلى طبقات المجتمع الفرنسي البعيدة عن المدن وعن العاصمة الفرنسية باريس، والتقليل من سطوة الاتحاد الأوروبي على الاقتصاد الفرنسي. ولهذا فإن مطالب المحتجين ظاهراً يكمن في الاحتجاج على ارتفاع اسعار الوقود، إلا أن باطنها يعكس السخط الجماهيري على سياسات الرئيس الفرنسي ورئيس حكومته ادوار فيليب.

إن استمرار حركة احتجاج اصحاب الستر الصفراء في الاسابيع القادمة واتساع رقعتها، ربما ستجبر الرئيس ماكرون الى الابتعاد عن الحلول الجزئية التي لم تعد ترضي المحتجين، ونتيجة لذلك قد يذهب الرئيس إلى اقالة حكومة ادوارد فيليب وحل البرلمان. اما في حال تراجع المحتجين مقابل إصلاحات الحكومة وتراجعها عن القرارات الضريبية، فربما يلجأ ماكرون إلى سياسة الانفتاح على اصحاب الستر الصفراء من أجل الوصول إلى حلول توافقية لا تكلف الرئيس ماكرون ورئيس حكومته الكثير، كتلك التي تكلفه في حال استمرار الاحتجاجات.

وبغض النظر عن دينامية الاحتجاجات، وعن سيناريوهات التعامل معها، فإن شعارات أصحاب الستر الصفراء التي انتشرت على وسائل التواصل الاجتماعي بمطالبتهم بجمهورية سادسة تتيح المزيد من التواصل بين السلطة والمواطنين وتقلص الفجوة التي خلفتها السياسات الفرنسية السابقة في تحقيق عدالة اجتماعية بين طبقات المجتمع الفرنسي وليس طبقة دون أخرى، تشبه كثيراً تلك الشعارات التي رافقت الانتخابات الرئاسية الفرنسية الماضية، والتي انتخب بموجبها الرئيس ماكرون.

فما يريده المحتجون هو تعديل مسار السياسة الفرنسية على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي“ وذلك من أجل إحداث توازن "على أقل تقدير" في سياسات الرئيس ماكرون بين طبقات المجتمع الفرنسي، فضلاً عن الموازنة بين السياسات الداخلية والخارجية، لاسيما تلك السياسات التي تتعلق بالاتحاد الأوروبي.

* باحث في مركز الفرات للتنمية والدراسات الإستراتيجية

هل «الديمقراطية» مجرد «تفاصيل»؟

*عبد الحسين شعبان

العيش الكريم هو ما تحتاج إليه الشعوب

صحيفة (الخليج) الإماراتية : ٢٠١٨/١٢/١٩

يقولون إن «الشيطان يكمن في التفاصيل»، وهذه الأخيرة معقدة ومتشابكة، فحين أطيح بالدكتاتوريات بفعل العامل الخارجي: أفغانستان والعراق وتداخلات دولية وإقليمية بعد هبة شعبية: ليبيا واليمن أو الحراك الشعبي المدني اللّاعنفي: تونس ومصر أو الملف المأساوي المفتوح: سوريا، قيل إن الطريق سيكون مفتوحاً للانتقال الديمقراطي، حتى أن هناك من بالغ حين اعتبر مجرد إطاحة الأنظمة السابقة يعني التوجه فوراً نحو الديمقراطية، وهناك من بشرنا بتفاؤل مفرط أن الرخاء والكرامة الإنسانية واحترام الحقوق ستكون أولوية أساسية للأنظمة الجديدة.

لكن التغيير الذي طال انتظاره جلب معه فوضى وعنفاً وإرهاباً، وزاد من منسوب التعصب والتطرف والغلو، ولاسيما حين ارتفعت الموجة الإسلامية إلى أقصى المستويات حتى بلغت منصات الحكم، لدرجة أن مصطلح «الربيع العربي» أخذ يثير ردود فعل حادة، تجعله في دائرة الشك و«الشبهة»، بالإشارة إلى دور القوى الدولية المتنفذة، وفي غمرة مثل هذا التشاؤم المحبط لا يتذكر البعض تضحيات شعوب هذه البلدان وتطلعاتها للتغيير.

لقد حمل التغيير معه صراعات دينية وطائفية ومذهبية وجهوية وسياسية وحزبية وقبلية، وأيقظ نغرات كانت نائمة، وزاد الأمر خطورة انتشار السلاح واستخدامه لدرجة تفشى العنف واستفحل الإرهاب واستشرى الفساد المالي والإداري، ولاسيما في ظلّ تعويم مرجعية الدولة أو تفتت بعض مقوماتها.

كانت شعوب العديد من البلدان العربية والإسلامية تأمل تحسين أوضاعها الاقتصادية والمعاشية بعد إطاحة الأنظمة التي بدت مثل كابوس مطبق على صدورهم، ولكن حين رحلت تلك الأنظمة لم يرحل معها الاستلاب والقهر، وزاد أحياناً بفعل ضعف الدولة وانتعاش قوى الإرهاب، وهوت «الوحدة الوطنية» حتى وإن كانت هذه «مفروضة» أو شكلانية في ظلّ غياب المواطنة الفاعلة، لكنها كانت صمام أمان للناس في تعايشهم بوطنهم، ومع ما سمّي ب «الديمقراطية»، حلّ التشتت والانقسام والعودة إلى مرحلة ما قبل الدولة، الأمر الذي أصاب الشعوب بخيبة أمل مريرة.

ولعلّ الأكثر مفارقة كانت مواقف النخب السياسية التي صدّعت رؤوس الناس على مدى عقود من الزمان بالمبادئ والقيم، فإذا ب «الثورات» لا تطيح الدكتاتوريات فحسب، بل تُعري معارضاتها أيضاً (حكام

اليوم)، وتكشف عوراتهم وأطماعهم وتنافسهم المحموم على النفوذ والمال واستعدادهم لتوظيف كل شيء في سبيل المصالح الخاصة والأناية الضيقة، وهكذا تم مقايضة تضحيات الناس وأحلامهم بالتغيير والرخاء، بالصراع على السلطة والاستماتة للظفر بها، وهكذا تصالحت مع أسوأ ما في الأنظمة السابقة، دون أن ترتقي إلى بعض حسناتها ومزاياها.

لقد عمل «الحكام الجدد» على تشريع امتيازاتهم عبر البرلمانات أحياناً، مضيفين صفة «الشرعية» عليها، وحصلوا على تعويضات مجزية «لنضالهم» وامتدت أيديهم إلى المال العام فعاثت بالبلاد فساداً، حتى إن دولاً مثل العراق وليبيا هي اليوم الأكثر فساداً في العالم، في حين أن ميزانياتها يمكن أن تكفي شعوب المشرق والمغرب.

أ تكون «الديمقراطية» لا تليق بشعوبنا ولو أننا لم نقاربها بعد، فتلك فقط بعض آلياتها ليس إلّا؟ وكم كانت فرحة القوى المخلوعة كبيرة لمثل تلك النتائج، فقد ظلت تسوّق فرضية عدم صلاح الديمقراطية لشعوبنا لتبرير سياسية الاستبداد والقمع السابقة.

لكنّ ثمة جانب موضوعي لا بدّ من الإقرار به، فالثورات والتغييرات لم تأتِ بما هو أفضل، ويبرّر المعارضون السابقون وحكام اليوم أنهم اصطدموا بإرث ثقيل أعاقهم عن تحقيق المنجزات، وخصوصاً ما واجهوه من إرهاب «القاعدة» و«داعش»، لكن ذلك مجرد تبريرات للفشل الذريع الذي لا يريدون الاعتراف به، مدّعين أنه لولا وجودهم لكان الوضع أسوأ بكثير، وهل ثمة أسوأ من أنظمة المحاصصة والفساد المالي والإداري وتفشي العنف والإرهاب وسوء الأوضاع المعيشية والاقتصادية، وتدهور الخدمات التعليمية والصحية واستفحال الأمية والبطالة.

لكن هل الدكتاتوريات أفضل من «الديمقراطيات» أم ثمة فارق كبير، فالأولى كانت مفروضة على الشعوب، أما حكام اليوم فهم من اختيارها أو هكذا يتبجحون، على الرغم من العزوف وتراجع المشاركة وانعدام الثقة، بغض النظر عن نتائج انتخابات تجري في ظلّ بعض الدساتير الملغومة وقوانين الانتخابات «المبرمجة» والنتائج التي تكاد تكون معروفة سلفاً، بفعل عمليات التزوير المفضوحة، وهي مداورة بين بضع مئات من السياسيين، وكأنّ الحياة أصبحت حكرًا عليهم وأن شعوبهم أصيبت بالعم.

العيش الكريم هو ما تحتاج إليه الشعوب العربية، وعدم تحقق ذلك دفع أوساطاً شعبية تعبر عن جزعها وتبرّمها لدرجة اليأس من القدرة على التغيير بامتداحها نظام بن علي وصادام حسين وحسني مبارك ومعمر القذافي وعلي عبدالله صالح والملاً عمر، الذين كان التخلّص منهم أقرب إلى الحلم.

drhussainshaban21@gmail.com

عهد جديد في أوروبا

* نداء تيمكو

صحيفة (كرستيان ساينس مونيتور) : ٢٠١٨/١٢/١٩

سقوط جدار برلين في ١٩٨٩ كان «نهاية حقبة» بالنسبة للقارة الأوروبية. الآن، وعقب جنانة الدولة التي أقيمت لواحدة من الشخصيات المحورية في تلك العملية، وبداية الانسحاب السياسي من قبل أخرى، من الواضح أن فترة ما بعد الجدار قد مرت أيضاً. والصورة الجيوسياسية في أوروبا أخذت تتبلور على نحو أشبه بفيلم «عودة إلى المستقبل»، إذ يهيمن عليها متنافسان تاريخيان هما: ألمانيا وروسيا.

والحق أنه لولا مواقف الرئيس الأمريكي الراحل جورج بوش الأب، فإنه من غير الواضح ما إن كان سقوط الجدار سيؤدي إلى إعادة توحيد ألمانيا، بعد بضعة عقود فقط على حرب عالمية ترك فيها الاعتداء النازي ندوباً واضحة على ذاكرة أوروبا. ومن دون زعامة المستشار الألمانية أنجيلا ميركل منذ ٢٠٠٥ - التي سلّمت زعامة حزبها «الاتحاد الديمقراطي المسيحي» لشخص آخر الأسبوع الماضي وأكدت أن هذه الولاية ستكون ولايتها الأخيرة - كان تجاوز التوترات مع روسيا فلاديمير بوتين بسبب بلدان الكتلة السوفييتية السابقة في أوروبا الشرقية سيكون أكثر صعوبة.

غير أن المشهد السياسي لأوروبا يشهد تحولات دراماتيكية. فمع وجود بوش في الرئاسة في مطلع التسعينيات، كان يؤمل أن تنتقل القارة، مع نهاية الحكم الشيوعي، إلى كل أكثر ديمقراطية وتعاوناً سياسياً واندماجاً اقتصادياً.

ولكن بالنسبة للرئيس بوتين، الذي يوجد في السلطة منذ قرابة عشرين عاماً، كان يُنظر إلى التوسيع اللاحق للاتحاد الأوروبي وحلف «الناطو» ليشمل بلدانا في أوروبا الشرقية على أنه تهديد أمني وإهانة سياسية. ولهذا استخدم الضغط السياسي والاقتصادي - وفي أوكرانيا، القوة العسكرية - في محاولة لإعادة التأكيد على دور روسيا كقوة كبرى.

وفي الأثناء، أخذت أهمية ألمانيا كوزن مضاد تتزايد. فالألمان لطالما كانوا الاقتصاد الأول في أوروبا. ومع إبداء إدارة ترامب لمواقف غامضة تجاه كل من «الناطو» والاتحاد الأوروبي، يرى العديد من الزعماء الأوروبيين في ذلك بداية انسحاب سياسي أمريكي من التحالف العابر للأطلسي.

والواقع أن الاتحاد الأوروبي نفسه بات يعاني من الإجهاد، ما يجعل دور ألمانيا أكثر أهمية. فبريطانيا، وباستثناء تحول دراماتيكي وسط حالة عدم اليقين الكبيرة التي تحيط بالبريكست، توجد في طريقها للخروج. والرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، الذي كان يدفع في اتجاه مبادرة ألمانية-فرنسية من أجل تجديد الاتحاد الأوروبي وتقويته، يواجه اضطراباً سياسياً في الداخل. وفي غضون ذلك، يتحرك زعماء دول الاتحاد الأوروبي التي كانت تنتمي إلى الكتلة السوفييتية السابقة من أجل كبح الهجرة، وحرية الصحافة، وحكم القانون.

وفي الوقت الراهن على الأقل، يبدو أن ألمانيا وضعت طريقاً نحو الاستمرارية الوسطية تحت زعامة أنجريت كرامب كارينباور، زعيمة «الاتحاد المسيحي الديمقراطي» وخلف ميركل المفضلة. كرامب كارينباور سبق أن تحدثت عن الحاجة إلى تقلد ألمانيا دوراً دبلوماسياً أكبر، وإنفاق مال أكثر على جيشها. ولئن كانت كثيراً ما وصفت بـ«ميركل الصغيرة» نظراً لعلاقتها الوثيقة بالمستشارة، فإنها كانت دائماً أكثر صراحة في الدعوة إلى رد على نزوع روسيا المتزايد إلى تأكيد قوتها واعتدائها.

فبعد حجز الروس لسفینتين بحريتين أوكرانيتين في بحر آزوف الشهر الماضي، أشارت كرامب كارينباور إلى إمكانية منع السفن الروسية هناك من الرسو في الموانئ الأوروبية والأمريكية. كما عبّرت عن القلق بشأن خط أنبوب مهم، «نور ستريم ٢»، لنقل صادرات الغاز الروسي إلى أوروبا. وعلى الرغم من أن أياً من السياسيين الألمان البارزين لا يشعر بأنه من العملي وقف المشروع في هذه المرحلة، إلا أنها قالت إن خط الأنابيب، ولاسيما بعد الحادث البحري، ينبغي أن يخضع لدراسة «ليس فقط كمشروع اقتصادي، ولكن أيضاً كمشروع سياسي». وأشارت، على سبيل المثال، إلى إمكانية فرض الاتحاد الأوروبي لسقف لكمية الغاز المسموح بمرورها عبر الخط.

غير أن لا شيء من هذا يعني أنها، أو بوتين، من المحتمل أن تسعى وراء مواجهة عسكرية إذا أصبحت مستشارة، مثلما يتوقع لها. ولكن بالنظر إلى حالة عدم اليقين بشأن عمق وأمد التحول في مقاربة الولايات المتحدة لأوروبا، فإنه يشير بالمقابل إلى رأي مؤداه أن على أوروبا أن تستعد لتحمل مسؤولية كانت تقع على عاتق الأمريكيين بالأساس قبل ١٩٨٩، ألا وهي: الدفاع عن الاستقرار والديمقراطية في أوروبا، والتأشير على حدود، بخصوص التدخلات أو الاعتداءات أو التهديدات الممكنة، من شأن تجاوزها استدعاء رد.

الفساد الخليجي

*د. عبدالحميد الأنصاري

صحيفة (الوطن) القطرية : ٢٠١٨/١٢/١٩

يقسم الباحثون الفساد إلى فساد كبير، يتعلق بالعمولات الكبيرة في المشاريع والصفقات الكبيرة، يحصل عليها متنفذون، عبر الشركات الدولية العابرة للقارات، وفساد صغير، يتعلق بدفع رشا لموظفين رسميين من أجل تخليص معاملات معينة أو خدمة بالمخالفة للقانون، وهو النمط السائد للفساد في معظم الدول العربية، وبخاصة ذات الكثافة السكانية والدخل المنخفض.

أكتب اليوم عن نوع خاص من الفساد، يختلف عن الفساد العام المعروف في أدبيات مكافحة الفساد في العالم، هو الفساد الخليجي المرتبط باقتصاد الريع، وثقافته، وعقليته، وسلوكه الاجتماعي، ونظامه السياسي. الريع، عزز التفرد في اتخاذ القرار العام، وساهم في خلق نمط من الفساد المسكوت عنه، رغم كثرة الحديث عن الفساد المستشري في دول العالم، بما فيها الدول المتقدمة.

يقسم الباحثون الفساد إلى فساد كبير، يتعلق بالعمولات الكبيرة في المشاريع والصفقات الكبيرة، يحصل عليها متنفذون، عبر الشركات الدولية العابرة للقارات، وفساد صغير، يتعلق بدفع رشا لموظفين رسميين من أجل تخليص معاملات معينة أو خدمة بالمخالفة للقانون، وهو النمط السائد للفساد في معظم الدول العربية، وبخاصة ذات الكثافة السكانية والدخل المنخفض، وهذان النوعان من الفساد، يمكن رصدتهما عبر مؤسسات الشفافية الداخلية، وتقارير مدركات الفساد من منظمة الشفافية العالمية، لكنني أزعج أن فسادا آخر، هو الفساد الريعي الخليجي، فساد خارج عن تقارير مدركات الفساد الدولية، ولذلك نجد دول مجلس التعاون تحتل مرتبة الدول الأقل فسادا عربيا، والـ ٣١ دولة الأقل فسادا عالميا.

دعونا نتساءل: لماذا يستعصي الفساد الريعي الخليجي على مقاييس الفساد الدولي؟!

والإجابة ببساطة: لأنه فساد مقنن، ومقبول اجتماعيا، ولا يثير استنكارا مجتمعا، وهذا في تصوري أخطر أنواع الفساد المهلك للمجتمعات والدول، إذا تغلغل في بنيان النسيج المجتمعي، وأزعج أنه في هذا الفساد البنيوي الترفي، جاء التحذير القرآني الشديد "وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا".

تجليات الفساد الخليجي

١- إفساد مفهوم المواطنة: ربما لا يكون أخطر نتائج الفساد الخليجي، هدر المال العام والخاص، وضياع فرص التنمية، وشراء الولاءات، وإفساد الذمم، ولكن أخطر مظاهره، ذلك الخلل الفكري والأخلاقي والنفسي الذي يصيب المواطن الخليجي، مثل: انتشار ثقافة تبر الفساد، وتجد له من الذرائع ما يبرر استمراره في المجتمع، وافتقاد المواطن ثقته بعمله وجدواه ما دامت الدخول الخلفية الناتجة من الفساد تفوق المرتب الذي يتقاضاه، فتتولد لديه مشاعر الإهمال واللامبالاة وعدم الإخلاص، فيتقاعس عن أداء واجبه الوظيفي والمهني والرقابي، كما يفقد ثقته بالقانون، لأن المفسدين الكبار فوق القانون، وينتج بيئة حاضنة للفساد، وطاردة للكفاءات، وتفقد الرشد في الاستهلاك، وتتباهى بالمظهريات والإنفاق السفهي، ومن ناحية أخرى فإن هذا الإفساد الريعي يؤدي إلى تهميش دور المواطنين إنتاجيا وسياسيا، في مقابل الاعتماد على عناصر غير مواطنة، وهو الحاصل اليوم في مجتمعات خليجية.

وأخيرا: عندما يتمكن الفساد من المواطن، فإنه بدوره يعيد إنتاج الفساد.

٢- تناقم الخلل السكاني: الخليجيون اليوم، أصبحوا أقلية في أوطانهم، وسط هذا التسونامي البشري المتدفق من بلاد الفائض البشري والفقر والمجاعة سعيا وراء الرزق، ولا اعتراض على ضرورة استقدام العمالة (كأمر لا بد منه) لتفعيل النمو الاقتصادي، لكن عشوائية الاستقدام وتوظيفها لخدمة المتنفذين وما لابسها من أوجه فساد، كالتجارة في "الفيز" وتزايد العمالة السائبة، أدت إلى ظواهر سلبية، أبرزها: شعور المواطنين بأنهم غرباء، يكادون يقتلعون من جذورهم، طبقا لعمر هشام الشهابي في كتابه الفذ "اقتلاع الجذور"، إضافة إلى تزايد القلق على الهوية الخليجية، وانتشار مشاعر التذمر لدى قطاع واسع من المواطنين تجاه العمالة الوافدة، كونها تشكل عبئا مدمرا للمرافق والخدمات، ومشوها للسلوك الحضاري، ومهددا للهوية.

٣- تزواج السلطة برأس المال: عندما منع عمر الولاة من التجارة، وطبق "من أين لك هذا؟" كان يدرك أن التداخل بين السلطة والمال مفسد للمجتمع، وهو ما نبه إليه ابن خلدون في المقدمة بـ"الجاه المفيد للمال"، إذ يصبح ممارسة مقبولة اجتماعيا تحت غطاء الولاء السياسي أو الانتماء القبلي أو الطائفي، وما ظاهرة المجمعيات السكنية المشكلة جزرا منعزلة، والأبراج الشاهقة، إلا نتاج هذا التلاقي بين مصالح متخذي القرار ورجال الأعمال، ليشكل الريع العقاري مصدرا جديدا للإثراء السريع، ولتبني سياسات مالية هدفها كسب الولاء السياسي لفئة متنفذة من المواطنين على حساب المصلحة العامة.

أزمات العالم تهيم على ختام «حوارات أطلسية»

صحيفة (الشرق الأوسط) ٢٠١٨/١٢/١٩

هيمنت مناقشة تبعات أزمة الثقة في السياسة ومؤسساتها عالمياً وأزمات المناخ والتنمية، على جلسات يوم ختام مؤتمر «حوارات أطلسية» الذي استضافته مدينة مراكش المغربية في دورته السابعة على مدى ثلاثة أيام، تحت شعار «ديناميات أطلسية: تجاوز نقاط القطيعة»، بمشاركة رؤساء ووزراء سابقين وخبراء وفاعلين سياسيين واقتصاديين ونخبة من «القادة الصاعدين».

وركز اليوم الأخير للمؤتمر على دروس مستخلصة من تجارب مختلفة من أجل تنمية جديدة مشتركة قدمها رؤساء سابقون من أمريكا اللاتينية، وسؤال عن مستقبل البرازيل بعد انتخاب اليميني جاير بولسونارو رئيساً لها، ونقاش حول تمويل المناخ في الجنوب، ودور الثقافة في العلاقات الأطلسية.

واعتبر مدير «مركز السياسات من أجل الجنوب الجديد» كريم العيناوي الذي نظم مركزه المؤتمر، أن «حوارات الأطلسي هي طريقة علاج جماعي، نوعاً ما، إذ يأتي الشمال إلى الجنوب، وهذا شيء مهم». وقال في ملاحظات ختامية: «سنستمر كمؤسسة وفق هذه الروح من الحوار المفتوح، الأنيق والرصين، الرسمي وغير الرسمي، ولكن المتسامح... مهمتنا ورسالتنا، كخبراء، هي التواصل مع شعوبنا، أن نتواصل مع الناس على المستوى المحلي، ونشركهم في وضع السياسات العامة».

ولفت إلى أن «مستوى عدم اليقين مرتفع للغاية في العالم. ومن وجهة نظر الجنوب، ليس لدينا عدو». وتساءل: «من هو عدو أفريقيا أو أمريكا اللاتينية؟»، قبل أن يجيب: «لا وجود له في الواقع. هذه هي الحكمة العظيمة والدرس الذي يجب تعلمه من هاتين القارتين».

وفي جلسة «تمويل المناخ في الجنوب»، قال الرئيس السابق لجمهورية كيريباتي تيبورورو تيتو إن «التمويل في بلدان الجنوب موجود، لكنه ليس مخصصاً بالضرورة لتغيرات المناخ، لأن هناك شعوراً بعدم التمكين». ورأى أن «بلدان الجنوب تعمل على إدامة فكرة، تبدو حقيقية، مفادها أن بلدان الشمال هي المتسبب الرئيسي في تغير المناخ، ولذلك يتعين عليها أن تتحمل العواقب».

ورأت مفوضة الاقتصاد الريفي والزراعة في الاتحاد الأفريقي جوزيفا ساكو أن «على بلدان الشمال الامتثال لالتزاماتها في مؤتمر باريس». وأشارت إلى أن «بعض دول أفريقيا يخصص ٣ في المائة من ناتجه المحلي الإجمالي الخام للتكيف مع التغيرات المناخية، في حين أن القارة مسؤولة عن ٤ في المائة فقط من الاحتباس الحراري».

من جهته، أكد رئيس «المعهد البيئي» في ألمانيا أندرياس كرايمر أهمية إعادة هيكلة تمويل التخفيف من آثار التغير المناخي والتكيف معها. ولم يخف تفاؤله، معبراً عن اعتقاده بأن هذا التمويل سيزيد في السنوات المقبلة، رغم الأزمات والالتزامات التي تتغير. وأضاف أن «التمويل المناخي موجود، ويتجاوز في بعض الحالات عدد المشاريع، لكنه يواجه الكثير من العقبات التنظيمية المؤسسية والسياسية».

ورأى عضو مجلس إدارة «جينيكس» أندريه كايلى أن «هناك مشكلة في نقل التمويل المناخي إلى البلدان النامية، خصوصاً في أفريقيا». وأشار إلى أنه «في بلدان النصف الجنوبي من الكرة الأرضية، تكون الحكومات أكثر وعياً وأكثر استعداداً، وتشعر بأنها أكثر إلزاماً باتخاذ إجراءات، لكن ستحتاج إلى التمويل من المجتمعات المالية».

أما في جلسة «دور الثقافة في العلاقات الأطلسية»، فقال وزير الخارجية المغربي الأسبق الأمين العام لمؤسسة «منتدى أصيلة» محمد بن عيسى، إن «الثقافة لا تشكل الهاجس الأول بالنسبة لغالبية الحكومات، رغم أنها يمكن أن تعطي دفعة قوية للنشاط الاقتصادي». ولفتح إلى أن «الثقافة هي أيضاً مرادف للمؤسسات القوية: مسارح، صالات عرض، فضاءات للخلق والابتكار، وهذا هو الدور الذي يتعين على الحكومة أن تلعبه».

ورأى أن «الثقافة تحتاج إلى قيادة وإلى قادة متحمسين، كما كان الحال في فرنسا، زمن الرئيس فرنسوا ميتران ووزير الثقافة جاك لانغ، أو في المغرب حيث استثمر العاهل المغربي الملك محمد السادس كثيراً في الثقافة»، مشيراً إلى أنه «إذا أطلق رئيس الدولة سياسات، فإنه يتعين على السياسيين تنفيذها».

وشدد على أن «من الضروري العمل على تصحيح الصورة السلبية السائدة في المجال الأطلسي ما بين شعوبه وثقافته المتنوعة، بما فيها الشعوب الأفريقية والأمريكية الجنوبية التي تجمعها شتى الأواصر والعلاقات والمصير المشترك. ولن يكون ذلك من دون تكثيف الزيارات المتبادلة وتوطيد برامج التعاون بين الفاعلين الثقافيين وخلق البيئة الملائمة للتفاعل والترابط بين مكونات هذا المجال الأطلسي الواسع». ودعا إلى «الاستثمار الواسع في العمل الثقافي في مختلف جوانبه من تنظيم ملتقيات ومؤتمرات فكرية وأنشطة فنية وترجمة أعمال إبداعية. فما أقل ما يعرف الأفارقة من كبار المفكرين والمبدعين من بلدان أمريكا اللاتينية وما أقل ما يعرف أولئك من مبدعي أفريقيا وكتابها ومثقفها».

وأعرب عن قناعة بأن «لوسائل التواصل الجديدة دوراً بالغ الأهمية في توطيد أواصر التعاون والتعارف والتبادل بين ضفتي الأطلسي ومكوناته الحضارية والثقافية المتنوعة. فهذه الوسائل قدرة لا شك فيها على التعريف بالمنتجات الثقافية والفنية من موسيقى ورقص وإبداع أدبي وفن معماري، ومن هنا يتعين التعاون في استغلال ثورة الاتصالات الراهنة في بناء ثقافة أطلسية مشتركة تحترم التنوع الثقافي وتجمع بين مقومات الهوية الأصيلة ومقتضيات التجدد والانفتاح».

وسلّطت السفارة المغربية المتجولة آسية بنصالح العلوي الضوء على الروابط التاريخية والثقافية في الفضاء الأطلسي. وقالت إن «المحيط الأطلسي كان دائماً فضاء لتبادل مكثف على مدى القرون، غير أنه كان تبادلاً مؤلماً تم تشكيله من طرف الاستعمار والعبودية». ولاحظت أن «الجروح والندوب لا تزال مفتوحة بسبب الهيمنة الثقافية والاقتصادية للغرب، فدول الجنوب تكافح من أجل إثبات الوجود». ورأت أنه يبقى من الضروري «استعادة ثقافتنا والانتقال من الاستياء إلى الغفران والمصالحة».

ويرى باولو باراناغوا، وهو باحث من البرازيل، أنه «لن يكون هناك تقارب دائم بين أفريقيا وأمريكا وأوروبا إلا من خلال الثقافة، غير أننا نشهد اليوم، حسب قوله، انعداماً عاماً للثقة على مستوى السياسات في القارات الثلاث»، مشيراً إلى أن «السياسة تبدو خارج السيطرة، وحن الوقت لإعادة الثقافة إلى مركز الاهتمام. وهذا يبدو، اليوم، أبعد ما يكون عن الواقع». وتساءل: «كم لدينا من الخبراء أو العارفين بأفريقيا في البرازيل؟ عدد قليل جداً. في أفريقيا، كم يوجد من عارف بأمريكا اللاتينية؟ تقريباً، لا أحد. إذا لم نعرف بعضنا بعضاً، كيف يمكننا بناء تقارب حقيقي عبر - أطلسي؟ كيف نخلق روابط دائمة وثقافة مشتركة؟».

واستهلت جلسة «أي مستقبل للبرازيل؟» بأسئلة الجمهور المتابع: هل سينجح بولسونارو؟ هل ستظل البرازيل عضواً في تجمع «بريكس»؟ هل ظاهرة بولسونارو معزولة أم ستكون بمثابة بقعة زيت في أمريكا اللاتينية؟ حاول المحللون تحديد تأثير انتخاب بولسونارو وطمأنة الجمهور حول مستقبل البرازيل، بالقول: أياً كان الرئيس الذي يتم انتخابه، فالبرازيل تحتاج إلى إصلاحات عميقة في مختلف المجالات، وإن البرازيل تتعامل وتتبادل مع الصين أكثر من أمريكا، مع تشديد على أن بولسونارو يحكم بلداً ليس له نفس الوزن الذي تتمتع به الولايات المتحدة، وبالتالي لن يستطيع الاستغناء عن التعددية.

وتميزت جلسة «التعلم من تجارب مختلفة من أجل تنمية مشتركة جديدة: وجهات نظر الرؤساء السابقين لبلدان أمريكا اللاتينية»، بمشاركة رئيس الأرجنتين الأسبق إدواردو دوالده ورئيس الإكوادور الأسبق لويس أوسفالديو هورتادو لارياً ورئيس الأرجنتين الأسبق فيديريكو رامون بويرتا.

أما آخر جلسة نقاش، فكانت خاصة بالقادة الصاعدين، وشارك فيها 5 شباب من أفريقيا والأمريكيتين، للتحديث والتعبير عن مخاوفهم وطموحاتهم لمستقبل بلدانهم والحوض الأطلسي. وركزت كلماتهم على صعود الشعوبيات في العالم وضرورة الحفاظ على التعددية ومكافحة الفساد.

ستبقى آمال الشعب الكردي قائمة رغم معاناته الراهنة

*البروفيسور كاظم حبيب

الحوار المتمدن: ٢٤/١٢/٢٠١٨

لم يبدأ الشعب الكردي نضاله القومي والوطني في سبيل الحرية والاستقلال والوحدة القومية حديثاً، بل كان هذا هاجسه وهدفه منذ قرون، وتجلّى في الإمارات التي تشكلت على امتداد القرون المنصرمة، والتي يمكن العودة إليها في العديد من كتب التاريخ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر كتاب المؤرخ شرفخان البديسي (١٥٤٣-١٦٠٦)، وكتاب "خلاصة تاريخ الكرد وكرديستان من اقدم العصور التاريخية" للسيد محمد أمين زكي (١٨٨٠-١٩٥٨)، وكتاب د. مكرم طالباني بعنوان "تطور الحركة القومية الكردية" بجزئين، وكتاب "الكرد وكرديستان" تأليف أرشاك سافراستيان وترجمة الدكتور احمد خليل.. وغيرها. كما تجلّى ذلك وبشكل خاص منذ بداية القرن العشرين في حركة الشيخ عبدالسلام بارزاني في العام ١٩٠٩/١٩١٠، ومن ثم مفاوضات الكرد مع الحلفاء قبل وأثناء وبعد الحرب العالمية الأولى، وثورة الشيخ محمود الحفيد في السلمانية وإعلانه الملكية، وكذلك إعلان استقلال جمهورية أرات الكردية بقيادة اللجنة المركزية لـ حزب خويبون، في ٢٨ أكتوبر ١٩٢٧، أثناء موجة من الانتفاضات بين الكرد جنوب شرق تركيا.

واستطاع الجيش التركي استخدام العنف المفرط في القضاء عليها في العام ١٩٣٠. كما بدأت في الثلاثينيات الحركات التحررية اللاحقة للشعب الكردي في العراق بقيادة الشيخ أحمد بارزاني، وتواصلت في الأربعينيات بقيادة الملا مصطفى بارزاني، إضافة إلى تحركات واسعة خلال العقدين الرابع والخامس من قبل الكثير من المثقفين الكرد الذين شكلوا تنظيمات عديدة منها على سبيل حزب هيووا (الأمل) تأسس في العام ١٩٣٨، ومن ثم حزب شورش (الثورة) وحزب رزكاري كرد (تحرير الكرد).

توج نضال الشعب الكردي في كردستان إيران بإعلان قاضي محمد (١٨٩٣-١٩٤٧) جمهورية كردستان والتي سميت في كتب التاريخ "جمهورية مهاباد" التي أجهضت بقسوة بالغة من قبل قوات الدولة الشاهنشاهية الإيرانية وأعدم قاضي محمد في العام ١٩٤٧. ووقد شاركت مجموعة من المناضلين الكرد بقيادة الملا مصطفى بارزاني ومجموعة من الضباط الكردي العراقيين في دعم جمهورية مهاباد، حيث أصبح الملا مصطفى بارزاني قائداً لقواتها العسكرية. وإذ استطاع بارزاني الهجرة إلى الاتحاد السوفييتي، قرر أربعة من الضباط الكرد العراقيين العودة إلى العراق بعد أن أعطت الحكومة العراقية وعداً بالعفو عنهم، ولكن الحكومة العراقية أخلت بوعدها وارتكبت جريمة إعدامهم في آذار/مارس من عام ١٩٤٧ وهو نف الشهر والعام الذي أعدم فيه قاضي محمد رئيس جمهورية مهاباد. في العام ١٩٤٦ بدأ تبلور أهداف ومهمات الحركة التحررية الكردية في كردستان العراق واقترن نضالها بشكل واضح مع نضال الشعب العراقي عموماً في سبيل الحريات العامة والديمقراطية واستقلال البلاد وسيادتها وحقوق الشعب الكردي. وقد تجلت في الموقف الذي اتخذته الحزب الشيوعي العراقي من المسألة الكردية منذ تأسيسه وكذلك حزب الشعب الماركسي الذي أسسه عزيز شريف، وفيما بعد سمي بوحدة النضال، وعند تأسيس الحزب الديمقراطي الكردي (وفيما بعد أصبح الحزب الديمقراطي الكردستاني).

وعلى العموم يمكن القول بأن نضال الكرد في العراق قد مرّ بثلاث مراحل: المرحلة الأولى تجلت في مطالب ديمقراطية بما فيها الحقوق الإدارية والسياسية والثقافية والاجتماعية، والمرحلة الثانية تجلت في طرح شعار الحكم الذاتي في إطار الدولة العراقية، والمرحلة الثالثة تجلت في إقامة النظام الفيدرالي ضمن الدولة العراقية. ولا شك في أن الكرد بالعراق كانوا يفكرون دوماً بإقامة دولتهم الوطنية المستقلة على القسم الجنوبي من أرض كردستان الكبرى أو

إقليم كردستان العراق. وهي المرحلة الرابعة في هذا النضال. لقد وجد نضال الشعب الكردي الدعم والتأييد من الحزب الشيوعي العراقي وقوى وأحزاب ماركسية في العراق، وكذلك في كل من إيران وتركيا. إلا إن هذه النضالات العادلة والمشروعة، على وفق مبادئ الأمم المتحدة القائمة على أساس حق تقرير المصير للشعوب، قد وجدت المعارضة والمقاومة والمجابهة العسكرية والحرب من جانب القوى الحاكمة في هذه الدول الثلاث، وهي حكومات قومية شوفينية ورجعية متعصبة. وهي التي سمحت للمحامي والسياسي العراقي الماركسي الأستاذ عزيز شريف أن يشير في كتابه الموسوم "المسألة الكردية في العراق" إلى ما يأتي:

"ظاهرتان للمسألة الكردية في العراق: الظاهرة الأولى تمثل الوجه السلبي للمسألة الكردية أي أثر السياسة الاستعمارية الرجعية التي قضت باستبعاد الشعب الكردي وتمزيق أوصاله وإبقائه في مستوى من العيش البهيمي. أما الظاهرة الثانية للمسألة الكردية في العراق فإنها تمثل الوجه الإيجابي لهذه المسألة وهو كفاح الشعب الكردي في سبيل حرياته وفي سبيل تقرير مصيره. والمسألة الكردية في العراق ليست عراقية صرفة، إنها جزء من مسألة الشعب الكردي في جميع موطنه كردستان وأن مزقته السياسات الاستعمارية الرجعية المحلية الجائرة وأن تعددت لهجاته حتى بدت أحياناً كأنها لغات مختلفة بسبب العزلة. وأن ترابط أجزاء المسألة الكردية يبدو جلياً في التدابير السياسية والبوليسية العسكرية المنسقة التي تقوم بها قوات الحكومات السائدة في العراق وتركيا وإيران ومن فوقها ومن ورائها الاستعمار الانگلو أمريكي لقمع أية حركة انتفاضة كردية، تقع في أي من الأقطار الثلاثة وأحدث مثال لهذه التدابير المنسقة هو التعاون العسكري بينها لسحق حركة بارزانية عام ١٩٤٥".

هذا ما كتبه عزيز شريف في العام ١٩٥٠. ولكن أقسى جريمة وإبادة جماعية تعرض لها الشعب الكردي في حملات الأنفال عام ١٩٨٨، إضافة إلى مؤامرة اتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٤ التي وقعت بين صدام حسين وشاه إيران بدعم مباشر من حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل وتركيا. وأخيراً حصول تعاون عدواني مناهض للكرد حصل بين حكومات الدول الثلاث في سبتمبر من عام ٢٠١٧ بعد بروز نتائج الاستفتاء الذي أجرته حكومة إقليم كردستان بشأن مستقبل كردستان العراق، والذي حاز على ٩٢,٧٣٪ من مجموع المصوتين الذين بلغت نسبتهم إلى مجموع المسجلين ٧٢,١٦٪.

ويمكن اعتبار النسبتين عالية جداً بالقياس إلى نسب المشاركة في الانتخابات في عموم الدول النامية ومنها العراق، والتي تؤكد رغبة الكرد في إقامة دولتهم الوطنية المستقلة. وهي لا تختلف عن رغبة الكرد في كل من كردستان إيران وكردستان تركيا، في حين أن كرد سوريا لهم مطالب وحقوق مشروعة، منها إدارية وثقافية واجتماعية، تؤدي إلى تعزيز الوحدة الوطنية في سوريا لو استجيب لها بعقلانية من جانب حكام سوريا.

لم يكن قرار الاستفتاء في كردستان للتنفيذ المباشر لإقامة الدولة الكردستانية على أرض إقليم كردستان في العراق، بل كان تأكيداً لثلاث مسائل جوهرية:

١. التعبير عن حق الشعب الكردي في إقليم كردستان العراق في تقرير مصيره بنفسه، باعتباره حقاً مشروعاً لجميع الشعوب صغيرها وكبيرها، وهو حق ثابت ووارد في اللوائح الدولية للأمم المتحدة والهيئات الدولية ولوائح حقوق الإنسان وحقوق الشعوب.

٢. التعبير عن رغبة الشعب الكردي الصادقة في إقليم كردستان العراق.

٣. تأسيس الحكومة العراقية بأن الشعب الكردي في كردستان العراق قد اختار الفيدرالية في الحكم باختياره حين كانت تتوفر إمكانيات لتجاوز الدولة العراقية في فترة حكم البعث في العام ١٩٩١، وبالتالي لا بد للدولة الاتحادية بسطاتها الثلاث مراعاة هذه الحقيقة في التعامل بين الحكومة الاتحادية وحكومة الإقليم في جانبي الصلاحيات والواجبات.

وإذا ما اختلفنا مع المسؤولين في الإقليم في مسألة توقيت الاستفتاء، فإن هذا لا يعطل ولا يبطل حق الشعب الكردي في إجراء الاستفتاء وفي إعلان نتائجه واحترامها من قبل العرب والحكومة الاتحادية، ومن ثم التفاوض مع

حكومة الإقليم بشأن الموقف ما بعد الاستفتاء. ولكن الموقف الذي أُتخذ إزاء ليس الاستفتاء فحسب، بل وإزاء الشعب الكردي عموماً من جانب الحكومة الاتحادية بقيادة حيدر العبادي عبر عن:

١. رؤية أيديولوجية قومية شوفينية متعصبة ورافضة لحق تقرير المصير للشعب الكردي من حيث المبدأ

٢. رؤية أيديولوجية دينية متعصبة ومتشددة تعتبر المسلمين كلهم أمة واحدة يعيشون في دولة إسلامية واحدة هي الدولة العراقية، ولا يحق لهم إقامة دولتهم الوطنية المستقلة إذ يعتبر ذلك انفصلاً مرفوضاً.

وتناغماً مع هذين الموقفين الإيديولوجيين الخاطئين اتخذت الحكومة الاتحادية إجراءات ذات طبيعة إرهابية وقمعية وعقابية ضد إرادة الشعب الكردي وحقه في إجراء الاستفتاء. فكان الامتناع عن دفع الرواتب وفرض الحصار الاقتصادي وإجراءات عقابية وعسكرية أخرى كادت تقود إلى مآسي جديدة، ودامت فترة غير قصيرة وكانت ضد العدالة والشرعية والانصاف. وهو نفس الموقف الذي تتخذه الدولة الشيوعية "الإسلامية" الإيرانية بقيادة المرشد الطائفي والمستبد بأمره علي خامنئي، والدول الشيوعية التركية الجديدة بقيادة الشوفيني المستبد بأمره رجب طيب أردوغان من حقوق الشعب الكردي في الدولتين. وما الحرب العدوانية التي يخوضها حكام تركيا حالياً ضد الشعب الكردي في كردستان تركيا والصواريخ التي تطلق على أراضي كردستان العراق من تركيا التي تقتل المدنيين بذريعة قصف مقرات حزب العمال الكردستاني ليست سوى جريمة بشعة وتجاوز على استقلال وسيادة العراق وانتهاك صارخ للائحة الأمم المتحدة وضد إرادة المجتمع الدولي.

كم كان الفقيه الدكتور زهدي الداودي على صواب حين كتب يقول: «إن القومية الكبيرة التي تستعبد القومية الصغيرة، ليست حرة. ولقد آن الأوان كي يفهم القوميون العرب والأترك والفرس هذه الحقيقة...». (راجع: الحوار المتمدن بتاريخ ٢٦/١٢/٢٠٠٩).

وإذ تعرض تحقيق آمال ومهمات الشعب الكردي إلى الانتكاسة أكثر من مرة على امتداد القرن العشرين وحتى الآن، كان يعاود النهوض وبعزيمة أقوى وأمضى من السابق. ورغم حاجة الشعب الكردي لتأييد الشعب العربي وبقيّة القوميات في العراق من جهة، وتأييد المجتمع الدولي والكثير من الدول والرأي العام العالمي من جهه أخرى، إلا إن التجارب المريرة التي مرّ بها هذا الشعب المناضل تؤكد الاستنتاج الآتي: إن تحقيق الآمال والمهمات يتطلب أولاً وقبل كل شيء تحقيق الوحدة الوطنية للشعب الكردي، وحدة الإرادة والعمل، وحدة الهدف، والعمل على قبول الرأي والرأي الآخر والتداول السلمي الديمقراطي للسلطة في الإقليم، يتطلب إعادة بناء الإنسان الكردي ورفع مستوى وعي الجماهير والاستجابة لحاجاتهم وتطلعاتهم والاستفادة الفعلية من دروس الماضي من خلال العمل على تغيير بنية الاقتصاد الكردستاني، ولاسيما التصنيع وتحديث الزراعة وتطويرها، وتغيير بنية المجتمع الطبقي وتأمين مستلزمات أساسية لتحقيق الأمان والأهداف التي يتطلع لها الشعب الكردي. كما لا بد من انتهاج سياسة تؤكد وحدة النضال ضد الاستبداد والتطرف والطائفية التي تمارس من جانب الحكومة الاتحادية وضد كل القوميات، ومنهم العرب.

إن كسب ثقة الشعب الكردي من جانب القوى السياسية والاستجابة لحاجاته وتطلعاته هي الضمانة لوحدة نضاله وانتصاره على من يقف ضد طموحاته وتطلعاته العادلة والمشروعة. فلا بد من تجاوز أخطاء الفترات السابقة في العمل المشترك بين القوى والأحزاب السياسية في إقليم كردستان، كما لا بد من التعلم من الأخطاء الحكومية في مجال التنمية الاقتصادية والبشرية وأهمية وسبل استخدام الموارد المالية المتوفرة في عملية تنمية إنتاجية عقلانية توفر الأرضية الصالحة للتقدم الاقتصادي والاجتماعي وتنمي الثروة الوطنية وتحسن مستوى معيشة وخدمات بنات وأبناء الشعب في كردستان العراق. ومع قرب حلول العام الجديد أرجو لهذا الشعب عبور الأزمة والنجاح في تحقيق الوحدة الوطنية ومواجهة الواقع الجديد والاحتفاظ بالأمل والعمل من أجل تحقيق الأهداف العادلة والمشروعة.

الخلفيات الاجتماعية لحركة «السترات الصفرة»

*أوريليان ديلبيرو

صحيفة (الاخبار) اللبنانية: ٢٠١٨/١٢/٢٤

في هذا المقال، يتناول الأستاذ في معهد الدراسات الحضرية في باريس، أوريليان ديلبيرو، بعض التحاليل السائدة عن حركة السترات الصفرة، ويقارن نتائجها نقدياً بما يتوافر من معطيات بشأن التفاوتات المجالية في فرنسا والتركيبية الاجتماعية للمنخرطين في الحركة.

بناءً على التدخلات الإعلامية لبعض وجود الحركة الكاريزمية، جرى سريعاً ربط السترات الصفرة بالسكان «المبعدين» في الأحزمة شبه الحضرية والضواحي المحيطة بالمدن. لا أحد ينكر أنّ التعويل على السيارات يتزايد عند الابتعاد عن مراكز المدن، وتعني الحياة شبه الحضرية رحلات أطول واستعمالاً أكبر للمركبات الآلية.

هذا الأمر ليس وليد الصدفة أو الحظ. فمن جهة، شُجّع الاستقرار في المناطق شبه الحضرية نهاية الثمانينيات والتسعينيات - بعبارة أخرى، بعد تبني اللامركزية في التخطيط - من طرف العمدة الذين كانوا تواقين إلى تنمية بلداتهم مهما تطلب الأمر، حتى لو كان ذلك يعني تخصيص أراضٍ سكنية، مراكز تجارية، وخدمات عامة كبرى في الضواحي التي صارت منفصلة عن بعضها.

لذلك، بدل السعي لاستغلال الحركة لمصالح سياسية على نحو سمج، ربما كان يجب على المسؤولين في المستويين الوطني والمحلي البدء بالإقرار بمسؤوليتهم عن خلق المشكل. من ناحية أخرى، توجد طرق عديدة ومعقدة تتأسس بها المنازل (والشركات) في المناطق شبه الحضرية والضواحي الريفية للمدن الكبرى: الانتقال خارج مراكز المدن يكون دائماً نتاج خليط بين الاختيار والاضطرار.

وبالفعل، تشدّد دراسات حديثة على تنوع الخلفيات الاجتماعية وسيولة المسارات السكنية لدى سكان المناطق شبه الحضرية، وهو ما يتناقض جذرياً مع التحليلات التي تشدّد على «الإبعاد» و«التوطن». فرنسا شبه الحضرية ليست حديقة حيوانات! إنها نابضة بالحياة، نشطة، ومتنوعة. إنها تخلق وظائف أكثر من مراكز المدن، ويشمل ذلك قطاعات تتطلب درجة عالية من الكفاءة. إنها تشمل - كما يمكن الملاحظة عبر ممثلي السترات الصفرة الكاريزميين - مديري تنفيذيين مكرّسين، وكذلك عمالاً انتقلوا من السكن الاجتماعي أصحاب متاجر صغيرة اجتذبتهم كلفة الأراضي والعقارات المتدنية نسبياً، متقاعدون يرغبون في أسلوب حياة هادئ، وإطارات شابة تحتاج سكناً يتوافق مع مخططاتها العائلية.

على المستوى الوطني، يجني السكان شبه الحضرين معدل دخل سنوي (٢٠,٩٧٥ يورو) أعلى من سكان مراكز المدن (١٩,٨٨٧ يورو). المشكل الوحيد، أنّه رغم حيويتها وتنوعها - وحتى «نضجها» - لا تزال الفضاءات شبه الحضرية تحظى بسمعة سيئة. منذ التسعينيات، وتماشياً مع التوجّه السياسي الذي يشدّد على الاستدامة، حلّت على نحو شبه حصري من مناظير ازدرائية: تهديد الحياة الحضرية (المدنية)، التبعية تجاه السيارات، تهديد الاستدامة البيئية، وحتى القبح الهندسي والمشهدي. ساهمت هذه الرؤى المأساوية المحفزة للشعور بالذنب في تغذية غضب المسؤولين المنتخبين وسكان تلك المناطق، الذين تمثل السترات الصفرة تعبيراً واضحاً عنهم.

التزم الإعلام الصمت بدرجة كبيرة حول الطابع الاجتماعي لحركة السترات الصفرة. وتنزع الشهادات والدراسات الميدانية الأولى لإظهار تحدّر أغلب المنخرطين النشطين في الاحتجاجات من الطبقة الوسطى والفئات المندمجة من الطبقة العاملة: ممرضات، مختصون اجتماعيون، مدرّسون، موظفو بلديات من الدرجة الوسطى، تقنيون صناعيون، موظفو مبيعات، محاسبون في شركات، إلخ. تمثل هذه المهن التي تسمى «وسطى» ربع عدد إجمالي الوظائف - وهو رقم متزايد.

على امتداد العشريتين الماضيتين كان دخل هؤلاء وقدرتهم الشرائية مستقرين نسبياً، مع ذلك، بقوا معرضين لمخاطر السياسة الضريبية وحالة الاقتصاد، بما في ذلك تقلب أسعار المحروقات التي كانت شرارة انطلاق الاحتجاجات. لكنّ هذه الأخيرة لا تزيد على كونها شرارة: بقيت حصّة المصاريف المرتبطة بالسيارة مستقرة منذ التسعينيات، على عكس المصاريف المرتبطة بالسكن على سبيل المثال (التي تشهد تصاعداً مستمراً، خاصة في مراكز المدن).

لا تمثل المحروقات وضرائبها إلا ربع تلك المصاريف، أقل بكثير من الحصّة المخصّصة للتأمين والصيانة. لذلك تبدو الانتفاضة متجدّدة في شعور مزدوج بتنامي ضعف القدرة الشرائية وإجفاف الثقل الضريبي المسلط على الأسر. علاوة على ذلك، لا يؤخذ خمس الفرنسيين الذين لا يقودون السيارات في الاعتبار. لا يمكن اختصار هؤلاء في أنهم «بوبو» (بورجوازيون - بوهيميون) حضريون، إذ ينتمي أغلبهم إلى أسر فتيّة تفتقر إلى العمل والكفاءات ولا تستطيع تحمّل تكاليف عربية آليّة، ولذلك هم «رهائن» بالكامل للنقل العمومي. لكن، ما يخلق تمايزاً داخل الطبقات العاملة هو إمكان تحصيلها عملاً كثيراً ما يمثل شرطاً ضرورياً لامتلاك سيارة.

هذه الأسر هي من بين المستفيدين من إجراءات الإعانة على التنقل الذي سارعت الحكومة بسنّها، لكن كل شيء يشير إلى عدم انخراطها في التظاهرات على نحو واسع! إضافة إلى ذلك، كان يمكن أن تلقي تلك الإجراءات بآثار ضارّة على السترات الصفر التي عبر عدّة ممثلين لها عن رفضهم لمساواتهم بـ«متلقي المساعدات» الذين تقدّم لهم الدولة إعانات.

تبني هذا الخطاب عدد من الوجوه السياسيّة الوطنيّة، على غرار لوران فوكييه - وهو موقف غريب يشمل في الآن ذاته، النظر في إعادة التوزيع الاجتماعيّ الذي تستفيد منه العائلات الأكثر حاجة كنوع من «المساعدة»، بينما يطالب بإعادة توزيع مجاليّ تخدم صالح الأقاليم الأكثر حرماناً، كما لو أنّ هذه الأخيرة توجد وحدها، أي باستقلال عن سكانها.

أخيراً، حلّ عدد من المعلقين حركة السترات الصفر باعتبارها نتاج مقارنة «ذات سرعتين» للسياسة العامة التي تعطي الأفضليّة، على نحو منهجيّ، للفضاءات المدينيّة على حساب بقية البلاد. وبالفعل، مثل تركيز أدوات التنمية المجاليّة حول المدن الكبرى نزعة ملحوظة خلال العشريّتين الماضيّتين. استفادت المدن من مشاريع تجديد حضريّ كبرى، سواء في مراكزها (محطات وخطوط قطارات) أو في الأحياء التي تستهدفها السياسة الحضريّة (التجديد الحضريّ) وفي الضواحي القريبة (الأقطاب التنافسيّة).

لكن، ظهرت هذه النزعة بعد خمسة عقود مما يسمى سياسات «إعادة التوازن المجاليّ» الهادفة إلى احتواء نموّ منطقة باريس وإحياء «الصحراء الفرنسيّة» عبر اللامركزيّة. علاوة على ذلك، يتواصل اتخاذ الإجراءات لمصلحة الفضاءات الريفيّة لمعالجة المعوقات الهيكلية التي تكبل تنافسيّتها المجاليّة. لم يكن تدخل الدولة مكتملاً وحاسماً في «الفضاء بين الإقليميّ» المشكّل من بلدات صغرى ومتوسطة، وبدرجة أقل، من حواشي التكتلات الكبرى.

مع ذلك، لا توجد تلك المجالات في وضع إهمال سياسيّ واجتماعيّ: لها تمثيل قويّ في البرلمان (أكثر، مثلاً، من ضواحي التكتلات الحضريّة الكبرى)، تعزّزت هياكل الإدارة والتخطيط بها عبر تشريعات جديدة، تشهد مبادرات مواطنية عديدة وحتى محرّكات مالية مهمّة رغم وجود تقييدات متزايدة عليها (مساعدة من الاتحاد الأوروبيّ، عقود تخطيط، وآليات إعفاء ضريبيّ). المشكلة الحقيقية، أنّه لم تتركّس لها قط سياسات مخصصة.

بذلك، ركّز عمل الحكومة في المناطق شبه الحضريّة على محاربة مسار التمدّد الحضريّ، ما خلق تهديداً بإغفال الفضاءات التي خلقت بسببه. وتوفّر سياسات النقل مثلاً صاعقاً لهذا الموضوع غير المعترف به: بما أنّها وضعت تاريخياً لتحسين النفاذ إلى مراكز المدن لكسر عزلة الضواحي، كانت تلك السياسات أقلّ فعالية في تيسير تنقلات الناس في الأطراف.

أما في البلدات الصغرى والمتوسطة، التي لا تزال أبعد من أن تكون «ضحية» للعولمة، فغالباً ما تكون الحلول المقترحة مستنسخة عن تلك المستخدمة في المدن الكبرى، وبالتالي غير ملائمة للسياقات المحليّة. لذلك، عوض شنّ المعركة على أرض المظلوميّة، يتمثّل الحلّ في خلق ظروف تسمح بوضع وتنفيذ سياسات تجديدية قادرة، في المستوى المحليّ، على الموازنة بين الخيار السكنيّ، القيود الاقتصاديّة، والتوازن البيئيّ.

في النهاية، يهدّد نشر الآراء التبسيطيّة وغير المسنودة على أيدي من عيّنوا أنفسهم خبراء حول السترات الصفر، على حساب التحليل والجدل المسنودين بحجج، بالقفز على الرهانات الحقيقيّة، وربما القضاء على زخم الحركة. وضع «السواق شبه الحضريين» في مقابل «سكان مراكز المدن أصحاب الامتيازات»، «الفقير الجيد» مقابل «الفقير السيئ»، والأقاليم «المستفيدة» مقابل الفضاءات «المهملة» - على غرار ما فعله بعض المعلقين ضمناً - قد يوفر إطار قراءة مطمئن يخفض عدد من يستحقون المساعدة دون أن يحلّ مشاكلهم.

٢٠١٨.. عام الهرولة الخليجية نحو التطبيع مع إسرائيل

* محمد عبدالله

الخليج الجديد: ٢٤/١٢/٢٠١٨

تطورات سريعة وغير مسبوقه شهدها عام ٢٠١٨ في العلاقات بين (إسرائيل) والعديد من الدول الخليجية التي لا تربطها بالدولة العبرية معاهدة سلام والتي لطالما وضعت شروطا للتطبيع. وظهر ذلك التطور جليا في الآونة الأخيرة، من خلال الزيارات السياسية والاقتصادية والرياضية المتبادلة التي أخذ الكثير منها طابعا علنيا، فيما اعتبرت مصادر عبرية أنها مقدمة للتطبيع الكامل. وإضافة لما هو معلن، فقد تحدثت تقارير غربية وعربية وعبرية عن علاقات سرية "متينة" بين تل أبيب وعواصم خليجية، وهو ما عززه رئيس الوزراء الإسرائيلي "بنيامين نتنياهو"، بإعلانه مؤخرا عن وجود تطوّر كبير في العلاقات مع الدول العربية، واصفاً الوضع الحالي بـ "غير المسبوق". بدوره، نقل "أوفير جندلمان"، المتحدث باسم "نتنياهو"، في ٦ سبتمبر/أيلول الماضي، عن الأخير قوله: "ما يحدث بعلاقاتنا مع الدول العربية غير مسبوق. لم يتم الكشف عن حجم التعاون بعد، ولكنه أكبر من أي وقت مضى، هذا تغيير هائل".

ويأتي ذلك التطور المتسارع بالتزامن مع الحديث عن "صفقة القرن" الأمريكية، التي يتردد أنها تركز على تقديم الفلسطينيين تنازلات مجحفة بملفات عدة، أبرزها وضع مدينة القدس المحتلة واللاجئين. ويعزى ذلك الربط، إلى ما ذكرته صحيفة "يديعوت أحرنون" العبرية، عن أن هناك جهدا إسرائيليا كبيرا لتطبيع العلاقات مع الدول العربية تمهيدا لنشر خطة السلام الأمريكية. وفي تصريحات له في نوفمبر/تشرين الثاني الماضي، قال "نتنياهو"، إنه "من المهم أن تكون هناك علاقات مع الدول العربية حتى تصبح مفتاحا للسلام مع الفلسطينيين".

سلطنة عمان

ويبدو أن أكبر تطوّر في العلاقات الخليجية الإسرائيلية، جسّدته الزيارة الرسمية التي أجراها "نتنياهو" نهاية أكتوبر/تشرين الأول الماضي، إلى سلطنة عمان. وبحسب مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي، فإن الزيارة جاءت تلبية لدعوة من السلطان "قابوس بن سعيد"، عقب اتصالات مطوّلة أجريت بين البلدين. وعقب الزيارة، قال الوزير المسؤول عن الشؤون الخارجية بالسلطنة "يوسف بن علوي بن عبدالله"، خلال قمة أمنية بالبحرين، إن "إسرائيل دولة موجودة بالمنطقة ونحن جميعا ندرك ذلك". وأضاف: "العالم أيضا يدرك هذه الحقيقة، وربما حان الوقت لمعاملة (إسرائيل) بنفس المعاملة وأن تتحمل أيضا نفس الالتزامات". وبعد "نتنياهو" بأيام، وصل وزير النقل والاستخبارات الإسرائيلي "يسرائيل كاتس"، إلى مسقط، للمشاركة في مؤتمر النقل الدولي المقام خلال الفترة من ٦ إلى ٨ نوفمبر/تشرين الثاني. ووصف "كاتس" الزيارة بأنها "تاريخية ستحسن العلاقات بين إسرائيل وسلطنة عمان"، مشيرا الى أنه يعتزم "تقديم وتعزيز مبادراتنا المشتركة لربط دول الخليج بـ(إسرائيل) والبحر المتوسط"، بحسب صحيفة "يديعوت أحرنون".

ورسميا لا يوجد علاقات دبلوماسية بين (إسرائيل) وعمان، إلا أن البلدين وقعتا عام ١٩٩٦ اتفاقا لافتتاح متبادل لمكاتب تمثيلية تجاري، لكن هذه العلاقات جُمدت مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية عام ٢٠٠٠.

الإمارات

وعلى الجانب الآخر من الحدود العُمانية وعقب زيارة "نتنياهو"، كانت هناك زيارة إسرائيلية أخرى رفيعة المستوى، إذ وصلت وزيرة الثقافة والرياضة "ميري ريغيف"، دولة الإمارات في ٢٧ أكتوبر/تشرين الأول، على رأس وفد رياضي للمشاركة في بطولة عالمية للجودو أقيمت بالعاصمة أبوظبي.

ونشرت "ريغيف" عبر صفحتها على "فيسبوك"، تسجيلاً مصوراً تظهر فيه وهي تقوم بجولة في مسجد الشيخ زايد بالعاصمة الإماراتية.

ولم يقتصر الأمر على زيارة وزيرة الثقافة والرياضة، وإنما تبع ذلك زيارة أجراها وزير الاتصالات الإسرائيلي "أيوب قرا"، إلى إمارة دبي في ٣٠ من الشهر ذاته، وألقى فيها خطاباً أمام مؤتمر دولي حول أمن المعلومات والاتصالات.

وشهد مارس/آذار الماضي، زيارة أجراها إسرائيليون إلى الإمارات، حيث كشفت صحيفة "يديعوت أحرنوت" العبرية، عن مشاركة رسمية إسرائيلية في سباق كأس العالم للرايات الصحراوية (كروس كاتري)، الذي أقيم في أبوظبي.

كما شارك فريق دراجات إماراتي في سباق "جيرو دي إيطاليا"، الذي جرى بمدينة القدس المحتلة مطلع مايو/أيار الماضي، وأنداك، رحّب "جندلمان" عبر تغريدة على "تويتر" بالوفد الإماراتي.

البحرين

البحرين بدورها شاركت في ذات السباق بفريق رياضي أيضاً، وقد نشر "جندلمان" عبر حساباته على مواقع التواصل الاجتماعي صوراً للفريق البحريني، وأعرب عن ترحيبه به.

لكن مشاركة الفريق الرياضي البحريني في سباق الدراجات، ليست المؤشر الوحيد على تطور علاقات المنامة بتل أبيب.

فقد ذكرت صحيفة "هآرتس" العبرية، في يوليو/تموز الماضي، أن (إسرائيل) شاركت في الدورة الـ٤٢ للجنة التراث العالمي التابعة للأمم المتحدة، التي عقدت بذات الشهر في البحرين.

وفي نوفمبر/تشرين الثاني الماضي، ذكرت صحيفة "يديعوت أحرنوت"، أن مملكة البحرين تجري حواراً سورياً مع (إسرائيل) لتطبيع العلاقات بين الجانبين.

وبحسب الصحيفة، فإن الحوار يهدف إلى "التوصل إلى صيغة تمكن الجانبين من الإعلان عن عودة العلاقات بشكل علني"، لافتة إلى أن الحوار يجري تمهيداً لزيارة مرتقبة قد يجريها "نتنياهو" إلى البحرين.

ولم تعلق المنامة على ما أوردته الصحيفة الإسرائيلية بشأن الحوار السري أو الزيارة المزمعة.

وضمن مؤشرات التحول في السياسة البحرينية تجاه (إسرائيل)، أعلن وزير الخارجية "خالد بن أحمد بن محمد آل خليفة"، في مايو/أيار، دعم بلاده لما سماه "حق (إسرائيل) بالدفاع عن نفسها"، عقب استهدافها عشرات المواقع العسكرية الإيرانية في سوريا.

ولقيت تصريحات الوزير البحريني إشادة إسرائيلية، إذ قال وزير الاتصالات "أيوب قرا"، إنها تشكل "دعماً تاريخياً لـ(إسرائيل) إزاء العدوان الإيراني"، على حد تعبيره.

السعودية

وفي السعودية، لم يظهر أي حراك رسمي علني يفصح عن وجود علاقات بين تل أبيب والرياض، إلا أن العديد من المسؤولين الإسرائيليين المحوا إلى وجود علاقات "سرية" بينهما.

وفي مقابلة نشرتها مجلة "ذي أتلانتيك" الأمريكية، في مارس/آذار الماضي، اعتبر ولي العهد السعودي الأمير "محمد بن سلمان" أن "للإسرائيليين على غرار الفلسطينيين، الحق في أن تكون لهم أرضهم"، مؤكداً أن المملكة تتقاسم مصالح كثيرة مع (إسرائيل)، ستتعاظم في حال التوصل إلى سلام في المنطقة.

ولا تعترف السعودية رسمياً بـ(إسرائيل)، لكن تقارير صحفية عدة تحدثت في الفترة الأخيرة عن تحسن وتوطد كبير في العلاقات بين الجانبين، وصل إلى حد إجراء "بن سلمان" زيارة إلى تل أبيب، رغم النفي السعودي الرسمي لذلك.

ولدى تل أبيب رغبة قوية بتوثيق علاقتها مع الرياض، وهو ما أفصح عنه وزير الدفاع السابق "أفيغدور ليبرمان"، بتصريحات دعا فيها إلى تعزيز التعاون بين (إسرائيل) والسعودية ضد إيران وفروعها بالمنطقة. وكتب "ليبرمان" في مجلة "ديفنس نيوز" الأمريكية: "نرى أدلة كثيرة على التفكير الرصين في أماكن أخرى في المنطقة، ولا سيما بين دول الخليج، ولعلّ أوضح مثال على ذلك هو السعودية التي تقود قيادتها سياسة جريئة ورؤية لا تتوانى عن تعريف إيران باعتبارها التهديد الإقليمي الأكبر".

وأضاف: "كلما وحدنا -نحن القوى البراغمية في المنطقة- طاقاتنا لهزيمة أعدائنا المتعصبين، كلما كنا أكثر قدرة على توفير الأمن والاستقرار في المنطقة والنهوض بمصالحنا الوطنية".

وفي الإطار ذاته، دعا عضو الكنيست (البرلمان) الإسرائيلي "يوسي يونا"، ولي العهد السعودي "محمد بن سلمان"، إلى زيارة (إسرائيل)، وإلقاء خطاب في الكنيست كما فعل الرئيس المصري الراحل "أنور السادات".

ورغم غياب أي حديث رسمي سعودي عن علاقات أو محادثات مع (إسرائيل)، إلا أن صحيفة "ذا تايمز" البريطانية، قالت إن هناك محادثات اقتصادية بين تل أبيب والرياض، شملت عمل شركات إسرائيلية في الخليج والسماح للطيران المدني الإسرائيلي بالتحليق فوق المملكة.

قناة "سي إن إن" الأمريكية تحدثت أيضاً في ذات الإطار، وقالت إن هناك مشاريع اقتصادية تجمع الطرفين من المتوقع أن تشهد تطوراً سريعاً.

وأشارت إلى أن هذه المشاريع تشمل تسيير خطوط طيران من (إسرائيل) إلى الرياض، وكذلك مد خط سكة حديدية بين السعودية و(إسرائيل) مروراً بالأردن الذي يقيم علاقات طبيعية مع الدولة العبرية.

وفي مارس/آذار الماضي، كشف رئيس الوزراء الإسرائيلي أن السعودية سمحت لشركة الطيران الهندية "إير إنديا" باستخدام مجالها الجوي لتسيير رحلات جوية بين مطار مومباي بالهند وتل أبيب.

وتعلق الحكومة الإسرائيلية، آمالاً كبيرة وغير محدودة على علاقتها التي تتطور يومياً مع السعودية، وتدفع بكل ثقلها في اتجاه أن يكون للرياض دور أساسي وتاريخي في فتح الباب أمام تطبيع علاقات دولة الاحتلال مع بقية الدول العربية.

قطر

تطور العلاقات الخليجية الإسرائيلية كان لقطر نصيب منه أيضاً، فقد استضافت الأخيرة في مارس/آذار الماضي، فريقاً إسرائيلياً شارك في بطولة العالم المدرسية لكرة اليد.

كما وصل فريق رياضي إسرائيلي آخر إلى العاصمة الدوحة، نهاية أكتوبر/تشرين الأول الماضي، للمشاركة في بطولة العالم للجمباز، والتي اختتمت في ٣ نوفمبر/تشرين الثاني.

وبعيداً عن العلاقات الرياضية وضمن خطط قطر لإعادة إعمار قطاع غزة، يزور رئيس اللجنة القطرية المكلفة بذلك السفير "محمد العمادي"، الأراضي الفلسطينية بشكل متواصل مروراً بـ(إسرائيل).

وتحدثت وسائل إعلام إسرائيلية عن عقد "العمادي" لقاءات مع مسؤولين إسرائيليين للتنسيق بشأن مهام عمل لجنته في قطاع غزة.

وفي فبراير/شباط الماضي، زار السفير "العمادي" مدينة القدس المحتلة، واجتمع مع وزير التعاون الإقليمي الإسرائيلي ومسؤولين أمنيين.

وبحسب وسائل إعلام فلسطينية وإسرائيلية، فإن الاجتماع بحث تجنب غزة حرباً جديدة مع (إسرائيل) وتحويل أموال إغاثية للقطاع.

كما تلعب قطر، إلى جانب مصر والأمم المتحدة، دوراً في مباحثات التهدئة التي بدأت في النصف الثاني من هذا العام بين الفصائل الفلسطينية بقطاع غزة و(إسرائيل).

٢٠١٨ وصمود الديمقراطية

(واشنطن بوست) و(بلومبيرك نيوز سيرفز) : ٢٥/١٢/٢٠١٨

جينفر روبن: عبرت «ريتشل كلاينفيلد»، الباحثة البارزة في مؤسسة «كارنيغي» للسلام، عن قلقها من انهيار الحزب «الجمهوري»، «فبدلاً من أن يكون جماعة للأيدولوجية المحافظة التي يحتاجها أي نظام ديمقراطي لتمثل هذه الآراء وسط جموع المواطنين، فقد أصبح جماعة يقتصر اهتمامها فيما يبدو ببساطة في السعي للحصول على السلطة ومحاولة تقليص الديمقراطية إلى الحصول على السلطة». لكن برغم كل هذه الأمور المثيرة للقلق، هناك أسباب عدة تثير التفاؤل لدى من خاضوا معارك سياسية وقانونية ضد جهود تقويض المؤسسات والأعراف الديمقراطية.

أولاً: ترامب يخسر أكثر مما يكسب. فقد خسر السيطرة على مجلس النواب بفارق كبير، وأُجبر على إعادة الصفي «جيمس أكوستا» إلى البيت الأبيض. ويستبشر «أيان باسين»، مدير جماعة «حماية الديمقراطية» التي شنت حرباً قانونية شديدة ضد السلوك غير الدستوري لترامب، خيراً بالخسائر التي مُني بها ترامب. ويؤكد باسين أن «شعبيته في مستوى منخفض تاريخياً، والشعب الأمريكي رفض سياساته بشكل كاسح في انتخابات التجديد النصفى. وبرغم محاولاته إفساد وزارة العدل وحكم القانون، استمرت التحقيقات في عالم ترامب وما زالت تكشف مخالفات جنائية».

ثانياً: تقوم المحاكم ووزارة العدل بعمل مثير للإعجاب في تنفيذ القانون والدستور مثل وقوفها إلى جانب أكوستا وتوجيه الاتهام لمساعدى ترامب والحصول على اعترافات منهم بارتكاب مخالفات والتصدي لهجوم ترامب ضد «مدن الملاذ الآمن» و«قانون تأجيل اتخاذ إجراء ضد الوافدين الأطفال».

ثالثاً: انتبعت أغلبية كبيرة من الأمريكيين وأصبحوا يدركون أن ترامب لا يقول الحقيقة ورأوا ضرورة انتقال السيطرة على مجلس النواب إلى الحزب المعارض. وشارك الأمريكيون بأعداد تاريخية في انتخابات التجديد النصفى. وذكرت كلاينفيلد أنها شعرت بالثقة لما شهدته من «الكمية الهائلة للطاقة المدنية التي تسري في ديمقراطيتنا ومن العدد غير المسبوق من الأشخاص الجدد الذين خاضوا السباق على مناصب»، ومن ظهور منظمات جديدة تدافع عن الممارسات الديمقراطية ومن المحادثات النشطة التي سمعتها في المقاهي عن العمل الأساسي لديمقراطيتنا.

وأخيراً: للكونجرس الذي كان الغائب الحاضر في معركة الدفاع عن أعراف ومؤسسات الديمقراطية الآن دور حيوي في المراقبة والتحقيق والتشريع. ويتبنى «الديمقراطيون»، على الأقل في الوقت الحالي، نبرة مسؤولة واهتماماً بإصلاح الأخلاقيات. ويوحي رد الفعل المبتهج تجاه احتمال وجود رئيس لمجلس النواب مستعد لأن يواجه ترامب ويخبره أنه لا يقول الحقيقة بأن مناورات ترامب لم تنطل على الجمهور. وباختصار، وكما يصف باسين، من جماعة «حماية الديمقراطية»، تعرضت الديمقراطية الأمريكية لاختبار قاسٍ في عام ٢٠١٨ مثل منزل كان في مهب إعصار شديد» فاهتزت الجدران وارتجفت النوافذ لكن البناء صمد.

التحالفات الدولية ومنطق الشراكة الحركية

*د. السيد ولد أباه

صحيفة (الاتحاد) الإماراتية : ٢٥/١٢/٢٠١٨

قد يكون الرئيس الروسي فلاديمير بوتين هو الزعيم الوحيد الذي رحب بإعلان الرئيس الأمريكي ترامب المفاجئ الانسحاب العسكري من الساحة السورية، في الوقت الذي أثار القرار الأمريكي اعتراضاً واسعاً لدى الحلفاء الأوروبيين التقليديين للولايات المتحدة.

القرار الأمريكي، وإن كان مفاجئاً، إلا أنه يندرج في المنطق الجديد للعلاقات الدولية وفق رؤية القوتين العالميتين الرئيسيتين: الولايات المتحدة وروسيا، والتي أثبتتها الأحداث والتحويلات الأخيرة، في ما وراء الجدل السياسي والإعلامي المتشعب في الصحافة الغربية حول عودة الحرب الباردة وتجدد الصراع القطبي السابق.

فعلى الرغم من النخمة العدائية التقليدية لروسيا في الخطاب السياسي والإعلامي الأمريكي داخل دوائر صنع الرأي والقرار، وفيما وراء الإشاعات حول الدور الروسي وتدخلاته في الانتخابات الرئاسية الأمريكية الأخيرة (عام ٢٠١٦)، فإنه لا مندوحة عن الإقرار بأن الرؤية الدبلوماسية لترامب وبوتين متماثلة في النظر إلى طبيعة العلاقات الدولية من منظور الأولوية القومية على حساب التحالفات والشراكات الثابتة، بما يقرب أحياناً بين الدولتين الكبيرتين وفق مسارات ظرفية متبدلة ومعقدة في أغلب الأحيان. ومن أهم نقاط التقارب بين البلدين الاختلاف مع الأجندة الأوروبية التي لا تزال تحكمها القيم الليبرالية للعلاقات الدولية الموروثة عن النظام الدولي السابق. فإذا كانت روسيا بوتين قد أنهت مسار الاندماج في المنظومة الأوروبية الذي بدأ في عصر الرئيس السابق «بوريس يلتسين»، إلى حد القطيعة الكلية مع دول الاتحاد الأوروبي بعد ضم روسيا إقليم القرم الأوكراني في عام ٢٠١٤، فإن ترامب أظهر في مناسبات عديدة، منذ تسلمه للحكم، تنصل بلاده من دور الراعي الممول للشراكة الأطلسية، ومن زعامة «العالم الحر»، حسب الاصطلاحات الأمريكية التقليدية والتي تنحدر من موروث الحرب الباردة.

لا يتعلق الأمر بتغير جوهري في الخيارات الأيديولوجية والفكرية في فلسفة العلاقات الدولية، بقدر ما يتعلق بالمقاربات والصيغ العملية للشراكة والائتلاف في عالم اليوم.

ولقد سبق لوزير الدفاع الأمريكي الأسبق «دونالد رامسفيلد» التعبير عن هذا التحول خلال حرب غزو العراق في عام ٢٠٠٣، والتي وقفت ضدها أطراف أوروبية شريكة للولايات المتحدة في الحلف الأطلسي (فرنسا وألمانيا)، وذلك بقوله إن عالم اليوم لم يعد يقبل صيغة واحدة ثابتة للتحالف، بل إن طبيعة المهمة هي التي تحدد نوع التحالف ومكوناته.

ومع أن الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما عاد إلى سرديّة الشراكة الأطلسية وائتلاف العالم الليبرالي الحر، إلا أن عدة مؤشرات من بينها فكرة الدفاع الأوروبي الموحد التي رجعت بقوة في الأشهر الأخيرة، بيّنت أن التحول القائم أصبح خياراً لا محيد عنه. روسيا بدورها وجدت في نهاية الحرب الباردة وتحلل حلف «وارسو» الذي جمع بين دول العالم الاشتراكي السابق، فرصة غير مسبوقّة لتحرير وتسهيل حركتها الدبلوماسية، بما عبر عنه الباحث السياسي الروسي «سرغي كاراغانوف» بقوله إن روسيا كسبت الكثير بتملصها من التحالفات المكلفة التي كانت تقيد حركتها وتفرض عليها توازنات صعبة مع أوروبا الغربية التي أصبحت مضطرة لتحمل هذه التكاليف الباهظة بنفسها.

وكما أن نقطة انطلاق ترامب هي القول بأن الولايات المتحدة لم تعد مستعدة لتوفير المظلة الأمنية المجانية لأوروبا، وذلك بالنظر إلى أن مصالحها الحيوية لم تعد متوقفة على المجال الحيوي الأوروبي الذي استقل عملياً عنها وأصبح في بعض الأحيان قوة منافسة لها.. فإن الرؤية التي يصدر عنها بوتين هي أن الدور الروسي الجديد يجب أن يتمحور حول حماية وتحصين العالم الروسي بمفهومه الاستراتيجي والحضاري وامتداداته الإقليمية الأوروآسيوية، بما يعني أن الولايات المتحدة ليست خصماً تلقائياً لروسيا ولا عدواً أيديولوجياً دائماً (كما كانت نظرة روسيا السوفييتية).

لقد بين عالم السياسة الفرنسي «برتراند باداي» أن فكرة الحلف الدولي الثابت تعود للقرن التاسع عشر والنظام الوالستيفي للعلاقات الدولية، وهي فكرة تقوم على محددتين هما: العدو الثابت، والزمنية الطويلة للعلاقات الدولية، بما مكن من تأسيس الشراكة الدولية في منظومات ثابتة خلال الحرب الباردة حين كانت قسمة العالم جلية وواضحة.

أما اليوم فقد تبدلت المعادلة، فلم يعد لمفهوم العدو دلالة في عالم شديد الترابط، أصبحت فيه المخاطر كثيفة ومتنقلة ومتقلبة، كما أن الزمن السياسي غداً قصيراً لا يثبت على حال. ومن هنا التغير الدائم للمواقف والتحالفات، بحيث إنه لم يعد للنظام الدولي منطق نسقي مستقر وثابت. في هذه المعادلة الجديدة، تنفتح آفاق وإمكانات واسعة للقوى الإقليمية التي لا تجد نفسها مضطرة للالتزام بشراكة ضاغطة ومقيدة، بل هي قادرة على الاستفادة من الحركية السيالة والمرنة للنظام الدولي.. وذلك هو الدرس الذي يحتاج العرب اليوم لتأمله في وضعهم الحاضر، اتساقاً مع طبيعة العلاقات الدولية الجديدة.

المجتمع وقيم المواطنة

*عبدالإله بلقزيز

صحيفة (الخليج) الإماراتية: ٢٥/١٢/٢٠١٨

ليست الدولة، وحدها، التي تضع الأسس المادية والمؤسسية للمواطنة، وإن كانت الجهة ذات الدور الأساس في إنجاز ذلك، وإنما يشاركها المجتمع، بمؤسساته وعملها الوظيفي، في التمكين للبناء الوطني، وفي التهيئة الاجتماعية التحتية له. على مركزيته، التي ليست موضع جدل، لا يكفي عمل الدولة وحده، وهو إن أفلح في وضع المداميك والأساسات - دستورياً وقانونياً ومؤسسياً - لن يستطيع أن يقوم مقام فاعلين اجتماعيين آخرين تهيئهم مواقعهم في النظام الاجتماعي لأن ينهضوا بأدوار مستقلة، نسبياً، لا تتدخل فيها الدولة وبالتالي، لأن يقدموا مساهمة حاسمة في إنجاز عملية البناء الوطني. والمستفاد من هذا أن المواطنة، بوصفها ثقافة وقيماً، لا تُكتسب لمجرد أن قوانين الدولة وتشريعاتها تُقر منظومة الحقوق، التي تُطلق عليها اسم حقوق المواطنة، وإنما تُكتسب بالتكوين والتربية والتعليم، كما بالارتياض عليها في خضم علاقات العمل والتواصل وتبادل القيم في الجسم الاجتماعي. ودون ثقافة مواطنة يتشبع فيها المرء بقيم المواطنة لا تكون مواطنة، أو هي إن كانت موضوعياً، أي على صعيد منظومة القوانين، لا تكون ذاتياً، أعني لا يحصل الوعي بها، ولا ينشأ الحافز الداخلي للتمسك بها والدفاع عنها، بل والعمل على تنميتها بالمزيد من الموارد.

ليس ما نقوله عن الديمقراطية وإمكانها إلا عين ما نقوله عن المواطنة وإمكانها، فإذا صحّت القاعدة التي تمسكنا، دائماً، بالانطلاق منها في رؤية مسائل الممكن والممتنع في الديمقراطية، والتي مبناه على أنه ما من ديمقراطية تُمكن في مجتمع إلا متى تشبّع مواطنو ذلك المجتمع بالقيم الديمقراطية، تصح - بالتلقاء - على المواطنة لتجأس معناها والديمقراطية. وبيان ذلك أن المرء لن يملك أن يتمتع بمواطنته، وما تُرتبه عليه من حقوق وحرّيات، إن هو لم يتحلّ بقيم المواطنة إن كان وعياً، مثلاً، ما زال يدور في محيط أفكار سابقة للفكرة الوطنية.

استتباب أمر المواطنة، كاستتباب أمر الديمقراطية، وقفّ على إحراز نجاح حقيقي في التربية عليها، في ازدياد قيمها في النفوس والأفعال، في ترسيخها كثقافة عميقة، في تمنيعها من أي كايح يفضي إلى تهشيشها... إلخ. وليس غير المجتمع ومؤسساته يقوى على أداء هذا الدور الإنمائي لفكرة المواطنة في الوعي الجمعي. ولقد يكون عمل مؤسسات اجتماعيتين كبيراً، في هذا المضمار، هما الأسرة والمدرسة، فهما المصنع الاجتماعي الأول للتنشئة والتكوين، وعلى مثال ما تكونانه يكون المجتمع الذي يتولد من رحميهما. على أنه لا النظام الأسري ولا النظام التعليمي يملكان أن ينهضا بدور إنمائي لقيم المواطنة من تلقاء النفس، إذ هما، اليوم، من التهالك والسلبية إلى الحد الذي يخشى فيه على مستقبل المجتمع. لذلك لا مناص من أن يُعاد تأهيل المؤسسات التي تبنك بالقيم عينها التي يعول على قيامها بدور إشاعتها وترسيخها في نفوس الأجيال الجديدة وعقولها. والشيء عينه يصدق على مؤسسات اجتماعية أخرى، يوكل إليها أمر البناء الوطني، فهذه - هي الأخرى - مما يحتاج إلى إعادة تأهيل في أفق النهوض بدور تاريخي بحجم بناء علاقات المواطنة وإنتاج ثقافتها وقيمها.

قلنا إن المؤسسات الاجتماعية لا تملك أداء دور البناء الوطني، بالتلقاء، ومن دون إعادة تأهيل من الداخل. ومعنى هذا أن استقامة فعلها على المقتضى المطلوب إنما هي مشروطة بما يمكن أن تقدمه الدولة من موارد من أجل إعادة التأهيل، وترشيد الأداء. ولسنا نذهب، هنا، إلى القول إن على الدولة إعادة بناء الأسرة والأحزاب والمجتمع المدني (علماً بأن ذلك إن لا يجوز، هنا، يجوز في حالة المدرسة والنظام التعليمي)، إذ مع تسليمنا بحقيقة أن الدولة نهضت، دائماً، بدور ثوري، تغييرية، في المجتمعات فكانت بمثابة عربة القيادة التي تجر قاطرتها المجتمعات تلك نحو أهداف بعيدة، إلا أنها لا تملك - حتى إن أرادت - أن تغير، جذرياً، النظام الأسري والاجتماعي والحزبي - لأن تغيير هذه يكون من فعل فاعل أكبر هو التاريخ والتطور التاريخي والتراكم الاجتماعي والثقافي - ولكنها تملك أن توفر الأسس لتسهيل مثل ذلك التغيير في مديات من الزمن أقصر بقوة القانون والتشريع. إنها، بهذه القوة المشروعة التي تحتازها، تملك أن ترشد عمل تلك المؤسسات، أو أن توجهها وجهة خدمة الأهداف العليا (للدولة والمجتمع على السواء). وحين ينصرف النظام القانوني للدولة إلى بناء أساسات نظام المواطنة، يفرض إلزامه على مؤسسات المجتمع كافة، من وجه عام، ويؤسس لشرعية إحداث قوانين فرعية وقطاعية من شأنها النهوض بنظام الأسرة، والنظام المدني والحزبي، وترشيد عملها في مضمار البناء الوطني.

هكذا نتأدى، إذن، إلى القول إن بناء نظام المواطنة مسؤولية مشتركة للدولة والمجتمع على السواء.

abelkeziz@menara.ma

الشرق الأوسط... الاتجاهات السياسية المتوقعة خلال عام ٢٠١٩

مركز "ستراتفور" الاستخباراتي؛ ٢٠١٨/١٢/١٢

نشر مركز "ستراتفور" الاستخباراتي الأمريكي تقريره السنوي حول الاتجاهات السياسية المتوقعة خلال عام ٢٠١٩، وأفرد فصلا خاصا لأبرز التوقعات الخاصة بالأحداث والقضايا السياسية في الشرق الأوسط، وفيما يأتي أهم ما جاء في تقرير المركز الأمريكي حول منطقة الشرق الأوسط.

إيران تحت الحصار

ووفقا لـ "ستراتفور"، سوف تضر حملة العقوبات التي تقودها الولايات المتحدة بإيران، لكنها لن تؤدي إلى انهيار الحكومة الإيرانية، حتى في الوقت الذي يعاني فيه اقتصاد البلاد. ومن خلال زيادة العقوبات، تأمل الولايات المتحدة في إرغام إيران على العودة إلى طاولة المفاوضات. لكن لذلك لن تجدي حيث سيتجاوز الفرقاء في إيران خلافاتهم وسيعطوا الأولوية لاستقرار النظام. وعلاوة على ذلك، ستزيد العقوبات من حدة الاضطرابات الشعبية، التي تعزز رأس المال السياسي للمحافظين والمتشددين ضد إدارة الرئيس المعتدل "حسن روحاني". وفوق ذلك، سيتم تمكين أجهزة الاستخبارات والأمن الإيرانية الحازمة تحت ذريعة الحاجة إلى تعميق استراتيجية إيران الدفاعية في مواجهة الضغط المتزايد.

وستفعل إيران ما في وسعها للانتقام من المعتدين عليها، لكنها ستمتنع عن الرد العسكري التقليدي في الوقت الراهن. وستحاول طهران الانتقام بالتحرش بالسفن الأمريكية وسفن حلفاء واشنطن في دول الخليج العربي، وإجراء اختبارات الصواريخ الباليستية أو استئناف أنشطتها النووية، لكنها لن تفعل ذلك إلا عند الضرورة القصوى. وبدلا من ذلك، ستستخدم طهران على نحو أكثر سهولة الحرب الإلكترونية، أو العمليات السرية، أو وكلاءها الإقليميين الرئيسيين للرد على الولايات المتحدة و(إسرائيل) ودول الخليج. وتريد إيران تجنب إثارة ضربة عسكرية تقليدية ضدها، لكن مع تراجع الدعم السياسي من الاتحاد الأوروبي خلال عام ٢٠١٩، واستبدال الضمانات الاقتصادية لصالح الخطابة السياسية الفارغة، ستكون طهران أكثر استعدادا للانخراط في إجراءات انتقامية أكثر حدة.

واشنطن تعزز حلفاءها

وفي سعيها لتنفيذ استراتيجيتها الإقليمية، والتي تدور حول احتواء إيران، سوف تتكئ الولايات المتحدة على مجموعتين من الحلفاء الذين لديهم أهداف متشابهة" المجموعة الأولى تضم الحلفاء الأكثر اهتماما بإيران، والمستعدين لتبني سياسات معادية ضدها، وهم (إسرائيل) والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، وتحاول هذه البلدان التغلب بسرعة على عقود من انعدام الثقة والصراع وتجميع جهودها لتحسين التنسيق ضد طهران في الفضاء الإلكتروني، وحتى عسكريا. أما المجموعة الثانية من الحلفاء، وهي الكويت وعمان وقطر، فهم يحملون رغبة أقل في اتخاذ موقف صارم تجاه إيران. ويمكن لهذه الدول توفير قيمة استراتيجية ودبلوماسية واقتصادية للولايات المتحدة في بعض النزاعات والأزمات الإقليمية. وقد يؤدي تحسن العلاقات مع واشنطن إلى الحد من شدة الحصار في قطر، لكن الصراع الأساسي بين أعضاء مجلس التعاون الخليجي سوف يستمر.

السعودية ووصمة "خاشقجي"

وسوف يتعين على السعودية إدارة المخاوف المتزايدة بشأن ولي العهد "محمد بن سلمان" طوال عام ٢٠١٩، وفي أعقاب مقتل الصحفي السعودي المنفي "جمال خاشقجي"، سوف تخضع تصرفات ولي العهد لتدقيق دولي متزايد. وعلى الرغم من أن وضعه لا يزال راسخا في النظام الملكي السعودي، إلا أن موقف ولي العهد المهيمن لا يزال يعتمد على دعم والده الملك "سلمان"، وستستمر المقاومة الهادئة في التصاعد داخل العائلة المالكة. وسيحد بعض الحلفاء الرئيسيين للرياض من الدعم العسكري والاستثمار الأجنبي المباشر إلى السعودية، لكن من غير المرجح أن تتغير العلاقات الحاسمة. وستواصل الرياض تعزيز أهداف "رؤية ٢٠٣٠" خلال العام المقبل، لكنها ستخفف إجراءات التقشف استجابة للعلامات الاقتصادية الإيجابية، مثل ارتفاع أسعار النفط عام ٢٠١٨، ووجود فرصة للتعويض عن انخفاض صادرات النفط الإيرانية. ويعني هذا أن المملكة يمكنها تجنب إجراء تغييرات هيكلية قاسية على الاقتصاد السعودي، وخاصة في أسواق العمل. وسوف تتسبب الشكاوى من السكن والمرتببات ونوعية الحياة في إجبار الدولة على استخدام ماله لتمويل المعونات وتجنب النقد.

سوريا.. صراع بين القوى الكبرى

في المراحل الأخيرة من الحرب الأهلية السورية، تتنافس ٥ قوى رئيسية، هي تركيا وروسيا وإيران والولايات المتحدة و(إسرائيل)، على النفوذ والسيطرة. وتدعم موسكو وطهران الرئيس السوري "بشار الأسد" بشدة، لكنهما يختلفان ليس فقط في مستويات الدعم التي يقدمونها، ولكن أيضا في أهدافهما العامة. ولقد استخدمت روسيا الصراع السوري لتوسيع وجودها في الشرق الأوسط، وسوف توفر الحماية لمكاسبها، على الرغم من أن موسكو لديها رغبة ضئيلة في صراع مفتوح مع تركيا والولايات المتحدة و(إسرائيل). ومن ناحية أخرى، ستكون إيران أكثر عدوانية في دعمها لدمشق، خاصة في معارضة أنقرة وواشنطن. كما ستواصل طهران بناء قواتها داخل سوريا كرادع لـ(إسرائيل) وكوسيلة لدعم "حزب الله"، حليفها القوي في لبنان القريب، وستحاول (إسرائيل) إحباط خطط إيران، لكنها تشعر بقلق بالغ من نشوب صراع غير مقصود مع روسيا. ولا تزال تركيا والولايات المتحدة يعارضان حكم "الأسد"، لكن على الرغم من كونهما حلفاء في "النااتو"، فإن كلا منهما سيلاحق أجدته الخاصة في سوريا، وتركز الولايات المتحدة على القضاء على بقايا "الدولة الإسلامية" في البلاد، على الرغم من أن واشنطن تسعى على نطاق أوسع إلى إزالة النفوذ الإيراني من سوريا كجزء من استراتيجيتها المناهضة لإيران. ويخلق تحدي إيران في سوريا توترا بين الولايات المتحدة وروسيا، حيث لا تستطيع موسكو التخلي تماما عن إيران. وعلى الرغم من الجهود المبذولة لإزالة الشقوق، فإن احتمال وقوع صدام عسكري محدود بين أمريكا وروسيا يعد أمرا ممكنا. من جانبها، ستواصل تركيا تركيزها على احتواء القوات الكردية في سوريا. وهذه مشكلة بالنسبة للولايات المتحدة، التي تستخدم وحدات حماية الشعب الكردية، وهي جماعة تعتبرها أنقرة منظمة إرهابية، كحليف ضد تنظيم "الدولة الإسلامية" وضد وكلاء إيران. وفي الشمال الغربي لسوريا، يمكن لتعهد تركيا بحماية محافظة إدلب أن يخدم مصداقية أنقرة كشريك محلي، لكن هدف دمشق المعلن هو استعادة السيطرة الكاملة. وقد تصبح إدلب نقطة اشتعال بين تركيا وإيران والقوى الموالية للنظام السوري باستثناء روسيا، وبالنظر إلى المصالح المتعارضة في سوريا، فإن احتمال التصعيد العرضي أو حتى المواجهة بين الدول في عام ٢٠١٩ أعلى من أي وقت مضى، على الرغم من أن كل قوة ستتخذ خطوات لتجنب ذلك.

تركيا.. "أردوغان" يركز على الاقتصاد

وسيكون أكبر تحد يواجهه تركيا في عام ٢٠١٩ هو اقتصادها المتعثر. فضلا عن إدارة التضخم القياسي، سيتعين على الرئيس "رجب طيب أردوغان" أن يتعامل مع مشروع قانون خاص بمشروع ديون الشركات يساوي تقريبا ربع الناتج المحلي الإجمالي للبلاد، مع تجنب أزمة أخرى في الليرة. وسيكون "أردوغان" مضطرا سياسيا لتوسيع قاعدة دعمه قبل الانتخابات المحلية في الربيع، متشبثا بالأترك المؤثرين ماليا من جميع أنحاء الطيف الانتخابي، وبعضهم تضرر من سياسات الرئيس القومية.

ويضعف اقتصاد تركيا الهش موقف أنقرة فيما يتعلق بالتعامل مع الشركاء الرئيسيين في الغرب. وتتوتر العلاقة بين الولايات المتحدة وتركيا بشكل متزايد، ويرجع ذلك جزئيا إلى علاقات أنقرة المتنامية مع روسيا، ودعم واشنطن لـ"وحدات حماية الشعب" في سوريا.

وبسبب ضعفها أمام الضغوط الاقتصادية الأمريكية، ستحاول تركيا دعم الاستثمار الأجنبي والحفاظ على علاقات اقتصادية مستقرة مع أوروبا. ومع ذلك، فإن العلاقة التاريخية المعقدة بين تركيا والاتحاد الأوروبي ستعقد ذلك الجهد. وإلى جانب السعي لجلب الاستقرار الاقتصادي، ستواصل أنقرة التركيز على سياساتها الأساسية، بما في ذلك احتواء الحركات الكردية المتمتعة بالحكم الذاتي في المجالات العثمانية السابقة وستقوم أنقرة بممارسة كل نفوذ ممكن في شمال سوريا، وستواصل الضربات العسكرية ضد مواقع حزب العمال الكردستاني شمال العراق.



 www.pukmedia.com/ensat
 Facebook: **ensatpuk**
 ensatmagazen@gmail.com
 Mobile: **0770 156 4347**